1

EYÜP HÜSREV PAŞA [illegible]
Kısım : Mihri Şah
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 24
Tasnif No.

قد وقف هذا الكتاب المستطاب راجية الفتح من الوهاب صاحبة الخيرات والحسنات رافعة الدرجات
والمبرات صفية الذات عفيفة الصفات حضرة مهرشاه سلطان دام بقائها في حماية الرحمن ام امير المؤمنين
وخليفة رب العالمين السلطان ابن السلطان السلطان سليم خان ابن السلطان مصطفى خان ابن
السلطان احمد خان ايده الله ونصره الى نهاية الدوران حرره العبد
المحتاج الى لطف الرحمن محمد عطاء الله صدر الدين زاده
المفتش باموراوقاف الحرمين الشريفين
عفي عنهما

Süleymaniye U Kütüphanesi
Mihrişah Sultan
Eski Kayıt No 24

1/2

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن بالكريم
الحمد لله الذي اكرمنا بالنور المبين وهدانا للحق اليقين كتاب الله العزيز الذي لا
ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد تضمن جل ذكره حفظه فقال
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ونسخ به كل كتاب انزله قبله لا تزيغ به الاهوا ولا تشبع منه العلما
ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه فهو المعجز ما بقي الدهر وكل به سبحانه
قوما من خواص عبيده يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعظمون احكامه لا يخرجون من الحق
ولا يدخلون في الباطل ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم سالتم اخواني واصحابي
رحمكم الله واياي بعد ما دارستكم تفسير كتاب الله سبحانه وتعالى وتلقفتموه مني مرات
وختمات ان املي عليكم تفسيرا متوسطا يجمع من مسموعاتي الاقاويل المستحسنة والفوايد المستنبطة
ويشير في الاصول والفروع الى الحق المتبوع فاجبتكم الى ذلك لفايدة ترجع الي واليكم دينا ودنيا
اذ كان كتاب الله هو الاصل في الدين والاعود نفعا للمسلمين ولولا ما من الله تعالى على ايمتنا
المتقدمين رحمة الله عليهم اجمعين بتوفيقه اياهم بتحقيق النظر في هذا العلم بحثا عن غوامضه
ودقايقه واحاطة بمحكمه ومتشابهه وفضايله وفرايضه ورخصه وعزايمه ومجمله ومفسره
وعمومه وخصوصه ومطلقه ومقيده وناسخه ومنسوخه واستعاراته وحقايقه واوامره ونواهيه
لما امكنهم تدوين كتب الفقه وتاسيس قواعده ومن تامل في كتبهم علم ان كثيرا من
مصنفاتهم من افراد الكتب مبني على اية واحدة من كتاب الله تعالى ومنها ما هو مبني على ايتين
وثلاث وكيف يتفق مثل ما صنفوه مع حسن ذلك وكثرته الا لمن يستحكم لنفسه الاصول التي يابى
خلافها احسن الاستحكام ولهذا ما صارت كتبهم في الحجة كالجبال فانهم هم الذين سابقوا بعد
عصر الصحابة الى كتبهم التي الفوها فبينوا فيها مواضع نصوص من الشريعة ومواقع الاجتهاد
وعرضوا اخبار الاحاد على الكتاب والسنن المتواترة واجماع الامة فما وافق منها هذه الاصول
الثلثه قبلوه وما خالفها طرحوه او اولوه ثم اختاروا في المجتهدات من اقاويل المجتهدين
احسنها واشبهها بالحق واصوبها اذ كان لا يسعهم القول بجملتها مع اختلافها فتدبروا
وتناظروا للترجيح بعض الاقوال على البعض على يقين منهم ان حجج الشرع لا يجري عليها
الخلاف والنقض فمن رام تخطيتهم في واحدة من مسايلها عاد خاطيا وما عليه ان تامل فاحسن
التامل ومن لكل احد بفهم به بتامل وعلم به يتدبر ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فلله الحمد على ما هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله **والصلوة على نبي الرحمة** وامام
الحكمة المنتخب من طينة الكرم وسلالة المجد الاكرم سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى
اله الطيبين الطاهرين ونضر الله امرا نظر في هذا الكتاب الذي امليناه فاعمل الفكرة
وحاور الفطنة ثم عرف منة الله تعالى علينا وعليه بان نبهه على زيادة دلايل التوحيد واكرمه
بحيازة شواهد النبوة وعرفه الحلال والحرام من احكام الملة الحنيفية السمحة السهلة
ووفقه للوقوف على تنزيه الله تعالى عن صفات المحدثين وتنزيه انبيايه ورسله صلوات الله
عليهم عن زلات المسيين حفظا للدين وردا على الملحدين هذا بصاير للناس وهدى ورحمة
لقوم يوقنون ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على
العالمين قال الشيخ الامام ركن الاسلام شمس الايمة وسراج الانام ابو الفتح
عبد الصمد بن قاضي القضاة الشيخ الامام محمد بن يونس قدس الله روحه واطال بقا الشيخ

الامام

الامام في معنى قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم انه تعليم منه سبحانه عباده
ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها تبركا به ومعناه والله اعلم ابدا باسم الله لان
حرف البا مع ساير حروف الجر لا تستغني عن فعل مضمرا ومظهر فكان ضمير البا في هذا الموضع
الامر وفي نسق تلاوة السورة دليل عليه وهو قوله تعالى اياك نعبد معناه قولوا اياك نعبد
وانما حذف لفظ الابتدا في اول التسمية لان الحال ينبي عنه لان القاري مبتدي والحذف في
مثل هذا الموضع في كلام العرب ابلغ من الاثبات لانك اذا حذفت احتمل اللفظ الخبر بدات واحتمل
الامر الا ترى ان القوم اذا اجتمعوا لروية الهلال فراه واحد منهم قال لاصحابه الهلال والله
يريد به رايته انا وانظروا انتم وكذلك قول بعض الرماة القرطاس اي اصبت القرطاس واختلف
الناس في اشتقاق الاسم فاكثر اهل اللغة على انه مشتق من السمو وهو الرفعة ومعنى الاسم
التنويه على الشي والدلالة عليه وقوله سميت الرجل اي رفعت ذكره وقال بعضهم انه
مشتق من السمة وهي العلامة فكان الاسم علامة للمسمى وانما لم يكتب بسم الله بالالف
لايثار التخفيف بسبب كثرة الاستعمال كما اسقطوا الالف الثانية من الرحمن واما الله
قال بعضهم هو اسم علم لا اشتقاق له مثل قولك فرس ورجل وجبل ومعناه عند اهل
اللغة المستحق للعبادة ولذلك سمت العرب اصنامهم الهة لاعتقادهم استحقاقها العبادة
وقال بعضهم هو من قولهم اله الرجل الى فلان ياله الها اذا فزع اليه من امر نزل به فالهه اي
اجاره وامنه ويقال للمالوه اليه اله كما قالوا للموتم به امام ولما يلتحف به لحاف فالاصل
في هذا الاسم اله كما قال الله تعالى حكاية عن اولاد يعقوب قالوا نعبد الهك واله ابايك ثم
ادخلوا عليه الالف واللام للتعريف فصار الاله ثم استثقلوا اجتماع الهمزتين وهي الاصلية
والمجتلبة فحذفوا احدى الهمزتين وهي الاصلية اذ لم يمكنهم حذف المجتلبة لانهم اجتلبوها
لحاجتهم اليها فبقيت اللام الاصلية مع لام التعريف ولم يكن بينهما حرف اخر فادغموا احداهما
في الاخرى فصار الله ومعناه ان الخلق يتضرعون ويفزعون اليه في الحوايج والشدايد وقال
بعضهم هو مشتق من الوله وهو التحير والاصل فيه ولاه فابدلت الواو همزة كما قالوا في وسادة
اسادة وفي وشاح اشاح فصار اله ثم ادخلت عليه الالف واللام للتعريف والمعنى في ذلك
ان كل قلب اذا فكر فيه جل جلاله تحير لانه لا مثل له فيعتقده ونحوه عن امير المومنين رضي
الله عنه انه قال الله المستتر عن درك الابصار المحتجب عن الاوهام والاخطار كانه ذهب
الى انه من لاه يليه ولاه يلوه اذا استتر جعل المصدر منه اسما قايما مقام الفاعل ثم جعلت
الواو والبا التي في المصدر الفا لانفتاح ما قبلها فصار لاه ثم ادخل عليه حرف التعريف
واما الرحمن الرحيم فهما اسمان ماخوذان من الرحمة ووزنهما
من الفعل نديم وندمان من المنادمة وفعلان ابلغ من فعيل وهو من ابنية المبالغة لا يكون
الا في الصفات كقولك شبعان وغضبان وسكران ولهذا صار اسم الرحمن مختصا بالله تعالى لا
يوصف به غيره واسم الرحيم مشترك يوصف به غير الله تعالى وروى عثمن بن عفان رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرحمن العاطف على جميع خلقه بادرار الرزق عليهم
والرحيم الرفيق الشفيق بالمومنين خاصة في الدنيا والعقبى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر ولو قال اسمان لطيفان لكان احسن ولكن عنى
بالرقة الرحمة والرحمة من الله تعالى هي الانعام على الخلق ومن الادميين رقة القلب وانما تسمى
النعمة رحمة لانها تكثر عند رقة القلب وانما جمع والله اعلم بين الاسمين ومعناهما جميعا من الرحمة

للنهاية في الرحمة والاحسان بعد الاحسان اذ لا يبلغ رحمة احد رحمة الله تعالى يقول الرجل انا جاد مجد وفلان ضارب ضروب وبعدا وسحقا ونحو ذلك يريد به التكثير والتاكيد ولا خلاف بين المسلمين ان بسم الله الرحمن الرحيم من القران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في اوايل الكتب في اول الاسلام باسمك اللهم حتى نزل بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن فنزلت قصة سليمن عليه السلام في سورة النمل فكتب حينيذ بسم الله الرحمن الرحيم واختلف اهل العلم في انها اية من سورة فاتحة الكتاب ام لا قال قرا الكوفة هي اية منها وابى ذلك اهل المدينة واهل البصرة وليس عن ايمتنا المتقدمين رواية منصوصة في ان البسملة اية من هذه السورة او ليست منها الا ان الشيخ ابا الحسن الكرخي كان يحكي ان مذهبهم في ترك الجهر بها في الصلوة للاخبار الوارده فيها يدل على انها ليست اية منها عندهم لانها لو كانت اية منها لجهروا بها كما جهروا بساير اي السورة وقيل لو كانت اية في نفس هذه السورة لوجب ان يكون قبلها مثلها لتكون احديهما افتتاحا بالسورة والاخرى اول اية منها واتفق السلف ان البسملة ليست من اوايل السور الا الشافعي رحمه الله فانه [illegible] انها اية من كل سورة ولم يسبقه الى هذا القول احد ولا خلاف ان التسمية ليست باية تامة في سورة النمل وان ابتدا الاية هناك من قوله تعالى انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم ومع انها ليست باية تامة في سورة النمل لا يمتنع ان يكون لها حكم الاية التامة في غيرها الا ترى ان قوله الرحمن الرحيم في اضعاف فاتحة الكتاب اية تامة وليست باية تامة في قوله بسم الله الرحمن الرحيم عند الجميع وكذلك قوله تعالى الحمد لله رب العالمين اية تامة من فاتحة الكتاب وهي بعض اية من قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وروي عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية فاصلة يعني بين السور والله اعلم

سورة فاتحة الكتاب مكية

عند ابن عباس وعامة المفسرين ومدنية عند [illegible] قتادة وهي سبع ايات لا خلاف في جملتها واختلفوا في ايتين منها قال اهل الكوفة بسم الله الرحمن الرحيم اية منها وقوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم الى اخر السورة اية واحدة وقال اهل المدينة والبصرة صراط الذين انعمت عليهم اية وما بعده اية والصحيح والله اعلم ما قاله اهل المدينة والبصرة لما رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين نصفا لي ونصفا لعبدي ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذه الاية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال والاستدلال من هذا الخبر من وجهين احدهما انه بدا بذكر الحمد دون التسمية والثاني انه جعل اياك نعبد واياك نستعين واسطة ولا تكون واسطة الا وان تكون كلمات الثنا قبله ثلثا وكلمات الدعا بعده ثلثا قوله عز وجل الحمد لله رب العالمين ثنا اثنى الله تعالى به على نفسه تعليما لخلقه ومعناه قل يا محمد وقولوا الشكر لله تعالى سيد كل ذي روح دب ودرج في الارض ومن اهل السما والحمد والشكر نظيران يقال الحمد لله شكرا الا ان الحمد اعم من الشكر من حيث ان فيه معنى المدح من المنعم عليه وغير المنعم عليه ولا يكون الشكر الا من المنعم عليه والشكر اعم من الحمد من حيث انه يكون باللسان والقلب والجوارح والحمد لا يكون الا باللسان ويتبين الفرق بينهما بنقيضيهما فنقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران

والرب في اللغة اسم من يرب الشي ويصلحه يقال لسيد العبد رب ولزوج المراة رب وللمالك رب ولا يقال الرب معرفا بالالف واللام الا لله تعالى والله سبحانه هو المربي والمحول من حال الى حال من نطفة الى علقة ثم الى مضغة ثم الى غير ذلك الى اجل مسمى والعالم اسم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والرهط وغير ذلك وهو اسم لمن يعقل مثل الجن والانس والمليكة لانك لا تقول رايت عالما من الابل والغنم الا انه انما جعل اسم العالم في هذه السورة على كل ذي روح دب ودرج لتغليب العقلا على غيرهم عند الاجتماع كما قال الله تعالى والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشا الاية وربما يقال للسموات وما دونها مما احاطت به عالم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعالى ثمانية عشر الف عالم وان دنياكم منها عالم وفتحت نون العالمين وكل نون جمع اذا كان على هجا المعادلة لان هذه النون لا تقع الا بعد واو ساكنة مضموم ما قبلها او يا ساكنة مكسور ما قبلها فلو ضمت لالتقت ضمتان ولو كسرت لالتقت كسرتان فلم يبق غير الفتح الرحمن الرحيم الرازق الغفار مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب والجزا يوم يدان الناس باعمالهم لا قاضي يوميذ غيره وقرى ملك يوم الدين بغير الف وترجيح الاول انه عبارة عن ملك الحق [illegible] والثاني كناية من الولاية [illegible] وترجيح الثاني انه يقال مالك الثوب ومالك الدار ولا يقال ملك الا لملك من الملوك وتخصيص يوم الدين في الاية لان الله تعالى لا ينازعه احد في ملك ذلك اليوم كما قال جل ذكره لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اياك نعبد واياك نستعين اي قولوا اياك نوحد ولك نطيع ونخضع وبك نستعين على عبادتك وبك نستوثق على طاعتك واياك اسم للمضمر المنصوب اذا تقدم لا يحتمل دخاله في غير المضمرات وانتصاب موضعه لوقوع الفعل عليه تقديره نعبدك وحكي عن الخليل انه قال اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فاضافه الى الظاهر وهو قبيح مع جوازه فان قيل لم قدم اياك على نعبد وهلا اخر فقال نعبدك فالجواب عنه ان العرب اذا ذكرت شيئين قدمت الاهم فالاهم نحو قولك ضربت زيدا اذا كانوا بالضرب اعنى [illegible] من ذكر العبادة فقدمه عليها والكاف من اياك في محل الخفض [illegible] واجاز الفرا ان يكون الكاف في محل النصب اذا جعل ايا عمادا للاسما لانه لا يقوم بنفسه فان قيل لم عدل عن المغايبة الى المخاطبة قلنا مثله كثير في القران وكلام العرب قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة اهدنا الصراط المستقيم ارشدنا الطريق القايم الذي ترضاه وهو الاسلام وهذا الدعا يستخرج على لفظ الامر لان الامر لمن هو دونك والمسالة لمن فوقك فان قال قايل [illegible] قولكم اهدنا وانتم مهتدون قلنا قال الكلبي ومقاتل هذا سوال منا في مستقبل الزمان عند دعوة الشيطان وعن عبد الله بن مسعود انه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا [illegible] خطوطا فقال ان هذا الصراط المستقيم وان هذه السبل وعلى راس كل طريق شيطان [illegible] يقول هلم الى الطريق ونزل بهذا قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية وروي عن علي رضي الله عنه ان معنى قوله تعالى اهدنا اي ثبتنا على الصراط المستقيم لا تقلب قلوبنا [illegible] ونظيره قوله تعالى [illegible] وقصة ابرهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت [illegible] اي اثبت على الاسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هو استدعا الهدى الى الطاعات والاخلاص والاحكام واما الاسلام فقد سبق به الافضال واما السراط بالسين والزاي في القراة لغة لقرب مخرج بعض هذه الحروف من بعض صراط الذين انعمت عليهم اي طريق الذين مننت عليهم بحفظ قلوبهم على الاسلام حتى ماتوا وهم الانبيا عليهم السلام واهل طاعته رحمهم الله غير المغضوب عليهم ولا الضالين غير طريق اليهود الذين غضبت عليهم وخذلتهم بمعصيتهم ولم تحفظ قلوبهم حتى تركوا الاسلام ولا طريق

النصارى الذين ضلوا عن الاسلام وانما عرف ان المراد بالمغضوب عليهم اليهود وبالضالين النصارى
بالكتاب والسنة قال الله تعالى فى قصة اليهود فباوا بغضب على غضب وقال عز من قايل فى قصة النصارى
قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وروى ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بوادى
القرى من المغضوب عليهم فقال عليه السلام اليهود قال ومن الضالين قال عليه السلام النصارى
واما امين فليس من السورة ولكن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقوله
ويامر به على ما روى عنه عليه السلام انه قال لقننى جبريل عليه السلام بعد فراغى من فاتحة
الكتاب امين وقال انه كالطابع على الكتاب وفيه لغتان امين بالقصر والتخفيف كما قال الشاعر
تباعد عنى فطحل اذ دعوته ٭ امين فزاد الله ما بيننا بعدا ٭ وآمين بالمد والتخفيف كما قال الاخر
يا رب لا تسلبنى حبها ابدا ٭ ويرحم الله عبدا قال امينا ٭ وهو لغة بالسريانية معناه اللهم
اسمع واستجب ... قال صه ومه ومعناه الاسكات وعن ابن عباس رضى الله عنه
انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين قال عليه السلام رب افعل وعن
ابن عباس رضى الله عنه ... اى معناه كذلك فليكن والله اعلم

سورة البقرة

... اية واحدة وهو قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت
بمنى وهى كالمدينة ايضا نزولها بعد الهجرة وعدد اى هذه السورة مايتان وثمانون
وست ايات كوفى وسبع بصرى وخمس حجازى بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه هدى للمتقين اية واحدة عند الجميع الا عند الكوفيين فانها عندهم ايتان الاولى
منهما قوله تعالى الم ... واختلف الناس فى الم وساير حروف الهجا فى اوايل السور روى عن
عمر وعثمان وابن مسعود رضى الله عنهم انهم قالوا ان الحروف المقطعة من المكتوم الذى
لا يفسر واقفهم الشعبى على ذلك فقال ان لله تعالى سرا فى كتبه وان سره فى القرآن هو
الحروف المقطعة وقال محمد بن السايب الكلبى لما روى ان رهطا من اليهود منهم كعب بن
الاشرف وحيى بن اخطب وجدى بن اخطب ... دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له حيى بلغنا يا محمد انك قرات الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فان كنت صادقا فيما
تقول فان منتهى ملك امتك الى احدى وسبعين سنة لان الالف فى حساب الجمل واحد
واللام ثلاثون والميم اربعون فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيى وهل
غير هذا فقال نعم المص فقال حيى هذا اكثر لان الصاد ستون فهى احدى وثلثون
ومائة فهل غير هذا قال نعم الر فقال حيى هذا اكثر لان الرا مايتان فهى احدى وثلثون
ومايتان سنة فهل غير هذا قال نعم المر فقال حيى وهذا اكثر وهى احدى وسبعون
ومايتان سنة ثم قال خلطت علينا يا محمد فلا ندرى ابالقليل ناخذ ام بالكثير فانزل
الله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى قوله تعالى الم ان معناه انا الله اعلم
اى ان كل حرف قايم مقام كلمة وقال فى قوله تعالى الر انا الله ارى وفى المر انا الله اعلم
وارى وفى المص انا الله اعلم وافصل وقال فى كهيعص الكاف من كاف والها
من هادى واليا من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وعن ابن مسعود
رضى الله عنه انه قال الم اسم الله الاعظم ويقال الالف مفتاح اسم الله واللام
مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد ومعناه الله اللطيف المجيد انزل
الكتاب ويقال الالف هو الله تعالى واللام جبريل عليه السلام والميم محمد عليه الصلوة

والسلام

الضالون

سبب نزول

والسلام معناه الله تعالى انزل جبريل عليه السلام على محمد عليه السلام بهذا القرآن وقد
نطقت العرب بالحرف الواحد دليلا على الكلمة التى هو منها قال الشاعر
قلنا لها قفى لنا قالت قاف ٭ لا تحسبى انا نسينا الايجاف ٭ اراد بالقاف وقفت وقال
الكلبى هذا قسم اقسم الله تعالى به ان هذا الكتاب الذى انزل على محمد صلى الله عليه
وسلم هو الكتاب الذى عند الله وجواب القسم لا ريب فيه وعن قتادة رضى الله عنه
ان الحروف المقطعة اسما للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به وعن مجاهد انه قال
هى فواتح افتتح الله تعالى بها كتابه وعن ابى عبيدة هى شعار السور وعن قطرب
ان المشركين كانوا لا يسمعون القرآن كما قال الله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه اراد الله تعالى ان يسمعهم الحروف المقطعة ... ليسمعوا الى ذلك فيسكتوا
طمعا فى الظفر بما يحبون فيتم النبى صلى الله عليه وسلم الحجة عليهم وعنه ايضا ان
الكفار كانوا يقولون قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه فلا نفهم ما تقول واراد الله تعالى
ان يبين لهم ان هذا القرآن مولف من الحروف المقطعة التى ركبت عليها السنتهم فما لهم لا
يفقهون والمراد بذكر بعض الحروف تمام الحروف كما يقول الرجل علمت ولدى ا ب ت ث
لا يريد به هذه الحروف الاربعة وعلى هذا التفسير ساير الحروف المقطعة فى القرآن فان قيل
كيف يجوز ان يكون الحرف الواحد مستجمعا لجهات مختلفة قيل يجوز فى كلام العرب خاصة الا
ترى انهم يقولون للجماعة امة وللدين امة وللرجل الواحد امة وللقامة امة وكذلك اسم
المولى ونحو ذلك وكذلك الم وان كان ثلثة احرف لا يستنكر اختلاف معانيها على صحة التاويل
وهذه الحروف موقوفة لانها هجا وحروف التهجى لا حظ لها فى الاعراب فيوقف كل حرف على نية
السكت والابتدا بما يليه كما يفعل بالعدد فى قولهم واحد اثنان ثلثة فاذا ادخلوا الواو حركوه
لانه صار فى حد الاسما فيقال الف ولام وميم وكذلك العدد قال الشاعر
اذا اجتمعوا على الف وواو ٭ ويا ... بينهم ... فقال ٭ وقال اخر اقبلت من عند زياد كالخرف
تخط رجلاى بخط مختلف ٭ تكتبان فى الطريق لام الف ٭ قال القاضى الامام اختلفوا
فى محل هذه الحروف فقال قوم محلها رفع بالابتدا وذلك خبره والكتاب صلة لذلك كما تقول
زيد ذلك الرجل لا شك فيه فزيد مبتدا وما بعده من الجملة خبر عنه وهذا اذا صح التاويل
فى الم ويحتمل ان يكون الف لام ميم خبرا مقدما على ذلك الكتاب تقديره ذلك الكتاب الذى وعدت
ان اوحيه اليك الم اى هذه الحروف ومن ابطل محل الحروف جعل ذلك ابتدا والكتاب خبره
والم كالصلة فيكون لذلك الكتاب معنيان احدهما ان ذلك بمعنى هذا اى هذا الكتاب لا شك فيه
وقد يستعمل ذلك موضع هذا كما قال خفاف بن ندبة ٭ اقول له والرمح ياطر متنه
تامل خفافا اننى انا ذلكا ٭ اى انى هذا والثانى على الاضمار كانه قال هذا القرآن ذلك
الكتاب الذى وعدت فى التورية والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام ان اوحيه اليك
او هذا القرآن ذلك الذى فى اللوح المحفوظ فان قيل ما معنى قوله تعالى لا ريب فيه وقد ارتاب
فيه كثير من الناس قيل معناه والله اعلم لا شك فيه للمتامل فيه انه شىء لم يختلقه محمد صلى الله
عليه وسلم من تلقا نفسه او لا ينبغى ان يشك فيه لانه معجز ويحتمل ان يكون معناه لا ترتابوا
فيه كما فى قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال ويحتمل لا شك فيه عند المومنين
وانما انتصب لا ريب فيه لتعميم النفى الا ترى انك تقول لا رجل فى الدار تنصب اللام فيكون نفيا
عاما واذا قلت لا رجل فى الدار بالرفع والتنوين جاز ان يكون فى الدار رجلان او ثلثة وقال

سيبويه لامع ما بعدها شيء واحد كخمسة عشر وهي علة لنصب ما بعدها **قوله عز وجل هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** اي بيانا للمتقين الشرك والكبائر والفواحش والمتقي من جعل قلبه في الوقاية وهي الحفظ من الشهوات والمعاصي لان اتقى كان في الاصل اوتقى على وزن افتعل من الوقاية فان قيل ما معنى تخصيص المتقين في الاية والقرآن هدى للمتقين وغير المتقين قيل تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه وفائدة التخصيص تشريف المتقين لان منفعة البيان راجعة اليهم كما قال جل ثناؤه انما تنذر من اتبع الذكر وقال عز من قائل انما انت منذر من يخشاها وموضع هدى نصب على الحال اما من قوله تعالى ذلك الكتاب كانه قال ذلك الكتاب هاديا واما من قوله تعالى لا ريب فيه في حال هدايته ويجوز ان يكون موضعه رفعا على اضمار هو او فيه **قوله عز وجل الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** وعن ابن عباس معناه الذين يقرون بغيب القرآن انه من الله تعالى فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويقيمون الصلوات الخمس بشرائطها وما يجب من حق الله تعالى فيها في مواقيتها ومن ما اعطيناهم من الاموال يؤدون زكوتها الى الفقرا **وقال** قتادة يصدقون بموعود الله الذي وعد به في القرآن من البعث والحساب والجنة والنار **وقال** عطا الغيب هو الله تعالى **قال** رضي الله عنه الايمان على ضربين لغوي وشرعي فاللغوي هو التصديق فقط مجردا كقوله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والشرعي الاقرار باللسان والتصديق بالقلب في كل ما يلزم نصا او ثابته من الله تعالى وكتبه ورسله فما لم يوجد اسمه لم يكن قائله موحدا على الحقيقة وحقيقة الغيب ما لا يدرك بالحواس الخمس ويحتاج في اثباته الى الاستدلال وعلى الايمان به يستحق المدح لان ما ادرك عيانا وحسا لا مدح في الاقرار بوجوده وفي الاية دلالة وجوب الصلوة والزكوة لان الله تعالى جعلهما من صفات المتقين كما جعل الايمان بالغيب وهو الايمان بالله تعالى وبالبعث والحلال والحرام من شرائط التقوى ويجوز ان يكون اقامة الصلوة من تقويم الشيء وتحقيقه ومنه قوله عز وجل واقيموا الوزن بالقسط يقال قام بالامر واقامه اذا اجابه معطيا حقوقه ويجوز ان يكون معنى اقامتها اداؤها على ما فيها من قيام وغيره وعبر عنها بالقيام لان القيام من فروضها وان كانت تشتمل على فروض غيره كقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن واراد به الصلوة التي فيها القراءة وقوله تعالى وقرآن الفجر اراد به القراءة في صلوة الفجر وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين فذكر ركنا من اركانها الذي من فروضها واقامة الصلوة قيام القوم لها يقال ليل قائم اي يقام فيه ونهار صائم اي يصام فيه ويحتمل معنى قوله تعالى ويقيمون اي يديمون تقول العرب في الشيء الدائم الجاري قائم وفي فاعله مقيم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند ويجوز ان يكون معنى اقامة الصلوة الاشتغال بها عن غيرها يقال قامت السوق اذا حضر اهلها ومنه قامت الصلوة **واما** الرزق في اللغة فهو الحظ والنصيب قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي حظكم من هذا الامر التكذيب به **وعن** السدي انه قال في تفسير قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون هو نفقة الرجل على اهله ويقال هو في الجهاد والظاهر انه الزكوة لان الله تعالى قرن بين الصلوة والزكوة في مواضع من كتابه واقامة الصلوة طهارة الابدان واعطا الزكوة طهارة الاموال وبالاموال قوام الابدان وقيل الايمان بالغيب حظ قلبك واقامة الصلوة حظ بدنك والانفاق من الرزق حظ مالك **قوله عز وجل وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** زيادة في وصف المتقين معناه الذين يصدقون بالقرآن الذي انزل اليك وبالتوراة والانجيل وساير الكتب المنزلة من قبلك وبالبعث الذي فيه جزا الاعمال يقرون وروي انه لما نزل قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الى اخر الاية

قالت

قالت اليهود نحن امنا بالغيب ونقيم الصلوة وننفق مما رزقنا الله فانزل الله تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك الاية فنفر وامن ذلك **قال** الصادق رضي الله عنه انما قال وبالاخرة هم يوقنون ولم يقل يؤمنون لان الايقان توكيد الايمان واليقين بالاخرة يقين خبر ودلالة ويصير معاينة عند الرؤية ويسمى البعث اخرة لانها اخرت الى فنا الدنيا **قوله عز وجل أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** اي اهل هذه الصفة الذين سبق ذكرهم على بيان من الله تعالى في الدنيا وهم الناجون السعدا الباقون في الجنة والمفلح في اللغة كل من اصاب خيرا واصل الفلح القطع ومنه يسمى المكاري فلاحا والاكار فلاحا لانهما يقطعان الارض ويقال الحديد بالحديد يفلح قال الشاعر

افلح بما شئت فقد يدرك بالضعف ۞ وقد يخدع الاريب ۞

معناه ابق حياتك بما شئت ويقال اصل الفلاح البقا والظفر ثم اخذ منه القطع والله اعلم **قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** فصل ثان من فصول هذه السورة لان ما قبل هذا كان في ذكر المؤمنين وهذه الاية والتي بعدها [illegible] هذه الاية والله اعلم ان الذين جحدوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم مستو عندهم اخوفتهم بالقرآن ام لم تخوفهم لا يصدقون بنبوتك والكفر بالله تعالى نقيض الايمان به وكفر النعمة نقيض شكر النعمة واصل الكفر الستر يقال كفرت الشيء اذا غطيته ويسمى الليل كافرا لانه يغطي الاشيا بظلمته ويسمى الزارع كافرا لانه يغطي البذر بالارض قال الله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته اي الزراع فكان الكافر يستر نعمة الله عليه بجحوده وانكاره والسوا الاعتدال يقال هذا وهذا سوا اي معتدلان ويقال لوسط الطريق سوا لانه تعتدل اليه المقادير وقد يقام المصدر مقام الاسم يقال رجل عدل وصوم اي عادل وصايم والانذار ابلغ من التخويف لانه اعلام بموضع المخافة يقال انذرته فنذر اي اعلمته موضع المخافة وحذرته فعلم وحذر وحقق الهمزتين في قوله أأنذرتهم تشبثا باصل الكلمة لان الف الاستفهام دخل الف القطع واما تطويل الهمزة الاولى مع تحقيق الثانية فلكراهة الجمع بين الهمزتين على صفة واحدة لما في ذلك من الثقل كما قال الشاعر

تطاولت فاستشرفته فرأيته ۞ فقلت له أأنت زيد الاراقم ۞

واما تخفيف الهمزة الاولى وجعل الثانية بين بين اعني بين الهمزة والالف وكذا في قوله سال سايل وفي ذووف رؤف بين بين على ما حققه القرا فللتخفيف ايضا وكذلك اسقاط احدى الهمزتين من الاصل للتخفيف لان فيما بعد اللفظ الاول دليل الاستفهام وهو قوله تعالى ام لم تنذرهم كما قال الشاعر

لعمرك ما ادري وان كنت داريا ۞ شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر ۞

فان قال قايل اخبر الله تعالى في هذه الاية عن الكفرين انهم لا يؤمنون وقد امن كثير منهم فما معنى الاية فالجواب عنه ان الاية نزلت في قوم مخصوصين وهم روسا اليهود حيي بن اخطب واصحابه على ما روينا عن الكلبي في اول هذه السورة **وقال** مقاتل نزلت في مشركي قريش عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابي جهل ويجوز تخصيص الاية بالاية كما قال الله تعالى الزانية والزاني ثم قال فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وبالسنة كما قال الله تعالى والسارق والسارقة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا قطع في ثمر ولا كثر وبالقياس كقياس العبد على الامة في تنصيف الجلد خصيصا من قوله الزاني وبالاجماع كقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين ثم اجمعنا على ان العبيد لا يورثون من ابائهم وبالاستدلال

كقول الله تعالى في هذه الاية ختم الله على قلوبهم ويجوز ان يكون قوله تعالى لا يومنون في جميع
الكفار فايمان بعضهم لا يودي الى المناقضة **قوله عز وجل** ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم اي طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون
الخير وعلى اذانهم فلا يسمعون الحق وعلى ابصارهم غطاء فلا يبصرون الهدى ولهم عذاب عظيم تخلص
وجعه الى قلوبهم يصغر عنده كل عذاب في الدنيا والختم في اللغة على ثلثة معان احدها الطبع
وهو تاثير الوشم كنقش الخاتم والثاني المنع عن ان يدخله شي والثالث الفراغ من الشي كقوله تعالى
ختامه مسك ٥ واما القلوب فهي جمع القلب وهي الافيده وسمي القلب قلبا لتقلبه بالخواطر
وبالعزم حتى قال الشاعر ٥ ما سمي القلب الا من تقلبه ٥ والمرء يخلق طورا بعد اطوار ٥
واما قوله تعالى وعلى سمعهم وحد السمع وقد تخلل بين الجمعين لانه مصدر والمصدر لا يثنى
ولا يجمع ويقال معناه على مواضع سمعهم لان السمع لا يختم وانما يختم موضع السمع
ولكن حذف المضاف واكتفى بالمضاف اليه لدلالة الحال عليه يقال اصحاب فلان عدل اي ذووا
عدل [illegible] سمع كل واحد بحياله كما يقال ابتني براس كبشين يراد كل واحد منهما كما
قال الشاعر ٥ كلوا في نصف بطنكم تعيشوا ٥ فان زمانكم زمن خميص ٥
وقراة الرفع للغشاوة على معنى ابتدائه وعلى ابصارهم غشاوة كلام مبتدا فاما قراة النصب [illegible]
وجعل كما قال الشاعر ٥ يا ليت زوجك قد غدا ٥ متقلدا سيفا ورمحا ٥ اي حاملا رمحا
والعذاب هو ايصال الالم الى الحي مع الهوان به ولهذا لا نقول فيما يفعل الله تعالى بالبهايم
والاطفال عذاب لهم لانه لا يفعل بهم على سبيل الهوان والعظيم على وجهين عظيم في الجسم
وعظيم في المقدار وهو فعيل بمعنى فاعل فان قيل اذا ختم الله على قلوبهم وعلى اسماعهم ومنعهم
عن الهدى فيماذا يستحقون العقوبة في العقبى قلنا هولا القوم المخصوصون الذين اراد الله
تعالى نبيهم بهذه الاية كان الله تعالى يشير عليهم السبل في الابتدا فلو جاهدوا لوفقهم كما قال في
اية اخرى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لكنهم لما لم يجاهدوا وعاندوا واختاروا الكفر
عاقبهم الله تعالى في الدنيا بالختم على قلوبهم وفي الاخرة بالعذاب العظيم كما قال الله تعالى
في موضع اخر بل طبع الله عليها بكفرهم وعن صفية بنت حيي قالت رجع ابي وعمي من عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما لصاحبه ما ترى في هذا الرجل قال انه نبي قال
ما ترى في اتباعه قال ارى ان لا اتبعه واظهر له العداوة الى الموت فان قيل فما معنى دعوة
من علم الله تعالى انه لا يومن قيل لصحة العلم بانه يقدر ان يومن ولو علم انه لا يقدر كما
علم انه لا يومن لما كان يدعوه ولكان دعوة هذا محالا عند قوم لانه تكليف ما لا يطاق
وصوابا عند قوم لاقامة الحجة **قوله عز وجل** ومن الناس من يقول امنا
بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين اول فصل ثالث من فصول هذه السورة اذ
هذا الفصل الى اخره ثلثة عشر اية في ذكر المنافقين وهم عبد الله بن ابي ابن سلول ومعتب
ابن قشير وجد بن قيس ومن تابعهم كانوا يقولون لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم امنا
بالذي امنتم به ونشهد ان صاحبكم حق صادق فيما يقول وانا نجده في التوريه بنعته وصفته
ولم يكونوا كذلك اذا خلا بعضهم الى بعض فانزل الله تعالى فيهم هذه الايات فكلمة من للتبعيض
فكانه قال بعض الناس او من الناس ناس يقولون صدقنا بالله وبيوم البعث وليسوا بمصدقين
لانهم يضمرون خلاف ما يظهرون ٥ والناس اسم جمع لا واحد له من لفظه كالنسا والخيل والابل
ولو كان جمع انسان لقيل اناسين مثل سرحان وسراحين وانما سمي الناس ناسا لانهم ينوسون اي

سبحان

يبصرون كما قيل للجن جن لاجتنانهم واستتارهم ٥ وسمي يوم القيمة اخرا لانه لا يجي الا بعد
انقضا ايام الدنيا وقيل اخر يوم من ايام الدنيا وهو يوم لا يجي بعده ليل والبا في قوله تعالى
بمومنين لتاكيد النفي لانك اذا قلت ما زيد باخيك ولم يسمع السامع ما علم انك ناف بخلاف قولك
ما زيد اخاك وانما وحد الفعل في اول الايه وجمع الضمير في اخرها لان لفظ من للموحدان ومعناه
يصلح للمذكر والموث والاثنين والجماعة فتعدل تارة الى اللفظ وتارة الى المعنى كما في قوله تعالى
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن الى اخر الايه وقوله تعالى ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل
صالحا الا ان اللفظ مبهم وفي الايه دليل ان القول المجرد لا يكون ايمانا لان الله تعالى نفى منهم
الايمان بهذه الايه وصرح بكفرهم حيث قال ان المنافقين لكاذبون والله [illegible] **قوله عز وجل**
يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون قال ابن عباس يكذبون
الله والمومنين ويخالفونهم في ضمايرهم وما يكذبون الا انفسهم لانه اذا علم كذبهم فكانهم
في الحقيقه هم الذين كذبوا انفسهم وما يعلمون ان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم
على كذبهم فان قال قايل ما وجه مخادعة الله تعالى [illegible] ان لا يخفى عليه [illegible]
مخادعة المومنين ومخادعة انفسهم قلنا اما الاول ففيه جوابان احدهما ان المخادعة
هو الاخفا يقال للبيت الذي يخزن فيه المال مخدع ويقال انخدعت الضبة في جحرها وقال
عليه السلام الحرب خدعة والله تعالى لا يخادع في الحقيقة لان المنافقين لا يخلون من احد
وجهين اما ان يكونوا عارفين بالله تعالى فيعلمون انه لا يخادع ولا يساتر بشي او غير عارفين
وذلك ابعد اذ لا يصح ان يقصدوه ولكن اطلق عليهم اسم المخادعة لما فعلوا فعل المخادعين
على معنى انهم اعتقدوا ان الله تعالى العفو عنهم والمغفرة لهم في اظهارهم الايمان
واضمارهم الكفر فكانهم خادعوه لان الانسان اذا اظهر لاخر خلاف ما اضمر لان يقع
مراده منه فقد خادعه فاذا وجد منهم هذا المعنى اطلق عليهم هذا الاسم ويجوز
مثل هذا ايقال للمرائي قيل ولا [illegible] اجرا على الله فكانه يخادعه ولذلك قيل يخادعون
ولو كان يصح لهم خداعهم لقيل يخدعون الله تعالى ٥ والثاني يخادعون رسول الله فحذف
الرسول صلى الله عليه وسلم لدلالة المضاف اليه اذ علم من طريق العقل استحالة مخادعة الله تعالى
نظيره قوله تعالى واسال القرية اي اهل القرية ٥ واما وجه مخادعة المومنين ففيه اجوبة
احدها انهم يظهرون الاسلام تقية والثاني يظهرونه ليكرموهم ويجلوهم ويوالوهم كما
يوالي المومنون بعضهم بعضا والثالث انهم كانوا يظهرون لهم الايمان ليفشوا اليهم اسرارهم
فينقلونها الى اعدايهم ٥ واما وجه مخادعتهم انفسهم اي ضرر ذلك راجع اليهم وهذا معروف
في اللغة يقال فلان اراد ان يخدع فلانا فخدع نفسه اي لم ينفذ حيلته فيه ورجعت مضرتها
عليه ٥ وقرئ وما يخادعون بالالف والمعنيان متقاربان الا انه اتى بالالف ليعطف لفظه على شكلها
والمفاعلة قد تختص بها الواحد كالمناولة والمضايقة والمعافاة والمسافرة والمعاقبة ٥
والشعر هو العلم الدقيق الذي يتولد من الفطنة وهو من شعار القلب ومنه سمي الشاعر
شاعرا لانه تفطن لما دق من المعنى والوزن ومنه الشعر لدقته ويقال ما شعرت به
اي ما علمت وليت شعري ما صنع فلان اي ليت علمي **قوله عز وجل** في قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون تمام العشر في قول الكوفيين
خاصة معناه في قلوبهم شك ونفاق فزادهم الله تعالى شكا ونفاقا ولهم عذاب اليم مولم
موجع لقولهم انهم مومنون وليسوا بمومنين والمرض الضعف والفتور يخاف منهما الهلاك

وسمي المريض مريضا لما حل به من الآفة ويقال وعد مريض وكلام مريض وسمي النفاق مرضا لانه
يهلك صاحبه او لان صاحبه يضطرب في الدين يوالي المومنين بالقول والكفار بالقلب فحاله كحال
المريض الذي هو مضطرب بين الحيوة والموت اذ المريض ممنوع من التصرف وكذا الشاك يمنعه شكه
من المضي في الامر وقيل ان الشك الم القلب والمرض الم البدن فسمي الشك مرضا لما فيه من الهم والحزن
والفا في قوله تعالى فزادهم الله لمعنى المجازاة وقيل على وجه الدعا ومعنى الزيادة انهم لما ازدادوا شكا
عند نزول الايات وكان الله تعالى زادهم شكا لكون الايات سببا لشكهم كما قال الله تعالى وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وكسر الرا على قول بعض القرا لغة بعض العرب وقد ورد لفظ الفعيل
بمعنى المفعل كما قال الشاعر ٭ امن ريحانة الداعي السميع ٭ يورقني واصحابي هجوع ٭ اراد بالسميع
المسمع وليس في العذاب شي غير الالم لكن ذكر اليم تاكيدا او نعتا لشدة العذاب ومن قرا يكذبون
بالتثقيل فمعناه بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم واللفظان متقاربان لان المنافقين كانوا
كاذبين بقولهم مكذبين بقلوبهم قال الله تعالى ويل يومئذ للمكذبين وقال ان الفجار لفي جحيم اراد
بالنجوم بعض اهل النحو ما كانوا صلة فيقولون ولهم عذاب اليم بكذبهم والاولى اعمال
الحروف ما وجد لها مساغ اى ولهم عذاب اليم بالشي الذي كانوا يكذبون به ٭ **قوله عز وجل**
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون تمام العشر عند الكوفيين معناه
واذا قيل للمنافقين لا تعملوا في الارض بالمعاصي والمداهنة وتعويق الناس عن دين محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا انما نحن عاملون بالطاعة ومصلحون بالمداهنة لانهم كانوا يقولون نحن لا نعادي الكفار ولا
المومنين نداري نأتي الفريقين بوجه وهولاء بوجه حتى اذا كانت الغلبة لاحد الفريقين لم
يصيبنا من دايرتهم شي ومن ضم القاف من قيل وغيض وسيق واشباهها فقصده استيفاء
علامة ما لم يسم فاعله والفساد ضد الصلاح وهو ترك الطاعة ومجاوزة الحدود ٭ **قوله عز
وجل** الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون اى بل انهم هم العاملون بالمعصية
المفسدون بالمداهنة ولكن لا يعلمون انهم كذلك وكلمة الا للاستفهام والتنبيه واصلها
لا دخلت عليها الف الاستفهام فاخرجتها من حد الجحد الى حد التقرير والتحقيق كما في قوله
جل ذكره اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى ولكن كلمة موضوعة لنفي خبر متقدم واثبات خبر
متاخر وهي مبنية على ثلثة احرف لا وهي للنفي والكاف بعدها للمخاطبة ما بعدها والنون بعد الكاف
لتثبيت خبر وهي كلمة تخفف وتثقل فاذا ثقلت نصبت ما بعدها واذا خففت رفعت ٭ **قوله
عز وجل** واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انومن كما امن السفها الا انهم
هم السفها ولكن لا يعلمون ينصرف الى منافقي اهل الكتاب على ما قاله مقاتل ومجاهد فاما
ما ذكر الكلبي عن ابن عباس ان الاية نزلت في اليهود اراد باليهود هولاء المنافقين عبد الله بن ابي ومن
تابعه اذ كانوا من اليهود ومعنى الاية واذا قيل للمنافقين صدقوا بقلوبكم كما صدق اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم قالوا انصدق كما صدق الجهال يقول الله عز وجل الا انهم هم الجهال بتركهم التصديق في
السر ولكن لا يعلمون انهم جهال والالف في انومن للاستفهام ومعناها الانكار والسفه في اللغة خفة
الحلم يقال ثوب سفيه اذا كان رقيق النسج واختلف القرا في قوله السفها الا فمنهم من حقق الهمزتين
على اصل الكلمة ومنهم من خفف الثانية فجعلها بين الواو والهمزة ومنهم من جعل الثانية واوا خالصة
ومنهم من خفف الاولى وحقق الثانية وكل ذلك لاستثقال الجمع بين الهمزتين ٭ **قوله عز وجل**
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون قال
الكلبي من سبب نزول الاية ان ابا بكر وعمر وعليا رضي الله عنهم مروا بعبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين

فقال

فقال عبد الله بن ابي لاصحابه انظروا كيف اردهولاء الجهال عنكم فتعلموا مني كيف اكلمهم واغلبهم
فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بسيد بني تيم ثاني اثنين وصاحبه في الغار وصفيه من امته
الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي القوي في امر الله تعالى الشديد
المغضب لله تعالى الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال
مرحبا بسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ختنه الله تعالى بالنبوة فاكرمه
بها الباذل نفسه وماله ودمه السابق الى الهجرة فقال له علي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق
فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال لم تقول هكذا والله اني لمومن بالله وبرسوله كايمانكم
وتصديقكم ثم افترقوا فقال عبد الله بن ابي لاصحابه كيف رايتم ردي هولاء منهم فقالوا لا نزال
بخير ما عشت لنا ورجع ابو بكر وعمر وعلي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بما قال لهم
وبما ردوا عليه فنزلت هذه الاية ومعناها والله اعلم اذا اجتمع المنافقون مع المومنين
قالوا للمومنين صدقنا كما صدق اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واذا خلوا الى شياطينهم قال
ابن عباس الى رؤسايهم في الضلالة قال الاخفش وابو عبيدة جماعات متمرد فهو شيطان وقال
الكلبي واذا خلوا الى كهنتهم وهم خمسة رهط من اليهود ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له
كعب بن الاشرف في المدينة وابو بردة في اسلم وابن السودا في الشام وعبد الدار في جهينة
وعوف بن عامر في بني اسد قالوا لهم انا على دينكم انما نحن مستهزءون باصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم باظهار قول لا اله الا الله محمد رسول الله ودخول الى في قوله تعالى واذا خلوا الى
شياطينهم بمعنى مع وقيل انه بمعنى الاختصاص والغاية يقال خلوت الى فلان اذا خلوت
معه في خاص من الامر وجعلته غايتك في حاجتك فاما خلوت بفلان اذا خلوت معه في شي
ما وقد يكون معناه سخرت منه والشيطان فيعال من الشطن والشطن البعد كانه قيل
بعد من الخير وقد يسمى الحبل الطويل المضطرب شطنا فكانه يسمى الشيطان شيطانا
لانه تباعد عن الخير واضطرب وقيل الشيطان فعلان من قولهم شاط يشيط اذا غضب
وهلك والنون زايدة قال قطرب الشياطين جمع شياط وعلى هذا يصح قراة الحسن وما تنزلت به
الشياطون **قال الله تعالى** الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون
اى يجازيهم على هزوهم بالعذاب ويمهلهم ويتركهم في ضلالتهم يترددون ويتحيرون قال الكسائي يقال
مد في الشر وامد في الخير قال يونس المد بمعنى الترك والامداد في معنى الاعطا قال الزجاج مده
في الغي وامده واحد قال الاخفش يمدهم اى يمد لهم بحذف اللام كما يقال الغلام يلعب الكعاب
اى يلعب بالكعاب بحذف الباء ٭ والطغيان مجاوزة الحد قال الله تعالى انا لما طغى الما والعمه التحير
يقال رجل عمه وعامه اى متحير متردد تردد الاعمى في طريقه قال روبة بن العجاج
ومهمه اطرافه في مهمه ٭ اعمى الهدى بالجاهلين العمه ٭ فان قال قايل كيف يجوز الاستهزا
من الله تعالى بعباده والاستهزا قبيح فيما بيننا قيل له قد بينا ان المراد بالاستهزا من الله تعالى المجازاة
وقد يسمى جزا الذنب باسمه كما قال الله تعالى وجزا سيئة سيئة مثلها وقال عز من قايل فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه والثاني ليس باعتدا ولا سيئة قال عمرو بن كلثوم ٭
الا لا يجهلن احد علينا ٭ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ٭ ومعلوم انه لم يتمدح بالجهل ولكن
جرى على عادتهم في ازدواج الكلام ومقابلته ٭ ومعنى المجازاة من الله تعالى انه اطلع المومنين
على مخازيهم في الدنيا واباح لهم الاستهزا بهم ولم يامر بقتالهم كما يقاتل المشركين فاغتر المنافقون
بالامهال في الدنيا وكان كالمستهزا بهم اذ كان وبال نفاقهم راجعا اليهم واضاف الله تعالى فعل المومنين

الى نفسه كما يقال قطع الامير اللص وفتح عمر السواد وقال الكلبي الاستهزاء ان يفتح لهم باب الى الجنة وهم في جهنم فيقال لهم تعالوا فيقبلون نحوه يسبحون في النار والمومنون على الارايك ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى الباب سد عنهم ويفتح لهم باب اخر في مكان اخر فيقبلون نحوه يسبحون في النار فاذا انتهوا الى الباب سد عنهم والمومنون على الارايك ينظرون اليهم كما قال الله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وقال مقاتل الاستهزاء يكون على الصراط حين يذهب المومنون فيطفا نور المنافقين كما قال الله تعالى في سورة الحديد يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فان قال قايل ما وجه الحكمة في ان الله تعالى امر بقتال الكفار المعلنين بالكفر ولم يامر بقتال المنافقين مع انهم في الدرك الاسفل من النار وخالف بين احكامهم واحكام ساير المظهرين للشرك في الدنيا واجراهم مجرى المسلمين في التوارث والانكحة وغير ذلك قيل له عقوبات الدنيا ليست بموضوعة على مقادير الاجرام وانما هي على ما يعلم الله من المصالح فيها وعلى هذا اجرى الله احكامه فاوجب رجم المحصن الزاني ولم يزل عنه الرجم بالتوبة وكذلك حد قاطع الطريق لا يسقط عنه بالتوبة بعد القدرة عليه والكفر اعظم من الزنا وقطع الطريق ولو كفر رجل ثم تاب قبلت توبته قال الله عز وجل قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وحكم الله تعالى على القاذف بالزنا بجلد ثمانين ولم يوجب بالقذف بالكفر وهو اعظم من الزنا الحد واوجب على شارب الخمر الحد ولم يوجبه على شارب الدم واكل الميتة ولهذا قال علماونا رحمهم الله لا يجوز اثبات الحدود بالقياس وما ذكر الله تعالى من امر المنافقين في هذه الاية واقرارهم على حالهم من غير امر بقتالهم اصل فيما ذكرناه الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بمكة بعد ما بعثه الله تعالى بضع عشرة سنة وامر ان يدعو المشركين الى توحيد الله تعالى وتصديق رسوله باللين من القول والطفه كما قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال عز من قايل ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ثم فرض الله تعالى القتال بعد الهجرة لعلمه عز وجل بالمصلحة في كلا الحالين ومن ما يويد هذا قوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فاخبر عليه السلام بوقوع العصمة لهم بقولهم في الدنيا وبقي ان حسابهم على الله في الاخرة

قوله عز وجل أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ المعنى والله اعلم اهل هذه الصفة هم الذين اختاروا الكفر على الايمان فما ربحوا في تجارتهم وما كانوا مهتدين اي ما هم بمهتدين من الضلالة والاشتراء في اللغة ترك الشيء الى الشيء وهو عند الفقهاء مبادلة مال بمال قال الكلبي باعوا الهدى الذي كانوا عليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بالضلالة التي دخلوا فيها من التكذيب به وقيل كل مولود يولد على الفطرة فلما كانت ولادته على الايمان ثم كفر بعد البلوغ فقد اشترى الكفر بالايمان والتجارة لا تربح وانما يربح فيها لكن يقال خسر بيع فلان وربحت تجارته على طريق التوسع كما يقال ليلك قايم ونهارك صايم وما كانوا زايدة في الكلام ومعناه التاكيد كما قال الله تعالى كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقيل وما كانوا طالبين للهدى

قوله عز وجل مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ اول مثل ضربه الله تعالى في القران هذا يقول مثل المنافقين في تجملهم بظاهر الاسلام وحقنهم دماءهم واموالهم بما اظهروه كمثل رجل

فيوقد نارا فامن بها السباع م له

يكون في مفازة في ليلة مظلمة يخاف على نفسه من شر السباع فلما اضاءت النار ما حول المستوقد طفيت النار فبقي في الظلمة كذلك المنافق يخاف على نفسه وعياله من قتل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فيتكلم بكلمة الاسلام ريا للناس فيحقن بها دمه وماله ويناكح المسلمين فيوارثهم فيكون له نور بمنزلة نور نار المستوقد فاذا بلغ اخر عمره لم يكن لايمانه اصل في قلبه ولا حقيقة في عمله سلب نور الايمان عند الموت فبقي في ظلمة الكفر والعمى كما كان اعمى القلب في الدنيا والمَثَل والمِثْل والمَثِيل والشَّبَه والشِّبْه والشَّبِيه نظاير في اللغة وحقيقة المثل تشبيه الشيء بالشيء كقولهم التقي ملجم تشبيه للمتقي في امساكه نفسه عن الحرام بالفرس الملجم الذي يمسكه اللجام عما يريد الاقدام عليه والاستيقاد استفعال من الايقاد [illegible] من النار ويجوز ان يكون معنى استوقد اوقد كما قال الله تعالى فاستجاب لهم ربهم معناه اجابهم ربهم والنار والنور واحد في الضوء الا ان في النار الضوء مع الحرارة والاحتراق والنور الضوء خالص والنار مونثة سماعا لا لعلة اوجبت ذلك يدل عليه ثبوت الها في تصغيرها وقال القتبي النور ما نظرت به والبا المذكورة في بنورهم مكان الالف في اذهب يقال ذهب به واذهبه بمعنى واحد ومعنى الترك في ظلمة الكفر الخذلان فان قيل لم شبه الجماعة بالواحد قلنا زعم القتبي ان الذي في هذه الاية بمنزلة الذين لانه اسم ناقص لا يتم الا بصلة فيثنى ولا للواحد والاثنان والجمع كمن وما قال الشاعر وان الذي حانت بفلج دماوهم هم القوم كل القوم يا ام خالد وفي الاية ما يدل على ان معناه الجمع وهو قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقد يجوز تشبيه فعل الجماعة بفعل الواحد كما في قوله تعالى تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت الا ان الفعل هاهنا محذوف لدلالة الحال عليه

قوله عز وجل صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ معناه والله اعلم صم لا يسمعون الحق بكم لا يتكلمون بخير عمي لا يبصرون الهدى اي بقلوبهم كما قال الله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون كانوا يبصرون باعينهم وقيل صم يتصاممون بكم يتباكمون عمي يتعامون وانما اطلق لفظ الصمم عليهم ونحوه لان الله تعالى انما خلق السمع والبصر واللسان لينتفع الناس بها فمن لا ينتفع بها فكانه فقدها ويقال في الاية تقديم وتاخير تقديرها وما كانوا مهتدين صم بكم عمي فهم لا يرجعون مثلهم كمثل الذي استوقد نارا

قوله عز وجل أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ مثل اخر ضربه الله تعالى يقول اي مثل المنافقين مع محمد صلى الله عليه وسلم والقران كصيب كمطر ينزل من الله تعالى ليلا على قوم في مفازة فيه ظلمات اي بيان الفتن وابتلاء المومنين بالشدايد في الدنيا ورعد زجر وتخويف وبرق تبيان وتبصرة ووعد وجعل اصحاب المطر اصابعهم في اذانهم من الصواعق من هول الرعد حذر الموت مخافة البوايق والهلاك وكذلك المنافقون كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم من بيان القران ووعده ووعيده وما فيه من الدلالة على الجهاد مخافة ان يقتلوا في الجهاد ويقال مخافة ان تميل قلوبهم اليها في القران وعن الحسن رضي الله عنه انه كان يقول في الاية تشبيه الاسلام بالصيب لان الصيب يحيي الارض والاسلام يحيي الكفار كما قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وتشبيه اضمار المنافقين الكفر بظلمات المطر وتشبيه الزجر عن الكفر والمعاصي بالرعد وتشبيه اظهار المنافقين الايمان بالبرق والصواعق هي الدلالة على الجهاد ومعنى والله محيط بالكافرين اي عالم بالمنافقين وجامعهم في النار وحرف او في اول هذه الاية ليس هو للشك لانه لا يجوز الشك على الله عز وجل

لكنه للاباحة والتخيير كما يقال جالس الفقها او اصحاب الحديث او اصحاب النحو اي ان جالست واحدا
من الفرق الثلث تحسن كذلك تمثيل المنافقين ان مثلتموهم بالمستوقد فذلك مثلهم وان
مثلتموهم بالصيب فذلك مثلهم وان مثلتموهم بهما فهما مثلاهم ويجوز ان يكون او بمعنى الواو
كما قال الشاعر ۞ وقد زعمت ليلى باني فاجر ۞ لنفسي تقاها وعليها فجورها ۞ معناه
وعليها فجورها وحرف الكاف في قوله كصيب يدل على ان المثل مضمر يقال هذا كزيد وعمرو ويراد
به المثل والاصحاب مضمر ايضا بدلالة الحال كانه قال او كاصحاب الصيب لاستحالة تشبيه الحيوان بالصيب
وبمثيل العاقل بغير العاقل والصيب اسم من صاب يصوب اذا نزل فسمي المطر الصيب لانه ينزل من
السماء قال الشاعر ۞ فلست لانسي ولكن لملاك ۞ تنزل من جو السما يصوب ۞ واختلفوا في
تقدير صيب في اللغة قال البصريون هو على فيعل ولا يوجد هذا المثال الا في المعتل نحو سيد وميت
وقال الكوفيون هو على وزن فعيل فقدم اليا واخر الواو والدليل على ذلك ان جمعه افعلا مثل هين
واهونا على مثال شديد واشداء واما الرعد فهو اسم ملك يسوق السحاب سمي صوته باسمه لانه سبب
له ۞ والبرق ضرب السحاب بمخراق من حديد تنقدح منه النار وفي هذا الخبر عن علي وابن عباس رضي
الله عنهم ۞ والصواعق جمع صاعقة وهي الصوت وبرق قطعة من النار لا ياتي على شي الا احرقه وانتصاب
الحذر لنزع الحرف الخافض معناه من حذر الموت كما في قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا
اي من قومه ويجوز ان يكون مفعولا له على معنى يفعلون ذلك لحذر الموت ۞ والاحاطة
احاطة علم واحاطة قدرة وهي ادراك الشي بكماله ومنه سمي الحايط حايطا لانه يحوط ما فيه

قوله عز وجل يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضا لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شي قدير معنى الاية
والله اعلم يقرب البرق تختلس ابصار المسافرين ويذهب بهم من شدة ضوئه ونوره وكذلك
البيان من القران يكاد يذهب بابصار ضلالة المنافقين فياخذهم الى الله تعالى ليقبلوا الدين ويقال
معناه اذا تكلم منافق بكلمة الاخلاص يكاد نورها يختطف بصره الذي في عينه لاعتقاده خلاف ما
تلفظ به كلما اضا للمسافرين البرق مشوا في ضو البرق واذا اظلم عليهم بقوا في الظلمة كذلك المنافقون
لما امنوا مشوا فيما بين المومنين لقبول ايمانهم بلسانهم فلما ماتوا بقوا في ظلمة القبر فكان كلما ظهر
للمنافقين دلايل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باعزاز الله تعالى الاسلام واهله مالوا اليه واذا اصاب
اهل الاسلام نكبة من النكبات كيوم احد وبير معونة شكوا في امر محمد صلى الله عليه وسلم
وثبتوا على كفرهم ۞ ولو شا الله لذهب بسمع المسافرين بالرعد وابصارهم بالبرق كذلك لو شا لذهب
بسمع المنافقين وابصارهم بزجر القران ووعيده والبيان الذي فيه وجعلهم صما عميا في الحقيقة
عقوبة لهم على فعلهم ۞ ان الله على كل شي من اذهاب السمع والبصر قدير قادر ولفظ كاد
يستعمل بغير حرف ان ولفظ المقاربة والمداناة لا يستعمل الا معه وثابت حرف ان ۞ وفي الخطف لغتان
خطف يخطف بكسر العين من الفعل الماضي ونصبها في المستقبل ويستعمل على العكس والافصح
ما نزل به كتاب الله تعالى ويقال ضا الشي يضو واضاء يضي اذا ظهر نوره والمختار ما نطق به
كتاب الله تعالى يقال ظلم واظلم بمعنى واحد والمختار بالالف وروي عن اسباط عن السدي انه
قال هرب رجلان من المنافقين من المدينة الى المشركين فاصابهما من المطر ما ذكره الله تعالى
في هذه الاية فيه ظلمات ورعد وبرق فكان كلما لمع لهما البرق مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم
يبصرا واقاما مكانهما فجعلا يقولان يا ليتنا نصبح فناتي محمدا صلى الله عليه وسلم فنضع ايدينا في يده
فنسلم فلما اصبحا اتياه واسلما وحسن اسلامهما فضرب الله تعالى امر هذين المنافقين مثلا للمنافقين

لقبول

الذين

الذين كانوا بالمدينة قوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من
قبلكم لعلكم تتقون فصل رابع من فصول هذه السورة يشتمل على اربعة اشيا الامر والتوحيد ونبوة محمد
صلى الله عليه وسلم والاحتجاج على الناس بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما
عنى بالناس جميع بني ادم من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمنافقين وغيرهم فهو خطاب
للكفار بالتوحيد والمنافقين بالاخلاص والموحدين المخلصين بالطاعة والثبات عليها يعني وحدوا
واخلصوا واطيعوا ربكم الذي خلقكم من نطفة نسما ولم تكونوا شيا وخلق الذين من قبلكم
من القرون الماضية لكي تتقوا المعاصي فتعبدوه حق عبادته قال الزجاج في اعراب يا ايها ان اي
اسم مبهم مبني على الضم لانه منادى مفرد والناس صفة لازمة لاي تقول يا ايها الرجل اقبل
ولا يجوز يا الرجل لان يا للتمييز بمنزلة التعريف في الرجل ولا يجمع بين يا وبين الالف واللام
فيوصل باي الى الالف واللام وها للتنبيه وهي لازمة لاي عوض من الاضافة في اي لان الاصل
في اي ان تكون مضافة الى الاستفهام والخبر وقال محمد بن علي الحكيم رحمه الله يا نداء القلوب
وها نداء النفوس لان النفس قد تستولي على القلب فنادى بالتنبيه كما قال الله تعالى ان النفس لامارة
بالسوء واي اسم مضمر بين الندائين والناس كشف عن الاسم المضمر وبيان الصنف الذي دعي جل
وعلا من خلقه ۞ والعبادة هي الخضوع باعلا مراتب الخضوع مع التعظيم باعلا مراتب التعظيم
ولهذا لا يحسن عبادة غير الله عز وجل ومنه يقال طريق معبد اي مذلل لكثرة سلوك الناس
وبعير معبد اذا كان مطليا بالقطران مذللا لا يمتنع على احد والخلق ايجاد الشي على التقدير
والترتيب لا على مثال سبق وقد قيل ان الخلق هو التقدير قال الشاعر
ولانت تفري ما خلقت وبعض الناس يخلق ثم لا يفري ۞ معناه لانك تقطع ما تقدر وكلمة
لعل للرجا والطمع كما قال الله تعالى في قصة فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
اي اذهبا انتما على رجايكما وطمعكما وانا عالم بما يوول اليه امر فرعون وقد علم الله تعالى
انه لا يتذكر ولا يخشى ولو اطلع موسى عليه السلام على ذلك لكانت داعية له الى الوهن ولكنه
رجاه في رشده ليكون اطمع له في دعوته فكذلك لما كانت عواقب اعمال العباد مغيبة عنهم
رجاهم بالتوقع ليكون ذلك اوكد في اجتهادهم لان الانسان وان ساهى في العبادة لا يعلم
انه اتقى النار لجواز ان يكون اخل بواجب او اتى بقبيح وقال بعضهم معنى الاية اعبدوا
ربكم متعرضين للتقوى وهذا كما يقول القايل اذا جا الى باب السلطان انما جيت هاهنا
لعلي احد عملا كذا اي متعرضا لذلك العمل ۞ قوله عز وجل الذي جعل لكم
الارض فراشا والسما بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون في اثبات توحيد الله عز وجل معناه هو الذي جعل
وقيل اعبدوا الذي جعل لكم الارض بساطا ومناما ووطاء ولم يجعلها حزنة غليظة
لا يمكن الاستقرار عليها والسما سقفا قال ابن عباس رضي الله عنهما كل سما مطبقة على
الاخرى كالقبة وسما الدنيا ملتزقة اطرافها بالارض وانزل من السما اي من السحاب ما
يعني المطر وقيل من نحو السما فانبت من المطر الوان الثمرات رزقا لكم طعاما لكم ولا
تجعلوا لله اندادا امثالا ونظرا وانتم تعلمون ان الله تعالى خالق هذه الاشيا وان غيره لا
يستطيع ان ياتي شيا منها وان ليس للاصنام عليكم نعمة تستحق بها عبادتكم وفي هذه الاية
ذكر النعم التي يستحق الله تعالى بها العبادة من خلقه كانه قال اعبدوا ربكم لاجل انه خلقكم
ولاجل انه جعل لكم الارض فراشا وقال علي رضي الله عنه سميت الارض ارضا لانها تارض ما في

بطنها اى تاكل وقيل لانها تتأرض بالحوافر والاقدام والتأرض التصدى والتعرض والسما من السمو
وهو العلو وكلما علاك فاظلك فهو سما ويقال سمي السحاب سما لكونه قريبا من السما اذا السحاب
اقصى ما يعلو مقدار فرسخ او فرسخين الا ترى انك ترى الشمس في اعالي الجبال ومن دونها
سحاب ممطر ذهب بعضهم الى ان الله تعالى ينزل المطر من السما الى السحاب ومن السحاب الى
الارض وقال بعضهم يخلق الله المطر في السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وانما اطلق اسم
البنا على السما دون الارض لانه خلقها بعد خلق الارض قال الله تعالى ثم استوى الى السما وهي دخان
ومن في قوله تعالى من السما لابتدا الغاية كما يقال خرجت من الكوفة الى البصرة ومن من الثمرات
للتجنس كما يقال ما اتاني من احد وكقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان والانداد جمع الند والند
يحتمل وجوه ثلثة احدها المثل وذلك منفي لان المثل يوجب المماثلة في القدم وكانوا مقرين بان
الله تعالى خالق الاشيا كلها كما قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال
ابو عبيدة معناه الضد وذلك منفي لان التضاد انما يصح بين الاعراض كالسواد والبياض والحيوة
والموت وقيل معناه المثل الذي يناد في الفعل وذلك منفي لاستحالة استقامة احواله مع مضاد
له في افعاله كما قال الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا واطلاق اسم الفراش لا
يتناول الارض وانما سمي بهذا التقييد كقوله تعالى والجبال اوتادا وقوله تعالى وجعل الشمس
سراجا ولذلك قال الفقها ان من حلف لا ينام على فراش فنام على الارض او حلف لا يقعد في سراج
فقعد في الشمس لم يحنث لان الايمان محمولة على المتعارف في الاسما ونظاير ذلك كثيرة في
كثير من الاحكام والمطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده لا يتجاوز به موضعه وفي هذه الاية
دلالة على التوحيد واثبات الصانع الحكيم الذي لا يشبهه شي والقادر الذي لا يعجزه شي بين ارتفاع
السما وثبوتها بغير عمد ثم دوامها على طول الدهر غير متزايلة ولا متغيرة كما قال جل ذكره
وجعلنا السما سقفا محفوظا وكذلك ثبات الارض ووقوفها على غير سند فيه اعظم الدلايل على التوحيد
وعلى قدرة خالقها لانه لا يعجزه شي لان الخلايق كلهم لو اجتمعوا على ان يقيموا جسما في الجو من
غير ان يكون تحته ما يقله ويعمده او فوقه ما يعلقه لم يمكنهم فانه ان كان الجسم فيه ادنى
ثقل نزل وان لم يكن فيه ثقل تحرك عن مكانه اما صعدا او الى احدى الجهات الاربع وفي الاية
دليل على ان الارض بسيطة لا كرة مدورة على ما يقوله المنجمون وبعض المتكلمين **قوله**
عز وجل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين في اثبات النبوة اذ النبوة
مرتبة على التوحيد المعنى ان كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه ليس بنبي
وان محمدا صلى الله عليه وسلم تخلقه من تلقا نفسه فجيئوا بسورة من مثل ما نزلنا وهو القرآن
يعني بسورة مثل التورية والانجيل والزبور فقابلوها بالقرآن لتعلموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم
لم يختلقه من تلقا نفسه وهذا اذا كان خطابا لليهود خاصة على ما ذهب اليه الكلبي وعلى
هذا معنى قوله شهداءكم اى استعينوا باحباركم ورهبانكم والظاهر ان هذا خطاب للعرب
كلهم على معنى فاختلقوا سورة مثل القرآن كقوله تعالى بعشر سور مثله مفتريات وان قوله
تعالى وادعوا شهداءكم اى استعينوا بالهتكم قال الزجاج معناه ادعوا من استطعتم طاعته
ورجوتم معونته في الاتيان بسورة مثله وقيل ان الها في مثله عايد الى النبي صلى الله عليه وسلم
كانه قال فمن قايل فاتوا بسورة من بشر مثله او من امي مثله لا يحسن الكتابة ان كنتم
صادقين انه ليس من الوحي وقوله تعالى فاتوا امر تعجيز لانه تعالى علم عجز العباد عنه ولكنه

اراهم ذلك في انفسهم والسورة الفضيلة والرفعة ومنه سور البنا قال النابغة
الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب الا ان جمع سورة البنا
سور على وزن بسرة وبسر وجمع سورة القرآن سور على وزن ظلمة وظلم ومن همز السورة
جعلها قطعة ولذلك يقال سؤر السباع للقطعة الباقية من ماشربت وقال ابو عبيدة سميت
السورة سورة لانقطاعها من الاخرى كسورة البنا والشهيد في الحقيقة المعين والى هذا
ذهب ابن عباس حيث فسر قوله تعالى شهداءكم اعوانكم وقيل يسمي الله تعالى الاصنام شهدا على
زعم المشركين انها تشهد وتشفع لهم عند الله تعالى ودلالة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
في الاية انه قصد الى قوم البا عقلا فصحا شعرا اهل الغاية في العلم باللغة العربية فجاءهم بكلام
من لغتهم فجعل عجزهم عن مثله حجة عليهم ودلالة على ابطالهم وكفرهم وتوبيخهم بذلك وقرعهم
به وامهلهم المدة الطويلة وقال لهم فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين فخبرهم ان عجزهم انما
هو عن النظم مع انه ولد بين اظهرهم ونشا معهم لم يغب عنهم ولم يفارقهم في سفر ولا حضر
وهو من مشهوريهم واعلاهم في النسب واهل البيت ليس يخفى احواله ومتصرفاته عليهم وهم
اهل الحمية والانفة يأتي الرجل منهم القتلة بسبب الكلمة ويبذلوا اموالهم واباهم وابناهم
وانفسهم لاطفاء نوره ولم يستطيعوا معارضته بسورة ولا خطبة ولا ارجوزة اكثر ما اعتقدوا
به انه اساطير الاولين وانه سحر كل ذلك دليل على انه من عند الله تعالى الذي لا يعجزه شي وانه
ليس من مقدور مثله وكانت هذه معجزة باقية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة
وفضيلة على ساير الانبيا قبله صلوات الله عليهم لان معجزاتهم تقضت بانقضايهم وانما نعلم كونها
من طريق الاخبار وهذه معجزة باقية كل من اعترض عليها بعده فرماه بالعجز عنه فيتبين حينئذ
له لزوم الحجة به وقيام الدلالة عليه كما كان حكم من كان في عصره والوجه الاخر في الدلالة انه
معلوم عند المومنين بالنبي صلى الله عليه وسلم وعند الجاحدين لنبوته انه كان من اتم الناس عقلا
واكملهم حلما وافضلهم رايا ما طعن عليه احد في كمال العقل ووفور الحلم وصحة الفهم وجودة
الراي وغير جائز على من كان هذا وصفه ان يتبع ما يعيه بني الله تعالى قد ارسله صلى الله عليه وسلم الى
خلقه كافة ثم يجعل علامة نبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة صدقه كلاما يطمع ويقدر عليهم
العجز عنه مع علمه بان كل واحد منهم يقدر على مثله فيظهر حينئذ كذبه وبطلان دعواه فدل على
انه لم يتحدهم بذلك ولم يقرعهم بالعجز عنه الا وهو عند الله تعالى لا يقدر العباد عليه **قوله**
عز وجل فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
اعدت للكافرين ان لم تاتوا بمثله ولن تاتوا به ابدا لانه لم تقدروا عليه احد واحذروا
النار التي حطبها الناس اصا والحجارة قيل انهم صبروا اليها خلقت وهيئت للكافرين قوله عز
وجل فان لم تفعلوا شرط دخل على حرف الجحد ولن تفعلوا نسق عليه وجوابه فاتقوا وهو خروج عن
زمانية الوقت القابل لان لم تنفي بها ما مضى ولن ينفي بها ما بقي والوقود اسم لكل ما اوقد به
النار كالوضوء والطهور والغسول وقيل مصدر من وقد النار وقودا وقودا كالقبول والقبول
بالضم والفتح جميعا وذكر الحجارة هاهنا تعظيما لامر النار لانها تاكل الحجارة اذا كانت فظيعة
هايلة ويقال فايدة الحجارة ان تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم كما روي في الخبر انه
يكون مع كل انسان في النار حجر معلق في عنقه حتى اذا طفئا على وجه النار [illegible] الحجر الاسفل ويقال
ان المراد بالحجارة حجر الكبريت لان لها خمسة اشياء ليست لغيرها احدها انه اسرع وقودا والثاني
انطاهما والثالث انتن ريحا والرابع اشد حرا والخامس الصق بالبدن وروي انه ما نزل قوله تعالى

وقودها الناس والحجارة قال الكفار هذه النار وقودها الناس فما بال الحجارة فنزلت اعدت للكفرين
وفي ذكر الوقود اشارة الى انهم لا يبصرون لحما ويبقون حطبا كما قال الله تعالى كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها وفي هذه الاية دلالة على ان الكفار لم يعارضوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا
يقع ذلك منهم في المستقبل وذلك اخبار بالغيب وجد مخبره على ما هو به ولا يتعلق هذا باعجاز النظم
بل هي قايمة بنفسها في تصحيح نبوته صلى الله عليه وسلم كما لو قال لهم الدليل على صحة قولي انه مع صحة اعضايكم
وصحة جوارحكم لا يقع من احد منكم ان يمس راسه او ان يقوم من موضعه فلم يقع ذلك منهم مع سلامة
اعضايهم وجوارحهم وتقريعهم به مع حرصهم على تكذيبه كان ذلك دليلا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
وانه لا يصح كونه الا من قبل القادر الحكيم الذي صرفهم عن ذلك الى تلك الحال فان قيل كيف قال الله تعالى
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار واتقا النار واجب بغير هذا الشرط قيل له العقاب لا يتحتم على
المكذب بالنبي صلى الله عليه وسلم الا اذا ظهرت المعجزة وقامت الحجة عليه فكانه قال فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فقد قامت الحجة عليكم فاتقوا النار فان قيل كيف خص الله تعالى الكفرين بكون النار معدة لهم
والنار معدة لهم ولغيرهم قيل له اختلف الناس في الجواب عنه قال بعضهم اراد به نارا مخصوصة وتلك
النار غير معدة لغيرهم اذ النار دركات كما قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
وقال بعضهم ليس في تخصيص الكفار بالذكر في هذه الاية ما يدل على ان النار غير معدة لغيرهم الا ترى
ان الله تعالى خص الناس والحجارة بالذكر في هذه الاية وان كان غيرهم وقود النار كما قال الله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومعلوم انهم كانوا يعبدون النحاس والحديد والذهب
والفضة كما كانوا يعبدون الحجر قال مقاتل لما ذكر الله تعالى في هذه الاية الوعيد للكفار بالنار والحجارة
فرق المومنون من وعيد الله تعالى فبشرهم الله تعالى بالجنة وما اعد لهم فيها من الثواب
بقوله عز وجل وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها
الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها
ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون معنى الاية والله اعلم فرح قلوب الذين
صدقوا وعملوا الصالحات بان لهم بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها وغرفها انهار الما والخمر
والعسل واللبن كلما اطعموا واطعموا من الجنة من الوان الثمر على مقدار البكر والعشيات
قالوا هذا الذي اطعمنا من قبل اذا اتوا بكرة قالوا هذا الذي اوتينا عشية واذا اتوا به عشية قالوا
هذا الذي اتينا به بكرة فاذا طعموا وجدوا طعمه غير الطعم الذي وجدوا من قبل واتوا به متشابها
في المنظر مختلفا في الطعم وفي النهاية في التعجب والدلالة على الحكمة ان ترى تفاحة فيها طعم كل فاكهة
وترى الطعوم مختلفة والصور متفقة ويقال معنى قوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل اي في دار
الدنيا لان لونه يشبه لون ثمار الدنيا فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك والاول اصح لما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال ليس في الجنة شي يشبه ما في الدنيا الا الاسما وذهب بعضهم الى معنى
قوله تعالى متشابها في الاسم ويقال يشبه بعضه بعضا في الجودة والحسن ولهم فيها ازواج اي متشابها
مطهرة اي لهم مع نعيم الجنة نسا وجوار مهذبات في الخلق والخلق لا تحضن ولا يتغوطن ولا يلدن
ولا يحتجن الى ما يتطهر منه ولا يتحاسدن ولا يغرن ولا ينظرن الى غير ازواجهن طهرن من كل دنس وعيب
وهم فيها مع هذه الكرامات دايمون لا يموتون ولا يخرجون منها ابدا والبشارة المطلقة هي
الخبر السار الذي يحدث عند الاستبشار والسرور وان كان قد تستعمل مقيدا فيما يسوء كما قال
الله فبشرهم بعذاب اليم ولهذا قال علماونا فيمن قال اي عبد بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشره تعالى
جماعة من عبيده واحدا بعد واحد ان الاول يعتق دون غيره لان البشارة حصلت بخبره

خاصة

خاصة بخلاف ما اذا قال اي عبد خبرني بقدوم فلان فاخبره واحد بعد واحد يعتقون جميعا
الا ترى ان الناس يقولون قد ظهرت لنا تباشير هذا الامر يعنون اوله الذي يقع به السرور والفرح
ومنه سمي الغلام بشيرا تفاولا بالخير دون الشر ويسمى ما يعطى المبشر على الخبر السار بشرى هذا حكم
اطلاق لفظ البشارة فاما اذا استعمل مقيدا بالشر كان عبارة عن الخبر فيكون معنى قوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم اي اخبرهم ومن الناس من يقول ان اصله فيما يسر ويسوء لان معناه ما يظهر اولا في
بشرة الوجه من سرور او غم الا انه كثر فيما يسر فصار الاطلاق اخص بالخير منه بالشر وموضع ان لهم
نصب معناه بان لهم جنات فلما سقطت البا افضى الفعل الى ان فنصب ويجوز ان يكون موضعه خفضا
على المعنى على ما ذهب اليه بعض النحويين وموضع جنات نصب بان الا ان تا جماعة المونث في الخفض والنصب
على حالة واحدة كيا الجمع في قولهم رايت الزيدين ومررت بالزيدين وسميت الجنة جنة لان الشجر يجنها
اي يسترها ومعنى من تحتها من تحت شجرها اذ لو كانت الانهار تجري من تحت ارضها لم تكن للرائين ظاهرة
ولا في ذكرها فايدة مع ما جا في الخبر ان انهار الجنة تجري في غير شق ولا اخدود والزوج ضد الفرد
وهو اسم للواحد الذي له قرين يشتمل على الذكر والانثى قال الله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك
الجنة ولفظ المطهرة يجمع الطهارة كلها وهو ابلغ في الكلام من الطاهرة لان التطهير التكثير والطهارة
عبارة عن النظافة وفي الاية دليل ان العمل غير الايمان لان الشي لا يعطف على نفسه وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سئل ما بال اهل الجنة عملوا في عمر قصير بعمل اهل الجنة فخلدوا في الجنة وما بال
اهل النار عملوا في عمر قصير بعمل اهل النار فخلدوا في النار قال كل واحد من الفريقين يعتقد على
انه لو عاش ابدا اعمل ذلك العمل **قوله عز وجل** ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما
بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا
اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين فصل منفصل عن الاول
لفظا متصل به معنى ووجه الاتصال على ما قاله ابن عباس وابن مسعود ان الله ذكر في قصة المنافقين
مثلين فقالوا ان الله اعلى واجل من ان يضرب هذه الامثال فانزل الله تعالى هذه الاية والثاني
انه جل ذكره ذكر البعوض وعنى به مثلا للمنافقين لان البعوضة تحيى ما دامت جايعة فاذا
شبعت هلكت فكذلك المنافقون يحيون ما افتقروا فاذا استغنوا بطروا فهلكوا كما قال الله تعالى حتى اذا
فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فكان الله تعالى قال كيف استحيي من ضرب المثل في المنافقين
وانما اضربهم بالبعوض الذي هو مثلهم والثالث ان الله تعالى نهى في الاية المتقدمة من اتخاذ
الانداد لله تعالى وانزل قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
وانزل مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فوصف الهتهم بالعجز عن
استرداد ما يسلبهم الذباب وقال المشركون ان رب محمد صلى الله عليه وسلم يضرب المثل بالذباب
والعنكبوت فانزل الله تعالى هذه الاية انه يقول لا يستحيي ان يضرب المثل بالبعوض والذباب وان البعوض
والذباب مع صغرهما تعجزان الهتهم ويقهرانها ومعنى الاية على ما قاله الكلبي لا يمتنع او لا يترك وقال
مقاتل لا يمنعه الحيا ان يصف للحق شبها ما بعوضة فما اكبر منها مثل الذباب وغيره وقيل ان معنى فما فوقها
اي في الصغر يقال فلان صغير فيقال وفوق ذلك اذا ابولغ في الوصف لان الغرض في الاية تقليل المثل
والاوثان اذ البعوضة نهاية في الصغر والخفا والخفة وبها يضرب المثل فاما المومنون فيعلمون ان
المثل حق من ربهم واما الكافرون فيقولون اي شي اراد الله تعالى بذكر البعوض والذباب مثلا فقال
الله تعالى قل يا محمد يضل بالمثل كثيرا من الناس اي يخذلهم ويهلكهم ويرشد بالمثل ويوفق لمعرفته كثيرا
وما يضل به الا الخارجين من الطاعة قال الكلبي هم اليهود في هذه الاية وقال قتادة فسقوا فاضلهم

الله على فسقهم ولاستحيا ضد الوقاحة وهوا الكف عن المساوي والقبايح بخلق كريم في المستحيي
وانما قال في هذه الاية لا يستحيي لان الله تعالى لا يضرب المثل الا بالحق والله تعالى لا يستحيي من الحق
لان الكرم لا يقتضي الامتناع عن وصف ما اقتضت الحكمة الجادة وتدبيره ولا يكون وصف مثل ذلك
موضع الاستحيا ومن قرا يستحي بيا واحدة ولان اللفظ اذا كثر استعماله تطرق عليه التغيير وقد
يكون الاستحيا بمعنى ابقا الحيوة كما قال الله تعالى ويستحيون نساكم اي يستبقونهن للخدمة ومنه قوله
تعالى مثلا ما قيل ان ما نكرة معناه ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا شيا من الاشيا بعوضة فما فوقها
قال الله تعالى هذا ما لدي عتيد اي شي لدي عتيد وذهب الزجاج الى ان الاصح ان تكون ما
زايدة في الكلام موكدة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم قال ولا اعراب لها فتخطاها
النصب الخافض الى ما بعدها ويقال انما نصب بعوضة على معنى ما بين بعوضة الى ما فوقها فاذا
القى بين نصب كقولهم مطرنا ما زبالة فالثعلبية اي ما بين زبالة الى الثعلبية ويقال هي احسن الناس
ما قرنا فقدما يريد ما بين قرن الى قدم وقوله تعالى فاما يقرب معناه من مهما ولذلك يقتضي الجواب
بالفا كان معناه مهما يكن المومنون فيعلموا وكذلك قوله تعالى فاما السايل فلا تنهر اي مهما كان
سايل فلا يكن منك نهر والحق وضع الشي في موضعه واما مثلا في قوله تعالى بهذا مثلا نصب
على القطع عند الكوفيين عنوا به قطع الاضافة اي بهذا المثل فلما قطعت الالف واللام انتصب
على القطع وقال البصريون منصوب على الحال اي ما اراد الله تعالى بالمثل في هذه الحالة واصل الضلال الهلاك
يقال ضل الما في اللبن اي صار مستهلكا واكثر ما يستعمل الضلال في سلوك الطريق فمن سلك الطريق
المستقيم فهو مهتد ومن عدل عنه الى غيره عدو ربما يهلكه به فهو ضال واصل الفسق الخروج يقال
فسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت وقد اختلفوا في اضافة الضلال الى الله تعالى ابتدا قال بعضهم
حسن لانه المالك للهدى ولا يستحقه احد عليه يعطي من يشا فضلا منه ويخذل من يشا عدلا منه
وقال بعضهم لا يجوز اضافة الاضلال الى الله تعالى ابتدا وانما يضل مجازاة للكفر كما قال الله تعالى
فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال عز من قايل ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقال في هذه الاية
وما يضل به الا الفاسقين وهذا اقوى اختاره جماعة من الايمة وقال الزجاج معنى قوله
يضل به كثيرا اي بعد دعوته الخلق الكثير الى التصديق فيكذب به الكفار فيضلون به ويزداد
المومنون به هداية بالتصديق وذهب بعض الناس الى معنى قوله تعالى يضل به كثيرا
اي يسميهم ضلالا كما يقال فسقت فلانا قال الله عز وجل فرايت من اتخذ الهه هواه واضله
الله على علم اي سماه ضالا قال الكميت وطايفة قد اكفروني بحبكم وطايفة قالوا
مسي ومذنب قوله عز وجل الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولايك هم الخاسرون نعت للفاسقين
عند اهل التفسير ومن جعله كلاما مبتدا وقف على الفاسقين ثم استانف الذين ينقضون عهد الله
اي يتركوا امره ووصيته من بعد تغليظه وتوكيده والعهد ما اخذ الله تعالى على السن صلوات الله عليهم
ومن انبيهم ان لا يكفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته كما قال الله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين وقيل اراد به العهد الذي اخذ من بني ادم من ظهورهم حين قال الست بربكم
قالوا بلى وقيل عهد الله تعالى هو الاستدلال على توحيده فان كل ذي تمييز اذا تفكر في نفسه علم
ان الله تعالى خالقه فكان عليه الايمان فاذا امتنع من الاستدلال بالعقل فكانه نقض العهد
ومعنى قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل اي يقطعون الرحم الذي امرهم الله تعالى
بصلته قتلوا انفسهم واخرجوا فريقا من ديارهم وقال مقاتل رحمه الله الرحم الذي بينهم

ومن النبي صلى الله عليه وسلم فان العرب كانت من ولد اسمعيل عليه السلام واليهود من ولد
اسحق عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم امروا ان يومنوا بجميع الانبيا
عليهم السلام فامنوا ببعض ولم يومنوا ببعض وقد امر الله تعالى بالوصل ويقال يقطعون حبلهم من
حبل المسلمين ويصلون حبلهم بحبل الكفار ويفسدون يعصون ويامرون غيرهم بالمعصية والكفر
اهل هذه الصفة هم المغبونون في الاخرة غبنوا انفسهم واموالهم واهليهم وخدمهم ومنازلهم في الجنة
وورثهم المومنون قال ابن عباس وذلك انه ليس من مومن ولا كافر الا وله اهل ومنزل وخدم
في الجنة فان اطاع الله تعالى اتى اهله ومنزله وخدمه وان عصى الله تعالى فبين اهله ومنزله وخدمه
وورثهم المومنون قال الله تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم وقال في صفات
اهل الجنة اوليك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون والنقض افساد ما ابرمته
من غزل وبنا وغير ذلك والعهد التقدم الى الانسان في امر والوصية اليه ومنه عهد الامر الى الولاة
والميثاق هو الذي يوثق به الشي كما ان الميقات اسم للذي يوقت به والمصداق ما يصدق به القول والخاسر
الذي ذهب راس ماله والخسران ذهاب راس المال قوله عز وجل كيف تكفرون بالله
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فراجع الى قوله تعالى
يا ايها الناس اعبدوا ربكم ومعنى الاية كيف تجحدون وحدانية الله تعالى بعد قيام الحجة عليكم
بوجوب طاعته وكثرة انعامه عليكم واحسانه اليكم وقد كنتم نطفا في اصلاب ابايكم فاحياكم في
ارحام امهاتكم واخرجكم نسما صغارا ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم للبعث ثم اليه ترجعون في الاخرة
فيجزيكم باعمالكم قال الزجاج كيف استفهام في معنى التعجب والانكار كانه جل وعلا يقول للخلق وللمومنين
الا تتعجبون انهم يكفرون بالله تعالى وقد ثبتت حجة الله تعالى عليهم باقرارهم ان الله تعالى خلقهم ولم
يكونوا شيا كما قال الله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا والعرب تسمي كل امر خامل
ميتا وكل امر مشهور حيا والاحيا اول نعمة انعم الله تعالى بها على العباد وقيل انما سمى الله تعالى النطف
في الارحام امواتا لانها لا تكون منه الا بعد مفارقتها الحي على تاويل قوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من الحي
فهو ميت وقيل كنتم امواتا اي ترابا كما قال الله تعالى هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم من طين
وقد تسمى الارض ميتة والواو في قوله تعالى وكنتم للحال وتجوز اضمار قد اذا كان في الكلام دليل
عليه كما في قوله تعالى او جاوكم حصرت صدورهم اي قد حصرت صدورهم وعن ابي صالح في قوله
تعالى ثم يحييكم قال في القبر ثم اليه ترجعون للبعث وهذا احمد التاويلات لما فيه من اثبات المسالة
في القبر وفي الاية ما يدل على ذلك لان قوله تعالى ثم اليه ترجعون يقتضي التراخي عن قوله تعالى ثم
يحييكم فاما على التاويلين الاولين فغير مستنكر ان يكون احدى الحالات مسكوتا عنها الا ترى انه عام
في من اميت في الدنيا ثم احيي وفي من مات ولم يحي في الدنيا قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف حذر الموت الاية وقال في قوم موسى عليه السلام فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم
من بعد موتكم لعلكم تشكرون فان قيل كيف يجوز ان يكون الخطاب في هذه الاية لليهود على ما قال الكلبي
رحمه الله وهم لم يكفروا بالله تعالى قيل لما انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وزعموا ان القران الذي
لا ياتي به الا الله تعالى انه من عند غير الله فقد كفروا بالله تعالى قوله عز وجل هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شي عليم
يذكر نعمة اخرى ذكرها الله تعالى ليعدهم لها ومعنى الاية قدر خلقها لكم اذ الاشيا كلها لم تخلق في ذلك
الوقت لان الاشجار والثمار والدواب ونحوها تخلق وقتا بعد وقت ثم عمد وقصد الى خلق السما كما
يقال قد فرغ الامير من بلد كذا ثم استوى الى بلد كذا والاستوا اذا عدي بالى كان معناه القصد وعن ابن عباس

رضى الله عنهما ان معناه صعد امره فاما الاستوا على الشى كما فى قوله تعالى ثم استوى على العرش فمعناه
الاستيلا وهو استوا ملكه وقدرته لا الاستوا الذى هو من مجوع وقعود قال الشاعر
قد استوى بشر على العراق ٭ من غير سيف ودم مهراق ٭ وقال الكلبى فى هذه الايه معنى
استوا الى السما صعد وهو قول اهل التشبيه فسواهن خلقهن سبع سموات وهو بكل شى عليم من
خلقهن وغير ذلك من مصالح العباد وما يؤول اليه من عواقب امورهم عليم اى عالم والغرض من الاية
والله اعلم ان الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وخلق السموات قادر على ان يحييكم بعد الموت فان خلق
السموات والارض اعظم من خلقكم روى ان الله تعالى لما ذكر البعث فى الاية المتقدمة عرف اليهود ذلك
فسكتوا وانكر المشركون وقالوا ومن يستطيع ان يحيينا بعد الموت فانزل الله تعالى هذه الايه ٭ ولفظ
السما فى الاية واحد ومعناه معنى الجمع فجمع ما بعده على المعنى ويجوز ان يكون واحدا يراد به الجمع كما
يقال كثر الدرهم والدينار فى ايدى الناس ويجوز ان يكون السما جمعا واحدها سماوه كما يقال جرادة
وجرادات وجراد فان قيل هذه الايه تقتضى ان خلق السما بعد خلق الارض وقد قال الله تعالى فى اية اخرى
ما يدل على ان خلق السما قبل خلق الارض حيث قال جل ذكره أأنتم اشد خلقا ام السما بناها رفع سمكها
الى قوله والارض بعد ذلك دحاها قيل مجموع الايتين يقتضى ان خلق الارض كان قبل خلق السما الا ان
بسط الارض كان بعد خلق السما لان معنى دحاها بسطها بعد ما كانت ربوة مجتمعة الاجزا وذلك ان
الله تعالى كان ولا مكان ثم خلق الهوا وهو المكان ثم خلق العرش كما قال تعالى وكان عرشه على الما
سئل ابن عباس رضى الله عنهما على اى شى كان الما قال على متن الريح ٭ **روى فى الخبر** ان
الله تعالى خلق تحت الريح جوهرا كيف شا ثم جعل منه ما ثم جر النار على الما فتحرك الما فظهر على الما زبد
وارتفع منه دخان فجعل الله تعالى الزبد ارضا والدخان سما كما قال الله تعالى ثم استوى الى السما
وهى دخان خلق الله تعالى الارض فى يومين وقضى السما سبع سموات فى يومين وبارك فى الارض
ودحاها فى يومين فكان خلق الارض وبسطها فى اربعة ايام سوا للسايلين والله اعلم ٭ **قوله
عز وجل** وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّى جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا اَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ
يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّىٓ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
عطف على معنى الايات المتقدمة لان فيما سبق تعريضا بذكر النعم نحو قوله تعالى الذى خلقكم وفى
قوله هو الذى خلق لكم وهذه الاية فى ذكر نعمة ابتدا خلق ابينا ادم عليه السلام كانه قال جل ذكره
واذكر يا محمد اذ قال ربك للملئكة حين اراد ابتدا خلق ادم عليه السلام انى جاعل فى الارض خليفة اى
خالق فى الارض ادم عليه السلام وذريته قالوا اتجعل فيها من يعصيك ويصب الدما ونحن نبريك من السو
ونصلى لك ونطهر انفسنا لك ويقال معنى نقدس لك اى ننسبك الى القدس وهو الطهاره واللام زايده
كما فى قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم قال الله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون اى اعلم انه سيكون
فيهم انبيا صلوات الله عليهم وقوم صالحون يرحمهم الله يسبحون بحمدى ويقدسون لى ويطيعون
امرى والقصد فى هذا والله اعلم ما روى ان الله تعالى لما خلق الارض جعل سكانها الجن بنى الجان
على ما قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار
السموم وجعل سكان السموات الملئكه لكل سما ملئكة على حدة لاهل كل سما عبادة اهون من
التى فوقها فالتى هى فوق اشد عبادة واكثر تسبيحا وصلوة من الذين تحتهم ما فيها موضع قدم الا
وفيه ملك لله تعالى ساجدا او قايم او راكع وكان ابليس مع جند من الملئكة فى سما الدنيا من اهون
اهل السموات عملا وكان رئيسهم وكان اسمه عزازيل وكانوا خزان الجنان معهم مفاتيح
الجنان وكان يقال لهم الجن اشتق لهم اسم من الجنه فلما افسدت الجن بنو الجان فيما بينهم وسفكوا

الدما

13

الدما وعملوا بالمعاصى بعث الله تعالى ابليس مع جنده فهبطوا الى الارض واجلوا منها الجن بنى الجان
والحقوهم بجزاير البحور وسكن ابليس مع الجند الذين معه فى الارض وخففت العباده عنهم
وامنوا المقت فيها فلما اراد الله تعالى ان يخلق ادم عليه السلام وذريته قال للملئكة الذين
كانوا مع ابليس فى الارض انى جاعل فى الارض خليفه اى انى رافعكم منها فوجدوا من ذلك وجدا
شديدا فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها كما فعلت الجن بنو الجان ونحن نسبح بحمدك الى اخر الايه
وذهب بعض اهل العلم الى ان قول من يقول خففت العباده عن الملئكه واه ضعيف لان الله تعالى
وصف الملئكة بخلاف ذلك حيث قال جل ذكره يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال عز من قايل وهم
لا يسامون واذ اسم معناه الوقت يؤذن بوقوع الفعل فيما مضى من الزمان ومحله نصب باضمار الفعل
قبله واما اذا فاسم يستعمل للوقت فى المستقبل والملئكه جمع ملاك كما قال الشاعر فلست لانسى ولكن لملاك
ثم طرحت حركة الهمزة على الساكن قبلها فصار ملك ويقال ان ملكا كان فى الاصل مالكا مثل لا لوكه
وهى الرسالة كما قال الشاعر ٭ وغلام ارسلته امه ٭ بالوك فبذلنا ما سال ٭ وقال الاخر
ابلغ النعمن عنى مالكا ٭ انه قد طال حبسى وانتظارى ٭ فقدمت اللام واخرت الهمزة ومعنى
الملك الرسول يقال الكنى الى فلان اى ارسلنى اليه وقيل ان الملئكه جمع على مفاعله كالمهالبة
والسامعة والخليفة اسم لمن يحكم فى الارض بالعدل كما قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض
ويقال معنى الخليفه الخلفا وهو فعيل بمعنى فاعل لان بنى ادم خلفوا الملئكه فى الارض ويقال انما
سمى ادم عليه السلام وذريته خلفا لانه اذا انقرض منهم امة خلفهم اخرى ودخول الها فى الخليفه للمبالغة
والتاكيد وهو اسم اذا اطلق تناول من يخلف الغير ويقوم مقامه فى جميع ما اسند اليه فان كان قايما
مقام الغير فى بعض الامور قيل انه خليفته فى كذا الا يفيد الخلافة فى الامر الذى هو قايم فيه مقامه
والسفك والسفح واحد وهو الصب الا ان السفك اكثر ما يستعمل فى صب الدما ٭ والتسبيح التفعيل من
السباحة وذلك ان يفيض الانسان فى ذكر الله تعالى كافاضة السابح جوارحه فى لجة البحر ويقال اصل التسبيح
التبعيد لان الذى يسبح يباعد من طرفه والمسبح يبعد اسم الله عز عن الشريك والولد ٭ **وروى** عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سبحان الله براة الله من السو وتسمى الصلوة سبحة يقال فرغت
من سبحتى اى صلوتى وتسبيح الملئكه قولهم سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت
سبحان الحى الذى لا يموت والقدس التطهير ويقال للسطل القدس لانه يتطهر منه ومنه بيت المقدس
اى المكان الذى يتطهر فيه من الذنوب ويسمى الاسقف المقدس كانهم يقولون هو مطهر يتيمنا
به وتبركا والالف فى قوله تعالى اتجعل الف ايجاب كما قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده قال جرير
الستم خير من ركب المطايا ٭ واندى العالمين بطون راح ٭ اى انتم خير من ركب المطايا ويقال
ان قول الملئكه اتجعل فيها استفهام بمعنى الاستعلام والتعرف عن الحكمة لا على وجه التعجب والانكار
لكن على التالم والتوجع وقال الله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون اى اعلم من وجه المصلحه فى خلقى
وما يكون فيهم من الخير والرشد وحسن التدبير والحفظ ما لا تعلمون انتم ويقال معناه اعلم ان
فيكم اشرارا ايضا مثل ابليس ومن تابعه كما ان فى بنى ادم اشرارا ويقال معناه انى ابتلى من تظنون انه
مطيع فيودى الابتلا الى المعصيه نحو ما ابتلى به ابليس فعصى وابتلى من تظنون به المعصيه
فيطيع والله اعلم ٭ **وقد روى** فى بعض الروايات ان الملئكه لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
خرجت نار من الحجب فاحرقت عشرة الاف منهم واعرض الرب عز وجل عمن بقى منهم حتى
كانوا حول الكرسى سبع سنين يقولون لبيك اللهم لبيك اعتذارا اليك ٭ **قوله عز وجل**
وَعَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ اَنْبِـُٔونِى بِاَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ

المعنى والله اعلم الهم الله تعالى ادم عليه السلام اسما الاجناس كلها من الدواب والطيور والامتعة
حتى البقر والبعير والشاة حتى القصعة والسكرجة قال ابن عباس ومجاهد علمه الله تعالى جميع اللغات
على اختلافها ويقال علمه اسما معاني كل جنس هذا يصلح لكذا وهذا يصلح لكذا لان الفايدة في المعاني دون
مجرد الاسما وقوله تعالى ثم عرضهم على الملئكة يعني اصحاب الاسما فقال انبئوني باسما هولا الاجناس
ان كنتم صادقين في مقالتكم ودعواكم علما بالخليفة انها تفسد في الارض او تغير وجهها والادمة
هي كل لون مشبه بلون التراب وذكر الخليل ان الادمة في الناس بشرة من سواد وانما قال ثم عرضهم
لانه كان فيهم من يعقل لان الله تعالى علمه اسما الملئكة واسما من يكون في ذريته من الانبيا صلوات الله عليهم
واسما الجن فغلب في الاية اسم العقلا كما قال الله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الاية ° وفي حرف ابي بن كعب
ثم عرضها وفي حرف ابن مسعود ثم عرضهن فان قال قايل قوله عز وجل انبئوني امر تكليف ام لا وهل يجوز
تكليف ما لا يطاق والصحيح ان هذا ليس بتكليف لكنه تنبيه للملئكة على انهم لما عجزوا عن معرفة باطن
ما شاهدوه كانوا عن معرفة باطن ما غاب عنهم وهو امر الخليفة ابعد واعجز وهذا كما يلقي المسلة
على من يتعلم العلم منه فيقول اخبرني بجواب هذه المسلة ولا يريد بذلك ان يامره بجواب المسلة لانه يعلم
ان الذي القي عليه المسلة لا يعلم جوابها ولكن يقصد بذلك ان يقرر عند من القى المسلة عليه انه لا يعرف
جوابها ليكون اشد حرصا على تعلم تلك المسلة **قوله عز وجل** قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
انك انت العليم الحكيم اي قالت الملئكة تنزيها لك ربنا من ان يكون احد يعلم الغيب سواك لا علم لنا بما تعلم الا ما
علمتنا انك انت العليم بخلقك الحكيم في امرك اذ حكمت ان تجعل في الارض خليفة سوانا ولو اقتصروا
على قولهم لا علم لنا لكان كافيا في الجواب الا انهم قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا ليتضمن هذا الجواب الاعتراف
بالتعليم وقوله تعالى انك انت العليم الحكيم اي انك انت العليم من غير تعليم واما الحكيم فهو الذي يدرك
الاشيا بحقايقها ويضعها في مواضعها فيحكمها **قوله عز وجل** قال يا ادم انبئهم باسمايهم
فلما انباهم باسمايهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون اي قال الله تعالى يا ادم اخبر الملئكة باسما هذه الاجناس فلما اخبرهم ادم عليه السلام قال
الله تعالى للملئكة الم اقل لكم اني اعلم سر اهل السموات والارض واعلم ما اظهرتم من الطاعة لله تعالى وما
اضمر ابليس من المعصية لله تعالى في الامر بالطاعة لادم عليه السلام وذلك ان الله تعالى لما صور ادم عليه
السلام وراه ابليس قال للملئكة الذين معه ارايتم هذا الذي لم تروا من الخلايق مثله ان امركم الله بطاعته
ماذا تصنعون قالوا نطيع ربنا ونفعل ما يامرنا فاضمر الخبيث في نفسه لان فضلت عليه لاهلكنه ولين فضل
علي لا اطيعه فذلك قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وفي هذه الاية دلالة على ثبوت العلم
وفضيلته لان الله تعالى لما اراد اعلام الملئكة فضيلة ادم عليه السلام علمه الاسما بمعانيها حتى اخبر
الملئكة بها ولم تكن الملئكة علمت منها شيا مما علمه ادم عليه السلام فاعترفوا له بالفضل فامرهم الله
تعالى بالسجود لادم عليه السلام تعظيما لعلمه واحتراما له كما قال جل ذكره في الاية التي بعد هذه الاية
وهي **قوله عز وجل** واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر
وكان من الكفرين عطف على ما تقدم والمعنى واذكروا اذ قلنا للملئكة الذين كانوا في الارض اسجدوا
لادم قال قتادة سجدة تحية وتكرمة له وعبادة لله تعالى لا لاجل ادم عليه السلام قال كسجود
اخوة يوسف له عليه السلام كما قال الله تعالى وخروا له سجدا وذلك ان التحية بالسجود كانت
جايزة لمن يستحق ضربا من التعظيم كالمصافحة والمعانقة فيما بيننا فاما العبادة فلا تكون الا لله تعالى
والحكمة في امر الله تعالى للملئكة بالسجود لادم عليه السلام اظهار فضيلته لفضل علمه واظهار ما في ضمير
ابليس من المعصية لله تعالى ثم نسخ السجود لغير الله تعالى لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

[هامش: وقلنا من الناس من استدل بهذه الاية على جواز تكليف ما لا يطاق]
[هامش: يقصد]
[هامش: أمرهم — لا اطيعنه]
[هامش: على وجه التحية]

انه قال لو جاز لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وذهب بعض الناس الى ان
السجود كان لله تعالى وكان ادم بمنزلة القبلة لهم وليس ذلك بشي لانه يوجب ان لا يكون لادم
عليه السلام بذلك حظ من التفضيل والتكرمة وهذا خلاف ظاهر القران قال الله تعالى حكاية عن
ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي واما قوله تعالى فسجدوا الا ابليس
يقول سجدت الملئكة كلهم الا الذي صار ابليس وكان ابليس في السما اسمه عزازيل فلما غضب الله
عليه قال يا ابليس كما يقال يا خبيث وقوله ابى امتنع عن السجود واستكبر اي تعظم في نفسه وكان من
الكفرين في علم الله تعالى في الازل انه يختم له بالكفر وقيل معناه صار من الكفرين كما في قوله
تعالى فكان من المغرقين والسجود في اللغة عبارة عن الانحنا والميلان يقال سجدت النخلة اذا مالت وقد
اختص في الشريعة بفعل مخصوص يتضمن التعظيم لله تعالى وهو وضع الجبين على الارض في الصلوة
وعند قراة ايات السجود والاستكبار رفع النفس فوق منزلتها واسم ابليس اعجمي معرب لذلك لا ينصرف
عند نحاة البصرة وقال الكوفيون هو افعيل من ابلس اي يئس من رحمة الله كادريس من درس يدرس فالنفي
والهمزة الداخلة في الافعال لم ينصرف خلاف الاكليل وظاهر الاية يقتضي ان ابليس كان من الملئكة
لان الله تعالى استثناه منهم والى هذا ذهب بعض اهل العلم وقال انما قال جل ذكره في اية اخرى الا
ابليس كان من الجن لانه كان من خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة وقيل سموا جنا لاستتارهم
عن ابصار الناس ويقال معنى قوله تعالى كان من الجن اي كان ضالا كما ان الجن كانوا ضالين فجعله
منهم كما قال في قصته وكان من الكفرين ° **وذهب** جماعة من اهل العلم الى ان ابليس كان من الجن
بني الجان ومن حجتهم انه كان مخلوقا من النار كما اخبر تعالى حكاية عنه خلقتني من نار وخلقته من طين
وله نسل وذرية والملئكة مخلوقون من النور لا نسل لهم ولا ذرية وانما قال الا ابليس لانه امر مع
الملئكة في السجود لادم عليه السلام فيجعل المامورون كلهم الا هو ويجوز ان يكون هذا الاستثنا
منقطعا كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن قال الشاعر ° وبلدة ليس بها انيس
الا اليعافير والا العيس ° وقيل سبب كونه مع الملئكة ان الملئكة لما حاربت الجن سبي ابليس صغيرا
فنشا مع الملئكة فلما خلق الله تعالى ادم عليه السلام وامر ابليس بالسجود له امتنع وكفر وعاد الى
اصله وقد رجح القاضي ابو عاصم هذا القول الاخير بان قال ان الملئكة رسل الله تعالى ولا يجوز عليهم
الفسوق والكباير فكيف الكفر ° **قوله عز وجل** وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين معناه والله اعلم قلنا
يا ادم اجعل الجنة ماوى نفسك وزوجك وكلا من الجنة موسعا عليكما حيث شئتما بلا عنا ولا
تقربا هذه الشجرة بالاكل منها فتكونا من الظالمين لانفسكما لاكلكما من الشجرة قال ابن عباس بعث
الله عز وجل ملئكة من السما الى ادم ومعهم سرير من ذهب فحملوه على السرير حتى صعدوا
به الى السما ضحوة يوم الجمعة فانزلوه وسط الفردوس ولباسه النور وعليه اكليل من ذهب
مكلل بالدر والياقوت وخلخالان مكللان بالدر والياقوت ومنطقة مكللة وشنوفان
مكللان قال الضحاك دخل ادم عليه السلام الجنة عند الضحوة واخرج منها ما بين الصلوتين ومكث
فيها نصف يوم من ايام الاخرة وهو خمسماية عام والزوج في اللغة القرين كان الاصمعي يوثر
ترك الها في الزوجة ويرى ان اكثر كلام العرب عليه ° والرغد العيش الواسع الكثير الذي لا يتعبك
طلبه ° والظلم وضع الشي في غير موضعه من ذلك قولهم من اشبه اباه فما ظلم اي ما وضع الشبه
في غير موضعه ويقال الظلم ادخال الضرر على من لا يستحقه من غير عوض وقد اختلفوا في
الشجرة المذكورة في الاية قال الكلبي كانت الشجرة احسن اشجار الجنة عليها كل نوع من الاطعمة ابتلاه الله

بها ونهاه عن اكلها وعن ابن عباس انها كانت شجرة الحنطة اى السنبلة روى فى بعض الروايات ان الحبة منها كانت ككلية البقر الين من الزبد واحلى من الشهد واشد بياضا من الثلج وعن على كرم الله وجهه انها كانت شجرة الكرم وهى رواية اخرى عن ابن عباس وعن قتادة انه قال هى شجرة التين ومنهم من قال شجرة العلم او شجرة الخلد على ان ابليس قال لهما من اكل منها علم الخير والشر وعلم علم الملائكة وقال من اكل منها لم يمت واختلفوا فى كيفية اكل ادم عليه السلام من تلك الشجرة واصح الاقاويل والله اعلم ان ادم عليه السلام اخطا فى الاستدلال والتاويل ولم يتعمد ارتكاب المنهى عنه لانه لا يجوز على الانبيا صلوات الله عليهم ان يقصدوا الى الفعل المنهى مع العلم بالنهى فيخرجون به عن ولاية الله تعالى ويستحقو الغضب منه لانهم لا يامنون ان يكون ذلك الفعل كبيرة واذا استحقوا الغضب من الله لم يجب على الناس متابعتهم ولا النظر فى معجزاتهم بل وجب عليهم التبرى منهم فظهر ان ادم عليه السلام لم يرتكب النهى مع العلم بالنهى ولكن اخطا فى التاويل ووجه خطايه فى التاويل ان الله تعالى قد كان نهاه عن اكل جنس تلك الشجرة الا ان الاشارة بالنهى الى شجرة معينة فحسب ادم عليه السلام انه لم ينه عن جنس تلك الشجرة وانما نهى عن الشجرة التى وقعت الاشارة اليها وكانت الاشارة بالنهى الى شى بعينه ويكون المراد به تعميم ذلك الجنس بالنهى كما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ الذهب باحدى يديه والحرير بالاخرى وقال هذان محرمان على ذكور امتى حل لاناثها لم يرد بهذا التحريم عين ما كان وضعه على كفه فقط انما اراد تحريم ذلك الجنس فان قال قايل كيف صح هذا التاويل وقد ذكر ابليس ادم النهى حيث قال له ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين ولا يكون فى التذكير ابلغ من هذا قيل له لا يجوز ان يقال ان ادم عليه السلام واقع الذنب حين قال له ابليس هذا القول اذ لو اكل فى تلك الحالة للغرض الذى ذكره ابليس لكان الله تعالى يعاتبه على الاكل لهذا الغرض اكثر مما يعاتبه على نفس الاكل فلما عاتبه الله تعالى على نفس الاكل ولم يعاتبه على ذلك بل لانه لم ياكل من الشجرة حين قال له ابليس ذلك ولكن لما امتنع من الاكل من تلك الشجرة المشار بالنهى اليها قال ابليس لادم عليه السلام وحوا ان لم تاكلا من هذه الشجرة بعينها فكلا من جنسها فان الله تعالى انما نهاكما عن عين تلك الشجرة فاكلا من جنس تلك الشجرة ولم ياكلا من عينها ويحتمل انهما وافق غرورا ابليس ووسوسته فى نفسه حين اغتر بقوله فاغفل النهى او نسيه او تاول انه نهى كراهية او نحو ذلك وهذا الضرب من السهو والاغفال غير موضوع عن الانبيا صلوات الله عليهم لعظم اخطارهم وارتفاع اقدارهم ولما شاهدوا من الايات والبينات ولانهم القدوة والايمة وقد قال الله تعالى يا نسا النبى لستن كاحد من النسا الى ان قال من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وذلك لعظم اخطارهن وقال عليه السلام انى اوعك كما يوعك رجلان منكم ومثل هذا السهو والغفلة لا يمكن التحفظ منه وليس يخرج عن قدرة العباد الا ان الله تعالى وضعه بلطفه ورحمته عن المومنين كما وضع ساير الصغاير ولو اخذهم به لكان ذلك عدلا فان قيل كيف يصح قولكم ان ما فعله ادم كان صغيرة ولم يكن كبيرة وقد عاقبه الله تعالى بنزع اللباس منه وبالاخراج من الجنة وبالاهباط الى الارض قيل عنه جوابان احدهما ما ذكرنا ان الانبيا صلوات الله عليهم يواخذون بما لا يواخذ به ساير المومنين والثانى ان ذلك لم يكن عقوبة لكن كان محنة وابتلا اذ الله تعالى لا يعاقب انبياءه عليهم السلام وان كان قد يمتحنهم كما يمتحنهم بالامراض والاسقام ويدل على ذلك قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الى ان قال قلنا اهبطوا منها جميعا فاخبر انه امر بالهبوط بعد التوبة والتايب لا يجوز ان يعاقبه الله تعالى فان قيل ان كان ما فعله صغيرة لا يجب به العقوبة فلم ذا تاب عنه عليه السلام قيل ان الصغيرة يجب التوبة عنها وان وقعت مغفورة لانه اذا ترك التوبة منها مع العلم بانها معصية كان مصرا عليها والاصرار على المعصية نوع ادمان على المعصية

فان قيل اذا وقعت الصغيرة مغفورة فما معنى تاب الله عليه وكيف غفر له قلنا ان الله تعالى يفعل الغفران كما اخبر الله تعالى عن ابرهيم عليه السلام والذى اطمع ان يغفر لى خطيتى يوم الدين وان كانت خطية ابرهيم عليه السلام مغفورة **قوله عز وجل** فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين المعنى والله اعلم استزلهما الشيطان عن الجنة ويقال ثلا بل اغوا الشيطان اياهما فكانه ازلهما فاخرجهما مما كانا فيه من رغد العيش وراحة النفس وجوار الرب عز وجل وقلنا لادم وحوا عليهما السلام وابليس والحية والطاوس انزلوا من السماء الى الارض بعضكم لبعض عدو فابليس عدو لادم عليه السلام وذريته وعداوته لهم كفر وهم اعدا ابليس وعداوتهم له ايمان والحية تلدغ عقب ابن ادم وابن ادم يشدخ راسها لان ابليس كان فى راسها قال النبى صلى الله عليه وسلم الود يتوارث والبغض يتوارث ويجوز انه يكون المراد بالعداوة العداوة التى بين بنى ادم ولكم فى الارض مستقر مقام وثبوت ومنفعة الى المنتهى الاجال واما قراة حمزة فازالهما اى من الزوال اى نحاهما والازلال فى معنى الايقاع فى الزلل يقال ازللت فلانا فزل وازلته فزال والهبوط الانحطاط من الرتبة الشريفة والمتاع اسم لما يستمتع به والحين والزمان فى اللغة واحد فان قيل كيف وسوس ابليس لادم عليه السلام وكان ادم فى الجنة وابليس اخرج منها حين امتنع من السجود وكان لا يمكن من دخول الجنة بعد ذلك قيل قد اختلفوا فى هذا فقال بعضهم لم يدخل ابليس الجنة خوفا من رضوان لكن اتى باب الجنة فناداهما ولم يكن محجوبا من السموات وقيل كان ادم وحوا يخرجان الى باب الجنة فيغرهما وقال عامة المفسرين انه دخل فى راس الحية ذكر الكلبى كيفية هذه القصة قال لما نظر ابليس الى ما اكرم الله ادم عليه السلام حسده فاحتال ان يفتنه فعرض نفسه على كل دابة تدخل الجنة ان يدخل فى صورتها فابت عليه حتى اتى الحية وكانت احسن دابة فى الجنة خلقا وكانت كهيئة البعير تمشى على اربع قوايم فيها من كل لون فلم يزل بها يستدرجها حتى اطاعته فدخل بين لحييها فقام فى راسها فنادى يا ادم ويا حوا فاجاباه قال ما ذا امركما ربكما وما ذا نهاكما عنه قالا امرنا ان ناكل من شجر الفردوس كلها غير الشجرة الواحدة التى فى وسط الجنة كيلا نموت فقال لهما ان الله تعالى قد علم انكما لستما تموتان موتا ولكن علم انكما متى اكلتما من هذه الشجرة كنتما ملكين تعلمان الخير والشر او كنتما من الخالدين وقاسمهما بالله انى لكما لمن الناصحين فقال لهما ايكما اكل قبل صاحبه كان هو المسلط على صاحبه فابتدرا الى الشجرة فسبقت حوا ادم عليه السلام فقال لها ادم عليه السلام ويحك اما تعلمى ان الله تعالى قد نهانا عنها فقالت اما تعلم سعة رحمة الله تعالى فاكلت منها واطعمت ادم فلما وصل الى بطونهما تهافت عنهما لباسهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قيل انما لم يتهافت ثياب حوا اولا لانها كانت تبعا لادم عليه السلام ثم اهبط الله تعالى ادم عليه السلام بالهند وحوا بجدة بساحل مكة وابليس بساحل بحر ايلة والحية باصفهان ورد الله تعالى قوايم الحية الى بطنها وجعل رزقها التراب أيلة وروى فى بعض الاخبار ان ابليس دخل الجنة وهو فى الجنة فسال الطاوس عن الشجرة التى نهى الله ادم عليه السلام عنها فدله عليها ثم اتى ادم عليه السلام واقسم انها شجرة الخلد القصة الى ان قال غضب الله تعالى على الطاوس واهبطه بميسان ومسخ منه صوته ورجليه ومثل هذه الاشيا لا نعلم الا من طريق الخبر فما صحت الرواية فيه قيل به وما لم يصح رد والله اعلم **قوله عز وجل** فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم معناه تلقف واخذ ويقال الهم وهو المراد من الاخذ والكلمات اعترافهما بالذنب واستغفارهما كما قال الله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية فتاب عليه اى قبل الله تعالى توبته وقد تاب الله عز وجل عليهما لكن الاختصار على ذكر ادم عليه السلام فى الاية على طريق الايجاز والتغليب مذكوره انه هو التواب اى القابل للتوبة المتجاوز عن ذنوب العباد الرحيم بمن مات على التوبة ومن قرا

فتلقى آدم بنصب آدم ورفع كلمات جعل الفعل للكلمات والتلقي هو الاستقبال وكل من تلقاك فقد تلقيته
ومن تلقيته فقد تلقاك والتوبة في اللغة هو العود والرجوع يقال تاب وآب بمعنى واحد فالعبد
يتوب الى الله تعالى في مقام العبيد ذلة وطاعة وتسليما والله تعالى يتوب على العبد يعود عليه
بالعطف والرحمة والستر والمدد **روي** عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ان الكلمات نزل بها جبريل عليه السلام وهي سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي
فاغفر لي وارحمني وانت خير الراحمين سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر
لي انك انت الغفور الرحيم سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي فتب علي انك انت
التواب الرحيم وهو رواية ابن عباس رضي الله عنهما **قوله عز وجل** قلنا اهبطوا منها
جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون خطاب
لآدم وحوا عليهما السلام خاصة بالهبوط من الجنة الى السما لانه يعقبه قوله تعالى فاما ياتينكم
مني هدى وهو خطاب لهما ولولدهما خاصة فاما الهبوط الاول فهو من السما الى الارض وقد بيناه
ويجوز ان يكون تكرير الامر بالهبوط للتاكيد او لاتصال الثاني بالفاظ اخر ليست من الفاظ الاول
كما يقال اذهب اذهب وعجل عجل ويقال اذهب سالما واذهب معافا مصاحبا ونحو ذلك وقوله تعالى
فاما ياتينكم مني هدى يقول ان ياتكم مني بيان وهو الكتب والرسل فمن تبع كتابي ورسولي فلا خوف
عليهم فيما يستقبلهم من اهوال يوم القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا من امر الدنيا في الاخرة
والاصل في اما ان ما على طريق الشرط ولغوا الا ان النون ادغمت في الميم وما صلة في الكلام
معناه التاكيد والنون الموكدة في قوله تعالى ياتينكم لا تدخل في الفعل الا ان يكون فيه موكد
قبله تقول لياتينك ولا يقال زيد ياتينك بغير اللام ٥ والاتباع هو ان يتلو الشي الشي ومنه قول الناس
دين الله الاتباع دون الابتداع اي دين الله الاخذ بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الانبيا
دون الابتداع والنصب في قوله تعالى هداي لان الاصل في يا الاضافة الحركة لانها حرف في موضع اسم
مضمر الا انها حذفت في قوله هذا غلامي ونحو ذلك للتخفيف لان اليا من حروف المد واللين
وقد سكن ما قبل اليا في قوله هداي فلم يكن بد من تحريك يا الاضافة فجعل حظها من الحركة ما
كان لها في الاصل وهو الفتح والحزن هو غلظ الهم من قولهم للارض الخشنة الغليظة ارض
حزنة وفي الاية تحذير من صغير المعاصي وكبيرها لان الله تعالى اهبط نبيه عليه السلام من
جنة كان انعم الله عليه بها فاهبطه منها من اجل صغيرة من الصغاير فكيف بمن اجترا على الله تعالى
وارتكب كباير ما نهى عنه ٥ وفيها احسن وعد لمن تبع هدى الله تعالى فاطاعه ولزم تقواه
لان الله تعالى جمع في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون مع قلة الحروف صنوف النعم
كلها لا احد اسعد ممن لا يخاف ولا يحزن ومن دخل الجنة فقد سلم من جميع الافات فليس
يخاف ووصل الى جميع اللذات فليس يحزن على شي نسال الله تعالى رحمته ونعوذ به من عقابه
قوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
معناه والذين جحدوا ابدا لابينا وكذبوا رسلنا وكتبنا اولئك اصحاب النار هم فيها مقيمون دايمون
وللايات معنيان احدهما ما ذكرناه والثاني الدلايل العقلية التي هدى الله تعالى العقلا لمعرفتها
والاصحاب جمع الصاحب والصحبة هي المقارنة الا ان اسم الصاحب لا يقع على الاطلاق الا اذا طالت
صحبته فاما اذا قلت صحبته معه فانه يقال صحب فلان فلانا يوما او كذا والكفر وحده يوجب
خلود في النار وكذا التكذيب وحده لكن ذكرهما الله تعالى في الاية للتعظيم والتهويل اذ لا يكون احدهما
في انسان الا ومعه صاحبه وفي هذه الايات من اول ما ذكر الله تعالى خلق آدم عليه السلام

هو

هذه الاية زيادة دليل على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان صلى الله عليه وسلم من قبيلة
وبلدة لا يعرف اهلها شيا من هذه القصة على حقها وصدقها بل كان بين ظهراني قوم ليسوا
من اهل الكتاب ولا من شانهم البحث عن هذه الامور نشا بحضرتهم وهو امي لم يقرا الكتب ثم
اخبر علما اهل الكتاب بهذه القصص على وجهها ولم يقدروا على تكذيبه في شي منها ٥ وفي الاية
دليل على ان الجنة والنار لا يفنيان خلاف قول الجهمية لان الخلود مصرح به في هذه الاية والاية
التي قبل هذه تقتضي ان لا يخافوا التبعة ولا يحزنوا على فوت النعم **قوله عز وجل**
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
واياي فارهبون ابتدا فصل من ذكر النعم وهو اطول من الفصول التي تقدمت لانه
ينتهي الى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وهذه الاية خطاب لليهود والنصارى
كلهم لان الله تعالى نسبهم الى ابيهم الاعلى كما قال في اية اخرى يا بني آدم ٥ واما اسرائيل فقد قال
ابن عباس انه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم صلوات الله عليهم واسرائيل لغة عبرانية فاسرا في لغة
العبرانية هو العبد وايل هو الله عز وجل ويقال الاسرا هو الخالص من كل شي وايل هو الله تعالى
فكانه سمي صفوة الله تعالى ٥ ومعنى الاية يا اولاد يعقوب احفظوا منتي التي منت بها عليكم بان
انجيتكم من آل فرعون وظللت عليكم الغمام وانزلت عليكم المن والسلوى وجعلت فيكم انبيا صلوات الله
عليهم وملوكا وغير ذلك من النعم التي لا تحصى واكثر هذه النعم كانت لابايهم لكن العرب تذكر مثل
هذا وتريد به الابا يقولون هزمناكم يوم كذا يعنون به اباهم وقيل ان النعمة ارسال محمد
صلى الله عليه وسلم اليهم وقت اختلافهم في الدين ليدلهم على الحق المبين والامر بذكر النعمة امر
بمعرفتها بالقلب والاقرار بها باللسان اذ لا سبيل لاحد الى ذكر كل ما انعم الله تعالى عليه سوى
الاعتراف بالعجز عن اداء شكره ٥ فاما العهد المذكور في الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الله تعالى
عهد الى بني اسرائيل في التوراة اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فاتبعوه فمن اتبعه وصدق
بالنور الذي ياتي به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا باتباعه ما جاء به موسى
عليه السلام والانبيا صلوات الله عليهم من بني اسرائيل واجرا باتباعه ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
ويجوز ان تكون المراد بالعهد قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وقوله تعالى ولقد اخذ الله
ميثاق بني اسرائيل الى اخر الاية ٥ فاما معنى قوله فاياي فارهبون اي فاخشوني في كتمان
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وترك اتباعه ٥ وبني اسرائيل في موضع نصب لانه نداء
مضاف والمنادى في موضع النصب لان معناه ناديت واسرائيل في موضع خفض بالاضافة الا انه
فتح اخره لانه لا ينصرف لمعنى العجمة والمعرفة وفتح اليا التي في نعمتي لالتقا الساكنين لان التي بعدها
ساكن وهو لام المعرفة في التي ويجوز حذف اليا في اللفظ عند التلاوة ٥ واوفوا اتمام العاقد
بايفاء المعقود عليه يقال وفي درهم واوفى اي تام وفيه لغتان اوفى ووفى وبالالف افصح وبها
ورد القران ونصب اياي بالامر كانه في المعنى فارهبون وحذفت اليا من اخر الامر لانها فاصلة
في اخر الاية ٥ والرهبة والخوف نظيران الا ان ضد الرغبة الرهبة وضد الخوف الامن فكان
الرهبة خوف على شريطة كما ان الرغبة رجا [?] **قوله عز وجل** وامنوا بما
انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا
واياي فاتقون وصية من الله تعالى لهم بعد ان ذكرهم نعمته يقول صدقوا بهذا القران
الذي انزلت موافقا لما معكم من التوراة والانجيل وساير الكتب ولا تكونوا اول فريق
يكفر به ولا تختاروا باياتي عرضا يسيرا يعني الدنيا واياي فاخشون في محمد صلى الله عليه وسلم

وسبب هذا الخطاب ما روى انه كان لعلما اليهود رياسة وماكلة ووظايف من سفلة اليهود وكانوا يخافون
ان اسلموا ذهبت رياستهم فقيل لهم لا تكونوا اول كافر به فيتبعكم العوام والها في قوله تعالى كافر به
عايدة الى ما انزلت ويجوز ان تكون عايده الى قوله تعالى لما معكم لانهم كتموا بعث محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته في التورية فاذا كفروا بالقران فقد كفروا بالتورية والثمن كل ما يعطا مكان الشى من بدل ومبدل
الا ان من شان الثمن والمبيع اذا ذكرا فالمبيع عروض والثمن دراهم الا ان يفيد الثمن مالبا واذا كان كلاهما
عروضا يفيد احدهما بالبا ايهما كان وكذلك اذا كان كلاهما ثمنا من الصرف والفايدة في قوله تعالى ولا تكونوا
اول كافر به وان كان الكفر قبيحا في الاول والاخر ان السابق الى الكفر يقتدى به غيره فيكون اعظم لماثمه
وجرمه كقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن
اوزار الذين يضلونهم بغير علم وقوله تعالى من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس
جميعا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان على ابن ادم عليه السلام القاتل
كفلا من الاثم في كل قتيل ظلما لانه اول من سن القتل وقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها
واجر من عمل بها الى يوم القيمه لا ينقص من اجورهم شي ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
بها الى يوم القيمه لا ينقص من اوزارهم شي **قوله عز وجل** ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا
الحق وانتم تعلمون قال ابن عباس معناه لا تخلطوا الصدق بالكذب ويقال خلط الحق بالباطل هو
ايمانهم ببعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم ببعضه ويقال الحق ما تركوه على حاله والباطل
ما حرفوه من التورية وتكتموا الحق يحتمل ان يكون جزما على النهي على معنى ولا تكتموا الحق وهو بعث
النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية ويحتمل ان يكون قوله تعالى وتكتموا نصبا على معنى وان
تكتموا اي ولا تجمعوا بين اللبس والكتمان كما قال الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار
عليك اذا فعلت عظيم اى لا تجمع بين النهي عن خلق واتيان مثله وقوله تعالى وانتم تعلمون اى
تفعلون ذلك على علم منكم وبصيرة وهذا ابلغ في الوعيد لان من ارتكب المعصية مع العلم بانها معصية
كان ذلك اقبح منه ممن ارتكبه وهو لا يعلم بقبحه وكونه معصية واصل اللبس الستر والتغطية يقال
في الامر لبست الامر على فلان البسه بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل اذا عميت عليه ويقال
في الثوب لبست الثوب البسه بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل **قوله عز وجل** واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين امر معطوف على النهي لفظا يحتمل وجهين احدهما ان
الصلوة كانت معهودة للمسلمين يوميذ وكذلك الزكوة كانت معلومة عندهم فامر اليهود باقامة
الصلوة المعهودة في شرعنا وايتا الزكوة المعلومة والثاني يجوز ان يكون الصلوة مجملة يوميذ في
شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وكان فعل النبي صلى الله عليه وسلم بيانا لذلك الاجمال وهكذا حال سائر ما
ورد في القران مجملا فانه يكون بيانه موكولا الى النبي صلى الله عليه وسلم اذ لولا ذلك لكان الله يتولى بيانه
في القران ومعنى واركعوا مع الراكعين اي صلوا مع المصلين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الجماعة
الى الكعبة ولا تصلوا وحدانا وقد تسمى الصلوة ركعة يقال ركعت ركعة اى صليت وفرغت من ركعتي اي من
صلوتي والفايده في تكرار ذكر الصلوة والله اعلم لئلا يتوهم متوهم ان الصلوة لا تجب الا على من تجب
عليه الزكوة ويقال ان اليهود كانوا يصلون بغير ركوع فامروا بالركوع في الصلوة وحقيقة
الزكوة ما يجب اخراجه من المال على التوظيف الذي توجبه الشريعة وهو في اللغة عبارة عن النما
والزياده يقال نمى الزرع اذا كثر ريعه وزكت النفقه اذا بورك فيها والتزكية التطهير ومنه نفس
زاكيه فاخراج الزكوه سبب للطهارة والزيادة كما قال الله تعالى وما اتيتم من زكوة تريدون وجه
الله فاوليك هم المضعفون والركوع في اللغة عبارة عن الانحنا والميلان يقال ركعت النخلة اذا مالت

قوله

قوله عز وجل اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا
تعقلون خطاب لعلما اليهود قال ابن عباس كان الرجل من اليهود يقول لصهره وقرابته واخوته
من الرضاعة من المسلمين اثبت على ما انت عليه مما يامرك به محمد صلى الله عليه وسلم فان امره حق فانزل الله تعالى
هذه الايه وروي ان جماعة من اليهود كانوا يخبرون مشركي العرب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
بان رسولا منهم سيظهر يدعو الى الله تعالى والى الحق وكانوا يحثونهم على اتباعه واجابة دعوته
فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فانزل الله تعالى هذه الاية
مذكرا لهم ما كان منهم يقول اتامرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتتركون انفسكم فلا
تتبعوه وانتم تقرون الكتاب التورية وتعلمون ما فيها من البشارة به ووجوب اتباعه افلا تعقلون
ان ذلك حجة عليكم والف الاستفهام في اول هذه الايه يقتضي التوبيخ والانكار كما في قوله تعالى اتاتون
الذكران من العالمين وقوله تعالى اتتركون فيما هاهنا امنين والبر هو اتساع الخير يقال لما بين
البحر بر لانه اشد اتساعا من البحر وتسمى المفازه برية لاتساعها والنسيان السهو ضد الذكر الا
ان بين النسيان والسهو فرقا وهو ان النسيان عزوب الشي عن النفس بعد حضوره والسهو قد يكون
عما كان الانسان عالما به وعما لم يكن عالما به وقد يكون النسيان بمعنى الترك كما قال الله تعالى نسوا
الله فنسيهم اي تركوا ذكر الله فخذلهم والتلاوه هي القراة واصلها الاتباع لان الحروف يتلو بعضها
بعضا والعقل قد يكون بمعنى الشد يقال عقلت البعير اعقله اذا شددت ركبته وما يعقل به عقال ويسمى
العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبايح وقيل ان العقل علوم مخصوصة من جملتها العلم بالحسنات
والسيات فسمي العقل عقلا لانه يعقل العلوم المكتسبة ولا يجوز ان يقال في اسما الله تعالى عاقل لانه
لا يكتسب علما بشي فلنت بعض علومه ببعض ولانه لا يعقله شي عن فعل القبيح ولكن لا يختار القبيح مع
استغنايه عن فعله لعلمه بانه قبيح **قوله عز وجل** واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
لكبيرة الا على الخاشعين يقول استعينوا بالصبر على طاعة الله تعالى وفعل الصلوة على ما يذهب
عنكم من الرياسة ويفوتكم من الماكلة باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يذكر في الاية مستعانا عليه
وانما ذكر المستعان به لان الاستعانة بالشي يقتضي مستعانا عليه لا محالة فالمستعان عليه ذهاب
العز والرياسة وفوت الماكلة والرشى والمرافق ويقال هو الشدة والمشقة التي تلحق المسلمين في
الطاعة وقال مجاهد الصبر في الاية هو الصوم وسمي الصوم صبرا لان صاحبه يحبس نفسه
عن الطعام والشراب ويسمى شهر رمضان شهر الصبر وقيل حمل هذه الاية على الصوم اولى من
حملها على الصبر الذي هو نقيض الجزع لان الذي يليق بالصلوة والزكوة الصوم دون الصبر الذي
هو نقيض الجزع فاما قوله تعالى وانها لكبيرة يحتمل ان الها كناية عن الصلوة لانها اشرف الطاعات
ويحتمل ان تكون كناية عن الاستعانة ويحتمل ان يكون المراد بها الصبر والصلوة جميعا كما قال الله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه فاكتفى بذكر احدهما دلالة عن الاخر قال الشاعر
ومن يك امسى بالمدينة اهله فاني وقيار بها لغريب اى غريبان والكبيرة الثقيلة الشديدة
لان ما يكبر يثقل وما يثقل يشق حملها والخاشعون المتواضعون الذليلة قلوبهم قال الخليل
رحمه الله تعالى يقال خشع اذا رمى ببصره الى الارض واختشع اذا طاطا راسه للسجود والخشوع
والخضوع نظيران الا ان الخضوع يكون بالبدن والخشوع بالبصر والصوت والقلب كما قال الله تعالى
خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن ان تخشع قلوبهم والصبر حبس النفس عما تنازع اليه
والاستعانة طلب المعونه والصلوه بما فيها من تلاوة الكتاب والوقوف بذلك على الوعد والوعيد
والمواعظ البليغه تسهل على النفس ترك الرياسة وتسهل الانقياد للطاعة **قوله عز وجل**

يتبع

رحله
حمله
واخشع

الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون معناه والله أعلم الذين يستيقنون أنهم
ملاقوا ربهم في الآخرة وأنهم إليه راجعون يجزيهم بما عملوا لأنهم لو كانوا شاكين كانوا ضلالا كافرين
وقد يذكر الظن بمعنى العلم كما قال دريد بن الصمة ❊ فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ❊ سراتهم في
الفارسي المسرد ❊ أي أيقنوا والظن في اللغة هو الشك الذي يقوى أحد طرفيه على الآخر لأن علم
غير العيان يجوز ذكره بلفظ الظن وإن قام في النفس حقيقته لأنه يبعد في النفس كالظن ثم يقوى
حتى يصير يقينا وملاقاة الله رؤيته ويقال معناه ملاقوا جزاء ربهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه
مقامه **قوله عز وجل** يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم
على العالمين أمر من الله تعالى لهم بتذكير النعمة وأما تكرار خطاب بني إسرائيل في القرآن بذكر النعمة
فعلى طريق التوكيد كما قلنا في قوله تعالى قلنا اهبطوا ويحتمل أن يكون المراد باللفظ الأول القوم الذين
كانوا في بني إسرائيل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالثاني آباء هؤلاء القوم وأسلافهم لأن الله تعالى
عطف على هذه الآية قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون وأراد به آباءهم وقوله تعالى فضلتكم أي بالكتب والرسل
على عالمي زمانكم قبل مبعث عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم والتفضيل زيادة أحد الشيئين على الآخر
بالخير **قوله عز وجل** واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا
يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون اخشوا عذاب يوم لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة ولا يقبل
منها شفاعة لنفس كافرة ولا يؤخذ منها عدل فدية ولا هم يمنعون من ما يراد بهم من العذاب ولا
والجزاء والمكافاة والمقابلة نظائر يقال جزا عني أي قضى عني وناب عني ومنه قولهم جزيت ديني
أي قضيت دينه والمجازي المتقاضي فأما أجزأني فمعناه كفاني روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا
البدنة تجزي عن سبعة بغير همز وروي تجزئ مهموزا والأصل في هذا كله الجزاء وهو مقابلة الإحسان بالإحسان
والشر بالشر وكان المراد بالآية يوم لا تقابل نفس المكروه بما يدرأ عنها وتقدير قوله تعالى لا تجزي
أي لا تجزي فيه وحذف حرف الظرف سائغ يقول أتيتك اليوم أي أتيتك في اليوم والشفاعة التماس خير
لغيره أو دفع مضرة عنه إذا كان درجة الشفيع عند المشفوع إليه أعظم من درجة المشفوع له والأصل
فيها الشفع الذي هو بمعنى الزوج فسميت الشفاعة شفاعة لأن الذي يأتي الشفيع قد شفع نفسه بغيره على
سبيل الاستعانة به على قضاء الحاجة يقال شفع إذا التمس قضاء الحاجة وشفعته إذا أجابه إلى
ملتمسه ومراده ويقال إنه مشفع أي معه ما يعينه على قضاء الحاجة وقد كانت اليهود يزعمون أن آباءهم
الأنبياء صلوات الله عليهم إبراهيم وإسحق ويعقوب يشفعون لهم عند الله فآيسهم الله من ذلك بهذه الآية
وقال الضحاك لا يتكلم في ذلك اليوم أحد عند انشقاق السماء وزفرة جهنم ونشر الكتب وسقوط الخلائق
على الركب حتى ينقضي ذلك الوقت ثم تجيء الرحمة وترجع الأفئدة والعقول فحينئذ تقوم الشفعاء ❊
دليله لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون من قرابائنا فلأن الشفاعة مونثة
ومن قرأ بالياء فلأن تأنيثه ليس بحقيقي كما في قوله عز وجل فمن جاءه موعظة من ربه والعدل الفدية
والفرق بين العدل والعدل أن العدل هو مثل الشيء من جنسه والعدل بدله فقد يكون من جنسه وقد يكون
من غير جنسه كما قال الله تعالى أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما والنصرة العون تقول العرب
نصر الغيث البلاد أي أعانها على الخصب وقال الخليل النصرة هي عون المظلوم **روي** عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما فمعنى نصرته مظلوما
أن تدفع الظلم عنه ومعنى نصرته ظالما أن تمنعه عن الظلم فتدفع بذلك الفعل العقاب عنه
قوله عز وجل وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم
ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم معطوف على الآية قبله وهي قوله تعالى

يابني

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واذكروا إذ نجيناكم من آل فرعون وإذ فرقنا بكم البحر
وإذ وعدنا موسى وإذ فعلنا وإذ فعلنا كل ذلك تعداد النعم عليهم احتجاجا وتذكيرا لتنبيه
الغافل وترك العالم المعاند العناد واللجاج خاطب الله تعالى بهذه الآية الأبناء وكانت
النجاة من فرعون لآبائهم فاعتد ذلك منة عليهم لأنهم نجوا بنجاة آبائهم ومآثر الآباء مفاخر الأبناء
ومعنى الآية والله أعلم خلصناكم من حرب فرعون وأتباعه وأهل دينه يولونكم ويكلفونكم شدة
العذاب يذبحون أبناءكم الصغار ويستبقون إناثكم الصغار والكبار للاستخدام وفي
إنجاء الله تعالى إياكم نعمة من ربكم عظيمة ويحتمل أن يكون قوله تعالى ذلكم منصرفا إلى الذبح والاستحياء
فيكون معنى البلاء الشدة والمحنة وأما الإنجاء فهو التخليص يقال نجاه وأنجاه إذا خلصه ويقال
للمكان المرتفع نجوة لأن الصائر إليه يتخلص من كثير من المضار ❊ والآل والأهل واحد إلا أن الآل
يستعمل في أتباع الرؤساء خاصة ❊ وفرعون اسم لملوك العمالقة كما يقال لملك الروم قيصر ولملك الفرس
كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تبع ❊ واسم فرعون الوليد بن مصعب ويقال مصعب بن
الريان ❊ والسوم الإيلاء يقال سمته فلانا سيمة حسنة أو سيئة إذا أوليته ذلك ❊ والسيما
العلامة ❊ والسوء جمع الآفات والأدواء ❊ والذبح فري الأوداج وأصله الشق ❊ فأما الذبح فللتكثير
والمبالغة والاستحياء الاستبقاء قال صلى الله عليه وسلم اقتلوا شيوخ الكفار واستحيوا شرخهم
أي استبقوا شبابهم وهم الذين يصلحون للخدمة ❊ وذهب بعضهم إلى أن معنى قوله يستحيون
من الحياء الذي هو الرحم فإن القوم كانوا ينظرون إلى فروج نساء بني إسرائيل ليعلموا هل
بهن حبل أم لا حتى إن من يكون بها الحبل لا تمكن كتمانه ❊ وأصل البلاء من الابتلاء وهو الاختبار
والاختبار تارة يكون بالنعم وتارة بالشدة والدليل على أن البلاء يذكر ويراد به النعمة قوله تعالى
وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا قال الأحنف بن قيس البلاء ثم الثناء أي الإنعام ثم الشكر
وقال زهير ❊ جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم ❊ فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو ❊ أي أعطى
وأراد به النعمة **وسبب** قتل فرعون أبناء بني إسرائيل ما روي أنه رأى في المنام كأن نارا
أقبلت من بيت المقدس فأهلكت مصر وأحرقت القبط ولم تمس بني إسرائيل فلما أصبح هاله ذلك
فجمع السحرة والكهنة والعرافين فسألهم عن ذلك فقالوا إنه يكون من البلد الذي منه
هؤلاء القوم من يخرب ملكك على يده فأمر فرعون بأن يذبح كل ابن يولد من بني إسرائيل
أراد بذلك أن يخرج من قضاء الله فلم ينفعه **قوله عز وجل** وإذ فرقنا بكم البحر
فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون معطوف على إذ التي قبلها ومعنى الآية والله أعلم
فرقنا بكم البحر يمينا وشمالا وذلك حين خرج موسى عليه السلام مع بني إسرائيل إلى البحر فأوحى الله
تعالى إلى موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فذلك قوله تعالى وإذ فرقنا بكم
البحر فأنجيناكم خلصناكم من الغرق وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون إليهم حين غرقوا وهذا أعظم
النعمة وأوضح الحجة لأنهم شاهدوا ما صنع الله بهم وبعدوهم وقيل معنى تنظرون أي تعلمون
ذلك كأنكم كنتم تنظرون وهذا مثل قولهم دور آل فلان تنظر إلى دور آل فلان أي هي بإزائها لأن
الدور يعلم أنها لا تبصر وقد روي في الخبر أن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام أن يدعو ربه
ليريهم إياه فسأل موسى عليه السلام ربه فلفظهم البحر فنظروا إليهم وإلى فرعون فعرفوه ❊
ولم يقبل البحر بعد ذلك غريقا إلا لفظه والفرق الفصل بين الشيئين إذا كان بينهما فرجة وسمي البحر
بحرا لاتساعه وانبساطه يقال فلان بحر في العلم وفلان يتبحر في المال إذا كثر علمه أو ماله والغرق
هو الرسوب في الماء والنظر هو الإقبال إلى الشيء بكل وجهه ولهذا يسمى الإقبال إلى الشيء بكل وجه

ولهذا يسمى الاقبال بالوجه على الشي نظرا وسمى الفكر نظر القلب لما فيه من الاقبال على التفكر فيه بالقلب ويسمى الاحسان نظرا لما فيه من الاقبال على من احسن اليه وقيل ان النظر هو التحديق بالبصر نحو الشي التماسا لرويته كما قال الله تعالى في شان الاصنام وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون لان احدا فهم كانت اله بالصورة **فان قيل** لم لم يعط الله تعالى كل نبي عليه السلام وكل امة مثل هذه الايات العظام من فرق البحر ونحو ذلك **قيل** ان الله تعالى انما اعطى الايات والاعلام على حسب ما يرى للخلق من المصلحة في ذلك وكان في قوم موسى عليه السلام من البلادة ورداة الفهم ما كان لا يمكنهم الاستدلال على نبوة موسى بالايات الخفية الا ترى انهم بعد ما عبروا البحر مروا على قوم كانوا يعبدون الاصنام فقالوا لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة ٥ واما العرب وامتنا نحن فهم من جودة القريحة والذكا بحيث يمكنهم الاستدلال بالايات الخفية فلم يحتاجوا في الاستدلال على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مشاهدة فلق البحر ونحو ذلك والله اعلم ٥

قوله عز وجل وَاِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى اَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَنْتُمْ ظَالِمُوْنَ معناه اى اذكروا اذ اخبر الله تعالى موسى عليه السلام ان يوتيه الالواح فيها التورية على راس ثلثين يوما من ذى القعدة وامره ان يصومها فصامها فوجد من فيه خلوفا فاستاك فامره الله تعالى بصوم عشر اخرى من اول ذى الحجة كما قال الله تعالى في اية اخرى وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فقال السامرى في الايام العشرة يا بنى اسرايل قد تمت الثلثون ولم يرجع الينا موسى وانكم قد استعرتم من نسا قوم فرعون حليهن حين سار بكم من ارض مصر فلما لم تردوا عليهن حليهن لم يرد الله علينا موسى فهاتوا ما معكم من حليهن حتى نحرق فلعل الله تعالى يرد علينا موسى فجمعوا الحلي وكان السامرى صايغا فاتخذ من ذلك عجلا ونفخ فيه التراب الذى كان اخذه من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام وكان ذلك الفرس فرس الحيوة ما وضع حافره على موضع الا اخضر فصار العجل جسدا له خوار فعبدوه فذلك قوله ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون يقول ضارون انفسكم بعبادة العجل قال ابن عباس صار عجلا جسدا لحما ودما وشعرا **ويقال** ان سبب الفتنة وعد الله تعالى موسى اربعين فاخبرهم فلما مضت عشرون يوما من الميعاد قالوا قد تمت اربعون عنوا به الايام والليالى فامرهم السامرى بجمع الحلي فاتخذ لهم العجل **فان قيل** كيف يجوز ان يقضى الله من الذهب عجلا جسدا له خوار على يدى رجل يريد اغوا الناس واضلالهم عن دين الله تعالى انما يفعل الله مثل هذه الاشيا معجزة للانبيا صلوات الله عليهم فلو جاز مثل هذا على يد غيرهم لبطلت المعجزات **قلنا لا يمتنع** ان يكون الله تعالى اجرى في التراب الماخوذ من حافر فرس جبريل عليه السلام انه اذا القى على شي صار ذلك الشي حيوانا فلم يكن هذا الفعل على وجه نقض العادة حتى يكون شبه المعجزة **وذهب** بعضهم الى ان السامرى كان حين صاغ لهم العجل جعل فيه خروقا فكانت الريح تقع في تلك الخروق فيسمع لها مثل الخوار فكان يوهمهم ان ذلك الصوت خوار ٥ وفي الجملة ان الله تعالى ركب فيهم من العقل ما لو تفكروا لعلموا ان العجل لا يصلح ان يكون الها فاستدلوا على كذب المدعى فلم يكن الموضع موضع الاشتباه ٥ والمواعدة مفاعلة من وعد يعد والوعد هو الخبر عن خير يناله المخبر في المستقبل او شر ينزل به الا انه غلب استعمال الوعيد في الشر والوعد في الخير **قال الشاعر** ٥

واني اذا اوعدته او وعدته ٥ لمخلف ايعادى ومنجز موعدى ٥

من قرا وعدنا بغير الف فلان الله تعالى هو المنفرد بالوعد والوعيد ومن قرا بالالف فلفظ المفاعلة يستعمل بين الاثنين والوجه في ذلك ان الوعد من الله تعالى خبر ومن موسى عليه السلام قبول واتباع يجرى مجرى المواعدة وقد تكون المفاعلة من واحد كما يقال سافر ونافق واسم موسى

عليه السلام

موسى عليه السلام في لغة القبط موشى لان مو ما وشا شجر سمى بهذا الاسم لوجوده في التابوت بين الما والشجر ٥ والعجل والعجول ولد البقرة وفي الاية تعجيب من فعلهم اذ كانوا في مقدار هذه المدة اليسيرة اتخذوا العجل الها لغيبة موسى عليه السلام عنهم ثم من الله تعالى عليهم بالعفو كما قال جل ذكره ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون تقول تركنا كم من بعد عبادتكم العجل فلم نستاصلكم لكي تشكروا الله تعالى على العفو والنعمة والعفو في اللغة المحو ومنه يقال عفا الاثر وعفته الريح كما قال الشاعر عفت الديار محلها فمقامها ٥ فكل من استحقت عليه عقابا فتركته فقد عفوته والشكر هو عرفان النعمة ويقال هو الاعتراف بالنعمة باظهارها **قوله عز وجل** وَاِذْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ معناه اى اعطينا موسى عليه السلام التورية وما يفرق به بين الحق والباطل من الايات لكي تهتدوا بما في التورية من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ويجوز ان يكون الفرقان هو الكتاب بعينه الا انه اعيد ذكره ليبين انه يفرق بين الحق والباطل ٥ وقد سمى الله تعالى التورية فرقانا في موضع اخر كما قال الله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وسمى الله تعالى نصر المومنين يوم بدر على الكفار فرقانا بقوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان اراد به يوم بدر وفي هذه الايات كلها دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه الاقاصيص لم تكن من علوم العرب ولا كان النبي صلى الله عليه وسلم قرا كتبهم فلم يكن يعلم الا من طريق الوحي **قوله عز وجل** وَاِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوْبُوا اِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ اى اذكروا حين قال موسى عليه السلام لقومه بعد ما رجع من الجبل واعطاه الله التورية يا قوم انكم اضررتم بانفسكم بعبادتكم العجل فارجعوا الى خالقكم وليقتل بعضكم بعضا اى الذين لم يعبدوا العجل الذين عبدوه كما قال الله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وقال الله عز وجل فسلموا على انفسكم ويقال فاقتلوا انفسكم اى استسلموا للقتل ذلكم يعنى التوبة والقتل خير لكم من ايثار الحيوة الدنيا لان حيوة الدنيا تفنى ولا تبقى فاذا اثرتم الحيوة الدنيا حصلتم بعد الحيوة الدنيا على عقاب دايم لا ينقطع واذا اسلمتم انفسكم كما امرتم انقضت شدة القتل عنكم عن سرعة ثم تحصلون بعد ذلك على نعيم دايم لا يفنى ولا يبيد وفي قوله تعالى فتاب عليكم اختصار كانه قال تعالى ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم تجاوز عنكم حين جعل القتل كفارة لذنوبكم ورفع القتل عن من بقى منكم فلم يستاصلكم انه هو المتجاوز عن ذنوب العباد الرحيم بالتايبين **روى** في الخبر ان موسى عليه السلام لما خاطبهم بما ذكر الله في هذه الاية قالوا قد فعلنا يا موسى فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل وليرضون بالقضا قالوا نعم فاصبحوا من الغد بافنية بيوتهم كل سبط على حدة فاتاهم هرون عليه السلام والاثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل بايديهم السيوف فقتلوا من لقوا وكان هرون عليه السلام يتقدم الى القوم وهم جلوس بافنية بيوتهم يقول هولا اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاتقوا الله تعالى واصبروا فلعن الله رجلا حل حبوته او قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيده او رجله فيقولون امين فجعلوا يقتلونهم الى المسا وقام موسى عليه السلام يدعو ربه لما شق عليه من كثرة الدما وشدة الاصوات حتى نزلت التوبة فقيل لموسى عليه السلام ارفع السيف فانى قد قبلت توبتهم جميعا من قتل منهم ومن لم يقتل وجعلت ذلك القتل لهم شهادة وغفرت لمن بقى منهم فكان القتلى سبعين الفا والقاتلون اثنا عشر الفا **فان قيل** كيف يحسن ان يتعبدهم الله تعالى بقتل انفسهم **قلنا** لا ينكر احد حسن التعبد بالقتل الا التنوية واذا جاز ان يمتحنهم الله تعالى بالامراض والاسقام جاز ان يمتحنهم بقتل انفسهم كما ابتلى الله تعالى

ابرهيم عليه السلام بذبح ولده ثم فداه عليه السلام بذبح عظيم وقال عز من قايل ان هذا لهو البلا المبين وكان السبب في امر بني اسرايل بقتلهم انفسهم والله اعلم انه كان في القوم من عرف بطلان عبادة العجل الا انهم لم ينهوا الاخرين عن عبادة العجل لخشية وقوع القتل فيما بينهم فابتلاهم الله تعالى بما تركوا النهي عن المنكر لاجله **قوله عز وجل** واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون نزلت في سبعين رجلا اختارهم موسى عليه السلام لميقات الله عز وجل كما قال الله تعالى في سورة الاعراف واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا روي انه عليه السلام لما انتهى بهم الى الجبل امرهم ان يمكثوا في اسفل الجبل وصعد هو فاعطاه الله تعالى فيها الالواح فيها التورية فلما رجع اليهم قالوا لن نصدقك حتى نرى الله جهرة عيانا وعلانية فاخذتهم الصاعقة نزلت نار من السما فاحرقتهم ويقال سمعوا صوتا فماتوا وانتم تنظرون الى اسباب الموت والرويه جهرة هي الروية على وجه لا يكون بين الراي والمرى ساتر ولا حجاب يقال فلان مجاهر بالمعاصي اذا كان لا يستتر بها والصاعقة في اللغة اسم لما يصعقون منه اي يهلكون ويفزعون وهي في هذه الاية عذاب مهلك **قوله عز وجل** ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون يقول احييناكم من بعد هلاككم لكي تشكروا الحيوة بعد الموت والبعث في اللغة اثارة الشي عن محله يقال بعثت البعير وبعثت النايم فانبعث فان قيل كيف يجوز ان يقبل التوبة بعد الموت ولو جاز ذلك لجاز قبول التوبة يوم القيمة وما انكرتم على من قال بالرجعة في دار الدنيا قيل البعث بعد الموت في دار المحنة كالانتباه من النوم والافاقة من الجنون والغشي لان الله تعالى ردهم الى التكليف في دار الدنيا ولا بد لذلك من غاية يقع عندها الثواب والعقاب وعلمنا ان تلك الغاية هي يوم القيمة ولو قبل التوبة يوم القيمة كانت تلك الدار دار المحنة لم يكن بد من دار اخرى تكون غاية لدار المحنة فاما الرجعة الى دار الدنيا فانما انكرناها في الخلق كلهم من قبل ان منها علاما للراجع انه يرجع وهذا لا يجوز لان فيه اغرا بارتكاب الذنوب وفيه الاعتماد على وقت الرجعة لتكون التوبة فيه **قوله عز وجل** وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون معناه سترنا عنكم الشمس بالسحاب الابيض الرقيق كان يقيهم حر الشمس في التيه وكان يدلى لهم بالليل عمود من السما من نور فيسير معهم بالليل حيث ساروا مكان القمر وانزل الله تعالى عليهم المن وهو الترنجبين ويقال الرنجبين ويقال هو شي حلو كان يسقط على الشجر كالشهد المعجون بالسمن كان الرجل منهم ياخذ كل غداة صاعا يكفيه يومه وليلته فاذا اخذ اكثر من ذلك دود وفسد فاذا كان يوم الجمعة اخذ كل انسان منهم صاعين فانه لم يكن ياتيهم يوم السبت فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا لحما فدعا عليه السلام فانزل الله تعالى عليهم السلوى طيرا كبيرا كهيئة السماني كلوا من طيبات ما رزقناكم اي قيل لهم كلوا من حلال ما رزقناكم وهذا على طريق الاضمار كما قال الله تعالى والذين اتخذوا من دونه اوليا ما نعبدهم الا ليقربونا اي قالوا ما نعبدهم وقال عز من قايل فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم اي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله عز وجل وما ظلمونا ايجاز واختصار المعنى ما ظلمونا بمخالفتهم امرنا وذلك انهم امروا ان لا يرفعوا من السلوى شيا لغد فرفعوا منه مخافة ان ينفد فذهب عنهم ذلك فذلك قوله تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث رفعوا حتى منع عنهم وهذا كله كان في التيه حين تابوا على موسى عليه السلام دخول مدينة الجبارين فحرم الله تعالى عليهم تلك المدينة اربعين سنة يتيهون في الارض والتظليل في اللغة

هو الستر من العلو والغمام السحاب سمي السحاب بهذا الاسم لانه يستر السما قال الله عز وجل ثم لا يكن امركم عليكم غمة يقول امرا مستورا وسمي السحاب سحابا لانه ينسحب في الجو اي يجري فيه وحقيقة المن ما يمن الله تعالى به على عباده من غير نصب ولا تعب والسلوى جمع لا واحد له وذكر الخليل ان واحده سلواة والطيب ما يستطيبه الانسان وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرايل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حوا لم تخن امراة زوجها **قوله عز وجل** واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شيتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين معناه وقد قلنا لبني اسرايل بعد انقضا اربعين سنة من اول مكثهم في التيه على لسان يوشع بن نون عليه السلام بعد موت موسى وهرون عليهما السلام ادخلوا هذه القرية يعني مدينة اريحا بقرب بيت المقدس فكلوا منها رغدا كثيرا واسعا بلا حساب ولا عنا وادخلوا باب المدينة ويقال باب مسجد ايليا وهو مسجد بيت المقدس ركعا منحنين متواضعين وقولوا حطة اي قولوا مسالتنا حطة قال ابن عباس امروا ان يستغفروا ربهم وعن عكرمة انه قال امروا ان يقولوا لا اله الا الله ويقال معناه قولوا ان ما قيل لنا حق وهذه الكلمات كلها تحط الذنب فصح ان يترجم بحطة نغفر لكم خطاياكم ذنوبكم وسنزيد الذين لا ذنب لهم احسانا يقول زيادة ثواب على اعمالهم من تفضل عليهم بما لم يستحقوه كما قال الله عز وجل ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ويقال سنزيد المحسنين الاحسان على ما سلف منا لاحسان من انزال المن والسلوى وتظليل الغمام والعرب تسمي البلد قرية لان القرية انما سميت قرية لاجتماع الناس فيها والحط هو وضع الشي من الظهر او الدابة ومن قرا حطة بالنصب فالمعنى حط عنا ذنوبنا حطة والغفر الستر اصله من المغفر سمي به لانه يستر الراس وقرى تغفر لكم باليا والتا على فعل ما لم يسم فاعله الا ان النون اليق بما تقدم من اللفظ لان ابتدا الاية واذ قلنا ادخلوا واما الخطايا فهي جمع خطيه وقرى خطيئاتكم **قوله عز وجل** فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون معناه خالف الذين عصوا وكفروا ما امرهم الله تعالى به ان يقولوه فقالوا اطه سمقاثا اي حنطه حمرا بلغتهم قالوا هذا القول استهزا وتبديلا مكان القول الذي امروا به وهو ما قال الله عز وجل وقولوا حطة وقال الحسن رضي الله عنه امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة امروا ان يدخلوا الباب ركعا فدخلوا زحفا ويقال متحرفين خالفوا في الدخول كما خالفوا في القول فانزل الله تعالى عليهم رجزا عذابا قيل انه الطاعون قال الكلبي اخذهم موتان وهو نوع من الطاعون فمات منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة ويقال هلك منهم سبعون الف فجاة وقيل نزلت بهم نار فاحرقتهم لتبديلهم ما امروا به **قوله عز وجل** واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين معناه استدعى موسى عليه السلام ان يسقي قومه حين استغاثوا به وقت ما اصابهم من العطش حال نزولهم في الارض القفرة بعد غرق فرعون فقلنا اضرب بعصاك الحجر قال ابن عباس رضي الله عنهما امره الله تعالى ان ياخذ حجرا خفيفا مثل راس الانسان فيضربه بعصاه فضرب فانفجر منه اثنتا عشرة عينا لاثني عشر سبطا لكل سبط منهم عين يشربون منها لا تخالطهم فيها غيرهم وذلك للعصبية التي كانت بين الاسباط قد علم كل سبط موضع شربهم كانوا اذا ارتحلوا استمسك الحجر فحملوه واذا نزلوا وضعوه فانفجر كلوا واشربوا من رزق الله اي قيل لهم كلوا واشربوا ولا تسعوا الى الفساد في الارض عاصين والاستسقا طلب السقي كما يقال استنصر اي سال النصرة والانفجار الانشقاق وسمي الفجر فجرا لانه ينشق من الظلمة

وسمى الفاسق فاجرا لانه يشق عصا المسلمين واما قوله تعالى فى اية اخرى فانبجست منه اثنتا عشرة عينا
الانبجاس فى اللغة اول ما يتقاطر من الما وينشق والانبجاس اقل من الانفجار و قريت عشرة بتسكين
الشين وكسرها وكلاهما لغتان وعينا نصب على التمييز والعثو والعيث اشد الفساد وانما جمع والله
اعلم فى لانه بين لفظ العثى والفساد وان كان معناهما واحدا على جهة التوكيد كما يقال كذب وزور
وظلم وجور واختلف اهل التفسير فى الحجر الذى ذكره الله تعالى فى هذه الاية قال بعضهم كان الله تعالى
امر موسى عليه السلام بان ياخذ هذه الحجر من سفل البحر حين مر به مع قومه وقال بعضهم انه كان من
الجنة ويقال كان حجرا من احجار الارض جعله الله تعالى معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا يستنكر
من يحدث الحجر ان يحدث الله تعالى فيه ما شا كما شا وكيف شا والله اعلم قوله عز وجل

وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ اَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ اَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اِهْبِطُوا مِصْرًا فَاِنَّ لَكُمْ مَا سَاَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ

قال اهل التفسير وذلك انه لما طالت المدة على بنى اسرائيل
فى التيه واجموا ما كانوا فيه من النعمة والخير عادوا فى المسلة لموسى عليه السلام فقالوا لن
نستطيع ان نصبر على طعام واحد عنوا به المن والسلوى سموهما طعاما واحدا لان غذاهم كان
فى كل يوم على صفة واحدة وهذا كالرجل يقول طعامى فى كل يوم واحد وان كان يتناول فى كل يوم
الوانا من الاطعمة ويريد بالواحد اذا احبس نفسه على الوان منها معلومة وقال بعضهم ارادوا
بالطعام الواحد المن خاصة فان السلوى كان قد ذهب عنهم ويجوز ان يكون عنوا بالواحد
طعام السما اى كل ما نطعم ينزل من السما ولا نطعم ما ينبت من الارض فادع لنا ربك اى سل لاجلنا خالقك
يخرج لنا مما تنبت الارض اى من نباتها ثم بينوا اجناسا فقالوا من بقلها واراد وا به البقول
كلها وقثايها واراد وا جميع ما يخرج من القا البزر من البطيخ ونحو ذلك ويقال القثا نوع من
الخيار واحدة قثاة وفومها ارادوا به الحنطة والخبز ويقال لساير الحبوب التى تختبز الفوم
ابدلت الثا بالفا كما قالوا للقبر جدث وجدف قال لهم موسى عليه السلام اتستبدلون الذى
هو ادنى اى اوضع واخس فى المقدار بالذى هو اشرف وهو المن والسلوى اهبطوا مصرا قال
ابن عباس اراد به مصر فرعون الذى خرجوا منه فكرهوا ذلك ويقال هذا خطاب من الله تعالى على
لسان يوشع بن نون فامرهم بنزول قرية اريحا وقت خروجهم من التيه فان لكم ما سالتم
من البقول والقثا وعند ذلك ثم قطع الله تعالى السوال والجواب فى هذه الاية بكلام من عنده فقال
عز من قايل وضربت عليهم الذلة والمسكنة اى وضعت والزمت وابتت عليهم الذلة وهى الجزية
على وجه الصغار والمسكنة اى الفقر يرى كل رجل من اليهود عليه زى الفقر وان كان غنيا وقد يرى
المكثر المثرى منه الفقر مخافة ان يضاعف عليه الجزية ويقال المسكنة فقر القلوب يقول النبى
صلى الله عليه وسلم الغنى غنى القلب وباوا بغضب من الله اى رجعوا بغضب من الله تعالى
بصنيعهم ذلك بانهم كانوا يجحدون بدلايل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون
النبيين بغير الحق بلا جرم منهم قتلوا زكريا ويحيى وغيرهما من الانبيا صلوات الله عليهم
ذكر الكلبى رحمه الله انهم قتلوا فى يوم واحد ثلثماية نبى عليهم السلام وقام سوق بقلهم فى اخر
النهار • ذلك الغضب والذل والمسكنة بما عصوا الله تعالى فى السبت وغيره وما كانوا يتجاوزون
الحدود وبركوبهم المعاصى • والدعا فى اللغة هو الطلب ممن يملك الضر والنفع ويقال الدعا الندا
وسمى الطلب من الله تعالى دعا لانه يدخل فيه حرف الندا تقول يا رب ويا الله ويا رحمن وقوله

تعالى

راد الانفجار حين السيلان وكان الانبجاس اول التقصد والانفجار في اخرها

ويقول الرجل الجار بيته فومى لنا اى اختبزي وقيل ان الفوم هو الثوم

منهم

استغفره

21

تعالى نخرج جزم على نية الجزا لان فعل الله تعالى لا يكون جوابا لمسله موسى عليه السلام ومعناه
ادع لنا ربك فانك ان دعوته يخرج والبقل هو العشب الذى تخرجه الارض بالربيع وانما
خص بالربيع بذلك لان الارض انما تخرج ذلك بالربيع فى الغالب وقوله تعالى ادنى قرا بالهمز
وغير الهمز فمن قرا بالهمز فاصله من الدناة وهى الخسة ومن قرا بغير الهمز فيجوز انه ترك الهمز
للتخفيف ويجوز ان يكون معناه بغير الهمز اقرب من الدنو اى اقل قيمة يقال ثوب مقارب اى قليل
القيمة ويقال هو ادون وقد مد من الدون وحولت الوا والفا كقولهم اولى من الويل وقوله تعالى
مصرا يقرا بالالف وبغير الالف فمن قرا بالالف اراد مصرا من الامصار اى مصر كان ومن قرا بغير الالف
عنى به مصرا بعينه فلم يصرفه لانه اجتمع فيه المعرفة والتانيث من حيث انه اراد به البقعة واذا
اجتمعت فيه العلتان لم يصرفه واذا زالت احدى العلتين صرف واصل المصر القطع يقال مصرت الشى اذا
قطعته وقيل اصله الفصل وسمى المصر مصرا لانه فصل عن غيره بالابنية • والذلة والذل والمذلة الصغار
واصل الجميع هو السهولة الا ان الذل هو السهولة عن قهر والذلة هى السهولة عن قسر محبة والمسكنة
مفعلة من السكون والمسكين الذى اسكنه الفقر اى قلل حركته واصل باؤا رجعوا [illegible] قال الله تعالى
ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوا صدق اى احللناهم ويقال فلان بوا فلان [illegible] اصله
من بواء سوا كما روى عن عبادة بن الصامت انه قال جعل الله تعالى غنايم بدر [illegible] لنبيه صلى الله عليه
وسلم خاصة فقسمها بينهم عن بواء اى سوى بينهم فى القسم فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى
وباوا بغضب من الله اى استووا فى الغضب من الله تعالى • والنبى اصله الهمز من النباء وهو الخبر
هكذا قرا بعضهم ومن ترك الهمز اثر التخفيف لكثرة الاستعمال ويجوز ان يكون ماخوذا من نبا ينبو
اذا ارتفع والنبوة الرفعة كالنشزة من الارض وترك الهمز اجود على ما روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه لما قيل له يا نبئ الله قال لست بنبئ الله ولكنى نبى الله تعالى • وقتل الانبيا صلوات
الله عليهم لم يكن حدلانا لهم وانما اراد الله تعالى ان يبلغ الانبيا عليهم السلام درجة رفيعة
لا يوصل اليها الا بالقتل فان قيل فى الاية اثبات الغضب والذلة لليهود الذين كانوا فى زمن
النبى صلى الله عليه وسلم ومن يكون منهم الى يوم القيمة وهم لم يقتلوا الانبيا عليهم السلام
وانما قتل اباوهم فكيف يكون معنى قوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير الحق قلنا هولا اليهود يتولون اباهم الذين قتلوا الانبيا عليهم السلام
وقد قصدوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم فكانهم هم الذين قتلوا الانبيا عليهم السلام وقد
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لليهود الستم تتولون الذين قتلوا الانبيا
بغير الحق فقالوا اما قتل اباونا الانبيا الزور قوله عز وجل

اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

اخبر الله تعالى فى هذه الاية بعد قوله تعالى وضربت عليهم الذلة
والمسكنة وباوا بغضب من الله اى من امن منهم ومن غيرهم من النصارى والصابيين وعمل
صالحا فله اجره عند ربه ولا يواخذ بمتقدم فعله ولا بفعل ابايه وسلفه قال ابن عباس معنى
الاية ان الذين امنوا بموسى عليه السلام والتورية ولم يتسموا باليهودية والذين امنوا بعيسى عليه
السلام والانجيل ولم يتسموا بالنصرانية والذين تسموا باليهودية او النصرانية والصابيين من امن منهم
فلهم اجرهم وقال القتيبى معنى الاية ان الذين امنوا بالسنتهم ولم تومن قلوبهم كانه قال ان الذين
نافقوا والذين هادوا ويقال معنى قوله تعالى من امن بالله الثبات على الايمان من المومنين فى
مستقبل عمرهم كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ومعناه اثبتوا والايمان فى اليهود

والنصارى والصابين ويقال ان قوله تعالى من امن راجع الى الذين هادوا ومن بعدهم كانه قال
ان الذين امنوا ومن امن من الذين هادوا والنصارى والصابين والصابون فرقة من النصارى
البين قولا منهم يحلقون اوساط روسهم قال ابو حنيفة رحمه الله هم من اهل الكتاب تحل مناكحتهم
وذبائحهم انما هم يعظمون الكواكب السبعة ولا يعبدونها وقال ابو يوسف ومحمد ليسوا من اهل الكتاب
ولا تحل للمسلمين ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم لانهم يعبدون الكواكب السبعة ويقولون انها
مدبرات وان الله تعالى جعل تدبير العالم اليها وعابد الكواكب كعابد الوثن وفي الحقيقة لا خلاف
بين ابي حنيفة وصاحبيه وانما اختلفوا لاشتباه حالهم والله اعلم قوله تعالى بالله واليوم الاخر
اي صدق بالله تعالى وبيوم البعث ولا يكون الايمان بالله تعالى الا بالايمان بانبياء الله صلوات الله
عليهم وكتبه ورسله وكانه قال من امن بالله تعالى وبجميع ما انزل الله تعالى وعمل الطاعات المفروضات
فلهم جزاء اعمالهم عند ربهم ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من امر الاخرة ولا هم يحزنون على ما
خلفوا من الدنيا ومعنى هادوا اي صاروا يهودا يقال هاد يهود هودا اذا صار يهوديا وقد
اختلفوا في اشتقاق هذا اللفظ قيل انه مشتق من الهود الذي هو التوبة كما قال الله تعالى انا هدنا
اليك اي تبنا اليك وقيل ان اشتقاقه مما قيل يقال هاد اذا مال عن الطريق وقد قيل انهم سموا يهودا
على طريق النسبة الى اكبر اولاد يعقوب عليه السلام وهو يهوذا الا ان العرب اذا عربت اسما غيرت
بعض حروفها والنصارى لفظ جمع اختلفوا في واحده قيل واحده نصران كما يقال سكران
وسكارى وندمان وندامى وقيل نصري مثل بعير مهري وابل مهاري وزيدت في النصراني يا
النسبة كقولهم لذي اللحية لحياني ولعظيم الرقبة رقباني واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم قيل انهم
سموا نصارى لان اصلهم من قرية يقال لها ناصرة كان ينزلها عيسى عليه السلام وامه رضي الله
عنها وقيل سموا نصارى لنصرهم عيسى عليه السلام حين قال من انصاري الى الله وقيل لتناصرهم واما
الصابون فهو اسم مشتق من صبا اذا خرج من دين الى دين وصبا ناب البعير اذا طلع وصبات النجوم
اذا طلعت كما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل المسجد في اول اسلامه وكان في المسجد اهل مكة
فقالوا صبات يا عمر فقال لم اصبا ولكني اسلمت ومن قال الصابين بغير الهمز فيجوز انه ترك الهمز للتخفيف
ويجوز ان يكون من صبا يصبو اذا مال كما قال الله تعالى اصب اليهن اي امل اليهن وذكر اخر الاية بلفظ الجمع
لان اصل من لفظ الوحدان ومعناه معنى الجمع فجمع على المعنى فان قيل اذا كان المومن عاملا
لنفسه فما معنى اعطاء الاجر قيل لما حمل على نفسه المشقة وحرمها ما نازعته اليه من الشهوة فاجره في
الاخرة عوض ما فاته من اللذات في الدنيا **قوله عز وجل** وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ عطف على ما تقدم من
الايات التي هي خطاب لبني اسرائيل انما كان قوله وباءوا بغضب من الله معترضا في خلال الكلام ومعنى هذه الاية
والله اعلم واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم على العبادة واقامة الطاعات بفطرة العقول وبعثة الانبيا
صلوات الله عليهم فقبلتموه واقررتم به ثم اعرضتم من بعد ذلك قال ابن عباس هما ميثاقان فالاول حين
اخرجهم من صلب ادم عليه السلام كالذر كما قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم
والثاني هو الميثاق الذي اخذ عليهم في التورية وساير الكتب كما قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة والمراد به في هذه الاية الميثاق الثاني فانهم لا يذكرون الاول قال مجاهد وقتادة
الطور الجبل اي جبل كان وقال ابن عباس هو من الجبال ما انبت خاصة ومعنى خذوا ما اتيناكم اي اعملوا
به بجد ومواظبة في طاعة الله تعالى واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب يسهل عليكم القبول فتتقوا المعاصي
قال الكلبي وذلك انه لما اتاهم موسى عليه السلام بالتورية فراوا ما فيها من التغليظ كبر ذلك عليهم

فابوا

مرا منهم

الجزء الاية

فابوا ان يقبلوا فامر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على روسهم مثل الظلة وكان
العسكر فرسخا في فرسخ والجبل مثل ذلك فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان قل لهم اقبلوا
التورية بما فيها والا رميتهم بهذا الجبل فرضختهم به فلما راوا ان لا مهرب لهم قبلوا التورية وما
فيها وسجدوا من المهابة والفزع وجعلوا وهم سجود يلاحظون الجبل مخافة ان يقع عليهم قال ابن
عباس فمن اجل ذلك سجد اليهود على انصاف وجوههم ومن هذا قيل ان من ما من الله تعالى على هذه
الامة ان فرض عليهم الفرايض واحدة بعد واحدة مما شقت الواحدة في قلوبهم فرض عليهم الاخرى
كيلا يشق عليهم **قوله عز وجل** ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ
مِنَ الْخَاسِرِينَ يقول اعرضتم من بعد اخذ الميثاق فلولا من الله تعالى عليكم ورحمته بتاخير العذاب عنكم
لكنتم من الخاسرين في العقوبة قال ابو العالية فضل الله عز وجل الايمان ورحمته القران فاما التولي
عن الشيء فهو تركه وهجره وصرف الوجه عنه وتولي الشيء هو الحصول في اقرب المراتب منه **قوله عز
وجل** وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ المعنى والله اعلم
عرفتم الذين جاوزوا الحد الذي حد لهم في الاصطياد في يوم السبت فصيرناهم قردة خاسئين مبعدين
عن رحمة الله تعالى وذلك ان مدينة يقال لها ايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام كانت مسكن بني
اسرائيل وكانوا امروا ان لا يصيدوا في يوم السبت وكانت الحيتان تجتمع فيه لامنها في ذلك اليوم فاذا ذهب
السبت لا تاتيهم كذلك فحظروا عشية الجمعة حيث يدخل السمك حظيرة حبسوا السمك فيها يوم السبت
واخذوا منها ليلة الاحد ويوم الاحد والواحد لا يصطاد يوم السبت فمسخهم الله قردة فمكثوا كذلك ثلثة
ايام ثم اهلكوا كما قال الله تعالى واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى اخر القصة **روي**
عن ابن مسعود انهم لم يلدوا بعد ما مسخوا قال وكذلك الممسوخ لا يكون له نسل ولا ذرية
وقال ابن عباس كانوا رجالا ونساء فمسخهم الله تعالى الذكر ذكرا والانثى انثى وكانوا ينعقون
وكانت تسيل دموعهم ولم ياكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله تعالى فجاءت ريح فهبت
بهم والقتهم في الماء وما مسخ الله تعالى امة الا اهلكها **وحكي عن مجاهد** انه قال لم تمسخ صورهم
وانما مسخ قلوبهم وعامة المسلمين على خلافه قال الله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وليس
تحويل الصور اعظم من انشاء العنصر فمن امن بابتداع الجواهر والاجرام ماذا عليه ان يومن بانقلاب
الصورة واما قول الله تعالى فقلنا لهم كونوا فامر تحويل من صورة الى صورة ويجوز ان يكون ذلك بكلام
سمعوه والسبت يوم من ايام الجمعة سمي سبتا لان الله تعالى خلق الاشياء قبله ولم يخلق فيه شيئا
فشبه بيوم الفراغ للناس ولا يجوز ان يكون يوم الفراغ لله تعالى اذ الفراغ والشغل لا يجوز ان على الله
تعالى انما يجوز على من يفعل الفعل بالة وتشغل الته ببعض الاعمال ويمنعها عن بعض الاعمال وقيل سمي سبتا
لان الله تعالى لما خلق السموات والارض ابتدا في الاثنين على نفسه
لاثبات الخلق فيه لكلام الله تعالى وذلك انه لما خلق الله تعالى السموات والارض ابتدا في الاثنين على نفسه
فاطرق كل شيء من خلقه من العرش الى الثرى والقردة جمع القرد والخسوء الطرد والابعاد يقال
خسات الكلب خسا اي ابعدته فبعد **قوله عز وجل** فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا
وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ اي جعلنا المسخة ويقال العقوبة وهي ما حل بالقوم من التشويه وتغيير الخلقة
ويقال القرية ويقال القردة نكالا للامم التي تراها والامم الذين يكونون بعدها وموعظة
للذين يتقون الشرك والكباير والفواحش فيلزمون ما هم عليه من التقوى والنكال الفضيحة
الشاهرة من العقوبة اصله المنع يسمى العقاب الزجور عن الفعل نكالا ويسمى الامتناع عن القسم
نكولا وبين يدي الشيء امامه وخلف الشيء وراءه ويقال معنى ما بين يديها اي من عقوبة
الاخرة وما خلفها من فضيحتهم في دنياهم فيذكرون بها الى قيام الساعة وعن ابن عباس ان معنا

صاعرين ج

لما قبل تلك القرية من القرى ولما بعدها من القرى والموعظة الزجر عن ما يدعو هوى النفس اليه اى ينفر عنه العقل وقيل هي بيان سوء العاقبة وهذه الايات كلها احتجاج من الله تعالى عليهم بنعمه المترادفة واخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن عناد سلفهم وكفرهم مرة بعد اخرى مع ظهور الايات وتعزية الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما راى من جحودهم وكفرهم وليكون وقوفه على اخبارهم حجة عليهم وتنبيها لهم وتحذيرا ان يحل بهم ما حل بمن قبلهم من ابائهم واسلافهم وموعظة للمتقين ٥ **قوله عز وجل** وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ مقدم في التلاوة على قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها مؤخر عنه في النظم والنزول لان قتل النفس كان قبل ذبح البقرة ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة يعني ليضرب المقتول الذي وجد فيما بين اظهركم ولا تدرون من قتله ببعض تلك البقرة فيحيى فيخبركم من قتله قالوا اتتخذنا هزوا اي سخرية قال امتنع بالله ان اكون من المستهزئين **والقصة في هذا** ما روى ان بني اسرائيل قيل لهم في التوراة ايما قتيل بين قريتين فليقس الى ايهما اقرب ثم ليؤخذ اهل تلك القرية وليحلف خمسون شيخا من شيوخهم بالله ما قتلوه ولا علموا له قاتلا فعمد رجلان اخوان من بني اسرائيل الى ابن عم لهما اسمه عاميل فقتلاه لكي يرثاه وكانت لهما ابنة عم شابة حسنة مثلا في بني اسرائيل فخافا ان ينكحها ابن عمها فلذلك قتلاه ايضا ثم حملاه فالقياه الى جانب قرية فاصبح اهل القرية والقتيل بين اظهرهم لا يدرون من قتله فاخذ اهل القرية فجاءوا الى موسى عليه السلام فقالوا ادع لنا الله ان يطلعنا على قاتله فدعا فاوحى الله تعالى اليه عليه السلام ان مرهم ان يذبحوا بقرة فقال موسى عليه السلام ان الله يامركم الاية والبقرة اسم للمؤنث في هذا الجنس واسم الذكر منه الثور وهذا جنس يخالف صيغة اسم الانثى منه صيغة اسم الذكر فهو كالناقة والجمل والرجل والمراة والجدي والعناق ٥ ومعنى اعوذ الجأ ويقال فلان عائذ قومه اى ملجأ قومه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقول اعوذ بالله فقال صلى الله عليه وسلم عذت بمعاذ ٥ والجهل نقيض العلم وفي الاية دلالة على جواز ورود الامر بشيء مجهول الصفة مع تخيير المامور في فعل ما يقع عليه الاسم منه لان الله تعالى امرهم بذبح بقرة مجهولة لم يعينها لهم في الابتداء ولا وصفها **وروى** الحسن رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده ٥ لو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا على انفسهم بالمسألة فشدد الله عليهم بالمنع ٥ وفي الاية دليل وجوب الامر وانه لا يصار الى الندب الا بدلالة اذ لم يلحقهم الذم الا بترك الامر المطلق في غير ذكر وعيد او باء دلالة وفيها دليل ان الاستهزاء لا يصدر الا من جاهل لان من استهزأ بالغير لا يخلو اما ان يستهزئ بخلقته او بفعله فان كان يستهزئ به لاجل خلقته فذلك ليس بموضع استهزاء وان كان يستهزئ به لاجل فعله فلا ينبغي ان يستهزئ به بل يجب ان ينبهه على قبح فعله ليرتدع وينزجر عن فعله **فان قيل** قولهم لنبيهم عليه السلام اتتخذنا هزوا كان كفرا منهم او لم يكن **قلنا** هذا على التفصيل ان كان قصدهم بهذا القول نسبته الى السخرية بلا سبب فقد كفروا بذلك وان كان قصدهم انه يجازيهم بذلك لما سبق منهم من العصيان لم يكفروا وقال بعضهم انما قالوا هذا القول لموسى عليه السلام لان موسى عليه السلام قال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة ولم يقل انه يامركم بذلك ليكون ماذا فقالوا اتتخذنا هزوا اى استهزأت بنا واني اتصال

الذبح

الذبح للبقرة بما تراجعنا اليك فيه **قوله عز وجل** قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ المعنى والله اعلم قالوا ان لم يكن ما تامرنا به استهزاء وكان حقا فادع لنا ربك يبين لنا ما هذه البقرة كبيرة ام صغيرة ليس في السؤال بيان ان المسؤول عنه السن وانما تبين ذلك بالجواب وهو قوله تعالى انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اى ليست هي بكبيرة قد ولدت بطونا كثيرة ولا صغيرة لم تلد وسط ونصف بين الصغيرة والكبيرة قد ولدت بطنا او بطنين فافعلوا ما تؤمرون به من الذبح واشتقاق الفارض من فرضت تفرض فروضا اذا كبرت والبكر الفتي من الحيوان وهو الذي لم يصب ولم ينصب واذا اصيب كان اول الاصابة والعوان الوسط من التي يقال حرب عوان للوسط منه ويقال في المثل ان العوان لا تعلم الخمرة اى ان المراة البالغة تحسن الخمرة لا تعلم **قوله عز وجل** قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ وذلك انهم رجعوا في السؤال لموسى عليه السلام فقالوا ادع لنا ربك على اي لون هي قال انه يقول انها بقرة شديدة الصفرة قال مجاهد كانت صفراء الظلف والقرن وقال الاخفش معنى قوله صفراء سوداء كما في قوله تعالى جمالات صفر اى سود كما قال الشاعر تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب والقول الاول اصح عند عامة المفسرين لان السواد لا يؤكد بالفاقع وانما يؤكد بالحالك يقال في المبالغة في الوصف اصفر فاقع واسود حالك واخضر ناضر وابيض ناصع ويقال ابيض يقق بمعنى فاقع لونها اى صاف لونها وهذا نعت الاصفر الشديد الصفرة تسر الناظرين اى تعجب من نظر اليها وذلك انما من طلعتها وكمال حسنها ونصوع لونها والسرور لذة في القلوب عند حصول نفع او توقع نفع فاما اللون فهو معروف قال الخليل هو الذي يتعاقب على الجسم تعاقب التضاد وقال ابن دريد اللون هو الذي يفصل بين كل شيئين كما قال الله تعالى واختلاف السنتكم والوانكم وموضع ما في قوله تعالى ما لونها رفع لان تاويله الاستفهام كانه قال اى شيء لونها والكسر في قوله تعالى انها لان ما بعد القول يذكر بمنزلة الكلام المبتدا يقال قلت زيد منطلق الا في لغة بني سليم فانهم يقولون قلت زيدا منطلقا كما يقال ظننت وفي الاية جواز النسخ قبل وقوع الفعل بعد التمكن منه لان في قوله تعالى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اقتضى ذبح اي بقرة كانت وعلى اى صفة شاؤوا وقد كانوا متمكنين من ذلك فلما قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي نسخ التخيير الذي اوجبه الامر الاول في ذبح اى بقرة كانت وصار الامر مقصورا على ما كان منها بهذه الصفة فهو من عموم في اول هذه القصة خصه الله تعالى باية اخرى وتجوز تخصيص العموم بالدلالة ثم نسخ الله التخيير الذي كان في ذبح اى لون شاؤوا وامتحنها بهذه الاية حيث قال عز من قائل انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين **فان قيل** كيف امروا بذبح البقرة دون غيرها قيل لان القربان انما يكون من ثلاثة انواع من الغنم والبقر والابل وكانوا لا ياكلون لحم الابل يحرمونه كما قال الله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قيل انه لحوم الابل فلما كان لحم الابل محرما عليهم وكان ذبح البقر افضل من ذبح الغنم خصت البقرة بالذبح **فان قيل** لم استقصوا في السؤال والبحث عن صفة البقرة ولو عمدوا الى ادنى بقرة لاجزأت قيل لانهم امروا بذبح البقرة لاعجوبة وهي بيان حال القتيل فحسبوا انه لا تظهر تلك الاعجوبة الا من بقرة مخصوصة كما ان العجائب التي كانت تظهر لبني اسرائيل من عصا موسى عليه السلام لم تظهر من الضرب بسائر العصي وعلى انه يحتمل ان القوم جهلوا القول بالعموم كما جهل بعض الناس اليوم فظنوا ان ذلك امر بذبح بقرة مخصوصة فعادوا في السؤال

التمكن

واحمر قاني صح

وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافا للمعتزلة كذا في المدارك ٥ قال الله تعالى انها بقرة لا فارض ولا بكر صح صح

مرة بعد اخرى **قوله عز وجل** قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون مراجعة منهم في معنى الامر بذبح البقرة اي عرف لنا ما صفة هذه البقرة عاملة او غير عاملة ليس في السوال ان المسول عنه العمل او غير العمل وانما يظهر ذلك بالجواب المذكور في الاية التي بعد هذه الاية وقوله تعالى ان البقر تشابه علينا يقول تشاكل واشتبه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى القاتل ويقال لمصيبون عين البقرة والتذكير في البقر يحتمل ان المراد به جنس البقر وقيل ان العرب تذكر مثل هذا اللفظ وتونثه تقول هذا بقر وهذه بقر وهذا نخل وهذه نخل ومن قرا ان الباقر فالباقر جمع البقر كما يقال الجمع للجمل جامل يجعلونه اسما للجنس ومن قرا تشابه علينا بتشديد الشين وضم الها اراد تتشابه بحذف التا الثانية لاجتماع التائين كما في قوله تعالى لعلكم تذكرون في الاصل تتذكرون ومن قرا يشابه باليا والتشديد اراد يتشابه ادغم التا في الشين واجود القرات تشابه علينا بتخفيف الشين وفتح الها وفي الاية بيان ان الكلام اذا قرن بالاستثنا كان اقرب الى النجح لان في ذكر الاستثنا استعانة بالله تعالى وتفويض الامر الى الله عز وجل والاعتراف لقدرته ونفاذ مشيته وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لولا انهم استثنوا لما وجدوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لولا انهم استثنوا لما اطلعوا على قاتله **قوله عز وجل** قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جيت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون معناه قال لهم ان الله تعالى يقول انها بقرة ليست بذلول اي لم يذللها العمل لا تثير الارض ولا تسقي الحرث اي ليست بحراثة ولا ناضحة لا تقلب الارض للزراعة ولا يسقى عليها الزرع سليمة من العيوب ليس فيها لون يفارق سائر لونها قالوا الان بينت الصفة التي كنا نطلب بالصدق فذبحوها وما كادوا يفعلون ذلك ارادوا ان لا يذبحوها لان كل واحد منهم خشي ان يكون القاتل من قبيلته وقيل ارادوا ان لا يذبحوها لغلا ثمنها روي انهم وجدوا بقرة على هذه الصفة عند رجل بار بوالديه كان يصلي ثلث الليل وينام ثلث الليل ويجلس ثلث الليل عند راس امه يقول لها ان لم تقدري على القيام فسبحي الله تعالى وهللي وكانت بقية بقر كانت لابايه لم يبق منهن غيرها فلما سالوه ان يبيعهم اياها للذبح ابى عليهم فرغبوا في الثمن حتى اعطوه ملء مسكها ذهبا فباعها لهم فذبحوها **وعن** وهب بن منبه ان ملكا جا صاحب البقرة فقال لا تبعها الا بملء مسكها ذهبا **وفي بعض الروايات** ان هذه البقرة كانت لرجل يبيع الجوهر فجاه ابليس يوما من الايام بجراب من اللولو يساوي مايتي الف فعرض عليه بماية الف فلما اتفق العقد وجد الجوهري مفتاح الصندوق تحت راس ابيه وهو نايم فذهب ليوقظه ليرفع المفتاح ثم قال في نفسه كيف اوقظ ابي لربح ماية الف فرجع فقال ان ابي نايم ثم قال اذهب فاوقظه فاني ابيعك بخمسين الفا فذهب ليوقظه فلم يحتمل قلبه حتى رجع فلم يزل اللعين يحط من الثمن حتى بلغ عشرة دراهم فلم يوقظ الرجل اباه وترك ذلك الشرا فجعل الله تعالى في ماله البركة حتى اشتروا بقرته بملء مسكها ذهبا والله اعلم الذلول الدابة المرتاضة المحبسة للعمل والذلول في الدواب بمنزلة الذليل في الناس يقال رجل ذليل بين الذل ودابة ذلول بينة الذل والاثارة تقليب الارض للزراعة والحرث الارض المهياة للزراعة اذا بذرتها او غرستها وقال الخليل الحرث هو قذف الحبة في الارض للزراعة وانما الزرع فهو الانبات والانما قال الله تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون وقيل في معنى قوله تعالى لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي ليست بذلول وهي تثير الارض ولا

تسقي الحرث وعلى هذا استحسن ابو حاتم الوقف على لا ذلول ثم ابتدا وقال تثير الارض والاول اصح عند عامة المفسرين رحمهم الله والله تعالى اعلم والوشي والشية خلط لون بلون يقال ثوب موشي اذا كان مختلط اللون ونصب لا شية على النفي ولو قرئ لا شية بالرفع والتنوين لجاز وفي الاية دلالة على جواز الحمل بالظاهر مع تجويز ان يكون في الباطن خلافه لان المسلمة من العيوب لا تعرف من طريق الحقيقة وانما تعلم من جهة الظاهر بالاجتهاد وغلبة الظن مع جواز ان يكون بها عيب باطن **قوله عز وجل** واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون قد ذكرنا ان هذه الاية مقدمة في النزول موخرة في التلاوة وتقديره واذكروا اذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها واتيتم موسى عليه السلام فسالتموه ان يدعو الله تعالى ليطلعكم على قاتله فقال لكم موسى عليه السلام ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة ونظير هذه الايات قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا متقدم في التلاوة على قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم موخر عنه في النزول لان الاول ناسخ والثاني منسوخ ولا يكون الناسخ الا بعد المنسوخ وذهب بعض المفسرين الى ان قوله تعالى واذ قتلتم نفسا موخر في التلاوة والتنزيل جميعا لان حرف الواو لا يوجب الترتيب وفي الاية ما يدل عليها لان الها في قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كناية عن مذكور سابق وليس ها هنا مذكور سابق الا البقرة فكانه قال ببعض البقرة التي تقدم ذكرها والترتيب في الاخبار لا يقتضي وقوع المخبر على حسب ترتيب الخبر الا ترى ان الرجل يقول اعطيت زيدا الف درهم اذ بنى داري لا يريد به ان العطية كانت قبل البنا ومعنى قوله تعالى فادارءتم اختلفتم وتدافعتم والقى بعضكم القتل على البعض من الدرء وهو الدفع يقال دراءت فلانا اذا دفعته ودارسته اذا لاينته واصل ادارءتم تدارءتم ثم ادغمت التا في الدال لقرب مخرجهما فلما ادغمت سكنت فاجتلبت لها الف الوصل للابتدا وعلى هذا اثاقلتم وفي الاية اثاقلتم واطيرتم ومعنى قوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر ما كنتم تخفون من امر القاتل وفي الاية دلالة ان ما يقصد العبد ستره من خير او شر فان الله سيظهره كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان عبدا اطاع الله تعالى من ورا سبعين حجابا الا اظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية **قوله عز وجل** فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون المعنى اي قلنا لهم اضربوا القتيل ببعض البقرة اي بعضو منها قال الكلبي رحمه الله بفخذها الايمن وقال ابن جبير بعجب الذنب يقال انه اول ما يخلق واخر ما يبلى ان الارض لا تاكله وعليه يركب الخلق يوم القيمة وقال الضحاك اراد ببعضها بلسانها وقال السدي بالبضعة التي بين كتفيها وهذا من الاختلاف الذي لا فايدة فيه وفي الاية اضمار كانه قال قلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيي المقتول **روي** انه لما ضربوه جلس واوداجه تشخب دما فسالوه من قتلك فقال فلان وفلان لابني عم له ثم اضطجع ميتا واخذ القتلة يقول الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى اي كما احييها قتيل فهكذا يحيي سائر الموتى ويريكم اياته لكي تعقلوا ما امرتم به ونهيتم عنه واراد بهذا عجايب قدرته لتفهموا احيا الموتى وغير ذلك ويقال لكي تعقلوا وكان الله تعالى قادرا على احيا المقتول بغير هذه الاسباب الا انه تعالى امرهم بضرب المقتول بشي افاتوا حياته لان احيا الميت بالميت اكد دلالة وابين قدرة **وروي** عن ابي عبيدة السلماني انه ذكر قصة البقرة ثم قال لم يورث القاتل بعد ما حيا البقرة **وعن** ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال القاتل لا يرث وهذا الخبر تلقته الامة بالقبول كقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث وقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها الخبر ولا خلاف بين الامة ان من قتل اخاه عمدا وله اخ اخر ان القاتل يلزمه القصاص قال الله تعالى

ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل فلو كان القاتل وارثا لكان له نصيب من الدم
وكان لا يجب القصاص واجمعت الامة على وجوبه واذا لم يرث احد بدلا من الدم لم يرث الدية في قتل
الخطا وحكم ساير الاموال حكم الدية لان دية المقتول تقضى منها ديونه وتنفذ وصاياه وقال غير
النبي قاتل العمد لا يرث فاما قاتل الخطا فوارث وذهب مالك الى ان قاتل العمد لا يرث فاما قاتل الخطا لا يرث
الدية ويرث ساير الاموال ۞ وفي الاية دلالة على ان من التبس عليه امر من الامور وسال الله تعالى
ان يكشف له ذلك او ساله حاجة اخرى فان سبيله ان يقدم على سواله نوعا من القربة حتى يكون دعاوه
اقرب الى الاجابة فان بني اسرايل كانوا يعدون القربان من افضل القرب حتى جعلوا للقربان بيت مذبح
على حده وكان لا يدخل ذلك البيت الا الاخيار منهم فامرهم الله تعالى بتقديم هذه القربة ليبين لهم
امر القتيل بعد ذلك وجعل ذلك تعليما لساير الناس **قوله عز وجل** ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها
لما يشقق فيخرج منه الما وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون
معناه وذلك ان الله تعالى لما اخبر بما انعم به على بني اسرايل واتاهم من الايات التي ذكرها الله تعالى
في هذه السورة قال بعقبه مخبرا عن معصيتهم وطغيانهم ثم قست قلوبكم يقول غلظت ويبست
قلوبكم من بعد احيا الميت ويقال من بعد هذه الايات التي تقدمت من مسخ القردة والخنازير
ورفع الجبل وخروج الانهار من الحجر وغير ذلك فهي كالحجارة في الشده واليبس بل اشد يبسا
وغلظا ثم اعذر الله تعالى الحجارة وعاب قلوبهم اخبر ان من الحجارة ما يكون فيه رطوبة منافية
لليبس وان منها ما احدث الله تعالى فيها من امره فلا يمتنع من اراده الله تعالى وبنو اسرايل مع
كثرة نعمة الله عليهم وكثرة ما اراهم من الايات يمتنعون من طاعته ولا تلين قلوبهم لمعرفة
حقه فذلك قوله عز وجل وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار يقول ان من الحجارة لحجرا تتفجر
منه العيون وان منها لحجرا يتصدع فيخرج منه الما لما يكون دون الانهار وان منها لما يتردى من
اعلا الجبل الى اسفله من مخافة الله تعالى قال بعضهم اراد الله تعالى بذلك الجبل الذي تجلى الله له
حين كلم موسى عليه السلام وقيل لا يهبط شي من الحجارة بغير سبب ظاهر الا وهو مجعول فيه
التمييز قال الله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله معناه
لو جعلنا في الجبل تمييزا ثم انزلنا القران عليه لرايته خاشعا وقال بعضهم معناه وان منها لما
يهبط من خشية الله اي بخشية الله تعالى كما قال الله تعالى يحفظونه من امر الله اي بامر الله فكان
الله تعالى اراد بهذه الاية الجبال التي في السما كما قال عز وجل وينزل من السما من جبال فيها من برد
والله تعالى ينزل البرد من السما بخشيته ليخوف بذلك عباده وقال بعضهم ان من الحجارة ما يدعو
المتفكر فيه الى خشية الله تعالى لما فيه من الايات والدلالات على الله تعالى واضاف الخشية الى الحجر
اذ كان التفكر فيه هو الداعي الى الخشيه وهذا كما يقال ان فلانا لذو مال يبطق الناس اي اذا
راى الناس ماله قالوا ما اكثر مال فلان وما احسن ماله ويقال ان لفلان ناقة تاجرة اي انها
بحسنها تعرض نفسها على من يريد شراها وقال بعضهم هذا على طريق المثل اي من الحجارة ما
كانه يهبط من خشية الله تعالى لانقياده لامره تعالى حتى لو حصل ذلك من حي عاقل لدل ذلك
على خشيته من الله تعالى وهذا كقوله تعالى جدارا يريد ان ينقض معناه كانه يريد ان ينقض
كما قال الشاعر وهو جرير ۞ لما اتى خبر الزبير تواضعت ۞ سور المدينة والجبال الخشع ۞
وانما نزل القران على لغة العرب وعلى ما يتفاهمونه فيما بينهم فمن تعلق بشي من هذا ليطعن عليه
فانما يطعن على لغة العرب وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون تهديد ووعيد اي ان الله لا يخفى

علي

عليه شي من اعمالكم واذا اعلم اعمالكم جازاكم عليها فاحذروه والقسوة في اللغة الصلابة في كل
شي وهي في القلوب ذهاب اللين والرحمة والخشوع وقيل هي ان ييبس القلب عن الماء بين
ماء خشية الله وما شفقة الخلق ۞ وحرف او في قوله تعالى يحتمل ان يكون للتخيير كما يقال جالس
الحسن او ابن سيرين اي ان شبهت قسوة قلوبهم بالحجارة كان تشبيها لهم وان شبهت بما هو
اشد قسوة كان تشبيها لهم ويحتمل ان يكون بمعنى بل كما في قوله تعالى الى ماية الف او يزيدون وقوله
تعالى كلمح البصر او هو اقرب ويحتمل ان يكون بمعنى واو النسق كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت
ابايكم وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابايهن ومعناه وابايهن ويحتمل ان يكون
معناه من قلوبهم ما هو كالحجارة في القسوة ومنها ما هو اشد قسوة منها وذلك كقوله ما اطعمته الا
حلوا او حامضا ويحتمل ان يكون للابهام على العباد والله تعالى عالم بذلك غير شاك فيه وهذا كالرجل
يقول لصاحبه اكلت خبزا او تمرا لا يشك القايل في ايهما اكل ولكنه لا يريد ان يبينه لصاحبه وانما
شبه الله قلوبهم بالحجر دون الحديد والصفر والله اعلم ان الحديد والصفر تلينهما النار
والحجارة لا تلينها النار واما القراة في قوله تعالى او اشد قسوة من قرا بالنصب فلانه في موضع
الخفض الا انه على وزن افعل ففتح ومن قرا بالرفع فعلى اضمار هي فاما تعملون يقرا بالتا والبا
والتا اليق بالاية لان الاية كلها على لفظ مخاطبة الحاضرين والغفلة والسهو واحد الا ان
الغفلة هي ذهاب الشي عن النفس بعد حضوره **قوله عز وجل** افتطمعون ان يومنوا
لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون
خطاب المومنين كلهم داخل في قصة اليهود التي قصها الله على المومنين والمعنى والله اعلم كيف
ترجون ايها المومنون ان يصدقكم اليهود بما اتى به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وقد كانت
طايفة من اليهود ممن هو في مثل حالهم من اصنافهم يسمعون كلام الله تعالى ويعلمون انه حق ثم يعاندون
فيحرفونه ويبدلونه من بعد ما فهموه وهم يعلمون ما غيروا منه قال الكلبي عني بالفريق
السبعين الذين ساروا مع موسى عليه السلام الى طور سينا لما اخذتهم الرجفة واحياهم
الله تعالى بدعا موسى عليه السلام قالوا يا موسى اسمعنا كلام الله تعالى فطلب موسى عليه السلام
ذلك فاجابه الله عز وجل قال مرهم ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم
خرج بهم موسى عليه السلام حتى اتى الطور فلما غشيهم الغمام سمعوا صوتا كصوت الشبور
فوقعوا لله تعالى سجدا فسمعوا كلام الله تعالى يقول اني انا الله ربكم لا اله الا انا
الحي القيوم لا تعبدوا الها غيري ولا تشركوا بي شيا واوصيكم ببر الوالدين وان لا تحلفوا بي
كاذبا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا يقتل بعضكم بعضا ولا تشهد بعضكم على بعض شهادة زور
واطعموا المساكين وصلوا القرابة ولا تظلموا اليتيم ولا تقهروا الضعيف فلما سمعوا الكلام
طارت ارواحهم من اجسادهم ثم ردت اليهم فقالوا يا موسى انا لا نطيق ان نسمع كلام الله تعالى
ربنا عز وجل فكن انت بيننا وبين ربنا تعالى حتى فلما رجعوا قال فريق منهم في اخر حكايته
ثم قال لنا فان لم تستطيعوا ان تتركوا ما نهيتكم عنه فافعلوا **وذهب** بعض المفسرين
الى ان المراد بالفريق الذي ذكر الله عنه في هذه الاية علما اليهود وتحريفهم التورية
تاويلهم على غير الوجه الذي انزل الله تعالى والالف في ابتدا هذه الاية استفهام ويجري
مجرى انكار الطمع والطمع تعلق النفس بما تتوقع من النفع ۞ والفريق والنفر والطايفة والحزب
واحد وهو قطعة من الناس ۞ والتحريف تغيير الكلام عن معناه الى معنى قريب الشبه به ويقال هو
تغيير الامر عن طريقه الى جهة حرف والحرف الحد المايل ومنه تحريف الطعنة اذا املتها الى شق

والغرض من الاية والله اعلم تعزية اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ان اليهود ان جحد واو كذبوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم سابقة في الكفر والتحريف وفي الاية دلالة على ان العالم
بالحق المعاند فيه ابعد من الرشد واقرب الى اليأس من الصلاح من الجاهل لان قوله تعالى
افتطمعون ان يؤمنوا لكم يفيد زوال الطمع في رشدهم لمكابرتهم الحق بعد العلم **قوله عز وجل**
وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ اختلف المفسرون في هذه الاية وقال اكثرهم ان المراد
بهذه الاية المنافقون من اهل الكتاب في وقت موسى عليه السلام وانه كان في قوم موسى عليه السلام
منافقون كما في امتنا وقال بعضهم المراد بهذه الاية المنافقون من هذه الامة وانما ذكرهم الله
مع اليهود في هذا الموضع لانه كان ذكرهم في اول السورة ولان اكثر منافقي هذه الامة كانوا من
اليهود قبل مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا بعد مبعثه مع اليهود في السر حزبا واحدا
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهذا جاز ان يذكرهم معهم فذلك قوله تعالى واذا
لقوا الذين امنوا قالوا امنا يقول اذا لقي المنافقون المخلصين قالوا لهم امنا كايمانكم واذا
خلا بعضهم الى بعض يقول اذا خلا المنافقون الى رؤسائهم في الكفر قالت لهم رؤساؤهم اتخبرون
المؤمنين بانهم على الحق لتكون لهم الحجة عليكم عند الله تعالى في الدنيا والاخرة اذ كنتم مقرين
بصحة امرهم ولم تتبعوهم على دينهم افلا تعقلون ان ذلك حجة لهم عليكم ومن قال ان
المراد بالاية المنافقون في هذه الامة اراد برؤساء الكفار كعب بن الاشرف وغيره كانوا يقولون
لعبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين اذا اقررتم بصحة نبوة هذا النبي الامي صلوات الله عليه
وسلامه وان ذكره في التورية حق تاكدت حجة متبعيه عليكم عند الله تعالى يريدون بذلك
صرف المسلمين عن الدين وكتمان نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وربما كانوا
يقولون للمنافقين انكم تحدثون الناس بما فتح الله تعالى على يدي محمد صلى الله عليه وسلم
في المغازي من اطعام الخلق الكثير بالطعام اليسير وسقي الخلق العظيم من قدح ما لا يغمر
اصابعه واخباره يوم بدر بمصارع القتلى قبل ان قتلوا وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لهم قبل القتال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فقتل كل انسان في الموضع الذي اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم انه مصرعه فكان من حضر من المنافقين الغزوات مع النبي صلى الله
عليه وسلم اذا رجع الى موضعه اخبر بما شاهد من النبي صلى الله عليه وسلم من مثل هذه الامور
فقالت لهم رؤساء اليهود الا تعلمون ان مثل هذه الاخبار حجة عليكم في الدنيا والاخرة وهذا
من تمويه اهل الكتاب وقصدهم كتمان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ واما التحديث
والتحدث ماخوذان من الحدث وهو الاخبار عن حوادث الزمان واصل الفتح هو فتح المغلق
ثم استعمل في مواضع كثيرة من فتح البلدان كما يقال فتح المسلمون دار الحرب وفي فتحك على من
يستفتيك كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم التبست عليه القراءة في الصلوة فلما فرغ
قال لابي هلا فتحت علي وقد يكون الفتح بمعنى الحكم كما في هذه الاية قوله تعالى بما
فتح الله عليكم اي قضى الله عليكم وكما في قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ۝ ويسمى
القاضي الفاتح بلغة عمان وقد يكون الفتح بمعنى النصر يقال استفتحت فلانا اذا طلبت
منه النصر قال الله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يطلبون النصر
عليهم ۝ والمحاجة والمناظرة واحد وهي مجادلة كل واحد من الخصمين لاقامة الحجة على خصمه
قوله عز وجل أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ معناه يقول

اولا

اولا يعلم المنافقون ان الله يعلم ما يسرون فيما بينهم من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما
يعلنون مع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من التصديق به ۝ او لا يعلم رؤساء الكفر ما
يسرون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ويعلنون من جحدها عند القوم ۝ والاسرار
في اللغة هو اخفاء ما في النفس والاعلان هو اظهار ما في النفس ۝ **قوله عز وجل** وَمِنْهُمْ
أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ معناه من اليهود من لا يحسن قراءة
الكتاب ولا كتابته الا ان يحدثهم رؤساؤهم بشيء فيقبلونه فيظنون انه الحق وذلك
في نفسه كذب ۝ والاماني على ثلاثة اوجه قد تذكر والمراد بها الاكاذيب ومنه قول
عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت اي كذبت وتذكر ويراد بها ما يتمناه الانسان ويشتهيه يعني
انهم يقولون ما لا يعلمون قال ابو العالية يتمنون على الله تعالى ما ليس لهم وهذا اللفظ
مستعمل في كلام الناس يقال للذي يقول ما لا حقيقة له وهو يحبه هذا مني وهذه امنية
وقد تذكر ويراد بها الامنية التي هي التلاوة ومنه قوله تعالى اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته اي اذا تلا القران القى الشيطان في تلاوته فيكون معنى الاماني في هذه الاية على
هذا القول اي من القوم اميون لا يعرفون من التورية شيا سوى تلاوته وما هم الا يظنون
ظنا من غير تيقن وقد اختلفوا في ماخذ الامي قال بعضهم ماخوذ من الامة وهو منسوب
الى ما عليه جبلة الامة الامية وقيل ماخوذ من الام وهو الذي يكون على اصل ولادة الام لم
يتعلم الكتابة ولا القراءة **قوله عز وجل** فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ
هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا
يَكْسِبُونَ نزلت هذه الاية في علماء اليهود الذين غيروا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في التورية فكتبوها ادم سبطا طويلا وكانت الصفة فيها انه اسمر ربعة فبدلوا
وقالوا للسفلة هذا من عند الله نزل في التورية يقول الله عز وجل الويل لهؤلاء الذين
يكتبون الكتاب بايديهم ثم ينسبون ذلك الى الله عز وجل ومعنى الويل الشدة في العذاب
ويقال هو الهلاك وهذه كلمة تستعمل في كل من وقع في الهلكة ويقال معنى الويل الخزي ويكنى
عنه بويس وويح ويقال معنى الويل القبح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ الى قعره ۝ وفي بعض
الاخبار ان الويل واد في جهنم يسيل فيه صديد اهل النار ومعنى قوله تعالى ليشتروا
به ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الدنيا وهو ما كان لعلمائهم من الماكلة والهدايا من اغنيائهم
واما اعادة ذكر الويل في الاية فللتاكيد الحق الله بهم ثلاث ويلات فيما غيروا من الكتاب
ومعنى قوله تعالى مما يكسبون اي يصيبون من الهدايا والفضول ۝ واصل الويل في اللغة حكاية
صوت الصارخ اذا اصابته نازلة كما قال الله تعالى يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وقال
من قائل يا ويلنا ما لهذا الكتاب واما اضافة الكتابة الى اليد في الاية ولا تكون الكتابة
الا باليد لتحقيق اضافة الفعل الى الفاعل مثال ذلك قول الناس لمن ابتدع مذهبا واخترع
قولا لم يسبق اليه هذا شيء تقوله انت وهذا قولك ومذهبك يريدون بذلك انك قلت هذا
القول من تلقاء نفسك ۝ والكسب هو طلب الرزق وحقيقته الفعل الذي تستجلب به المنفعة
وتستدفع به المضرة ولهذا لا يجوز ان يوصف الله تعالى بالمكتسب وفي ظاهر قوله تعالى ليشتروا
به ثمنا قليلا دلالة انه لا يجوز اخذ الاجرة على تعليم الكتاب **قوله عز وجل** وَقَالُوا لَنْ
تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ

على الله ما لا تعلمون معناه قالت اليهود لن تصيبنا النار الا اياما قليلة قال ابن عباس رضى الله
عنهما فى رواية الكلبى رحمه الله عنوا بذلك الايام التى عبدوا فيها العجل وقد اختلفوا فى مقدار
ايام عبادتهم العجل قال بعضهم عشرة ايام وقيل سبعة ايام ويقال اربعون يوما وقيل ان هذا لا
يصح لان العجل كان عبده اباؤهم وقد تابوا من ذلك وروى عن عكرمة عن ابن عباس
انهم عنوا بهذا القول سبعة ايام مقدار عدد ايام الدنيا قالوا انما نعذب اياما بكل الف سنة
يوما ونحن ابناؤنا وعن مجاهد انه قال كانت اليهود تقول الدنيا سبعة الاف سنة والعذاب مكان كل الف سنة
يوم وقيل ان مذهبهم كان مذهب جهم كانوا لا يرون الخلود فى النار قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم
اعهد الله اليكم عهدا ان لا يعذبكم الا هذا المقدار فلن يخلف الله عهده ووعده ام تقولون على
الله تعالى الكذب وما لا علم لكم به روى انه يقال لهم عند مضى الاجل يا اعداء الله تعالى
قد مضى الاجل وبقى الابد فيوقنون بالخلود وينقطع رجاؤهم والتمسك فى اللغة الجمع بين الشيئين
على نهاية القرب ولفظ المعدودة للتقليل كما قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة اى قليلة
وكذلك قوله تعالى فى اية الصيام اياما معدودات معناه والله اعلم لم يكلفكم تعالى الصوم على ما
تشق وتصعب عليكم انما كلفكم اياما معلومة وقد احتج مشايخنا رحمهم الله من الخبر المروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المستحاضة تدع الصلوة ايام اقرائها ومن قوله صلى الله عليه وسلم
دعى الصلوة ايام اقرائك ان اقل الايام ثلثة واكثرها عشرة يقال لما دون الثلثة يوم ويومان وفيما
زاد على العشرة احد عشر يوما وليس لاحد ان يعترض على هذا الاستدلال بقوله تعالى فى اية الصيام
اياما معدودات اراد بها الشهر كله لان ظاهر لفظ الايام الثلاث الى العشر على ما بيناه الا انه قد يذكر
ويراد به الزيادة كما يقال ايام بنى امية وايام الحجاج وقد فسر الله عز وجل ايام الصيام بالشهر فانعقد
بذلك التفسير فاما ايام الحيض فمبهمة ولا بد ان تكون محصورة لان الاحكام تختلف بحال الحيض
والطهر فكان حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته اولى والاتخاذ هو جعل الشئ له والاخلاف هو نقض العهد
بالفعل والالف فى قوله عز وجل اتخذتم همزة استفهام معناه التوبيخ فى الاعلام لهم وليخبرهم ان
الامر ليس كما قالوا وانهم يقولون بغير علم والاصل فى قوله اتخذتم أأتخذتم بهمزتين لكن حذفت
الهمزة الاصلية للتخفيف ومن قرا إتخذتم بكسر الالف فلان فيما بعد ذلك دليل الاستفهام وهو
قوله تعالى ام تقولون على الله ما لا تعلمون **قوله عز وجل** بلى من كسب سيئة واحاطت
به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون رد من الله تعالى على اليهود قولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة يقول الله عز وجل ليس كما يقولون من كسب سيئة يعنى الشرك
واحاطت به خطيئاته اى سدت عليه طريق النجاة ومات على الشرك وقال السدى اراد بالسيئة الذنوب
التى وعد الله تعالى عليها العقاب واما الخطيئة فهى الشرك ولا بد من ان تكون الخطيئة اكبر من السيئة لان
ما احاط بغيره كان اكبر منه وقوله تعالى فاولئك اصحاب النار اى اهل هذه الصفة اصحاب النار
اى هم فيها مقيمون دائمون واصل بلى بل وهو لرد الكلام الماضى واثبات كلام اخر مبتدا وانما
زيدت الياء فى اخره ليحسن عليها الوقف وقال بعضهم اصله بل لا فخفف وقال الفراء بلى جواب النفى
بالايجاب كما ان نعم جواب الايجاب واذا قال قايل ما لى عليك درهم على طريق الاستفهام
فقلت بلى يجب عليك درهم واذا قلت نعم لا يجب عليك شئ كانه ذهب الى ان نعم اعادة لفظ السوال
من المجيب فاما بلى فهو لاثبات كلام مبتدا قال الله تعالى الست بربكم قالوا بلى وقال عز من قايل
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم والاحاطة الاحداق والادارة بالشئ والخطيئة والسيئة
فى اللغة واحد وقد غفل من الاية استحقاق النار بكسب السيئة واحاطتها به وكان الجزاء استحقا

ولو وجود الشرطين غير مستحق بوجود احدهما وهذا يدل على ان من عقد اليمين على شرطين من طلاق
او عتق او غيرهما انه لا يحنث بوجود احدهما دون وجودهما **قوله عز وجل** والذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اخبر الله عز وجل ان الذين اقروا وصدقوا
بتوحيد الله تعالى وبنبوة رسله عليهم السلام وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم اى ادوا الفرايض
اهل هذه الصفة فى الجنة خالدون مقيمون دائمون والاصحاب السواكن يقال صاحب الدار وساكن
الدار روى انه اذا اسكن اهل الجنة الجنة واهل النار النار جئ بالموت على صورة كبش املح
ثم يوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هذا الموت يذبح ويقال لاهل النار يا اهل النار هذا الموت
يذبح فينظرون اليه فيعرفونه لانهم كلهم راوه وذاقوه فيذبح بين الجنة والنار فلو مات احد من اهل
الجنة فرحا لمات اهل الجنة حين امنوا من الموت ولو مات احد من اهل النار حزنا لمات اهل النار حين ايسوا
من الموت وقروا فى النار **قوله عز وجل** واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله
وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون راجع الى قصة اليهود لان الله تعالى
خاطب الناس كلهم فى اول هذه السورة بقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم خاطب بنى اسرائيل
بزيادة نعمه عليهم تارة عدل من خطاب الخلق الى خطاب بعضهم وتارة عدل من خطاب الكفار الى خطاب
المومنين ومن ذكر المخلصين الى ذكر المنافقين لان الغرض من هذه الايات كلها ان تصير الناس كلهم
امة واحدة وتكون كلمتهم كلمة واحدة ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ كلفنا بنى اسرائيل لا تعبدون الا
الله تعالى اى امرناهم باخلاص العبادة لله تعالى وان يحسنوا بالوالدين احسانا برا بهما وعطفا عليهما
وقيل تقدير قوله تعالى وبالوالدين احسانا ووصيناهم بالوالدين احسانا وهذا احسن من الاول لانه
لا يقال احسن بالوالدين وانما يقال احسن الى الوالدين فاما قوله تعالى وذى القربى اى وصيناهم
بصاحب القرابة بصلة الرحم واليتامى والمساكين اى الاحسان الى اليتامى والمساكين وقولوا للناس
حسنا اى قولا ذا حسن فعدل عن المغايبة الى المخاطبة كما قال الشاعر ٭ هو كثير ٭
اسيئى بنا او احسنى لا ملومة ٭ لدينا ولا مقلية ان تقلت ٭ قال الكلبى ومقاتل فى معنى
قوله حسنا قولوا ايها الروسا من اليهود للسفلة قولا حقا وصدقا وبينوا لهم صفة النبى صلى الله
عليه وسلم كما هو فى التورية ولا تكتموها وادوا الصلوة بحقوقها كما ترضى الله تعالى واعطوا الزكوة ثم
اعرضتم ايها اليهود عن الميثاق الذى اخذنا عليكم الا قليلا منكم وهو عبد الله بن سلام ومن اسلم معه
من اليهود وانتم مصرون على الاعراض تاركون لما اخذنا عليكم من المواثيق وقال الزجاج يعنى بقوله تعالى
توليتم اوايلهم الذين اخذ عليهم الميثاق واما قوله تعالى وانتم معرضون خطاب للذين كانوا فى زمن
النبى صلى الله عليه وسلم اى انتم كاوايلكم فى الاعراض عن العهد الذى اخذ عليكم والاخذ هو نقل الشئ من
يد المعطى الى غيره وكان المراد بالاية اعطوا الميثاق واخذ الله تعالى عليهم الميثاق والميثاق عهد موكد
باليمين او بالوعيد وقرى لا يعبدون بالياء والتاء وهما قريبتان فى المعنى يقال قل لفلان يركب وقل له
تركب ورفع قوله تعالى لا تعبدون لانه جواب القسم وقيل تقديره ان لا تعبدون فلما اسقطت ان رفعت
والاحسان فى اللغة هو النفع الحسن وقد اختلفوا فى القول الحسن فى هذه الاية قال بعضهم هو عام للناس
كلهم كانوا متعبدين بذلك مع الكافر والمسلم وقيل ان ذلك على معنى قوله تعالى ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن والاحسان المذكور فى الاية انما هو الدعاء اليه
والنصح فيه لكل احد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك كله حسن وعن ابن عباس وقتادة
ان هذه الاية منسوخة بالامر بالقتال وقد قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم

فاباح الجهر بالسوء في الظالم ٥ وقد امر الله تعالى بلعن الكفار والبراة منهم والانكار على اهل المعا[صى]
وهذا مما لا اختلاف فيه شرائع الانبيا صلوات الله عليهم فعلى هذا قوله تعالى وقولوا للناس حسنا
على احد وجهين اما ان يكون خاصا في المسلمين ومن لا يستحق التكفير واما ان يكون عاما في الدعا الى
تعالى على وجه النصيحة والقربى والقرابة واحد وهي ولاده يرجع اليها بالاضافة في العادة فانه مامن
نفسين الا وبينهما قرابة يرجع اليها بالاضافة اذا بعدت لم يعتد بها في العادة واذا قربت اعتد
بها واليتامى جمع اليتيم وهو الذي لا اب له لم يبلغ الحلم واسم اليتيم لا يستعمل في الادميين الا فيمن
فقد اباه ولا يستعمل في الدواب الا فيمن فقد امه ٥ والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنه الفقر
ماخوذ من السكون ٥ والايتا الاعطا يقال اتيته اعطيته واتيته مقصورا اذا جيته والقلة على النقص
من عدة ولا يتبين ذلك الا بالاضافة ونصب قليلا على الاستثنا معناه استثنى قليلا منكم والاعراض هو
الذهاب عن مواجهة الشي الى غيره منه وفي الاية دلالة وجوب الاحسان الى الوالدين مومنين كانا
اوكافرين ووجوب صلة الرحم والاحسان الى اليتامى والمساكين لان الله تعالى قرن ذلك كله بالتوحيد المذكور
في اول الاية **قوله عز وجل** وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ بيان ميثاق النهي فاما الاية التي قبل هذه
الاية بيان ميثاق الامر ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ اخذنا ميثاق سلافكم الذين
كانوا في زمن موسى عليه السلام لا يصبون دماكم اي لا يقتل بعضكم بعضا ولا يخرج بعضكم بعضا من
دياركم ثم اقررتم اي اعترفتم بان هذا العهد قد اخذ عليكم وعلى اوايلكم ونهيتم من انفسكم
وانتم ايها الباقون المخاطبون تشاهدون على من تقدمكم باخذنا منهم الميثاق وبما بذلوه من انفسهم
ويجوز ان يكون معنى قوله تعالى لا تسفكون دماكم اي لا يقتل احد منكم غيره فيقتل به فيكون في معنى من قتل
نفسه وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم اشد الناس اثما من سب ابويه فقيل يا رسول الله كيف يسب الانسان
ابويه قال يسب غيره حتى يسب ذلك ابويه واحتمال اللفظ للمعنيين يوجب ان يكون عليهما جميعا والنفس تضاف
الى صاحب النفس اضافة الغير اليه ونظير قوله تعالى ولا تخرجون انفسكم من دياركم قوله تعالى
فاقتلوا انفسكم وقوله عز من قايل فسلموا على انفسكم ٥ والدار اسم للعرصة والابنية والمحلة وكل
موضع نزل فيه القوم فهو دارهم هكذا قاله الخليل رحمه الله وقال بعضهم الدار المنزل الذي يجمع
ابنية المقام بخلاف المنزل الذي يكون للارتحال ٥ والاقرار والاعتراف واحد وهو الايجاب بنعم
والشاهد هو المخبر عن مشاهدة او ما يقوم مقام المشاهدة في المعرفة ويجوز ان يكون قوله تعالى
ثم اقررتم راجعا الى اوايلهم وقوله تعالى وانتم تشهدون راجعا الى المخاطبين خاصة **قوله عز
وجل** ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ
عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ
أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
خطاب ليهود بني قريظة والنضير كانت بنو قريظة حلفا الاوس وبنو النضير حلفا الخزرج وكان
كل واحد من الفريقين يقاتل الفريق الاخر فاذا غلب عليهم قتلهم وسبى ذراريهم واخرجهم من ديارهم
يقول الله تعالى ثم انتم هولا معشر اليهود تقتلون انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا ويخرج بعضكم بعضا
من ديارهم تتعاونون عليهم بالمعصية والافراط في الظلم وقوله تعالى وان ياتوكم اسارى تفدوهم
متصل في التقدير بقوله تعالى في الاية التي قبل هذه الاية ولا تخرجون انفسكم من دياركم لان قوله تعالى
وان ياتوكم اسارى داخل في الميثاق ومعناه فكوا اسراكم من غيركم بالفدا كان في الاية تقديما

القرابه

وتاخيرا واما قوله تعالى وهو محرم عليكم اخراجهم متصل بالاثم والعدوان معناه ان الاخراج
من الديار محرم عليكم لكن اعاد ذكر الاخراج من بعد لتراخي الكلام وقوله عز وجل افتومنون
ببعض الكتاب وهو مفاداة الاسير وتكفرون ببعض وهو القتل والاخراج من الديار وذلك ان القوم
كانوا يفعلون هذا الفعل ويكتمون العهد الذي اخذ عليهم في التوريه فامر الله عز وجل رسوله صلى الله
عليه وسلم ان يحتج عليهم بالعهد الذي في التوريه ويذكرهم ذلك العهد فاعترفوا ثم قرعهم بالقتل
والاخراج من الديار على مخالفة ما في التوريه وفي هذا دلالة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
اخبرهم بشي كتموه في كتبهم وهو امي لم يقرا الكتب فاما قوله تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم
الا خزي في الحيوة الدنيا يقول ما جزاء من يومن ببعض الكتاب ويكفر ببعض الا ذل وهوان في
الحيوة الدنيا ويقال اراد بالخزي قتل بني قريظة واجلا بني النضير ثم اخبر جل ذكره ان ذلك الخزي
غير مكفر عنهم ذنوبهم وانهم مصيرون بعده الى عذاب عظيم فذلك قوله تعالى ويوم القيمة يردون
الى اشد العذاب وقوله تعالى وما الله بغافل عما يعملون اي لا يخفى عليه شي من اعمالهم ويجازيهم
على ما عملوه وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية على نظمها وانه ليس فيها تقديم ولا تاخير
لان اليهود كانوا يخرجون الضعفا من ديارهم وكان اذا اسر ضعيف منهم الى غيرهم فدوه
ويقال كانوا اذا قاتل احد الفريقين الاخر قتلوا وسبوا واذا اسر احد من الفريقين من جهة
المشركين اجتمعوا ففدوا والله تعالى اعلم **وذهب** الزجاج في قوله تعالى ثم انتم هولاء ان
معناه ثم انتم الذين تقتلون انفسكم وقال ان تقتلون صلة هولاء مثاله قوله تعالى وما تلك
بيمينك يا موسى معناه ما التي بيمينك ويجوز ان يكون قوله تعالى هولاء بمعنى النداء كانه قال انتم يا هولاء
تقتلون انفسكم وهذا كما تقال محمد يا مسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون معنى
تقتلون انفسكم قتلتم وقد يجي المستقبل في الكلام بمعنى الماضي والماضي بمعنى المستقبل قال الله تعالى
وما نقموا منهم الا ان يومنوا معناه الا ان امنوا وقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين معناه ما
تلت الشياطين وانما سمي التعاون تظاهرا لان كل واحد من المتعاونين يكون ظهرا لصاحبه والظهير
المعين واما التشديد في قوله تظاهرون فلان اصله تتظاهرون ادغمت احدى التايين في الظا لقرب
مخرجهما ومن قرا تظاهرون بالتخفيف فقد حذف التا الثانية لاجتماع التايين والاثم والعدوان
الوزر والجرم واحد وهو الفعل الذي يلام صاحبه عليه ٥ والعدوان مجاوزة الحد يقال عدا في
ظلمه عدوا وعدوانا اذا افرط وتجاوز والاسرى جمع الاسير كجريح وجرحى واما اسارى فهو جمع
الجمع كما يقال سكرى وسكارى والاسير المقهور الماخوذ في الحرب المشدود في القيد والفدا هو بذل الشي
على سبيل الصيانة ٥ والمحرم من الحرام وهو الممنوع منه بالنهي كما ان الحلال هو المطلق فيه الاباحة
والجزا هو الثواب على الخير والعقاب على الشر ٥ واما الخزي يقال في السو والشر خزي يخزي خزيا
فاما في الحيا خزي يخزى خزاية واصل الكلمة هو الحيا فانه اذا قيل للانسان اخزاه الله كان معنى
هذا الكلام اوقفه الله موقفا يستحي منه ويسمى الذل خزيا لانه يستحى منه وفي الاية دلالة
ان فكاك الاسرا كان واجبا عليهم وكان اخراج فريق من ديارهم محرما عليهم وهذا
ثابت في شريعتنا يدل عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطعموا الطعام وافشوا السلام وعودوا المريض وفكوا العاني ٥ وسئل الحسن بن علي رضي الله عنهما
على من فدا الاسير فقال رضي الله عنه على الارض التي يقاتل عنها **قوله عز وجل**
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
معناه اهل هذه الصفة هم الذين اثروا واستبدلوا الفانية على الباقية فلا يهون عليهم العذاب

ولا لهم مانع يمنعهم عما يراد بهم من العذاب وقيل لا يغاثون بتخفيف العذاب عنهم والتخفيف من الخفة
في اللغة وهو النقصان في الوزن **قوله عز وجل** ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده
بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا
تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون معنى الآية والله أعلم أعطينا موسى
عليه السلام التورية قال الكلبي رحمه الله أنزل الله تعالى عليه التورية جملة واحدة فأمر بحملها فلم
يطق حملها فبعث الله تعالى بكل آية ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله تعالى بكل حرف ملكا فلم يطيقوا
حملها فخففها الله تعالى على موسى عليه السلام فحملها وعمل بها ومعنى وقفينا أردفنا وأتبعنا أرسلنا
رسلا يقفو بعضهم بعضا في الدعا إلى عبادة الله تعالى وأعطينا عيسى ابن مريم الآيات والدلالات التي يعجز
عنها المخلوقون من إحيا الموتى وإبرا الأكمه والأبرص ونحو ذلك من الآيات وأعناه بجبريل الطاهر عليه السلام
أفكلما جاءكم معشر اليهود رسول بما لا يوافق هواكم ولا تميل إليه أنفسكم تعظمتم من أن تكونوا
أتباعا ففريقا كذبتم مثل عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم وفريقا تقتلون مثل زكريا ويحيى
عليهما السلام ۝ والتقفية في اللغة هو الاتباع وهو الحاق الشي بالشي من قولهم تقفوت الرجل إذا
ذهبت في أثره ومنه سميت القوافي لاتباع بعضها بعضا ومنه القفا وهو خلف الوجه فمعنى قفينا أي
بعثنا الرسل بعضهم خلف بعض والرسل جمع الرسول والرسول هو المؤدي لما أوحى الله تعالى إليه المتميز
عن غيره بالمعجز الدالة على صدقه والبينات الحجج والشواهد الصادقة ۝ والتأييد التقوية ومنه الأيد
الذي هو القوة قال الله تعالى والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وقال تعالى واذكر عبدنا داود ذا الأيد ۝
وإنما سميت اليد من البدن يدا لأن القوة تظهر فيها من الأخذ والبطش ومعنى تأييد عيسى عليه السلام
جبريل عليه السلام أن اليهود لما أرادوا قتل عيسى عليه السلام رفعه جبريل عليه السلام إلى السماء
وسمي جبريل عليه السلام روح القدس لأن بمجيئه تحيى الكفار بالإسلام والقدس الطاهر وقال السدي
المبارك وقال أبو زيد القدس والقدوس جميعا من أسما الله تعالى والألف في أفكلما ألف استفهام معناه
التوبيخ والزجر والتقريع وكلما تقتضي جمعا مكررا أي تكرير الجواب بتكرير الشرط لأن كل تقتضي جمعا ولا
يقتضي تكرارا وكلما يقتضي الجمع والتكرار جميعا ۝ إذا قال الرجل كل امرأة أتزوجها فهي كذا فتزوج امرأة
فطلقت ثم تزوجها بعينها مرة أخرى لم تطلق في المرة الثانية ولو قال كلما تزوجت امرأة فهي كذا
فتزوج امرأة واحدة مرة بعد أخرى طلقت مرة بعد أخرى لأن حرف كل يقتضي جمع الأسامي دون
تكرير الأفعال وحرف كلما يقتضي تكرارا وجمعا ۝ والهوى في اللغة الميل ومنه الهوى الذي بمعنى المحبة
وأما تقتلون على لفظ الاستقبال فقد يذكر مثل هذا اللفظ في الصفات اللازمة ويراد به الذم والتوبيخ
على فعل كان في الماضي وهذا كما يقول الإنسان لغيره لم تسرق أموال الناس وتقتل الناس إذا كان
ذلك دأبه وعادته لا يراد بذلك فعل الاستقبال وفائدة الآية الإخبار عن فعل اليهود على جهة
إظهار معايبهم ومذاهبهم وأن من عادتهم تكذيب الرسل عليهم السلام كما كذب من قبلهم
منهم الأنبيا عليهم السلام **قوله عز وجل** وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله
بكفرهم فقليلا ما يؤمنون قالت اليهود قلوبنا ممنوعة من القبول بقول الله تعالى
ردا عليهم بل لعنهم الله تعالى بكفرهم أي أنهم لما كفروا ألفوا كفرهم فاشتد إعجابهم به
ويحتمل أنه منعهم الله تعالى الألطاف والفوائد التي منحها المؤمنين مجازاة لهم على كفرهم فقليلا ما
يؤمنون منهم وهو من أسلم من أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ويقال فقليلا ما يؤمنون
إيمانهم بالله تعالى قليل لأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وقيل معناه لا إيمان لهم كما يقال فلان
قليل الخير أي لا خير له ۝ والغلف جمع أغلف كما يقال أحمر وحمر والقلب الأغلف الذي يغشى غلافا

فلا يبقى

لا يبقى شيئا وهذا كما قال الله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ومن قرأ غلف بضمتين فهو جمع
غلاف كما يقال مثال ومثل وحمار وحمر ومعنى ذلك قلوبنا أوعية للعلم فما بالها لا تفهم عنك وإن كنت نبيا
ما فهمنا واللعن الإبعاد بالمكروه وتقدير نصب قليلا على أنه نعت وعلى الأول صاروا قليلا يؤمنون وعلى الثاني
إيمانا قليلا يؤمنون **قوله عز وجل** ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على
الكافرين معناه لما جاءهم القرآن موافقا لما معهم من التورية وسائر الكتب في التوحيد والدعا
إلى الله تعالى وكانوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستنصرون بذكر القرآن ونبي آخر الزمان عليه
السلام على الذين جحدوا توحيد الله تعالى كانوا إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب قالوا اللهم انصرنا عليهم
باسم نبيك صلى الله عليه وسلم وكتابك الذي تنزله عليه الذي وعدتنا أنك باعثه في آخر الزمان وكانوا
يرجون أن يكون ذلك النبي صلى الله عليه وسلم منهم فكانوا إذا قالوا ذلك نصروا على عدوهم فلما بعث
الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وعرفوا نعته وصفته في كتابهم ولم يكن منهم كفروا
به وغيروا نعته وصفته في كتابهم مخافة زوال الرياسة عنهم فذلك قوله تعالى فلما جاءهم ما
عرفوا كفروا به أي لما عرفوه وعلموا أنه من غيرهم جحدوه فسخط الله تعالى على الكافرين قيل
إن جواب أول هذه الآية محذوف لأن معناه معلوم دل عليه قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وقيل جواب قوله تعالى لما جاءهم الأول وجواب قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا واحد لكن كرر لفظ
لما لتخلل كلام آخر بينهما فأما قبل فمبني على الضم ويدخله إعراب الكسر والفتح عند الإضافة إلا
أنه ضم عند عدم الإضافة علامة للإضافة إلى المضمر تقديرا للفظ وكانوا من قبل هذا يستفتحون عليهم
وفي هذه الآية دلالة على أن الإيمان ليس هو المعرفة فحسب كما يقوله بعض الناس لأن أولئك اليهود
كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك جعلهم الله كفارا لجحدهم بألسنتهم ۝ **قوله عز
وجل** بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على
من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين قال الكلبي بئس ما
باعوا به أنفسهم من الهدايا والفضول بكتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم يعني أنهم اختاروا الدنيا
على الآخرة فباعوا أنفسهم بعقوبة الآخرة بأن يكفروا بما أنزل الله تعالى أي بمحمد وبالقرآن الذي أنزل
الله تعالى حسدا منهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان من العرب وهم لم يشكوا في نبوته صلى الله عليه
وسلم وإنما حسدوه على ما آتاه الله من فضله من النبوة والكتاب على من يشاء من عباده ممن كان
أهلا لذلك فباءوا بغضب على غضب أي استوجبوا اللعنة على أثر اللعنة فالغضب الأول حين كفروا بعيسى
عليه السلام والثاني حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال باءوا بإثم استحقوا به النار على إثم تقدم استحقوا
به النار وللكافرين عذاب مهين يهانون فيه قيل إن بئس إذا وقعت على ما جعلت ما بمنزلة اسم منكر
وكذلك نعم لأنهما لا يعملان في اسم علم إنما يعملان في اسم منكر دال على جنس يقال نعم الرجل زيد
ونعم رجلا زيد يراد به إثبات جميع المدح الذي يكون في سائر جنسه فيه ونصب رجلا في قوله نعم
رجلا على تمييز الجنس قال الزجاج معنى بئسما اشتروا به أي بئس شيئا اشتروا به أنفسهم
ولفظ الشرا يستعمل في البيع والابتياع وهو افتعال من الشرا والشرا ترك الشي إلى الشي وقوله تعالى أن
يكفروا موضعه رفع المعنى ذلك الشي المذموم أن يكفروا بما أنزل الله تعالى كما يقال بئس ما
تزوج ولا مهر وكان يقول بئس ما باعوا به أنفسهم وهو الكفر ويقال بئس ما باعوا أنفسهم بأن
يكفروا وموضع أن ينزل الله نصب المعنى يكفروا بما أنزل الله بأن ينزل الله تعالى من فضله على من
يشاء من عباده أي كفروا بهذه العلة ۝ والبغي الحسد وقد يكون بمعنى الظلم إلا أن المراد به ها هنا

الحسد وأصله التطاول ماخوذ من الابتغا الذى هو الطلب يقال ماينبغى لك ان تطلب هذا اى ما يليق لك طلبه فكان الباغى يطلب التطاول على غيره ونصب بغيا لانه مفعول له يقال فعلت ذاك حذار الشر اى لحذار الشر والاهانة ضد الاكرام والغضب من الله تعالى الذم والتوعد والعقوبة اذ لا عارضة تحل به كما تحل بالمخلوقين من استشاطة النفس ونحو ذلك لانه تعالى ليس بمحل للاعراض ولا يجوز عليه التغير والانتقال وكذلك حبه وساير صفاته قول ووعد ووعيد والله اعلم **قوله عز وجل** واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين معناه اذا قيل ليهود المدينة صدقوا بالقرآن الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نصدق بالتوريه ونجحدون بما بعد الذى انزل علينا وهو الحق مصدقا لما معهم يعنى ان القرآن حق موافق لما معهم من التوريه وساير الكتب قل لهم يا محمد ان كنتم تصدقون بما انزل عليكم فلماذا تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مومنين وليس فيما انزل الله تعالى على انبيايكم قتل الانبياء صلوات الله عليهم واذا كان وراء ممدودا كان بمعنى خلف وهو نقيض امام وقدام واذا كان مقصورا كان بمعنى الخلق ونصب مصدقا على الحال اى حاله فى تصديقه كتب الرسل عليهم السلام دليل انه حق يقال هو زيد حقا وهو زيد معروفا اى حاله فى المعرفه يدل على انه زيد ولا يقال هو زيد قايما لان حالة القيام لا يكون دليلا على انه زيد فانه اذا ترك القيام فهو زيد وفى قوله تعالى من قبل دليل ان المراد بقوله تعالى فلم تقتلون فلم قتلتم وقد ذكرنا ان لفظ الاستقبال يذكر ويراد به الماضى وفى الاية دليل ان من رضى بما عمل من معصية الله تعالى فكانه فعلها لان الله تعالى خاطب هولاء بالقتل وكان القتل من سلافهم واوايلهم وفيها دليل ان اليهود كفروا بالتوريه لانهم اذا كفروا بما يصدق ما معهم فقد كفروا بما معهم **قوله عز وجل** ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون معناه لقد جاءكم موسى بالتسع الايات المعجزة فاتخذتم العجل الها من بعد ذلك وانتم كافرون بالله تعالى بعبادة العجل وقد تدخل اللام فى الفعل لتوكيد الخبر واللام فى ابتدائه لام قسم لدخولها على الفعل وثم فى هذا الموضع للنسق ويقال صورته صورة النسق وليس بنسق وانما اراد به التعجب والاستعظام لكفرهم بما راوا من الايات وفايدة الاية ان تكذيب الانبيا صلوات الله عليهم من دابكم وعادتكم كما ان موسى عليه السلام جاءكم بالبينات ثم اتخذتم العجل الها **قوله عز وجل** واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مومنين معناه واذكروا اذ اخذنا عليكم العهد بالتوريه ورفعنا فوقكم الجبل خذوا ما آتيناكم اى اعطيناكم بجد فى طاعة الله ومواظبة واسمعوا ما فيه من حلاله وحرامه وما تومرون به قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا قال الكلبى قالوا ذلك بعد ما رفع الجبل عنهم ويقال قالوا ظاهرا سمعنا وقالوا فى انفسهم عصيناه وسقوا فى قلوبهم حب العجل بكفرهم اى فعل الله ذلك بهم مجازاة لهم على الكفر كما قال الله عز وجل بل طبع الله عليها بكفرهم ويقال فعل الله ذلك بهم لالفهم الكفر ورسوخهم فيه والكفر يدعو بعضه الى البعض ويحسن بعضه بعضا كما يقال حبك للشى يعمى ويصم قل لهم يا محمد بيس شيا يامركم به ايمانكم اى بيس الايمان ايمان يامر بالكفران كنتم مومنين كما تزعمون وفايدة تكرار ذكر الميثاق وقصة الجبل والعجل لاتصال كل اية بقرينة ليست فى الاخرى ويقال التكرار ذلك فى القرآن بتكرار اوليك القوم فى الذكر والفعل ومعنى اشربوا اى خولط ذلك بقلوبهم كما تشرب الالوان لشدة الملازمة والحب محذوف من العجل لان المضاف اليه يقام مقام المضاف كما قال الله تعالى واسال القرية اى اهلها قال الشاعر

وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابى مرحب اى كخلالة ابى مرحب والسمع فى هذه الايه بمعنى القبول كما يقال فلان مسموع منه وفلان لا يسمع منه ومنه قول الناس سمع الله لمن حمده اى قبل الله تعالى حمد من حمده ويقال بالسمع والطاعة يراد به القبول والطاعة **قوله عز وجل** قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين معناه جواب قول اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه يقول الله تعالى قل يا محمد لهم ان كانت لكم الجنة عند الله خالصة صافية من دون الناس اجمعين كما ادعيتم فاسالوا الله تعالى الموت ان كنتم صادقين فيما تدعون عند انفسكم لتصلوا الى الجنة فان من كان بهذه الصفة كان الموت خيرا له من الحيوة الدنيا والتمنى فى اللغة معنى يقدره الانسان فى النفس تحت الطبع كقولك ليت كان كذا وليت لم يكن كذا وفى الاية اظهار كذب اليهود والدلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم **وروى** عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لليهود بعد نزول هذه الاية ان كنتم صادقين فى مقالتكم فقولوا اللهم امتنا فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل منكم الا غص بريقه فمات مكانه فابوا ان يفعلوا وكرهوا ذلك مع اجتهادهم فى اطفاء نوره وتكذيبهم بما ياتى به ولم يتمن احد منهم مع زعمهم انهم احب العباد الى الله تعالى فنزل قوله **تعالى** ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين يقول انهم لا يتمنون الموت ابدا بما اسلفت ايديهم من المعاصى والقبايح وكتمان صفة النبى صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم اياه والله تعالى عالم بمجازاة الظالمين وخصص الظالمين دليل ان المراد بالعلم الجزا يقول الرجل لآخر انا عالم بك وبصير بك اى عالم بما اعاملك به ولن تنصب الافعال المستقبلة كما تنصب ان ونصب ابدا لانه ظرف الزمان وهو اسم يقع على العمر فانهم يتمنون الموت فى الاخرة وقت مشاهدة العذاب والاضافة الى اليد فى الاية لان اكثر المعاصى تكون باليد تقول العرب هذا ما جنت يداك وما كسبت يداك اى انت الذى جنيته وكسبته وفى هذه الاية زيادة دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى اخبر ان اليهود لا يتمنونه ابدا وفى ذلك اعجاز القرآن مما العادة دونه من نيل كوضع اليد على الراس ونحو ذلك وهذا كما ان النبى صلى الله عليه وسلم تحدى النصارى الى المباهلة كما قال الله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الاية فلم يباهلوه خوفا من الهلاك قال صلى الله عليه وسلم والله لو باهلونى لاضطرم الوادى عليهم نارا **وفى بعض الاخبار** هلكوا جميعا كلهم حتى العصافير فى سقوفهم ومما يويد هذه الدلالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الاية ان ترك اليهود تمنى الموت لا يخلو من احد امرين اما ان تركوه لانهم علموا انه نبى وانهم لو تمنوا الموت لماتوا او لان الله تعالى صرف دواعيهم الى ترك تمنى الموت وعجزهم عن ذلك وايهما كان فان ذلك يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم اذ لم تجر العادة ان يجتمع خلق عظيم على ترك شى يسير يتحدون به مع حرصهم على تكذيب من يتحداهم ولو كان القوم على يقين انهم اذا ماتوا صاروا الى نعيم الجنة وتخلصوا عن غموم الدنيا لاختاروا الموت على الحيوة الا ترى ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الذين بشرهم بالجنة كيف لم يركنوا الى الدنيا واختاروا الموت على الحيوة حتى روى ان عليا كرم الله وجهه كان يطوف بين الصفين فى الحرب فى غلالة فقال له الحسن رضى الله عنه ما هذا زى المحاربين فقال على يا بنى لا يبالى ابوك على الموت سقط ام سقط الموت عليه وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه انه قال فى حرب صفين الان القى الاحبة محمدا وصحبه صلى الله عليه وسلم وحزبه رضى الله عنهم وهكذا روى عن كل واحد من العشرة مثل ابى بكر وعمر وعثمن وغيرهم

رضى الله عنهم كلام يشبه هذه الكلمات **قوله عز وجل** ولتجدنهم أحرص الناس
على حيوة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من
العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون معنى الايه والله اعلم لتعلمن اليهود احرص الناس على
البقا واحرص من الذين اشركوا وهم المجوس ومن لا يومن بالبعث سمى المجوس مشركين لقولهم
باصلين قديمين النور والظلمة يتمنى احدهم لو يطول عمره الف سنة لان المجوس كانوا يقولون
لملكهم عش الف نيروز وعش الف مهرجان وكان اذا اعطس احدهم يقولون له زه هزار سال
اى عش الف سنة وما احدهم بمباعده من العذاب تعميره ويقال هو كنايه عن التعمير فكانه قال
وما التعمير بمباعده من العذاب واعاد قوله تعالى ان يعمر ليكون مبنيا عن هو والله تعالى عالم
باعمال العباد ويجازيهم عليها وفى هذه الايه زيادة تكذيب اليهود اى كيف يزعمون ان الدار الاخرة
خالصة لهم من دون الناس ثم يحرصون على الحيوة الدنيا اكثر من حرص من لا يرجو ثوابا ولا
يخشى عذابا ولا يرى وراء الدنيا شيا اخر وانما كان حرص اليهود على الحيوة اشد من حرص غيرهم
لان من يعلم ويعاند اخوف ممن لا يعلم فكان كراهتهم التمنى لفرط ما كسبوا من المعاصى واللام فى
ابتدا هذه الايه لام القسم لاتصاله بنون التاكيد وهم مفعول اول واحرص مفعول ثان
والحرص شدة الطلب اذ لا فرق بين قولك حرص فلان على كذا وبين قولك جد فيه والمودة
والمحبة واحد فالظاهر منهما جميعا الشهوة التى هى ميل الطباع وان كان ودنا فى المودة والمحبة
بمعنى الارادة التى تقتضيها الحكمة كما يقال الله تعالى يود المومنين ويحبهم والمومنون
يحبون الله تعالى والمعمر المطول العمر ومنه يقال عمرك الله تعالى اى اطال الله عمرك
والزحزحه التنحية والازالة قال الله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز **قوله
عز وجل** قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين
يديه وهدى وبشرى للمومنين فى قوله تعالى قل دليل على انه جواب لكلام قيل للنبى صلى الله
عليه وسلم حتى قال الله عز وجل له قل من كان عدوا لجبريل وذلك ان اليهود اعدا الله تعالى
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم ابن صوريا عالمهم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم
يا محمد كيف نومك فانا قد اخبرنا عن نوم النبى الذى يجى فى اخر الزمان فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم تنام عيناى وقلبى يقظان قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد امن الرجل ام من
المراه فقال صلى الله عليه وسلم اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر
والشعر فمن المراة فقال صدقت فما بال الرجل يشبه اعمامه ليس فيه شبه من اخواله ويشبه
اخواله ليس فيه شبه من اعمامه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ايهما علا ماوه ماء صاحبه كان الشبه له
قال صدقت يا محمد ثم قال ابن صوريا بقيت خصلة ان قلتها امنت بك واتبعتك اى ملك ياتيك
بما تقول عن الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام قال ذاك عدونا ينزل بالقتال
والشده ورسولنا ميكايل ياتى بالبشر والرخا فلو كان ميكايل هو الذى ياتيك بما تقول امنا بك وصدقناك
فقال عمر رضى الله عنه وما عداوة جبريل عليه السلام اياكم قال نعم عادانا مرارا اكثرها
وكان من اشد ذلك علينا ان الله تعالى انزل فيما انزل على نبينا عليه السلام ان بيت
المقدس سيخرب فى زمان رجل يقال له بخت نصر على يده واخبرنا بالحين الذى يخرب فيه فلما
بلغ ذلك الحين بعثنا رجلا من اقويا بنى اسرايل فى طلبه ليقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا ليس له
قوة ولا منعة فاخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال لصاحبنا ان كان الله تعالى
هو الذى امره بهلاككم فلا يسلطك على قتله وان لم يكن هذا فعلى اى حق تقتله فصدقه صاحبنا

اليهود

اى من نجوا عن النار وادخل الجنة فقد فاز

ورجع

31

ورجع بخت نصر وقوى وملك وغزانا فقتلنا فلهذا اتخذناه عدوا وميكايل عدو لجبريل
فقال عمر رضى الله عنه انا اشهد ان من كان عدوا لجبريل فانه عدو لميكايل ومن كان عدوا
لميكايل فانه عدو لجبريل عليهما السلام فقال لا نقول هذا فانزل الله عز وجل هذه الايه يقول
قل لهم يا محمد من كان عدوا لجبريل اذ هو المنزل الكتاب على فانه انما نزله على قلبى بامر الله تعالى
لا من تلقا نفسه وانما انزل ما هو مصدق لما بين يديه من الكتب التى فى ايديكم لا مكذبا لها
وانه وان كان فيما انزل الامر بالحرب والشدة على الكفرين فانه هدى وبشرى للمومنين
ويقال معنى الايه من كان عدوا لجبريل فلا تعاده فانه نزله على قلبك ويقال هذا على وجه
التزغيم كانه قال فان جبريل هو الذى نزل عليك رغما لهم والعدو فى حقيقة اللغة كل من
قصد ضر غيره واليهود لا يقدرون على ضر جبريل عليه السلام الا ان من خالف غيره سمى عدوا على
طريق الاستعارة واما اسم جبريل عليه السلام قيل انه بلغة السريانية ومعناه عبد الله فان جبر هو
عبد وايل هو الله عز وجل بلغتهم وفيه لغات جبريل وجبرايل وجبريل وجبرئيل وجبرئل قال الزجاج
اجود اللغات جبرايل كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى صاحب الصور جبرايل
عن يمينه وميكايل عن يساره وانما قال على قلبك ولم يقل على قلبى وان كان امر الله بان يقول
ذلك لان مثل هذا يستعمل فى كلام الناس كقولك للذى تخاطبه لا تقل للقوم ان خبرنى فلان عندك
ويجوز ان يقول له لا تقل لهم ان الخبر عندى وكقولك قال القوم ان جبريل عليه السلام عدونا
ويجوز ان يقول قال القوم ان جبريل عدوهم **قوله عز وجل** من كان عدوا لله وملئكته
وكتبه ورسله وجبريل وميكايل فان الله عدو للكفرين المعنى والله اعلم من كان
عدوا لهولاء او لواحد منهم فليكن وهذا على التهديد فان الله عدو للكفرين يعنى لليهود
وانما قال عدو للكفرين ولم يقل عدو لهم لانه لو قال ذلك لم يعلم بذلك ان عداوة جبريل تكون كفرا
فاراد الله تعالى هذا الاشكال وفى كونهم عدو الله تعالى قولان احدهما ان الله تعالى عدوهم ولما
كان الله تعالى عدوهم اطلق اسم العدو عليهم اتساعا ومجازا والثانى على الظاهر لان من خالف
احدا فقد عاداه وفى ميكايل لغات ميكايل وميكائيل وميكال ومعناه عبد الله ميك عبد
وايل هو الله تعالى وكذلك اسرايل وهذه اسما اعجميه رفعت الى العرب فلفظت بها بالفاظ
مختلفه وانما عطف والله اعلم جبريل وميكايل على الملئكة بعد دخولهما فى اسم الملئكة لفضلتهما
بدلالة الاجماع كما قال الله عز وجل واذ اخذنا من النبين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الايه
فعطف محمدا ونوحا عليهما السلام على النبين بعد دخولهما فى اسم النبين عليهم السلام لفضلتهما
بدلالة الاجماع **قوله عز وجل** ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
المعنى والله اعلم انزلنا اليك يا محمد علامات واضحات قال بعضهم هى كتاب الله عز وجل الذى لا ياتى بمثله الانس
والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وسمى القران ايات لما فيه من الحجج والادلة وقال بعضهم الايات
هى ساير المعجزات من امتناع القوم من المباهلة ومن تمنى الموت ومن مسرى النبى صلى الله عليه وسلم
الى المسجد الاقصى وانصرافه فى ليلة واحدة وتكثير القليل من الطعام والشراب ودعايه الشجرة فاتته ثم
رجعت الى مكانها وساير الايات التى لا يجمعها الا كتاب معزد وما يجحد بها الا الخارجون عن القصد
والطاعة وهم اليهود وغيرهم وسمى الكفر فسقا لان الفسق خروج من شى الى شى واليهود خرجوا
من دينهم بتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم ويقال اطلاق اسم الفسق يقتضى الخروج من الحق الى اقبح ما يكون
من الباطل لان الفسق فى المعاصى قبح انواعه واقبح انواع الكفر كفر علما اهل الكتاب لانهم يكفرون عنادا
ومكابرة فان احتج بعض اليهود بان قال انتم مقرون بنبينا واياتنا ونحن منكرون لما تدعون من ايات

كان جو

او كان يجوز ان يتوهم متوهم ان عداوة جبريل تكون فسقا ولا تكون كفرا

نبيكم قيل له كل ما انكر بطل بانكاره له الا ترى ان الايات التي نقلتموها تنكرها الدهرية والثنوية
ولم تبطل بانكارهم لصحة النقل ويقال للنصارى انتم مقرون بنبوة موسى عليه السلام واليهود
منكرون لامر عيسى عليه السلام فهل يفسد انكارهم ذلك حجتكم وقد كان اليهود في زمان ليس
لهم مخالف يقر باياتهم وهو الزمان الذي كان بعد موسى عليه السلام قبل ان يبعث نبي غيره
وكانت حجتهم في ذلك الوقت حجة صحيحة لصحة النقل وان كان جميع المخالفين لهم في ذلك الزمان
منكرين لها يدفعونها **قوله عز وجل** أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ يقول اوكلما عاهد اليهود عهدا رفضه ورمى به طايفة منهم بل اكثرهم لا
يصدقون والالف في اول هذه الاية الف استفهام دخل على واو العطف وحرف كلما يتعلق بالافعال
ويقتضي التكرار فاقتضت الاية ان اليهود كانوا ينقضون العهد مرة بعد اخرى نقضوا العهد بكتمان
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وكان الله تعالى اخذ الميثاق عليهم ليومنن بالنبي صلى الله
عليه وسلم ولينصرنه وكانوا قد عاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يعينوا احدا عليه فنقضوا
واعانوا مشركي قريش عليه يوم الخندق والنبذ في اللغة الطرح ولذلك سمي النبيذ لالقاء الزبيب فيه
وانما قال نبذه فريق منهم لان علماءهم هم الذين نبذوا العهد عنادا مع العلم به فاما قوله تعالى
بل اكثرهم لا يومنون فانما قال ذلك لان اكثر اليهود لم يومنوا جهلا ومنهم من امن وهو عبد الله بن سلام
وكعب الاحبار وغيرهما فلذلك قال اكثرهم **قوله عز وجل** وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ موافق لما معهم من التورية في اصل التوحيد وبعض الشرايع ترك ورفض فريق من الذين
اعطوا التورية كتاب الله اي القران ويقال التورية لانهم اذا نبذوا القران فقد نبذوا التورية وراء ظهورهم
اي لم يومنوا به كانهم جهلة به وبالعهد الذي اخذ عليهم وانما قال ذلك من الذين اوتوا الكتاب لانه
لم يكن كلهم يعلمون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وانما علم ذلك علماؤهم اذ لو علموا كلهم لم
يجتمعوا على كتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم فانه ليس في مجرى العادة ان يجمع الخلق العظيم على
كتمان شي علموه في انفسهم وقوله تعالى وراء ظهورهم مثل لمن لا يعمل بالشي ويستخف به كقوله تعالى واتخذتموه
وراءكم ظهريا تقول العرب اجعل هذا خلف ظهرك وتحت قدمك يريدون به اعرض عنه لان الشي اذا كان
وراءك لم يمكنك النظر اليه ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان كل دم ومأثرة كانت في الجاهلية
فهو تحت قدمي هاتين وقوله تعالى كانهم لا يعلمون اي انهم يعلمون صدق ما جاء به الرسول صلى الله
عليه وسلم ولكنهم تجاهلوه كانهم لا يعلمون انه صدق **قوله عز وجل** وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو
الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ
وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ
فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ عطف على قوله نبذ
فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله كانه قال نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين
من السحر على ملك سليمن اي ما كانت تتلوا اي تتبع ويقال تقرا ويقال معنى ما تتلوا اي ما
تلت كما قال الله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة معناه اصبحت
الارض مخضرة قال الحسن رضي الله عنه لم يزل السحر فاشيا في اليهود وقد اختلف المفسرون
في هولاء الشياطين قال بعضهم شياطين الجن فان الشيطان اذا اطلق اريد به الشيطان الذي

يدفعونها

مر

هو من الجن وقال بعضهم المراد به شياطين الانس والجن فان الشيطان هو العاتي المتمرد من كل
جنس كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وفي قوله تعالى
على ملك سليمن قولان احدهما على عهد ملك سليمن بحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه والثاني
معناه في ملك سليمن وحروف الصفات يبدل بعضها من بعض كما قال الله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل
اي على جذوع النخل ويقال معنى الاية ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمن فانه يقال تلا عن فلان
اذا صدق في الحكاية وتلا على فلان اذا كذب عليه كما يقال قال عنه اذا اصدق وقال عليه اذا كذب عليه قال
الله تعالى ام تقولون على الله معناه تكذبون على الله تعالى وقوله تعالى وما كفر سليمن اي ما اتى بالسحر
وما كتبه وهذا رد على اليهود **قال** الكلبي وذلك ان الشياطين كتبوا من وقت ذهاب ملك سليمن
عليه السلام سحرا كثيرا على لسان آصف بن برخيا وكتبوا في ذلك الكتاب هذا ما علم آصف بن برخيا
سليمن الملك ودفنوا ذلك الكتاب تحت مصلى سليمن عليه السلام وفي بيت خزاينه فلما القى الله
في قلوب الناس لاستنكار للشيطان الذي وقع على كرسي سليمن عليه السلام ورد الله تعالى ملك سليمن
عليه السلام عليه هربت الشياطين الذين كتبوا ذلك السحر فلما قبض الله تعالى سليمن عليه السلام
اتت الشياطين اولياءها من الانس فقالت الا ندلكم على علم سليمن عليه السلام قالوا بلى فاستخرجوا
كتب السحر التي كانوا دفنوها في وقت ذهاب ملك سليمن عليه السلام فقال صلحاء بني اسرايل وعلماؤهم
معاذ الله تعالى ان يكون هذا علم سليمن عليه السلام ولا نتعلمه ولا نقربه وقالت السفلة هذا
علمه فتعلموه وقالوا انما تم ملك سليمن عليه السلام بالسحر وبه سخر من سخر من الجن والانس والرياح
والطيور ولم يزالوا على ذلك الاختلاف حتى عذر الله تعالى سليمن عليه السلام على لسان نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وبراه من الكفر تكذيبا لليهود فذلك قوله تعالى وما كفر سليمن الاية
وذهب بعض الناس الى ان سبب نسبة اليهود السحر الى سليمن عليه السلام انه كان قد جمع كتب
السحر وكتمها تحت كرسيه ويقال وضعها في خزاينه حتى لا يطلع عليها الناس ولا يعملوا بالسحر
فلما مات سليمن عليه السلام استخرجت السحرة تلك الكتب والقول الاول هو الاصح لان سليمن عليه السلام
لو كان هو الذي جمع كتب السحر حتى لا يطلع عليها الناس ولا يظفر بها احد لكان الاولى ان يحرقها ولا
يضعها في خزاينه ولا تحت كرسيه فاما قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا معناه ولكن الشياطين هم
الذين كتبوا السحر وهم الذين يعلمونه الناس واما قوله تعالى وما انزل على الملكين فقد اختلف
الناس في تفسيره ذهب الشيخ ابو بكر والزجاج وجماعة من الايمة غيرهما الى ان هذا عطف على قوله
تعالى ما تتلوا الشياطين اي اتبعت اليهود ما تتلوا الشياطين من السحر واتبعت ما انزل اي الذي انزل
على الملكين من بيان السحر اي قذف في قلوبهما معرفته وان يبيناه للناس ويقولان انه حرام فلا
تفعلا بها المتعلم كما قال الله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة لا يصفان السحر لاحد
حتى يعظاه ويقولا انما نحن اختبار وابتلاء للناس فلا تكفر ايها المتعلم اي لا تتعلم العمل به وتعليم
السحر لا يكون اثما وهذا كما تقول لاخر علمني ما الزنا والسرقة والقذف فيقول ان ذلك كذا او كذا ولكنه
حرام فلا تفعل ولا فرق بين بيان معنى السحر والزجر عنه وبين بيان ضروب الكفر وتحريم الامهات والاخوات
وتحريم الزنا وشرب الخمر وساير المحظورات لان الفرض علينا من اجتناب القبايح كهو في اختيار الطاعات
والواجبات فحيث وجب بيان الخير اذ لا يوصل الى فعله الا بعد العلم به كذلك تجب بيان الشر اذ لا يوصل
الى تركه واجتنابه الا بعد العلم به **والسبب** في هذا والله اعلم ما روي ان اهل ذلك الزمان كانوا قد
اغتروا بالسحر وكانوا يصدقون السحرة فيما ادعوه لانفسهم فبين الله تعالى على لسان هذين الملكين
امر السحر ليكشف عنهم غمة الجهل ويزجرهم عن الاغترار به كما قال الله تعالى وهديناه النجدين

اى بيّنّا له سبيل الخير والشر ليعمل الخير ويجتنب الشر **وكما روى** ان رجلا قال لعمر بن الخطاب
رضى الله عنه فلان لا يعرف الشر قال ذاك اجدر ان يقع فيه **وقد روى** عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال تعلموا السحر ولا تعملوا به واما قوله تعالى ببابل فلان اكثر السحرة كانوا بذلك الموضع
قالت عائشة رضى الله عنها هى بابل الكوفة موضع قريب من الكوفة وهكذا قاله الحسن رضى الله عنه — موضع بابل
ويقال هو بابل دماوند وهاروت وماروت اسم الملكين على هذا الطريق والله اعلم واما قوله تعالى
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيحتمل التفريق من وجهين احدهما ان يعمل به
الساحر فيكفر بالعمل فيقع الفرقة بينه وبين زوجته بالردة اذا كانت المراة مسلمة والوجه الاخر
ان يسعى بينهما بالنميمة والاغراء والافساد وتمويه الباطل حتى يظن انه حق والاحتيال بالحيل الدقيقة
المموهة لكى يبغض كل واحد منهما صاحبه فيفارقه او يطعم الرجل او يسقيه شيا فيأخذه عن
امراته فيكون بينهما سببا للفرقة وقال بعضهم معناه لانهم يتعلمون السحر فيكفرون بذلك ويبين
منهم نساوهم بالكفر الا ان هذا لا يصح لانه لو كان المراد به هذا لكان من حق الكلام ان يقول تعالى — به ج
فيتعلمون منهما ما تبين نساوهم فلما قال ما يفرقون به بين المرء وزوجه علم ان المراد به والله اعلم
سبب حادث بعد التعليم والتعلم واما قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اخبار
عن قدرة الله تعالى وسلطانه وبيان ان العباد لا يقدرون على شى من الاضرار وغير ذلك الا بمشية
الله تعالى والمراد بالاذن فى هذه الاية العلم والمشية والتخلية دون الامر لان الله تعالى لا يامر بالفحشا
قال الحسن رضى الله عنه من شا الله تعالى منعه فلا يضره السحر ومن شا خلى بينه وبينه
فيضره واما قوله تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يقول ما يضرهم فى الاخرة ولا ينفعهم فى الدنيا لان
حاصله عذاب لا مرد له ويقال المراد بهما جميعا فى الاخرة لان السحر كان ينفعهم جميعا فى دنياهم لانهم
كانوا يكتسبون بالسحر وتعليمه وقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه اى علمت اليهود لمن اختار واستبدل
السحر والكفر بالايمان ماله فى الاخرة من نصيب قوله تعالى ولبيس ما شروا به انفسهم يقول
لبيس ما باع المستعملون السحر به انفسهم لعقوبة الاخرة لو كانوا يعلمون بحقيقة العلم ويقال لو كانوا
يوفون العلم حقه يقال للعالم الذى ترك العمل بعلمه ليس بعالم اى لا ينتفع بعلمه وقال بعضهم كان القوم
فريقين فريق كانوا معلمين علموا بان العمل بالسحر لا يجوز وفريق كانوا متعلمين فاولئك كانوا جهالا لم
يعلموا حقيقة العلم **وذهب** القاضى الامام ابو عاصم رحمه الله وجماعة غيره رحمهم الله الى ان قوله تعالى
وما انزل على الملكين فى معنى الجحد والنفى معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمن كانه قال لم ينزل على الملكين
ولكن الشياطين هاروت وماروت وانما عنيهما يعلمون الناس السحر وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن
فتنة فلا تكفر اى يجرى الله تعالى ذلك على لسان الشياطين حجة على السحرة فى الاخرة **قال** القاضى الامام
رحمه الله لو كان قوله تعالى وما انزل على الملكين لاثبات الانزال لكان لا يجوز اضافته الى الملكين لانهما
بينا على القول الاول الذى ذكر من قبيل فساد السحر وانه لا يجوز العمل به ومن بين لغيره فساد شى ويعلمه
ذلك فانه لا يضاف اليه ذلك الشى وانما يضاف اليه فساده الا ترى ان احدنا اذا نقض كتاب مصنف فى الكفر
فانه لا يضاف اليه ذلك المصنف وانما يضاف اليه نقضه فثبت ان قوله تعالى وما انزل على الملكين
عطف على قوله تعالى وما كفر سليمن والذى فى قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
اضافة الكفر الى الشياطين بتعليمهم السحر كما يقال للانسان فلان كفر بتكذيب بالنبى صلى الله عليه وسلم فيكون
معناه فلان كفر بتكذيبه بالنبى صلى الله عليه وسلم ولولا ان تعلم السحر كفر لكان الله تعالى يقول ولكن
الشياطين كفروا ويعلمون الناس السحر بالواو فلما ذكر من غير واو علمنا انه جعل قوله تعالى يعلمون الناس
السحر تفسيرا لقوله تعالى ولكن الشياطين كفروا **قال** ومن الناس من توسع فى هذا القول وفى هذه الاية

حتى

حتى انه نسب الى الملكين شرب الخمر والزنا والعمل بالسحر وبالكفر وقال ان الله تعالى ارسل جبريل عليه السلام
بتخيير الملكين بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الاخرة وروى فى ذلك خبرا
من اخبار الاحاد عن ابن عباس رضى الله عنهما وهذا الذى قال هذا القول خلاف ما ذكر الله تعالى
فى هذه الاية وفى غيرها لان الملكين لو كانا كفرا كما كفرا الشياطين لكان الله تعالى يضيف الكفر اليهما اذ الحكم
لا يجرى فى احكام الله تعالى ولو كان الله تعالى انزل على الملكين السحر وامرهما بتعليم الناس السحر الذى هو كفر
لم يامن من ان يكون كثير من الانبيا صلوات الله عليهم قد انزل عليهم ما هو كفر مع ان احدا لا يجوز ان يبعث الله
رسولا بما هو كفر يدل على ذلك ان الملائكة هم رسل الله تعالى الينا وقد بينا ان رسل الله تعالى عليهم السلام لا
يجوز عليهم الفسوق فضلا عن الكفر **وحقيقة** السحر فى اللغة اسم لما لطف وخفى ومن ذلك تسمى الرية وما
تعلق بالحلقوم سحرا لخفايها وضعفها ولطافتها **قالت** عائشة رضى الله عنها قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين سحرى ونحرى فالسحر فى الحقيقة هو الشى الخفى اللطيف ثم نقل هذا الاسم الى كل امر خفى سببه ويتخيل الى
غير حقيقته كما قال الله تعالى سحروا اعين الناس اى موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى
وقال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فلو انها كانت تسعى فى الحقيقة لم يخيل اليه وانما كان ذلك تخييلا لان عصيهم
كانت بجوفه قد مليت زيبقا وكذلك الحبال كانت معمولة من ادم محشوة زيبقا فلما حميت بالشمس تحركت
ويقال كانوا حفروا قبل ذلك تحت ذلك الموضع اسرابا وملوها نارا فلما طرحت عليه وحمى الزيبق تحركت لان من شان
الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فاخبر الله تعالى ان ذلك كان مموها على غير حقيقته وتقول العرب لضرب من الحلى — عن ج
مسحور اى مموه على من راه مسحور به عينه لما كان فى باطنه جنس اخر وظاهره جنس اخر واسم السحر اذا ذكر
مطلقا كان ذلك عبارة عن التمويه والخداع وقد يستعمل اسم السحر مقيدا فيما يمدح ويحمد كما روى عبد الله
بن بريدة عن ابيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان لسحرا وان من
العلم لجهلا وان من الشعر لحكما وان من القول لعيالا **فقوله** صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا يحتمل — هو
احد وجهين يجوز ان يكون معناه ان صاحب الحق يبين عن حقه ويوضحه ويجليه بلفظه وحسن بيانه
بعد ان يكون خفيا ولولا ذلك البيان لم يقبل قوله فتسمى استمالته للقلوب بهذا الضرب من البيان سحرا كما
يستميل الساحر قلوب الحاضرين الى ما موه به ولبسه وبيان الحق من السحر الحلال **كما روى** ان رجلا
تكلم بكلام بليغ عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال عمر هذا هو السحر الحلال ويجوز ان يكون معنى قوله
صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ان يكون الرجل الذى عليه الحق الحن بالحجة من صاحب الحق فيسحر القوم
ببيانه فيذهب بالحق **واما قوله** صلى الله عليه وسلم ان من العلم لجهلا هو ان يتكلف العالم الى علمه ما لا يعلم
فيجهله ذلك **واما قوله** صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما فهو هذه المواعظ والامثال التى يتعظ بها الناس
واما قوله صلى الله عليه وسلم ان من القول عيالا فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شانه ولا
يريده والفرق بين السحر وبين معجزات الانبيا صلوات الله عليهم ان معجزات الانبيا صلوات الله عليهم على
حقايقها وبواطنها كظواهرها وكلما تاملتها ازددت بصيرة فى صحتها ولو جهد الخلق كلهم على مضاهاتها
ومقابلتها بامثالها ظهر عجزهم عنها **واما** مخاريق السحرة وتخييلاتها فانما هى ضرب من الحيلة والتلطف
لاظهار امور لا حقيقة لها يعرف ذلك بالتامل والبحث ومتى شا انسان ان يتعلم ذلك بلغ فيه مبلغ غيره واتى بمثل ما
اظهره سواه واما من قرا وما انزل على الملكين بكسر اللام فيجوز ان يكون معناه ان الله تعالى انزل ملكين فى
زمان هذين الملكين لاستيلا السحرة عليهما لاغترارهما واغترار الناس واضاف الانزال الى المرسل اليهم كما
قال تعالى فى خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شى وقال فى اية اخرى قولوا
امنا بالله وما انزل الينا تارة اضاف الانزال الى الرسول وتارة الى المرسل اليهم وانما خص الملكين بالذكر لان العامة
كانت تبعا للملكين وهذا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر فى كتابه الى كسرى اما بعد فاسلم والا

فعليكم الجرس لمخاطبه واراد به جماعة رعيته لان الرعية كانت لاتستجيب الى الاسلام قبله خوفا منه فان قيل كيف تكون الملايكة رسلا الى الناس ومنزلا اليهم قيل هذا جايز سايغ لان الله تعالى قد يرسل الملايكة بعضهم الى بعض كما يرسلهم الى الانبيا صلوات الله عليهم وقد يرسل الملايكة الى ساير الناس كما يرسل الى الانبيا صلوات الله عليهم من بني ادم بان يجعل الملايكة كهيئة بني ادم ليلا يستنفروا عنهم ويقبلوا منهم وهو قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اى كهيئة رجل واما الفتنة فى اللغة فهى المحنة والا[illegible] وهى ما يظهر به حال الشى فى الخير والشر من قولهم فتنت الذهب اذا جربته بالنار لتخلص هوام مغشوش فيصير الذهب كالمخبر عن نفسه اذا القى فى النار وكما قال الانبيا صلوات الله عليهم فتنة لمن ارسل اليهم ليبلوهم ايهم احسن عملا ويجوز ان يريد الملكان بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر انهما وان كانا يبينان السحر للناس ليعرفوا ان ذلك كله تمويه من السحرة وخداع ولئلا يغتر الناس بقول السحرة لكن من يتعلم منهما لكي يعرف فساد السحر فلا يغتر كان يمكنه استعمال ذلك فى الشر ولا يومن وقوعه فيه فتكون ذلك محنة كساير العبادات وقد تذكر الفتنة بمعنى العذاب قال الله تعالى ذوقوا فتنتكم اى عذابكم والاذن فى اللغة العلم قال الله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا واذان من الله اعلام ومنه سمي المؤذن مؤذنا والاذان اذانا لانه اعلام باوقات الصلوة وفى قوله تعالى فلا تكفر دليل ان العمل بالسحر كفر لانهما انما يعلمانه اياه لئلا يعمل به ويجتنبه فصار قوله فلا تكفر كقوله فلا تعمل به لانهما علماه ما السحر وكيف الاحتيال به ليجتنب ولئلا يموه على الناس انه من جنس ايات الانبيا صلوات الله عليهم فيبطل الاستدلال بها واحكام السحر تختلف باختلاف السحر فان السحر ينقسم على انحا مختلفة منها سحر اهل بابل كانوا يعبدون الكواكب السبعة ويعتقدون ان حوادث العالم كلها من افعالها وكانوا يجعلون اصنامهم على اسما الكواكب السبعة وكان من اراد الخير والصلاح تقرب بما يوافق المشتري من الدخن والرقا والعقد والنفث عليها ومن طلب شيا من الشر والخراب والموت والبوار والهوان لغيره تقرب بزعمه الى زحل بما يوافقه من ذلك ومن اراد القتل والحرق والطاعون تقرب بزعمه الى المريخ بما يوافقه من ذلك من ذبح الحيوانات وكانوا يسمون كل كوكب من الكواكب السبعة الها فعالا وكانوا يدعون ويصومون ويتركون اللذات والشهوات وكان عندهم اذا فعلوا ذلك اجابتهم الكواكب الى ما يريدون من خير او شر ومحبة وبغض **فمن العامة** من يزعم انهم يقلبون الانسان حمارا او كلبا ثم اذا شاوا اعادوه وانهم يركبون البيضة والمكنسة والخابية ويطيرون في الهوا الى ما شاوا من البلدان ثم يرجعون في ليلتهم وذلك يلتبس من السحر على العوام **ومنها** سحر قوم يزعمون انهم يعترفون بالله عز وجل وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يدخلون على الناس من باب ان الجن مما تطيعهم بالرقى التي هي اسما الله تعالى فيخبرهم بالغيوب من السرق والخيانات وغير ذلك وانها تقدر على تغيير صور الحيوان بالطيران في الهوا والمشي على الما وما جرى مجرى ذلك وهذان الفريقان كافران يقتلان فان الفريق الثاني جوزوا وجود مثل اعلام الانبيا من الكذابين المتخرصين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اتى كاهنا فصدقه فيما يقول فهو كافر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم فاذا كان المصدق به كافرا فكيف لا يكون فاعله ومتدينه كافرا **ومنها** ضرب اخر من السحر وهو العمل به بالادوية والتميمة والشعابه والشعوذة اذا لم يدع صاحبه معجزة لا يمكن مثلها واعترف ان ذلك تخييل ومخاريق لم يصر كافرا ما لم يعتقد اباحته فيودب ويزجر عن ذلكه فاما اذا اعتقد اباحته كفر كمن يعتقد ساير المعاصي التي نص الله على النهي عنها **فاما ما روي** ان لبيد بن اعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وان السحر عمل فيه حتى انزل الله سورة الفلق وسورة الناس فالجواب عنه

ان اليهود سحروه على جهة ارادتهم التوصل الى قتله فعصمه الله تعالى من ذلك واطلعه على ما ارادوه ليكون ذلك من دلالة نبوته صلى الله عليه وسلم لا ان سحرهم ضره ولا خلط عليه امره ولئن ثبت ان فعلهم اثر بالنبي صلى الله عليه وسلم نوع باثر فيحتمل انه كان وصل اليه شي من دخان الادوية التي يسحر عليها او نحو ذلك والله اعلم **وقد اختلف الفقها** في احكام الساحر روى ابن شجاع عن الحسن بن زياد قال قال ابو حنيفه رحمه الله في الساحر انه يقتل اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته اذا تاب بعد القدرة عليه فاما اذا تاب قبل القدرة عليه وقال قد كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان لم يقتل الا ان يشهد الشهود عليه الساعة انه ساحر فيقتل والمسلم والذمي والحر والعبد فيه سوا **سئل ابو يوسف رحمه الله** عن قول ابي حنيفه رحمه الله في الساحر انه لا يستتاب والمرتد يستتاب فقال لان الساحر قد جمع مع كفره السعي في الارض بالفساد والساعي في الارض فسادا اذا اخذ قتل ولهذا قال ابو حنيفه رحمه الله لا اقبل توبة الزنديق لانه يدعو الناس في السر الى الكفر ولا تعرف توبته وهو ساع في الارض بالفساد فاما المراة الساحرة اذا اقرت بذلك او شهد عليها الشهود لم تقتل في ظاهر الرواية وحبست وضربت حتى يستيقن تركها السحر واما على قياس رواية الطحاوي ان المراة اذا قتلت في قطع الطريق قتلت واجري عليها حكم قطاع الطريق ينبغي ان المراة الساحرة تقتل **وقال** مالك رحمه الله اذا تولى المسلم عمل السحر يقتل ولا يستتاب قال فاما ساحر اهل الكتاب لا يقتل الا ان يضر بالمسلمين فيقتل لنقض العهد **وعن الزهري** انه قال يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر اهل الكتاب لان النبي صلى الله عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له لبيد بن اعصم وامراة من يهود خيبر يقال لها زينب فلم يقتلهما **وقال** الشافعي رحمه الله اذا قال الساحر انا اعمل عملا لا اقتل فاخطي واصيب وقد مات هذا الرجل من عملي فعليه الدية واذا قال عملي يقتل المعمول به وقد تعمدت قتله قتل به قودا فان قال مرض منه ولكن لم يمت منه حلف اولياوه لقد مات منه ثم تكون ديته على الساحر كانه ذهب الى ان السحر جناية كساير الجنايات وهذا قول خارج عن اقاويل السلف اذ لم يعتبر احد قبله بسحر وا وجبوا قتل الساحر على الاطلاق ولا فرق في الجنايات بين ان يجرح انسانا بحديدة يقتل مثلها او بحديدة لا يقتل مثلها **وقد روي** عن عمرو بن شعيب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ ساحرا فدفنه الى صدره ثم تركه حتى مات **وعن علي** رضي الله عنه ان هولا العرافين كهان العجم فمن اتى كاهنا يومن له بما يقول فقد بري مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم **وروي** ان جارية لحفصة سحرتها فوجدوا سحرها واعترفت بذلك فامرت عبد الرحمن بن زيد فقتلها **قوله عز وجل** **ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون** معناه ان اليهود لو صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم واتقوا السحر لكان ثواب الله تعالى خيرا لهم من كسبهم بالكفر والسحر لو كانوا يعلمون حقيقة العلم والمثوبة مفعلة من الثواب مثل مقولة ومشورة فسكنت العين لما وقعت على الواو واستثقل الضمة فيها وقراها قتادة بفتح الواو وجعلها مفعلة مثل مشورة ومثوبة الا ان الاكثر في هذا البنا ان ينقلوا حركة العين الى ما قبلها ثم قد يحولونها الفا فتصير مثابة ومنارة واصل المثوبة من ثاب يثوب ثوبا ومثابة اذا رجع ويسمى الثواب ثوابا لانه يرجع الى المثاب من جزا عمله والغرض من هذه الايات والله اعلم ان بهت اليهود وكذبهم حملهم على ان اخذوا السحر من الشياطين وادعوا انهم اخذوا من سليمن عليه السلام وان ذلك اسم الله الاعظم ليكتسبوا بذلك **قوله عز وجل** **يا ايها الذين امنوا لا تقولوا**

راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكفرين عذاب اليم فصل اخر بعد الفصل الذى ذكره الله تعالى
من قوله تعالى يا بنى اسرايل الاول الى هذه الايه ووجه اتصال هذه الايه بما قبلها ان فى هذه الايه
ذكر اليهود ايضا وقد اختلف الناس فى هذه الايه قال قتاده وعطيه رحمهما الله قولهم راعنا كلمة
كان يقولها اليهود على جهة الاستهزا والسب فنهى المسلمون عنها ولم يزيد اها على ذلك وقد فسره
الكلبى رحمه الله فقال كانت هذه الكلمة سبا بلسان اليهود بمعنى اسمع لا سمعت فلما سمعت اليهود
من المسلمين اعجبهم ذلك وقالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا صلى الله عليه وسلم سرا فيما بيننا فاعلنوا
له بالشتم فكانوا ياتونه يقولون راعنا فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم فقال لليهود
يا اعدا الله تعالى والذى نفسى بيده لين سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فقالت اليهود السيتم تقولونها فانزل الله تعالى هذه الايه وقيل ان
اليهود كانوا يحدون بهذه الكلمة الى الرعونة وقيل انهم كانوا يقولون راعينا يعنون به الراعى
للغنم وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول فى معنى هذه الايه يا ايها الذين صدقوا
بتوحيد الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا اى اسمع الينا
نستمع اليك وفسر الزجاج رحمه الله هذا الكلام فقال ان اليهود طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم
معاملة الاكفا قالوا اسمع الى كلامنا حتى نسمع كلامك فنهى الله تعالى عن ذلك اذ لا يجوز لاحد
ان يخاطب نبيا من الانبيا صلوات الله عليهم الا على وجه التوقير والاعظام على حسب ما خاطب الناس
نبيهم قال الله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وقال عز من قايل لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فاما قوله انظرنا فيحتمل ان
يكون من النظر الذى هو الرويه ويحتمل ان يكون من التنظر والنظرة اى انتظرنا حتى نتبين لنا ما تعلمنا الانتظار
واسمعوا ما تومرون اى اطيعوا لان الطاعة لا تكون الا بالسماع وللكفرين عذاب اليم اى لكم الثواب على ما
تفعلون ولليهود عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم ۞ قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما مدح
فاما المراعاة فيقال فى اللغة ارعيت الى فلان وراعيته اذا اصغيت اليه واستمعت منه ونظيره
عافاه الله تعالى واعفاه ومعنى راعنا اى كافنا فى المقال وتامل كلامنا من المراعاة التى هى المحافظة
والمراقبة يقال راعيت الرجل اذا تاملته وتعرفت احواله وقرا الحسن رحمه الله راعنا بالتنوين
قال القتيبى رحمه الله جعله اسما من الرعونة اى لا تقولوا قولا ذا رعونة مثاله لا تقولوا
حمقا وسفها وفى قراة عبد الله بن مسعود لا تقولوا ارعونا وفى الايه دلالة على ان الهزو
محظور فى الدين وان كل لفظ اشتمل على الخير والشر فغير جايز اطلاقه حتى يقيد بما يفيد به
الخير قوله عز وجل ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم
من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشا والله ذو الفضل العظيم معناه ما
يحب وما يتمنى الذين كفروا من يهود اهل المدينه ونصارى اهل نجران ولا من مشركى العرب عبدة الاوثان
ان ينزل عليكم ايها المومنون من خير من ربكم من الوحي وشرايع الاسلام والله يختار برحمته
للنبوة والاسلام من يشا ممن كان اهلا لذلك والله ذو الفضل العظيم ذو المن العظيم على من
اختصه بالنبوة والاسلام ۞ وفى هذه الايه ثلاث منات فاما من الاولى فللتبعيض وان الكافر قد
يكون من اهل الكتاب ومن غير اهل الكتاب فبين ان هولا من نوع اهل الكتاب كما قال الله تعالى
فاجتنبوا الرجس من الاوثان ۞ واما من الثانيه فى قوله تعالى من خير فللصلة كقولهم ما
جاءنى من احد اى ما جاءنى احد وموضعه رفع المعنى ان ينزل عليكم خير ۞ واما من الثالثه فلابتدا الغاية
فان ابتدا الانزال يكون من قبل الله تعالى ۞ ولفظ يختص يفتعل من الخصوص والافتعال فى هذا الباب
اكد

اكد من التفعل لان الاختصاص لنفسك والتخصيص لغيرك كالانقطاع والقطع قوله عز
وجل ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شى قدير
اتصال هذه الايه بما قبلها من وجهين احدهما قوله تعالى لا تقولوا راعنا وهذا نوع نسخ والثانى قوله
تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب الى قوله تعالى يختص برحمته من يشا وقيل سبب
نزول هذه الاية ما روى ان اليهود كانوا ينكرون نسخ الشرايع ويقولون ان النسخ سبب البدا والندامة
ولا يجوز ذلك على الله عز وجل وكانوا يقولون حين حولت القبلة الى الكعبة ان كان الاول حقا فقد
رجعتم وان كان الثانى حقا فقد كنتم على الباطل فنزلت هذه الاية ردا عليهم فبين الله تعالى انه يدبر
الامر كيف يشا ويامر فى كل وقت بما فيه صلاح العباد فى ذلك الوقت الا ترى انه يخلق ثم يميت ثم يحيى
قال ابن عباس فى معنى هذه الاية ما نبدل من اية او نتركها غير منسوخة فلا بد لها ان نات بخير من
المنسوخة اى اكثر فى الثواب ثم يقال الين واسهل على الناس او مثلها يعنى او مثل المنسوخة فى المصلحة
والثواب وفسر الزجاج رحمه الله قوله تعالى بخير منها باية صيام رمضان امر الله تعالى من لا يصوم
بالفدا حيث قال تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم نسخ واوجب الصوم بقوله فمن
شهد منكم الشهر فليصمه وقوله تعالى ولتكملوا العدة وهذا الثانى خير لنا فى الثواب ويقال ان
قوله تعالى بخير منها مثل الامر بالقتال فرض الله تعالى فى القتال اول ما فرض الجهاد ان يكون كل
مسلم بدل عشرة من الكفار وكان لا يحل لواحد من المسلمين ان يفر من عشرة من الكفار
كما قال الله عز وجل ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين ثم نسخه الله تعالى بقوله
الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مايه صابرة يغلبوا مايتين وهذا الثانى خير لنا
فى التخفيف ولم يقل احد من الناس ان بعض القران خير من بعض فى التلاوة والنظم اذ جميعه معجز
كلام الله تعالى فاما قوله تعالى او مثلها فهو مثل اية القبله جعل الله تعالى ثواب الصلوة الى الكعبه
بعد النسخ مثل ثواب الصلوة الى بيت المقدس قبل النسخ الم تعلم ان الله على كل شى من الناسخ والمنسوخ
قدير اى قادر والنسخ على وجهين لغوى وشرعى ففى اللغوى ثلثه اقوال قال بعضهم هو ابطال
شى واقامة شى اخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل اى اذهبته وحلت محله وكذلك نسخ الشيب الشباب
وقال بعضهم النسخ ازالة اثر كان وهو ماخوذ من قولهم نسخت الريح اثارهم اى ازالتها ويقال النسخ النقل
يقال نسخت الكتاب اى نقلته الى غيره واما الشرعى فهو مبنى على هذه الوجوه الثلثه قال بعضهم
هو رفع الحكم بعد استقراره بحكم اخر يقوم مقامه وقال بعضهم هو ازالة الحكم بعد ثبوته وقال
بعضهم هو نقل الحكم الى غيره ومن قرا ننسخ برفع النون وكسر السين فهو من الانساخ اذا جعله ذا
نسخ كما يقال اقبره اذا جعله ذا قبر والنسخ على ثلثه اوجه قد يكون فى التلاوة مع بقا الحكم ۞ كما
روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال فى خطبته ان مما انزل الله تعالى الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله تعالى والله عزيز حكيم ولولا ان الناس يقولون زاد ابن الخطاب
فى كتاب الله تعالى لالحقت هذه بحاشية المصحف ۞ وقد يكون النسخ فى الحكم مع بقا التلاوة كما فى
قوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف وقوله تعالى
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج وقوله تعالى واللاتى
ياتين الفاحشة من نسايكم الايه وقد يكون النسخ فى التلاوة والحكم جميعا كما روى انه انزل على النبى
صلى الله عليه وسلم فى قوم غزاة لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ۞ وكما فى الصلوة الى بيت المقدس فى اول
الاسلام والله اعلم واما قوله او ننسها ففيه قراات من قرا ننسها بفتح النون فمعناه نتركها يقال نسيت
الشى اذا تركته من ذلك قول الله تعالى نسوا الله فنسيهم ومن قرا ننسها بضم النون فمعناه يامركم بتركها

يقال نسيت اذا تركت وانسيت اذا امرت بالترك وقيل في الفصل بين النسخ والترك ان الترك ان يومر المسلمون
بترك حكم اية بغير اية تنزل كما في قوله تعالى يايها الذين امنوا اذا جاكم المومنات مهاجرات
فامتحنوهن امر الله تعالى بامتحان المومنات المهاجرات في هذه الايه ثم امر المسلمين بعد ذلك بترك
الامتحان بغير اية اخرى نزلت فاما النسخ فهو ان تنزل اية بعد اية فيبطل الثانيه عمل الاولى وقال بعضهم
في معنى ننسها اى نامر الناس بترك تلاوتها في الصلوه وغيرها فتصير منسيه بمرور الايام ويقال
ننسها اى نحدث النسيان في قلوب الناس كلهم حتى ينسوها ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
واستدل قايل هذا القول بقوله تعالى سنقريك فلا تنسى الا ما شا الله المعنى الا ما شا الله ان ننساه
وانكر اكثر المفسرين هذا القول وقالوا لا يجوز ان ينسى الله شيا من القران عن قلوب الجميع كيف
وقد تضمن حفظه فقال عز من قايل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى ولين شينا لنذهبن
بالذى اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا فاخبرانه لا يشا ان يذهب بما اوحاه الى النبي صلى الله عليه وسلم
فدل ان هذا لا يجوز قالوا ومعنى قوله تعالى سنقريك فلا تنسى الا ما شا الله اى الا ما شا الله ان تنساه ثم
تذكر كما هو طبع البشر وقيل الا ما شا الله ان يامرك بترك تلاوته حتى تنساه ومن قرا او ننساها
بفتح النون والهمز فمعناه التاخير يقال نسات الابل عن الحوض اذا اخرت عنه وانسات انا
انسا ومنه نسا الله في اجله وانسا الله في اجله ومنه قوله تعالى انما النسى زياده في الكفر ومنه
النسية التى في الدين فعلى هذا يكون معنى الايه ما ننسخ من اية او نوخرها فلا ننسخها الى مدة تاتى
بخير من المنسوخة او مثلها ويقال ما ننسخ من اية او نوخر انزالها فلا ننزلها ننزل مكانها ما هو
مثلها في المصلحه او ما هو اصلح منها ومن قرا ننساها من غير همز فهو مخفف من ننساها بالهمز ومعناها
التاخير ايضا والله اعلم **قوله عز وجل** الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير تاكيد جواب النسخ بقول الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يملك السموات والارض ومن فيهن وانه اعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم من ناسخ ومنسوخ
ومتروك وغير ذلك وهذا اللفظ استفهام بمعنى التقرير كما في قوله تعالى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى
ويجوز ان يكون هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النسا فاما قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير فيجوز ان يكون لتطييب نفوس المومنين
وبيان انه وليهم وناصرهم وانهم ينصرون اياهم يغلبون من سواهم ويجوز ان يكون هذا خطابا بالوعيد
لمن لا يومن بالناسخ والمنسوخ اى ليس لكم من قريب ينفعكم ولا مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى والملك
في اللغه عبارة عن تمام القدرة ومنه الملك وهو السلطان والاملاك عقد النكاح يقال ملكت العجين اذا
بالغت في عجنه **قوله عز وجل** ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سيل موسى من قبل
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سوا السبيل متصل بما قبله ووجه الاتصال ان الله تعالى لما اظهر فيما
تقدم من الايه قدرته على كل شي واثبات الاحكام ورفعها وان له ذلك اغتم الكفار اذ راوا تصديق المومنين
لذلك فكانوا يعلمون المومنين اسوله محالات ليسالوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم نحو قلب الصفا ذهبا
وتفجير الينبوع من الارض وغير ذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما جا عبد الله بن ابى اميه
المخزومى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب الايه وسالوا روية الله تعالى كما قال السبعون رجلا من بنى
اسرايل لموسى عليه السلام ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الايه يقول بل تريدون ان تسالوا
رسولكم كما سيل موسى من قبل ومن يختر الكفر على الايمان فقد اخطا قصد الطريق يعنى طريق الهدى
وحرف ام اذا كان عطفا على الف الاستفهام كان بمنزلة او كما يقال ازيد اضربته ام عمرا واذا لم يكن عطفا

الحم

على

على الف الاستفهام كان فيه معنى بل ومعنى الاستفهام لانه لا يكون مبتدا فكانه تعالى قال اتريدون
ان تسالوا رسولكم وبل تريدون ان تسالوا رسولكم **قوله عز وجل** ود كثير من اهل
الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين
لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره ان الله على كل شى قدير وجه اتصال هذه
الايه بما قبلها ان الله تعالى لما نهى المومنين عن تلقن ما يلقنهم الكفار من الاسولة المحالة ذكر العلة
في ذلك وهى انهم يتمنون ان تكونوا ايها المومنون مثلهم كفارا ومعنى الاية احب وتمنى كثير من اهل
الكتاب ان يصرفوكم من الايمان الى الكفر حسدا لكم لتشريف الله تعالى اياكم عليهم بوضع النبوة فيكم
بعد ما كانت في بنى اسرايل وقوله تعالى من عند انفسهم راجع الى قوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب
لا الى قوله حسدا لان حسد الانسان لا يكون الا من قبله فكان الله تعالى بين ان مودتهم ردكم الى الكفر
لا لان دينهم يامرهم بذلك ولكنه تمنيك من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق في التوريه وسائر الكتب
اى انهم علما بالتوريه ويعاندون فيما يفعلون فاعفوا واصفحوا اى اتركوهم واعرضوا عنهم حتى ياتى الله بامره
للامر ها هنا ثلاثه اوجه احدها تعذيبه اياهم في الدنيا والثانى باذنه لكم بمقاتلتهم ونصره اياكم عليهم
بعد قطع عذرهم وقيام الحجج عليهم ثم جا الله تعالى بعد ذلك بامره حين استقرت ايات النبي صلى الله عليه وسلم
ومعجزاته عند الحاضر والبادى والدانى والقاصى ولم يومنوا امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بقتالهم بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر وغير ذلك من ايات القتال فقتلوا
بنى قريظه واجلوا بنى النضير الى اريحا واذرعات والثالث امر الله تعالى قيام الساعة ان الله تعالى على
كل شى من الاوجه الثلاثه قادر لا يفوته ذلك وان امركم بالصفح والعفو عنهم **قوله عز وجل**
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير
وذلك ان الله تعالى لما امر بالصفح عن اليهود علم ان ذلك يشق على المسلمين فامرهم بالاستعانه على ذلك بالصلوة
والزكوة كما قال عز وجل واستعينوا بالصبر والصلوة وما تقدموا لانفسكم من خير اى من عمل صالح تجدوه
اى ثوابه محفوظا لكم ان الله تعالى عالم باعمالكم يجازى كل عامل جزاء ما عمل من خير او شر **قوله عز
وجل** وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين المعنى قالت اليهود لن يدخل الجنه الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنه الا من
كان نصرانيا ففى الاية ايجاز واختصار شرحه من طريق البسط قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى
على شى وقالت النصارى ليست اليهود على شى فاما قوله تعالى تلك امانيهم يجوز ان تكون كنايه عن الجنه
ويجوز ان يكون كنايه عن الكلمه والمقاله قل هاتوا برهانكم حجتكم من الانجيل ان كنتم صادقين في
مقالتكم لفظ من في اول الايه لفظ الوحدان ومعناه الجمع كانه قال الا الذين كانوا هودا
او نصارى وهود جمع هايد مثل حول وحايل والبرهان اسم لما يقوم به حجة جمعه براهين مثل
سلطان وسلاطين وقربان وقرابين **قوله عز وجل** بلى من اسلم وجهه لله وهو
محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون معناه بلى رد لقولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى وايجاب لمن اخلص دينه لله وهو محسن في عمله فله اجره اي ثوابه في الجنة
عند ربه ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من اهوال القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا
لانهم يتيقنون بثوابهم عند الله تعالى فليسوا كغيرهم ممن ليس بصفتهم والاسلام الاخلاص
والخضوع والانقياد يقال سلم لفلان كذا اى خلص قال زيد بن عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ۝ له الأرض تحمل صخرا ثقالا ۝
دحاها فلما رآها استوت ۝ على الماء أرسى عليها الجبالا ۝

معناه

التوريه وم

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ۞ له المزن تحمل عذبا زلالا ۞ إذا هي سيقت إلى بلدة ۞ أطاعت فصبت عليها سجالا
وإنما عبّر في الآية عن الدين والعمل بالوجه لأن الإنسان إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه
قوله عز وجل وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون قال ابن عباس رضي الله عنهما صدق كل واحد من الفريقين ولو حلف على ذلك ما حنث
وليس واحد من الفريقين على شيء من الدين وهم جميعا يقرؤن كتاب الله تعالى ولو رجعوا إلى ما
عندهم من الكتاب لخرجوا عن الاختلاف وقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون أي الذين ليسوا
بأهل كتاب نحو المجوس ومشركي العرب يقولون أيضا لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا فالله
يحكم بين اليهود والنصارى والمشركين يوم القيمة فيما كانوا فيه من الدين يختلفون يريهم من يدخل
الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا وفي هذه الآية حجة عظيمة في المنع من الاختلاف في كتاب الله تعالى
بغير الحق فإن اختلاف الفريقين أخرجهما جميعا إلى الكفر والعياذ بالله تعالى **قوله عز وجل**
ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن
يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم آية واحدة عند الكوفيين
والمدنيين وهي آيتان عند البصريين تمام الأولى عند قوله تعالى خائفين ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها
أنه جرى فيما تقدم ذكر النصارى وذكر مشركي العرب فرد بعض المفسرين هذه الآية إلى ذكر النصارى
وبعضهم إلى مشركي العرب قال الكلبي عن ابن عباس نزلت الآية في شأن ططوس بن اسبسيانوس
الرومي خرب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وقتل مقاتلة أهله وسبى ذراريهم وأحرق التورية
فكان بيت المقدس خرابا إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يدخلها بعد عمارتها رومي إلا
خائفا مستخفيا لو علم به قبل أن يخرج منه قتل وقال الحسن والسدي وكثير من المفسرين إن هذا في
بخت نصر وأنه خرب بيت المقدس وخرب مسجده وأعانه النصارى على ذلك لبغضهم اليهود إلا أنه
قيل في هذا القول إنه يشبه أن يكون غلطا لأنه لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الأولين أن عهد بخت نصر
قبل مولد المسيح عيسى عليه السلام بدهر طويل وإنما كان النصارى بعد عيسى عليه السلام وإليه ينتمون
فكيف يكونون مع بخت نصر في تخريب بيت المقدس **وقال** بعض المفسرين المراد بهذه الآية
مشركي مكة فإنهم سعوا في منع المسلمين عن ذكر الله تعالى في المسجد الحرام وصدوهم عام الحديبية
فعلى هذا سعيهم في خرابها هو المنع عن ذكر الله تعالى فيها لأن عمارة المساجد بإقامة العبادات فيها يقال
فلان يعمر مجلس فلان أي يحضره ويلزمه ۞ **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأيتم الرجل
يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وإنما قال مساجد الله لأن المسجد الحرام مسجد كبير يجوز أن يسمى
كله مسجدا واحدا ويجوز أن يسمى كل بعض منه مسجدا على حدة ۞ وقيل إن المشركين لما منعوا النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمين من المسجد الحرام بنى المسلمون بمكة مساجد كما روي أن أبا بكر رضي الله
عنه بنى لنفسه مسجدا كان يصلي فيه فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع المسلمين من مكة
خرب المشركون تلك المساجد فلهذا قال الله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله وقيل إن المراد بالآية
جميع الكفار الذين ظاهروا على أهل الإسلام ومنعوهم من المساجد وكل موضع يتعبد فيه
فهو مسجد قال النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فعلى هذا التقدير الآية ومن
أظلم ممن خالف ملة الإسلام ۞ وسعيهم في خرابها من وجهين أحدهما أن يخربوها بأيديهم والثاني
أن يعتقدوا وجوب تخريبها من جهة الديانة وهذا أبلغ السعيين وكل أهل الكفر بهذه المثابة أولئك ما
كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين أي يظهر الله تعالى الإسلام على الأديان كلها فلا يدخل الكفار المساجد

إلا خائفين وجلين بعدما كانوا لا يدعون المسلمين أن يدخلوا مساجدهم وقيل من أراد من
أهل الروم أن يكون ملكا عليهم لم يمكّن من ذلك ما لم يكن دخل بيت المقدس فيجيئون فيدخلون مستخفين
ومن حمل هذه الآية على ذكر المشركين فالمعنى نهوا عن دخول المسجد كما قال الله تعالى إنما المشركون نجس فلا
يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم ألا لا يطوفن بهذا البيت بعد هذا
العام مشرك ولا عريان فكانوا يدخلونها خائفين وجلين فكأن هذا اللفظ خبر بمعنى النهي وفي قوله
تعالى لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم قولان أحدهما قول الفراء رحمه الله أي لهم في المرة
الأولى إذلال وجزية وفي المرة الثانية قتل وطرد **وقال** غيره لهم في دار الدنيا هوان وهو القتل والسبي
إن كانوا حربا والجزية إن لم يكونوا حربا ولهم في القيامة عذاب النار **وقال** السدي رحمه الله إذا خرج
المهدي فتحت القسطنطينية فقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم فذلك خزيهم في الدنيا وفي قوله تعالى أن يذكر
فيها اسمه ثلاثة أوجه أحدها ما قال الأخفش رحمه الله وهو من أن يذكر فحذف من فإذا هو مقدر بحرف
الجر والثاني أنه بدل الاشتمال معناه ممن منع أن يذكر اسم الله تعالى في مساجد الله تعالى والثالث كراهة أن
يذكر فيها اسمه كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا **قوله عز وجل** ولله المشرق والمغرب
فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ۞ اتصال هذه الآية بما قبلها كأنه قال لا يمنعكم تخريب من
خرب مساجد الله أن تذكروه حيث كنتم من أرضه فلله المشرق والمغرب والجهات كلها **وعن** عبد الله
ابن عباس وعبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن الآية نزلت في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا في سفر فاشتبهت عليهم القبلة في ليلة مظلمة وصلى كل واحد منهم إلى جهة وخط بين يديه خطا فلما
أصبحوا وجدوا الخطوط لغير القبلة فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية **وعن**
ابن عمر رضي الله عنهما أنها نزلت في التطوع على الراحلة وقيل إنها نزلت في التحول عن بيت المقدس إلى الكعبة
لما أمر المسلمون بالصلوة إلى الكعبة قالت اليهود مرة يصلون هكذا ومرة يصلون هكذا والأشهر ما رواه ابن عباس
ولا يمتنع أن تتفق هذه الأحوال كلها في وقت واحد ويسأل النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ويريد
بها بيان جميعها ألا ترى أنه لو نص على كل واحد منها بأن يقول إذا كنتم عالمين بجهة القبلة تمكنكم التوجه إليها
فذلك وجه الله تعالى فصلوا إليها وإذا كنتم خائفين في سفر فالوجه الذي يمكنكم التوجه إليه وهو
وجه الله تعالى وإذا اشتبهت عليكم الجهات فصليتم إلى جهة أي جهة كانت فهي وجه الله تعالى فإذا لم
يتناف في إرادة جميع ذلك كان مراد الله تعالى بهذه الآية جميع هذه المعاني على الوجه الذي ذكرنا والله أعلم
ومعنى الآية أن الله تعالى ملك المشرق والمغرب وخالقهما فإلى أي جهة من الجهات تحولون وجوهكم
في الصلوة بأمر الله تعالى أو بالتحري فثم وجه الله قبلة الله تعالى ويقال أينما توجهتم إليه من البلاد
فثم الجهة التي وجهكم الله إليها أي يمكنكم التوجه من هناك إلى الكعبة كما قال الله تعالى ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام **قال** الفراء رحمه الله تقول العرب وجّه الحجر وجهة ماله يعنون إذا
رأيت الحجر في البناء لم يقع موقعه فأدره فإنه سيقع على جهته ويقال وجه مال فلان ووجهة
ماله بمعنى واحد فعلى هذا يكون معنى الوجه الجهة التي أمر الله تعالى بالتوجه إليها كما يقال
سبيل الله تعالى يراد به السبيل التي أمر الله تعالى المسلمين بها ويقال بيت الله تعالى يراد به موضع
عبادة الله تعالى **وقال** بعضهم الوجه في هذه الآية صلة يقال وجه الرأي ووجه الأمر يعني به نفس
الرأي ونفس الأمر وكأنه قال فثم الله تعالى أي علمه محيط بكم وهذا كقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم **وقال**
بعضهم معنى هذه الآية فأينما تولوا فثم رضى الله تعالى كما قال الله تعالى إنما نطعمكم لوجه الله أي
لرضوانه ويقال فعلت كذا لوجه الله أي لرضاه وكأنه تعالى قال فاقصدوا وجه الله بتيممكم القبلة
وقوله تعالى والله واسع عليم أي واسع الفضل أوسع عليكم في أمر القبلة عليم بما نويتم وقيل الواسع الجواد

وسّع

الذى تسع عطاياه السايلين جاد على العباد بقبول ما يتعوانه وجهه وقيل الواسع الغنى عن طاعة
العباد وانما يريد بذلك منفعتهم وهو عالم يضعها على وجه الحكمة وايما فى معنى الشرط وهو
اين وصلت بما والاوقات اذا وصلت بما جوزى بها والفا فى فثم جواب الشرط وثم وهناك اشاره
فى اللغة الى المكان المتراخى عنك تقول ثم زيد وهناك زيد فاذا اردت المكان القريب قلت هنا
زيد وموضعه نصب للظرف فى المحل وهو مبنى على الفتح لالتقا الساكنين ولا يجوز ان يقال ثما زيد
وتولوا مجزوم بايما وعلامة الجزم فيه سقوط النون وانما قال ولله المشرق والمغرب بالتوحيد
وله المشارق والمغارب لانه اخرجه مخرج الجنس كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم
وقيل انه اراد به مشرق الشتا والصيف ومغربيهما وفى الاية دلالة على جواز الصلوة بالاجتهاد
الى اى جهة كانت وان من ظهر خطاوه بعد ذلك لا تلزمه الاعادة فان من اوجب الاعادة لا يلزمه
فرضا اخر من غير دلالة ومن الدليل على جواز الاجتهاد فى الجهة ان من غاب عن مكة لم تكن صلوته
الى الكعبة الا اجتهادا لان احدا لا يوقن ان الجهة التى يصلى اليها هى محاذاة الكعبة غير منحرف اليها
وصلوة الجميع جايزة اذ لم يكلفوا غيرها وكذلك المجتهد فى السفر قد ادى فرضه اذ لم يكلف غير
ذلك **قوله عز وجل** وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ
لَهُ قَانِتُونَ راجع الى اليهود والنصارى ومشركى العرب وقد جرا ذكر الجميع فقالت اليهود عزير ابن
الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال المشركون الملئكة بنات الله سبحانه تنزيها له من اتخاذ
الولد بل له ما فى السموات والارض اى من كان مالك السموات والارض فان الاشيا تضاف اليه
من جهة الملك لا من جهة اخرى وفيه وجه اخر ان فاعل ما فى السموات والارض لا يشبهه ما فيهما
اذ الفعل لا يشبه الفاعل والولد يشبه الوالد ووجه ثالث ان خالق السموات والارض كامل فى
ذاته تام فى صفاته فالولادة من صفات النقص فلا يجوز عليه ومعنى كل له قانتون قال ابن
عباس رضى الله عنهما مطيعون غير ان هذا تاويل لا يستغرق الكل فيكون لفظ عموم اريد به الخصوص
ويجوز ان يجرى على العموم على معنى كل له مقرون بالعبودية وهذا قول عكرمة رحمه الله
ويقال معناه كل قايم موقن بالله تعالى كما قال الله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان
تزولا ويقال فى كل من الخلايق آثار صنع الله تعالى ودلالة ربوبيته فهم كلهم مقهورون
مسخرون لا يقدرون على تغيير جبلة انفسهم وقال مجاهد رحمه الله طاعة الكفار فى سجود
ظلهم وهو مثل ما روى عن الحسن رضى الله عنه انه قال يا ابن ادم كيف تعصى ربك وظلك يسجد له
وقال السدى رحمه الله كل له مطيعون يوم القيمة وقال الربيع رحمه الله كل له قايمون يوم
القيمة كما قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين والقنوت فى اللغة طول القيام يقال
قنت الفرس اذا ركد وقال النبى صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة طول القنوت ويسمى
دعا الوتر قنوتا لانه يدعو قايما وفى الاية دلالة على ان ملك الانسان لا يبقى فى ولده لانه نفى الولد
باثبات الملك وهو نظير قوله تعالى وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض
الا اتى الرحمن عبدا فاقتضى ذلك ان من ملك ولده عتق عليه **قوله عز وجل** بَدِيعُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ جواب عن قول جماعة من النصارى
قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد نجران السيد والعاقب والاسقف وجماعة من
علمايهم فناظروه فى امر عيسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد الله
ورسوله قالوا هل رايت خلقا من غير اب فانزل الله تعالى هذه الاية والتى قبلها جوابا
لهم ومعنى هذه الاية والله اعلم ان الله تعالى مبدع السموات والارض ومنشيهما وخالقهما

فاذا

فاذا اراد امرا كان فى علمه مثل عيسى صلوات الله عليه بغير اب وغير ذلك فانما يقول له كن فيكون
كما اراده الله تعالى والابداع الانشا على غير مثال سبق من ذلك يقال لمخالف السنة مبتدع
والبديع فعيل بمعنى مفعل كالسميع والاليم الا ان بديع اشد مبالغة فى الابداع من المبدع فان
البديع هو الذى من شانه الانشا والابداع لاقتداره عليه والقضا فى اللغة احكام الامر وابرامه
قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما ٭ داود او صنع السوابغ تبع ٭ والعطف
فى قوله تعالى فيكون على معنى فهو يكون ويجوز ان يكون عطفا على يقول ومن نصب فعلى جواب
الامر بالفا فان قال قايل قوله تعالى كن خطاب للموجود او المعدوم ولا يجوز الاول لان الشى
الكاين لا يومر بالكون ولا يجوز ان يكون الثانى لان المعدوم لا يخاطب ولا يشار اليه قيل
قد اختلفوا فى هذا الجواب قال بعضهم انما قال ذلك على سبيل المثل اى ان الاشيا بسهولتها عليه
وسرعة كونها باذنه وامره بمنزلة ما يقال له كن فيكون وهو كقوله تعالى ايتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طايعين لم يرد بهذا ان السما والارض كانتا فى موضع فقال لهما ايتيا فجاءتا من ذلك الموضع
وانما اراد بذلك انه تعالى اراد كونهما فكانا وهذا كما قال الشاعر ٭ امتلأ الحوض وقال قطنى ٭
مهلا رويدا قد ملأت بطنى ٭ والحوض لم يقل وقال اخر ٭ فقالت له العينان سمعا وطاعة ٭
فاحدرتا كالدر لما تثقب ٭ وهذا كله على سبيل المثل ففى هذا معنى قوله تعالى فانما يقول
له كن فيكون اى يريده فيحدث وقال بعضهم هذه كلمة جعلها الله تعالى علامة للملئكة اذا سمعوها
علموا ان الله تعالى قد احدث شيا وقيل ان هذا لتحويل الاشيا الموجودة الى حالة اخرى كما قال تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وكان الخلق قبل القول وكما فى
قوله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين وهذا كاحيايه للموتى واماتته للاحيا وقال بعضهم
ان الله تعالى انما يقول هذا القول للموجود فى حال وجوده لا قبله ولا بعده وهو كقوله تعالى ثم اذا دعاكم
دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وهذه الدعوة فى حال خروجهم لا قبله ولا بعده وقال بعضهم ما هو
معلوم عند الله تعالى فهو بمنزلة الحاضر الموجود وهذا من اضعف الاقاويل لان مخاطبة المعلوم قبل
ايجاده محال وليس المعلوم بماثل فيصح الخطاب معه الا ان يقول قايل ان المعلومات لم تزل فيكون
قايلا بقدم العالم وما فيها من الاشخاص ونعوذ بالله من سوء هذا القول والخذلان **قوله عز
وجل** وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ
قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ قال ابن عباس رضى الله عنهما اراد
بالذين لا يعلمون يهود اهل المدينة وغيرهم من الكفار وقال مجاهد اراد به النصارى لم يعلموا
استحالة اتخاذ الولد لله سبحانه وتعالى وقال بعضهم هذا راجع الى مشركى العرب قالوا هلا يكلمنا
الله فيخبرنا بانك رسوله او ياتينا علامة لنبوتك يعنون الاية التى كانوا يسالونها كما تقدم فى
قوله تعالى وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر تلك الايات يقول الله تعالى
كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم يعنى اليهود الذين قالوا لموسى عليه السلام ارنا الله
جهرة تشابهت قلوب الاولين والاخرين منهم فى القسوة والكفر ويقال تشابهت قلوب
المشركين واليهود والنصارى فى القسوة قد بينا الايات لقوم يوقنون يعنى من ايقن فطلب
الحق فقد اتته الايات نحو بيان بعث النبى صلى الله عليه وسلم وصفته فى التورية وانشقاق
القمر واعجاز القران وغير ذلك **قوله عز وجل** إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا
تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم اغتم من تكذيب الفرق الثلاث بعد
اقامة الحجة عليهم فانزل الله تعالى هذه الاية تسلية له يقول يا محمد انا ارسلناك بالحق بشيرا تبشر

المومنين بالثواب ونذيرا تنذر الكفار بالعقاب ولست تسال في الاخرة عن اصحاب الجحيم كما قال جل ذكره فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال عز وجل ليس عليك هداهم وقال جل ذكره فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ومن قرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم بفتح التا على النهي فالتاويل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذات يوم ليت شعري ما فعل بابوي فانزل الله تعالى هذه الاية وقال بعضهم ان الله تعالى اراد بهذا تفخيم امر العقاب كما يقول الانسان لغيره كيف حال فلان فيقول لا تسال اي انه في نقمة عظيمة او شدة عظيمة **قوله عز وجل** ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير معناه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على طلب رضى اليهود والنصارى طمعا ان يدعوا العناد ويرجعوا الى الحق فانزل الله تعالى هذه الاية ويقال انهم كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة والمسالمة ويطمعونه في انه ان هادنهم وامهلهم اسلموا فانزل الله تعالى هذه الاية وامره ان لا يعطيهم ما يلتمسون من الهدنة واخبره انهم لا يرضون عنه بذلك قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى يقول يهود اهل المدينة ونصارى اهل نجران حتى تتبع سنتهم وطريقتهم وقيل حتى ترجع الى قبلتهم قبلة بيت المقدس قل ان هدى الله هو الهدى اي الصراط الذي دعى الله تعالى اليه وهو الذي انت عليه هو صراط الحق ولئن اتبعت اهواءهم يقول ان اتبعت ملتهم وصليت الى قبلتهم بعد ما ظهر لك ان دين الله تعالى الاسلام وان القبلة قد حولت الى الكعبة ما لك من الله من ولي ينفعك ويحفظك عن عقابه ولا نصير يدفع مضرة عقابه عنك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به عامة الناس وهو نظير قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشرك وهذا كما يقال في المثل اياك اعني فاسمعي يا جاره والملة ماخوذ من التاثير في الشي كما يوثر الملة في الطلمة والملة الرماد الحار والموضع الذي تخبز فيه سمي به لانه يوثر في ذلك الموضع فكذا يوثر كل دين فيمن دان به وفي هذه الاية دليل ظاهر على معجزات النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يومن بعد هذه الاية من اولئك احد **قوله عز وجل** الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون اعلام من الله تعالى ان من كان من علما بني اسرائيل غير حاسد ولا متعنت ولا طالب رياسة تلا التورية كما انزلت فامن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله بن سلام واصحابه واثنان وثلثون رجلا الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه من ارض الحبشة وثمانية من رهبان اهل الشام يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه يقال فلان يتلو فلانا اي يتبعه قال الله تعالى والقمر اذا تلاها وقيل معنى يتلونه يقرؤونه على حقيقة ما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته اولئك يومنون به يقرون بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن يجحد بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فاولئك هم الخاسرون وهم كعب بن الاشرف واصحابه وقال بعضهم المراد بالذين اتيناهم الكتاب امة محمد والمراد بالكتاب القران ومعنى يتلونه حق تلاوته يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ويؤمنون بمتشابهه ولا يتاولون منه شيا على غير تاويله **قوله عز وجل** يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين خطاب لليهود على جهة التقريع والتذكير لهم من الله عز وجل ما هم به عارفون يقول يا اولاد يعقوب عليه السلام احفظوا منتي التي مننت عليكم وهو ما في التورية من البشارة بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم واني فضلتكم

على

على عالمي زمانكم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها من حيث المعنى ان عبد الله بن سلام واصحابه استدلوا على نبوة عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب الذي في ايديهم فهلا تفعلون معشر اليهود كما فعلوا او لم لا تذكرون نعم الله تعالى عليكم وفايدة تكرار قوله تعالى يا بني اسرائيل ان هذه الاية اتصلت بقرينة لم يتصل بها الايات المتقدمات والقرينة ما ذكر من حديث علما اهل الكتاب الذين اكرمهم بحقيقة علم التورية عبد الله بن سلام واصحابه **قوله عز وجل** واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون رد على اليهود اعتمادهم على شفاعة ابائهم الانبيا صلوات الله عليهم وقد تقدم تفسير هذه الاية وقال الحسن قوله تعالى ولا تنفعها شفاعة ليس معناه انه يشفع لهم شفيع في الاخرة ولا ينفعهم ولكن معناه لا يشفع لهم احد في الاخرة فتنفعهم تلك الشفاعة وقيل فايدة تكرار القصص والالفاظ ان الله تعالى اراد بلطفه ورحمته ان يشهر هذه القصص في اطراف الارض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب ويزيد الحاضرين افهاما فان القران نزل بلسان القوم ومن مذاهبهم ان التكرار ارادة التوكيد وزيادة الافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة للتخفيف والايجاز وقد يقول القايل في كلامه والله لا افعل كذا ثم والله ما افعله اذا اراد التوكيد وحسم الاطماع من ان يفعله كما يقول والله افعله باضمار لا اذا اراد الايجاز والاختصار قال الله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقال عز من قايل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال الشاعر

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم

وقال الاخر

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا اين اينا

قوله عز وجل واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين معنى الاية واذكروا حين ابتلى ابرهيم ربه بكلمات قال ابن عباس اختبره الله تعالى بما تعبده من السنة وهي عشر خصال خمس منها في الراس وخمس في الجسد فاما اللاتي في الراس فالمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الراس اذا كان شعرانيا واما اللواتي في الجسد فتقليم الاظفار والختان والاستنجا بالما وحلق العانة ونتف الابط وعن عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما ابتلاه الله تعالى بالمناسك التي تعبده بها وهي عرفة والمزدلفة ورمي الجمار والطواف والسعي وكان الحسن رضي الله عنه يقول ابتلاه الله تعالى بامر عظيم فصبر عليه واحسن الظن بالله تعالى فاول ما ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس فعلم ان ربه دايم لا يزول ثم كان الابتلا بالنار فجعلها الله عليه بردا وسلاما ثم ابتلاه بالهجرة من اهله ووطنه وخرج مهاجرا الى الله تعالى ثم ابتلاه بالختان على راس ثمانين سنة ثم ابتلاه بذبح الولد فاتخذه خليلا وجعل ملك الدنيا ونبوتها في ذريته الى يوم القيمة وذكر عن اهل اللغة لانه يأتي الذهب والفضة اختبرك بالنار والمومن يختبر بالبلا ومعنى قوله تعالى فاتمهن اي عمل بهن ولم يدع منهن شيئا قال اني جاعلك للناس اماما ياتم بك الناس فيتبعونك وياخذون عنك قال ومن ذريتي اجعلهم ايمة يقتدى بهم قال لا ينال عهدي الظالمين اعلمه الله تعالى ان في ذريته الظالمين وان الظالم لا يصلح ان يكون اماما للناس فلا يتم ولا العهد الذي عاهدتك فان قيل كيف يصح هذا التاويل الذي ذكرتم ومن الملوك الكفار من ثم ان الناس قيل معنى الاية لا الزم الناس طاعة الكفار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والعهد في اللغة الامر والوصية ومنه عهود الخلفا الى الامرا والقضاة وعن السدي رحمه الله ان المراد بالعهد النبوة وقال الحسن رحمه الله ليس للظالمين عند الله عهد يعطيهم عليه خيرا في الاخرة وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا ينال

عهدی الظالمون وهذا اقرب من الاول لان من نالک فقد نلته ه والابتلا وجهان احدهما الامر ای امر
ابرهيم عليه السلام ربه يقال اختبرت فلانا بكذا اى امرته والثانى التجربه ومعنى التجربة من الله تعالى
اظهار ما علمه فی الازل وانما سمی ذلک ابتلا مع علم الله تعالى بعواقب الامور كلها لان الله تعالى يعامل عباده
معاملة المبتلى المختبر حتى انه لا يجازى احدا على ما يعلم انه سيفعله ما لم يقع منه كما لا يجازى المبتلى غيره ما
لم يقع منه ذلك فلهذا جاز ان يسمى امر الله ابتلاه و فی ابرهيم لغات قرا ابن عامر ابراهام وعن ابن الزبير
ابرهام وعن ابی بكر ابراهم وقيل ابرهم وذلك انه اسم اعجمی فاختلفوا فيه كما اختلفوا فی جبريل وميكايل
واطلاق لفظ الامام انما يتناول من يجب الايتمام به فی دين الله تعالى وقد يسمى بذلک من يوتم به فی
الباطل قال الله تعالى وجعلناهم ايمه يدعون الى النار فسماهم ايمة لانهم انزلوهم منزلة من
يقتدى بهم فی امور الدين وان لم يكونوا ايمة يجب الايتمام بهم قال النبی صلى الله عليه وسلم اخوف
ما اخاف على امتی الايمة المضلون وفی الايه دلالة ان الانسان لا يبلغ درجة الاخيار الا بالتعب
وجهد النفس لان الله تعالى انما اكرم ابرهيم عليه السلام بكرامة الامامة بعد الابتلا **قوله**
عز وجل وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَاَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ اِبْرٰهِيمَ مُصَلًّى
وَعَهِدْنَا اِلٰى اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ معنى
الايه والله اعلم واذكروا اذ جعلنا الكعبة حيث يثوب ويرجعوا اليه الناس فی كل سنة فی حجهم وعمرتهم
مرة بعد اخرى قال ابن عباس لا يقضی احد وطره منه بل كل من حجه احب الرجوع اليه مرة بعد اخرى
وقيل معنى مثابة يحجون اليه ويثابون عليه فاما قوله تعالى وامنا وصف البيت بالامن والمراد به
جميع الحرم كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة والمراد بذلک الحرم لا الكعبة نفسها لانه لا يذبح فی الكعبة
ولا فی المسجد فمعنى قوله تعالى فی هذه الايه وامنا ای جعلنا الحرم مامنا كما قال الله تعالى
فی ايه اخرى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ای جعلنا الحرم ذا امن من ان يهاج فيه احد فكل
من احدث حدثا فی غير الحرم ثم لجا الى الحرم لم يتعرض له وهذا شی كانوا يتوارثونه فی زمن
اسمعيل فبقوا عليه الى ايام النبی صلى الله عليه وسلم وقد كانت العرب فی الجاهليه تعتقد ذلک فی
الحرم وتستعظم القتل فيه كان الرجل يرى قاتل ابيه واخيه وابنه فی الحرم فلا يتعرض له قال
ابن عمر رضی الله عنهما لو وجدت قاتل ابی فی الحرم ما هجته ومن الامن الذی جعله الله تعالى للحرم
ان ساير بقاع الحرم مشابهة لساير الارض ثم تجتمع فی الحرم الطير والكلب ولا يهيج الكلب الصيد
ولا ينفر الصيد من الكلب حتى اذا خرجا من الحرم عدا الكلب على الصيد وعاد هو الى النفور والهرب
وذلک دلالة على توحيد الله وعلى تفضيل الله تعالى ابرهيم عليه السلام وتعظيم شانه فاما قوله تعالى
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قال ابن عباس رضی الله عنه مقام ابرهيم الحج كله عرفه ورمی
الجمار والمزدلفة وقال مجاهد هو الحرم كله وقال السدی مقام ابرهيم هو الحجر المعروف بمكة
وهو الذی وضعته امراة اسمعيل عليه السلام تحت قدم ابرهيم عليه السلام حين غسلت راسه
وضع ابرهيم عليه السلام رجله على الحجر وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت
رجله فی الحجر فوضعته فی الشق الاخر فغسلت الشق الاخر فغابت رجله الاخرى فيه وظهر
اثر قدميه فی الحجر وهذا كان من احدى معجزات ابرهيم عليه السلام حين جعل الله تعالى ذلک الحجر
تحت رجله كالطين حتى ظهر اثر قدميه فيه وهذا القول هو الصحيح فانه **روی** عن عمر
ابن الخطاب رضی الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقد وقفا على
مقام ابرهيم عليه السلام اليس هذا مقام ابرهيم عليه السلام قال نعم قال افلا نتخذه مصلى
فانزل الله تعالى هذه الايه وكان النبی صلى الله عليه وسلم اذا طاف بالبيت اسبوعا تقدم الى مقام

فوله ج

ابرهيم فجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين **واما** قوله تعالى مصلى قال بعضهم معناه
مدعى من قولهم صليت اى دعوت وهذا راجع الى من جعل مقام ابرهيم عليه السلام الحج كله
عرفه ومنى والمزدلفه **وقال** بعضهم اراد بقوله تعالى مصلى القبله وهذا لا يصح لان الامه اجمعت
على ان مقام ابرهيم عليه السلام لا يجوز ان يكون قبله حتى لو نوى بالصلوه مقام ابرهيم عليه السلام
وعرف ان مقام ابرهيم ليس هو القبله لم تجز صلوته بالاجماع **وقال** قتاده معنى قوله تعالى مصلى اى يصلون
عنده وهذا هو الصحيح لما رويناه من خبر عمر رضی الله عنه **فاما** معنى قوله تعالى وعهدنا الى ابرهيم
واسمعيل اى امرناهما ان يطهرا بيتی مسجدی من الاوثان والنجاسات **وقال** بعضهم اراد بتطهير البيت ان يبنياه
على الحد الذی امرهما الله تعالى كما قال الله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان وقوله
للطايفين اى الذين يطوفون بالبيت وينتابونه من كل وجه وهم الغربا والعاكفين هم المقيمون
المجاورون والركع السجود هم المصلون **وقال** الحسن اراد بذلک جميع المسلمين فان من شان المسلمين
الركوع والسجود ه والمثابة لغه فی المثاب كالمقامة والمقام يقال ثاب جسم فلان اذا رجع اليه بعد
النحول وقيل انما ادخل الها فی المثابه للمبالغه لكثرة من يثوب اليه كقولهم علامة ونسابة ه والطايف
هو الذی يحول الشی يقال طاف اذا داره والعاكف والمعتكف واحد والعكوف لزوم المكان يقال
عكف يعكف ويعكف عكفا وعكوفا اذا لزم المكان ه **وقال** الخليل يقال عكف على الشی اذا اقبل
بوجهه عليه ولم يصرف وجهه عنه وقوله بيتی اضافة تفضيل ای بيت عبادی الذين تعبدتهم بقصده
والطواف حوله ه والركع جمع راكع مثل غازی وغزى ه والسجود جمع ساجد مثل شاهد وشهود وفی الاية دلالة
ان مباح الدم اذا التجا الى الحرم لا يتعرض له لان قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا امر من
الله تعالى للناس ان يومنوا فيه الناس لانه خبر لان اخبار الله تعالى لا بد ان يكون مخبره على وفق
خبره الا ترى انه قال مثابة للناس ويجوز ان يكون قوله تعالى مثابة للناس على الوجوب فان الحج
يشتمل على طواف القدوم وطواف الزيارة والصدر وذلک كله لا يحصل الا بالعود الى البيت مرة بعد اخرى وفی
قوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى دليل لزوم ركعتی الطواف ومن قرا واتخذوا بنصب الخا
على الخبر فهو ثنا من الله تعالى على مصلی ركعتی الطواف وقد يذكر بلفظ الخبر ويراد به الامر والله اعلم
قوله عز وجل وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا وَارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ
اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلٰى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
معطوف على ما قبله من تذكير الله تعالى اهل الكتاب نعمه عليهم وعلى سلفهم فی عطيته اياهم المعنى واذكروا
اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا يعنی الحرم بلدا امنا يقول ذا امن من القحط والجدب لا يكونوا الا
ويوجد فيه انواع الثمار لانه كان اسكنهم بواد غير ذی زرع ولا ضرع فسال لهم الامن من الجدوبة
وقيل ان معناه امنا من الحرب ای حرما يا رب فيه القتال وارزق اهله من الثمرات من امن صدق
منهم بالله وبالبعث قال جعفر الصادق رضی الله عنه احب ابرهيم عليه السلام ان لا ياكل طعام الله الا
الموحدون فاعلمه الله تعالى ان الدنيا باسرها لا خطر لها عند الله تعالى واخبره انه لا يخلق خلقا الا رزقه
فذلک قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا ای سارزقه فی الدنيا يسيرا ثم اضطره فی الاخرة الى عذاب النار وبيس المصير
ويقال خشی ابرهيم عليه السلام ان لا يستجاب له فی الرزق كما لم يستجب له فی الامامة فخص المومنين بالمسلة للرزق
لهم فاعلمه الله تعالى ان المومن والكافر فی الرزق سوا ومن قرا فامتعه بالتخفيف فهو من امتع يمتع وهو لغة
وقرى فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الدعا ولفظ الامر اذ ذكرته مع من هو دونک يكون امرا على الحقيقه كقولک
لغلامک افعل كذا او كذا واذا ذكرته مع من هو فوقک يكون مسلة ودعا كقولک اعطنی واغفر لی وارحمنی فان قال
قايل كانت مكة حرما امنا قبل دعوة ابرهيم عليه السلام او صارت حرما بدعايه قيل اختلف الناس فی ذلک قال

ـ ص
لا يرزقه
صادوا اليه ج

بعضهم صارت حرما بدعا ابرهيم عليه السلام واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم اني حرمت المدينة كما حرم ابرهيم عليه السلام مكة وقال بعضهم وهو الاصح كانت مكة حرما امنا قبل دعا ابرهيم عليه السلام **كما روي** عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وجعلها بين اخشبين يعني بين جبلين فعلى هذا كانت مكة حرما امنا قبل دعا ابرهيم عليه السلام من الخسف ومن عذاب اهله بالاصطلام وكان الله تعالى جعل في قلوب الناس هيبة لذلك المكان حتى كانوا لا ينتهكون حرمة من كان فيه بمال ولا نفس ثم بدعا ابرهيم عليه السلام صارت حرما امنا بان امر الله تعالى الناس بتعظيمه على السنة الرسل عليهم السلام والواو في قوله تعالى ومن كفر دليل على اجابة الله تعالى دعوة ابرهيم عليه السلام خاصة لمن امن منهم بالله واليوم الاخر ودليل استقبال اخبار بتمتيعه عز وجل من كفر قليلا ولولا الواو لكان ما بعده منقطعا عن الاول غير دال على استجابة الله تعالى ابرهيم عليه السلام فيما ساله **قوله عز وجل** وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ عطف على ما قبله وكذلك انه روي في الاخبار ان ادم عليه السلام كان قد بنا البيت ثم عفي اثره بعد الطوفان فامر الله تعالى ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ان يبنياه وبعث سحابة فيها راس يتكلم فقالت يا ابرهيم عليك السلام ابن بحيالي فكان ابرهيم عليه السلام يبني البيت واسمعيل عليه السلام يناوله الحجارة والملئكة عليهم السلام ينقلون الحجر من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا والجودي ولبنان وحرا فلما فرغا من البنا جثيا على الركب فقالا عليهما السلام ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فقيل قد تقبل ذلك لكما فقالا عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك الى اخر الايتين ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ يبني ابرهيم واسمعيل عليهما السلام القواعد من البيت يقول اساس الكعبة وهما يقولان ربنا تقبل منا بنياننا انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ونظير هذه الاية قوله تعالى والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم اي يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم وكذلك قوله تعالى والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم يقولون اخرجوا انفسكم ويجوز اضافة البنا الى الاثنين وان كان الباني احدهما اذا كان الاخر سببا في ذلك ايضا كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض غسله ستة نفر ومعلوم بان الغاسل كان واحدا او اثنين والباقون كانوا يتعاونون في غسله والقواعد جمع قاعدة وهي اساس البنا وكل قاعدة اصل للذي فوقها والتقبل ايجاب الثواب على العمل تشبيها بقبول الهدية فان الملك اذا قبل الهدية اثاب المهدي عليها ويروى عن ابن عمر رضي الله عنهما ان ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض امره جبريل عليه السلام بان يحج الكعبة ودله على مواضع المناسك والطواف والوقوف بعرفة والمزدلفة ورمي الجمار فلما فرغ من الحج استقبلته الملئكة وقالوا له بر حجك اي تقبل الله تعالى منك ذلك حججنا قبلك هذا البيت بالفي عام والله اعلم **قوله عز وجل** رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا اُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَاَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ حكاية عن دعا ابرهيم عليه السلام قالا ربنا واجعلنا مخلصين موحدين لك اي ادم لنا توفيقك وتسديدك وزدنا من لطائفك وفوائدك واجعل من ذريتنا امة مخلصة لك بالتوحيد والطاعة وعرفنا متعبداتنا وتجاوز عن ذنوبنا اي الصغاير التي اتيناها او نأتيها لان ذنوب الانبيا عليهم السلام لا تكون الا الصغاير التي لا تزيل الولاية ولا تخرج من العدالة والطهارة انك انت المتجاوز عن ذنوب العباد الرحيم بهم والاسلام في اللغة الاستسلام للشي والخضوع له والمسلم لله تعالى المظهر لقبول امر الله تعالى المبطن مثل ما يظهر وهو مومن ومسلم مصدق بالقلب خاضع مستسلم في الظاهر وقد يكون معنى الاسلام الدخول في السلامة باظهار الخضوع مع اعتقاد الكفر على ما قال الله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا وفي قوله تعالى اي تاملته اوجه بالتحقق والتمكن والاخلاص ممن تحقق فهو على الاصل

لانه

لانه كان في الاصل اي ارنا فاستثقلت وحذفت الهمزة ونقلت كسرتها الى الراء دلالة على الهمزة ومن قرا بسكون الرا فهو للتخفيف كما يقال عضد وفخذ بسكون الضاد والخاء الا ان مثل هذا السكون انما يستعمل في اللفظ الواحد فاما في اللفظين فلا ومن اختلس فالتحقيق يودي الى توالي الحركات والتسكين يودي الى الاجحاف لما فيه من حذف الهمزة والحركة جميعا فالوجه ان يختلس ويعطى الحركة والسكون والمناسك جمع المنسك والمنسك الموضع الذي يتقرب فيه الى الله تعالى واصل النسك الذبح يقال نسكت اي ذبحت والنسيكة الذبيحة المتقرب بها الى الله تعالى ثم اتسعوا فيه حتى جعلوا المنسك موضع الطاعة والعبادة ومنه قيل للعابد ناسك ومناسك الحج ما تقتضيه من الذبح وساير افعاله قال النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الاضحى اول نسكنا في يومنا هذا الرمي ثم الذبح ثم الحلق **قوله عز وجل** رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قالا ربنا وابعث في ذريتنا رسولا منهم يقول من اهل نسبهم يقرا عليهم علامات وحدانيتك ويعلمهم الكتاب الذي ينزل عليه ومواعظ الكتاب ومعانيه وقيل اراد بالحكمة فقه الحلال والحرام ويقال اراد بالحكمة الكتاب ايضا الا انه خالف في اللفظ للتاكيد وزيادة الفائدة كما في قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضيا وذكرا للمتقين ومعنى يزكيهم يطهرهم من الكفر والفواحش وقيل يصلحهم باخذ زكوة اموالهم وقيل ينميهم اي يكثرهم ويبقي اثارهم بعدهم انك انت المنيع الذي لا يغلبه شي الحكيم الذي يحكم بما يريد ويقال هو الذي يكون عمله موافقا للعلم والمراد بالرسول في هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم وبالكتاب القران روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا دعوة ابي ابرهيم عليه السلام وبشرى اخي عيسى عليه السلام اراد بالدعوة هذه الاية وبالبشرى قوله تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد والحكمة ماخوذة من حكمة الدابة لان الحكمة تمنع صاحبها من الجهل كما تمنع الحكمة الدابة ترددها عن غرتها وافسادها والزكوة في اللغة عبارة عن النما يقال زكا الزرع اذا نما والزكوة الطهارة ايضا يقال فلان زكي فلانا اذا شهد له بالطهارة والعزة الغلبة من ذلك قولهم من عز بز اي من غلب سلب ويقال عز الشي ان لا يوجد له نظير والعزيز الذي يعجز طالبه عن ادراكه فعلى هذا يكون معنى العزيز في اسم الله تعالى الذي لا نظير له والحكيم قد يكون بمعنى الحاكم وهو فعيل بمعنى الفاعل كالعليم والسميع **قوله عز وجل** وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ اِبْرٰهِيمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَاِنَّهُ فِي الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ تحريض من الله تعالى على ملة نبينا صلى الله عليه وسلم التي هي ملة ابرهيم لان ابرهيم واسمعيل عليهما السلام كانا سالا في دعائهما ان يبعث الله تعالى من ذريتهما بمكة رسولا لان الكلام كان في ذكر مكة ولم يكن احد من اهل مكة من ذريتهما نبيا سوى نبينا صلى الله عليه وسلم وملة ابرهيم عليه السلام داخلة في ملة نبينا صلى الله عليه وسلم مع الزيادات التي في شرايع هذه الملة ومعنى هذه الاية اي لا يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه ولفظة من يرغب استفهام مع انكار وتقريع بمعنى النفي اي لا يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه اي الا السفيه واختلفوا في معنى قوله تعالى الا من سفه قال الكلبي خسر وقال ابو عبيدة اهلك واوبق وقال بعض اهل اللغة سفه بمعنى سفه قال يونس النحوي يجوز ان تقول سفهت زيدا اي سفهته وقال الزجاج معنى سفه نفسه اي جهل نفسه يعني لم يفكر في نفسه انه لها خالقا وذلك ان الله تعالى اقام من العقلا الادلة على التوحيد في نفس الانسان وتركيبه واختلاف احواله ولذلك قال سبحانه سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقال عز من قائل وفي انفسكم افلا تبصرون وقال الرسول صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه كانه تعالى يقول من يرغب

عن ملة ابرهيم التي هي اخلاص العبادة لله تعالى ويتبع ما تعبده الامم من الاصنام فهو جاهل بنفسه
حين تعبد حجرا او شمسا او قمرا وهذه حجة في التوحيد وجيزه قال قطرب وغيره اراد بقوله
تعالى من سفه نفسه من سفه نفسا ثم ذكر النفس واضاف توكيدا لان النفس هي المعنى
وهذا كما يقال هذا الامر بعينه وهذا الامر نفسه وقيل معناه سفهت نفسه فنقل الفعل من
النفس الى ضمير من ونصب النفس على التشبيه بالتفسير يقال طاب زيد بامره نفسا وقر به عينا
ووجع زيد راسه وقال بعضهم معنى سفه نفسه سفه في نفسه الا انه حذف حرف الخفض
فنصب ما بعده كما في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح ويقال ضربت فلانا الظهر
والبطن اي على الظهر والبطن ٥ والسفه في اللغة خفة العقل فكان انفسهم خفت عندهم اذ حملوها
على الكفر بملة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي ملة ابرهيم عليه السلام لان الذي بعث محمدا صلى الله
عليه وسلم شرف العرب واعز قدرها فالراغب عن ذلك لا يكون الا سفيها خفيفا ذليلا بعدوله عن
عزه وشرفه ولفعله ما يستحق به ذل الدنيا والاخرة ٥ ولقد اصطفيناه يعني ابرهيم عليه السلام
في الدنيا اجتبيناه واخترناه للرسالة وانه في الاخرة لمع ابايه المرسلين المستوجبين الثواب
والكرامة على الله تعالى ٥ والرغبة في اللغة هي محبة ما للنفس فيه منفعة ولهذا لا يجوز في صفات
الله تعالى راغب لانه لا يجوز عليه المنفعة والرغبة من الاضداد يقال رغب في كذا اذا اماله اليه
واحبه ورغب عن كذا اذا هجره واعرض عنه ٥ والاصطفا افتعال من الصفوة ٥ والصالح في
الحقيقة من كان في غاية الرفعة وان استعمله الناس في وسط من الاشيا لان الصلاح ضد الفساد

قوله عز وجل إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين متصل بقوله تعالى
ولقد اصطفيناه في الدنيا اى اصطفيناه حين قال له ربه اسلم وذلك حين خرج من السرب
وراى الكوكب والشمس والقمر فلما افلت الشمس وراى ابرهيم عليه السلام تلك الايات
والادلة الهمه الله تعالى الاخلاص فاستدل وعرف وحدانية الله تعالى قال الحسن رضي الله
عنه فاسلم حينيذ وقال اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
الاية وليس معنى قول الحسن رضي الله عنه انه اسلم حين افلت الشمس انه كان كافرا قبل ذلك
لان الله تعالى لا يجتبي من كان كافرا قط لكن معناه لما توجه التكليف عليه في تلك الحالة
ومن توجه عليه التكليف نظر واستدل حتى عرف الله تعالى وقال حينيذ اسلمت اخلصت لرب
العالمين ويجوز ان يكون معنى الاسلام تسليم الامور الى الله تعالى والانقياد له من غير امتناع
وعصيان اخبر الله عز وجل عن حسن اجابته وقبوله ما امر به عند ما وضح له من البرهان
من غير ميل الى هوى ولا عصبية **قوله عز وجل** ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب
يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون المعنى والله تعالى اعلم امر
بالملة ابرهيم بنيه ويعقوب بنيه ويقال ووصى بكلمة الاخلاص لا اله الا الله بنيه وهم اربعة
اسمعيل واسحق ومدين ومداين وكناية الملة في هذه الاية اصح لان رد الكناية الى المذكور اولى من
ردها الى المدلول وكلمة الاخلاص مدلول عليها في ضمن قوله تعالى اسلمت لرب العالمين ٥ فاما
قوله تعالى ويعقوب يقرا بالرفع والنصب فمن قرا بالنصب فالمعنى وصى بها ابرهيم بنيه وحافده
يعقوب ثم ذكر وصية يعقوب عليه السلام في الاية التي بعد هذه الاية ومن قرا يعقوب
بالرفع فالمعنى ثم وصى بها يعقوب بنيه الاثني عشر وذلك لما دخل مصر راى اهلها يعبدون الاوثان
والاصنام والنيران فوصى بنيه فقال يا بني ان الله اختار لكم الدين يعني الاسلام فلا تموتن الا وانتم
مسلمون اى لا يصادفكم الموت الا وانتم مسلمون اى لا يصادفكم الموت الا وانتم على حالة الاسلام يعني

الزموا

الزموا الاسلام واثبتوا عليه وهو كما يقول الرجل لاخر لا اريتك هاهنا غدا لا يريد به نهي نفسه
عن الرويه لكن معناه لا تكونن هاهنا حتى لا اراك ٥ ووصى واوصى لغتان من التوصية والايصا
والتوصيه نقيض الاهمال وهي اوكد من الامر المطلق وفي الاية دليل ان الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين
ما كانوا يهتمون الا بامر الدين وما كانوا يقصرون وصاياهم الا عليه وكل ذلك ليعتبر الناس فيسلكوا هذه
الطريقه وفي قوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون حث على الاسلام على الفور وفي كل حال وذلك ان
المراد ان من لم يامن الموت في كل طرفة عين ثم امر بالشي ان ياتيه قبل الموت صار مامورا به في كل
وقت وفي كل ساعة لانه مامور بما لا يامنه في كل وقت فيخشى ان لم يبادر اليه تعاجله المنيه فيفوته
الظفر الهلاك فيصير مدخلا نفسه في الخطر والغرور ٥ **روي** انه لما نزلت هذه الاية قالت
اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب عليه السلام يوم مات اوصى بنيه بدين
اليهوديه فانزل الله تعالى **قوله عز وجل** أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت
إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
إلها واحدا ونحن له مسلمون معناه أكنتم ايها اليهود حضورا حين حضر يعقوب عليه السلام
الموت اذ قال لبنيه يا اولادي اي شي تعبدون من بعد موتي قال ذلك امتحانا لهم فاجابوه بلب وعقل
وقالوا نعبد الهك واله ابايك ابرهيم الخليل واسمعيل الصادق واسحق الحليم الها واحدا لا شريك له ونحن
له مسلمون مخلصون معترفون بالعبودية والتوحيد وكان اسمعيل عم يعقوب عليه السلام ولكن العم في
عرف العرب بمنزلة الاب ويجب تعظيم الاعمام مثل ما يجب تعظيم الابا والاجداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم
عم الرجل صنو ابيه والمراد بحضور الموت في الايه اسباب الموت لان من حضره الموت لا يمكن من القول
والوصيه وقد يسمى سبب الشي باسم ذلك الشي كما ان الفعل لما كان سببا الى الجزا قيل الجزا بالجزا وقد قال
الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها واذ الثانيه في الايه بدل عن اذ الاولى وهما جميعا في موضع النصب والعامل
فيهما معنى الشهادة في اول الايه وقرا بعضهم اله ابيك تقديره اله ابيك ابرهيم واله اسمعيل واسحق
عليهما السلام كما تقول رايت غلام زيد وعمرو اي غلامهما وموضع هذه الاسامي خفض على البدل
من ابايك وقوله تعالى الها واحدا نصب على البدل من الهك وقيل على الحال اي في حال وحدانيته

قوله عز وجل تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما
كانوا يعملون اى لا تتكلوا ايها اليهود على ابايكم واسلافكم اعتمادا منكم على شفاعتهم فانهم
جماعة وعصبة قد مضت لها جزا ما عملت من خير او شر ولكم جزا ما عملتم من خير او شر وانما تسالون
عن اعمالكم لا عن اعمال غيركم ونظير هذه الايه قوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة
وزر اخرى وروي ان رجلا جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابنه فقال اما انه لا يجني عليك
وانت لا تجني عليه اى انه لا يوخذ بجنايتك وانت لا توخذ بجنايته ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال يا بني هاشم لا ياتيني الناس يوم القيمة باعمالهم وتاتوني بانسابكم فاقول اني لا اغني
عنكم من الله شيا وقال صلى الله عليه وسلم من بطا به عمله لم يسرع به نسبه **قوله
عز وجل** وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين
في الاية ايجاز واختصار المعنى قالت اليهود كونوا هودا فان ديننا الحق ونبينا افضل وقالت النصارى
كونوا نصارى فان ديننا افضل الاديان ونبينا افضل الانبيا صلوات الله عليهم قال الله تعالى قل لهم
يا محمد صلى الله عليه وسلم بل نتبع ملة ابرهيم حنيفا اى مسلما مخلصا مايلا عن كل دين سوى دين الاسلام
وما كان من المشركين اى ما كان ابرهيم عليه السلام معهم على دينهم وقوله تعالى تهتدوا جزم على
جواب الامر المعنى ان تكونوا على هذه الملة تهتدوا ويجوز ان يكون نصب ملة على معنى بل نكون

بالنجاة وبخلافهم

ومعنى ج

اهل ملة ابرهيم عليه السلام فحذف الاهل كما في قوله تعالى واسال القريه والاصل في الحنف ميل اصابع القد
يقال رجل احنف وامراة حنفا اذا كانت تقبل قدماها كل واحدة منهما الى اختها باصابعها وحكي ان
ام الاحنف بن قيس كانت ترقصه وتقول والله لولا حنف برجله ودقة في ساقه من هزله
ما كان في فتيانكم من مثله وسمي ابرهيم حنيفا لانه حنف عما كان يعبد اباوه وقومه من
الالهة اي عدل عن ذلك وكان يسمى في الجاهلية من اختتن وحج البيت حنيفا وقيل معنى الحنيف هو الذي
يكون على الدين المستقيم حكي عن بعض اهل اللغة ان الحنف الاستقامة وانما سمي الرجل المعوج
الاحنف على التفاول كما يقال للاعمى البصير وللمهلكة مفازة **فان قيل** كيف نتبع ملة ابرهيم
عليه السلام ولنا شرايع لم تكن مشروعة من قبل **قيل** اصل العقد توحيد الله والايمان برسله
ولا اختلاف في ذلك والفايده في ذكر ملة ابرهيم عليه السلام في هذه الايه ان تلك ملة لا شك انها
حق عندنا وعند اليهود والنصارى على اختلاف مقالاتها وتبري بعضها من بعض فكانه تعالى
بين انه ان كان طريق اتباع الدين التقليد والرجوع الى قول من يدعو الى دينه فالاولى في ذلك
اتباع الملة التي قد حصل الاتفاق على انها حق ودين ورد ما فيه اختلاف ولم يختلف الناس ان ملة
ابرهيم عليه السلام الاسلام والتوحيد لانه لا شرك في شريعته لا من جهة التصريح ولا من جهة المعنى
ليس هو كدين اليهود والنصارى لان من دين اليهود ما يزعمون ان التشبيه مصرح بها في التوريه
ويقولون عزير ابن الله ومن دين النصارى التثليث فقد بان حجة المسلمين عليهم فظهرت **قوله عز وجل** قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ٥ وذلك
ان الله تعالى لما اخبر عن هولا المبطلين في الايه المتقدمة وبين الحجة عليهم بين بعد ذلك ما يقوله المحقون
وعلمهم كيفية القول في الايمان بهذه الحجة قال ابن عباس رضي الله عنه جا احبار اليهود الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا بمن نومن من الانبيا صلوات الله عليهم فانزل الله تعالى هذه الايه قولوا
امنا بالله فلما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم الى قوله وعيسى قالوا لا نومن بعيسى ولا بمن امن بعيسى
عليه السلام وقالت النصارى نومن بعيسى وموسى عليهما السلام ولا نومن بك فانزل الله تعالى قوله
قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله الى اخر الايه ومعنى هذه الايه والله تعالى اعلم قولوا صدقنا
بالله بانه واحد لا شريك له وصدقنا بما انزل على نبينا من القران وبما انزل من الصحف على ابرهيم
عليه السلام التي كان يعمل بها هو واولاده واحفاده من بعده وصدقنا بما اوتي موسى وهو التوريه
وعيسى وهو الانجيل وبما اعطي النبيون كلهم صلوات الله عليهم من الكتب من عند ربهم لا نفرق
بين احد منهم في الايمان لا نفعل كما فعلت اليهود والنصارى قالوا نومن ببعض ونكفر ببعض ومعنى ونحن
له مسلمون اي مخلصون لله بالعبادة والتوحيد وانما اضاف الله تعالى في هذه الايه ما انزل الى
اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وانما كان انزل على ابايهم لانهم كانوا جميعا يعملون بذلك فاضاف
الانزال اليهم كما قال وما انزل الينا واراد ما انزل الى نبينا صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني يعقوب
عليه السلام كالقبايل في بني اسمعيل عليه السلام وهم اثنى عشر سبطا من اثنى عشر ولدا ليعقوب
عليه السلام كل سبط يرجع الى اب على حدة **قوله عز وجل** فان امنوا بمثل ما امنتم به
فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم
ترغيب لهم في الايمان التام الكامل وبيان ان من يومن بنبي ولا يومن باخر وطريقهما في المجي واحدة
لا يكون على التحقيق مومنا بالاول ومعنى الايه ان صدقوا واقروا كاقراركم بالله ورسله وكتبه
فقد اهتدوا من الضلالة وان ابوا واعرضوا عن قبول الايمان بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم فانما هم في خلاف

من

من الدين وعداوة فسيكفيكهم الله وساير المسلمين شرهم وهو السميع لمقالة اليهود والنصارى
العليم بهم وبعقوبتهم والشقاق في اللغة مفارقة الحق من قول الناس فلان شق عصا المسلمين اي
فارق ما اجتمعوا عليه من اتباع امامهم وصار في شق غير شق المسلمين وقال بعضهم الشقاق مشتق من
المشقة فان كل واحد من العدوين يفعل ما يشق على صاحبه والفا في قوله تعالى فسيكفيكهم الله
ناسقة لنظم الكلام والسين سين الوعد والكاف الثانيه للخطاب والها والميم كناية عن اليهود والنصارى
والخطاب والكناية كلاهما في موضع النصب لان الكفاية تتعدى الى مفعولين تقديرا لكلام سوف يرفع الله تعالى
عنك مونة هولا الكفار فان قال قايل كيف قال بمثل ما امنتم وليس لله تعالى مثل قيل قد اختلف الناس في جواب
هذا السوال فقال بعضهم الباء زايدة كما في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا معناه كفى الله وقال بعضهم معنى الايه فان
امنوا على مثل ما امنتم به وهذا كما يقال كتبت بمثل ما كتبت وعلى مثل ما كتبت اي اتخذت كتابتك مثالا فكتبت عليها
وقيل عن بعضهم مثل زايدة كما يقال مثلي لا يقبل من مثلك اي انا لا اقبل منك وقيل لا احتياج هاهنا الى اسقاط شي
منها ومعنى الايه فان صدقوا كتصديقكم واقروا كاقراركم فقد اصابوا الحق وفي الايه ضمان من الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم ان يكفيه امر اعدايه فكفاه مع كثرة عددهم وحرصهم على قتله وفي هذا دليل صحة نبوته
صلى الله عليه وسلم اذ غير جايز اتفاق وجود مخبره على ما اخبر به في جميع اخباره الا وهو من عند الله تعالى
عالم الغيب والشهادة كما قال جل ذكره ليظهره على الدين كله وقال هو من قايل كتب الله لاغلبن انا ورسلي ونحو
ذلك من الايات **قوله عز وجل** صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون
بيان وصف كلمة التوحيد وهو متعلق بقوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا ومعنى هذه الايه والله
تعالى اعلم دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها واي احد احسن دينا منه ونحن له عابدون موحدون
وانما سمي الدين صبغة لان دين الاسلام يوثر في المتدين في الطهور والصلوة والسكينة والوقار وساير شعار
الاسلام كالصبغ الذي يكون في الثوب يبين به المصبوغ من غيره في الحسن والبراقة ولا شي في الاديان
احسن من دين الاسلام يظهر لكل ذي حاسة سليمة فضل الاسلام على ساير الاديان ولا يجوز ان يكون ما
خرج عن دين الاسلام حسنا ويقال المراد بالصبغة الختان على ان معنى ذلك يوثر في المختون قال ابن عباس
وذلك ان صنفا من النصارى كان اذا ولد لاحدهم ولد فاتى عليه سبعة ايام صبغوه اي غمسوه في ماء لهم
يقال له المعمودي ليطهروه بذلك وقالوا هذا طهور مكان الختان فقيل لهم صبغة الله اي التطهير الذي امر
الله به ابلغ في النظافة والختان طهور طهر الله تعالى به ابرهيم عليه السلام وكان هو اول من اختتن
بالقدوم وهو موضع بالشام قال الكلبي كان يوميذ ابن مايه وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين
سنه وقال قتادة ان اليهود كانوا يصبغون اولادهم باليهوديه والنصارى بالنصرانية اي كانوا يلقنونهم
اليهوديه والنصرانيه حتى كان يتشرب حب اليهوديه والنصرانيه في قلوبهم وهو ما روي عن عمر رضي الله عنه
انه اخذ على نصارى بني تغلب العهد ان لا يصبغوا اولادهم ولكن يتركونهم حتى اذا بلغوا اختاروا لانفسهم ما شاوا من
الاديان واخبر الله تعالى ان صبغة الله تعالى خير من صبغة اليهود والنصارى وقيل صبغة الله تعالى ان يصبغ قلب
المومن بما الرحمة فيطهره ويطيبه بما ليس بارضي ولا سماوي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ونصب صبغة الله تعالى على اضمار
الزموا وعلى تقدير بل ملة ابرهيم عليه السلام صبغة الله تعالى **قوله عز وجل** قل اتحاجوننا
في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون وذلك ان اليهود
كانوا يقولون نحن اهل الكتاب الاول والعلم القديم وكانوا يقولون والنصارى معهم نحن ابنا الله واحباوه
وكانوا يعيبون العرب بان كان فيهم عبدة الاوثان فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم
اتحاجوننا في الله تعالى ويقول لم تخاصموننا في دين الله تعالى وانتم تقولون ان ربنا وربكم واحد

ولنا اعمالنا لا نؤخذ باعمال سلفنا ولا تضرنا عبادة من عبد الاوثان منا اذ لم نعبدها نحن وكذلك انتم
لكم اعمالكم لا تؤخذون باعمال سلفكم ولا تثابون على ذلك ونحن لله تعالى مخلصون بالعباده والتوحيد
لا ندعي معه شريكا ولا صاحبة ولا ولدا واما انتم فكلكم او اكثركم مشبهة فيجب ان ينظر اينا اصلح عملا
واخلص لله تعالى نحن ام انتم ويقال هذه الايه جواب لمن كان يضاهي المشركين من اهل الكتاب معناه
انتم تقولون ان ربنا وربكم واحد فلم تظاهرون علينا من لا يوحد الله تعالى ان تعلقتم في امرنا بالتوحيد
فنحن موحدون وان تعلقتم باتباع دين الانبيا صلوات الله عليهم فنحن متبعون والمحاجه المجادله والمحاجة
وطلب كل واحد من الفريقين اقامة الحجة على صاحبه من قولهم حاججت فلانا فحججته ومن قرا اتحاجوننا
بنونين فعلى اصل الكلمه ومن قرا بنون واحدة مشدده فعلى ادغام النون الاولى في الثانيه لاجتماع
الحرفين من جنس واحد ومن قرا بنون واحدة مخففه فلانه اجتمع حرفان من جنس واحد فحذف
احدهما تخفيفا كما في قوله تعالى فبم تبشرون اصله تبشرونني **قوله عز وجل** ام تقولون

ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله
ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون مردود على ما تقدم
المعنى اتحاجوننا بقولكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا وقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى ام بقولكم ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى مع علمكم
ومعرفتكم بخلاف ذلك وهذا استفهام بمعنى التوبيخ فانهم كانوا يوهمون ان الدين الصحيح هو
اليهودية او النصرانيه وان هولاء الانبيا صلوات الله عليهم تمسكوا بها بقول الله عز وجل قل انتم اعلم
ام الله فان الله تعالى قد اخبرنا انهم كانوا مسلمين فقالوا ما هو كما قلت وانا على دين ابرهيم عليه
السلام وما انت برسول الله تعالى ولا على دينه فانزل الله تعالى هذه الايه ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله يعني به علما اليهود والنصارى لانهم علموا ان ابرهيم واسمعيل واسحق صلوات الله عليهم
كانوا حنفا مسلمين وان رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم حق بينه الله في التوريه والانجيل فكتموه حسدا
وطلبا للرياسه ثم اوعدهم الله جل ذكره بقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون اي لا يخفى عليه شي
من اعمالكم من كتمان بعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته فيجازيكم على ذلك في الاخره قوله تعالى ام
يقولون يقرا بالبا والتا من قرا بالتا كانت ام متصله على معنى باي الحجتين تتعلقون على نحو ما ذكرناه
ومن قرا بالبا كانت ام منقطعه ويكون هذا انقطاعا الى نوع احتجاج اخر غير الاحتجاج الاول والله اعلم
قوله عز وجل تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون
قد تقدم تفسيره من قبل فاما تكرار هذه الايه قال بعضهم المراد بالاول بنوا يعقوب واباوه عليهم السلام
والمراد بالثانيه الاسباط وقال بعضهم ان القران انما نزل على عادة العرب ومن عادة العرب انهم يذكرون
الجواب الواحد في اوقات مختلفة لاغراض مختلفه فيعدون ذلك فصاحة لا عيا وانما يعاب تكرار الكلام
في مشهد واحد وغرض واحد والله تعالى اعلم **قوله عز وجل** سيقول السفها من الناس ما ولاهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشا الى صراط مستقيم
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة نحو الكعبة وربما كان يجعل الكعبة بينه وبين
بيت المقدس فلما هاجر الى المدينه امر بان يصلي الى بيت المقدس لئلا يكذبه اليهود اذا صلى الى قبلتهم
لان نعته في التوريه ان يكون صاحب القبلتين فصلى الى بيت المقدس نحوا من سبعة عشر شهرا ثم
امره الله تعالى بالتحول الى الكعبة ليمتحن اهل الاسلام فيظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه من منافقي
اليهود وغيرهم فلما حول الله تعالى القبلة الى الكعبة بعد اقامة الحجة على الكفار في باب التوحيد
ثم في عظم حرمة الكعبة ثم في باب الانبيا صلوات الله عليهم ودينهم وملتهم علم ان الكفار يقولون في

او ثمانية عشر شهرا

نسخ

نسخ القبلة اشيا يوذون بها النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما سيقولون
في المستانف ليتعجل التسلي ويعرف ان ذلك من باب الوحي والغيب وكان كما اخبر الله تعالى وهو معدود
في المعجزات ومعنى الاية والله اعلم سيقول الجهال من الناس ما الذي صرفهم يعنون اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي قبلة بيت المقدس قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لله المشرق
والمغرب اي هو خالقهما وخالق جميع الاماكن يرشد من يشا الى طريق قايم يرضاه وهو دين الاسلام
وقبلة الكعبة واختلف المفسرون رحمهم الله في الجهال المذكورين في هذه الايه قال ابن عباس والبرا بن عازب
ان هولاهم اليهود عابوا النبي صلى الله عليه وسلم حين امر الناس بالتوجه الى الكعبة فانكروا النسخ من طريق العقل
وقالوا انه يشبه البدا وذلك لا يجوز على الله تعالى وفي قوله تعالى قل لله المشرق والمغرب رد عليهم لان من كان
مالكا المشرق والمغرب لا يعترض عليه في جميع ما يامر ويجوز ان يكون معناه ان الله تعالى خالق الاماكن كلها
فليس بعضها خلق اولى ان يجعل القبلة في العقل من بعض فوجب الانتها الى امر الله تعالى باستقبال ما شا الله
فانما تشرف الجهات في المشرق والمغرب بتشريفه اياها وبعبادة الله تعالى فيها وقد بين الله تعالى في الايه
التي بعد هذه الايه الحكمة التي اوجبت التحويل الى الكعبة مصلحة للعباد ومن الحجة على اليهود ان تزوج الاخ بالاخت
كان مباحا لولد ادم عليه السلام من صلبه ولولا ذلك لم يكن بينهم توالد ثم هو محرم في شريعة التوريه وساير
الشرايع وكما جاز من الله تعالى ان يحيي ويميت ويصح واحدا ويمرض اخر ويغني واحدا ويفقر اخر وخالف
بين احكام العباد فيتعبد بعضهم بحكم وبعضهم بضد ذلك الحكم في زمان واحد نحو تحريم الصلوة والصوم على
الحايض وايجابهما على الطاهر على حسب ما علم الله تعالى من مصالحهم ولم يكن شي من ذلك دليلا على البدا فكذلك
لا يمتنع ان يخالف بين احكام العباد في زمانين واما من زعم من اليهود ان النسخ بالعقل جايز الا ان موسى عليه
السلام اخبرهم ان شريعة التوريه وتحريم السبت لا ينسخ ابدا فالجواب عنه ان التوريه قد انبات عن نبوة
انبيا الله صلوات الله عليهم بعد موسى عليه السلام فكان تحريم السبت معلقا بتوقيت الانبيا عليهم السلام
بعد موسى عليه السلام فاذا الذي احلته مقرونا الى لفظ التحريم وتخصيصا له كانه قال حرموا السبت
ما لم احله على لسان نبي بعد موسى عليه السلام كما كان يجوز ان يقول لموسى عليه السلام تمسك بتحريم
السبت ما لم احله على لسانك وقال الحسن رضي الله عنه نزلت هذه الايه في مشركي العرب قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تحول الى الكعبه من بيت المقدس رغبت عن قبلة ابايك ثم رجعت اليها
فوالله لترجعن الى ديننا كما رجعت الى قبلتنا وقال السدي رحمه الله نزلت هذه الايه في المنافقين
حين استهزوا امر المسلمين بتوجيههم في الابتدا الى بيت المقدس ثم عودهم الى الكعبة وكانوا يقولون
تردد على محمد صلى الله عليه وسلم امره فما هذا الذي هو يفعله يصلي حينا الى ها هنا وحينا الى هناك وربما
كانوا يقولون استهزا لقد اشتاق الرجل الى مولده سوف يرجع الى ديننا فانزل الله تعالى هذه الايه
والله اعلم والقبلة الوجهه وهي الفعلة من المقابلة الا ان القبلة اختصت بالجهة التي يصلى اليها وانما
عبر عن الدين بالصراط المستقيم لان الدين المستقيم يودي الى الجنه من سلكه كما ان الطريق يودي سالكه الى
مقصوده وفي هذه الايه دليل على ان الصلوة كانت الى غير الكعبة واول حكم نسخ في الاسلام حكم
القبله **قوله عز وجل** وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على
عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس
لرءوف رحيم معنى الايه والله تعالى اعلم كما هديناكم الى قبلة هي اوسط القبل لان الكعبة متوسطة
بين المشرق والمغرب وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا ويقال خيارا والمعنى واحد ويقال في صفة النبي صلى الله
عليه وسلم هو اوسط قريش حسبا ويقال فلان وسيط في قومه ووسيط في حسبه يراد به الكامل المنتهي في الكمال

البدا اي الجهل

وتسمى واسطة المخنقة واسطة لكونها خيرما فيها وهذا لان المتوسط فى الامور لا يفرط فيغلو ولا يقصر فيضيع
كما يقال خير الناس هذا النمط الاوسط يلحق به التالى ويرجع اليه الغالى ووصف الله تعالى هذه الامة
بانهم وسط لمجانبتهم الغلو والتقصير لانهم لم يغلوا فى الانبيا صلوات الله عليهم كغلو النصارى فى المسيح حيث
قالوا المسيح ابن الله ولم يقصروا فى المسيح كتقصير اليهود حيث كذبوا انبيا الله صلوات الله عليهم وقتلوهم
لكن قالت هذه الامة هو عبد الله ورسوله عليه السلام فقولهم اعدل الاقوال وقيل معنى وسطا اى وسطا
بين الانبيا عليهم السلام فاما الوسط بسكون السين فهو الذى له طرفان ومعنى لتكونوا شهدا على الناس اى لان
تكونوا محتجين على جميع من خالفكم ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم محتجا ومبينا لكم اى مزكيا معدلا
ولهذا سمى الشاهدان بينة لانهما يبينان حق المدعى ويقال للمدعى ابرز حجتك فياتى بشاهدين وقد
يقام مقام اللام فى العربية كما فى قوله تعالى وما ذبح على النصب اى للنصب وقيل معنى لتكونوا شهدا
على الناس اى للنبين صلوات الله عليهم بتبليغ الرسالة وذلك ان سايرالامم تكذب انبياءهم
صلوات الله عليهم يوم القيمة بتبليغ الرسالة فتشهد هذه الامة بصدق الانبيا صلوات الله عليهم
و يشهد النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الامة بصدقهم وجازت هذه الشهادة وان لم يعاينوا
لوقوع العلم بذلك بخبر النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معنى لتكونوا شهدا اى يكون اهل كل
عصر من هذه الامة شهدا على اهل زمانه فيما خالف من افعالهم الحق فيشهدون عليهم فى الدنيا
بان هذا سارق وذا زان وذا شارب خمر وذا عاص وذا مطيع فتقبل هذه الشهادات كلها فى
الدنيا و يشهدون فى الاخرة بما شاهدوا من الاعمال فى الدنيا كما قال الله تعالى وجئ بالنبين
والشهدا ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيدا على من كان فى زمنه ويشهد عليهم
يوم القيمة بين يدى الله تعالى هذا يعنى وهذا عصانى كما قال الله تعالى فكيف اذا جينا
من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا وكما قال عز من قايل حكاية عن عيسى صلوات الله
عليه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقال بعضهم ويكون الرسول عليكم شهيدا على
اهل عصره وعلى من تقدم عصره وعلى من يوجد بعد عصره **وقد روى** فى الاخبار
ما يدل عليه فانه يروى ان اعمال الناس تعرض على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين وليلة
الخميس وروى انه تعرض اعمال الاحيا على ارواح الاموات فاما قوله تعالى وما جعلنا
القبلة التى كنت عليها اى ما امرتك يا محمد بالتوجه الى بيت المقدس فى الصلوة ثم بالانصراف
عنها الى الكعبة الا لنرى ونميز من يتبع الرسول ممن يرجع الى دينه الاول وفى هذا بيان
مصلحة العباد فى ان الله تعالى جعل قبلتهم اولا الى بيت المقدس ثم صرفهم الى الكعبة لان كفار
اهل مكة كانوا يستقبلون الكعبة ولو امر الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون باستقبالها
وهم بمكة لم يتميزوا من الكفار فلما حصل النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينه ومضى على ذلك
سبعة عشر شهرا او نحو ذلك وكانت اليهود مخالطة للمومنين وكانوا يجتهدون فى
تشكيك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ينافقون علم الله تعالى ان الصلاح
ان يميزوا من هولا اليهود فى القبلة ليلا يكون اجتماعهم على قبلة واحدة سببا لالفة بين
المومنين وبين اليهود فيكون فسادا لان اليهود اعدا الدين وان اظهروا المودة كما قال
الله تعالى لا تتخذوا عدوى وعدوكم اوليا وقال تعالى ها انتم اولا تحبونهم ولا يحبونكم الاية
وكان علم الله تعالى سابقا فى كل شى بما كان وما يكون وما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون
لكن معنى لنعلم اى لنعلم علم المشاهدة بعد ان علمناه غيبا لان علم الغيب لا يجب به الجزا فى ثواب
والعقاب اذ الله تعالى يجازى العباد على عملهم لا على علمه فيهم واسم الطاعة والمعصية يقع على العمل

بعد وجوده فلذلك قال لنعلم وعلى هذا قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
وقوله تعالى وليعلمن الله الذين صدقوا ونحو ذلك من الاى وقيل لنعلم من يتبع الرسول عليه السلام
اى ليعلم انبياونا عليهم السلام واولياونا رضى الله عنهم كما فى قوله تعالى فلما اسفونا وقوله
تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله وقيل معنى لنعلم اى لعلمنا كما قلنا فى قوله تعالى فلم تقتلون
انبيا الله من قبل اى معناه لم قتلتم وانما سمى الكفر انقلابا على العقبين لان المنقلب على عقبيه
قد جانب ما كان بين يديه وادبر عنه فلما تركوا الايمان والادلة صاروا بمنزلة المدبرين عما بين ايديهم
فوصفوا بذلك كما قال الله تعالى ثم ادبر واستكبر ويقال ان المنقلب على عقبيه لا يرى ما وراه فيهلك
بوقوعه فى بير او ما او سبع يهلكه وكل هذا التشبيه فاما معنى قوله تعالى وان كانت لكبيرة اى وان
كان اتباع بيت المقدس ثم الانصراف عنها الى الكعبة لثقيلا شديدا الا على الذين هدى الله اى
حفظ الله تعالى قلوبهم على الاسلام وما كان الله ليضيع تصديقكم بالقبلتين ويقال معناه ما
كان ليفسد صلوتكم الى بيت المقدس وذلك ان جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
توفوا وهم يصلون الى بيت المقدس فسيل النبى صلى الله عليه وسلم عن صلوتهم فانزل الله تعالى
هذه الايه وقيل ان اليهود كانت تقول بطل ايمانكم حيث تركتم قبله بيت المقدس فانزل
الله تعالى هذه الاية واما قوله تعالى ان الله بالناس لروف رحيم فالروف شديد الرحمة
وهو الذى لا يضيع عنده عمل عامل وهو رحيم بهم حين قبل طاعتهم وتعبدهم فى كل وقت
بما هو اصلح لهم والجمع فى هذه الاية بين لفظ الرافة والرحمة للتاكيد كما قلنا فى قوله تعالى
الرحمن الرحيم ودخول اللام فى قوله تعالى وان كانت لكبيرة للتاكيد ولولا اللام لكان الكلام
جحدا وفى هذه الاية دلالة ان هذه الامة لا تجتمع على باطل لان الله تعالى وصفهم بالعدالة
واخبر انهم شهدا على الناس وشهد الله تعالى لا يكونون الا عدولا كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم
وحده حجة على الناس لظهور معجزاته واسم الامة يتناول اهل كل عصر من هذه الامة الا ترى
انك تقول اجمعت الامة على تحريم الامهات والاخوات فيكون هذا اطلاقا صحيحا قبل ان يوجد
اخر الامة وفى الاية دلالة ان من ظهر كفره وفسقه لا يعتد به فى الاجماع لان الله تعالى جعل من
وصف الشهدا العداله **قوله عز وجل** قد نرى تقلب وجهك فى السما فلنولينك
قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون
قال ابن عباس وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام وددت ان الله تعالى
صرفنى من قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك لا املك لك شيا
فاسال ربك ان يحولك عنها فارتفع جبريل عليه السلام وجعل النبى صلى الله عليه وسلم يديم النظر
الى السما رجاء ان ياتيه جبريل عليه السلام بما سال وان يحوله الله تعالى الى الكعبة لانها كانت قبلة
ابرهيم عليه السلام وكانت ادعى للعرب الى الاسلام فانزل الله تعالى هذه الايه وقال مجاهد ان
الله تعالى كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة فكان النبى
صلى الله عليه وسلم متوقعا ورود جبريل عليه السلام بتحويل القبلة الى الكعبة وكان يقلب وجهه
فى السما كانسان يرجو خبرا على يدى اخر فيجعل بصره فى طريقه ويتوقع وروده وقال بعضهم ان
الله تعالى قد نهاه عن الصلوة الى بيت المقدس ولم يكن بين له جهة اخرى يصلى اليها وكان يعلم
ان الله تعالى يامره بالصلوة الى جهة اخرى وكان ينتظر ورود جبريل عليه السلام بالامر بالصلاة الى جهة
اخرى وانما اختلفت الرواية فى هذا الباب لان الانبيا صلوات الله عليهم لا يجوز ان يسالوا الله تعالى

امر القبلة ونحو ذلك من مصالح العباد الا بعد الاذن لهم فيه لانهم لا يامنون ان لا يكون لهم فيه صلاح
فلا يجيبهم الله تعالى الى ذلك ويكون ذلك فتنة على قومهم اذا لم يجابوا الى الملتمس ومعنى الاية
والله تعالى اعلم قد نرى تصرف وجهك الى السما فلنولينك الى قبلة تهواها وتحبها واراد بهذا محبة
الطبع بطنه كثرة الصلاح ليكون تمييزا بينه وبين اليهود واظهار الحال المنافقين لان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يكن راضيا بالقبلة الاولى ومعنى فول وجهك شطر المسجد الحرام قال بعضهم شطر
الشي نصفه يقال شطرت الشي اذا جعلته نصفين ويقال في المثل احلب حلبا لك شطره اى نصفه
فكان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحول وجهه الى نصف المسجد الحرام والكعبة
واقعة من المسجد في النصف من كل جهة فلما كانت التوجه يقع الى الكعبة وكان موقعها من المسجد
هذا الموقع جاز ان يقول تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام يعني النصف من كل جهة وهو الوسط
من كل جانب وهو عبارة عن بقعة الكعبة وقال بعضهم معنى شطر المسجد الحرام نحو الكعبة
والشطر يذكر ويراد به النحو والقصد يقال هولا مشاطرونا اى مناحونا نتصل دورنا بدورهم
نحن نحوهم وهم نحونا ويقال فلان شاطر اي آخذ في نحو غير الاستوا والمراد بالمسجد الحرام
على هذا الطريق نفس البيت لانه لا خلاف ان من كان بمكة فتوجه في صلوته نحو المسجد انه لا يجزيه
اذا لم يكن محاذيا للبيت واما قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لبين تكرار لان ما قبله
خطاب لمن كان بالمدينة من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وهذا خطاب للناس
كلهم في جميع الافاق يقول حيث ما كنتم من البلاد فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام وان الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله وهم اليهود والنصارى ليعلمون انه الحق اى استقبال الكعبة حق من ربهم
وقد روي على ما روينا ان نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التورية ان يكون صاحب القبلتين٥
عن ابي العالية قال رايت مسجد صالح عليه السلام قبلته الى الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي
الى الصخرة نحو الكعبة فاهل الكتاب يعلمون ان امر الكعبة حق من ربهم ثم اوعدهم الله تعالى
فقال عز من قايل وما الله بغافل عما يعملون اى لا يخفى عليه جحود اليهود والنصارى ولا تخفى الايات
عند من يجد ما يعرف وفي هذه الاية دلالة على تجويز الاجتهاد في احكام الحوادث وان كل احد
من المجتهدين انما يكلف ما يودي اليه اجتهاده ويغلب على ظنه لان الغايب عن الكعبة لا يكلف
اصابة عين الكعبة اذ لا سبيل اليها قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الاية فمن لا يجد سبيلا
الى اصابة عين الكعبة لم يكلف اصابتها الا بغالب الظن وفي الاية دليل ايضا ان الاشبه من الحوادث
مطلوب كما ان للقبلة حقيقة هي مطلوبة بالاجتهاد وكذلك تكليف الاجتهاد في طلب الحقيقة كما صح
تكليف طلب القبلة بالاجتهاد لان لها حقيقة٥ **قوله عز وجل** ولئن اتيت الذين اوتوا
الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض
ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين اخبار من الله تعالى
عن عناد اهل الكتاب ومخالفتهم بعد علمهم ان الكعبة حق يقول لئن اتيتهم يا محمد صلى الله عليه وسلم
بكل علامة تدل على صدق مقالتك ما صلوا الى قبلتك وما انت بمصل الى قبلتهم بعد التحويل وفي هذا
قطع اطماع اليهود في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم قبلتهم فانهم كانوا يقولون له ارجع الى قبلتنا
نومن بك ونتبعك٥ واما قوله تعالى وما بعضهم بتابع قبلة بعض فالمعنى كيف ترجوا ان يتبعوك
ويصلوا الى قبلتك ولا يتبع بعضهم بعضا مع اتفاقهم على التظاهر عليك ولئن اتبعت يا محمد صلى الله
عليه وسلم اهواءهم اى ان صليت الى قبلتهم واتبعت ملتهم من بعد ما جاءك من العلم ان الدين هو
الاسلام وان الكعبة هي القبلة انك اذا لمن الضارين لنفسك وهذا وعيد من الله تعالى على معصية

علم الله تعالى انها لا تقع منه كما في قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك واول هذه الاية لغرض
التخصيص فان من اهل الكتاب من يسلم ويتبع ملة الاسلام واجيبت لئن بما فيها من معنى اليمين
ولئن تجاب بجواب لو الا ان لئن تدخل على الماضي بمعنى المستقبل وحقيقتها ايقاع الشي لوقوع
غيره وكذلك ان مع لفظ الاستقبال تقول لئن اتيتني اكرمتك وان تاتني اكرمك ولو يدخل على
الماضي بمعنى الماضي وحقيقتها منع الشي لامتناع غيره يقال لو اتيتني لاكرمتك اى لم تاتني فلم
اكرمك وفي الاية ابطال حجاج من يحتج من اهل الكتاب ويقول ان بيت المقدس قبلة اهل الكتاب
ورثوها من انبيايهم عليهم السلام فهي اولى بالتوجه اليها من الكعبة لان الله تعالى بين في هذه الاية
ان اهل الكتاب لم يجتمعوا كلهم على قبلة واحدة بل خالف بعضهم بعضا ويصلون الى جهتين
مختلفتين ولا يمتنع ايضا ان يبعث الله تعالى نبيا يامره بالتوجه الى جهة اخرى **قوله عز وجل**
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم
يعلمون معنى الاية والله تعالى اعلم ان العلما بالكتب المنزلة على الانبيا صلوات الله عليهم من قبل
وصحة ما فيها من وصف محمد صلى الله عليه وسلم ونعته يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم باسمه
وصفته ومبعثه وقيل يعرفون ان التحول الى الكعبة حق كما يعرف احدهم ولده اذا راه مع الغلمان
وان طايفة منهم منهم كعب بن الاشرف واصحابه ليكتمون الحق وهم يعلمون انه حق وانما قال
تعالى وان فريقا منهم لانهم لو علموا كلهم ذلك لما صح مع كثرتهم ان يجتمعوا على كتمانه لان ذلك لا
يوجد من العادة لان واحدا لو دخل البصرة وسال عن جامعها لم يجز ان لا يلقاه احد ممن يساله الا
وهو يكذب في ذلك او يكتمه وانما يجوز ذلك على جمع قليل وفي هذه الاية بيان ان المراد بقوله تعالى وان
الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق قوم مخصوصون من علما اهل الكتاب يتصور عليهم التواطو على
الكذب لان الجمع العظيم لا يقدرون ان يظهروا خلاف ما يعلمون **وقد روي** عن عبد الله بن سلام
انه قال حين نزلت هذه الاية كنت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اشد معرفة لك مني بابني فقال
عمر رضي الله عنه كيف ذلك يا عبد الله قال لاني اشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا
يقينا ولا اشهد بذلك على ابني لاني لا ادري ما احدثت النسا فقال له عمر وفقك الله يا عبد الله
قوله عز وجل الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى هذا القران حق من ربك يا محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل جاك الحق من ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الكعبة قبلة ابرهيم عليه السلام
يعلمها اليهود فلا تكونن من الشاكين في امر القران والقبلة وما ورد من هذا الجنس خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد هو وعامة الامة فان القران انما نزل على ما يتعاهم الناس فيما بينهم ومن عادة الناس
ان يوجهوا امرهم ونهيهم الى من يتفقهم به اقوى تنبيها للغير وتاكيدا الا ترى ان الرجل الحازم اذا
اقبل على ابر اولاده واملحهم فزجره عن امر بحضرة جماعة اولاده كان منبها بذلك على عظم ذلك الفعل
ان اختاروه وارتكبوه **قوله عز وجل** ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات
اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شي قدير قال ابن عباس ومجاهد والسدي
رضي الله عنهم لاهل كل ملة من اليهود والنصارى وجهة اى قبلة يولي كل اهل ملة وجوههم في صلوتهم
اليها وذلك ان المسلمين يصلون الى الكعبة واليهود والنصارى يصلون الى جهتين مختلفتين وقيل معنى
هو موليها اي الله تعالى موليها يولي اهل كل ملة القبلة التي يريدها لهم ومن قرا هو مولاها فالمعنى
قدر له ان يتولاها وقيل في معنى الاية لكل قوم من المسلمين وجهة من اهل ساير الافاق الى جهات الكعبة
وراها وقدامها وعن يمينها وعن شمالها ليس جهة من جهاتها اولى بان تكون قبلة من غيرها ويقال
لاهل كل ملة دين على حدته كما قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال الحسن رضي الله عنه

معناها الكل نبي طريقة وهي ما شرعه الله تعالى من الاسلام وان اختلف الاحكام ومعنى قوله تعالى
فاستبقوا الخيرات اى ظهر لكم الحق ايها المسلمون في طريقتكم فبادروا الى قبول اوامر الله تعالى
وطاعته مبادرة من طلب الاستباق اليها ولوا وجوهكم حيث امركم الله تعالى ومعنى اينما تكونوا
يات بكم الله جميعا اى اينما تكونوا في الارض يقبض الله تعالى ارواحكم ويجمعكم يوم القيمة للحساب
وان كانت قد تفرقت بكم البقاع والملل وقيل هذا خطاب للمومنين الذين سبق في علم الله تعالى انهم
يصلون الى الكعبة يقول الله تعالى اينما تكونوا في شرق الارض وغربها وفي اصلاب الابا وارحام الامهات
يجمعكم الله تعالى على هذه القبلة ان الله على كل شيء من الخلق والبعث والحساب وغير ذلك قادر
لا يخفى عليه شي من افعال العباد واينما في معنى الشرط تجزم ما بعدها من الجواب تقال اين بيتك ازرك
اى ان اعرف بيتك ازرك وفي الاية دلالة ان تعجيل الطاعات افضل من تاخيرها ما لم تقم دلالة
على فضيلة التاخير نحو تعجيل الصلوة في اول وقتها وتعجيل الزكوة والحج وسائر الفروض بعد حضور
وقتها ووجود سببها وفيها دلالة ايضا ان الامر على الفور وان جواز التاخير يحتاج الى دلالة
لان الامر اذا كان غير موقت فلا محالة ان يفعله على الفور لانه من الخيرات فوجب بمضمون
قوله تعالى فاستبقوا الخيرات ايجاب تعجيله لان الموخر على خطر الفوت واذا سبق اليه امن الفوت
واستدرك الوجوب **قوله عز وجل** ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون تاكيد امر التحول الى الكعبة وبيان انه ثابت لا يتغير
بنسخ كما تغيرت قبلة بيت المقدس وقال بعضهم معناه الى اى موضع خرجت اليه من النواحي التي كنت
تصلي فيها الى غير الكعبة من قبل فحول وجهك من ذلك الموضع في الصلوة شطر المسجد الحرام ولا تكن
على ما كنت عليه من قبل وان الامر بالتوجه الى الكعبة لصدق من ربك وما الله بغافل عما تعملون اي الله
تعالى عالم بما عملكم يجازى كل عامل بما عمل **قوله عز وجل** ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة
الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون
في اعادة هذه الاية بيان ان حكم النبي صلى الله عليه وسلم وامته في التوجه الى الكعبة في السفر والحضر سوا
لانه كان من الجايز ان يظن به الفرق بين المسافر والمقيم كما ورد به الشرع في باب النوافل على الراحلة
فبين الله تعالى ان المسافر كالمقيم في هذا التوجه ومعنى الاية ومن حيث خرجت اليه يا محمد من
نواحي الارض واقطارها فحول وجهك نحو الكعبة وحيث ما كنتم ايها المومنون بالبعد من الكعبة
او القرب مسافرين او مقيمين فحولوا وجوهكم نحو الكعبة لئلا يكون لليهود عليكم حجة لان
المسلمين لو لم يصلوا الى المسجد الحرام لكان ذلك مخالفة للبشارة السابقة فيكون ذلك حجة عليهم
للناس بان يقولوا اليس هذا هو النبي المبشر به صلى الله عليه وسلم اذ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
هو نبي تصلي امته الى القبلتين ويقال معنى لئلا يكون للناس عليكم حجة اى لئلا يكون لكفار اهل مكة
حجة عليكم اذ قالوا ترك محمد صلى الله عليه وسلم قبلة ابايه التي هي قبلة ابرهيم عليه السلام ويقال معنى
الاية عرفكم الله تعالى الاحتجاج في امر القبلة فلا يكون للناس عليكم حجة وقوله تعالى الا الذين
ظلموا منهم استثنا منقطع المعنى لا يحاجكم احد الا من ظلم فيما وضح له واحتج عليكم بغير الحق
وحاج بالباطل كما يقال مالك على حجة الا الظلم اى مالك على حجة البته ولكنك تظلمني وتسمى
الظلم حجة كما قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وكانت حجتهم الباطلة على النبي صلى الله
عليه وسلم ان قالت اليهود ان كانت قبلتنا ضلالة فقد صليت اليها سبعة عشر شهرا وان كانت
هدى فقد انصرفت عنها وقالت كفار مكة تركت قبلة ابايك ثم رجعت اليها فاجابهم الله تعالى بهذه الاية

وقيل

واحده [?]
قدم
الادا

وقيل معنى الا الذين ظلموا اى لكن الذين ظلموا منهم يتعلقون بالشبهة ويضعونها موضع الحجة وهذا
كما قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن معنى لكن اتباع الظن وقال النابغة ٥
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٥ بهن فلول من قراع الكتايب ٥ معناه لكن سيوفهم بهن فلول
وليس بعيب وكان ابو عبيدة يقول الا ها هنا بمعنى واو النسق كانه قال لئلا يكون للناس عليكم
حجة ولا الذين ظلموا قال الفرا هذا صواب في التفسير خطا في اللغة وانما يكون الا بمنزلة الواو اذا
عطفت على استثنا قبلها كقولك لك علي الف درهم الا عشرة دراهم الا ماية درهم معناه لك علي الف درهم
وماية الا عشره كانك اغفلت الماية ثم استدركتها فقلت اللهم الا ماية **قال الشاعر**
ما بالمدينة دار غير واحدة ٥ دار الخليفة الا دار مروانا ٥ معناه ولا دار لمروان وانما حسن ذلك
بعد قوله غير واحدة واما في قوله تعالى فلا تخشوهم اى لا تخافوا الكفار في انصرافكم الى الكعبة وخافوني
في تركها ولاتم نعمتي عليكم بالهداية الى قبلة ابرهيم عليه السلام وهذا معطوف على قوله تعالى ولعلكم
تهتدون اي لكي تهتدوا من الضلالة فان قيل كيف اعاد قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وما فايدة تكرار هذا اللفظ قلنا قد قدمنا ذكر الفايدة في كل لفظ على حدة فلا تكرار في الحقيقة
وقيل ان الاعادة لاتصال كل واحدة من الايات الثلث بمعنى غير المعنيين الاخرين لان الاولى متصلة
بكتمان اليهود امر القبلة والثانية متصلة باخبار الله تعالى عن حقيقته ورفع الشكوك فيه والثالثة
متصلة بقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة وفي الجملة ان نسخ القبلة امر عظيم لا بد في مثله من
التاكيد والاعادة ليكون الناس على يقين من ذلك ومعرفة في حججه ومصالحه وبالله التوفيق
قوله عز وجل كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون خطاب للعرب المعنى كما انعمنا عليكم برسالة رجل
منكم اليكم فاذكروني وجايز ان يوصل قوله تعالى كما ارسلنا بما تقدمه اي ولاتم نعمتي عليكم
كما ابتدات النعمة بارسال رسول منكم اليكم لان اختيار الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من
العرب نعمة عظيمة وشرف لهم واستدعا الى الاسلام لانه لو اختاره من العجم لكانت العرب مع
عزتها ونخوتها لا تتبعه فاختياره له من قريش نعمة عليهم وشرف لهم يتلو عليكم اياتنا القران
ويصلحكم باخذ زكوة اموالكم ويامركم باشيا تكونوا بها ازكيا عند الله تعالى اذا تمسكتم بها ويعلمكم
الكتاب اى القران والحكمة الفقه والموعظة ومعرفة التاويل والسنة ويعلمكم من اقاصيص
الانبيا صلوات الله عليهم واخبارهم ما لم تكونوا تعلمون قبل ارسال الرسول اليكم **قوله عز
وجل** فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون متصل بما قبله على ما تقدم
ذكره ومعنى الاية والله تعالى اعلم اجعلوا ذكركم اياي على مقادير كثرة نعمتي عليكم فاذكروني بالتوحيد
والطاعة اذكركم بالرحمة والمغفرة ويقال اذكروني عند الرخا اذكركم عند البلا واذكروني بالشكر
اذكركم بالزيادة واذكروني بالصبر اذكركم بالمخرج واذكروني بالدعا اذكركم بالاجابة واذكروني في
الدنيا بالاخلاص اذكركم في الاخرة بالخلاص واذكروني في ملا من الناس اذكركم في ملا من الملايكة
واشكروا لي نعم الدين والدنيا كلها ولا تكفروا اياديي واحساني اليكم فان قيل هل يجوز ان يكون جميع ما
روي في معنى هذه الاية مرادا قلنا نعم لان جميع وجوه الذكر على اختلافها راجع الى معنى واحد
كاسم الانسان يتناول الذكر والانثى والاخوة تتناول الاخوة المتفرقين كذلك ذكر الله تعالى لما كان المعنى
فيه طاعته والطاعة تكون تارة بالذكر باللسان وتارة بالعمل بالجوارح وتارة باعتقاد القلب
وتارة بالفكر في دلايله وحججه وتارة في عظمته وتارة في دعايه ومسلته جاز ارادة الجميع بلفظ واحد كلفظ
الطاعة نفسها جاز ان يراد بها جميع الطاعات على اختلافها اذا ورد الامر بها مطلقا نحو قوله اطيعوا الله

لئلا والعامل فيهما قوله تعالى فولوا وجوهكم شطره ومعنى قوله تعالى لم

واتبعوا الرسول **وقد روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاع الله تعالى
فقد ذكر الله تعالى وان قل صومه وصلوته ومن عصى الله تعالى فقد نسي الله تعالى وان كثر صومه وصلو
وافضل وجوه الذكر الفكر في دلايل توحيد الله تعالى وعظمته وقدرته وساير وجوه الذكر مبني عليه وتابع
له وبه يصح معناه قال الله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب واراد به ذكر القلب الذي هو الفكر
في دلايل توحيد الله تعالى واياته وكلما ازددت فيه ذكرا لتعرف ربك او لتعرف دينك او لتحل الشبهة او لتعلم
الخبر ازددت اليه طمانينة وسكونا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير الذكر
الخفي وخير الرزق ما يكفي **وروي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبيكم
بخير اعمالكم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من ان تلقوا العدو فتضربوا اعناقهم ويضربوا
اعناقكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة قلنا ما هو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذكر الله
تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال حق على الله تعالى ان يذكر من ذكره فمن ذكره من
اهل طاعته ذكره الله تعالى بالخير ومن ذكره من اهل معصيته ذكره الله تعالى باللعنة وسوء الدار
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين
وذلك ان الله تعالى لما اوجب العبادات اجمع بقوله تعالى فاذكروني اذكركم وامر بالشكر ضم
الى ذلك ما يكون معونة عليهما فقال عز من قايل يا ايها الذين امنوا اي اقروا وصدقوا بتوحيد الله
يقول الله تعالى استعينوا على ما الزمتكم من عبادتي وشكري بالصبر على ادا الفرايض واجتناب المحارم
وبالمواظبة على الصلوة والاستكثار منها ان الله مع الصابرين على ادا الفرايض بالنصر والمعونة والتسديد
وانما امر الله تعالى والله اعلم بالاستعانة بالصبر والصلوة لان الصبر قصر النفس وتوطينها على احتمال
المكاره في ذات الله تعالى وان لا يعدل عند النوايب والمحن وعند ما يلزم من تحمل المشاق الى الجزع
والتواني والصلوة تشتمل على الخشوع والخضوع والتذلل الذي يرقق القلب ويورث الخوف وما فيها من
الذكر يتضمن الوعظ والوعد والوعيد وذلك كله يعين على لزوم الطاعة وترك المعصية ومن وفر همه
وقلبه على الصلوة وذلل نفسه وقلبه هذا التذليل سهل عليه من طاعة الله تعالى ما يصعب على
غيره والصبر اشق الطاعات الباطنة والصلوة اشق الطاعات الظاهرة وبهما يستعان على ساير
الواجبات **قوله عز وجل** ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء
ولكن لا تشعرون وذلك ان المسلمين كانوا يقولون لشهدا بدر ولحد مات فلان ومات فلان
وكان الكفار يقولون على طريق الطعن والذم ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقتلون انفسهم
في الحرب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فنهى الله تعالى المومنين الذين امرهم بالاستعانة على
الجهاد والفرايض بالصبر والصلوة ان يقولوا مثل هذا القول ونبه على ان ذلك كذب بقوله تعالى
بل احيا وقد اختلف المفسرون في حيوة الشهدا فقال الحسن ومجاهد وقتادة وعامة اهل التاويل
انهم احيا على الحقيقة وقال بعض من شذ عن الاجماع انهم ليسوا باحيا بل هم اموات ولكن الله تعالى
سماهم احيا لما نالوا من جميل الذكر والثنا وهذا كما روي عن امير المومنين علي رضي الله عنه
انه قال مات خزان الاموال والعلما باقون ما بقي الدهر امثالهم في القلوب موجودة واعيانهم
في الارض مفقودة وكما قال الشاعر ۞ موت التقي حيوة لا انقضاء لها ۞ قد مات قوم
وهم في الناس احياء ۞ وذهب بعضهم الى ان المراد بالحيوة الحيوة المستقبلة عند البعث والنشور
حين يسكن الشهدا الجنة فيعيشون العيش الرغد وقال ان المراد بالاية لا تقولوا انهم اموات
لا ينشرون ولا ينتفعون بما نالوا من الشدايد والمكروه وقيل لا تقولوا لهم اموات في الدين
كما قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه والصحيح من هذه الاقاويل هو القول الاول انهم

اليوم

اليوم احيا على الحقيقة لان الله تعالى قال ولكن لا تشعرون ولو كان المراد بقوله بل احيا
على معنى انهم استحقوا جميل الذكر والثنا او انهم سيحيون عند البعث لكنا نشعر بذلك
فان قال قايل انا نرى جثة الشهيد مطروحة على الارض لا تتصرف ولا يكون عليها شي من
علامات الاحيا ونراهم رميما في القبور بعد مرور الازمان عليهم فكيف يكون معنى الحيوة
قيل له اختلف الناس في هذا على قولين منهم من يجعل الانسان هو الجسم اللطيف الدقيق المبصر
الحساس الدراك المتلذذ المنعم وهو ليس هذا الجسم الكثيف كما كنا الانسان الجيد وغيرها والبوس
والنعيم له دون الجثة الكثيفة فاذا فارق اللطيف الكثيف يبلى الكثيف وينتن ثم يكون اللطيف بعد
الموت ان كان سعيدا ينعم ويسر الى يوم القيمة وان كان شقيا يعذب ويولم ويخوف الى يوم
القيمة فعلى هذا لا يتاتى هذا السوال لان الجثة وان كانت مطروحة على الارض فالذي هو الحي مثاب
في هذا الوقت على هذا القول وهذا كما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم يوم احد جعل الله تعالى ارواحهم في اجواف
طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما راوا
طيب منقلبهم ومطعمهم ومشربهم قالوا يا ليت اخواننا علموا ما اعد الله لنا من الكرامة فلم يجبنوا
في الحرب ولم ينكلوا عند اللقا قال الله تعالى انا مبلغهم عنكم فانزل الله جل ذكره ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين الى اخر الاية ومنهم من قال ان الانسان
هو هذا الجسم الكثيف المشاهد الا انهم اجابوا عن هذا السوال بجوابين احدهما انه يجوز ان تكون
الجثة مطروحة على الارض لا يرى عليها شي من علامات الاحيا ثم تكون الجثة مع ذلك تصل اليها اللذات
كما ان النايم لا يرى عليه شي من علامات من يعلم شيا او يحس بشي ثم قد يكون هو في اللذات والسرور
لما يرى في المنام واذا انتبه اسف عليها فانه مما كان يراه في النوم وقد يكون النايم في غموم واهوال
لما يراه في النوم حتى اذا انتبه استراح **وقد روي** عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يفسح
للمومن مد بصره في قبره فيكون في روضة على حالة جميلة يصل اليه طيب ريحها ولذيذ نسيمها
ويقال له نم نومة العروس ويضيق على الكافر قبره ويفتح له باب من ابواب النار ويصل
اليه من حرها وسمومها ويقال له نم نومة المنهوش وفي هذه الاية والخبر دلالة على عذاب
القبر والجواب الثاني ان الله تعالى يلطف اجزا الشهيد بقدر ما تقوم به البنية الحيوانية
فيحييها ويوصل اليها اللذات والنعيم وتكون الحيوة لتلك الاجزا اللطيفة وان كانت
عامة جثة الشهيد مطروحة على الارض فان قيل اذا كان ساير المومنين عندكم منعمين في
البرزخ فلماذا اخص الله تعالى الشهدا بانهم احيا قيل له جايز ان يكون اختصاصهم بالذكر
في هذه الاية للتشريف وعلى جهة تقديم البشارة بذكر حالهم فان درجتهم في الجنة ارفع
ومنزلتهم اعلا واشرف كما قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاوليك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين **قوله عز وجل** ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين روي
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في هذه الاية اخبر الله تعالى ان الدنيا دار بلا وان الله
تعالى يبتليهم فيها وامرهم بالصبر وبشرهم بالثواب لتطيب انفسهم ومعنى الاية والله تعالى اعلم
ولنبلونكم ولنختبرنكم معشر المومنين بشي من الخوف خوف العدو والفزع في القتال والجوع بالقحط
السنين وقلة ذات اليد ونقص من الاموال هلاك المواشي وذهاب الاموال وقيل لانهم اذا اشتغلوا
بالقتال احتاجوا الى انفاق ما في ايديهم ومنعهم اشتغالهم بالقتال عن تكسب غير ذلك من الاموال

فلهذا قال ونقص من الاموال وقوله تعالى والانفس اراد به الموت والقتل والامراض والثمرات لا تخرج
الثمار والزروع كما كانت تخرج من قبل وقيل اراد بالثمرات الاولاد لان الولد ثمرة القلب وهم اذا
اشتغلوا بالقتال منعهم ذلك عن عمارة البساتين وعن مناكحة النسا فتقل ثمرة بساتينهم وتقل اولادهم
وبشر الصابرين الذين يصبرون على هذه الشدايد وانما امتحنهم الله تعالى بهذه الامور لامرين
احدهما انه اذا اصاب من بعدهم مثل هذه الاحوال علموا ان ما اصابهم من ذلك لم يكن لنقصان درجتهم
عند الله تعالى وانه قد اصاب مثل هذه الامور من هم اعلا درجة منهم وهم اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهم وقد اصابهم مثل هذه الامور فصبروا وعلى موافقة محمد صلى الله عليه وسلم ونصرته
مع مقاساة الضر والشدايد علموا انهم مع كونهم عقلا انما صبروا على هذه الامور التي وعدها المومنين
فيدعوهم ذلك الى الدخول في هذا الدين والثبات عليه ويجوز ان يكون فايدة تقديم الله تعالى اليهم
ذكر ما علم انه يصيبهم في الله تعالى من هذه البلايا والشدايد ان يوطنوا انفسهم على الصبر عليها
قبل النقل ويكون ذلك ابعد لهم من الجزع واسهل عليهم بعد الورود **قوله عز وجل**
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون صفة الصابرين الذين ذكرهم
الله تعالى وبشرهم برضوانه ومعنى الاية الذين اذا اصابتهم مصيبة من هذه المصايب قالوا نحن عبيد
الله وفي ملكه وقبضته يحكم فينا بما يشا من الشدة والرخا ان عشنا فعليه ارزاقنا وان متنا
فاليه مردنا وفي الاقرار بالعبودية لله تعالى تفويض الامر اليه والرضا بقضايه وان له تعالى
ان يبتليهم بما يشا تعريضا منه لثواب الصبر واستصلاحا لهم بما هو تعالى اعلم به اذ هو خير
منهم في فعل الخير والصلاح فان افعاله كلها حكمة وفي الاقرار بالبعث والنشور اعتراف بان الله
تعالى يجزي الصابرين على قدر استحقاقهم ولا يضيع اجر المحسنين وعن انس رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حاكيا عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل اذا وجهت الى
عبد من عبيدي مصيبة في اهله او ولده او بدنه فاستقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة
ان انشر له ديوانا او انصب له ميزانا وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا مات ولد الرجل يقول الله تعالى للملايكة وهو تعالى اعلم اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم
اقبضتم ثمرة فواده فيقولون نعم فيقول تعالى فماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول
عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من
اصابته مصيبة فليذكر مصيبته فيّ فانها من اعظم المصايب **وعن** انس رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند
الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر عظم المصيبة ومن استرجع بعد المصيبة جدد الله تعالى له
اجرها كيوم اصيب بها وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه قال لقد اعطيت هذه الامة
عند المصيبة ما لم يعط احد قبلهم وهو كلمة الاسترجاع ولو اعطيها الانبيا صلوات الله عليهم
لاعطيها يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفا على يوسف وقد اشتملت هذه الاية على حكمين
فرض ونفل فاما الفرض فهو التسليم لامر الله تعالى والرضا بفعله واما النفل فاظهار القول
بانا لله وانا اليه راجعون **قوله عز وجل** اوليك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة واوليك هم المهتدون يقول اهل هذه الصفة وهم الصابرون على طاعة الله تعالى
عليهم ثنا جميل من ربهم ومغفرة وبركة ورحمة لهم وهي النعم التي لا يعلم مقاديرها غير الله
عز وجل كما قال في اية اخرى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واوليك هم المهتدون الى ما
امروا به من الطاعات ومجانبة المعاصي وقيل هم الموفقون للاسترجاع ونيل الثواب واصل الصلوة في اللغة

كي ان
والثاني ان الكفار اذا شاهدوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم صح

اذا وردت فيكونون متاهبين بتوطين النفس عليها صح

هو اللزوم

هو اللزوم يقال صَلِيَ واصطلى اذا لزم ومن هذا ما يصلى في النار وفي الاية بشارة عظيمة وشهادة
بالاهتدا ابالغة لمن فوض امره الى الله واستسلم لمقادير الله تعالى روي عن امير المومنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قرا هذه الاية فقال نعم العدلان ونعم العلاوة عنى بالعدلين قوله تعالى
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبالعلاوة واوليك هم المهتدون **قوله عز وجل** ان الصفا
والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا
فان الله شاكر عليم ابتدا حكم مستانف الا انه منتظم بما قبله ومتصل به وفي اتصاله وجهان
احدهما انه جرا فيما تقدم ذكر الاستعانة بالصبر والصلوة على ساير الطاعات والسعي بين الصفا والمروة
من جملة الطاعات والثاني انه ذكر فيما مضى الاهتدا الى الطاعات السعي بين الصفا والمروة اي هم
المهتدون ايضا وسبب نزول هذه الاية ما روي ان اسافا ونايلة رجلا وامراة من قريش كانا
يطوفان بالبيت في الجاهلية فلقيا خلوة فاراد احدهما صاحبه فمسخهما الله تعالى نحاسا فقالت قريش
لولا ان الله رضي ان يعبدا ما مسخهما نحاسا فاخرجوهما الى الصفا والمروة فوضعوا اسافا على الصفا
ونايله على المروة وكانوا اذا طافوا بين الصفا والمروه مسحوهما فلما جا الاسلام تحرج المسلمون السعي بين
الصفا والمروة لمكان الصنمين وقالت الانصار ان السعي من امر الجاهلية فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى
الاية والله تعالى اعلم ان الصفا والمروة من اعلام متعبدات الله تعالى فمن قصد البيت بالعمل المشروع للحج من
الاحرام والطواف والوقوف والسعي وغير ذلك او زار البيت بالعمل المشروع للعمرة من الاحرام والطواف
والسعي فلا اثم عليه في الطواف بين الصفا والمروة اي لا تتحرجوا عن الطواف بهما لمكان الاصنام التي عليهما
لا لعين الطواف لان الطواف بهما واجب ونظير هذا ان يكون الانسان محبوسا في موضع لا يمكنه الصلوة
فيه الا متوجها الى بعض المواضع التي يكره التوجه اليها في الصلوة مثل الحمام او المخرج فيقال له عند ذلك لا
جناح عليك في ان تصلي الى هذه المواضع ولا يراد بذلك رفع الجناح عن فعل الصلوة لاجل عين الصلوة فان عين
الصلوة واجبة وانما يراد بذلك رفع الجناح لاجل المكان الذي يتوجه اليه كذلك في هذه الاية لم يرد رفع
الجناح عن الطواف بهما لعين الطواف لان الطواف واجب والمطوف له هو الله تعالى فلا معتبر بكون الاصنام
عليهما **وذهب** بعض الناس في معنى هذه الاية الى انه لا حرج عليه في ان لا يطوف
بهما وهذا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا وكقوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة
ان لا تقولوا وهذا تاويل من يقول ان السعي بين الصفا والمروة غير واجب وهو قول عطا وانس رضي
الله عنهما وفي قراءة ابن عباس وابي فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما واستدلوا على ذلك بقوله تعالى
في اخر الاية ومن تطوع خيرا قالوا وهذا يبين انه تطوع فاما على القول الاول الذي ذكرناه ان السعي بين
الصفا والمروة واجب فمعنى من تطوع خيرا اي زاد على الطواف الواجب بعمل العمرة او في الحجة الثانية
فان الله تعالى شاكر له عالم بثوابه وفي الاية ما يدل على وجوب السعي بين الصفا والمروة لان الله تعالى
سماهما من شعاير الله تعالى وذهب الشافعي رحمه الله الى ان السعي بين الصفا والمروه ركن لا يقوم الدم
مقامه وليس اذا سمى الله تعالى السعي من شعايره ما يدل على انه ركن من اركان الحج فان الله تعالى
سمى المزدلفة المشعر الحرام ولا خلاف ان الدم يقوم مقام الوقوف بالمزدلفة اذا ترك الحاج الوقوف
بمزدلفة غداة يوم النحر والصفا في اللغة الحجارة الصلبة التي لا تنبت شيا وهو جمع واحده
صفاة مثل حصاة وحصى وشجرة وشجر والمروة الحجارة اللينة الا انهما صارا في العرف والاستعمال
اسمين لموضعين معروفين وقيل انما سميت الصفا صفا لانه جلس عليها صفي الله ادم صلوات
الله عليه وسميت المروه مروه لانها جلست عليها امراة حوا **والشعاير** معالم الحج من
موقف ومسعى ومذبح وساير المناسك واحدتها شعيرة قال الله تعالى لا تحلوا شعاير الله ومن هذا

اشعار الهدي وهو اعلامه بشي واصله العلم لانه يعلم بعلامة يقال شعرت بكذا اي علمته والحج في الشريعة اسم للنسك المعروف وفي اللغة اسم للقصد وتسمى الطريق محجة لانه يقصد والحجة فعلة من الحج سميت بذلك لانه يقصد ابطال قول الخصم والعمرة هي النسك المعروف في الشريعة فاما في اللغة فهي الزيارة وهي ماخوذة من العمارة وسميت زيارة البيت عمرة لان الزاير يعمر المكان بالزيارة والجناح هو الميل في اللغة يقال اجنحته فجنح اي املته فمال ومن ذلك جناح الطير قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها اي مالوا اليه فكان الجناح الميل الى ما فيه ماثم والطواف هو الدوران يقرا ان لا جناح عليه ان يطوف بهما فاما على ظاهر القراة فاصل يطوف يتطوف ادغمت التاء في الطا لقرب المخرجين ومن قرا يطوف بضم اليا وكسر الواو فهو من طوف اذا اكثر الطواف والتطوع هو تبرع الانسان من ذات يده بما ليس بفرض عليه يقال طاع يطوع اذا انقاد واطاع يطيع اذا امضى لامره وطاوعه اذا وافقه والفرق بين التطوع والطاعة ان الطاعة هي موافقة الامر والتطوع هو التبرع المبتدا ومن قرا ومن يطوع باليا وجزم العين فالاصل يتطوع ادغمت التاء في الطاء والشاكر في صفات الله تعالى المجازي لان الشكر هو اظهار النعمة وتعالى جل ذكره من ان يكون لاحد عليه نعمة فوصفنا لله تعالى انه شاكر اي مجاز على الشكر فيكون هذا تسمية للجزاء على الشي باسم المجزي عليه الا ان الله تعالى اخرج الكلام مخرج التلطف مظاهرة بالانعام والاحسان وهو كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا تلطفا على معنى انه يرد على المتصدق اضعاف ما تصدق به

قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون نزلت في علما اليهود الذين كتموا امر النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية وكتموا امر القبلة فذكر الله تعالى عاقبة الكاتمين وما يستحقون على الكتمان من العقوبات ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان الذين يكتمون ما انزلنا من الاحكام والفرايض والهدى يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما اوضحناه للناس في التورية والانجيل اولئك اي اهل هذه الصفة يبعدهم الله من رحمته بايجاب العقاب لهم ويلعنهم اللاعنون المومنون من الجن والانس والملائكة ولعن الخلايق دعاوهم ومسالتهم من الله تعالى اللعن والابعاد وعن ابن عباس انه قال في تفسير هذه الاية ان الكافر اذا وضع في قبره سيل من انت وما دينك ومن ربك فيقول لا ادري فيقول له منكر ونكير لا دريت ولا تليت ثم يضرب ضربة يسمعها كل شي الا الثقلين فلا يسمع صوته شي الا لعنه فذلك قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون وعن ابن مسعود انه قال هو الرجل يلعن صاحبه في الامر فترفع اللعنة الى السما ثم تنزل فلا تجد صاحبها الذي قيلت له اهلا فترجع الى الذي تكلم بها فلا تجده لذلك اهلا فتنطلق فتقع على اليهود **وعن مجاهد** انه قال اللاعنون هم دواب الارض وهوامها يقولون منعنا القطر بمعاصي ابن ادم وفي الاية دلالة وجوب اظهار علوم الدين وتبيينه للناس وزجر عن كتمانها لان نزول الاية على سبب لا يمنع اعتبار عمومها اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كتم علما يعلمه جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار وفي الاية دلالة على امتناع جواز اخذ الاجر على الطاعة من حيث دلت على لزوم اظهار العلم وترك كتمانه اذ غير جايز استحقاق الاجر على ما عليه فعله الا ترى انه لا يصح استحقاق الاجر على الاسلام

قوله عز وجل الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم اعلام من الله تعالى انه يقبل التوبة من الذنب الذي لا غاية بعده يقول الا الذين تابوا من اليهودية واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم وبينوا الاصلاح مما كانوا افسدوه ممن لا علم له ويبينوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابهم وشهدوا بالحق فيما عندهم من العلم فاولئك اقبل توبتهم والتجاوز عنهم وانا المتجاوز عن التايبين الرحيم بهم بعد التوبة وفي هذه الاية دلالة ان التوبة لا تنفع فيما يراد بها الا بعد ان يقرن التايب اليها ساير ما يلزمه فيصلح ما يلزمه فيصلح ويصلح من افسده من الناس ولهذا قالوا ان من عمل المعصية سرا كفاه التوبة سرا ومن جهر بالمعاصي فلا بد من ان يجهر بالتوبة

قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون عام في جميع الكفار من الكاتمين وغيرهم يقول ان الذين ثبتوا على كفرهم ولم يتوبوا من الكفر قبل موتهم اهل هذه الصفة عليهم لعنة الله تعالى ولعنة الملائكة ولعنة جميع الناس اما المومنون فيلعنونهم في الدنيا والاخرة واما الكفار فيلعن بعضهم بعضا في الاخرة كما قال الله تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وعن ابي العالية ان الكافر يوقف يوم القيمة فيلعنه الله تعالى ثم الملائكة ثم الناس اجمعون ومعنى خالدين فيها اي في اللعنة واللعنة هاهنا النار لان معنى اللعنة ابعاد الله تعالى من رحمته وابعاده من رحمته عذابه ومعنى لا يخفف عنهم العذاب لا يهون عليهم طرفة عين ولا يمهلون ساعة للاستراحة يستغيثون فلا يغاثون ويستعتبون فلا يعتبون ولا يوذن لهم فيعتذرون وقرا الحسن رضي الله عنه والناس اجمعون بالرفع ووجه قراته انه رد اللفظ على المعنى لان معنى قوله تعالى عليهم لعنة الله لعنهم الله والملائكة وهذا كما يقال عجبت من ضرب زيد وعمرو ومن قيامك واخوك اي عجبت من ان ضرب زيد وعمرو ومن ان قمت انت واخوك وفي هذه الاية دلالة على ان للمسلمين لعن من مات كافرا لان قوله تعالى والناس اجمعين يقتضي امرنا بلعنه بعد موته ولا يسقط اللعن عن الكافر بزوال التكليف عنه بموته او جنونه

قوله عز وجل والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر فيما مضى قصة الكفار من عبدة الاوثان واهل الكتاب ثم ذكر من بعد توحيد المومنين وبين ان معبودهم خلاف معبود الكفار وقال بعضهم هذه الاية خطاب لمشركي مكة كانت لهم ثلثمائة وستون صنما يعبدونها من دون الله تعالى فدعاهم الله الى توحيده والاخلاص في عبادته وقيل نزلت هذه الاية في صنف من المجوس يقال لهم المانية قال رييسهم واسمه ماني اري الاشيا زوجين وضدين مثل الليل والنهار والظلمة والنور والخير والشر والحر والبرد والحزن والسرور فمن كان خالق الخير لا يكون خالق الشر فهما اثنان احدهما خالق الخير والاخر خالق الشر ومعنى الاية والله اعلم ان الذي يستحق ان تولهه قلوبكم اليه في المنافع والمضار وفي جملة حوايجكم وفي التعظيم له اله واحد لا يستحق الالهية احد غيره وهو العاطف على خلقه المتحنن بهم فنفهم من وحدانية الله تعالى اربعة معان **احدها** واحد لا يتجزا وليس بذي ابعاض وما جاز عليه التجزي والقسمة فليس بواحد على الحقيقة **والثاني** واحد في استحقاق العبادة والوصف له بالالهية لا يستحق لذلك سواه **والثالث** واحد في صفاته لا يشركه فيها احد مثل صفة الرحمن والقديم ونحو ذلك فان الله مختص بصفات واسما لا يوجد منها شي في غيره **والرابع** واحد في انتفا النظير والكفو والمثل فاما اذا وصفناه جل ذكره بانه قادر او عالم لم يشركه في كيفية استحقاق هاتين الصفتين احد لان الله تعالى عالم بالمعلومات كلها على وجه لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاشيا كلها على وجه لا يصح عليه العجز ونحن نعلم بعض المعلومات ولا نعلم بعضها ونقدر على بعض الاشيا دون بعض ويصح علينا العجز والجهل وكذلك اذا وصفنا الله تعالى بانه حي او غني او باق فهذه صفات لا يتصور عليه فيها الزوال والنقصان فاما قوله لا اله الا هو

لفظ يتضمن نفي معبود الكفار واثبات معبود المومنين ويقال فيه نفي الالهية عمن لا يستحق الالهية
واثبات الالهية لمن يستحقها وانما قرن هذا اللفظ والله تعالى اعلم بالرحمة لان العبادة انما تستحق
باعلا مراتب النعم فلذلك بولغ في صفة الرحمة **روي** انه لما نزلت هذه الاية انكر المشركون
توحيد الله تعالى فانزل الله تعالى **قوله عز وجل** إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ
السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ
الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ المعنى والله تعالى اعلم
ان في خلق السموات بما هي عليه من سقف بغير عمد ترونها مزينة بالمصابيح والارض بما فيهما من
البر والبحر والسهل والجبل ومعادن الذهب والفضة وساير اصناف الجواهر والوان النبات والخلق
واختلاف الليل والنهار في الصفة والصورة اسود وابيض وفي المجي والذهاب على تعاقب كل واحد منهما
خليفة صاحبه يخلف احدهما الاخر ابدا وفي الزيادة والنقصان ياخذ كل واحد منهما من صاحبه
ويختلفان ابدا ولا يتفقان في السنة الا مرة وفي السفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس في المكسب وغير
ذلك وفيما انزل الله من السما من ما المطر فاحيى به الارض بعد يبسها وذهاب النبات عنها وخلق
وفرق في الارض من اجناس الدواب والحيوانات وفي تقليب الرياح شمالا وجنوبا ودبورا وصبا وفي
السحاب المذلل بين السما والارض لمنافع بني ادم لعلامات دالة على وحدانية الله تعالى لقوم يميزون
ويعرفون انه لو كانت هذه الامور الى اثنين لاختلفا وقد اشتملت هذه الاية على دلايل في التوحيد
كل واحدة منها بانفرادها حجة على ثبوت وحدانية الله تعالى **اما** السما والارض فهما جسمان كثيف
من شانهما التسفل فانشاهما الله تعالى كما ترى في الهوا لا للارض عمد من تحتها ولا للسماء
علايق من فوقها ولو اجتمع الخلق كلهم على اقامة حجر في الهوا من غير عمد تحته ولا علاقة فوقه لم
يقدروا على ذلك فلا بد من معرفة صانع قدير اذ لا يجوز ان تقيم السموات انفسها على غير قرار لان
الحي اذا كان جسما لم يمكنه ذلك فالجماد اولى ان يتعذر عليه ذلك **واما** الليل والنهار يتعاقبان
تعاقب الضد والضدان لا يجتمعان في الوجود فلا بد ان يتقدم احدهما عن وجود الاخر ولا يجوز عليهما
القدم لان القديم واجب الوجود لنفسه اذ لو لم يكن واجب الوجود لنفسه لم يكن بالوجود اولى منه
بالعدم وما لا يكون بالوجود اولى منه بالعدم لا يوجد الا بايجاد موجد والموجد لا بد من ان يتقدم
ما يوجده وما تقدمه غيره لا يكون قديما والقديم ما لا يصح عليه العدم وما يصح عليه العدم لا يكون الا
محدثا ولا بد للمحدث من محدث لا يشبهه **واما** الفلك فلو لا جري الما برفقه وتحرك الرياح
لما جرت الفلك وذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى كما قال جل ذكره في اية اخرى ان يشا يسكن
الريح فيظللن رواكد على ظهره **واما** انزال الما من السما فغير ممكن الا من الله تعالى وقيل
ان الله تعالى خلق السحاب على هيئة الغربال او المنخل ليخرج المطر منه قطرة قطرة ولا يلتقي منه
قطرتان في الجو اذ لو خلق الله تعالى السحاب على هيئة اخرى لخرج المطر جملة منهمرا اسيالا
فكان يغرق ما ياتي عليه كما كان في وقت طوفان نوح عليه السلام قال الله تعالى ففتحنا ابواب
السما بما منهمر وهذا لا يكون الا من فعل قادر عليم حكيم **واما** احيا الارض بالنبات فلو اجتمع
الخلق كلهم على احيا شي لم يقدروا عليه وانما سمى الله تعالى عمارة الارض حيوة لان النبات اذا بدا
انشقت له الارض فكانها يتحرك ويحيى قال الله تعالى فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت لانتراقها
من النبات وقيل عنى باحيا الارض احيا سكانها اذ الارض جماد لا ينطلق اسم الحيوة عليها فحذف
المضاف لدلالة الحال **واما** قوله تعالى وبث فيها من كل دابة اي من الاجناس المختلفة كما قال الله

تعالى

تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الى اخر الاية **واما** تصريف الرياح فلو لم يكن ذلك من فعل فاعل حكيم
مختار لوجب ان يكون الرياح على صفة واحدة في جميع الاحوال وقيل في معنى تصريف الرياح اختلافها
في كون بعضها لاقحة وبعضها عذابا **واما** السحاب المسخر بين السما والارض مع كونه جسما
كثيفا من غير شي يمده من تحت او يعلقه من فوق دليل على ان له موقفا وقفه في الجو على
هذا الحد **واما** ذكر الارض في هذه الاية بلفظ الوحدان فلمعنيين احدهما ان الارض من اسم
الاجناس تقع على الواحد والجمع كالما والتراب وقد ذكر الله تعالى عدد الارض في اية اخرى حيث قال عز
من قائل سبع سموات ومن الارض مثلهن والثاني ان السموات صنعت من اشيا مختلفة فاستحقت
الجمع في اختلاف الاجناس والارضون من شي واحد وهو الطين والحجر والمدر فجانبا الجنس اذ الجنس
دال عليه واسم الفلك يقع على الواحد والجمع يقال للسفينة فلك وفلك تخرج فلك
ليلفظ الجماعة فيخوا اشد واشد والله تعالى اعلم **قوله عز وجل** وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ
أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ وذكر الله تعالى لما بين امر التوحيد وبين الادلة
عليه ليستدل بها العاقلون على ذلك عطف على ذلك ذكر من عدل عن التوحيد بعد هذا البيان
والبرهان فقال هاهنا ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم المشركون يرون الايات ولا
يستدلون بها على التوحيد ويتخذون مع دونهم اياها لله تعالى الانداد اي اعدادا واشكالا وامثالا
هي الاوثان جعلوها مثلا لله تعالى اذ عبدوها مع الله تعالى يحبونها كحبهم لله تعالى اي
يسوون بينها وبين الله تعالى في المحبة في ان الحب لله والحقيقة هو الحب لتعظيمه ومدحه
وعبادته فلما وجهوا الاصنام على انفسهم العبادة والمدح والتعظيم كما وجبوا ذلك لله تعالى
كانوا قد احبوا الاصنام كحبهم لله تعالى وقيل معنى يحبونهم كحب الله اي يحبونهم كما يجب ان يحب
الله تعالى وقيل معناه يحبونهم كحب المومنين لله تعالى ثم قال الله تعالى والذين امنوا اشد حبا لله
اي المومنون يخلصون في محبة الله تعالى لا يشركون معه غيره وهم يشركون معه معبوداتهم
وقيل معناه ان المومنين يعبدون الله تعالى على كل حال والكفار يعبدون الاوثان في الرخا
فاذا اصابتهم شدة تركوا عبادتها والدليل على ان حقيقة الحب لطاعة ما قال القايل قيل هذا البيت
لو كان حبك صادقا لاطعته ○ ان المحب لمن يحب مطيع ○ فكل من كان
طوع لله تعالى فهو اشد حبا له **وسيل** ابو سليمن الداراني لمن تقرب به العبد الى
الله تعالى فبكى وقال اقرب ما يتقرب به العبد الى الله تعالى ان يطلع الله تعالى على قلبه لا يرى فيه
من الدنيا والاخرة الا هو **فاما** قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب اي لو
راى عبدة الاوثان اليوم ما يرون حين رويتهم شدة عذاب الله تعالى لتركوا عبادة الاوثان
ومحبتها وقرئ يرون بضم اليا على فعل ما لم يسم فاعله ومن قرا ولو ترى بالتا على سبيل المخاطبة
فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو رايتهم يا محمد صلى الله عليه وسلم حين يرون العذاب
لان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب للروسا والاتباع من اهل الاوثان لرايت امرا
عظيما وشديدا وتقطيعا وهايلا واتمام مذكرا والجواب لان المعنى يدل عليه كما يقال لو رايت فلانا
تحت السياط فتستغني عن الجواب اذ حذف الجواب وشرطه في هذا الموضع ابلغ في الفصاحة لانك اذا حذفت
احتمل الكلام اشيا كثيرة واذا بينت كان الجواب مقصورا على اللفظ واما من قرا ان القوة لله جميعا
وان الله كلاهما بالكسر فعلى معنى الابتدا وقرا العامة بالنصب على معنى البنا بان القوة لله جميعا
ونظير هذا قوله تعالى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها وانك على العطف والابتدا ومعنى

شدة العذاب في الابتداء يسهل عنده كل عذاب لما روي ان من صفة نار جهنم ان من اخرج منها
وادخل نار الدنيا وقع عليه النوم استراحة ودعة **قوله عز وجل** **اذ تبرأ الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة
فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين
من النار** متصل بما قبله المعنى ان الله تعالى شديد العذاب وقت يتبرأ المتبوعون من التابعين وفي هذا
زيادة وعيد للكفار لان الله تعالى بين في هذه الاية ان القادة والاشراف من عبدة الاوثان يتبرؤن
عند ذلك من الذين افنوا اعمارهم في تعظيمهم وعبادتهم واتباعهم وقصروا انفسهم على الانقياد
لهم واعتقدوا ان ذلك من اوكد اسباب نجاتهم اذا كان ذلك اليوم يتبرؤن منهم عند مشاهدة
العذاب ومعنى رأوا العذاب اي دخلوا جميعا النار وعاينوا ما فيها وهذا كقول القائل قد رأيت السجن
وغمه يريد به انك شاهدته وكنت فيه ومعنى قوله وتقطعت بهم الاسباب اي الوصلات وهي الحلف
والعهود التي كانت بينهم في الدنيا يتحابون عليها واصل السبب الحبل يشد بالشيء فيجذب به ثم جعل كل ما جر شيئا
سببا وتقطع الاسباب ان لا يبقى لهم سبب الى رحمة الله تعالى بوجه من الوجوه واما قوله تعالى وقال الذين
اتبعوا لو ان لنا كرة اي قال السفلة والخدم لو ان لنا رجعة الى الدنيا لتبرأنا منهم في الدنيا
كما تبرأوا منا في الاخرة يقول الله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي كتبرؤ بعضهم
من بعض يريهم الله تعالى اعمالهم التي عملوا في الدنيا لغير الله تعالى ندامات عليهم في الاخرة كما اراهم
تبرأ بعضهم من بعض ويقال كما اراهم العذاب وكل عمل عمل في الدنيا لغير الله تعالى فهو حسرة وندامة
يوم القيمة وعن السدي في قوله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم ان الله يريهم الجنة ترفع لهم
ينظرون الى نعيمها والى منازل لهم فيها لو اطاعوا الله تعالى فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم
الله تعالى ثم يقسم ذلك بين المومنين واما قوله تعالى وما هم بخارجين من النار اي القادة
والاتباع كلهم من عبدة الاوثان مقيمون خالدون في النار لا يخرجون منها ابدا ايئسهم الله تعالى
بهذه الاية عن الخروج من النار وبين انهم انما يتحسرون في وقت لا ينفعهم الحسرة وفي الاية زجر عن المعاصي
وعن اتباع غير امر الله تعالى على سبيل الهوى والتقليد واما انتصاب قوله تعالى فنتبرأ منهم
على جواب التمني لان معنى لو ان لنا كرة ليت لنا كرة ولو قرئ بالرفع لجاز على الابتداء كقول ليت
زيدا يحضرني فاكرمه وفاكرمه كلاهما بالنصب والرفع وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس في الجنة حسد ولكن فيها حسرة وان اشد الناس حسرة يوم القيمة لثلاثة نفر
رجل يكسب المال ولا ينفق في الحق وورثه من انفق بالحق فيرى ثواب ماله في ميزان غيره ورجل
تعلم العلم وعلم الناس فيعملون به يرثون الدرجات وهو لا يعمل بعلم نفسه ورجل كان له عبد
صالح ترفع درجته فوق درجة مولاه **قوله عز وجل** **يا ايها الناس كلوا مما في الارض
حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين** وذلك ان الله تعالى لما ذكر
الموحدين وثوابهم والكافرين وعقابهم اتبع ذلك بذكر نعمه في الدنيا على الفريقين واحسانه
اليهم وان معصية من عصاه وكفر من كفر لا يمنعه من الاحسان الى الكافة فقال عز من قائل
يا ايها الناس كلوا مما في الارض من الزروع والانعام وغيرهما مما احل الله تعالى لكم حلالا طيبا ويجوز ان يكون
من في قوله تعالى مما في الارض على التجنيس اي كلوا ما في الارض من المحللات كما في قوله وكلوا مما
امسكن عليكم ويجوز ان يكون للتبعيض لان كل ما في الارض غير حلال فان الله تعالى حرم الميتة
وما اشبهها بايات اخر فاما قوله تعالى طيبا يجوز ان يكون صفة للحلال وهما واحد جمعهما
في اللفظ للتاكيد كما يقال سحقا وبعدا او كذب ومين ويجوز ان يكون معنى الطيب المستلذ فاما الحلال

فما كان غير محظور ومعنى قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا طرقه التي يدعوكم
اليها انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية
نزلت في بني ثقيف وبني عامر بن صعصعة كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي
وبعض الحروث كما قال الله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فانزل الله تعالى
فيهم هذه الاية والخطوات جمع الخطوة كما يقال حجرة وحجرات وغرفة وغرفات والخطوة في
اللغة بعد ما بين قدمي الماشي ومن قرا خطوات باسكان الطاء فلثقل الضمة فاما الخطوة بفتح الخاء فهي
المرة من الخطو كما يقال مضغة ومضغة ولقمة ولقمة وقرئ في الشواذ خطوات بنصب الخاء والطاء
قوله عز وجل **انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** يقول
ان الشيطان يأمركم بالاثم والقبيح من العمل وبان تقولوا على الله ما لا تعلمون انه حرم عليكم ما لم
يحرمه ويقال هو وصفهم لله تعالى بالاولاد والانداد وذهب بعضهم الى ان السوء ما يجب به
التعزير والفحشاء ما يجب به الحد وزعم مقاتل رحمه الله كل ما في القران من ذكر الفحشاء فهو زنا
الا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فانه منع الزكوة وقيل ان السوء في اللغة ما
يسوء الانسان اي يحزنه وتضره عاقبته والفحشاء ما جاوز الحد في الشناعة حتى استبشعه كل عاقل
فان قيل كيف يصح ان يأمرنا الشيطان ونحن لا نشاهد شخصه ولا نسمع صوته قيل معنى
يأمركم اي يدعوكم ويرغبكم وهذا كقول الانسان نفسي تأمرني بكذا وهواي يأمرني بكذا اي يدعوني
اليه وقد يجد الانسان اثر وسوسة الشيطان في نفسه ودعايه الى المعاصي بان يثقل بعض الطاعات عليه
ويميل الى بعض المعاصي وقد علم بالاخبار الصادقة ان هذا يكون من فعل الشيطان الذي ثبتت عنده
عداوته اياه فلا يكون مخالفة الشيطان الا في فعل الطاعة وترك المعصية **قوله عز وجل**
**واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون** في الاية بيان عناد الكفار واتباعهم التقليد دون الحجة يقول اذا قيل لهؤلاء الكفار
اتبعوا في التحليل والتحريم ما انزل الله لا اهواءكم قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاوثان في
تحريم البحيرة ونحوها يقول الله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا وهذا الف الاستفهام دخلت على
واو العطف ومعناها التوبيخ والذم كانه تعالى قال ايتبعون اباءهم وان كانوا جهالا لا يعقلون شيئا
من الدين ولا يهتدون للسنة وفي هذه الاية بيان انه لا يجوز للانسان ان يتبع من لا يعلم انه على الحق او على
الباطل وفيها دليل على فرض الله تعالى على المكلفين اتباع الحجة والنظر في امر الدين ثم ضرب الله تعالى
للكفار مثلا في وصفهم بعد ما امروا ونهوا فلم يأتمروا ولم ينزجروا بصفة الدواب **فقال عز وجل**
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون يقول
مثلك يا محمد صلى الله عليه وسلم مع الذين كفروا ويقال مثلنا مع الذين كفروا فحذف اختصارا لدلالة الكلام
عليه ويقال مثل واعظ الذين كفروا فحذف المضاف كما في قوله تعالى واسال القرية كمثل الذي يصيح
بما لا يدري ما يقال له الا انه يسمع الصوت وهو الشاة والبعير والبقر ينزجر بالصوت ولا يفقه
ما يقال لها ولا يحسن جوابا اي كما ان البهائم لا تفهم معنى كلام من يدعوها فكذا هؤلاء الكفار لا ينتفعون
بوعظ النبي صلى الله عليه وسلم هم صم عن الخير لا يسمعون الحق خرس لا يتكلمون بخير عمي لا
يبصرون الهدى فهم لا يعقلون ما يومرون به وذهب بعض المفسرين رحمهم الله الى ان هذه الاية
مثل ضربه الله تعالى للكفار والهتهم يقول مثل الكفار في دعايهم الاصنام كمثل راعي الابل والغنم كما لا
تفهم البهائم معنى كلام من يدعوها ويزجرها كذلك الاصنام لا تسمع ولا تنفع والدعاء والنداء واحد
كما ان الحلال والطيب واحد وقيل الدعاء ما يكون للقريب والنداء انما يكون بمد الصوت للبعيد وقال بعضهم

الدعا تعريف السامعين اسم المدعوّ والندا امالة المدعوّ اليك **قوله عز وجل** يا أيها الذين
آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون خاطب الله تعالى
المومنين بهذه الايه تعظيما لشانهم كما خاطب الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين حين قال عز وجل
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ومعنى هذه الايه والله تعالى اعلم يا ايها الذين اقروا
وصدقوا بتوحيد الله تعالى كلوا من حلال ما رزقناكم من الحرث والانعام واشكروا الله على ما
رزقكم واباح لكم من النعم ان كنتم تقرون انه الهكم ورازقكم ولتعرفون ذلك لان الشكر
انما يكون من العارف بربه دون الجاهل ويكون ذلك تعظيما للمنعم لمكان نعمته وهذا
الامر بالاكل امر اباحة وتخيير لان تناول المشتهى لا يدخل في التعبد وقد يكون الاكل تعبدا في بعض
الاحوال عند دفع الضرر عن النفس وتقويتها على طاعة الله تعالى وعند مساعدة الضيف اذا كان
هو يمتنع عن الاكل اذا انفرد وينبسط اذا اسوعد روى انه لما نزلت هذه الاية قالت الكفار ان
لم تكن البحيرة والسايبة والوصيلة محرمة فما المحرمات فانزل الله تعالى **قوله عز وجل**
إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا
عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم يقول انما حرم الله تعالى عليكم الميته وهي التي تموت حتف
انفها بغير ذكاة وقد تكون الميته بسبب من فعل ادمى اذا لم يكن فعله فيها على وجه الذكوة
المبيحة له والدم يعني الدم المسفوح كما قال الله تعالى في ايه اخرى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
الى قوله تعالى او دما مسفوحا فاما قوله تعالى ولحم الخنزير فالمراد به المذكى منه وغير المذكى لان
في ابتدا هذه الايه تحريم الميته عاما فلما افرد لحم الخنزير بالتحريم علمنا انه لم يرد به الخنزير الميت
واما قوله تعالى وما اهل به لغير الله اى ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله تعالى واما قوله تعالى فمن
اضطر يقول من الجاته ضرورة المجاعة او ضرورة الاكراه الى اكل شي من هذه المحرمات غير طالب
لذلك ويقال غير طالب عند اكله تلذذا ولا عاد اى ولا متجاوز قدر ما يسد به رمقه وقيل ولا
مجاوز قدر حاجته من عدا فلان الشى يعدوه اذا جاوزه وقال بعضهم في معنى هذه الايه غير
باغ على امام ولا معتد على امه اى غير مفارق للجماعة ولا عاد على المسلمين بالسيف فلا اثم عليه اى لا
حرج عليه في الاكل منه عند الضروره ان الله غفور للذنوب العباد اذا تابوا رحيم بهم اذ رخص لهم
للاضطرار في اكل ما حرم عليهم قبل الاضطرار **وقد اختلف** اهل اللغة في قوله تعالى انما
حرم ذكر الزجاج وغيره انه معنى ما حرم عليكم الا الميته والدم قالوا لان انما يشتمل على ان
التي للاثبات وما التي للنفي فتكون اثباتا لما بعدها ونفيا لما سواها تقول ان زيدا منطلق فيكون
خبرا عن انطلاق زيد واذا قلت انما زيد منطلق فقد نفيت عنه في المعنى جميع الصفات الا
الانطلاق وتقديره ما زيد الا منطلق وقال بعضهم انما للتاكيد فقط ويجوز ان تكون معناه ان
الذي حرم الله تعالى عليكم الميته وفي الميته لغتان ميّته بالتشديد وميْته بالتخفيف وقيل ان
الميته مخففة من الميّته وليس فيها علة الا طلب التخفيف وقال بعضهم الميّت بالتشديد
لما سيموت وبالتخفيف لما قد مات وعلى هذا التاويل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
والاهلال في اللغة رفع الصوت كانوا اذا ارادوا الذبح رفعوا الصوت بذكر الهتهم قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا استهل الصبي صارخا سمي وورث وورث وصلي عليه وقال لا حج
الا لمن اهل ولبى ومن هذا سمي الهلال هلالا لان الناس يرفعون اصواتهم عند رويته
والاضطرار هو ان يدفع الانسان الى ما لا يمكنه الانفكاك منه والبغا في اللغة الطلب
من بغى الرجل يبغي حاجته بغا تقول العرب خرج الرجل في بغا ابل له اى في طلب ابل له والبغي

هو قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغي بغيا اذا ورم وترامى الى الفساد والبغا بكسر البا الزنا
من باب فعل يفعل ايضا بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل وفي الاية دلاله على انه
لا يجوز الانتفاع بالميته بوجه من الوجوه ولا ان يطعمها الكلاب والجوارح لان ذلك ضرب
من الانتفاع بها وظاهر قوله تعالى انما حرم عليكم الميته يقتضي تحريم جميع الميتات الا ان النبي صلى الله
عليه وسلم خص السمك والجراد من هذه الجمله بالاباحة بقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان
ودمان فاما الميتتان السمك والجراد واما الدمان فالكبد والطحال **وقد اختلف الناس** في اكل
السمك الطافي وهو الذي يموت في الما حتف انفه قال علي كرم الله وجهه ما طفا من صيد البحر فلا
تاكله **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما دسره البحر فكل وما طفا فلا تاكل **وعن** ابي بكر
وابي ايوب الانصاري رضي الله عنهما اباحة اكل السمك الطافي فلما اتفق المسلمون على تخصيص غير الطافي من هذه
الايه خصصناه واختلفوا في الطافي فكرهه اصحابنا رحمهم الله وتركوه على العموم الذي وردت به الاية في
تحريم الميته وفي الاية دليل على صحة قول ابي حنيفه رحمه الله في جنين الناقه والبقرة ونحوهما اذا خرج بعد
ذبح الام لا يوكل الا ان يخرج حيا فيذبح واما جلد الميته اذا دبغ فقد اختلف الفقها فيه قال اصحابنا يجوز بيعه
والانتفاع به واستدلوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دباغ الاديم ذكاته وروي ذكاة
الاديم دباغه فاجرى النبي صلى الله عليه وسلم الذكاة والدباغ مجرا واحدا **وعنه** صلى الله عليه وسلم
انه مر بشاة ميتة لميمونه فقال هلا انتفعتم بجلدها فقيل انها ميته فقال صلى الله عليه وسلم
انما حرم من الميته اكلها واما شعر الميته وصوفها وقرنها وعظمها ففيه ايضا خلاف بين اهل
العلم قال اصحابنا لا يكون ذلك ميته لانه يوخذ من الحيوان في حال حيوته فلا يكون نجسا بالاتفاق
وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس بمسك الميته اذا دبغ وصوفها
وشعورها اذا غسل بالما وكان مالك يقول لا ينتفع بعظام الميته ولا باس بشعرها وصوفها وقال
الشافعي لا ينتفع بشي منها واما لبن الميته وانفحتها فهما طاهران في قول ابي حنيفه وقال ابو
يوسف ومحمد يكره اللبن لانه في وعا نجس وكذلك الانفحة اذا كانت مايعه فان كانت جامدة
فلا باس وقالوا جميعا في البيضه اذا كانت من دجاجه ميته لا باس بها ومن الدليل على طهارة هذه
الاشيا في موضع خلقتها قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم
لبنا خالصا سايغا للشاربين **وقد** اتفق المسلمون على جواز اكل اللحم المذكى بما بقي في عروقه
من الدم بعد الذبح وفي ذلك دليل ان موضع الخلقه لا ينجس بمجاورة ما خلق فيه واما دهن
الميته فلا خلاف بين الامة انه نجس لا يجوز الانتفاع به بوجه من الوجوه وانما اختلفوا في الدهن
الذي تموت الفارة فيه هل يجوز الاستصباح والانتفاع به لغير الاكل **وقد** وردت السنة في ذلك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن الفارة تموت في السمن فقال ان كان جامدا فالقوها وما
حولها وان كان مايعا فاريقوه **وفي** بعض الروايات انتفعوا به من غير اكله واما تخصيص لحم الخنزير
في الايه فلان عظم منفعته وما كان يبتغى منه الكفار اللحم فخص اللحم بالذكر واراد جميع اجزايه
وهذا كما قال الله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومعلوم ان ايقاع جميع الافعال في الصيد حرام
على المحرم ولكن خص القتل لانه اعظم ما يقصد به وكذلك خص الله تعالى البيع بالنهي وقت النداء يوم الجمعة
واراد بذلك جميع الامور الشاغلة عن الجمعة يدل على هذا ان الله تعالى قال في اية اخرى او لحم خنزير فانه
رجس وهذه الكنايه راجعة الى نفس الخنزير فاقتضى نجاسة جميع اجزايه الا ان اكثر اهل العلم
استحسنوا اجازة الانتفاع بشعره الذي يصلح للخرز دون جواز بيعه وشرايه لما شاهدوا التابعين
واهل العلم يقرون الاساكفة على استعماله من غير نكير ظهر منهم عليهم وهذا مثل ما قالوا في اباحة

دخول الحمام من غير شرط اجرة معلومة ولا مقدار مدة لبثه فيها ولا مقدار ما يستعمله من الماء لان
ذلك كان ظاهرا مستفيضا في عهد السلف غير منكر على فاعليه فصار ذلك اجماعا منهم وفي الاية
دلالة على تحريم ذبيحة اليهودي والنصراني اذا سموا عليها غير اسم الله تعالى لان الاهلال لغير
الله تعالى اظهار غير اسم الله تعالى **وقد روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال اذا رايتم اليهود يذكرون مع اسم الله تعالى شيا اخر فلا تاكلوه **فان قيل** اذ اسمى النصراني
على الذبيحة باسم الله تعالى فانما يريد به المسيح فاذا كانت ارادته لذلك لم تمنع صحة ذبيحته
وهو مع ذلك مهل به لغير الله فاذا اظهر ما اضمره فلماذا حرمت تلك الذبيحة على المسلم **قيل** له
لان الله تعالى كلفنا حكم الظاهر فاذا اظهر غير اسم الله تعالى حكم عليها اظهر فدخل تحت
قوله تعالى وما اهل به لغير الله واما اذا اضمر ولم يظهر الا اسم الله تعالى فهذا الاسم لا يستحقه
احد الا الله تعالى فلا يجوز حمله على اسم المسيح الا ترى ان من اظهر القول بالتوحيد
وتصديق الرسول كان حكمه حكم المسلمين مع جواز اعتقاده التشبيه المضاد للتوحيد
واختلف اهل العلم في معنى قوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه
قال ابن عباس والحسن ومسروق غير باغ في الميتة ولا عاد في الاكل وهو قول اصحابنا
ومالك اباحوا للبغاة الخارجين على المسلمين اكل الميتة عند الضرورة كما اباحوا لاهل العدل
وقال مجاهد وسعيد بن جبير اذا لم يخرج باغيا على امام المسلمين ولم يكن سفره في معصية
فله ان ياكل الميتة اذا اضطر اليها وان كان سفره في معصية او كان باغيا على امام المسلمين
لم يجز له ان ياكل وهو قول الشافعي رحمه الله وظاهر قوله تعالى الا ما اضطررتم
اليه يوجب اباحته للجميع من المطيعين والعصاة وقد قال الله تعالى في اية اخرى
ولا تقتلوا انفسكم اتفق اهل العلم ان من امتنع من المباح حتى مات كان قاتلا نفسه
ولا يختلف في ذلك حكم العاصي والمطيع بل يكون امتناعه عند ذلك من المباح زيادة
في عصيانه والميتة عند الضرورة بمنزلة المذكاة في حال الامكان والسعة **واختلفوا في حد
الاضطرار** فالصحيح من ذلك ان الاضطرار لا يكون الا عند خوف التلف في اخر الرمق **وعن**
عبد الله بن المبارك انه قال اذا كان بحيث لو دخل السوق لا ينظر الى شيء سوى المطعوم وقال
بعضهم اذا كان يضعف عن الفرايض وهذا عند المتقين حد الاضطرار الى الشبهات فاما مقدار ما ياكل
من الميتة عند الضرورة قال اصحابنا لا ياكل منها الا قدر ما يمسك رمقه وقال مالك ياكل منها حتى
يشبع ويتزود منها فان وجد شيا مباحا طرحها وفي الاية تعليق الاباحة بوجود الضرورة والضرورة
هي خوف الضرر بترك الاكل منها على نفسه او بعض اعضايه فمتى اكل منها مقدار ما يزول معه خوف
الضرر في الحال فقد زالت الضرورة ولا يمكن اعتبار سد الجوعة لان الجوع في الابتداء لا يبيح اكل الميتة
اذا لم يخف ضررا بتركه **فان قيل** ما معنى قول الفقهاء ان اكل الميتة عند الضرورة رخصة
وهو من الواجبات عند الضرورة **قيل** بلى هو واجب عند عامة الفقهاء حتى روي عن
مسروق رضي الله عنه انه قال من اضطر الى ميتة فلم ياكل حتى مات دخل النار الا ان عادة الفقهاء
رحمهم الله فيما كان تخفيفا عن ثقيل ان يصفوه بهذا الوصف سواء كان من باب المباح او الواجب
وعلى هذا قالوا في المسح على الخفين انه رخصة وهو من باب الواجب الذي لا بد منه عند ترك
غسل الرجلين فلما كان اباحة اكل الميتة للمضطر تخفيفا عن ثقيل سمي ذلك رخصة **فان
قيل** هلا دل قوله تعالى فلا اثم عليه على انه مباح لان هذه اللفظة لا تستعمل الا في المباح
قيل انما ذكر الله تعالى هذا اللفظ ليبين زوال الحرج في تناول ذلك عند الضرورة مميزا بين حال

غير

مقدار

من

المضطر

المضطر وحال المختار ثم لا يمتنع ذلك من ان يكون واجبا وهذا كما تقدم في تفسير قوله تعالى فلا
جناح عليه ان يطوف بهما **فان قيل** قوله تعالى فلا اثم عليه في ظاهر اللفظ يناقض قوله تعالى
ان الله غفور رحيم لان الغفران يقتضي اثبات اثم يغفر ويستر **قيل** لما كانت الضرورة تبيح ما
لولاها لكان محرما جاز في الاكل عند الضرورة بان يقول الله تعالى ان الله غفور رحيم لانه بالغفران
قد ستر ما لولا الاباحة لكانت معصية منكشفة وبرحمته جوز عند الضرورة احيا النفس بتناوله
وقال الحسن اراد بهذا رفع العقاب عمن تاب من تحريم البحيرة والسايبة والوصيلة وفي قوله
تعالى فمن اضطر قراتان من قرا بضم النون كانت ضمة النون في الحقيقة ضمة الالف التي بعدها
الا انها تقع على النون عند القراة ومن قرا بكسر النون قال ان النون من قوله تعالى فمن ساكنه
والساكن اذا حرك حرك الى الكسر **قوله عز وجل** ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا
يزكيهم ولهم عذاب اليم نزل في علما اليهود والنصارى قال بعضهم اراد بالاية كتمان ما انزل الله
من نفس الكتاب وقال بعضهم اراد به كتمان التاويل دون التنزيل فان التنزيل يعرفه العلما
والعوام جميعا فلا يجوز ان يتواطوا على كتمانه لان ذلك يتعذر في التورية والانجيل مع ظهورهما
كما يتعذر مثله في القران فاما التاويل فلا يعرفه الا العلما فيجوز ان يتواطوا على كتمانه كالعالم
بمعنى المتشابه من الصفات قد يجوز ان يكتم معناه للمشبهة ليستا كلهم بذلك ومعنى الاية ان
الذين يكتمون ما انزل الله من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك من الرخص والاحكام
التي بينت في الحلال والحرام ويختارون بسبب الكتمان عرضا يسيرا من متاع الدنيا وهو ما كان
لهم من الهدايا والفضول من اغنيايهم ورؤسايهم ويقال اراد به الرشا التي كانوا ياخذونها منهم
اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار قال بعضهم معناه ياكلون في جهنم النار ويقال ما ياكلون
الا الحرام وسماه نارا لان عاقبته النار في الحقيقة واما قوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيمة
قال بعضهم معناه يغضب عليهم ولا يكلمهم الله بما يكلم به اولياه كما تقول فلان لا يكلم
فلانا تريد بذلك انه عليه غضبان لا يكلمه بخير فكذلك لا يكلم الله تعالى هولا الكاتمين بما
يكلم به اولياه من البشارة والرضا وما التهديد فلا بد من ذلك كما قال الله تعالى
فوربك لنسالنهم اجمعين وقال عز من قايل فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين
وقال بعضهم معنى قوله ولا يكلمهم الله اي لا يسمعهم كلام نفسه بل يرسل اليهم ملايكة العذاب
فيكلمونهم بامر الله تعالى ويسالونهم عن ارسال الرسل اليهم وانما اضاف الله تعالى السوال الى
نفسه لان سوال الملايكة يكون بامره ومعنى ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم خيرا وقيل لا يصلحهم
من اعمالهم الخبيثة ولهم عذاب اليم مولم موجع يخلص وجعه اليهم **فان قيل** كيف قال
اولئك ما ياكلون في بطونهم ولا يكون الاكل الا فيما يصل الى الجوف فلم ذكر البطن **قيل** لما ذكر
الله تعالى في هذه الاية يشترون به ثمنا قليلا واراد به الرشا والفضول كان يجوز ان يتوهم
متوهم ان المراد بالاكل غير الاكل الذي يصل الى البطن كما يقال اكل فلان ماله اي افسده
وبذره فذكر البطن تاكيدا كما قال تعالى ولا طاير يطير بجناحيه ويقال بطشت بيدي ومشيت
برجلي وجواب احزان العرب تقول جعت في غير بطني وشبعت في غير بطني اذا جاع من يجري
جوعه مثل جوعه وشبع من يجري شبعه مجرى شبعه فقيد الاكل بالبطن ليزيل هذا الايهام
قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة
فما اصبرهم على النار المعنى والله اعلم الذين مالوا الى التحريف للتورية والانجيل هم الذين

الكلبي

استبدلوا الكفر بالايمان واختاروه عليه ٥ واما قوله تعالى والعذاب بالمغفرة فلان الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يوجب المغفرة والكفر به يوجب العذاب فيكون المستبدل للكفر بالايمان مشتريا العذاب بالمغفرة وقوله تعالى فما اصبرهم على النار قال الكسائي هذا اللفظ استفهام معنى التوبيخ والتعجب جميعا يريد بهذا انه توبيخ لهم وتعجب لنا كانه تعالى قال ما اجراهم على فعل اهل النار مع علمهم ٥ **وحكى** الكسائي عن رجل كان يحلف بالله تعالى على شي فقال له خصمه ما اصبرك على الله تعالى اى ما اجراك على الله تعالى ويقال معنى الاية اي شي صبرهم على النار ودعاهم اليها ويقال معناه ما ابقاهم وادومهم في النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس اى ما ابقاه فيه قال الحسن رضي الله عنه ما لهم من صبر عليها ولكن ما اعملهم بعمل اهل النار والصحيح ان مثل هذا اللفظ لا يكاد يقال بمن تقدم على عمل اهل النار مع الشبهة والتاويل فانما يقال ذلك فيمن يقدم ولا علم له حاصل فلما كان علما اليهود عالمين بصحة امر محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ونبوته واقدموا مع ذلك على ما كانوا عليه من طريقة الرياسة واجتلاب المنفعة وعدلوا عما يقتضيه علمهم ومعرفتهم واختاروا الضلالة على الهدى صح ان يقال لهم فما اصبرهم على النار من حيث اجترؤا على الله تعالى في حال التكليف مع العلم بالوعد والوعيد ٥ **قوله عز وجل** ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد اى ذلك العذاب لهم في الاخرة ويقال ذلك الضلال بان الله تعالى نزل الكتاب بالحق بالعدل والصدق فاختلفوا فيه وقوله تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب قال بعض المفسرين اراد بالذين اختلفوا اليهود والنصارى واراد بالكتاب التورية والانجيل وما فيهما من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة امره ودينه وقال بعضهم اراد بالذين اختلفوا الكفار كلهم واراد بالكتاب القران اختلفوا فيه قال بعضهم سحر وقال بعضهم اختلاق وقول البشر وقال بعضهم اساطير الاولين وقوله تعالى لفي شقاق بعيد اى خلاف طويل يتباعدون في المشاقة يشاقون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل** ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اليهود والنصارى بقوله تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب ثم قال عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم اى ليس البر تولية الوجوه الى المشرق والمغرب وذلك انه لما كانت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة كثر الخوض في امر القبلة قال الحسن توجهت النصارى نحو المشرق واليهود نحو المغرب واتخذوهما قبلة وزعموا انهما البر فاكذبهما الله تعالى بهذه الاية وبين ان البر في طاعة الله تعالى واتباع امره لا في اخذ المنسوخ وترك الناسخ وبين ان البر لا يتم الا بالايمان ويقال معنى الاية ليس البر كله في الصلوة فقط ولكن البر الذي هو كل البر الذي يودي الى الثواب بر من يومن بالله تعالى واليوم الاخر والغرض من الاية والله تعالى اعلم ان البر مجموع خصال هي الايمان بالله تعالى واليوم الاخر بما فيه من البعث والحساب والثواب والعقاب والاقرار بالملئكة انهم عباد الله تعالى ورسله لا كما قال بعض العرب ان الملئكة بنات الله تعالى والاقرار بالكتب التي انزلها الله تعالى والاقرار بالنبيين كلهم وقوله تعالى واتى المال على حبه عطف على من امن اي واعطى المال على حبه يعني المال على شهوته وجوعه وهو صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ذوي القربى يعني اقرباه في الرحم

العيش

واليتامى

واليتامى وهم الصغار والفقرا الذين قد مات اباوهم والمساكين الذين لا شي لهم وابن السبيل قال بعضهم هو الضيف ويقال هو المسافر الذى لا يجد ما يتحمل به الى بلده فتجب مواساته بما يبلغه الى بلده ويسمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق كما يسمى طير الماء ابن الماء ٥ والسائلين الذين يسالون الناس ما ينفقونه لحاجتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل وان اتى على فرس وقوله وفي الرقاب قال بعضهم هو شري الرقاب للعتق وقيل اعانة المكاتبين ليسعوا في فكاك رقابهم **وذهب** بعض المفسرين الى ان الها في قوله تعالى على حبه عايد الى الايتا اى على حب الاعطا يعطي بطيبة من نفسه ولا يكون متسخطا عند الاعطا ويحتمل ان يريد على حب الله تعالى كما قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يمتنع ان يكون جميع هذه الوجوه مرادا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ان المراد بهذه الاية حب المال وهو ما روى عن ابي هريرة انه قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنا ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان **وروي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذي الرحم الكاشح ٥ واما قوله تعالى واقام الصلوة يعني الصلوة المفروضة واتى الزكوة يعني الزكوة المفروضة فهذا عطف على قوله تعالى واتى المال وفيه دليل ان المراد بايتا المال غير الزكوة لان المعطوف غير المعطوف عليه فيحتمل ان يكون الامر بايتا المال حثا على صدقة التطوع ان الاية وردت في البر لا في الواجبات وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل هل في المال حق غير الزكوة فقال اللهم فلا **وذهب** بعض المفسرين الى ان المراد بايتا المال صلة ذي الرحم اذا وجد قريبه ذا فقر وضر ووجوب الاطعام اذا راى فقيرا مضطرا اجهده الجوع فعلى هذا يكون جميع هذه الاية على الواجبات واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نسخت الزكوة كل صدقة قد كانت قبلها فانما ذلك الحقوق الواجبة في المال من غير ضرورة مثل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كثر نخله فليات بالعذق من نخله فليعلقه على باب المسجد تاكله المارة فانما نسخت الزكوة مثل هذه الحقوق التي كانت في اول الاسلام يدل على هذا ان الفقها اجمعوا على صدقة الفطر اذ كان الامر بصدقة الفطر بعد فرض الزكوة واما قوله تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والمراد بالعهد العهود التي امر الله تعالى بالوفا بها من الايمان وساير المواثيق مدحهم الله تعالى على الوفا بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصرته على الاعدا ومظاهرته بالجهاد وغير ذلك من العهود فاما قوله تعالى والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس فالباساء الحالة ذات البوس والفقر والضراء الحالة السقم والوجع وفي مثل هاتين الحالتين يعظم موقع الصبر على العبادات ومعنى وحين الباس حين شدة الحرب يقال لا باس عليك اى لا شدة عليك ويقال بيس الرجل يباس باسا اذا اشتدت حاجته وباس الرجل يبوس بوسا اذا اشتدت شجاعته واما قوله اولئك الذين صدقوا اى اهل هذه الصفة هم الذين صدقوا في ايمانهم وجهادهم والبر واولئك هم المتقون محارم الله تعالى وفي ساير امورهم ٥ ومن قرا ليس البر برفع الراجعل الخبر في ان تولوا ومن نصب البر جعله خبر ليس على التقديم والتاخير المعنى ليس توليتكم وجوهكم البر فان كلمة ان اذا قرنت بالفعل المضارع صارا بمعنى الاسم ومن شدد لكن نصب البر ومن خففها رفع الرا فان قيل كيف قال تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء فرفع قوله تعالى والموفون بعهدهم ونصب والصابرين قلنا اما قوله والموفون عطف على من امن وموضعه الرفع كانه قال ولكن البر المومنون والموفون واما قوله تعالى والصابرين قال بعضهم

انه عطف على قوله تعالى ذوى القربى وذلك فى موضع نصب لوقوع فعل الايتا عليه فكذلك المعطوف عليه
وقال بعضهم ان هذا نصب على المدح باضمار اذكر او اعنى والعرب ان تعدل من المرفوع الى المنصوب فى
المدح على هذا الاضمار ومن المنصوب الى المرفوع على اضمار هو وكذلك فى الذم ونظير هذا قوله تعالى والمقيمين
الصلوة والموتون الزكوة وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى قال الشاعر
نحن بنواضبة اصحاب الجمل وقال اخر لايبعدن قومى الذين هم سم العداة وافة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه
شئ فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى
بعد ذلك فله عذاب اليم فصل مبتدا يشتمل على احكام مبتداه والمعنى والله تعالى اعلم يا ايها الذين
صدقوا بالله ورسله فرض عليكم القصاص فى القتلى واما قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد ذهب
بعض اهل العلم الى ان القصاص مقصور على الحر بالحر والعبد بالعبد وانه لا يقتل الحر بالعبد قال واراد بقوله
تعالى والانثى بالانثى اى تقتل الانثى من كل واحد من الجنسين بالانثى من جنسها وقال اصحابنا ليس معنى
الايه هذا ولكن الله تعالى اراد بهذا ابطال اعتبار الشرف فى باب القصاص بالانفس على ما روى عن
ابن عباس انه قال نزلت هذه الاية فى حيين من العرب وهما الاوس والخزرج كان بينهم قتلى
وجراحات فى الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نسا الاخرين
بغير مهر واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم
وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات اوليك فلم ياخذ ها بعضهم من بعض حتى جا الاسلام فرفعوا
امرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الايه لبيان ان الحر بالحر وفا والعبد بالعبد وفاء
يدل على صحة هذا ان اول الاية عام فى جميع القتلى وقوله الحر بالحر تخصيص بعض ما شمله العموم الاول
ورد بموافقته فلا يوجب ترك العموم الاول اذ الترك انما يكون بالمنافى لا بالموافق ولهذا اجمعوا ان
المراة تقتل بالرجل والرجل يقتل بالمراة مع قول الله تعالى والانثى بالانثى لان اول الاية محكم وما بعده
يحتمل متشابه والمتشابه مردود على المحكم **واما** قوله تعالى فمن عفى له من اخيه شى قال بعض المفسرين
ان من اسم للقاتل المعنى من ترك له القود من اخيه المقتول ورضى منه بالديه ويقال من ترك
له القود من ولى القتيل وهو اخو القاتل فى الدين ورضى منه بالديه فليتبع العافى وهو ولى القتيل
بالمعروف اى ليرفق فى طلب الديه من القاتل ولا يعسر وليود القاتل اليه باحسان اى لا يبخس ولا يماطل
قالوا وقد يذكر العفو المقرون باللام بمعنى الترك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم وعفوت لكم
عن صدقة الخيل والرقيق الا ان فى الرقيق صدقة الفطر ويجوز ان يكون الاتباع فيها بالمعروف
والادا بالاحسان كلاهما راجعين الى القاتل لان الامر اذا تعقب فعل ما لم يسم فاعله كان منصرفا الى المفعول
به دون الفاعل اذ الفاعل غير مذكور فيه وهذا كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه
الله **وروي** عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من ازلت اليه نعمة فليشكرها ومن احيل
على ملى فليتبع **وذهب** اصحابنا فى هذا التاويل الذى ذكرناه الى ان القاتل اذا رضى منه ولى القتيل
بالدية لزمته اجابته الى ذلك ديانة لا حتما وايجابا وهذا كالمضطر الى الطعام عنده اذا عرض عليه
صاحب الطعام طعامه بثمن المثل لزمته الاجابة الى ذلك لاحيا نفسه ديانة لا حتما وتاولوا هذه الاية
ايضا بتاويلات اخر اقرب الى ظاهر الايه احدها ما قالوا ان العفو فى اللغة ما سهل وتيسر قال
الله تعالى خذ العفو اى ما يسهل من الاخلاق وقال النبى صلى الله عليه وسلم اول الوقت رضوان الله
واخره عفو الله يعنى تيسير الله على عباده ويقال خذ ما اتاك عفوا اى سهلا فمعنى قوله تعالى فمن

عفي

عفى له اى ولى القتل اذا بذل له من بدل اخيه المقتول او من جهة اخيه شى من المال من جانب القاتل
فله اتباع بالمعروف اى فليقبله وليود القاتل اليه باحسان كان الله عز وجل ندب ولى المقتول الى الاخذ
المال اذا سهل ذلك من جهة القاتل واخبر انه تخفيف منه ورحمة كما قال عز وجل عقيب ذكر القصاص
فى سورة المايدة فمن تصدق به فهو كفارة له فندب الى العفو والصدقه والذى يويد هذا التاويل
ما روى عن ابن عباس انه قال كان فى بنى اسرايل القصاص ولم يكن فيهم الدية وقال الله تعالى لهذه الامة
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص الى قوله تعالى فاتباع بالمعروف وقال فالعفو ان يقبل الدية من العمد
وقال فى قوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة معناه ان الصلح من القصاص على شى من الدية او غير
ذلك تسهيل عليكم من ربكم ورحمة رحمكم الله بها **وذكر** بعض المفسرين انه كان فى اهل
التوريه القتل لا غير وكان فى اهل الانجيل العفو ولم يكن لهم قود ولا دية فخفف الله تعالى عن هذه
الامه وشرع لهم القصاص مصلحة ثم جعل لهم الرضا بالديه وبيان ان هذا التاويل اقرب الى ظاهر
الاية من التاويل الاول ان قوله تعالى شى منكر ولو كان المراد به القود لكان معرفا والله تعالى اعلم
والتاويل الثالث ما روى عن الشعبى انه قال كان بين الحيين من العرب قتال على نحو ما ذكره عبد الله
ابن عباس قال الشعبى فارتفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية
فقال النبى صلى الله عليه وسلم القتلى بواء اى سوا واصطلحوا على الديات ففضل لاحد الحيين على الاخر
فذلك قوله تعالى فمن عفى له من اخيه شى اى من فضل له على اخيه شى من الديات التى وقع الاصطلاح
عليها فليود بالمعروف والعفو يذكر ويراد به الفضل قال الله تعالى حتى عفوا اى كثروا والتاويل
الرابع ما روى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الايه فى دم بين الاوليا يعفو احدهم عن نصيبه فيتحول
نصيب الباقين مالا يجب على القاتل اداوه اليهم **وروي** عن عمر وعلى انهما قالا فى الدم بين
الاوليا اذا عفى احدهم مثل قوله الا انهما لم ينكرا ذلك فى تاويل هذه الايه وفى هذا بيان ان القصاص
مما لا يتجزا اذا اسقط بعضه سقط كله وانقلب نصيب الباقين مالا وفيه بيان ان العمد اذا اسقط فيه
القود وكانت الديه فى مال القاتل لا على العاقلة لان قوله تعالى فاتباع بالمعروف امر ينصرف الى
من تقدم ذكره وقد تقدم ذكر القاتل وكان تقدير الكلام فعليه اتباع بالمعروف **واما** قوله تعالى
فمن اعتدى بعد ذلك اى ولى المقتول اذا ظلم فقتل قاتل وليه بعد اخذ الدية منه فله عذاب
اليم القتل فى الدنيا والنار فى الاخرة والقصاص فى اللغه ان يفعل بالقاتل مثل ما فعل به من
قولك اقتصصت اثره اى فعلت مثل فعله قال الله تعالى فارتدا على اثارهما قصصا وقال عز وجل
حكاية عن ام موسى عليهما السلام وقالت لاخته قصيه اى اتبعى اثره والكتب هو اثبات الخط
الدال على معنى يسمى به ما يدل على الغرض **وقال** بعضهم معنى قوله تعالى كتب عليكم القصاص
اى كتب ذلك فى اللوح المحفوظ فان القران انما نسخ من اللوح المحفوظ ولو قرى فاتباعا بالمعروف
واد اليه باحسان على معنى فليتبع وليود لجاز من حيث المعنى لكن القراة سنة متبعة فلا
يقرا بما لم ينقل عن القرا **قوله عز وجل** ولكم فى القصاص حيوة يا اولى
الالباب لعلكم تتقون اى لكم معشر المومنين فيما شرعه الله لكم من القصاص بقا فان الذى
يريد قتل غيره اذا علم انه ان قتل قتل امسك عن القتل فيكون فى ذلك حيوة للذى هم بقتله
وحيوة له وفى بقايهما بقا من يتعصب لهما فان الفتنة تثب بالقتل فتودى الى المحاربة التى لا
يعلم الى ماذا تنتهى فذلك قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب ذوى العقول من
الناس لكى تتقوا القتل مخافة القصاص فان قال قايل ايش الفرق بين هذا وبين ما كان عند العرب
بقولهم القتل انفى للقتل وبقولهم اكثروا القتل ليقل القتل قيل له هذا يترجح على قولهم من اربعة اوجه

احدها ان هذا اوجز عبارة فان هذا عشرة احرف وذلك اكثر والثاني ان هذا اكثر فايدة فان قوله تعالى القصاص حيوة بيان العدل واعتبار المساواة وبيان الغرض المطلوب من القصاص وهو الحيوة ومعلوم ان القتل اذا كان على وجه الظلم لا ينفي القتل ولكنه يهيج القتل والثالث ان هذا ابعد من الكلفة فان في قولهم القتل انفى للقتل تكرارا وفي التكرار على النفس كلفة والرابع ان هذا احسن تاليفا للحروف المتلايمة فان الخروج من القاف الى الصاد ومن الصاد الى الحا اسهل على النفس من الخروج الى اللام الى الهمزة ومن التا الى اللام وقد رام بعض المتاخرين ان ياتي بمثل هذا فقال وهو عصام بن عبيد الرعابي ⁕ ابلغ ابا مالك عني مغلغلة ⁕ وفي العتاب حيوة بين اقوام ⁕ وهذا وان كان حسنا لكن بينه وبين ما في كتاب الله تعالى بون بعيد لانه هذا دعا الى العتاب وفي كتاب الله زجر عن القتل ظلما **قوله عز وجل** كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين قيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه وان كان لكم ايها المومنون في القصاص حيوة فان اخر الامر الموت فتعلموا ما يجب عليكم عنده روي انهم كانوا في ابتدا الاسلام يوصون للاباعد طلبا للريا والسمعة فامر الله تعالى من ترك مالا بالوصية للوالدين والاقربين في الرحم المحرم بالمعروف ومعنى الاية والله تعالى اعلم فرض عليكم ان مرض احدكم ان توصوا فان معنى اذا حضر احدكم الموت اذا احدث به المرض وهو قادر على الوصية لانه اذا عاين الموت فقد شغل عن الوصية وغيرها ويجوز ان يسمى الشي باسم سببه كما يقال عشقها فاهلكته وهي لم تهلكه الا ان العشق لما كان سببها اضافوا الهلاك اليها ويقال معنى قوله اذا حضر احدكم الموت ان يوصي حال حيوته فيقول اذا حضرني الموت فاعملوا كذا وكذا ومعنى ان ترك خيرا اي مالا والخير المال لطلبه جهم ويقال ان المراد بالخير المال الكثير والكثير ما تعارفه الناس كثيرا والمعروف هو القصد الذي يعلم اولوا التمييز انه لا حيف فيه ولا جور ومعنى حقا على المتقين اي يحق حقا عليهم وفيه تاكيد لايجاب الوصية لان على الناس ان يكونوا متقين قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولا خلاف بين المسلمين ان تقوى الله تعالى فرض والوصية هي العقد لما يراد من الافعال في مستانف الاوقات بعد موت الموصي ورفع الوصية لانصرافها الى ما لم يسم فاعله وهو قوله تعالى كتب وقد ذهب بعض اهل العلم الى ان هذه الاية غير منسوخة في الوالدين ولا الاقربين الذين لا يرثون الميت مثل الكفار والمماليك حتى قال الحسن رضي الله عنه ان من اوصى بثلث ماله لاجنبي كان ثلث الوصية للاقاربه الذين لا يرثونه وثلثها للموصى له فاما اكثر اهل العلم فقد اتفقوا ان هذه الاية منسوخة واختلفوا باي دليل نسخت قال بعضهم باية المواريث المذكورة في سورة النسا وهذا لا يصح لان الله تعالى شرع المواريث في تلك الاية بعد وصية يوصي بها او دين فكيف يجوز ان تكون تلك الاية ناسخة لهذه الاية والصحيح ان هذه الاية انما نسخت بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا الخبر وان كان من اخبار الاحاد فقد تلقته الامة بالقبول فجرى مجرى الخبر المتواتر اذ الامة لا تجتمع على قبول خبر باطل ويجوز نسخ القران بمثل هذه السنة ولا تجب الوصية الا على من عليه شي من الواجبات لله تعالى او للعباد ويستحب لمن لا شي عليه الوصية بالثلث لاقاربه الذين لا يرثونه بالرحم وفي جهات الخير اذا لم يخف ضررا على ورثته بقلة التلثين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم في اخر اعماركم زيادة في اعمالكم وروى ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حاف في وصيته القي في الوي والوي واد في جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الضرار في الوصية من الكباير **قوله عز وجل** فمن بدله

بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم يقول من غير امر الوصية بعد ما سمعه وعلم صحته فانما اثمه على المبدل دون الموصي ان الله سميع لما قاله الموصي عليم بما فعله الموصي وفي هذه الاية دلالة على ان من كان عليه دين ولم يفرط في قضايه في حال الحيوة ثم ندم على ذلك واوصى بان يقضى عنه ففرط الوصي في قضايه فانه لا اثم على الميت بذلك وانما باثم الوصي ⁕ **قوله عز وجل** فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم معناه وذلك ان الله تعالى لما توعد المبدل في الاية خاف الاوصيا من التبديل فكانوا ينفذون وصية الميت وان جار في وصيته وظلم وان استغرق وصيته المال كله فانزل الله تعالى هذه الاية وبين ان الاثم في تبديل الحق بالباطل فاما اذا غير الوصي من باطل الى حق على طريق الاصلاح فهو محسن لا اثم عليه ومعنى هذه الاية والله تعالى اعلم ان من علم من موص ميلا عن الحق على جهة الخطا او اثما اي ميلا عن الحق على جهة العمد بان زاد في الوصية على الثلث او اقر بغير الواجب او جحد حقا عليه فاصلح الوصي بين ورثة الموصي واقاربه وبين الموصى له وبين غرمايه بان رد الوصية الى المعروف الذي امر الله تعالى به فلا اثم عليه في التبديل والرد الى ما امر الله تعالى به ولا اثم عليه في التبديل ان الله غفور رحيم اذ رخص للوصي في خلاف الوصية على جهة الاصلاح والها والميم في قوله تعالى فاصلح بينهم كناية عن الورثة قد دلت على الموصى له والكناية تصح عن المعلوم وان لم يكن مذكورا كما قال الشاعر وما ادري اذا يممت ارضا ⁕ اريد الخير ايهما يليني ⁕ االخير الذي انا ابتغيه ⁕ ام الشر الذي هو يبتغيني ⁕ فكنى الشاعر في البيت الاول بقوله ايهما يليني عن الخير والشر جميعا وان لم يكن سبق الا ذكر الخير فان قيل كيف يكون معنى قوله تعالى فلا اثم عليه والوصي اذا رد الوصية الى امر الله تعالى كان محتسبا مستحقا للثواب قلنا ان المتوسط بين اثنين على سبيل الصلح يجري امره على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسوال او مشورة فلما كان التوسط يقتضي ذلك بين الله تعالى انه لا اثم عليه في فعله اذا اراد به الاصلاح وان كان يجاب الى ذلك مع كراهة الطباع اذا لم يكن من جنبه الى ذلك مكرها بالوعيد **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون فصل مبتدا معناه فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم لكي تتقوا الاكل والشرب والجماع في زمان الصوم وقيل معناه لكي تكونوا اتقيا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالصوم فان الصوم لكم وجا والصوم في اللغة عبارة عن الامساك يقال لتارك الطعام صايم ولتارك الكلام صايم وللفرس القايم صايم لانه ترك السير قال الله تعالى فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وقال الشاعر خيل صيام واخرى غير صايمة ⁕ تحت العجاج واخرى تعلك اللجما ⁕ ويقال صامت الريح اذا اسكنت وصامت الشمس اذا استوت عند انتصاف النهار فكانها كالممسكة عن الحركة هذا حكم هذا اللفظ في اللغة واما في الشرع فهو الكف في نهار الصوم عن الاكل والشرب والجماع وما في معناها بنية الفرض او القربة عرف ذلك بتوقيف النبي صلى الله عليه وسلم الامة عليه والصوم الشرعي مشبه بصوم الخيل لانه امساك عن الامور التي تنزع اليها النفس وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم يحتمل ثلاثة معان احدها ما قال الحسن والشعبي وقتادة رضي الله عنهم انه كتب على الذين من قبلنا وهم النصارى صوم شهر رمضان فصاموه زمانا فاصابهم فيه الحر الشديد فحولوه الى وقت لا يتغير ثم قالوا عند التحويل نزيد فيه فزادوا عشرا ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فنذر سبعا فزادوه ثم استخلف عليهم من بعد ذلك ملك اخر فقال ما بال هذه الثلثة

فاتمه خمسين يوما وهذا من اخبار الاحاد **وقال** ابن عباس والربيع بن انس والسدى رضى الله عنهم كان الصوم من العتمة الى وقت العتمة ثم كان يحل الاكل والشرب والجماع قبل صلوة العشا الاخرة وقبل النوم فاذا اصلوا العشا الاخرة او رقدوا قبل الصلوة حرم عليهم الاكل والشرب والجماع الى العتمة فذلك قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم ثم نسخ هذا بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم الاية **وقال** بعضهم ليس فى هذه الاية اكثر من تشبيه اصل فرض الصوم بصوم من تقدمنا كانه قال تعالى فرض عليكم اصل الصوم كما فرض على من كان قبلكم وهذا لا يقتضى التشبيه فى الوقت والعدد لانه ليس يجب فى التشبيه ان يستغرق المشبه جميع وصف المشبه له به وانما يقتضى ما نص عليه **قوله عز وجل** أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى قوله تعالى اياما معدودات هى ثلثه ايام من كل شهر كان الله اوجب صومها ثم صار ذلك منسوخا بصوم شهر رمضان **وقال** عبد الرحمن بن ابى ليلى لم يكن فرض صيام ثلثة ايام من كل شهر واجبا ولكن الله تعالى انما تعبد بذلك على جهة التطوع **وقال** اكثر المفسرين قوله تعالى اياما معدودات بيان وجه التشبيه كانه قال تعالى كتب عليكم الصوم اياما معدودات كما كتب على الذين من قبلكم قالوا واراد بالايام المعدودات ما بينه من بعد بقوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القران هدى لان قوله تعالى اياما معدودات كالمجمل الذى لا يدل على وقت وعدد فبينه الله تعالى بقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وقال بعضهم انما انتصب قوله تعالى اياما معدودات على الظرف من قوله تتقون اى لكي تتقوا فى ايام معدودات واما قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر اى من لا يقدر على الصوم لمرضه او كان مسافرا فلم يصم فعليه عدة من ايام اخر تنوب عن صوم ما فاته يصوم ذلك فى الصحة والاقامة ومعنى قوله وعلى الذين يطيقونه اى على الذين يطيقون الصوم فلم يصوموا فدية طعام مسكين وذلك انه كان يرخص فى الصوم الاول لمن يطيق الصوم ان يفطر ويتصدق مكان كل يوم على مسكين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه واما من قرا مساكين فالمعنى عليه طعام مساكين فدية ايام يفطر فيها واما قوله تعالى فمن تطوع خيرا اى زاد على طعام مسكين واحد وان تصوموا خير لكم من ان تطعموا وتفطروا واحدا او اكثر ان كنتم تعلمون ثواب الله تعالى فى الصوم ومن قرا فدية طعام على اضافة الفدية الى الطعام فالفدية مصدر المعنى عليهم ان يفدوا مكان كل يوم طعام مسكين فالفدية اسم لما يفدى به فسر بطعام مسكين **واما ما روى** عن ابن عباس وعايشه وعلى الذين يطوقونه اى يكلفون الصوم ولا يقدرون عليه وفى حرف حفصه وعلى الذين لا يطيقونه يقتضى ان الشيخ الكبير الذى لا يقدر على الصوم ولا يرجى له القضا عليه ان يفدي مكان كل يوم طعام مسكين وهو قول عامة الفقها فى حكم الشيخ الكبير وقد يجوز ان يتعلق حكم التكليف به وان لم يقدر على الصوم كالذي لا يجد الماء للطهارة يومر باقامة التيمم مقام الوضوء **واختلف** اهل العلم فى مقدار الفدية التى تجب بكل يوم قال اصحابنا يطعم لكل يوم نصف صاع من حنطة او صاعا من شعير او صاعا من تمر وقال الآخرون يطعم مدا من حنطة عن كل يوم **وقد روي** عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مات وعليه صوم رمضان فلم يقضه اطعم عنه مكان كل يوم نصف صاع لمسكين واوجب النبى صلى الله عليه وسلم على كعب بن عجرة فى فدية الاذى اطعام ستة مساكين لكل

مسكين نصف صاع من بر **فان قيل** لو كان يجوز للمقيم الصحيح ترك الصوم الى الفدية لكان ينبغى ان لا يوجب القضا على المسافر اذا افطر فى سفره ولا على المريض اذا افطر فى مرضه بل كان يجب ان يوجب عليهما الديه **قيل** ان المسافر ما دام مسافرا والمريض ما دام مريضا لا يجب الصوم عليهما حتى لو ماتا قبل الاقامة والصحة لقيا الله تعالى ولا شى عليهما واذا لم يجب الصوم عليهما لم يوجب الله تعالى عليهما الفديه فاما المسافر اذا اقام والمريض اذا برا فحالهما حال الصحيح المقيم فى شهر رمضان وكان يجوز لهما ترك الصوم بالفديه ثم صار ذلك منسوخا فيهما كما صار منسوخا فى الصحيح المقيم والله تعالى اعلم **قوله عز وجل** شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ المعنى والله تعالى اعلم شهر رمضان هو الذى انزل فيه القران هاديا ومبينا للناس من الضلالة ودلالات واضحات من الهدى والمفرق بين الحق والباطل فمن شهد منكم الشهر بالعقل والبلوغ والصحة والاقامة فليصمه ويقال معناه من كان شاهدا غير مسافر فليصم وهذا نسخ لما كان من قبل من التخيير بين الصوم وتركه الى الفدية ومعنى ومن كان مريضا او على سفر اى من كان مريضا او مسافرا فافطر فعليه عدة من ايام اخر يقضيها فى الصحة والاقامة عدد ما افطر يريد الله بكم اليسر اذ رخص لكم الافطار فى المرض والسفر ولا يريد بكم العسر تكليف الصوم فى السفر والمرض وقوله تعالى ولتكملوا العدة اى لتتموا عدة ما افطرتم للمرض والسفر ويقال عدة ثلثين يوما اذا غم عليكم هلال شوال ولتكبروا الله اى لتعظموه بقلوبكم واقوالكم واعمالكم على ما هداكم من شرايعه وامر دينه ولكي تشكروا الله على الرخصة ونعمة الهدى قال ابن عباس حق على المسلمين اذا نظروا الى هلال شوال ان يكبروا الله تعالى ويقال اراد بالتكبير التكبير فى صلوة العيد يوم الفطر وفايدة تعريف شهر رمضان بالذى انزل فيه القران لبيان ان تخصيص هذا الشهر بايجاب الصوم فيه لاختصاصه بنزول القران لان مدار الدين على القران **واختلفوا** فى معنى قوله تعالى الذى انزل فيه القران قال ابن عباس انزل الله تعالى القران من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى الكتبة فى السما الدنيا بليلة القدر فكان جبريل عليه السلام ينزل بما يومر به من ذلك نجوما الاية والايتين الى احدى وعشرين سنة **وعن** السدى انه قال كان ابن عباس رضى الله عنهما يجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وقوله سبحانه انا انزلناه فى ليلة مباركة **وعن** ابى قلابة انه قال انزلت التورية فى اثنتى عشرة خلت من رمضان والانجيل فى ثمانى عشرة من رمضان والقران فى اربع وعشرين **وقال** مقاتل كان ينزل من القران فى كل شهر من شهور رمضان الى السما الدنيا ما كان ينزل فى تلك السنة فينزل الى السفرة من اللوح المحفوظ فى عشرين شهرا ونزل به جبريل عليه السلام فى عشرين سنة **وقال** بعضهم كان ابتدا انزال القران على النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان فاضيف انزال الكل الى الوقت الذى وقع ابتدا انزاله فيه **فان قيل** على التاويل الاول كيف يصح ان يكون القران قد انزل كله على السفرة فى ليلة القدر وفيه اخبار عن امور لم تكن وقعت مثل قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ويسالونك عن الانفال ونحو ذلك **قيل له** يجوز انه كان اصله لنه اذا كان كذا ثم حذفت الصلة عند الانزال كما فى قوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة **وذهب** بعض المفسرين الى ان قوله تعالى شهر رمضان راجع الى اياما معدودات كانه تعالى قال اياما معدودات هى شهر رمضان ويجوز ان يكون معناه كتب عليكم شهر رمضان

عطف على مضمر قبله تقديره لعل الله ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة صح

نا والفرقان

معناه اذا كان يوم القيمه نادى اصحاب النار اصحاب الجنة صح

اي صومه ومن نصب الشهر جعله بدلا من قوله اياما معدودات ويجوز ان يكون نصبا على الاغرا والشهر
ماخوذ من الشهرة والبياض ومنه شهر السيف اذا سله وشهر الهلال اذا طلع واشتقاق رمضان من
الرمض وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ومن ذلك الرمضا وهي الارض الحارة ويقال رمض يومنا
اذا اشتد حره كانه اتفق تسمية هذا الشهر بهذا الاسم في وقت كان هذا الشهر في زمان الحر كما قيل شهر
ربيع الاول وشهر ربيع الاخر لانه اتفق تسميته بهذا الاسم في وقت الربيع ورمضان على وزن فعلان لا
ينصرف عند التعريف مثل حبان ماخوذ من الحب واما القران فصدر مثل الرجحان والنقصان ومن قرا
قرانا بغير الهمز فهو من الاقتران اى قرن بعضه الى بعض لحسن التاليف يقال ليس لشعر فلان قران
اى تاليف حسن والفرقان مصدر من فرق يفرق اذا فصل بين الشيين ومن قرا ولتكملوا العدة
بالتشديد فهو من كمل يكمل والاكمال والتكميل بمعنى واحد الا ان التكميل ابلغ فان قيل ما فايدة
تكرار قوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر قلنا كان في الصوم الاول تخيير
بين الصوم والفدية فلما نسخ الله تعالى ذلك التخيير من بعد والزم الصوم حتما كان من الجايز ان يظن
ان حكم الصوم لما انتقل من تخيير الى تضييق ان التضييق حكم يعم الكل فبين الله تعالى ان حال
المريض والمسافر ثابت في رخصة الافطار ووجوب القضا لحالهما والا فهذا فايدة اعادة هذا اللفظ
والله تعالى اعلم وظاهر قوله تعالى ومن كان مريضا يقتضي جواز الافطار لمن لحقه اسم المرض سوا
كان الصوم يضره او لا يضره الا ان اهل العلم قد اتفقوا كلهم على ان المريض الذي لا يضره الصوم غير مرخص
له في الافطار قال ابو حنيفة وصاحباه رحمة الله عليهم جميعا اذا خاف ان صام ان يزداد مرضه
افطر وقال مالك اذا اجهده الصوم وقال الشافعي اذا ازداد مرضه زيادة بينة افطر وان كانت
زيادة محتملة لم يفطر والسفر مشتق من السفر الذي هو الكشف من قولهم سفرت المراة عن
وجهها اذا كشفت واسفر الصبح اذا اضا وسفرت الريح السحاب اذا كشفته والمسفرة المكنسة
لانها تسفر عن الارض بكنسها التراب قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اى مضيئة مشرقة ويسمى
الخروج الى الموضع البعيد سفرا لانه يكشف عن اخلاق المسافر واحواله وليس للسفر حد
معلوم في اللغة واختلف فيه اهل العلم قال اصحابنا اقله مسيرة ثلاثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي
الاقدام وقال اخرون مسيرة يومين وقال بعضهم مسيرة يوم فلما اختلفوا واختلفت الرواية عن
النبي صلى الله عليه وسلم في سفر المراة بغير محرم كان الاخذ في اباحة الفطر وقصر الصلوة بالثلث
المتفق عليها اولى وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يمسح المقيم يوما وليلة
والمسافر ثلاثة ايام ولياليهن ومعلوم ان هذا بيان حكم جميع المسافرين والله اعلم قوله
عز وجل وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا
لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ وجه اتصال هذا الفصل بما قبله هو انه لما امروا بالتكبير
والتعظيم والدعا وبين لهم وجوب الانقطاع الى الله تعالى في الطلب والمسالة قال ابن عباس وقد
كان نزل قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم فقال بعضهم اين ربنا اقريب فنناجيه ام بعيد
فنناديه فانزل الله تعالى هذه الايه وقال مقاتل وذلك ان عمر واقع امراته في ليلة من ليالي شهر
رمضان بعد صلوة العشا في الصوم الاول حين كان لا يحل الاكل والشرب والجماع بعد صلوة العشا
ولا بعد النوم قبل الصلوة فجا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول اعتذر اليك
يا رسول الله من نفسي هذه الخاطية وذكر له القصة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن جديرا
بذلك يا عمر فنزلت هذه الايه اي اذا سالك عبادي صايموا شهر رمضان عن اجابتي وعفوي فيما
جنوا على انفسهم فاني قريب بالاجابه وعن قتادة انه قال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي

وقت ندعوا حتى يستجاب دعاونا فنزلت الايه وقال الكلبي قالت اليهود لعنهم الله كيف يسمع | مسيرة ع
ربك دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما مسيرة خمسمايه عام وان غلظ كل سما خمسمايه عام فنزلت
هذه الاية ولا تنافي بين هذه الروايات كلها ومعنى الايه والله تعالى اعلم اذا سالك عبادي عني وعن رحمتي | والاجابة
بهم واستجابتي لدعايهم وقبولي توبتهم فاعلمهم اني قريب في الرحمة لهم والاستجابة لدعايهم اعلم بن
كلامهم ما خفي وما ظهر هذا هو معنى القرب اذ لا نجوز ان نعني بقوله تعالى قريب قرب المسافة لان
القرب والبعد لا يجوزان الا على الاجسام التي تتحرك وتسكن وتدنو وتبعد ومن يكون متمكنا على المكان
وكل من ذا حاله لا يكون الا محدثا من حيث لا يعرى عن المحدثات ولو كان الامر كما يقول المشبهة ان الله تعالى
على العرش لما صح وصفه بالقرب من كل من يناجيه ويساله ويدعوه بل كان يجب ان يكون قريبا من
بعض وبعيدا من بعض وان يكون قريبا من حملة العرش بعيدا من غيرهم فصح ان معنى قوله تعالى
قريب قرب الرحمة والاستجابة على ما فسره جل ذكره بقوله تعالى اجيب دعوة الداعي اذا دعاني واما
ما قاله الزجاج اذا قال القايل اين الله فالله تعالى قريب لا يخلو منه مكان كما قال عز وجل ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وكما قال تعالى وهو معكم اينما كنتم فمعناه احاطة علمه بهم وقدرته
عليهم لان الله تعالى كان قبل المكان وبعد ان خلق المكان لم يتغير عما كان فان قيل كيف قال
الله تعالى اجيب دعوة الداعي اذا دعاني ونحن نرى كثيرا يدعون الله تعالى فلا يجيب دعاهم قيل ما من
احد يدعو الله تعالى على ما توجبه الحكمة الا وهو يجيب دعاه وصفة الدعا على شرايط الحكمة ان يقول
اللهم افعل بي كذا وكذا ان لم يكن مفسدة في ديني وفيما يرضيك عني يجب ان يقول هذا الشرط بلسانه او ينوي
بقلبه فيجيبه الله تعالى اذا لم يكن ما سال مفسدة في الدين اذ الله تعالى يدبر امر العباد وهو تعالى اعلم
بهم منهم بانفسهم فلا يقع تدبيره في مصالحهم على طلبهم فان قيل ان الله تعالى يفعل هذا
من دون الدعا فاي شي الفايدة في الدعا قيل فيه جوابان احدهما ان الدعا عبادة تعبدنا الله تعالى بها
لما فيها من الخشوع واظهار الافتقار الى الله تعالى كما روي في الخبر اللهم اغنني بالافتقار اليك ولا تفقرني
بالاستغنا عنك والثاني انه لا يمتنع ان لا يكون وقوع ما ساله الداعي مصلحة قبل المسلة ويكون مصلحة
بعد المسلة فيكون في هذا الدعا ضرب من الفايدة وقال بعضهم قوله تعالى اجيب دعوة الداعي
اذا دعاني عام يعرض التخصيص كما حكي عن ابي سهل الانماري انه قال في هذه الاية اجيب دعوة
الداعي بعد ان لا يعجل ولا يياس ولا يدعو عن قلب ساه لاه وعن جعفر الصادق انه قال
ان للدعا اركانا واجنحة واسبابا واوقاتا فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع
واوقاته الاسحار وبين الاذان والاقامة وبعد ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب بعضهم
الى ان المراد بالدعا العبادة وبالاجابة القبول استدلالا بقوله تعالى ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون
عن عبادتي ومنهم من فرق بين الدعا والطلب فجعل الدعا للامور الاخرة والطلب لحاجات الدنيا وقد
ذم الله تعالى اقواما دعوا في مسالة العاجلة فقال تعالى ومن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له
في الاخرة من خلاق وعن السدي انه قال لا دعا الا والله تعالى يستجيب للعبد ان كان له رزق في الدنيا
عجله وان لم يكن له ذخر الى يوم القيمة واما معنى قوله تعالى فليستجيبوا لي فقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما في رواية الكلبي ان الاستجابة ان تقول بعد صلاتك لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك
ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك والايمان ان يقول امنت بالله وكفرت بالطاغوت وعدك حق
ولقاوك حق واشهد انك واحد فرد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا احد واشهد ان الساعة اتية لا ريب
فيها وانك تبعث من في القبور قال ابن عباس رضي الله عنه ما تركت هذه الكلمات بعد صلوة بعد ما نزلت هذه

الاية وقال الكلبي ماتركتها منذ اربعين سنة فعلى هذا يكون معنى الاستجابة الاجابة بالطاعة والانقيا
لله تعالى في كل ما الزمه وهذا كما يقال اقاد واستقاد واخلف واستخلف قال الشاعر
وداع دعا يا من يجيب الى الندا ٭ فلم يستجبه عند ذاك مجيب ٭ معناه فلم يجبه عند ذلك مجيب
والاجابة موافقة الطلب وقال بعضهم الاستجابة طلب الاجابة كالاستخبار طلب الخبر وقيل على هذا
التفسير ان الاستجابة ان يقول الرجل في اخر صلوته امرتنا ربنا بالدعا وقضيت على نفسك الاجابة
قلت واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي الاية ٭ ومعنى يرشدون ليكونوا على
رجا الرشد في مصالح الدنيا والاخرة يقال رشد يرشد رشدا ورشد يرشد رشدا ٭ واصل دعاني
باثبات اليا الا ان الاكثر في القراة حذف اليا اختصارا الا ان الكسرة دليل عليها وقد روي عن كعب
الاحبار انه قال قال موسى يارب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال عز من قايل يا موسى
انا جليس من ذكرني قال يارب فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها من جنابة او غايط
فقال عز من قايل يا موسى اذكرني على كل حال وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان في غزاة فرفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعا فقال صلى الله عليه وسلم انكم لا
تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون سميعا قريبا وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطي اربعا لم يحرم اربعا من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة لقوله تعالى
ادعوني استجب لكم ٭ ومن اعطي الشكر لم يحرم الزيادة لقوله تعالى لين شكرتم لازيدنكم ٭ ومن اعطي
الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا ٭ ومن اعطي التوبة لم يحرم القبول
لقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ٭ قوله عز وجل احل لكم ليلة الصيام الرفث
الى نسايكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم
وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله
فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك
ان الله تعالى لما فرض الصوم الاول من العتمة الى وقت العتمة كان يحل الطعام والشراب والرفث للرجل
ما لم يرقد او يصلي العشا الاخرة فاذا فعل احدهما حرم عليه الى مثلها من القابلة فجا رجل من الانصار
يقال له صرمة بن انس يكنى ابا قيس وقد جهده الصوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالك يا ابا قيس امسيت طليحا فقال له ظللت امس في النخل نهاري كله اجر بالجرير
حتى امسيت فاتيت اهلي فارادت ان تطعمني شيا سخنا فابطات علي فنمت فايقظوني وقد
حرم علي الطعام والشراب فامسيت اليوم وقد جهدني الصوم فقام عمر رضي الله عنه معتذرا
من مثل ذلك وقال رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشا فتاقت لي نفسي فاتيت امراتي فقال
صلى الله عليه وسلم لم تكن بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا فانزل الله تعالى
هذه الاية ومعنى الاية والله تعالى اعلم احل لكم في الليلة التي يكون في غدها الصوم الافضا
الى النسا بما يراد منهن من الجماع وغير ذلك هن سكن لكم وانتم سكن لهن علم الله انكم كنتم
تظلمون انفسكم بمعصيتكم فتجاوز عنكم ولم يعاقبكم فالان جامعوهن في ليالي الصوم واطلبوا
ما قضى الله تعالى لكم قال ابن عباس معناه من الولد وهذا على معنى ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم ٭ وروي عن ابن
عباس انه قال في رواية اخرى ابتغوا ليلة القدر التي كتب الله تعالى لكم ثوابها وعن قتادة انه
قال اطلبوا الرخصة التي كتب الله تعالى لكم فان الله تعالى يحب ان توخذ رخصه كما يحب ان توتى

عزايمه ويقال معناه ابتغوا فيما ابيح لكم وما امرتم به وقري في الشواذ واتبعوا ما كتب الله لكم
بالعين غير معجمه ولفظ الاية يحتمل هذه المعاني كلها والعبيد ماجورون على ما يقصدون من ذلك
اتباع امر الله عز وجل وقوله وكلوا واشربوا امر اباحة واطلاق من حظر كما في قوله تعالى فاذا
قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وكذلك الامر بالمباشرة في هذه
الاية امر اباحة ومعنى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر حتى يتبين
لكم النهار من الليل وقيل حتى يتبين لكم الفجر الثاني من الفجر الاول وهما فجران احدهما يبدو
اسود معترضا وهو الخيط الاسود والاخر هو الذي يبدو ساطعا يملا الافق وقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد ولكنه الاحمر المعترض
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لبلال رضي الله
عنه لا تؤذن حتى يستبين لك الفجر هكذا ومد يده عرضا فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذين
الخبرين ان الفجر الذي يحرم الطعام ويبيح الصلوة هو الفجر الثاني الذي يبدو معترضا في الافق وان
الفجر المستطيل الى وسط السما هو من الليل والعرب تسمي الفجر الاول ذنب السرحان وقد روي عن
عدي بن حاتم الطاي انه قال بعد نزول هذه الاية اخذت خيطين ابيض واسود فوضعتهما
تحت وسادتي فلما كان في قريب من الفجر جعلت انظر اليهما فلم يتبين لي الابيض من الاسود ما لم يسفر
فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فتبسم وقال صلى الله عليه وسلم ان وسادك اذا العريض طويل
وفي بعض الروايات قال صلى الله عليه وسلم انك لعريض القفا انما هو سواد الليل وبياض النهار
يجوز انما اشتبه هذا على عدي بن حاتم قبل نزول قوله تعالى من الفجر ويجوز ان استعارة الخيط
الابيض من خيط الاسود في الفجر كانت في لغة قريش فنزل القران بلغتهم ولم يكن عدي وغيره
ممن اشكل عليهم يعرفون هذه اللغة فان قيل كيف شبه الليل بالخيط الاسود وهو مشتمل على جميع
العالم قيل ان الخيط الاسود هو السواد الذي يكون في الافق من جانب مطلع الشمس قبل ظهور
الخيط الابيض فيه وهو في ذلك الموضع مساو للخيط الابيض الذي يخرج بعده ولذلك سمي الخيط الاسود
ومعنى قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل اي اتموا الصيام بعد طلوع الفجر الثاني الى اول الليل وعطف
هذا اللفظ في الاية على اباحة الاكل والشرب والرفث دليل ان الصوم المامور به شرعا هو الامساك عن الامور
التي ذكر الله تعالى اباحتها بالليل وعن ما في معناها دون الامساك عن جميع الاشيا على العموم لتقدم ذكرها واول
الليل وقوع قرص الشمس بحيث لا يرى شي منه على الارض مع ارتفاع الموانع ومعنى ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد لا تجامعوهن وانتم لابثون في المساجد ذكر في تفسيره ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا معتكفين في المسجد وكان الرجل منهم يخرج الى اهله فيجامع فيغتسل ثم يرجع الى المسجد فنهوا ان
يجامعوا بالليل والنهار حتى يفرغوا من الاعتكاف واما قوله تعالى تلك حدود الله قال الكلبي
اي المباشرة في الاعتكاف معصية الله تعالى ويقال جميع ما ذكره الله تعالى في اول هذه الاية
الى اخرها احكام الله تعالى لانها حد الحلال من الحرام ومعنى الحدود ما منع الله تعالى من مخالفتها
وكل من منع شيا فقد حده وسمي الحديد حديدا لانه يمتنع به من الاعداء وسمي
الحاجب حدادا واحداد المراة على زوجها لانها تمتنع من الزينة والحد الذي يمنع غيره ان
يدخل فيها وقيل ان الحد هو الجامع المانع ومعنى فلا تقربوها اي لا تقربوا المباشرة في الاعتكاف ويقال
لا تقربوا احكام الله تعالى بالخلاف كما قلنا في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة كذلك يبين الله اياته
للناس اي كما بين الله تعالى لكم هذه الاحكام فكذلك يبين للناس ساير ادلته علامات دينه وشرايعه
وقيل ساير اوامره ونواهيه لكي يتقوا معاصيه فلا تتعدوا حدوده والرفث المذكور في اول هذه الاية

كلمة جامعة في اللغة لكل ما يريده الرجال من النسا وهي في هذه الاية الجماع لا خلاف بين اهل العلم فيه وقد يسمى الكلام الفاحش رفثًا قال ابن عباس الغشيان والمس والافضا والمباشرة والرفث في كتاب الله تعالى عبارة عن الجماع ولكن الله تعالى حيى كريم يكني بالحسن عن القبيح واما تسمية المراة لباسا فلان كل واحد من الزوجين يلابس صاحبه ويضاجعه فيكون كل واحد منهما كلباس للاخر وحقيقة اللباس ما يستر سمى الله عز وجل الليل لباسًا لانه يستر كل شي بظلامه وسمت العرب المراة لباسا قال النابغة ۞ اذا ما الضجيع ثنى عطفه ۞ تثنت فكانت عليه لباسا ۞ ويقال سمى كل واحد من الزوجين لباسًا لصاحبه لان كل واحد منهما ستر لصاحبه فلا يظهر لهما في اللباس فاحشة ۞ وقيل كل واحد منهما ستر لصاحبه من النار والخيانة في اللغة انتقاص الحق على جهة المساترة فيكون معنى تختانون انفسكم اى تساترون بعضكم بعضا في مواقعة المحظور من الجماع والاكل والشرب بعد الصلوة او النوم في ليالى الصوم كقوله تعالى تقتلون انفسكم يعني يقتل بعضكم بعضا ويجوز ان يكون معنى تختانون تعملون عمل الخاين لنفسه في الاضرار بها والاختيان افتعال من الخيانة قال القتيبي الخيانة هو ان يوتمن الرجل على شي فلا يودي الامانة فيه ۞ وسمى الفعل المحظور خيانة لانه خلاف الدين الذي هو امانة ۞ والمباشرة في اللغة هي الصاق البشرة بالبشرة وقد بينا انها في هذه الاية كناية عن الجماع ومعنى الاعتكاف في اللغة هو اللبث قال الله عز وجل ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون والاعتكاف اسم مجمل مثل الصوم في الامساك الا ان الشرع نقل اسم الاعتكاف الى معانٍ اخر مع اللبث لم يكن الاسم يتناولها في اللغة منها الكون في المسجد ومنها الصوم عند كثير من اهل العلم ومنها نية التقرب الى الله تعالى بذلك وترك الجماع راسًا فلا يكون معتكفا الا بوجود هذه المعاني

وقد اختلف السلف في المسجد الذي يجوز فيه الاعتكاف لكن ظاهر قوله عز وجل وانتم عاكفون في المساجد يقتضي اباحة الاعتكاف في جميع المساجد فاما ايجاب الصوم في الاعتكاف فلان اللفظ لما كان مجملا مفتقرا الى البيان ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الاعتكاف الا بالصوم كان فعله صلى الله عليه وسلم واردًا مورد البيان كفعله في الصلوة فاما المباشرة المذكورة في الاعتكاف فهي الصاق البشرة بالبشرة على وجه الشهوة ليلا ونهارا حرام في الاعتكاف الا ان الاعتكاف لا يفسد بالتقبيل بدون الانزال وقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها كانت ترجل راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف فكانت تمس بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها فدل ذلك ان المباشرة بغير الشهوة غير محظورة في الاعتكاف وقال مالك اذا قبل امراته فسد اعتكافه وقال الشافعي لا يفسد الاعتكاف من الوطى الا ما يوجب الحد وقال في موضع اخر اذا باشر فسد اعتكافه وفي هذه الاية دلالة على اباحة الاكل والشرب والوطى في ليالى الصوم الى ان تحصل له الاستبانة والتيقن بطلوع الفجر وان اكل لا يحظر عليه ذلك اذ لا يجوز وجود الاستبانة مع الشك وهذا ظاهر فيمن يتبين الفجر ويرى مطلع من حيث يطلع مشاهدة اذا لم تكن هناك علة فاما من لا يصل الى معرفة الفجر بغيم او ضعف بصر او ليلة مقمرة فان شك في الفجر فالاحوط له ان لا ياكل استبرا لدينه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وان اكل وهو شاك فصومه تام في ظاهر الرواية وروى الحسن بن زياد عن ابي حنيفة انه قال ان كان في موضع يرى مطلع الفجر وليس هناك علة فلياكل ما لم يستبن له الفجر وان كان في موضع لا يرى او كانت ليلة مقمرة فلا ياكل اذا شك في الفجر وان كان اكثر رايه انه اكل والفجر طالع فعليه القضا قال وهذا قول زفر وقول ابي يوسف رحمهما الله وهذه الرواية مفسرة ورواية الاصل مجملة والله تعالى اعلم بالصواب

قوله عز وجل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون نزلت في

امرء القيس بن عابس الكندي وعبدان بن اشوع الحضرمي اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارض ادعاها الحضرمي على صاحبه فاراد المدعى عليه ان يحلف بالكذب فقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض وانما انا بشر مثلكم اقضي بما اسمع فمن قضيت له بشي من حق اخيه فلا ياخذ منه قليلا ولا كثيرا فانما اقطع له قطعة من النار فانزل الله تعالى هذه الاية وصارت عامة في جميع الناس ومعنى الاية والله تعالى اعلم لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان اموالكم واعراضكم عليكم حرام يعني اموال بعضكم على بعض واكل المال بالباطل على وجهين احدهما اخذه على وجه الظلم بالغصب والخيانة وشهادة الزور واليمين الفاجرة والاخرى اخذه من جهات محظورة مع رضى المالك نحو القمار واجرة الغنا والملاهي والنايحة وثمن الخمر والخنزير والربا والمعاملات المحرمة واما قوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام يجوز ان يكون نهيا ثانيا على معنى ولا تظهروا حجتكم للحكام بالباطل فيحكم الحاكم في الظاهر لاحدكم مع علم المحكوم له انه غير مستحق له في الباطن ويجوز ان يكون جوابا لما قبله على معنى لا تجمعوا بين هذين الامرين كما تقدم في قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وقوله تعالى لتاكلوا فريقا من اموال الناس اى طايفة من اموال الناس بالظلم والجور وانتم تعلمون انكم مبطلون في دعواكم وان الحجة عليكم في الباطن وهذا مثل وديعة لا بينة عليها فيجحدها المودع فيحلف على ذلك فيكون القول قوله وكذلك اذا كان عند احد مال يتيم فيجحد ويحلف وكذلك لو ادعى على انسان مالا وكان قد استوفى ذلك المال منه ولم يعلم شهوده بذلك فشهدوا له بالمال فحكم له الحاكم بذلك والادلا بالحجة ماخوذ من ادلا الدلو وهو ارسالك اياها في البير تقول ادليت دلوى ادليها ادلاء اذا ارسلتها لتملاها واذا استخرجتها قلت دلوتها ادلوها دلوا ووجه شبه الخصومة بارسال الدلو في البير ان المرسل للدلو ربما امتلا دلوه وربما لم يقع في دلوه شي كذلك المخاصم ربما يظفر بطلبته وربما خابت طلبته ويجوز ان يكون معنى الادلا هاهنا ان المخاصم يكون متعلقا بالخصومة والحكم ليتوصل الى الباطل كما يتعلق من ادلى دلوه بالحبل ليتوصل الى الماء

الزور

وقد روي عن سعيد بن المسيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شاهد زور لا يرفع قدميه عن مكانهما حتى تجب له النار وفي بعض الروايات لا يرفع قدما عن قدم حتى يلعنه الله تعالى من فوق عرشه وعن ام سلمة انها قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجلان يختصمان في مواريث واشيا قد درست فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما اقضي بينكما برايي فيما لم ينزل علي فيه فمن قضيت له بحجة اتى بها فاقتطع بها قطعة ظلما فانما يقتطع قطعة من النار ياتي بها في عنقه يوم القيمة فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقي لصاحبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن اذهبا فتوخيا واستهما وليحلل كل واحد منكما صاحبه ففي هذه الاية والاخبار دليل ان حكم الحاكم لرجل بالمال لا يبيح له اخذ المال الذي لا يستحقه وفيها دليل ان الحاكم مكلف بالظاهر لا بالمغيب وفيها دليل ان كل مجتهد فيما يسوغ فيه الاجتهاد مصيب ولا خلاف بين الامة ان حكم الحاكم بالاملاك المرسلة لا يوثر في اباحتها اذا علم المحكوم له انه مبطل وانما اختلف اهل العلم في حكمه بالعقود والفسوخ وهل ينفذ ظاهرا وباطنا مع علم المحكوم له ان شهوده شهود زور او لا ينفذ قال الامام ابو حنيفة ينفذ للاثر الوارد عن علي كرم الله وجهه انه قال شاهداك زوجاك ۞ ومن المفسرين من حمل قوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام على معنى لا تعطوهما اياها على وجه الرشوة ليحكموا لكم بما لا يحل ويقال لا يعطي الاوصيا بقية ما في ايديهم من اموال الايتام الحكام لكي يتخلصوا ويبرؤا مما فعلوا في اموالهم

دليل

قوله عز وجل يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون قال ابن عباس نزل أول هذه الآية في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة وهما من الأنصار سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حالة واحدة فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى والله أعلم يسألونك عن وجه الحكمة في معنى الأهلة قل هي بيان لمواقيت التي يحتاج الناس إليها في صومهم وفطرهم وعدة نسائهم وآجال ديونهم والشروط التي بينهم إلى أجل معلوم وقوله تعالى والحج أي هي بيان وقت حجهم ولو جعل الله تعالى القمر مدورا على هيئة الشمس لم تعرف الشهور والسنة وكان يشق حفظ عدد الأيام وكان إذا أغفل الإنسان عن الحساب لم يعرف المواقيت وأما قوله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها قال ابن عباس وذلك أن في الجاهلية وأول الإسلام كانوا إذا أحرم الإنسان منهم فإن كان من أهل المدر يعني من أهل البيوت نقب نقبا في ظهر بيته يتخذ سلما إليه منه يدخل ومنه يخرج ولا يدخل من باب بيته وإن كان من أهل الوبر أي من أهل الخيام والفساطيط خرج ودخل من خلف الخيمة والفسطاط وكان لا يدخل من الباب ولا يخرج منه وربما كانوا لا يستظلون بشيء ولا يدخلون البيت كي لا يحول بينهم وبين السماء شيء إلا أن يكون الرجل من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة فهم شددوا على أنفسهم فسموا الحمس للتشديد من الحماسة وهي الشدة في كل شيء كانوا في أيام حجهم لا يأقطون الأقط ولا يسلؤون السمن ولا ينتفون الوبر والشعر ويدخلون من الباب أحل لهم ما حرم على غيرهم وحرم عليهم ما أحل لغيرهم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من باب بستان قد خرب وهو محرم فاتبعه قطبة بن عامر من غير الحمس فدخل معه من الباب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دخلت من الباب وأنت محرم من غير الحمس قال إنك قد دخلت وأنت محرم قال أنا من الحمس قال إن كنت أحمسيا فأنا أحمسي رضيت بهديك وسنتك ودينك فنزل قوله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها أي ليس البر بأن تأتوا البيوت من خلفها إذا أحرمتم ولكن البر من اتقى ويقال ولكن ذا البر من اتقى الشرك والمعاصي ومخالفة أمر الله تعالى لا من ابتدع شيئا لم يأمر الله به وأتوا البيوت من أبوابها محرمين ومحلين واخشوا الله وأطيعوه في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه لكي تنجوا من العقوبة وتفوزوا بالبقاء في الجنة وقال الحسن رضي الله عنه كان من عادة العرب إذا خرج الرجل لحاجته في السفر فلم تتيسر له تلك الحاجة كان يتطير أن يدخل من باب البيت فكان ينقب نقبا من وراء البيت ويدخل من ذلك النقب فأنزل الله تعالى هذه الآية ويقال هذا مثل ضربه الله تعالى لهم بأن يأتوا البر من وجهه وهو الوجه الذي أمر الله عز وجل به وفيه بيان أن ما لم يشرعه الله قربة ولا ندب إليه لا يصير قربة ولا دينا بأن يتقرب به متقرب ويعتقده دينا ونظيره من السنة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صوم الصمت وعن صوم الوصال والصمت أن يصمت يوما لا يتكلم فيه والوصال أن يواصل يومين أو ثلاثة لا يفطر بينهما بليل ولا نهار فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتقد ترك الأكل بالليل الذي لا صوم فيه قربة وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما شأنه قالوا إنه نذر أن يقوم في الشمس فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحول إلى الظل وكان أبو عبيدة يقول في هذه الآية ليس البر أن تطلبوا المعروف من غير أهله ولكن اطلبوه من أهله فأما الشيعة فتأولوا الآية على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا مدينة العلم

وعلي

وعلي بابها وقد اختلف أهل اللغة في الوقت الذي يسمى هلالا قال بعضهم يسمى هلالا من أول الشهر إلى ثلاثة أيام ثم يقال له القمر إلى آخر الشهر وقال الزجاج إن الأكثر يسمونه هلالا لليلتين وقال الأصمعي يسمى هلالا حتى يغلب ضوءه سواد الليل وهذا لا يكون إلا في السابعة وفي الآية دلالة على جواز الإحرام بالحج في جميع السنة ودلالة بأن المدة تكفي لحقوق جميع الناس فيما يكون متعلقا بالمدة من العدة وغير ذلك لأن الله تعالى جعل جميع الأهلة وقتا لجميع الناس والحج والله تعالى أعلم

قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين قال ابن عباس رضي الله عنه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه رضي الله عنهم في العام الذي أراد فيه العمرة حتى نزل بالحديبية قريبا من مكة والحديبية اسم البئر فسمي ذلك الموضع باسم تلك البئر فصده المشركون عن البيت فأقام بالحديبية شهرا ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه ذلك كما جاء على أن تخلى له مكة من العام المقبل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت وينحر الهدي ويفعل ما شاء وصالحوه على أن لا يكون بينهم قتال إلى عشر سنين فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فلما كان العام المقبل تجهز لعمرة القضاء وكانوا يخافون أن لا تفي قريش بذلك وكانوا يكرهون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناها والله أعلم قاتلوا في طاعة الله تعالى الذين يبدؤونكم بالقتال ولا تجاوزوا الحد بنقض العهد بالبداية بقتالهم إن الله تعالى لا يرضى عمل المتجاوزين عن الحدود قيل إن هذه أول آية نزلت في القتال فإن القتال كان محظورا قبل الهجرة كما قال الله تعالى ادفع بالتي هي أحسن وقال عز من قائل وجادلهم بالتي هي أحسن وقال جل ذكره فاعف عنهم وقال تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم أمر الله تعالى المسلمين بالقتال بعد الهجرة لمن قاتلهم من المشركين ثم نزلت آية أخرى في الإذن بالقتال عامة لمن قاتلهم ولمن لم يقاتلهم وهي قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير وعن عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه أن المراد بالذين يقاتلونكم في هذه الآية الذين هم من أهل القتال دون النساء والولدان الذين لا يقاتلون فهذه الآية على قوله محكمة غير منسوخة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى يوم فتح مكة امرأة مقتولة فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه ما أراها قاتلت ثم قال صلى الله عليه وسلم لواحد من صحابه الحق خالدا وقل له لا تقتل وليدا ولا امرأة وفي بعض الروايات لا تقتل ذرية ولا عسيفا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن قتل النساء والولدان ومعنى لا تعتدوا على هذا التأويل لا تجاوزوا إلى قتل من لا تؤمرون بقتله والله تعالى أعلم

قوله عز وجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين تأويل هذه الآية على ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في الآية المتقدمة واقتلوا الذين يبدؤونكم من أهل القتال من أهل مكة حيث وجدتموهم وأخرجوهم من مكة كما أخرجوكم والشرك الذي هم فيه أعظم ذنبا عند الله تعالى من القتال في الحرم والشهر الحرام ومعنى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام على هذا التأويل أنهم إذا بدأوكم بالقتال في غير الحرم ثم لجؤوا إلى الحرم فكفوا عن قتالهم ولا تقاتلوهم في الحرم حتى يقاتلوكم فيه فإن بدؤوكم بالقتال في الحرم فاقتلوهم هكذا جزاء الكافرين يعني القتل في الحرم إذا قاتلوا وإنما سمي الكفر فتنة في هذه الآية لأن الكفر يؤدي إلى الهلاك كما أن الفتنة تؤدي إلى الهلاك ويقال أصل الفتنة الاختبار والكفر فساد يظهر عند الاختبار ومن قرأ فإن قتلوكم بغير ألف فمعناه فإن قتلوا منكم تقول العرب قتلنا أي قتل بعضنا والثقف في اللغة الإصابة يقال ثقفت فلانا أثقفه ثقفا وثقافة إذا أخذته ويقال رجل ثقف لقف إذا كان ضابطا

للامور حازما **وقد ذهب** بعض المفسرين الى ان هذه الاية ناسخة للاية التي قبلها لان في هذه الاية امرا بقتال المشركين كلهم حيث وجدهم المسلمون سوا قاتلوا او لم يقاتلوا وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ضرب من التخصيص للعموم المذكور في اول هذه الايه فكان الله تعالى امر بقتل المشركين في كل موضع الا في حضرة المسجد الحرام فانه امر ان لا يبدوهم عنده بالقتال **قوله عز وجل** فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول فان انتهوا عن الشرك والقتال فان الله غفور لما مضى من جاهليتهم رحيم بهم بعد توبتهم واسلامهم وهذا كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف **قوله عز وجل** وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الايه ناسخه لقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لان الله تعالى امر بقتال المشركين في هذه الايه حتى لا يبقى الشرك بالله تعالى وقال بعضهم حرمة القتال في الحرم ثابته لم تنسخ ولا يحل القتال فيه الا مع من قاتل وقد ذهب اصحابنا رحمهم الله الى ان هذا الحكم ثابت غير منسوخ لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم فتح مكه ان مكة حرام بحرام الله تعالى حرمها الله عز وجل يوم خلق السموات والارض وانما احلت لي ساعة من النهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة **وروي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خطب يومئذ حين قتل رجل من خزاعة رجلا من هذيل فقال ان اعتى الناس على الله تعالى ثلاثه رجل قتل غير قاتله ورجل قتل في الحرم ورجل قتل بذحل الجاهلية فعلى هذا يكون تاويل هذه الاية والله تعالى اعلم وقاتلوا اهل مكة الذين يقاتلونكم حتى لا يكون شرك بالله تعالى ويكون الدين كله لله عز وجل فان انتهوا عن قتالكم فلا سبيل ولا حجة في القتل في الحرم والشهر الحرام الا على الذين يبدون بالقتال وينقضون العهد ومن الدليل على ان هذه الاية غير ناسخة لما قبلها انها مع ما قبلها مذكوره في خطاب واحد على ما يقتضيه نسق التلاوة ونظام التنزيل ولا يصح النسخ الا بعد التمكين من الفعل ولا يجوز اثبات النسخ الا بالنقل الصحيح واثبات التاريخ **قال** عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخلا له اهل مكة البيت الحرام ثلثة ايام فدخله النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فطافوا بالبيت ونحروا الهدي عند المنحر واقاموا بمكة ثلثه ايام حتى قضوا حاجتهم من البيت ثم انصرفوا فانزل الله تعالى **قوله عز وجل** الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ معنى الاية والله اعلم الشهر الحرام الذي دخلت فيه مكة بالشهر الحرام الذي صدوك فيه في العام الاول ومعنى والحرمات قصاص اي اقتصصت لكم منهم في الشهر الحرام في ذي القعده كما صدوكم في الشهر الحرام في ذي القعدة مراغمة على دخول المسجد ويقال معنى الاية قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام وامر هذه الحرمات قصاص اي لا يجوز للمسلمين الا قصاصا واراد بالحرمات حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام لمن اعتدى عليكم بالقتال في الحرم فكافئوه بمثل ما فعل واخشوا الله تعالى في كل ما امرتم به ونهيتم عنه واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والمعونة ٥ واصل العدوان والاعتدا في اللغة الظلم ومجاوزة الحد الا انه تسمى المجازاة على الظلم عدوانا واعتدا لان صورة الفعلين واحد وان كان احدهما طاعة والاخر معصية يقول العرب ظلمني فلان فظلمته وجهل علي فجهلت عليه وعلى هذا قول الله عز وجل ومكروا ومكر الله وقوله عز وجل فيسخرون منهم سخر الله منهم ٥ واسم المثل قد يقع على ما يكون من جنسه وعلى ما لا يكون من جنسه فكل ما كان من المكيل والموزون والمعدود اذا استهلكه واحد على صاحبه كان عليه مثله من جنسه وما كان غير ذلك من اصناف الاموال فمثله قيمته وما يكون جزاله من طريق الحكم لان من اعتدى على غيره بقذف لم يكن المثل المستحق عليه ان يقذف مثل ما قذفه

بل يكون المثل جلد ثمانين وكذلك لو شتم رجلا بما دون القذف كان عليه التعزير وكان ذلك مثلا لما قاله والله تعالى اعلم **قوله عز وجل** وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ المعنى وذلك ان الله تعالى ذكر فرض الجهاد في الاية المتقدمة ثم قرن الى ذلك الانفاق في سبيل الله تعالى في هذه الايه ومعناها والله تعالى اعلم تصدقوا يا اهل الميسرة في طاعة الله تعالى ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكه وحذف ذكر النفس لان في الباء دليلا عليه ويجوز الحذف اذا كان في المذكور دليل على المحذوف وقد اختلفوا في معنى الالقا باليد الى التهلكة **قال** ابن عباس في هذه الايه لا تمسكوا بايديكم عن الصدقه في الجهاد فتهلكوا وقال بعضهم معناه لا تمسكوا بايديكم عن الصدقة فتهلكوا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس بالجهاز الى مكة للحج ونادى مناديه بالاستعداد في الحج فقام اليه ناس من اعراب حاضري المدينه فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذا نتجهز فوالله ما لنا زاد ولا مال نتجهز به ولا يطعمنا احد فانزل الله تعالى هذه الاية فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على الصدقة ورغبهم فيها فقال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذا نتصدق فقال تصدقوا ولو بشق تمرة فقالت امراة من النسا ما لي شق تمرة قال تصدقوا ولو بظلف شاة **وعن** ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله دينه قلنا فيما بيننا ان اموالنا ضاعت فلو اقمنا فيها فاصلحناها فامر الله تعالى بالجهاد فاخبر ابو ايوب ان الالقا بالايدي الى التهلكه هو ترك الجهاد في سبيل الله تعالى **وعن** عبيدة السلماني انه قال هو الرجل يذنب الذنب فيلقي بيده ولا يعمل بقنط من رحمة الله تعالى فيهلك **وقال** بعضهم هو الاسراف في الانفاق حتى لا يبقى له ما ياكل فيتلف **وعن** البرا بن عازب رضي الله عنه انه قال هو الرجل يخرج من الصف فيستقتل من غير قصد نكاية العدو **واما** قوله تعالى واحسنوا فمعناه احسنوا في النفقة فانكم اذا فعلتم ذلك كنتم محسنين ٥ والافضال على المحتاج ويقال احسنوا بالانفاق في سبيل الله تعالى والاحسان هو فعل الحسن في المعقول الا انه اذا اطلق انصرف الى النفع الحسن وهو نقيض الاساة **وقد ذكر** محمد بن الحسن رحمه الله في السير الكبير ان رجلا لو حمل على الف رجل وهو وحده لم يكن بذلك باس اذا كان يطمع في نجاة او كان يطمع في نكايه وان كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه يرهب بذلك العدو ويجرى بذلك المسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا باس بذلك لان هذا افضل النكاية وفيه نفاعة للمسلمين وانما يكره اذا كان لا منفعة فيه بوجه من الوجوه **وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم** انه قال افضل الشهدا حمزة بن عبد المطلب ورجل تكلم بكلمة حق عند سلطان جاير فقتله **وروي عن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شر ما في رجل شح هالع وجبن خالع فذم الجبن وذلك يوجب مدح الاقدام والشجاعة فيما يعود الى الدين وان ايقن فيه بالتلف والله تعالى اعلم **قوله عز وجل** وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ روي عن علي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا اتمام الحج والعمرة ان تحرم بهما من دويرة اهلك **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تمام العمرة الى البيت وتمام الحج الى اخر الحج كله ٥ وقيل اتمامهما ان تكون النفقه حلالا وينتهي عن جميع ما نهى الله تعالى عنه ويأتي بجميع ما شرع الله فيهما من المشاعر والمواقف **وقال** مقاتل رحمه الله اتموا الحج والعمرة لله من المواقيت **ويقال** ان اتمامهما اقامتهما على التمام وهذا تاويل من يذهب الى ان العمرة واجبة

ذلك حج

قال الحسن ومجاهد هذا امر باتمامهما بعد الشروع فيهما والاظهر من لفظ الاتمام والله اعلم انه انما يطلق
بعد الدخول فيه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل **واما** قوله تعالى فان احصرتم اى منعتم من
البيت بعد ما احرمتم بحج او عمرة فاردتم الاحلال فعليكم ما استيسر من الهدى قال ابن عباس رضى الله عنهما
اعلاه بدنه واوسطه بقرة وادناه شاة يبعث المحصر بها الى مكة ويواعدهم اليوم الذى يذبحون عنه فاذا ذبح
عنه حل ورجع الى اهله ثم يقضى ما كان احرم به بعد ذلك ومعنى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ اى لا تحلوا احدكم
راسه ولا تحلوا من الاحرام حتى يبلغ الهدى الحرم اى حتى يعلم ان هديه قد ذبح عنه في الحرم ومعنى فمن
كان منكم مريضا اى من كان مريضا من المحرمين محصرين او غير محصرين فلم يستطع الاقامة على شىء من
الاحرام فعجل وفعل شيا مما يفعل الحلال قبل ان يذبح عنه الهدى او كان فى راسه قمل يوذيه لا يستطيع
ان يصبر عليه فحلق راسه فعليه فدا اما صوم ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع
من بر او صاع من تمر او صاع من شعير او شاة يذبحها في الحرم روي عن كعب بن عجرة انه قال نزلت
هذه الاية فيّ مرّ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال صلى الله عليه
وسلم اتوذيك هوام راسك قلت نعم قال احلق راسك واطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة
او صم ثلثة ايام او انسك بنسيكة ومعنى فاذا امنتم اى اذا امنتم الموانع من المرض والعدو وكل
مانع ويقال في الاية اضمار واختصار تقديرها فاذا امنتم من العدو و برأتم من المرض فاقضوا ما
كنتم احرمتم به قبل الاحصار من حج او عمرة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي من بدا بالعمرة في اشهر
الحج واقام بمكة في عامه فحج من غير ان يرجع الى اهله فعليه ما تيسر من الهدى فمن لم يجد الهدى
ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج يصومها قبل يوم النحر متتابعا او متفرقا وصيام سبعة ايام اذا
رجعتم الى اهاليكم ويقال اذا رجعتم من منى ويقال اذا رجعتم الى ما كنتم عليه اى فرغتم من الحج تلك
عشرة كاملة للهدي وقيل كاملة للثواب ذلك التمتع والهدي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام
يعنى بمكة واتقوا الله في جميع ما امرتم به ونهيتم عنه واعلموا ان الله شديد العقاب اذا عاقب
فلا تستحلوا مخالفة شىء مما امرتم به ونهيتم عنه **وقد اختلف السلف** في وجوب العمرة
روي عن عبد الله بن مسعود والشعبي وابرهيم النخعي انها تطوع وبه قال اصحابنا ومالك
رحمهم الله وروي عن عايشه وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ومجاهد انها واجبة
وبه قال الشافعي رحمه الله ولا دلالة في هذه الاية على الوجوب لان لفظ الاتمام يقتضي نفي النقصان
عنها اذا فعلت لان ضد التمام هو النقصان ومثل هذا اللفظ يستعمل في الواجبات والنوافل
وقرئ والعمرةُ لله بالرفع على معنى الابتدا قال الزجاج ومن نصب العمرة احتمل ان يكون للابتدا
لكن نصبها اتباعا للحج **واما** قوله تعالى لله فلان اهل الجاهلية كانوا يشركون في احرامهم كانوا
يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فامر
الله تعالى باخلاص القول والعمل لله تعالى واما لفظ الاحصار فقد ذكر الكسائي وابو عبيدة واكثر
اهل اللغة ان الاحصار هو ان يكون بمرض او عذر والحصر ان يكون بحبس عدو يقال احصره
المرض او العذر فهو محصر وحصره العدو فهو محصور وهذا على مذهبنا مستمر وقال الفرا
لا فرق بين الحصر والاحصار وهما يشتركان في المعنى وهذا قريب من مذهب الشافعي رحمه الله فان عنده
المريض لا يكون محصرا ولا يكون الاحصار الا بالعدو فاما المريض فلا يتحلل بالهدي وان لم يقدر
على الذهاب وانكر ابو العباس المبرد والزجاج على الفرا وقالا ان الاحصار والحصر مختلفان
في المعنى الا ترى انك تقول حبست الرجل اذا جعلته في الحبس واحبسته اذا عرضته للحبس وقبرته
اذا دفنته في القبر واقبرته اذا عرضته للدفن في القبر وقتلته اذا باشرت قتله واقتلته اذا عرضته للقتل

والهدي

والهدي في اللغة اسم لما يهدى الى البيت وهو جمع هدية كما يقال جدية وجدي ويقرا من
الهدي بالتشديد وهو جمع هدية وعن عايشة وعبد الله بن عمر انهما قالا في هذه الاية ان الهدي
انما يكون بدنة او بقرة وفايدة قوله تعالى فما استيسر على هذا القول التخيير بين اعيان الابل والبقر
وقد اتفق الفقها في تفسير قوله تعالى هديا بالغ الكعبة ان الشاة هدي في جزاء الصيد واتفقوا
ان ما عدا الاصناف الثلاثة من الابل والبقر والغنم ليس من الهدي ولا يجوز من كل شىء الا الثني فصاعدا
الا الجذع من الضان اذا افرط لها سنة اشهر على ما ورد به الخبر في الاضحية والثني البالغ من كل شىء
وهو عند الفقها في الغنم ابن سنة وفي البقر ابن سنتين وفي الابل ابن خمس سنين واختلفوا في المحل
المذكور في قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعطا وطاوس
ومجاهد رضي الله عنهم محله منحره وهو الحرم وقال مالك والشافعي رحمهما الله محله الموضع
الذي احصر فيه فيكون معنى حتى يبلغ الهدي محله اى منحر الهدي فيحل اكله والمحل يذكر ويراد به الوقت
مثل محل الدين وهو وقته الذي يجب المطالبة به ويذكر ويراد به المكان كما قال الله تعالى ثم محلها الى البيت
العتيق وظاهر الاية يقتضي ان يبلغ الهدي بعد الاحصار مبلغا لم يكن بالغا قبل ذلك ولو كان موضع
الاحصار محلا للهدي لكان بالغا محله بوقوع الاحصار وادى ذلك الى بطلان الغاية المذكورة في الاية
فاما قوله تعالى في شان الحديبية والهدي معكوفا ان يبلغ محله فهو حجة في ان المحل هو الحرم وليس
في تلك الاية بيان موضع النحر انه كان في الحل او في الحرم فيحتمل ان الهدي كان ممنوعا عن الحرم
ثم لما وقع الصلح اطلقوا الهدي حتى ذبح في الحرم وقد روي عن ناجية بن جندب انه قال قلت
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث معي الهدي حتى اخذ به في الشعاب والاودية فاذبحها بمكة
فنعم **وذهب ابو يوسف ومحمد والثوري** الى ان هدي المحصر عن
الحج موقت بيوم النحر وليس في هذه الاية دليل ان المراد بالمحل الزمان لان قوله تعالى فان احصرتم
عايد الى الحج والعمرة المذكورين في اول هذه الاية ولا خلاف ان هدي الاحصار في العمرة غير
موقت بيوم النحر وفي ظاهر قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله دليل ان المحصر اذا لم يجد الهدي
لا يحل حتى يجد الهدي فيذبح عنه وقال عطا يصوم عشرة ايام ويحل كالمتمتع اذا لم يجد وحكم
المرض في الاحرام على ثلاثة اوجه اما ان يكون كسرا او عرجا كما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فهذا يكون حكمه حكم المحصرين اذا عجز
عن المضي الى مكة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر فقد حل اى جاز له ان يحل بان يبعث
الهدي حتى يذبح عنه وهذا كما يقال اذا انقضت عدة المراة حلت للازواج اى حل لها ان تتزوج
واما ان يكون مرضا يحتاج فيه الى فعل شىء مما يحظره الاحرام من حلق او لبس او تغطية او نحو
ذلك فيفعله لدفع الاذى فيكون حكمه ما ذكر الله تعالى بقوله سبحانه ففدية من صيام او صدقة
او نسك واما ان يكون لا يحتاج فيه الى استعمال شىء مما يحظره الاحرام فيكون حكمه حكم الاصحا
وانما سمي الجمع بين فعل العمرة اولا وفعل الحج ثانيا في اشهر الحج في سفر واحد من غير ان يلم باهله
حلالا فيما بينهما تمتعا لما فيه من الارتفاق باسقاط احد السفرين عن نفسه ويقال لما في ذلك
من الانتفاع باستحقاق ثواب الحج والعمرة بجمعهما في اشهر الحج على هذا الوجه واما اذا احرم
بالعمرة في شهر رمضان وطاف لها شوطا او شوطين ثم اتى باكثر افعال العمرة في اشهر الحج
وحج من عامه ذلك في ذلك السفر كان متمتعا ايضا عندنا وفي هذا خلاف بين اهل العلم رحمهم الله
وسبب التمتع ما روي في الخبر ان الكفار كانوا يرون العمرة في اشهر الحج من افجر الفجور ويجعلون
المحرم صفر ويقولون اذا برا الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر فلما قدم النبي

صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم مكة صبيحة اليوم الرابع من ذي الحجة مهلين بالحج امر نبي الله
صلى الله عليه وسلم من لم يسق الهدي من اصحابه ان يحل ويجعلها عمرة فتعاظم ذلك عندهم وقالوا
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الحل قال الحل كله وقال لو استقبلت من امري ما استدبرت لما سقت
الهدي ولحللت معكم فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسخ الحج لنا خاصة ام لمن بعدنا فقال بل لنا
خاصة ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حلوا من اصحابه فاحرموا بالحج يوم التروية حين
ارادوا الخروج الى منى وعلى هذا قالوا انما سمي التمتع تمتعا لما فيه من التمتع بالنسا بين الحج والعمرة
اذا لم يكن ساق الهدي **واما صورة القران** فهي ان يحرم بالحج والعمرة معا في
عام واحد او يحرم بالحج قبل ان ياتي باكثر افعال العمرة وحكم القران حكم التمتع في الهدي
وبدله وهدي المتعة والقران تختص عندنا بيوم النحر كما قال الله تعالى فكلوا منها واطعموا البائس
الفقير ثم ليقضوا تفثهم فرتب قضا التفث على ذبح الهدايا ولا يكون قضا التفث قبل يوم النحر بلا خلاف
ان قضا التفث لا يترتب على هدي المفرد بالحج ولهذا قال اصحابنا ان هدي المتعة والقران دم نسك يجوز الاكل منه
كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قارنا وكان ساق معه مائة بدنة فنحر ثلثا وستين بيده واعطى
عليا كرم الله وجهه ما غبر واشركه في هديه وامر ان ياخذ من كل بدنة بضعة ففعل فاكلا من اللحم وشربا
من المرق **واما ما روي** ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مفردا بالحج عام حجة الوداع فيحتمل اختلاف الروايات
في هذا الباب لان الناس كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم ارسالا فسمعه بعضهم يقول حين احرم
لبيك بحجة وعمرة معا ثم لما اخذ في عمل العمرة سمعه قوم يلبي بالعمرة ثم لما شرع في عمل الحج سمعه قوم
يلبي بالحج الا ترى الى ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني
الليلة ات من ربي وانا بالعقيق فقال صل في هذا الوادي المبارك ركعتين وقل لبيك بحجة وعمرة
معا ولهذا قال اصحابنا في الرواية المشهورة عنهم ان افضل الحج القران ثم التمتع ثم الافراد والله تعالى اعلم **واما**
والافضل في صوم المتعة ان يصوم قبل يوم التروية بيوم ليكون اخر ثلثته يوم عرفه
قوله فصيام ثلثة ايام في الحج ذهب بعض اهل العلم الى ان صوم المتعة لمن لم يجد الهدي لا يجوز
الا بعد احرامه بالحج **واما** اصحابنا رحمهم الله فقالوا لا يجوز ان يكون قوله تعالى في الحج بمعنى
في فعل الحج لان فعل الحج الذي لا يصح الا به انما هو الوقوف يوم عرفه بعد الزوال ويستحيل صوم
الايام الثلثة فيه فكان المراد به في احرام الحج او في اشهر الحج وظاهره يقتضي جواز فعله بوجوده
في ايهما كان واذا صام المتعة بعد احرامه بالعمرة في اشهر الحج فقد صام بعد وجود سبب المتعة
فوجب ان يجزيه وهذا كما قال الله تعالى ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ثم لم يمتنع
جواز تقديم الكفارة على القتل لوجود الجراحة التي هي سبب القتل واما اذا لم يصم الثلثة قبل يوم النحر
فقد اختلف اهل العلم في ذلك فقال عمر وعبد الله بن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم لا
يجزيه الا الهدي ولا يحل الا به وهو قول اصحابنا رحمهم الله **وقال** ابن عمر وعايشة رضي الله عنهم
يصوم ايام منى وهو قول مالك رحمه الله **وقال** علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يصوم بعد ايام
التشريق وهو قول الشافعي رحمه الله **والفايدة** في قوله تعالى عشرة كاملة انه كان يجوز ان
يتوهم ان البدل لا يلحق المبدل في الثواب فبين الله تعالى انه في الكمال بمنزلة المبدل لو فعله
ويقال ان الواو قد جات في القران بمعنى التخيير كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا مثنى
وثلث ورباع فاكد الله تعالى وجوب صوم العشرة كلها بقوله تعالى تلك عشرة كاملة لازالة هذا الاشكال
والاصل في حاضري المسجد الحرام حاضرين المسجد الحرام سقطت النون للاضافة وسقطت اليا في اللفظ
لسكونها وسكون اللام في المسجد كما في قوله تعالى غير محلي الصيد **وقد** اختلفوا في حاضري المسجد الحرام

قال

قال عطا ومكحول رضي الله عنهما هم كل من دون المواقيت الى مكة وهو قول اصحابنا الا ان اصحابنا يقولون
اهل المواقيت بمنزلة من دونها لانهم كلهم في حكم اهل مكة يجوز لهم دخولها من غير احرام **وقال** ابن
عباس ومجاهد حاضروا المسجد الحرام اهل الحرم **وقال** الحسن وطاوس ونافع هم اهل مكة **وقال**
الشافعي هم من كان داره دون ليلتين من مكة وذلك مقدار اقرب المواقيت الى مكة وهو اقل مسيرة السفر
في قوله وظاهر قوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام يقتضي الاشارة الى المتعة والهدي
جميعا لا تباح المتعة والقران لاهل المواقيت ومن دونها الى مكة **وذهب** الشافعي رحمه الله الى
ان قوله تعالى ذلك اشارة الى الهدي دون المتعة والقران فيجوز عنده المتعة والقران لاهل مكة لكن
لا هدي عليهم والله تعالى اعلم **قوله عز وجل** الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا
رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى
واتقون يا اولي الالباب في الاية تقدير حذف مبتدا مضاف ومعناها مدة الحج اشهر معلومات
ويقال الحج في اشهر وهذا كما قال الله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر ومعناه مدة غدوها ومدة
رواحها **واختلفوا** في هذه الاشهر قال ابن عباس واكثر اهل التفسير انها شوال وذو القعدة وعشر
من ذي الحجة واما من قال انها شوال وذو القعدة وذو الحجة فليس باختلاف لان مراد من قال
ذو الحجة بعضه لان الحج لا محالة في بعض هذه الاشهر لا في جميعها ويجوز اضافته الى جميع
هذه الاشهر وان كان هو في بعضها الا ترى انك تقول لقيت فلانا سنة كذا وقمت يوم كذا
تريد بذلك بعض المدة ويقال وقت الصبح من حين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وان كانت صلوة
الصبح لا تستغرق هذا الوقت كذلك الحج لا خلاف بين الامة انه ليس يبقى بعد ايام منى شي من مناسك
الحج **ومعنى** فمن فرض فيهن الحج فلا رفث اي من اوجب فيهن الحج بالتلبية او ما يقوم مقامها من
ذكر اخر او سوق الهدي فلا رفث ولا فسوق اي لا يرفث ولا يفسق وهذا اللفظ خبر بمعنى النهي
كما ان قوله تعالى يتربصن ويرضعن خبران لفظا وامران معنى **والرفث** كلمة جامعة لكل
ما يريده الرجال من النسا **قال** ابن عباس رضي الله عنهما الرفث مراجعة النسا بذكر الجماع
واما الفسوق فقد اختلفوا فيه قال ابن عمر رضي الله عنهما هو ما نهى الله تعالى عنه في الاحرام
واختار بعضهم هذا القول وقالوا لو كان المراد به جميع المعاصي لكان لا يختص بالنهي عنها حالة
الاحرام **وقال** ابن عباس وجماعة من المفسرين ان المراد بالفسوق جميع المعاصي وفايدة تخصيص
حالة العبادة بالنهي عنها لتعظيم حرمة العبادة كما يقال لا تغتب في صومك ولا تعبث في صلوتك
كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل وان جهل
عليه فليقل اني امرؤ صايم **واما** قوله تعالى ولا جدال في الحج قال بعضهم الجدال ان تجادل صاحبك
حتى تغضبه او يغضبك ويقال ان المشركين كانوا يحجون عامين في ذي القعدة وعامين في ذي الحجة
وكان حج ابي بكر رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة للحج في اخر عامي ذي القعدة
وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع في اول عامي ذي الحجة **وقال** صلى الله عليه وسلم
الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجع الحج الى ذي الحجة كما كان
فانزل الله تعالى هذه الاية اي لا تجادلوا في ميقات الحج ويقال كانت قريش تقف بالمزدلفة
وكانت اليمن وربيعة تقف بعرفة خارج الحرم وكان كل فريق يجادل صاحبه في الموقف
فنزلت هذه الاية **ومعنى** وما تفعلوا من خير اي من اسباب الحج وترك الرفث والفسوق والجدال
يعلمه الله يقبله منكم فيجزيكم عليه والله تعالى عالم من دون ان تفعلوا ولكن المراد به يعلمه الله تعالى
مفعولا وكان من قبل يعلمه سيفعل واراد تعالى بهذا الحث على فعل الخير ودل به على العدل

اذ بيّن به انه لا يجازي المرء على ما يعلم منه وانما يجازيه على ما يقع منه ويقال هذا كلام خرج
مخرج التهديد اي لا يخفى علي ما تفعلون من خير او شر ومعنى وتزودوا فان خير الزاد
التقوى اي تزودوا في سفر الحج والعمرة وما تكفون به وجوهكم عن المسالة نزل في قوم كانوا
يخرجون باهاليهم بغير زاد يتكلون على الناس ويسمون انفسهم المتوكلة يقولون نحج بيت
ربنا والله تعالى رازقنا وقيل نزل في قوم كانوا يلقون ازوادهم ويصيبون في حجهم من اهل الطريق
ظلما فيقولون نحن حجاج فبيّن الله تعالى ان الزاد هو ان يتقوا ما لا يحل لا ان تلقوا ازوادكم وتصيروا
كلا على الناس ويقال في الاية تقديم وتاخير تقديره وتزودوا من الطاعات واتقوني يا اولي
الالباب فان خير الزاد التقوى ولا يمتنع ان يكون المراد بالاية زاد الدنيا وزاد الاخرة فكان
الله تعالى حضّ على الزادين جميعا وامر بالتزود لسفر الدنيا بالطعام ولسفر الاخرة بالتقوى فان النجاة
من هلكات سفر الدنيا بالزاد ومن سفر الاخرة بالعمل الصالح قال الشاعر
اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ۞ ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ۞
ندمت على ان لا تكون كمثله ۞ فترصد للامر الذي كان ارصدا ۞ وعن سفين
الثوري رحمه الله انه كان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت ۞ اذا انت لم تزرع وابصرت حاصدا
ندمت على التفريط في زمن البذر وقد اختلف اهل العلم في الاحرام بالحج قبل اشهر الحج روي
عن ابن عباس وجابر وعطا ومجاهد وعكرمة رضي الله عنهم انهم قالوا لا يحرم الرجل بالحج قبل اشهر الحج
فان احرم بالحج قبل اشهر الحج فليجعلها عمرة وقال الشافعي تكون عمرة وعن ابرهيم
وقال عطا من احرم بالحج قبل اشهر الحج وهو قول اصحابنا ومالك والثوري والليث رحمهم الله وقد
النخعي جواز الاحرام بالحج قبل اشهر الحج وهو قول اصحابنا ومالك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج
قد منا وجه الدلالة على جواز ذلك من قوله عز وجل يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج
وان ذلك عموم في كون الاهلة كلها وقتا للحج ومعلوم ان الاهلة ليست بميقات لافعال الحج فوجب ان يكون
حكم ذلك اللفظ مستعملا في احرام الحج واما ما ذكر الله تعالى في هذه الاية فيحتمل انه توقيت لافعال الحج فان
من قدم مكة محرما بالحج قبل اشهر الحج وطاف وسعى لم يكن ذلك السعي معتدا به من الحج ويحتمل ان يكون
المراد بالحج المذكور في هذه الاية الحج الذي تقدم ذكره قبل هذه الاية وهو حج التمتع وذهب بعض
مشايخنا الى ان قوله اشهر معلومات توقيت لاستحباب الاحرام لانه اذا قدم الاحرام على شوال امتد مكثه
في الاحرام واضطر الى شيء من محرمات الاحرام يدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه
قال من السنة ان لا يحرم الرجل بالحج قبل اشهر الحج وهو رواية اخرى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
وظاهر هذه الاية تقتضي ان الاحرام بالحج يوم النحر جائز وانه لا يفصل بين يوم النحر وبين ما بعده
والفرض ايجاب الشيء والزامه وقطعه عن شيء معلوم ومن ذلك فرضة النهر وفرضة السهم
وفرض الله تعالى على العباد الصوم والصلوة اي قطع الحكم بايجابهما على تقدير معلوم فاما
سوق الهدي بنية الاحرام فانه يقوم مقام التلبية والايجاب كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قيل له عام حجة الوداع ما بال الناس قد حلوا وانت لم تحل بعد فقال صلى الله عليه وسلم
اما اني قلدت هديي ولبدت راسي فلا احل حتى انحر فجعل لتقليد الهدي تاثيرا في الاحرام
وقد اتفقت الامة ان المراد بالرفث المذكور في هذه الاية الجماع فما دونه
من اللمس والتقبيل ونحو ذلك اذ لا خلاف بينهم ان من قبل امراته في احرامه لشهوة فعليه دم
واصل الرفث في اللغة انه بالقول الافحاش فيه وبالفرج الجماع وباليد الغمزة للجماع وعن ابن
عباس انه كان ينشد في احرامه فيقول ۞ وهن يمشين بنا هميسا ۞ ان يصدق الطير ننك لميسا
فقيل هذا رفث فقال رضي الله عنه انما الرفث مراجعة النساء بذكر الجماع ۞ والنصب في قوله تعالى

ولا

فلا رفث ولا فسوق نصب على التنزيه ويقرا بالرفع والتنوين وكلا الوجهين جائز في كلام العرب
واكثر القرا في قوله تعالى ولا جدال في الحج على النصب لم ينقل في الرفع والتنوين الا في رواية
شاذة ومن رفع الرفث والفسوق جعل ما بعده كلاما مبتدا ولا خلاف ان الجدال والفسوق لا
يفسدان الحج لانه نهي تاديب واما الرفث نهي حتم اذا وجد الجماع قبل الوقوف بعرفة افسد الحج وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حج فلم يرفث ولم
يفسق رجع كيوم ولدته امه ۞ وفي هذا الخبر دلالة ان النهي عن الرفث والفسوق امر بالتوبة عن
الفسوق اذ الاصرار عليها من اعظم المعاصي وروي ان الفضل بن عباس كان رديف رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المزدلفة الى منا فكان يلاحظ النسا وينظر اليهن فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصرف وجهه بيده من خلفه فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا يوم من ملك سمعه وبصره
غفر الله له ۞ وفي الاية دلالة بطلان قول المتصوفة الذين يتسمون بالمتوكلة في تركهم التزود والسعي
في المعاش لان الله تعالى امر بالتزود في هذه الاية وشرط في وجوب الحج الاستطاعة ولهذا المعنى فسر النبي
صلى الله عليه وسلم الاستطاعة حين سئل عنها بالزاد والراحلة قوله عز وجل ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه
كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين روي عن عبد الله بن عمر ان رجلا ساله فقال اني
لاكري الابل الى مكة افيجزيني من حجي فقال اولست تلبي وتقف بعرفات وترمي الجمار قال بلى قال
سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل ما سالتني عنه فلم يجبه حتى انزل الله تعالى هذه
الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم انتم حجاج ومعنى الاية والله تعالى اعلم ليس عليكم جناح ان تطلبوا
رزقا في التجارة في ايام الحج فاذا دفعتم من عرفات فاذكروا الله تعالى باللسان عند المشعر الحرام وهو الجبل
الذي يقف عليه الناس بالمزدلفة واذكروه بالثنا والتوحيد والشكر ذكرا مثل هدايته اياكم اي ذكرا يكون
جزا لهدايته وانتم كنتم من قبل هدايته اياكم لمن الضالين عن الهدى وقيل ان المراد بالذكر الاول في
هذه الاية صلوة المغرب والعشا اللتين جمع بينهما في وقت العشا بالمزدلفة والمراد بالذكر الثاني هو
الذكر المفعول بالمزدلفة غداة جمع في موقف المزدلفة فعلى هذا يكون الذكر الاول غير الثاني ۞ وقد
تسمى الصلوة ذكرا على معنى ان الذكر ركن من اركانها كالركوع في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين
والافاضة هي الدفع بالكثرة يقال افاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه واكثروا التصرف
وافاض الرجل اناه اذا صبه وفاض الانا اذا انصب منه الما للامتلاء وافاض البعير بجرته اذا
رمى بجرته مفرقة كثيرة وعرفات جمع عرفه وهي مكان واحد ذكرها الله بلفظ الجمع
واراد به جميع اجزايها وسميت عرفات لارتفاعها من نشز الارض وكذلك الاعراف ويقال سميت
بهذا الاسم لان ادم وحوا عليهما السلام تعارفا هنالك بعد التفرق ويقال لان جبريل عليه السلام
عرفها ابرهيم عليه السلام ليقف عليها حين علمه امور المناسك فقال ابرهيم عليه السلام عرفت
والكسر والتنوين في عرفات على معنى ان هذا اللفظ يحكى على ما كان في الاصل فيقال هذا عرفات ورايت
عرفات ومررت بعرفات ونظير هذا من الاسامي انك اذا سميت انسانا بظالمين قلت جاني ظالمين
ورايت ظالمين ومررت بظالمين قال امرؤ القيس ۞ تنورتها من اذرعات واهلها ۞
بيثرب ادنى دارها نظر عالي ۞ ومن قرا عرفات بالكسر بغير تنوين فلانا وان اعتبرنا حكم الاصل
فهو في الحال واحد لا ينصرف لاجتماع التعريف والتانيث وسميت المزدلفة المشعر الحرام
على معنى انها المتعبد من متعبدات الله تعالى والشعار العلامة ومن ذلك اشعار الهدي وتسمى
المزدلفة جمعا ايضا قوله عز وجل ثم افيضوا من حيث افاض الناس

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال الضحاك افيضوا من المزدلفة التي تفيض منها قريش
وروي في رواية اخرى ان المراد بالناس ابرهيم عليه السلام لانه كان الامام المقتدى به فسماه الله تعالى
ناسا كما قال الله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا وانما ذهب الضحاك رحمه الله الى ان المراد
بالافاضة في هذه الاية الافاضة من المزدلفة لان الله تعالى عطف هذه الاية على الافاضة من عرفات
الى المزدلفة فعلم ان المراد بهذا الافاضة من المزدلفة **وذهب اكثر المفسرين** الى ان
المراد بالافاضة في هذه الاية الافاضة من عرفات وذلك ان الحمس من قريش وغيرها كانت لا تخرج من الحرم
وكان وقوفها بالمزدلفة لا غير افتخارا او تعاليا على الناس كانوا يقولون نحن اهل الله فلا نخرج من حرمه
فاما غير الحمس كانوا يقفون بعرفة فانزل الله تعالى هذه الاية وامر قريشا وغيرهم من الحمس ان
يقفوا بعرفة حيث تقف الناس ويدفعوا عنها معهم وانما ذكر الناس وامر قريشا بالافاضة من
حيث افاض الناس لان قريشا ومن دان دينها كانوا قليلا بالاضافة الى ساير الناس وقوله تعالى ثم
افيضوا على هذا التاويل راجع الى اول الكلام كانه قال احرموا كما امركم الله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس
فيكون الامر بالافاضة عطفا على الاحرام دون الافاضة من عرفات والفايدة في اعادة ذكر الافاضة ان قوله تعالى
فاذا افضتم من عرفات يقتضي ان الوقوف بعرفة من مناسك الحج وفي قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس
بيان ان الوقوف بعرفة من فروض الحج على الناس كلهم لان الامر بالافاضة يقتضي الوجوب ولا يتوصل الى
الافاضة منها الا بكونه فيها هناك **وقد روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحج عرفة
من ادرك عرفة بليل او نهار فقد ادرك الحج ومن فاته عرفة بليل ونهار فقد فاته الحج اراد بالليل
ليلة يوم النحر فان اول وقت الوقوف بعرفة بعد زوال الشمس من يوم عرفة واخره طلوع الفجر من
يوم النحر فان دفع منها قبل غروب الشمس ولم يرجع اليها قبل دفع الامام فعليه دم في ظاهر الرواية
واما موضع الوقوف فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عرفة كلها
موقف الا بطن عرنة والمزدلفة كلها موقف الا بطن محسر **وقد اختلف اهل العلم رحمهم الله**
في الوقوف بالمزدلفة ذهب اكثرهم الى ان ذلك ليس بركن من اركان الحج على ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قدم ضعفة اهله بليل **وفي** بعض الاخبار انه قدم اغيلمة بني عبد المطلب بليل وجعل يلطخ بيده افخاذهم
ويقول ابيني لا ترجموا جمرة العقبة الا مصبحين فلو كان الوقوف بالمزدلفة فرضا لما رخص
تركه للضعفة كالوقوف بعرفة **واما** قوله تعالى واستغفروا الله قال بعضهم هذا امر بالاستغفار
من الذنوب في مواطن الحج فان الدعا في تلك المواضع جدير بالاجابة **وقال** بعضهم هذا خطاب
للحمس امرهم الله تعالى بالاستغفار مما كان منهم في الجاهلية من مخالفة امره بترك الوقوف بعرفات
ان الله غفور لذنوب العباد اذا تابوا رحيم بهم بعد التوبة **قوله عز وجل**
فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ معناه والله تعالى اعلم اذا
فرغتم من متعبداتكم في الحج فاذكروا الله تعالى بالخير كذكركم اباكم بل اشد ذكرا وذلك انهم كانوا يقفون
بعد قضا المناسك يوم النحر بين المسجد الذي بمنى وبين الجبل يتناشدون الاشعار ويتفاخرون
بذكر فضايل ابايهم يقول احدهم يا رب ان عبدك فلانا يعني اباه كان يفعل كذا وكذا من الخير
فامرهم الله تعالى ان يذكروه فهو الذي فعل ذلك الخير الى ابايهم وان اياديه عندهم اكثر واعظم من
ايادي ابايهم ونعمهم عليهم **روي** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم بعد نزول هذه الاية
ان الله تعالى قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء ان الناس من ادم وادم من
تراب لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم

أُبَيْنِيَّ

شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم **وقال** بعضهم معنى قوله فاذا قضيتم
اردتم قضا المناسك كما قال الله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله وقال عز من قايل اذا قمتم
الى الصلوة فاغسلوا قالوا واراد بالذكر في هذه الاية جميع الاذكار المسنونة في الحج بعرفات والمزدلفة
وعند الرمي والطواف **وقال** بعضهم اذكروا الله تعالى بالتوحيد كما تذكرون اباكم بذلك فانكم
لا ترضون ان تنتسبوا الى ابوين وكذلك لا ترضون من انفسكم باتخاذ الهين **وعن** عطا رحمه الله
في قوله تعالى كذكركم اباكم هو كقول الصبي اول ما يفقه الكلام ابه ابه اي استعينوا بالله
وافزعوا في جميع اموركم اليه كما يفزع الصبي الى ابيه في جميع اموره ويلهج بذكره **فاما** قوله تعالى
فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا نزل في مشركي قريش كانوا يقولون اللهم ارزقنا ابلا
وبقرا وغنما وعبيدا واما واموالا ولم يكونوا يسالون لانفسهم التوبة والمغفرة كانوا لا يرجون
الا نعيم الدنيا ولا يخافون البعث والنشور فبين الله تعالى بقوله وما له في الاخرة من خلاق
اي من يطلب بحجه امور الدنيا لا يريد بذلك ثواب الله تعالى فلا نصيب له من ثواب الاخرة
ثم بين جل ذكره دعا المومنين **بقوله عز وجل** وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ قال مجاهد رحمه الله معنى الحسنة
النعمة في الدنيا اي يسالون الله تعالى نعمة الدنيا والاخرة وان يقيهم عذاب النار **وقال** الحسن وجماعة
من اهل العلم ان الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة والوصول الى نعيمها وثوابها
وعن قتادة انه قال ذكر لنا ان رجلا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ما كنت
معاقبي به في الاخرة فعجله في الدنيا فاضنى الرجل في مرضه ونحل جسمه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فاتاه يعوده فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو بكذا فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن ادم
انك ضعيف لا تستطيع ان تقوم لعذاب الله تعالى ولكن قل ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار فدعا بها الرجل فبرا **و**الاصل في قنا اوقينا ولكن الواو سقطت كما سقطت في يقي
لان الاصل فيه يوقي فسقطت الواو لوقوعها بين يا وكسرة فاذا سقطت من يوقي سقطت من اوقي
وانما اجتلبت الف الوصل لسكون الواو فاذا سقطت الواو ولا حاجة للمتكلم الى الواو سقطت الالف
وسقطت اليا في اخر الكلمة للوقف والجزم **قوله عز وجل** أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا
وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ معناه اي الذين يسالون الله تعالى الدنيا والاخرة لهم حظ ونصيب من الثواب
الكتسبوه في حجهم وفي هذا ابان استجابة دعايهم على القطع وقد روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ليبنزلن اقوام من امتي منازل لهم في الجنة لم يصبهم من بلوى الدنيا شي كانوا
يسالون الله تعالى العافية في الدنيا والاخرة يقولون ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار **ومعنى** سريع الحساب اذا حاسب فحسابه يسير كلمحة البصر هكذا روي في الخبر
وفي بعض الروايات ان الله تعالى يحاسب العباد قدر فواق ناقة والفواق ما بين الحلبتين
وفي ذكر سرعة الحساب في الاية بيان عظم حقيقة الامر وان محاسبة الله تعالى لا تكون بعقد
الاصابع والخط وفكرة القلب كما تكون محاسبة الناس بعضهم بعضا لكن يحاسبهم جميعا في لحظة
واحدة يظن كل واحد انه يحاسبه خاصة لا يشغله شي عن شي **وقيل** معنى سريع الحساب
سريع المجازاة وفيه اخبار عن سرعة فنا الدنيا وقيام الساعة **قوله عز وجل** وَاذْكُرُوا
اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعطا والضحاك
وابرهيم النخعي ان الايام المعدودات ايام التشريق والايام المعلومات عشر ذي الحجة وهكذا روي عن ابي حنيفة

آتِ

وابي يوسف ومحمد رحمهم الله **وروي** في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الايام
المعدودات ايام العشر والمعلومات ايام النحر ولا شك ان في هذه الرواية غلطا وهي خلاف الكتاب لان
الله تعالى عقب الايام المعدودات بقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه وليس في العشر حكم يتعلق
بيومين دون الثالث وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايام منى ثلثه ايام التشريق
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه وفي هذا الخبر بيان مراد الاية من قوله تعالى
اياما معدودات **وروي** عن ابي يوسف في رواية اخرى ان المعلومات ايام النحر والمعدودات
ايام التشريق قال هذا القول استدلالا من الاثنين لان الله تعالى قال في ذكر الايام المعلومات على ما رزقهم
من بهيمة الانعام وقال في هذه الاية فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فيوم النحر على هذه الرواية من المعلومات
دون المعدودات واخر ايام التشريق من المعدودات دون المعلومات واليوم الثاني والثالث من ايام
النحر من المعلومات والمعدودات جميعا والجواب عن استدلال ابي يوسف من الاثنين ان لفظ المعلومات
يقتضي الشهرة ولفظ المعدودات يقتضي تقليل العدد كما في قوله تعالى دراهم معدودة فاقتضى الظاهر
ان المعدودات اقل من المعلومات ويحتمل ان يكون معنى على ما رزقهم من بهيمة الانعام لما رزقهم كما قال
الله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم اي لما هداكم فكان الله تعالى اراد بالايام المعلومات ايام العشر
والله تعالى اعلم لان فيها يوم النحر وفيه الذبح ويكون ذلك اليوم بتكرار شيئين عليه اياما واما الذكر المذكور
في هذه الاية فهو الذكر عند رمي الجمار في ايام التشريق ايام منى **وقال** بعضهم هو التكبير في ادبار الصلوات
في هذه الايام يكبر من صلوة الغداة من يوم عرفه الى صلوة العصر من اخر ايام التشريق عند جماعة من
الفقها رحمهم الله والتاويل الاول اصح واقرب الى ظاهر القران لان الله تعالى عقب الذكر في هذه الاية بقوله
تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه اي من تعجل الرجوع الى اهله فلا اثم عليه في ترك الرمي في اليوم الثالث
ومن تاخر الى اخر النفر واقام هناك في اليوم الثالث فلا اثم عليه لمن اتقى الرفث والفسوق والتفريط في
حدود الحج كلها فاما من لم يتق فغير موعود له بالثواب **واما** قوله تعالى واتقوا الله امرهم بالتقوى
في مستقبل اعمارهم اي لا تتكلوا على ما اسلفتم من اعمال البر ولكن زيدوا في الطاعة في باقي العمر واعلموا
انكم اليه تحشرون في الاخرة اي يجازيكم الله باعمالكم اذ الحشر انما يكون للمجازاة ومن تصور
انه لا بد من حشر ومحاسبة ومسايلة ولا بد من احد امرين لا ثالث لهما اما الجنة واما النار
يدعوه ذلك الى التشديد في التقوى **والحشر** في اللغة هو جمع الناس في المكان من كل ناحية
والحشر هو التجمع **فان قيل** كيف قال الله تعالى ومن تاخر فلا اثم عليه ومعلوم ان من
تاخر فانما تاخر لاقامة فرض فلا يليق بحاله ان يقال فلا اثم عليه بل كان الاليق ان يقال من تاخر
كان اعظم لاجره **قيل** ليس المراد بهذه الاية التفضيل بين التعجيل والتاخير لكن الغرض رفع الاثم في الحالين
وهذا على مزاوجة الكلام كما يقول الانسان لغيره ان اعلنت الصدقة فحسن وان اسررت فحسن ومعلوم
ان اخفا صدقة التطوع افضل من اعلانها واعلان صدقة الفرض افضل من اخفايها وجواب اخر ان
رمي الجمار لا يجوز ان يكون تطوعا اذ التنفل يكون عابثا فلما قال الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
اوهم ذلك كون الرمي في ذلك اليوم الثالث تطوعا لان هذا تخيير بين فعله وتركه فقال تعالى
ومن تاخر فلا اثم عليه ليبين ان هذا واجب خير بين فعله وتركه وظاهر الاية يقتضي ان من لم
ينفر في اليوم الثاني من ايام التشريق حتى غابت الشمس لا ينبغي له ان ينفر حتى يرمي الجمار اليوم الثالث
وهكذا قاله اصحابنا رحمهم الله الا انه لا يلزمه ذلك الا ان يصبح بمنى يوم الثالث فاذا اصبح بها يوميذ
لم يجز له النفر بالاجماع حتى يرمي وهذا مما يستدل به على صحة قول ابي حنيفة في تجويزه رمي الجمار في
اليوم الثالث قبل الزوال **والايام المسماة في الحج ستة ايام** يوم التروية ويوم عرفه ويوم النحر

ومن تاخر

ويوم

ويوم القر ويوم النفر ويوم الصدر **وسمي** يوم التروية لما روي ان جبريل عليه السلام
قال لابرهيم عليه السلام فيه ان احمل ريك من الما وكذا الحاج يحمل فيه من الما ما يكفيه لريه فاما
عرفة فقد ذكرنا المسمى عرفه ويوم النحر معلوم ويوم القر لاستقرار الناس بمنى ويوم النفر
لانهم ينفرون من منى الى مكة ويوم الصدر يصدرون الى اهاليهم ورمي الجمار مشروع في يوم القر
بمنى والنفر والصدر وهي ايام التشريق **قوله عز وجل** ومن الناس من يعجبك
قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام قال ابن عباس
نزلت هذه الاية في اخنس بن شريق كان حسن المنطق حلو الكلام فاجر السريرة كافر القلب
حلافا شديد الخصومة في الباطل وكان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فيظهر له الحسن ويحلف بالله تعالى
انه يحبه ويتبعه على دينه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه فيعجبه وكان يدنيه من مجلسه
فاظهر الله تعالى على نفاقه ومعنى الاية والله تعالى اعلم ومن الناس من يعجبك كلامه وحديثه اي
تفرح باظهاره الايمان وتسر بقوله ويشهد الله على ما في قلبه اي يقول والله شهيد على ان ما في قلبي
كما هو على لساني من الايمان وهو شديد الخصومة جدل بالباطل **والالد** ماخوذ من لديدي العنق
وهما صفحتا العنق وتاويله ان خصمه في اي وجه اخذ من ابواب الخصومة من يمين او شمال غلبه
في ذلك **والخصام** والمخاصمة مصدر من خاصم يخاصم وقد يكون الخصام جمع خصم مثل صعب
وصعاب وكلب وكلاب فيكون المعنى على هذا القول وهو اشد المخاصمين خصومة **قوله عز وجل**
واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد يقول اذا
اعرض الاخنس عنك وفارقك اسرع مشيا في الارض ليعصي فيها ويضر المومنين ويهلك ما قدر
عليه من زرع ونسل والله تعالى لا يرضى بالمعاصي روي في الخبر ان الاخنس خرج من عند النبي
صلى الله عليه وسلم فمر بزرع فاحرقه ومر بحمار فعقره فانزل الله تعالى هذه الاية بما فيها من
الوعيد الى اخرها فحسبه جهنم وصارت عامة في جميع المفسدين وقيل معناه ليفسد فيها
ليوقع الفتنة بين الناس ليشتغلوا عن الزراعة وعن اعمالهم فيكون فيه هلاك الحرث والنسل
ويقال يخيف الناس حتى يهربوا من شره فتخرب الضياع وينقطع نسل الناس والدواب وفي هاتين
الايتين تحذير من الاغترار بظاهر القول وما يبديه الرجل من حلاوة المنطق وامر بالاحتياط فيما امرنا
بايتمان الناس عليه من امر الدين والدنيا حتى لا نقتصر على ظاهر حال الانسان خصوصا فيمن هو الد
الخصام ومن ظهرت منه دلايل الريبة لا بد من استبرا احواله والبحث عن حقيقة امره ولهذا
قالوا ان علينا استبرا احوال من نراه في الظاهر اهلا للقضا والشهادة والفتيا والامانة وما جرى مجرى
ذلك وان لا نقبل منهم ظاهرهم حتى نبحث ونسال عنهم اذ قد حذرنا الله تعالى امثالهم في توليتهم
على امور المسلمين الا ترى انه عقبه بقوله واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويحتمل ان يكون المراد
بالتولي ان يتولى امرا من امور المسلمين فاعلم الله تعالى بهذه الاية انه لا يجوز الاقتصار على الظاهر دون
الاحتياط والاستبرا **قوله عز وجل** واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
فحسبه جهنم ولبئس المهاد معناه اذا قيل لهذا المنافق احذر عقوبة الله تعالى ولا تفسد
اخذته المنعة والحمية والانفة بسبب الاثم الذي فيه وهو الكفر الذي في قلبه يعني تكبر وقال امتلى
يقال له اتق الله يقال معناه حملته العزة على فعل ما يوجب الاثم وهذا كما يقول الانسان اخذت
فلانا بان يفعل كذا اي دعوته الى ان يفعل كذا وقوله تعالى فحسبه جهنم اي كفاه النار في الاخرة عقوبة
ونكالا ويبين القرار النار **والمهاد** الفرش الوطي للنوم كما يمهد للصبي يقال مهدت الامر ووطاته
بمعنى واحد فلما كان المعذب بالنار يلقى على نار جهنم جعل ذلك مهادا له على معنى ان جهنم للكافر

مكان المهاد للمومن في الجنة كما قال الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وفي الاية تسلية للمظلوم بما يعلم
من عاقبة ظالمه وزجر للظالم اذا تصوّر ان مستقره في النار لا يمكنه مفارقة مكانه كان ذلك
رادعا له عن المعاصي ويحكى ان يهوديا كانت له حاجة الى هرون الرشيد فاختلف الى بابه
سنة فلم تقض حاجته فوقف يوما على الباب فلما خرج هرون سعى بين يديه فقال اتق الله يا
امير المومنين فنزل هرون عن دابته وخر ساجدا فلما رفع راسه امر بحاجته فقضيت له فلما
رجع قيل له يا امير المومنين نزلت عن دابتك لقول يهودي قال لا ولكن تذكرت قول الله عز وجل
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم **قوله عز وجل** ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد قال عبد الله بن عباس نزلت الاية في صهيب بن سنان
وفي نفر من اصحابه منهم عمار بن ياسر وامه سمية وابوه ياسر وبلال وخباب بن الارت
وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين اخذهم المشركون في طريق مكة فعذبوهم فاما صهيب فقال لهم
انا شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت ام من عدوكم اعطيكم مالي ومتاعي وذروني وديني اشتريه منكم
بمالي ففعلوا ذلك فاعطاهم ماله وتوجه الى المدينة فلما دخل المدينة لقيه ابو بكر رضي الله عنه
فقال ربح البيع يا صهيب فقال وبيعك لا تخسر وما ذاك يا ابا بكر فاخبره بما نزل فيه وهو
قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله واما سمية وياسر فقتلا وكانا
اول قتيلين قتلا من المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما بمكة اصبروا يا ال ياسر فان
موعدكم الجنة واما الاخرون فانهم اعطوا على العذاب بعض ما اراد المشركون من كلمة
الكفر وسب الاسلام وكانت قلوبهم مطمئنة بالايمان فتركوا وقدموا المدينة وفيهم نزل
قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومعنى قوله تعالى ومن
الناس من يشري نفسه على هذا التاويل الذي ذكرناه ومن الناس من يشتري نفسه ودينه بماله
وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قالا في هذه الاية هو الرجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
فيقتل عليه فعلى هذا معنى قوله يشري نفسه يبيع نفسه اي يبذلها في الجهاد في سبيل الله وهذا من
اسماء الاضداد قال الشاعر في شريت بمعنى بعت ۞ وشريت بردا ليتني ۞ من بعد
برد كنت هامه ۞ وقوله تعالى ابتغاء مرضات الله نصب على انه مفعول له كانه قال لابتغاء
مرضات الله تعالى ومعنى والله رؤف بالعباد رحيم بهم يرغبهم في الخير ويثيبهم عليه رافة
بهم ويقال انه لرافته ورحمته امرهم ببيع انفسهم لكي ينالوا من كريم ثوابه ما هو خير لهم
من السلامة وطول البقا **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم
كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين قال الحسن رضي الله عنه
حث الله تعالى بهذه الاية جميع المومنين على الاسلام والطاعة كفعل من يشري نفسه الا تراه
قال بعد ذلك ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تفعلوا فعل الد الخصام ومعنى الاية على هذا
القول يا ايها الذين امنوا تكلموا بكلمة الايمان اقيموا على الايمان ويجوز ان يكون امرا للمخلصين
بالاقامة على الاسلام في مستقبل امرهم وان لا يتخلف احد عن شي مما يجب عليه من احكام الاسلام
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية فيمن اسلم من اهل الكتاب وكانوا يتقون
السبت ويحرمون لحم الجمل ويتقون اشيا كانوا يتقونها قبل ان يسلموا فامروا ان يدخلوا في جميع
شرايع محمد صلى الله عليه وسلم يعني ادخلوا في السلم كله ومعنى كافة في اشتقاق اللغة ما يكف
الشي عن اخره اي ابلغوا الى حيث تنتهي شرايعه فتكفوا ان تعدوا وادخلوا كلكم حتى يكف عن
عدد واحد لم يدخل فيه واصل كافة من الكف وهو المنع وسمي الراحة كفا لانه يكف بها عن

البدن ويقال استكف القوم في هذا الامر الى فلان اذا مالوا اليه باجمعهم وامتنعوا عن غيره
ومعنى ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتفوا اثاره لان ترككم شيا من شرايع الاسلام اتباع
للشيطان انه لكم عدو ظاهر العداوة فان قيل كيف قال الله تعالى انه لكم عدو مبين وهو
لم يبد لنا شخصه ولا من نفسه شيا قيل قد كان ابدا العداوة لابينا ادم عليه السلام حين
امتنع من السجود له وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فكان ابداوه واظهاره
العداوة لابينا ادم عليه السلام ابداء واظهارا لنا وقيل لما صحت الدلالة على عداوة الشيطان
ايانا وارادته اهلاكنا جاز ان يقول الله تعالى انه لكم عدو مبين فان قيل اذا كان في المومنين
من لا يقبل منه البتة ومن يقبل ايضا انما يوتى من قبل نفسه كما قال الله تعالى حكاية عن ابليس
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم فكيف يكون
عدوا ابين العداوة قيل عداوة العدو لا تتقوى بنفاذ كيده وانما تقوى وتظهر بما هو عليه
من ارادته الاضرار والفساد **قوله عز وجل** فان زللتم من بعد ما جاتكم البينات
فاعلموا ان الله عزيز حكيم يقول ان عدلتم عن طريق الاستقامة بالخروج من طاعة الله الى
المعصية وعلى قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فان ملتم الى اول شريعتكم في تحريم
السبت ولحوم الابل من بعد ما جاكم بالدلالات والحجج محمد صلى الله عليه وسلم وشرايعه فاعلموا
ان الله عزيز حكيم غالب بالنقمة لا يعجزه شي من ذلك حكيم اي محكم متقن في الفعل ويقال عالم
ذو حكمة فيما شرع لكم من دينه وفي هذه الاية تشبيه العصيان بزلة القدم والغرض
منها الزجر عن المعصية فان الانسان اذا علم ان الذي كان منه العقوبة على المعصية قادر لا يعجزه عليه
العجز ولا المنع عما يريد وعالم بمقدار ما يستحق من العقاب لا يجازي المسي جزا المحسن ولا المحسن جزا المسي
كان ابعد له من فعل المعصية والعزة في اللغة الامتناع يقال ارض عزاز اذا كانت ممتنعة بالشدة
والصعوبة **قوله عز وجل** هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة
وقضي الامر والى الله ترجع الامور افترق الناس في تاويل هذه الاية على اربعة اقوال فرقة منهم
يتاولونها على ظاهرها ويصفون الله جل وعز بالمجي الذي هو من مكان الى مكان ويتبعون ما
ورد في هذا الباب من الاخبار المتشابهة وفرقة يفسرون الاتيان تفسيرا مجملا لا يتعدون ظاهر اللفظ
يقولون باتي كيف شا بلا كيف واما الفرقتان الاخريان من اهل السنة والجماعة فاحداهما لا يفسرون هذه
الاية ويقولون نومن بظاهرها ونسكت عن الخوض في معناها لما فيه من الاشتباه والتشبيه روي عن
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال هذه الاية من المكتوم نومن بها ولا نفسرها كما قال الله تعالى في
الايات المتشابهات وما يعلم تاويله الا الله وروي هشام عن ابن عباس ان القران نزل على اربعة اوجه
وجه لا يعذر احد بجهالته ووجه يعرفه العلما يفسرونه ووجه يعرف من قبل العربية ووجه لا يعلمه الا الله تعالى
فاما الفرقة الرابعة فيردون مثل هذه الايات المتشابهات الى الايات المحكمات ومعنى هذه
الاية على هذا القول والله تعالى اعلم ما ينظر الكفار بعد قيام الحجة عليهم الا ان ياتيهم امر الله تعالى
او ياتيهم عذاب الله لان الاتيان لفظ متشابه يحتمل حقيقة اللفظ في الاتيان ويحتمل اتيان الامر
وقد قامت الدلالة على ان الله تعالى لا يجوز عليه الاتيان والمجي والانتقال والزوال لان ذلك من
صفات الاجسام والمحدثين قال الله تعالى في اية محكمة ليس كمثله شي وجعل ابرهيم صلوات الله
عليه ما شاهد من حركات النجوم وانتقالها وزوالها دليلا على حدثها حين قال لا احب الافلين
فاحتج به على قومه كما قال الله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه يعني في حدث
الاجسام والكواكب تعالى الله عما يقول المشبهة علوا كبيرا فاذا كان لفظ الاتيان مشتبها في نفسه

وحب ردّه الى المحكم نحو ما فسره الله تعالى في سورة النحل هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او
ياتي امر ربك وكما قال جل ذكره فاتى الله بنيانهم من القواعد وقال عز من قايل فاتاهم
الله من حيث لم يحتسبوا اي اتاهم بخذلانه اياهم ويقال جا الامير اذا قدم معظم جنده وبقي هو
مع قوم قليل وربما يقال جا الامير بجنده وحديده واما ذكر الظلة في الاية فلان الهول اذا
بدا من الظلة المظلمة من السحاب في السما كان اعظم واشد الا ترى ان الرعد والبرق اذا كانا
بعد ما غشي القوم ظلل الغمام كانا اهول منهما لو كانا في يوم لم يغشهم ظلل الغمام فيه يويد
هذا التاويل قول الله عز وجل في قصة شعيب عليه السلام فاخذهم عذاب يوم الظلة واما
قوله تعالى والمليكة قرى بالرفع على تقدير وتاتيهم المليكه ومن قرا بالكسر فعلى تقدير وظلل من
المليكه اي جماعة من الملبكة وسماهم الله تعالى ظللا لان الملبكة لا تسير بالاقدام ولكنها تطير
بالاجنحه كما يطير الطير ومعنى وقضي الامر امضى الحكم بانزال الفريقين منازلهم من الجنه والنار
وقوله تعالى والى الله ترجع الامور من قرا برفع التا فعلى فعل ما لم يسم فاعله اي عواقب الامور ومصير
الخلايق الى الله تعالى ومن قرا التا بالنصب فعلى والى الله تصير الامور ومن قرا باليا فلان تانيث الامور
غير حقيقي والامور في الحال وفي الاوقات كلها راجعة الى الله تعالى لكن معنى يرجع على وجهين
احدهما انه لما كانت الامور كلها قبل ان يملك العباد منها شيا له خاصة ثم ملكهم كثيرا من الامور
ثم تكون الامور كلها اليه في الاخرة ترجع اليه الامور دون خلقه جاز ان يقال ترجع الامور اليه
والمعنى الاخر ان لا يملك احد يوميذ شيا غيره وهذا كما قال لبيد
وما المرء الا كالشهاب وضوئه ۝ تحور رمادا بعد اذ هو ساطع ۝ وانما عنى بهذا البيت انه يصير
رمادا الا انه كان مرة رمادا فيرجع الى ما كان عليه قوله عز وجل سل بني اسرايل
كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاته فان الله شديد العقاب
وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر الايات البينات وامتناعهم عن قبولها وعلم اغتمام
النبي صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه فقال عز من قايل سل بني اسرايل وهذا سوال تقريع
وانكار للكفرة وتقرير لقلب النبي صلى الله عليه وسلم لا سوال استفهام لان النبي صلى الله عليه
وسلم كان لا يحتاج الى السوال والمعنى والله تعالى اعلم كما ان هولا لم يومنوا بالايات البينات
التي اعطيتها فلا تغتمن وسل بني اسرايل اي انظر في ايات بني اسرايل كم اعطيناهم من علامة واضحة
في وقت موسى عليه السلام من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من المعجزات
كما اتيتك من المعجزات لامتك فلم يومن اوليك كما لم يومن هولا الكفار ومن يبدل نعمة الله
اي بغير حجة الله الدالة على امر النبي صلى الله عليه وسلم من بعد ما جاتهم بان يجحدها ويحرفها
عن وجهها فان الله تعالى شديد العقاب اي التعذيب لمن استحقه وسمى الله تعالى الحجج نعمة
لانها من اعظم النعم على الناس في امر الدين قوله عز وجل زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق
من يشا بغير حساب ذكر الله تعالى في هذه الاية السبب المانع للكفار من الايمان
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير هذه الاية زين للكفار الحيوة الدنيا
لما بسط الله تعالى فيها لهم من الخير ويسخرون من فقرا المومنين في امر المعيشة وذلك ان ابا جهل
ورؤسا قريش كانوا يضحكون من فقرا المومنين وهم عبد الله بن مسعود وعمار وخباب وسالم
مولى ابي حذيفة وعامر بن فهيرة وابو عبيدة بن الجراح وغيرهم كان الكفار يقولون ان هولا
قد تركوا الدنيا فلا يكون لهم شي لاخر اذ كانوا لا يقرون بعث ولا نشور وكانوا يعيرونهم بقلة ذات ايديهم

وكان اهل الكتاب يساعدون المشركين في الاستهزا بالمومنين يقول الله عز وجل والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمة اي اتقوا الشرك والفواحش والكباير فوق الكفار يوم القيمة في الجنة يكون المومنون في عليين
والكفار في الجحيم والله يرزق من يشا بغير حساب من الكفار وغيرهم بغير مقدار ولا هنداز
اي يرزق رزقا كثيرا لا يعرف حسابه وهذا كما يقال لفلان مال لا يحصى يراد بذلك كثرته لان الشي
يحصى وان كثر عدده وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال يقول الله عز وجل لولا ان يجزع عبدي المومن لعصبت الكافر بعصابة من حديد ولصببت
عليه الدنيا صبا ومصداق ذلك قول الله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة الى اخر الاية
وقال صلى الله عليه وسلم لو ان الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ما
وعن قطرب رحمه الله انه قال في قوله تعالى والله يرزق من يشا بغير حساب ان الله تعالى يعطي
العدد المتناهي لا من عدد اكثر منه كما يفعله العباد لكن يعطي المتناهي من غير المتناهي ويقال معناه
ان الله تعالى لا يحاسب على ما يرزق لانه لا شريك له فيما نعمه ويقال يرزق الكافر في الدنيا لا لحساب
ومما يوكد ذلك يرزق المومن تفضلا لان ثواب عمل المومنين مدخر في الاخرة كما قال الله تعالى
لهم اجرهم عند ربهم ويقال معناه يرزق الله تعالى الثواب المذكور في هذه الاية من يشا من
عباده المومنين بغير حساب لهم ولا تبعة عليهم فان قيل اليس قال الله تعالى في اية اخرى جزا
من ربك عطا حسابا فكيف قال في هذا الموضع بغير حساب قيل العطا من جهة الله تعالى على
ضربين احدهما يكون ثوابا والاخر تفضلا فما يكون ثوابا يكون له حساب لانه يكون على مقدار
الاستحقاق بالعمل واما التفضل فلا يكون له حساب كما قال الله تعالى ليوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله فالمراد بقوله تعالى عطا حسابا الثواب دون التفضل والمراد بقوله تعالى والله
يرزق من يشا بغير حساب التفضل فان قيل كيف قال بغير حساب وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال حلالها حساب وحرامها عذاب قيل روي عن عايشه رضي الله عنها ان
معنى الحساب في المومنين العرض ومن نوقش الحساب عذب فان قيل من زين للكفار الحيوة الدنيا
قيل ذهب بعض المفسرين الى ان ابليس هو الذي زينها لهم كما قال الله تعالى في اية اخرى واذ
زين لهم الشيطان اعمالهم وعن الحسن انه قال زينها والله لهم الشيطان فلا احد اذم
للدنيا ممن خلقها قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل وقال عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور وذهب بعضهم الى ان الله تعالى هو الذي زين لهم الحيوة الدنيا اذ خلق فيها
الاشيا المعجبة المحبوبة وركب الشهوات في قلوب العباد فنظر الذين كفروا الى الدنيا باكثر من مقدارها
فاغتروا بها كما قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قالوا وانما فعل
الله تعالى ذلك لان التكليف لا يتم الا مع الشهوة فان الانسان لا يجوز ان يكلف الاباء ان يدعا الى ما تنفر
عنه نفسه او بان يزجر عما تتوق نفسه اليه وهو معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات قوله عز وجل كان الناس امة
واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاتهم البينات بغيا بينهم
فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشا
الى صراط مستقيم قال ابن عباس في تفسير هذه الاية كان الناس اهل واحدة كفارا
كلهم في ابتدا عهد نوح عليه السلام وكذلك في عهد ابرهيم عليه السلام يعني ان امم الانبيا
صلوات الله عليهم الذين بعثت اليهم الانبيا صلوات الله عليهم كانوا كفارا كما كانت هذه الامة

وجايز ان يقال كانوا امة واحدة على الكفر وان كان فيهم مسلمون اذ كان المسلمون قليلين مقهورين
في تقية لانصراف اسم الامة الى الاعم الاكثر وقال قتادة والضحاك كان الناس امة واحدة على الحق
فاختلفوا اي كانوا مومنين في زمن آدم عليه السلام الى مدة طويلة وكان جميع من في السفينة مع نوح
عليه السلام مومنين ثم تفرقوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وقيل كانوا امة واحدة في الجبلة
لا امر عليهم ولا نهي فبعث الله تعالى النبيين مبشرين بالجنة لمن اطاع الله تعالى ومنذرين بالنار
والسخط لمن عصاه ومعنى وانزل معهم الكتاب اي انزل عليهم الكتاب اذ الانبيا صلوات الله
عليهم لم يكونوا منزلين حتى يترك الكتاب معهم وقوله تعالى بالحق اي بالعدل ومعنى ليحكم بين
الناس ليقضي الكتاب بينهم بالحكمة واضاف الحكم الى الكتاب وان كان الله تعالى هو الذي يحكم
على جهة التفخيم لامر الكتاب ويقال معناه ليحكم الله تعالى بين الناس اذ قد سبق على هذا ذكر الله
تعالى ثم نسق ذكر الكتاب واما قوله تعالى فيما اختلفوا فيه يجوز ان يكون معناه فيما اختلفوا فيه
من الحق ويجوز ان يكون فيما اختلفوا فيه من امر الدين ويكون الهاء في فيه راجعة الى ما وقال بعضهم
فيما اختلفوا فيه من الكتاب وقيل ان هذا لا يصح لانه انما انزل الكتاب بعد الاختلاف والاختلاف في
الكتاب لم يقع قبل انزال الكتاب واما قوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه اي لم يختلف في
امر الدين وبعث النبيين صلوات الله عليهم الا الذين اعطوا الكتاب من بعد ما جاتهم البينات
الواضحات من الله تعالى وقوله تعالى بغيا نصب على معنى مفعول له اي لم يختلفوا الا للبغي والحسد
والتفرق وذلك ان اهل الكتاب كانوا علموا حقيقة امر النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم قبل مبعثه
فلما بعثه الله تعالى كفروا به الا قليلا منهم فهدى الله الذين امنوا اي ارشد الله تعالى المومنين
لما اختلفوا فيه من الحق الذي اختلف فيه اهل الزيغ باذنه اي بتوفيقه وفضله وعلمه والله يهدي من يشا
الى صراط مستقيم يوفق لمعرفته من يشا ممن كان اهلا لذلك الى طريق واضح يرضاه الله تعالى
والامة في اللغة على وجوه منها الجماعة كما في قوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون وقوله
تعالى قد خلت من قبلكم امم اي جماعات وقرون ومنها اتباع الانبيا صلوات الله عليهم كما
تقول نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم ومنها الامام كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة ومنها
الدين والملة كقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة ومنها الحين والزمان كقوله تعالى وادكر بعد امة
ومنها القامة يقال فلان حسن الامة اي القامة ومنها الرجل المنفرد بدين على حدة قال صلى الله عليه
وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده ومنها الام يقال هذه امة زيد اي ام زيد والامة
بكسر الهمزة النعمة يقال فلان ذو امة اي ذو نعمة واصل هذا الباب من القصد يقال اممت الشي
اذا قصدته واما الكتب المنزلة قبل القران فقد روي ان الله تعالى انزل على شيث عليه السلام
خمسين صحيفة كان يعمل بها هو ومن معه ومن بعده الى زمن ادريس عليه السلام ثم انزل الله تعالى
على ادريس عليه السلام ثلثين صحيفة فكان يعمل بها الى زمن ابرهيم عليه السلام ثم انزل الله
على ابرهيم عليه السلام عشر صحايف فكان يعمل بها الى زمن موسى عليه السلام ثم انزل على
موسى عليه السلام عشر صحايف قبل التورية فكان يعمل بها موسى عليه السلام ومن معه الى غرق فرعون
ثم انزل الله تعالى التورية فكان يعمل بها الى زمان داود عليه السلام ثم انزل الزبور فكان
يعمل بها الى زمن عيسى عليه السلام ثم انزل الانجيل فكان يعمل بها الى بعث محمد
صلى الله عليه وسلم ثم انزل الفرقان ناسخا لما قبله من الكتب وذهب بعض المفسرين الى ان
معنى لما اختلفوا فيه يوم الجمعة فان اول يوم شرعه الله تعالى للعبادة خاصة يوم الجمعة
فقالت اليهود نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو يوم السبت فجعل

عليهم ذلك اليوم وقالت النصارى نريد اليوم الذي بدئ فيه الخلق وهو يوم الاحد فجعل ذلك عليهم كما
قال تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ثم هدانا الله عز وجل ليوم الجمعة ولليهود غد
وللنصارى بعد غد كما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال نحن الاخرون السابقون يوم القيمة بيد ان كل امة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه
من بعدهم وعموم اللفظ في قوله تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه يقتضي
جميع الحق الذي هدى الله تعالى المومنين من الجمعة وغير ذلك فان قيل كيف قال الله تعالى فهدى الله الذين
امنوا لما اختلفوا فيه من الحق وهذا يوجب ان يكونوا كلهم قد ذهبوا عن الحق فكيف يجوز ان يختلفوا في الحق
وكلهم ذاهبون عنه قيل لا يمتنع ان يكونوا مختلفين وهم كلهم ذاهبون عن الحق كما قلنا في غلو كل
واحد من فريقي اليهود والنصارى في امر المسيح عليه السلام وهذه الجماعة ضلوا عن الطريق واختلفوا
في طلب الطريق فسلك كل فريق منهم طريقا على حدة وعدلوا عن الطريق المستقيم فان قيل كيف قال الله تعالى
فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه ولم يقل فهدى الله الذين امنوا للحق قلنا ذكر الفراء
هذا من الكلام المقلوب ومعناه هدى الله الذين امنوا للحق مما اختلفوا فيه وقد يرد في كلام العرب
مثل ذلك كما قال الشاعر كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم ومعناه كما
كان الرجم فريضة الزنا وقال اخر ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين اذا ما تجهره
والعين لا تحلى وانما السراج يحلى عن العين وقيل لما كانت العناية بذكر الاختلاف قدم الاختلاف
ثم عقبه بتفسير ما هداهم اليه قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب معناه اظننتم ايها المومنون
ان تدخلوا الجنة ولم تصبكم صفة الذين مضوا من قبلكم اي لم تبتلوا كما ابتلي الذين من قبلكم مستهم
الباساء اي الشدة وهي القتل والضراء البلاء والفقر والمرض وقيل الباساء نقيض النعماء والضراء نقيض السراء
ومعنى زلزلوا حركوا وخوفوا حتى يقول الرسول والذين امنوا اي اجهدوا حتى قال كل رسول بعث
الى امة متى نصر الله اي متى فتح الله فيقول الله عز وجل الا ان نصر الله قريب يعني الا ان نصر الله لك
ولامتك يا محمد صلى الله عليه وسلم قريب عاجل كما نصرت الرسل قبلك والمثل قد يذكر بمعنى الصفة كما قال
الله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفة الجنة التي وعد المتقون واصل الزلزلة من زلة القدم عن
المكان يقال زلزلته اذا كررت الزلزلة على مكانه وذلك انه لما انضاف المعنى في زلزلة الارض ضوعف
اللفظ كما يقال صر اذا صوت وصرصر اذا اتى بصوت فيه ترجيع واقل اذا رفع وقلقل اذا كرر الرفع
وذهب السدي وقتادة الى ان هذه الاية نزلت بالمدينة يوم الخندق حين اشتدت مخافة المومنين
من العدو ويقال وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى قال فيما تقدم يا ايها الذين امنوا ادخلوا في
السلم كافة ثم قال فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه وكان المسلمون اتكلوا
على مجرد اهتدائهم فبين الله تعالى في هذه الاية انه لا يجوز الاتكال على مجرد الايمان من غير مكابدة
ما قاساه السلف من المومنين كما قال جل ذكره في اية اخرى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا
الاية الى قوله من قبلهم واما القراة في قوله تعالى حتى يقول الرسول من قرا يقول بالنصب فعلى الاصل
لان حتى تنصب ما بعدها من الفعل ومن قرا بالرفع ادخل حتى على جملة ما بعده لا على الفعل خاصة
كانه قال حتى الرسول يقول فلا يظهر عمل حتى قال الشاعر فوا عجبا حتى كليب تسبني
كان اباها نهشل او مجاشع فان قيل كيف يجوز ان يستبطي نبي من الانبيا صلوات الله عليهم
نصر الله تعالى عن الوقت الذي توجب الحكمة النصر فيه فيقول متى نصر الله قيل هذا على معنى التمني

ودعا النصرة لا على اعتقاد تاخر النصر وهذا كما يقول الانسان متى الصيف وان علم ان الصيف كاين لا محالة **قوله عز وجل** يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية جوابا عن سؤال عمرو بن الجموح الانصاري لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة ورغب فيها الناس وذلك قبل نزول الفرايض قال عمرو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتصدق وعلى من نتصدق فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها والله اعلم يسالونك اي شي يتصدقون به قل لهم ما تصدقتم من مال فعلى الوالدين والاقربين بالرحم ويتامى المسلمين عامة ومساكين المسلمين عامة والضيف النازل بكم وما تفعلوا من خير من وجوه البر فان الله به عليم تحصيه ويجازيكم عليه لا يضيع عنده عمل عامل فان قال قايل كيف يطابق في هذه الاية الجواب هذا السوال لان السوال انما وقع عن المنفق والجواب انما وقع في المنفق عليه قيل ان الجواب مطابق لهذا السوال لان قوله تعالى قل ما انفقتم من خير يتناول القليل والكثير لشمول اسم الخير فكان الجواب صدره عن القليل والكثير مع بيان من تصرف اليه النفقة لان السول اذا كان حكيما يعلم ما يحتاج اليه السايل اجاب عن كل ما يحتاج اليه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن ما البحر فقال هو الطهور ماوه الحل ميتته وانما قال ذلك عليه السلام لانه علم انهم لما جهلوا حكم ما البحر فانهم اشد جهلا بحكم ما فيه من الماكول كذلك هولا لما جهلوا المنفق كان جهلهم بالمنفق عليهم اكثر فلهذا ذكر الله تعالى المنفق عليهم مع ذكر المنفق وفي هذه الاية دلالة على ان الصدقة على الاقربين افضل من الصدقه على غيرهم **وقد روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وفي بعض الروايات خير الصدقة ما ابقت غنى وابدا بمن تعول وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة انما تجب على الابعدين اذا فضل عن الاقربين كما قال الله تعالى في اية اخرى بعد هذه الاية وهو قوله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل العفو واختلف اهل العلم رحمهم الله في النفقة المذكورة في هذه الايه هل هي واجبة ام لا قال الحسن رحمه الله المراد بها التطوع على من لا يجوز وضع الزكوة فيه كالوالدين والمولودين ووضع الزكوة فيمن يجوز وضع الزكوة فيه وقال السدي هذه الاية منسوخة باية الزكوة والصحيح ان الاية ثابتة الحكم عامة في الفرض والتطوع لان الاية متى امكن استعمالها لم يجز الحكم بنسخها ويحتمل ان يكون المراد بهذه الاية النفقة على الوالدين والاقربين اذا كانوا محتاجين ويحتمل ان تكون في نفقة الجهاد وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه موقوفا عليه ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دينارا اعطيته في سبيل الله ودينارا اعطيته مسكينا ودينارا اعطيته في رقبة ودينارا انفقته على اهلك فان الدينار الذي انفقته على اهلك اعظمها اجرا **قوله عز وجل** كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال لما كتب الله تعالى الجهاد على المسلمين شق ذلك عليهم وكرهته نفوسهم وثقلته قلوبهم واحب الله تعالى ان يطيب نفوسهم بهذه الاية وقيل في وجه اتصال هذه الايه بما قبلها ان فيما قبلها ذكر التعبد بالنفقة التي تشق على البدن وفي هذه الاية ذكر ما الاشق في التعبد اشق منه وهو القتال ومعنى الاية فرض عليكم القتال وهو شاق عليكم واراد بالكراهة والله تعالى اعلم كراهية الطبع لا عدم الرضى بالامر وهذا كما يكره الانسان الصوم في الصيف من جهة الطبع وهو مع ذلك يحبه ويرضاه من حيث ان الله تعالى امر به واما قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم اي لعلكم تكرهون الجهاد وهو خير لكم لما فيه من نصر دين الله تعالى

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وقمع

وقمع اعدا الله تعالى والفوز بالغنيمة مع عظم المثوبة وادراك محل الشهداء وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم اي لعلكم تحبون القعود عن الجهاد وهو شر لكم تحرمون الفتح والغنيمة والشهادة ويتسلط عليكم العدو والله يعلم ما فيه مصلحتكم وما هو خير لكم في عاقبة اموركم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى ما امرتم به اذ ليس كل ما تشتهون خيرا ولا كل ما تحذرون شرا وفي هذه الاية دليل على فرض القتال كما قال تعالى كتب عليكم الصيام واراد به فرض الصيام ثم لا يخلو القتال المذكور في هذه الاية من ان يرجع الى معهود قد عرفه المخاطبون وهو قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه وتكون هذه الايه تاكيدا لذلك القتال المعهود الذي علم حكمه او يكون القتال في هذه الاية راجعا الى جنس القتال فتكون هذه الايه مجملة مفتقرة الى البيان لان من المعلوم ان الله تعالى لم يامرنا بقتال الناس كلهم فلا يصح اعتقاد العموم فيه فكان بيان هذا المجمل بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر وقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وسنبين في تلك الابات اختلاف اهل العلم رحمهم الله في فرض الجهاد وكيفيته ان شا الله تعالى واما الكره والكره فهو بالنصب القهر وبالضم الشي المكروه وقيل هما لغتان بمعنى واحد كالضعف والضعف وهما مصدران اقيما مقام المفعول كانه قيل وهو مكروه لكم كما يقال فلان رضى اي مرضي وعن ابي عبيدة رحمه الله انه قال جميع ما ورد في القران من كره يصح ان يقرا بالفتح والضم الا في هذا الموضع فانه لا يجوز الا بالضم لاجماع القرا على ذلك **قوله عز وجل** يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاوليك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واوليك اصحاب النار هم فيها خالدون روي عن عبد الله بن عباس في سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابن عمته عبد الله بن جحش الاسدي قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين وهو اميرهم كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا وقال له اذا انزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك به ولا تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله حتى بلغ منزلين ثم نزل ففتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن اتبعك من اصحابك حتى تنزل ببطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تاتينا منهم بخير والسلام فقال عبد الله سمعا وطاعة لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خير اصحابه فانطلق القوم معه حتى اذا كانوا بنجران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما وكانا يعتقبان فاستاذنا في طلبه فاذن لهما ومضى معه بقية اصحابه حتى وصل بطن نخلة بين مكة والطايف فنزل فبيناهم كذلك اذ مرت بهم عمرو بن الحضرمي في عير لقريش في اول يوم من رجب والمومنون يظنون انه اخر يوم من جمادى الاخرى فامر عبد الله ان يحلقوا راس عكاشة ليشرف على المشركين فيظنوا انا عمار فيامنوا نفعل ذلك فامن المشركون وقالوا قوم عمار لا باس عليكم منهم ورمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي فقتله واستاسروا بعض المشركين وهرب بعضهم الى مكة واستاق المسلمون العير فعيرهم المشركون بذلك وقالوا استحل محمد صلى الله عليه وسلم الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف وتنصل فيه الاسنة ووقف النبي صلى الله عليه وسلم في امر الغنيمة فانزل الله تعالى هذه الايه ويقال لما امر الله المسلمين بالقتال ظنوا عموم الامر في جميع شهور السنة من الشهر الحرام وغيرها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرفوا فنزلت هذه الاية والقول الاول اقرب لظاهر القران ومعنى هذه الاية والله تعالى اعلم يسالونك عن قتال في الشهر الحرام لان قوله تعالى قتال فيه بدل الاشتمال عن الشهر الحرام

كما في قوله تعالى اصحاب الاخدود النار ذات الوقود **واما** قوله تعالى قل قتال فيه كبير اى القتال في الشهر
الحرام عظيم الذنب عند الله تعالى ثم استانف الكلام فقال وصد عن سبيل الله اى منع الناس عن الكعبة
ان ياتوها ويطوفوا بها وكفر به اى بالله تعالى ويقال بالحج **واما** قوله تعالى والمسجد الحرام قال بعضهم
معناه وكفر بالمسجد الحرام ان الله تعالى جعل المسجد للمومنين ولعبادتهم اياه فيه فلما جعله الكفار
لاوثانهم ومنعوا المسلمين منه كان ذلك كفرا منهم بالمسجد الحرام **وقال** بعضهم هذا على التقديم
والتاخير كانه قال جل ذكره يسالونك عن الشهر الحرام والمسجد الحرام قتال فيه **ويقال** تقدير الاية وصد
عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفر بالله واخراج اهل المسجد الحرام منه اعظم عقوبة عند الله تعالى
من القتال في الشهر الحرام اى الكفار مع هذه الاجرام اولى بالعيب ممن قتل رجلا من المشركين في الشهر
الحرام ثم قال جل ذكره والفتنة اكبر من القتل اى الشرك بالله اعظم عقوبة واثما من القتال **وذهب**
الفرا رحمه الله الى ان قوله تعالى وصد عن سبيل الله مردود الى قوله تعالى كبير اى القتال في الشهر
الحرام كبير والصد عن سبيل الله تعالى كبير **واما** قوله تعالى ولا يزالون يقاتلونكم اى لا يزال اهل
مكة يقاتلونكم ايها المسلمون حتى يصرفوكم عن دينكم الاسلام الى دينهم الكفر ان قدروا على ذلك ثم
حذر المسلمين ليثبتوا على الاسلام بقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه اى يرجع عن دين الاسلام
فيمت على كفره فاولئك بطلت اعمالهم التي عملوها في الدنيا والتي عملوها للاخرة اى لم يبق لعمل من اعمالهم ثواب
يجازون به في الدارين واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مقيمون دايمون **والصد** والصرف
والمنع نظاير يقال صد يصد صدا اذا صرف غيره عن الشي وصد يصد صدودا اذا اعرض بنفسه
والحبوط ماخوذ من انتفاخ بطن الدابة باكل الكلا يقال حبطت الدابة بكسر البا تحبط حبطا
وحبوطا واسم الدا منه حباط وحبط العمل يحبط حبطا وحبوطا اذا بطل ثوابه **وعن** الحسن حبطت
بفتح البا فيكون غابره يحبط مثل هبط يهبط والاول اجود واعرف لانه بالعلل اشبه واما من قرا
يرتدد بدالين فهو لغة الحجاز اظهروا التضعيف حذارا من التقا الساكنين واما من قرا يرتد منكم عن
دينه كما قال الله تعالى في اية اخرى فهو لغة بني تميم ادغموا الحرفين من جنس واحد وحركوه الى الفتحة
وقوله تعالى فيمت جزم بالنسق ولو كان جوابا لكان رفعا واكثر الامة على ان النهى عن القتال في
الشهر الحرام منسوخ نسخته سورة التوبة قوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر
الاية لانها نزلت بعد حظر القتال بالشهر **فان قيل** اذا كان نفس الارتداد يحبط العمل عندكم حتى
يبطل حجه الذي اداه عن حجة الاسلام فاين فايدته في قوله تعالى فيمت وهو كافر **قيل** انما ذكر الله
تعالى ما وصف في هذه الاية من امر الاخرة لا لامر يرجع الى احباط عمله في الماضي اذ المعلوم من حال المرتد انه اذا عاد
الى الاسلام والتوبة والعمل الصالح ومات على ذلك انه لا يعاقب في الاخرة فلما جمع الله تعالى في هذه الاية بين
احباط عمله فيما يتصل بالدنيا والاخرة حتى يزول ثوابه الى العقاب الدايم كذلك شرط موته على الكفر **وروى**
في التفسير انه لما نزلت هذه الاية قام عبد الله بن جحش واصحابه فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انطمع من ربنا ان تكون لنا هذه غزوة في الجهاد فنزل **قوله عز وجل** ان الذين
امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم
المعنى والله اعلم ان الذين صدقوا وهاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا في محاربة المشركين في طاعة
الله تعالى اهل هذه الصفة يعطون مغفرة الله تعالى وجنته والله غفور لما كان منهم من القتال
والاسر واخذ الغنيمة في الشهر الحرام رحيم بهم حين رفع اثم ذلك عنهم والمهاجرة مفاعلة من الهجر
وهي في هذا الموضع هجران الوطن والعشيرة في رضى الله والهجر نقيض الوصل واطلق اللفظ في الاية
على المفاعلة ويراد ما ذكرناه ونظيره المساعدة لانها ضم الرجل ساعده الى ساعد اخيه للتقوية والمعونة

واما

واما المجاهدة فهي بذل الرجل الجهد من نفسه مع اخوانه ويجوز ان يراد بذلك ان يبذل
الجهد في قتال عدوه وقد يفعل العدو مثل فعله فيصير مفاعلة وانما جمع الله تعالى في اول هذه الاية
بين الخصال الثلاثة لا لانه لا يستحق الثواب على كل واحد منها على الانفراد ولكن للترغيب في جملتها وانما قال
جل ذكره والله تعالى اعلم يرجون رحمة الله لان احدا لا يعلم انه صاير الى ان يبلغ في الطاعة كل مبلغ الا بخبر
الله تعالى او بخبر النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يدري لعله قصر في شي من الواجبات ولا يدري ما الذي يكون
منه وبما بينه وبين موته ولا يعلم احد من المسلمين ما يختم له به ختم الله امورنا بالسعادة والشهادة
قوله عز وجل يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما
اكبر من نفعهما ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم
تتفكرون في الدنيا والاخرة وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن القتال لكراهتهم اياه فبين حكمه ثم سالوه عن الخمر والميسر لحبهم اياهما وكراهتهم مفارقتهما
رجا انه ربما يرخص لهم فيهما فقال جل ذكره قل فيهما اثم كبير **وعن** عبد الله بن عباس انه قال كان
المسلمون يشربون الخمر في بدء الاسلام وهي لهم حلال وكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي
في اليوم والليلة وقت الصلوة الا من كان سكران فلا يحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة تعظيما
للجماعة وتوقيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان عمر رضي الله عنه يجي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقول بين لنا امر الخمر فانها مهلكة للمال مذهبة للعقل فانزلت هذه الاية يسالونك عن الخمر والميسر الاية
واما الميسر فقد كان جماعة من العرب يجتمعون فيشترون جزورا ثم يجعلون لكل رجل منهم سهما ثم
يقترعون عليها فمن خرج سهمه برى من ثمنها واخذ نصيبه من الجزور وبقي اخرهم عليه ثمن الجزور كله
ولا يذوق من لحمها شيا يقتسم اصحابه نصيبه وربما كانوا يتصدقون بذلك على الفقرا وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيل عن ذلك ايضا **قال** ابن عباس رضي الله عنهما فلما نزلت هذه الاية تركها بعض الناس وقالوا
لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ولم يتركها بعضهم قالوا ناخذ منفعتها ونترك اثمها وكانوا على ذلك حتى
اصاب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمرا فانتشى منها وحضرت الصلوة فقام يصلي
المغرب باصحابه فقرا قل يا ايها الكافرون على غير الوجه الذي انزل فقال اعبد ما تعبدون وانتم عابدون
ما اعبد فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فكانوا يشربونها قبل وقت الصلوة
ويجتنبونها وقت الصلوة وكانوا ينشدون الاشعار في شربها ويفتخرون فقال عمر والله ان الله تعالى
ليقرب في الخمر امرا لم يبين لنا ثم دعا فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل يا ايها الذين امنوا انما
الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الى قوله فهل انتم منتهون قال عمر انتهينا يا رب فامر النبي صلى الله
عليه وسلم بان اقتدا الخمور حتى امر بكسر الدنان تغليظا وتشديدا **ومعنى** الاية والله اعلم يسالونك يا محمد
صلى الله عليه وسلم عن الخمر والميسر قل فيهما اثم عظيم لان الخمر توقع العداوة والبغضا وتحول بين الانسان وبين
عقله الذي يعرف به ما يجب عليه لخالقه والقمار يورث العداوة فان المقمور اذا راى غيره قد فاز بماله
من دون منفعة رجعت اليه ابغضه وعاداه **واما** قوله تعالى ومنافع للناس فالمنفعة في الخمر
اللذة في شربها والتجارة فيها قبل التحريم والمنفعة في الميسر مصير الشي الى الانسان من غير كد
ولا تعب **واما** قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما لان الاثم الذي فيهما اعظم في المضرة
من نفعهما وقوله تعالى ويسالونك ماذا ينفقون اي اي شي يتصدقون به قل العفو اي
الفضل وما يسهل عليكم انفاقه وهذا نزل جوابا عن قول عمرو بن الجموح بماذا نتصدق وفي الاية
المتقدمة جواب عن قوله على من نتصدق وكان الرجل بعد نزول هذه الاية ان كان من اهل
الزرع والنخل نظر الى ما يكفيه وعياله سنة ثم تصدق بسايره وان كان من اهل التجارة امسك راس

ماله ومن الورع ما يتقوت به ويحتاج اليه ويتصدق بالفضل وان كان ممن يعمل بيده امسك ما يكفيه
وعياله يومه ذلك وتصدق بسايره وكانوا على ذلك الى ان فرضت الزكوة مقدرة معلومة **وقال**
بعضهم اراد بالفضل مال الزكوة كما قال صلى الله عليه وسلم لا صدقة الا عن ظهر غنى فتكون هذه الاية
مجملة بيانها بساير الاخبار الواردة فى نصب الزكوة ومن قرا بالنصب فعلى تقدير انفقوا العفو وقراءة الرفع
على معنى قل هو العفو **واما** قوله تعالى كذلك يبين الله لكم الايات اى مثل هذا البيان يبين
الله لكم اوامره ونواهيه ودلايله فى الدين لعلكم تتفكرون فى امر الدنيا انها دار فنا وبلا لا يبقى منها
الا العمل الصالح وفى امر الاخرة فانها دار جزا وبقا لا ينفع فيها الا سابق تقوى الله تعالى **وقد روى**
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة **واختلف** المسلمون
فى معنى الخمر قال بعضهم انه كل ما خامر العقل مسته النار او لم تمسه من قولهم خمرت الانا اذا غطيته
واختمرت المراة اذا لبست الخمار والخمر ما وارك من الشجر **وذهب** الجمهور الاعظم من الفقها
ان اسم الخمر فى الحقيقة يتناول النى المشتد من ما العنب وغاية الاشتداد ان يقذف بالزبد على
قول ابى حنيفة رحمه الله وقال صاحباه اذا اشتد صار خمرا قذف بالزبد او لم يقذف والدليل على ان
اسم الخمر مخصوص بالنى المشتد من ما العنب دون غيره وان غيره ان سمى بهذا الاسم فهو محمول
عليه ومشبه به على وجه المجاز لما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال اتى النبى صلى الله
عليه وسلم بنشوان فقال له اشربت خمرا فقال والله ما شربتها منذ حرمها الله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم قال فماذا شربت قال الخليطين قال فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخليطين والاستدلال من الخبر ان الشارب نفى اسم الخمر عن الخليطين بحضرة النبى صلى الله عليه
وسلم فلم ينكره عليه ولو كان ذلك يسمى خمرا من جهة لغة او شرع لما اقره عليه فاذا كان الخليطان لا
يسميان خمرا مع وجود قوة الاسكار فيهما علم ان اسم الخمر مقصور على ما وصفناه ويدل عليه ما روى
ان عليا كرم الله وجهه لما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع عن الاشربة فقال صلى الله
عليه وسلم حرمت الخمرة بعينها ويروى لعينها والسكر من كل شراب **واما** ما روى عن ابى
هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخمرة من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة
يحتمل ان المراد به احدهما كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وقوله تعالى يا معشر
الجن والانس الم ياتكم رسل منكم لكن لما كان ظاهر الاضافة اليهما يقتضى ان الخمر منهما
ولم يكن جميع ما يخرج منهما من العصير والدبس والخل ونحو ذلك خمرا بالاتفاق علم ان المراد
بالخبر تحريم بعض الخارج من هاتين الشجرتين وذلك البعض غير مذكور فى الخبر وحمل اصحابنا على ان
ما يشتد من الخارج من هاتين الشجرتين على حد الابتدا قيل ان مسته النار حرام قليله وكثيره استدلالا
بكلمة من من الخبر لانه يكون للابتدا فى اللغة ولم يجعلوا الخارج من النخل خمرا يتعلق بقليله وكثيره
الحد وان كان على حد الابتدا يدل على ذلك ان اسم الخمر لو كان حقيقة فى كل ما خامر العقل
لما انتفى هذا الاسم عن ساير الاشربة المسكرة بحال لان اسما الحقايق لا تنتفى عن مسمياتها بحال الا ترى
ان الارادة فى قول الله تعالى يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لما كانت حقيقة
لم يجز نفيها عنه بحال ولما كانت الارادة فى قوله تعالى فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
على سبيل التوسع والاستعارة جاز نفى الارادة عن الجدار وكذلك قال الله تعالى انى ارانى
اعصر خمرا واراد به الخمر العنب **وقد** وضعت العرب لكل شراب سوى الخمر اسما على حدة
وخصت النى المشتد من عصير العنب باسم الخمر وقد يجوز ان يسمى عصير العنب خمرا لمخامرته
العقل ثم لا يكون كل ما خامر العقل خمرا كما ان الحايط اسم للجدار بمعنى الاحاطة ثم لا

يسمى كل محيط بشى حايطا وكذا النبيذ يسمى نبيذا لما ينبذ فيه من الزبيب ثم لا يسمى كل منبوذ فيه
نبيذا **وذهب** بعض المفسرين الى ان فى هذه الاية دليل تحريم الخمر قطعا لان الله تعالى سماه
اثما والاثم كله محرم قال الله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى
فاخبر ان الاثم محرم ولم يقتصر فى هذه الايه على الاخبار بان فيهما اثما حتى وصفهما الله تعالى
بانه كبير تاكيدا لحظرهما **فان قال قايل** قوله تعالى ومنافع للناس دلالة على اباحتهما **قيل**
له يحتمل ان المراد بذلك منافع الدنيا وفى ساير المحرمات منافع لمرتكبيها فى دنياهم الا ان تلك المنافع
لا تفى بضررها من العقاب فذكره لمنافعها غير دال على اباحتها لا سيما وقد اكد حظرها مع ذكر منافعها
فى سياق الاية بقوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما **فان قيل** ليس فى قوله تعالى اثم كبير
دلالة تحريم القليل منها لان مراد الاية ما يلحق من الماثم بالسكر وترك الصلوة والمراقبة والقتال
واذا حصل الماثم بهذه الامور فقد وفينا ظاهر الاية مقتضاها من التحريم ولا دلالة فيه على تحريم
القليل منها **قيل** له معلوم ان فى مضمون قوله تعالى فيهما اثم كبير ضمير شربهما بان جميع الخمر هو
فعل الله تعالى ولا ماثم فيها وانما الماثم مستحق بافعالنا فيها فكان تقدير الايه فعل شربها وفعل
الميسر اثم كبير يتناول ذلك شرب القليل والكثير منها كما لو قيل حرمت الخمر كان معقولا ان المراد
به شربها والانتفاع بها **فان قيل** فان دلت الاية على تحريم الخمر ما ذكرتم فلم ما ذا لم يقنعوا به
حتى نزلت اية تحريم الصلوة مع السكر ثم اية المايدة وهم ارباب اللغة لا يجوز ان يخفى عليهم
ما ذكرتم حتى سال عمر رضى الله عنه بيانها بعد نزول هذه الاية **قلنا** جايز ان يكون بعضهم
يتاول فى قول الله تعالى ومنافع للناس جواز استباحة منافعها وان الاثم مقصور على بعض الاحوال
دون بعض وطلب كبار الصحابة رضى الله عنهم نزول ما هو اكد فى التحريم من هذه الايه لما علموا او
ظنوا ان فى ذلك صلاحا كما التمس ابرهيم عليه السلام مشاهدة احيا الموتى ليزداد سكونا وطمانينة **واما
الميسر** فهو مفعل من يسر ييسر يسرا وميسرا والياسر المقامر والميسر القمار وقد يذكر
الميسر بمعنى التجزية ايضا يقال يسر اذا جزا الجازر وكلما جزاته فقد يسرته وقيل ان الميسر
الجزور نفسه اذا اجزى وكانوا يتخذون جزورها ويجعلونه اقساما يتقامرون فى السبق فى
الدواب والابل والنصال اذا كان الذى يستحق واحدا ان سبق ولا يستحق الاخر ان سبق وليس
هو من القمار فى شى وانما ذلك لرياضة الخيل والاستعداد للعدو كما قال الله تعالى واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة ومن رباط الخيل **وعن** النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان القوة الرمى
لهو المومن فى الخلا وقوته عند اللقا **وقد روى** ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا سبق الا فى ذى خف او حافر او نصل **وعن** ابن عمر رضى الله عنهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سابق بين الخيل واما اذا شرط فى الرهان ان من سبق منهما
اخذ ومن لم يسبق اعطى فهما كان هذا باطل فان ادخلا بينهما رجلا ان سبق لم يستحق
وان سبق لم يعط فهذا جايز وهذا الدخيل الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم محللا **وعن**
ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم من ادخل فرسا بين فرسين يامن ان يسبق فهو قمار ومن
ادخل فرسا بين فرسين لا يامن ان يسبق فليس بقمار وما ذكر الله تعالى من تحريم الميسر فى هذه
الايه يقتضى تحريم القرعة فى العبيد يعتقهم المريض ثم يموت ولا يخرجون من الثلث لما فى هذه من
القمار باخفاق بعض والنجاح بعض وهذا هو القمار بعينه وليست القرعة فى القسمة كذلك
لان كل واحد يستوفى نصيبه لا يخفق لاحد منهم **قوله عز وجل** ويسالونك عن
اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح

وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ روى عن عبد الله بن عباس انه قال لما انزل الله
تعالى قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اشفق المسلمون من مخالطتهم وكان كل من كان في حجره
يتيم جعل لليتيم بيتا وطعاما وخادما على حدة وكانوا لا يخالطون اليتامى في شيء فشق ذلك عليهم فجاء
عبد الله بن رواحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى انزل في امر اليتامى ما انزل من الشدة
افيصلح لنا يا رسول الله ان نخالطهم نستعير منهم الخادم والدابة ونشرب من لبن شاتهم ولا نؤنهم
الا غدا ناعليهم من مالنا بافضل منه فانزل الله تعالى قوله ويسالونك عن اليتامى اى عن مخالطة اليتامى
قل اصلاح لهم اى لاصلاح لاموالهم خير الاشيا اذ هو خير من الانفاق الذى هو مسوغ عليه في ذلك وقوله
تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم حث على تحري الاصلاح في حالة الاختلاط وغير ذلك يقول ان شاركتموهم وخلطتم
اموالكم باموالهم فهم اخوانكم في الدين والله يعلم المفسد من المصلح يقول يعلم من يكون غرضه بالمخالطة
اصلاح امر اليتامى ومن يكون غرضه افساد امرهم ولو شاء الله لاعنتكم اى احرجكم واثمكم في مخالطتهم
وكلفكم ما يشتد عليكم مثل النهي عن المخالطة وايجاب التصرف لطلب الارباح لهم اصله من عنت البعير
يعنت عنتا اذا احدث في رجله كسر ويقال اكمة عنوت اذا كان لا يمكن مجاوزتها الا بمشقة وقال
ابو عبيدة معناه لاهلككم ومعنى ان الله عزيز حكيم اى منيع غالب لا يمانع فيما يفعل من المسائل
والمشاق ذو حكمة فيما امركم به في امر اليتامى وغير ذلك واتصلت هذه الاية بما قبلها من جهة ابة
اخرى فيها تقدم ذكر النفقة وفي هذه الاية ذكر انفاق الوصي من مال اليتيم ومخالطته ۞ واسم
اليتيم اذا اطلق انصرف الى الصغير الذى لا اب له لان العرب تسمي المنفرد يتيما قال الشاعر
ان القبور تنكح الايامى ۞ النسوة الارامل اليتامى ۞ ويقولون الدرة اليتيمة يريدون بذلك
انها منفردة لا نظير لها ۞ وفي الاية ضروب من الاحكام منها ان قوله قل اصلاح لهم خير
يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم في مقدار ما يغلب على ظنه في مال اليتيم انه ياكله بقدر
طعامه وطعام نفسه بغالب الظن ۞ ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشرا وجواز دفعه مضاربة
اذا كان ذلك صلاحا ويدل على ان لولي اليتيم ان يعاقد نفسه في ماله اذا كان فيه خير ظاهر
لليتيم على ما قاله ابو حنيفه رحمه الله ويدل على ان للوصي ايضا ان يواجر الصبي ممن يعلمه الصناعات
والتجارات او يستاجر من يعلمه ما فيه صلاح من امر الدين والادب لان كل ذلك من الاصلاح
ويدل على جواز الاجتهاد في الحوادث لان الاصلاح لا يعلم الا بالاجتهاد وفي قوله تعالى وان
تخالطوهم فاخوانكم دليل على ان للولي ان يزوج اليتيم ابنته او يزوج اليتيمة بعض ولده او يتزوج
اليتيمة لنفسه فيكون قد خلط اليتيم بنفسه وعياله واختلطوا ايضا به يقال فلان خليط فلان
اذا كان شريكا له في المال ويقال قد اختلط فلان بفلان اذا صاهره وهذه كلمة ماخوذة من الخلطة
التي هي الاشتراك في الحقوق من غير تمييز بعضهم عن بعض ولا يكون التزويج الا للولي الذي
يكون ذا نسب من اليتيم لان الوصاية لا تستحق بها الولاية في التزويج وفي قوله تعالى فاخوانكم بيان
ان اطفال المومنين مومنون كما قال تعالى انما المومنون اخوة قوله عز وجل وَلَا
تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا
الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ
إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
روى عن عبد الله بن عباس ومقاتل انهما قالا نزلت هذه الاية في مرثد بن ابي مرثد الغنوى
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج من بها من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به

امراة

اموالنا

كما

75

امراة يقال لها عناق كانت خليلة له في الجاهلية فاتته وقالت له ويحك يا مرثد الا تخلو فقال لها
ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك ولكن ان شئت اذا رجعت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم استامرته ان اتزوجك فقالت ابي تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم
خلوا سبيله فلما انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الذي كان من امره وامر عناق قال
ايحل لي ان اتزوجها فنزلت هذه الايه ومعناها والله اعلم لا تتزوجوا المشركات حتى يصدقن بتوحيد
الله تعالى وقوله ولامة مومنة اى نكاح امة مومنة خير من نكاح حرة مشركة وان اعجبتكم
الحرة المشركة لحسنها وجمالها وقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا اى لا تزوجوهم مسلمة حتى
يصدقوا بالله تعالى ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم الحر المشرك اولئك يعني المشركين والمشركات
يدعون الى عمل اهل النار والله تعالى يدعو الى اسباب الوصول الى الجنة والمغفرة من مخالطة المومنين وغير
ذلك باذنه اى بامره وعلمه الذى علمناه وبينه لكم الهمناه ويبين اياته للناس امره ونهيه
في التزويج وغيره لعلهم يتذكرون يتعظون ويرغبون في اهل الديانة والامانة وانما اتصلت هذه الاية بما
قبلها لانهم كانوا في ابتدا الاسلام يتزوجون من اليتامى وغيرهم عشرا ويتخبطون في اموال اليتامى فحظر الله
تعالى عليهم ذلك في سورة النسا بقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النسا مثنى
وثلاث ورباع والظاهر ان اسم المشركات يتناول الوثنيات قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم وقال عز من قايل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
فرق بينهما في اللفظ وظاهر العطف يقتضي ان المعطوف غير المعطوف عليه فعلى هذا لا يكون تزوج
المومنين بالكتابيات داخلا في هذه الاية لكن استفيد جوازه لهم بقوله تعالى في سورة المايدة والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وعن عبد الله بن عباس والحسن ومجاهد والربيع ان هذه الاية عامة
في جميع الكافرات الكتابيات منهن وغير الكتابيات ثم نسخ منها الكتابيات باية المايدة وروي عن
ابن عمر انه كان اذا سئل عن نكاح اليهودية والنصرانية قال ان الله تعالى حرم المشركات على المومنين ولا
اعلم شيا من الشرك اكبر من ان تقول ربها عيسى عليه السلام او عبد من عباد الله وكان الزجاج يقول
كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم من القران من عند
غير الله والقران انما هو من الله عجز المخلوقون عن اتيان مثله فمن زعم فيما لا ياتي به الا الله تعالى انه
من عند غير الله تعالى فقد اشرك به غيره والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم يعدل في الجرم والاثم
الاشراك بالله تعالى لان المعلوم من حال المسلمين انهم يصفون من لا يثبت الهاً مشركا بالله ومن
شك في لا اله او جوز الها ثانيا مشركا وقال قتادة وسعيد بن جبير رضي الله عنهما ان الكتابيات
مخصوصات من هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى انه قرا هذه الايه ثم
قال استثنى الله تعالى اهل الكتاب بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب فاخبر ان قوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات يترتب عليه قوله والمحصنات وان الكتابيات مستثنيات من المشركات فان قيل في الاية نهي
عن نكاح المشركات بسبب وهو دعا اهل الشرك الى النار وهذه العلة تعم جميع الكتابيات وغيرهن فكيف
ابيح للمسلمين نكاح الكتابيات والعلة قايمة قيل يحتمل ان يكون قوله تعالى اولئك يدعون
الى النار راجعا الى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين لا الى قوله ولا تنكحوا المشركات لان اولئك كتابية عن
الرجال دون النسا ولا يجوز تزويج المسلمة من مشرك ولا كتابي وجواب اخر ان ما جرى مجرى العلل الشرعي
يجوز تخصيصه كما يجوز تخصيص الاسامي قال الله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ۞ ومعلوم ان هذه العلة لا يجب اجراوها في جميع معلولاتها وان الشيطان
قد يوقع العداوة في البياعات والمناكحات والمداينات فلما كانت هذه العلة مقصورة على المذكور دون غيره

وحله المسلمين

تاكيد حكم المذكور كذلك كان حكم ساير العلل الشرعية المنصوص عليها وفي الاية دلالة على جواز
نكاح الامة المومنة لمن يجد الطول الى تزويج الحرة لان الله تعالى امر المومنين بتزوج الامة المومنة
بدلا عن الحرة المشركة التي تعجبهم وواجد الطول الى الحرة المشركة واجد الى الحرة المسلمة اذ لا فرق بينهم
في العادة في المهور فيجب حمل قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا على حسن الاختيار دون التحريم

قوله عز وجل ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النسا في المحيض ولا تقربوهن
حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداحة اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نصنع بالنسا اذا حضن نقربهن او لا نقربهن فنزلت هذه
الاية فلما نزلت عمد المسلمون الى النسا الحيض فاخرجوهن من البيوت كما كانت الاعاجم تفعل بنسايهم
اذا حضن واذا فرغن من حيضهن واغتسلن ردوهن الى البيوت فقدم اناس من الاعراب الى المدينة
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزل الحيض عنهم وقالوا يا رسول الله البرد شديد وقد عزلنا
النسا فان اثرناهن بالثياب هلك ساير اهل البيت بردا وان اثرنا اهل البيت هلكت النسا الحيض وليس كلنا
يجد سعة فنوسع عليهم جميعا فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن في الفرج اذا
حضن ولم تومروا ان تخرجوهن من البيوت وقرا عليهم الاية ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه
جرى فيما تقدم حديث نكاح من تحرم ومن تحل فبين الله تعالى بعدها حال التحليل والتحريم بهذه الاية
ومعناها والله اعلم يسالونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن الحيض قل هو اذى اي الدم مستقذر نجس
وقوله تعالى فاعتزلوا النسا في المحيض اي اعتزلوا مجامعتهن وهن حيض ولا تجامعوهن حتى
ينقطع عنهن الدم قاله عبد الله بن عباس وقتادة والربيع وقيل معناه فاتوهن من قبل النكاح والجهات
التي يحل بها ان تقرب المراة في الشريعة وقال مجاهد كانوا على استجازة اتيانهن في الادبار في ايام
الحيض فانزل الله تعالى هذه الاية وحرم بها ما كانوا يفعلونه **روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اتيان النسا في اعجازهن حرام وعن عبد الله بن مسعود انه قال محاش النسا حرام
ويدل عليه ان الله تعالى حرم الجماع في الفرج في حالة الحيض للاذى والادبار لا تفارقه في ذلك
فتجب مجانبة الامرين وقوله تعالى ان الله يحب التوابين اي يرضى عن عمل التوابين من الذنوب
ومن اتيان النسا في الحيض ويحب المتطهرين من الاحداث والانجاس ويقال من الذنوب والمحيض
مصدر يقال حاضت المراة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا كل ذلك مصدر كما يقال ما في بني فلان
مكيل ومكال اي كيل وفي قوله قل هو اذى دليل ان المراد بالحيض نفس الدم وفي هذا جواب اليهود
فانهم كانوا يجتنبون مواكلة النسا ومشاربتهن ومجالستهن في حال الحيض واراد المسلمون ان يفعلوا
حكمه في الاسلام فاجابهم الله تعالى بهذه الاية في وصف الحيض بالاذى لبيان لزوم اجتناب
مجامعتهن في حال الحيض لانهم كانوا قبل ذلك عالمين بلزوم اجتناب النجاسات والقاذورات
فاطلق عليه لفظا عقلوا منه الامر بتجنبه والدليل على ان اسم الاذى يقع على النجاسات قول النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اصاب نعل احدكم اذى فليمسحها بالارض وليصل فيها وقد يجوز ان يطلق
اسم المحيض على موضع الحيض كالمبيت والمقيل وعلى هذا قال محمد بن الحسن تجتنب الرجل في حال
حيض امراته شعار الدم وله ما سوى ذلك ٥ **واما ابو حنيفة وابو يوسف**
فالا يستمتع بها ما فوق الازار وكرها ما تحت الازار على ما ورد به الحديث عن عايشة وميمونة
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يباشر نساءه وهن حيض فوق الازار وقد
يطلق لفظ الفعل ويراد به ظرف الزمان كالمنتج والمولد فاذا ساغ تقدير الوجوه الثلثة في اسم المحيض حمل

فاذا اغتسلن فجامعوهن من حيث امركم الله بتجنبه في الحيض وهو الفرج

وقيل معناه يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من اتيان العيوب وقيل التوابين من المعصية والمتطهرين من ان لا يعودوا

حمل على الجمع والحيض اسم لمقدار من الدم يتعلق به احكام منها منع الصلوة والصوم وحظر الجماع والقضا
العدة واجتناب دخول المسجد ومس المصحف وقراءة القران وتصير به الصبية بالغة اذا دانت في اوان الحيض
واقل ذلك ثلثة ايام وما دون الثلث مختلف في كونه حيضا عند اهل العلم رحمهم الله تعالى واما اكثره
عشرة ايام عند اصحابنا رحمهم الله وعند الشافعي اقله يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما وقد
روي عن عدي بن ثابت عن ابيه عن جده رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال المستحاضة تدع الصلوة ايام حيضها ثم تغتسل وتتوضا لكل صلوة ٥ وفي بعض الروايات
تدع الصلوة ايام اقرائها واسم الايام المطلقة يتناول الثلث الى العشرة ويقال فيما زاد على العشرة
احد عشر يوما وقد روى ابو امامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال اقل الحيض في البكر والثيب ثلثة ايام واكثره عشرة وقد اختلف اهل العلم في اقل الطهر ايضا
ذهب عامة الفقها الى ان اقله خمسة عشر يوما ولا غاية لاكثره وكان مالك رحمه الله لا يوقت
لقليل الحيض ولا لاكثره وظاهر قوله تعالى حتى يطهرن فاذا تطهرن يقتضي ان انقطاع
الدم والاغتسال كلاهما شرط لجواز القربان وهذا كما يقال لا تكلم الامير حتى يجلس فاذا
طاب نفسا فكلمه معناه لا تكلمه حتى يجلس ويطيب نفسا فاذا جلس وطاب كلمه وعند اصحابنا
رحمهم الله محمول على الاعم الاغلب لان الاعم في النسا انه ينقطع حيضهن دون العشرة فاما اذا انقطع
على راس العشرة فقد تيقن بانقطاع دم الحيض من جميع الوجوه اذ الدم اذا عاودها بعد العشر لم
يكن حيضا وانما بقي وجوب الاغتسال عليها وذلك لا يمنع الوطي كوجوب الاغتسال بحكم الجنابة وذهب
بعض المفسرين الى ان المراد بقوله تعالى حتى يطهرن وبقوله تعالى فاذا تطهرن انقطاع الدم
يقال طهرت المراة واطهرت وتطهرت اذا انقطع دمها يدل على هذا انها لو اغتسلت وهي حايض لم تطهر
فاذا كان لفظ التطهر يحتمل انقطاع الدم ويحتمل الاغتسال حمل على الطهر الذي لا يحتمل الا وجها واحدا
وكان قوله تعالى فاذا تطهرن تاكيد الحكم المذكور قبله وهذا كما يقال لا تعط فلانا حتى يدخل الدار فاذا
دخلها فاعطه الا ان الاجماع قد انعقد فيما اذا انقطع دمها دون العشر فانه لا يحل للزوج ان يقربها
حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة ويجوز ان يجمع بين القراءتين في قوله تعالى حتى يطهرن
فتحمل قراءة التخفيف على ما اذا انقطع دمها على راس العشرة وقراءة التثقيل حتى يطّهرن على ما اذا
انقطع الدم دون العشرة والله تعالى اعلم ٥

قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين

قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود تقول انا نجد في التورية ان كل اتيان يوتى النسا غير
مستلقيات فانه دنس عند الله تعالى ومنه يكون الحول والخبل يعنون حول الولد فاكذبهم
الله تعالى بهذه الاية والمعنى والله تعالى اعلم نساؤكم محرث لكم اي مزدرع للولد وعن
الزجاج انه قال نساؤكم ذوات حرث لكم فبين كيف تحرثون للولد واللذة قال ابو عبيدة سميت
المراة حرثا على وجه الكناية فانها للولد كالارض للزرع وقوله تعالى فاتوا حرثكم اي موضع
حرثكم انى شئتم كيف شئتم مستلقيات ومستدبرات بعد ان يكون في صمام واحد وهو
الفرج ومعنى وقدموا لانفسكم اي قدموا من العمل الصالح لاخرتكم وقيل اراد التسمية عند
الجماع وقيل هي النية الصالحة عند ذلك اي ربما قضى الله تعالى لي ولدا يعبده ٥ وقوله تعالى
واتقوا الله اي اخشوه ولا تقربوهن في حال الحيض ولا على وجه لا يحل ٥ واعلموا انكم ملاقوه
يوم القيمة فيجازيكم باعمالكم ٥ وبشر المؤمنين اي المصدقين بالبعث والثواب بالجنة ٥ ومن الناس من
تعلق في جواز اتيان المراة في غير قبلها بقوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم

والمزدرع كمثعبة الشيء المزروع والمسكبيت بالنبت في الارض المستعملة ثابتا زرعها ايام الحصاد قاموس

وهذا لا يصح لان قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم يقتضي اباحة اتيان المرأة في موضع الحرث
وهو الفرج فان الولد انما يكون من اتيان المرأة في قبلها والقول بجواز اتيان المرأة في خلفها يحكى
عن مالك رحمه الله واصحابه ينفون عنه هذه المقالة لقبحها وشناعتها **وقد روي**
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اتى حائضا او امرأة في دبرها او اتى
كاهنا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم **وعن** ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى رجل اتى رجلا او امرأة في دبرها **واما**
ما يروى عن نافع عن ابن عمر في اباحة اتيان الرجل امرأته في خلفها فلم يصحح العلماء رواية نافع لانه
روي ان نافعا روى ذلك في اخر عمره عن ابن عمر انه قال هي اللواطة الصغرى **قوله عز
وجل** ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع
عليم قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه
حلف ان لا يدخل على ختنه بشير بن النعمان الانصاري ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه وجعل يقول
حلفت بالله ان لا افعل ولا يحل لي الا ان ابر في يميني فنزلت هذه الاية فدعاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقرا عليه الاية وقال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي
هو خير افعلوا الخير ودعوا الشر فكفر ابن رواحة يمينه ورجع الى الذي هو خير ومعنى الاية لا
تجعلوا الله علة لايمانكم وهو ان يجعل الرجل اليمين معترضا بينه وبين ما هو مندوب اليه او مأمور
به من البر والتقوى والاصلاح بفعل ذلك للامتناع من الخير لان المعترض بين الشيئين يمنع وصول
احدهما الى الاخر ومعنى ان تبروا وتتقوا اي لا تبروا ولا تتقوا القطيعة ولا تصلحوا بين المتشاجرين وفي هذا
كما قال امرؤ القيس ۞ فقلت يمين الله ابرح قاعدا ۞ ولو قطعوا راسي لديك واوصالي ۞
اراد بذلك لا ابرح ويقول الرجل والله اقوم فيكون معناه لا اقوم واذا اراد اثبات القيام قال
والله لاقومن **وكان** ابو العباس القداح رحمه الله ينكر اضمار حرف النفي في هذه الاية ويقول
هذا انما يكون في تصحيح اليمين فاما في مثل هذا الموضع فلا يجوز حذف حرف النفي قال والصواب ان
معناه تاركي ان تبروا ويقال كراهة ان تبروا فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ونظير هذه الاية
قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم لا تعترضوا باليمين بالله في كل حق وباطل وهو نهي عن كثرة الحلف
لما في ذلك من الجراة على الله عز وجل والابتذال لاسمه في كل حق وباطل يقال هذه عرضة لك اي عدة لك
تبتذله فيما تشاء ويقول القائل قد جعلتني عرضة لقومك **قال الشاعر** ولا تجعلني عرضة للوائم
وقد ذم الله تعالى مكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين ومعنى ان تبروا على هذا التاويل
الاثبات اي لا تحلفوا في كل شيء لان تبروا اذا حلفتم وتتقوا المأثم فيها **وعن** ابي عبيدة ان معناه
ان لا تبروا اذا حلفتم وتتقوا المأثم فان من كثر حلفه قل بره في اليمين ويجوز ان يكون قوله تعالى ان تبروا
ابتدا خبره محذوف تقديره ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس اولى لكن حذف الاولى لان في الكلام
دليلا عليه فعلى هذا يكون موضع ان تبروا رفعا وعلى التاويل الذي تقدم يكون نصبا لان معناه
لان تبروا وموضعه نصب انتصب لنزع حرف الخافض ويجوز ان يكون موضعه خفضا لانك تقول
جئتك لان تضرب زيدا او جئتك ان تضرب زيدا ومعناه جئتك لضرب زيد ومعنى والله سميع عليم سميع
لايمانكم عليم بما تقصدون بها عند الحلف واذا احتملت الاية النهي عن كثرة الحلف والنهي عن جعل
اليمين علة مانعة من البر والتقى ولا تضاد بين المعنيين وجب حمل الاية عليهما جميعا **قوله
عز وجل** لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
والله غفور حليم قال ابن عباس في تفسير الاية معنى يمين اللغو ان يحلف الرجل بالله في الشيء يرى انه

ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين الاية وذهب بعض المفسرين الى ان معنى قوله تعالى

كذلك

كذلك وليس كذلك قال ومعنى قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم بما تعمدتم الكذب وهو ان
يحلف على شيء يعلم انه ليس كذلك **ومعنى** والله غفور اي لمن تاب من اليمين الغموس حليم عن
الحالف اذ لم يعجل عليه بالعقوبة **وعن** عائشة رضي الله عنها ان يمين اللغو هو ما يجري في خلال
الكلام لا والله وبلى والله مما لا يعقد عليه قلبه **وعن** عطاء رحمه الله عنها انها قالت هو قول الرجل
فعلنا والله كذا وصنعنا والله كذا وهو يظن انه كذلك **وعن** طاوس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما
انهما قالا في يمين اللغو انها يمين الغضبان الا ان سعيدا قال اذا حنث في يمينه تلك كفر **وعن** زيد بن اسلم
ان اللغو هو اليمين التي الحنث فيها خير من البر لا يؤاخذ الله تعالى بالاثم اذا كفر ولكن يؤاخذ الحالف
بعزمه على ان لا يبر ولا يتقي واعتلاله في ذلك بالحلف قال ومعنى والله غفور اي عفو لمن حنث وكفر
يمينه حليم حين رخص لكم في الحنث ولم يعاقبكم على اليمين على ترك البر والتقى **وقد ذهب**
اصحابنا رحمهم الله في تفسير اللغو الى انه يكون على الماضي فاما اذا جرى على لسانه كلمة اليمين على
امر في المستقبل انعقدت يمينه عليه وان لم يقصد لزمته الكفارة فيها بالحنث بقوله تعالى في اية اخرى
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين الاية اذ ليس في تلك الاية تعليق الكفارة
بكسب القلب لانه يستوي حال القاصد فيها للخير والشر وبينا وي حكم العمد والسهو ولو لم يفسر اللغو
بهذا التفسير الذي ذكرناه لكان في ذلك حمل الايتين على الاعادة والتكرار وفي قوله تعالى ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم دليل ان المراد بيمين اللغو يمين الظان لانه انما يقابل بالمتعمد الخاطئ فقد كان المراد
بقوله تعالى بما كسبت قلوبكم ما عقد قلبه عليه من الكذب والزور فيؤاخذ بها في الاخرة والله تعالى
اعلم **واللغو** في اللغة هو الكلام الساقط الذي لا فائدة فيه ولا حكم له يقال الغيت الشيء اذا
طرحته وقد يذكر اللغو ويراد به الكلام الفاحش القبيح كما قال الله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه
وقال جل ذكره واذا مروا باللغو مروا كراما الا ان الله تعالى لما قابل اللغو في هذه الاية باليمين التي
يؤاخذنا بها بكسب القلب علم ان المراد باللغو ما لا يقصد به الكذب **قوله عز وجل**
للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم روي
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان العرب في الجاهلية كان الرجل يكره امراته ويكره ان
يتزوجها غيره فيحلف ان لا يطاها ابدا ولا يخلي سبيلها اضرارا بها فتبقى معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة
حتى يموت احدهما فابطل الله تعالى ذلك من فعلهم وجعل الاجل في هذا بعد هذا القول اربعة
اشهر اذا تمت هذه المدة ولم يفئ اليها بانت بتطليقة ومعنى الاية والله تعالى اعلم للذين يحلفون
من نسائهم ان لا يقربوهن انتظار اربعة اشهر فان فاؤا يقول اذا رجعوا عما حلفوا عليه
فقرب الرجل امراته او كان عاجزا عن الوطي ففاء بلسانه فان الله غفور لذنب الاضرار بالامتناع
من الجماع رحيم بهم ان رخص لهم القرب بالكفارة وفي قراءة عبد الله بن مسعود فان فاؤا فيهن
فان الله غفور رحيم **والايلاء** في اللغة هو الحلف يقال آلى ايلاء والية والوة والوة
والوة والالايا جمع الالية قال كثير قليل الالايا حافظ ليمينه وان بدرت منه الالية برت
وهذا اصله في اللغة من الايتلاء كما قال الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة **واما**
الايلاء في الشرع فهو الحلف على ترك الجماع الذي يكسب الطلاق بمضي المدة حتى قيل آلى فلان من
امراته اذا فعل بها ذلك **وقد اختلف** السلف رحمهم الله فيما يكون موليا به على وجوه احدها
ما روي عن علي وابن عباس والحسن رضي الله عنهم ان الايلاء هو الامتناع من الجماع على جهة الغضب والاضرار
بتاكيد اليمين حتى لو كان للرجل امراة لها ولد رضيع فخشي ان قربها ان تحبل فيضر ذلك باللبن والولد
فحلف ان لا يقربها لم يكن موليا **وقال** ابراهيم النخعي وابن سيرين والشعبي هو اليمين على ان لا يجامعها

يولي ح

عن ح

اللبن او الولد

سواء كان في الغضب او في الرضا وبهذا القول قال فقهاؤنا رحمهم الله حتى قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد كل يمين في زوجة منعت جماع اربعة اشهر من غير حنث يلزمه او تعيين ايلاء في الاخرى فهو ايلاء

وأما القول الثالث فهو ما روي عن سعيد بن المسيب ان الايلاء هو اليمين في الجماع وغير ذلك من الضرر حتى لو حلف ان لا يكلمها كان موليا والقول الرابع قول عبد الله بن عمر انه اذا هجرها فهو ايلاء ولم يذكر الحلف. والتربص انتظار الشيء خيرا او شرا يحل بك او تحل به ولذلك سمي المحتكر متربصا لانتظاره غلاء السعر قال الشاعر تربص بها ريب المنون فانها تطلق يوما او يموت حليلها والفيء في اللغة هو الرجوع ومنه قوله تعالى حتى تفيء الى امر الله اي ترجع من البغي الى العدل الذي هو امر الله عز وجل ومن ذلك يسمى الظل الذي يكون بعد زوال الشمس فيئا يقال فاء الفيء اذا رجع ويقال فلان سريع الفيء من الغضب اي سريع الرجوع من الغضب الى الرضا **وأما** الفيء الشرعي المذكور في هذه الاية قال ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب هو الجماع في حالة القدرة والمراجعة بالقول عند العجز وبهذا اخذ اصحابنا حيث قالوا ان المريض اذا فاء بلسانه واستمر المرض من اول الاربعة الاشهر الى اخرها صح الفيء وبطل معنى الطلاق وقال الحسن وابراهيم وعلقمة ان الفيء هو المراجعة بالعزم وكان الحسن وابراهيم يقولان لا كفارة على الفائي لان الله تعالى قال فان فاؤوا فان الله غفور رحيم وهذا يقتضي نفي المؤاخذة من جميع الوجوه وخالفهما الاخرون في ذلك وقالوا عليه كفارة الحنث في ذلك. فان قيل اذا كان فيء المريض بالقول ما لا يسقط اليمين حتى لو صح من مرضه بعد اربعة ان قرب لزمته الكفارة وان لم يقرب حتى مضت اربعة اشهر اخرى بانت منه بتطليقة فكيف يرتفع الايلاء مع بقاء اليمين قلنا يجوز ان يبطل معنى الطلاق من الايلاء ويبقى معنى اليمين الا ترى انه لو طلقها ثلثا ثم عادت اليه بعد زوج بطل معنى الطلاق حتى لو لم يقربها في هذا النكاح لم تطلق ثم معنى اليمين باق حتى لو وطيها حنث ولزمته الكفارة كذلك الفيء باللسان يرفع معنى الطلاق في المدة الماضية ولا يرفع معنى اليمين والله تعالى اعلم **قوله عز وجل** وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم المعنى والله تعالى اعلم ان حققوا الطلاق بالاقامة على حكم اليمين الى تمام اربعة اشهر فان الله سميع لايلائهم عليم بهم وبنياتهم والعزم هو العقد على فعل في المستقبل يقال عزم على الامر واعتزم اذا عقد قلبه عليه. واما العزم الشرعي المذكور في الاية على ايلائه اوجه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عزيمة الطلاق انقضاء الاربعة الاشهر قبل ان يفيء من غير عذر وهو قول عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعثمن بن عفان رضي الله عنهم قالوا انها تبين بعد هذه المدة بتطليقة وبه اخذ اصحابنا رحمهم الله واختلف عن علي وعبد الله بن عمر وابي الدرداء فروي عنهم مثل قول الاولين وروي عنهم انه يوقف بعد مضي المدة فاما ان يفيء واما ان يطلق وهو قول عايشة رضي الله عنها وبه قال مالك والشافعي رحمهما الله فان امتنع عنهما فللشافعي قولان احدهما ان يحبسه الحاكم ولا يجبره على احد الامرين والثاني يطلق عليه الحاكم وقال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله والزهري وعطا وطاوس اذا مضت اربعة اشهر فهي تطليقة رجعية ولفظ الاية يحتمل للوجوه التي حصل عليها اختلاف السلف ولولا احتماله لها لما تاولوه عليها واختلافهم في هذا اجماع منهم على تسويغ الاجتهاد في الالفاظ المحتملة فان قيل قوله تعالى فان الله سميع عليم يقتضي ان عزيمة الطلاق مسموعة ولا يكون ذلك الا بقول من الزوج بعد الايلاء قلنا هذا القول لا يصح لان الله تعالى لم يزل سميعا ولا مسموع وقد قال الله تعالى وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم وليس هناك قول لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم فاثبتوا وعليكم بالصمت **وقد استدل** محمد بن الحسن رحمه الله في اية الايلاء على جواز امتناع الكفارة قبل الحنث فقال لما حكم الله تعالى للمولي باحد حكمين

من فيء او عزيمة طلاق دل ان حكمه مقصور على احد هذين الامرين فلما كان تقديم الكفارة على الحنث يسقط الايلاء بغير فيء ولا عزيمة طلاق لانه ان حنث لا يلزمه في الحنث شيء يسقط حكم الايلاء بغير ما ذكره الله تعالى وذلك خلاف الكتاب وبالله التوفيق **قوله عز وجل** والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

قال عبد الله بن عباس كان اهل الجاهلية يطلق الرجل امراته فان كانت حبلى كان احق برجعتها والا كانت احق بنفسها فكانت المراة اذا احبت زوجها قالت انا حبلى وليست حبلى ليراجعها واذا كرهته وهي حبلى قالت لست بحبلى كيلا يقدر على مراجعتها فجعل الله تعالى عدة المطلقات ثلثة قروء ونهى النسا عن كتمان ما في ارحامهن من الحيض والحبل قال وكان في الجاهلية طلاق اخر وهو ان يطلق الرجل امراته التطليقة الواحدة او اثنتين فيكون احق برجعتها ما لم تتزوج فاذا تزوجت غيره بطلت الرجعة وان كان الطلاق ثلثا كانت احق بنفسها منه كما قال الاعشى لما قال له بنو هزان طلق امراتك وكانت من ابيه فطلقها واحدة بقوله اجارتنا بيني فانك طالقه كذاك امور الناس غاد وطارقه فقالوا له عد فطلق الثانية فقال وبيني حصان الفرج غير ذميمة وموموقة اذ ذاك فينا وامقه فقالوا عد فقال وبيني فان البين خير من العصا وان لا يرى لي فوق راسك بارقه تعرف انها بانت فقال وذوقي فتى حي فاني ذائق فتاة اناس مثل ما انت ذائقه ومعنى الاية والله تعالى اعلم والمطلقات ينتظرن بانفسهن ماذا يصنع بهن ازواجهن من المراجعة وترك المراجعة وقد اختلف السلف في المراد بالقرء المذكور في هذه الاية قال ابو بكر وعمر وعثمن وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وابو موسى الاشعري رضي الله عنهم هي الحيض وقالوا ان الزوج احق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة وبه اخذ اصحابنا رحمهم الله وقال ابن عمر وزيد ابن ثابت وعايشة رضي الله عنهم هي الاطهار واذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا سبيل له عليها وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله وانما اختلف السلف في هذه المسئلة لان القرء في اللغة عبارة عن الحيض وعن الطهر وهو من اسماء الاضداد والقرء جمع القروء قال ابو عبيدة رحمه الله هو خروج من شيء الى شيء يقال قرا النجم اذا طلع وقرا اذا غاب والمراة تخرج من الحيض الى الطهر ومن الطهر الى الحيض وقال ابو عمرو بن العلا رحمه الله هو الوقت يقال رجع فلان لقرئه وقرئه اي لوقته الذي كان يرجع فيه فالحيض ياتي لوقت والطهر ياتي لوقت قال الشاعر يا رب ذي ضغن وضب فارض له قروء كقروء الحائض وانما اراد بذلك الحيض وقال الاخر افي كل عام انت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا فاراد بالقرء الطهر فلما اختلف السلف رحمهم الله واختلفت اللغة في هذا الاسم ولم يمكن حمله على الامرين جميعا وجب حمله على حقيقته دون مجازه واسم القرء حقيقة في الحيض مجاز في الطهر لان كل طهر لا يسمى قرءا وانما الطهر الذي يكون بين الحيضتين يسمى بهذا الاسم لمجاورته الحيض فلو كان هذا الاسم حقيقة في الطهر لكان لا ينتفي عنه بحال لان الاسماء الحقايق لا تنتفي عن مسمياتها بحال وجد هذا الاسم ينتفي عن طهر الايسة والصغيرة وكان حمله على الحيض اولى من حمله على غيره واذا اختلفت الامة في ذلك كان المرجع فيها الى لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للمستحاضة تدع الصلوة ايام اقرائها واراد بالاقراء الحيض وانقضت العدة [illegible]

بالحيض وكذلك الاستبراء في المملوكات بالحيض بالاجماع واعتبار الحيض احوط لانها تخرج عن العدة باعتباره بيقين
لان من يعتبر الطهر تحتسب بالطهر الاول الذي وقع فيه الطلاق فيكون خروجها من العدة عند شروعها في
الحيضة الثالثة وفي الاية حصر القرء بالثلث فلو حملت على الاطهار حملت على الطهرين وبعض الطهر الاول
وذهب الزجاج رحمه الله الى ان القرء الجمع من قولهم قرات القران اي لفظت به مجموعا
ويقال قريت الما في الحوض وسمي الحوض مقراة قال وانما يجتمع الدم في البدن في الطهر فهو القرء غير
ان هذا الامر لا يظهر في الحقيقة لان هذا من علم ما في الارحام وقد خص الله تعالى نفسه بعلم ما في
الارحام ولا يمتنع ان يجتمع الدم في حالة الحيض قطرة او قطرتين كالعبرة ونحو ذلك اذ لو اجتمع
جملة لدر دروة الا ينقطع كالبول وساير المايعات المجتمعة والله تعالى اعلم ۞ والمطلقة قبل الدخول
مخصوصة من هذه الاية باية اخرى وهو قوله يايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن
الى اخر الايه وكذلك الحامل مخصوصة باية اخرى روي ان رجلا من اشجع جا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال طلقت امراتي وهي حامل وقد ذهبت وانا اخاف ان تنطلق فتتزوج من بعدي
فيكون ولدي له فانزل الله تعالى قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن الى اخر الايه فردت امراة
الاشجعي على الاشجعي فقام معاذ بن جبل فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت الكبيرة
التي يئست من المحيض من نسايكم ما عدتها فنزلت واللائي يئسن من المحيض من نسايكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فقام اخر فقال يا رسول الله ارايت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم
ما عدتها فنزل واللائي لم يحضن فقام رجل اخر فقال فالحوامل ما عدتهن فنزل واولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن ۞ **فاما** معنى قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
تخويف من الله تعالى للمعتدات كيلا يكتمن ما خلق الله تعالى في ارحامهن من الحبل فيخبرن بانقضا
العدة لمدة تحتمل ثم يتزوجن ويلزمن الولد لغير ابيه ولا يكتمن الحيض فيمتنعن عن الاخبار بانقضاء
العدة ليستوجبن النفقة على ازواجهن وقوله تعالى ان كن يومن بالله واليوم الاخر ليس على
طريق الشرط ولكن على معنى ان كن مومنات فينبغي ان يحجز ايمانهن عن كتمان ما في ارحامهن من الحيض
والحبل وهذا كما يقال لرجل يظلم ان كنت مومنا فلا تظلم لا يكون هذا القول مطلقا للظلم لغير المومن لكن
المعنى ان كنت مومنا فينبغي ان يحجزك ايمانك عن الظلم وفي قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن
دليل ان قول المراة مقبول على امر يخصها حتى لو قالت حضت حرم على الزوج وطؤها واذا قالت طهرت
حل له وطؤها اذ لو لم يجب قبول قولها لم يكن لنهيهن عن الكتمان معنى ولا فايدة ولهذا قال
اصحابنا رحمهم الله لو قال لامراته انت طالق اذا حضت فقالت حضت طلقت وكان قولها كالبينة
في حق نفسها لانا قبلنا قولها فيما يخصها من انقضا عدتها واباحة وطيها وحظره وفرقوا
بين هذا وبين ساير الشروط نحو قوله اذا دخلت الدار وان كلمت زيدا فقالوا لا يقبل قولها في
ساير الشروط الا ببينة فاما اذا علق عتق عبده بحيض زوجته فقالت حضت لم تصدق لان ذلك
حكم في غيرها لا تخصها ولا يتعلق بها فهو كغيره من الشروط فلا تصدق ومعنى قوله تعالى
وبعولتهن احق بردهن في ذلك اي ازواجهن احق برجعتهن في الاجل الذي امرن ان يتربصن
فيه ان ارادوا بمراجعتهن حسن الصحبة والمعاشرة دون الاضرار والعدوان ۞ وذكر الرجعة في
هذا التخصيص حكم في بعض ما انتظمه عموم اول هذه الاية لان قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن
عام في المطلقة الثلاث فما دونها وقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن خاص فيمن كان طلاقها دون
الثلاث وخصوص اخر الاية لا يمنع عموم اولها كما قال الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه وهذا
عام في المومنين والكفرين ثم قال وان جاهداك لتشرك بي وهذا خاص في الوالدين الكفرين ولهذا نظاير

بما نهاه فاولئك هم الظالمون الضارون لانفسهم بمعصيتهم والطلاق مصدر من طلقت المراة
تطلق وقد يقال طلقت بضم اللام الا ان الاول افصح لانه يقال للمراة طالق ولا يقال لها طليق ۞ وسمي
النعجة التي ترتعي بقرب اهلها كالمهملة طالقا والتسريح في اللغة هو الاطلاق يقال سرحت البعير اسرحه
تسريحا اذا اطلقته وسرحت الماشيه اسرحها اذا اطلقتها حتى ترعى وسرحت الماشية بنفسها تسرح
سروحا اذا انطلقت بنفسها للرعي ويسمى المشط مسرحا لانه يطلق الشعر وفي الاية دلالة جواز الرجعة
بالفعل على ما هو المذهب عند اصحابنا رحمهم الله لان ظاهر الامساك والرد في اللغة يتناول الفعل الا ان الاجماع
قد انعقد على جواز الرجعة بالقول ايضا ۞ **وقد اختلف** السلف في الخلع انه طلاق او فسخ فذهب
بعض اهل العلم الى انه فسخ وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما واستدلوا بظاهر هذه الاية
فقالوا ان الله تعالى ذكر الطلاق الثالث بعد هذه بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره فلو كان الخلع طلاقا لحصل الطلاق اكثر من ثلث فاما اكثر فقها الامصار رحمهم الله قالوا ان الخلع
طلاق وهو قول عمر وعثمن وعبد الله بن مسعود والحسن وابرهيم النخعي وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين
وليس في ظاهر هذه الاية دليل ان الخلع فسخ لان قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا حكم مبتدا اذ الواو
للاستيناف الا ان يقوم دليل الجمع فكان الله تعالى ذكر في اول هذه الاية حكم الطلاق في اذا كانا على وجه
الخلع وابان من موضع الحظر والاباحة فيها ثم ذكر حكم التطليقة الثالثه بالايه التي بعد هذه الاية وهذا مما
يستدل به على ان المختلعة يلحقها الطلاق لان عامة فقها الامصار اتفقوا على ان تقدير الاية وترتيب
احكامها على ما ومعناه فحصل التطليقه الثالثه بعد الخلع والله تعالى اعلم ۞ **قوله عز وجل**
فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان
يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون المعنى والله
تعالى اعلم الطلقة الثالثة التي في قوله تعالى او تسريح باحسان فلا تحل له من بعد الطلقة الثالثة حتى
تتزوج زوجا غير الزوج الاول يدخل بها ويطلقها اذ لا خلاف بين اهل العلم ان دخول الزوج الثاني بها
شرط في اباحتها للزوج الاول الا ما روي عن سعيد بن المسيب رحمه الله رواية شاذة انه لم يجعله شرطا
ولم يتابعه احد على ذلك وانما جعل دخول الزوج الثاني شرطا لمفهوم الايه وورود السنة اما مفهوم الاية
فلان الله تعالى قال حتى تنكح زوجا غيره والنكاح هو الوطي في الحقيقة وذكر الزوج يفيد العقد
لاستحالة ان يكون زوجا من غير عقد وكان قوله تعالى حتى تنكح كناية مفهمة مغنية عن التصريح واما
السنة فما روي ان رفاعة القرظي طلق امراته ثلثا فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير فجاءت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم تريد ان ترجع الى زوجها الاول فقال صلى الله عليه وسلم هل جامعك عبد الرحمن
فقالت ما الذي معه الا كهدبة ثوبي هذا فقال صلى الله عليه وسلم افتريدين ان ترجعي الى زوجك الاول
قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك فندمت
على مقالتها فقالت يا رسول الله قد طاف بي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اصدقك الان
واما قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره فهو غاية للتحريم الموقع بالثالثه واذا وطيها الزوج الثاني
ارتفع ذلك التحريم وبقي التحريم من حيث انها تحت زوج كساير النسا الاجنبيات فمتى فارقها الثاني
وانقضت عدتها حلت للاول وذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي ان طلقها الزوج الثاني
بعد ما دخل بها فلا حرج على المراة والزوج الاول ان يتراجعا بان يتزوجها مرة اخرى بعد انقضا
العدة وقوله تعالى ان ظنا ان يقيما حدود الله اي يتراجعان على غالب ظنهما انهما يقيمان
حدود الله تعالى فيما بينهما لانهما قد افترقا وراى الزوج وحدته ورات المراة غربتها ووحشتها
والحكمة في شرط دخول الزوج الثاني بها والله اعلم ان الطلاق لما كان من ابغض المباحات الى الله عز وجل

كهدبة

فان طلقها

على ما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض المباحات الى الله عز وجل الطلاق
شرط الله تعالى في حرمة الطلقة الثالثة ما يكبر على الازواج من غشيان الغير تلك النسا حتى لا يعجلوا
بالطلاق عند الغضب ولا يطلقوا الا على وجه السنة **وذهب** بعض المفسرين الى ان اهل الجاهلية
كانوا يطلقون النسا بغير عدد ويراجعوهن بغير عدد فجعل الله تعالى الطلاق محصورا والرجعة
معدودة **وامّا** قوله تعالى وتلك حدود الله اى هذه التى ذكرت احكام الله تعالى وفرايضه
بيّنها فى القران ويقرا نبينها بالنون لقوم يعلمون ان اوامر الله تعالى وان ما ياتى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم صدق وتخصيص العلما فى الاية لانهم هم الذين يحفظون اوامر الله تعالى واحكامه
وينتفعون بالايات وقيل خصّهم الله تعالى بالذكر على جهة النباهة لهم كما خصّ الله تعالى جبريل
وميكايل من الملايكة على جهة النباهة لهما **وقد اتفق السلف** ومن بعدهم من فقها
الامصار على ان الزوجين المملوكين خارجان من قوله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف
وانفقوا على ان الرق يوجب نقصان الطلاق وان العبد اذا طلق زوجته الامة تطليقتين لم تحل له
الا بعد زوج اخر فاما اذا كان احد الزوجين حرا والاخر مملوكا قال اصحابنا رحمهم الله اعتبار عدد
الطلاق بالنسا وهو قول على وابن مسعود قالوا اذا كانت المراة حرة فطلاقها ثلث سوا كان زوجها
حرا او عبدا وان كانت امة فطلاقها ثنتان سوا كان زوجها حرا او عبدا **وقال** عثمن وزيد بن ثابت
وعبد الله بن عباس اعتبار عدد الطلاق بالرجال وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله **وقد** روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ويدل على ذلك ما
تقدم ذكره ان الاعتبار فى تفريق الطلاق المسنون باطهار العدة واذا كانت المراة امة والاخلاف ان
عدتها حيضتان ولو جعلنا الطلاق بالزوج وهو حر لم يمكنه تفريق الثلث على اطهار عدتها لان عدتها
تنقضى قبل وجود الطهر الثالث **قوله عز وجل** وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ
الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ نزل فى ثابت بن يسار الانصاري
طلق امراته فلما ارادت ان تبين منه راجعها ثم طلقها فما زال يضارها بالطلاق ويراجعها ليمنعها
من الازواج ومعنى الاية والله تعالى اعلم واذا طلقتم النسا تطليقة او تطليقتين فبلغن اجلهن
اى قاربن وقت انقضا عدتهن فامسكوهن بمعروف اى احبسوهن بالرجعة على حسن الصحبة لا لتطويل
العدة او سرحوهن بمعروف اى اتركوهن بمعروف حتى تنقضى تمام اجلهن ويكن املك بانفسهن ولا
تمسكوهن ضرارا اى لا تحبسوهن فى العدة اضرارا ولا حاجة لكم اليهن والضرار ان يطلقها ثم يدعها
حتى اذا حاضت ثلثا راجعها ثم يطلقها اخرى ثم يدعها حتى تحيض ثلثا ثم يراجعها ثم يطلقها
الثالثة ثم يدعها حتى تحيض ثلثا يمنعها عن التزوج الى انقضا تسع حيض **ومعنى** لتعتدوا
عليهن اى تظلموهن وقيل لتستوفوا العدة عليهن كما قال الله تعالى فى اية اخرى فما لكم
عليهن من عدة تعتدونها اى تستوفونها وهذا كما يقال اتزنت الحق واكتلت الحق اذا استوفاه
بالوزن والكيل وقوله تعالى ومن يفعل ذلك يمسكها للضرار فقد ظلم نفسه اي عرضها
لعذاب الله تعالى باتيان ما نهى الله تعالى عنه **ومعنى** ولا تتخذوا آيات الله هزوا
لا تتركوا ما حدّ الله تعالى لكم فى امر الطلاق وغير ذلك فتكونوا مقصرين لاعبين وهذا كما تقول
للرجل الذى يتوانى في امرك انما انت لاعب **وعن** ابى الدردا وابى موسى الاشعري والحسن
رضى الله عنهم قالوا كان الرجل يطلق امراته او يعتق عبده ثم يقول انما كنت لاعبا فانزل الله تعالى

هذه

هذه الاية ولا تتخذوا ايات الله هزوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلق لاعبا او اعتق
لاعبا فقد جاز عليه اى نفذ عليه وحكم الرجعة فى هذا حكم الطلاق والعتاق لان الله تعالى ذكر
قوله ولا تتخذوا ايات الله هزوا عقيب الامساك والتسريح فهو عايد اليهما ومما يوكد هذا التاويل
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق
والنكاح والعتاق **وفى** بعض الروايات الطلاق والنكاح والرجعة **ومعنى** واذكروا نعمة
الله عليكم احفظوا منة الله تعالى عليكم فى امر الدين وقوله تعالى وما انزل عليكم من الكتاب
اى واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب اي القران والحكمة وهى فقه الحلال والحرام
يعظكم به ينهاكم عن الضرار وساير المعاصى وقوله تعالى واتقوا الله اى اخشوه فيما امركم به ونهاكم
عنه واعلموا ان الله بكل شى من اعمالكم من العدل والجور عليم عالم يجزيكم على الخير والشر
والاجل فى اللغة هو غاية الوقت الموقت لحلول الدين وغير ذلك يقال اجل يا جل اجلا اذا تاخر
واجل يوجل تاجيلا اذا اخر من غيره وانما حمل قوله تعالى فى هذه الاية فبلغن اجلهن على مقاربة
انقضا العدة لان الله تعالى خص الرجعة فى الايات المتقدمة بحال العدة حيث قال جل ذكره
وبعولتهن احق بردهن فى ذلك فلا يمكن حمل قوله تعالى فبلغن اجلهن على انقضا العدة لان العدة
اذا انقضت لم يمكن رجعتها وهذا كما يقول القايل بلغنا المدينة وبلغنا القرية اذا قرب منها ونظير
ذلك قول الله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله اى اذا اردت قراة القران وكذلك قوله تعالى واذا
قلتم فاعدلوا ليس المراد به العدل بعد القول ولكنه العزم قبل القول على ان لا يقولوا الا عدلا
ومن الناس من يحتج بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان فى ايجاب الفرقة بين
المعسر العاجز عن النفقة وبين امراته لان الله عز وجل انما خيرهم بين احد شيين فاذا عجز عن
احدهما تعين عليه الثانى وهذا الاحتجاج بعيد من الاية لان العاجز عن نفقة المراة ممسك بالمعروف
اذ لم يكلف الانفاق فى هذه الحالة قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله
لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها وغير جايز ان يقال ان المعسر غير ممسك بالمعروف اذ ترك الامساك
بالمعروف ذم والعاجز غير مذموم ولو كان مذموما لكان اصحاب الصفة وفقرا الصحابة الذين
عجزوا عن الانفاق على انفسهم فضلا عن نسايهم غير ممسكين بالمعروف فيجب ان يستحقوا الذم
على ذلك وهذا محال من القول **وفى** الاية دليل ثبوت حكم الرجعة وان قصد الزوج اضرارها
بالرجعة لان الله تعالى سمى فاعل ذلك ظالما لنفسه ولو لم يثبت الرجعة بفعله لما كان بها ظالما
لنفسه **قوله عز وجل** وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
روى عن الحسن وقتادة انهما قالا نزلت فى معقل بن يسار كانت اخته تحت ابى البداح عبيد الله بن عاصم
فطلقها تطليقة واحدة ثم تركها حتى انقضت عدتها ثم ندم على طلاقه اياها فخطبها فرضيت
المراة بذلك ان تراجعه وابى اخوها معقل وقال لها انى اخترته على اشراف قومى فطلقك ثم
تريدين ان تراجعيه وجهى من وجهك حرام ابدا ان تزوجته فانزل الله تعالى هذه الاية
ينهى معقلا عما صنع **ومعنى** الاية والله تعالى اعلم واذا طلقتم النسا واحدة او اثنتين فبلغن
اجلهن يعنى انقضت عدتهن والمراد ببلوغ الاجل فى هذه الاية حقيقة البلوغ بانقضا العدة فلا
تعضلوهن اي لا تمنعوهن ان ينكحن ازواجهن الذين كانوا ازواجا لهن من قبل وقيل من رضين بهم ازواجا لهن
وقوله تعالى اذا تراضوا بينهم بالمعروف اى اذا تراضوا بنكاح جديد ومهر وشهود مما لا يكون مستنكرا فى عقل ولا

هذه الآية اسم أخته جميل [illegible]

عادة ولا خلق وقوله تعالى ذلك يوعظ به اي ذلك الذي ذكر من النهي عن العضل يوعظ به من كان
منكم يصدق بالله وبيوم البعث ذلكم ازكى لكم يعني ان لا تمنعوها خير لكم وادخل في التزكية من المنع
لهن واطهر من الذنب والله يعلم حب كل واحد منهما لصاحبه وانتم لا تعلمون ذلك ويقال يعلم
ما لكم فيه الصلاح في العاجل والاجل ويعلم بما يزكيكم مما يرديكم وانتم لا تعلمون ذلك فلما نزلت
هذه الاية دعى النبي صلى الله عليه وسلم معقلا فقرا الاية عليه وقال ان كنت تومن بالله واليوم الاخر
فلا تمنع اختك من ابي البداح فقال اني مومن بالله واليوم الاخر واشهدك اني قد انكحته **وللعضل**
في اللغة معنيان احدهما المنع يقال عضل الرجل المراة يعضلها ويعضلها اذا منعها عن الازواج
ظلما واعضل الدا الاطبا اذا اعياهم عن معالجته ويقال دا عضال ومسئلة معضلة ٥
والاخر التضييق يقال عضل الفضا بالجيش اذا ضاق بهم وعضلت المراة بولدها اذا عسر
خروجه من بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس الفرخ في بيضتها فلم يخرج والمعنيان متقاربان
لان الامر الممتنع يتضيق فعله **وعن** الشعبي رحمه الله انه سئل عن مسئلة مشكلة فقال زبا
ذات وبر لا تنساق ولا تنقاد لو نزلت باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لاعضلت بهم وانما جعل
الله تعالى الامتناع من العضل ازكى لنا من العضل لان العضل ربما يودي الى ارتكاب المحظور على
غير وجه العقد **ومعنى** قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا
تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير **وفي** الاية دلالة جواز نكاح المراة على نفسها اذا عقدت
بغير اذن الولي لان الله تعالى اضاف العقد اليها ونهى الولي عن عضلها اذا تراضى الزوجان
بالمعروف ويدل على ذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا وقوله تعالى فلا جناح عليكم فيما
فعلن في انفسهن بالمعروف **فان قيل** كيف قال الله تعالى ذلك يوعظ به ولم يقل ذلكم مع كونه
خطابا للجماعة **قيل** قد اختلفوا في ذلك قال بعضهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النسا وقال بعضهم ذلك راجع الى القبيل كانه قال ذلك ايها القبيل والحزب
ويجوز افراد ذلك في مثل هذه المخاطبات على هذا الطريق ويجوز جمعهم على اصل الكلام ويجوز
ان يثنى في التثنية نحو قوله تعالى ذلكما مما علمني ربي وقال جل ذكره قالت فذلكن الذي لمتنني
فيه فكان جمع الخطاب في قوله تعالى ذلكم ازكى لكم على اصل الكلام **قوله عز وجل**
وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى
الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ
وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ
تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٥
اول هذه الاية على لفظ الخبر ومعناه الامر كانه قال لترضع الوالدات كما قال الله تعالى والمطلقات
يتربصن بانفسهن ويقال حسبك درهم يراد به اكتف بدرهم يدل على ذلك انه لو كان قوله
والوالدات يرضعن خبرا لما وجد مخبره على خلاف ما اخبر الله تعالى فلما كان من الوالدات من
لا يرضع علم انه لم يرد به الخبر فكان هذا محمولا في حال قيام النكاح على الامر الواجب من
طريق الدين لا من جهة الحكم فانها اذا امتنعت من الارضاع لم يكن للزوج ان يجبرها على ذلك من
حيث الحكم وان ارضعت لم تستحق نفقة الارضاع مع بقا الزوجية ولا يجتمع لها نفقتان احداهما للرضاع
للزوجية والاخرى للارضاع **وقال** بعض المفسرين في الاية اثبات حق الرضاع للام وبيان مدة
الرضاع المستحق على الوالد فان الوالد لو امتنع من الرضاع في الحولين اجبر عليه كما قال الله تعالى في

اية

اية المطلقات فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن وقال جل ذكره وان تعاسرتم فسترضع له اخرى قال
بعضهم هذا بيان مدة الرضاع الموجب للحرمة وهذا لا يصح لان الاية وردت في ارضاع الوالدة
ولدها وارضاع الوالدة لا يوجب الحرمة فان الحرمة انما تثبت بين الوالدة والولد بالعلوق لا بالرضاع **فان**
قيل كيف قال الله تعالى حولين كاملين والحولان لا يكونان الا كاملين **قيل** لازالة الابهام فان الانسان
قد يقول اقمت عند فلان سنتين اذا كان قريبا من سنتين وسرت شهرا اذا كان قريبا من شهر وقوله
تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة اي لمن اراد من الاباء ان يتم الرضاعة المفروضة عليه وقوله تعالى
وعلى المولود له رزقهن يعني على الاب نفقتهن وكسوتهن بالمعروف كما يعرف انه العدل يكون ذلك اجرة
لهن على الرضاع اذا كان ارضاع الولد بعد الفراق وقوله تعالى لا تكلف نفس الا وسعها اي لا يجبر
الاب على النفقه والكسوة الا مقدار طاقته قال الثوري والضحاك هذا في المطلقات دون الزوجات لان
الله تعالى قابل هذه النفقه بالارضاع ونفقه الزوجة لا تجب بالارضاع وانما تجب بسبب الزوجية وقوله
تعالى لا تضار والدة بولدها قال ابن عباس لا ينتزع منها ولدها ويعطى غيرها بمثل الاجر الذي تقبل
الام الولد به وقوله تعالى ولا مولود له بولده قال لا تطرح المراة الولد الى الاب بعد ما عرفها
ولا يقبل ثدي غيرها وهذا التاويل ظاهر على قراة الرفع لا تضار على فعل ما لم يسم فاعله واصله لا تضارر فاما
على قراة النصب لا تضار فيجوز انه كان في الاصل لا تضارر فاسقطت النون من اخره وبقيت حركة الرا
دليلا على سقوط النون وجعل الزجاج رحمه الله قوله تعالى لا تضار بالنصب نهيا للوالدة عن الاضرار بالولد
وقوله تعالى ولا مولود له بولده نهيا للوالد عن الاضرار بولده وقال معنى الاية لا تترك الوالدة ارضاع ولدها
غيظا على ابيه فيضر بالولد لان الوالدة اشفق على ولدها من الاجنبية ولا ياخذ الاب الولد من امه قصدا
للاضرار بها فيضر بولده ولا يمنعها الاجرة فيضر بولده **قال** رحمه الله وموضع لا تضار جزم على النهي
واصله لا تضارر فادغمت الرا الاولى في الثانيه وفتحت الثانيه لالتقا الساكنين لانها لما ادغمت سكنت والاصل
عند التقا الساكنين الفتحة فيما كان قبله الف او فتحة ويجوز ان تكون قراة الرفع على هذا التاويل الذي ذكره
الزجاج على لفظ الخبر عن فعل المراة ومعناه النهي وقوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك يعني على وارث الولد
اذا لم يكن للولد مال ما على الاب من النفقة والكسوة وترك الضرار **قال** عمر والحسن انه على العصبات
دون اصحاب الفرائض **وقال** قتادة انه على الوارث من العصبات واصحاب الفرائض جميعا على كل
واحد منهم بمقدار نصيبه من الميراث الا انه لم يشترط ان يكون الوارث ذا رحم محرم من الولد وقد
شرط اصحابنا رحمهم الله ذلك وقوله تعالى فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي ان اراد
الابوان فطام الصبي من اللبن دون الحولين بتراضيهما وتشاورهما فلا اثم عليهما في ذلك **وعن** ابن
عباس ان معناه ان ارادا فصالا قبل الحولين او بعدهما بتراضيهما فلا جناح عليهما فان تشاقا رجعا
الى الحولين وقوله تعالى وان اردتم يعني الاباء والامهات ان تسترضعوا اولادكم غير الوالدة فلا
اثم عليكم وقوله تعالى اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف يعني اذا كان تسليمكم ما اعطيتم من اجرة الرضاع
على ما تراضيتم به وقيل معنى اذا سلمتم اي اذا سلمتم ما اعطاه بعضكم لبعض من التراضي بذلك ومن قرا
ما اتيتم بالقصر فمعناه ما جئتم وقيل في معنى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي ان اردتم ان تسترضعوا
بعد الحولين لعلمكم ان الولد لا يصبر عن اللبن فلا جناح عليكم وقوله تعالى واتقوا الله اي اخشوه في الضرار ومخالفة
امر الله تعالى واعلموا ان الله بما تعملون من العدل والجور في اولادكم ونسائكم بصير عالم يجزيكم به ٥
والتكليف في اللغة هو الحمل على الغير على وجه المشقه وهو ماخوذ من الكلف الذي يكون في الوجه
وهو الاثر سمي بذلك لان المكلف يظهر عليه اثر المشقه **والوسع** الطاقة ماخوذ من سعة الطريق
الى العرض فان سعة الطريق بمكن من عرض الطريق كذلك الوسع ما اتسع للانسان فيطيقه والطاقة

تمكن فيما يطيقه الانسان وانما سمي الفطام فصالا لانفصال المولود من الاغتذا بثدي امه الى غيره ذلك
من الاقوات واصل الفصل القطع والتفريق **والتبصير** فعيل من البصارة يقال بصر بالشي اذا علمه وابصره
بعينه اذا راه **والتشاور** من المشاورة وهي استخراج الراي بالراي من قوله شرت العسل اشوره
شورا واشرته اشاره وفي قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن دلالة ان الام احق بامساك
الولد مادام صغيرا وان استغنى عن الرضاع بعد ان يكون ممن يحتاج الى الحضانة ولهذا قالوا ان الام
اذا لم تختر ان ترضع الولد بعد الطلاق واختارت ان يكون الولد عندها امر الزوج ان يستاجر ظيرا
لترضعه في بيت ام الرضيع **واما** تاويل ذكر الحولين في مدة الرضاع محمول على قول ابي حنيفة رحمه الله
على بيان مقدار استحقاق نفقة الرضاع وفي الاية ما يدل على ذلك على حسب ما تقدم ذكره فاما اكثر
مدة الرضاع في ثبوت حكم الحرمة ثلثون شهرا على مذهبه **وعن** عكرمة عن عبد الله بن عباس انه كان يقول
في قوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا في هذه الاية اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان الله تعالى قال
في اية اخرى وفصاله في عامين وكان يقول اذا كان الحمل لستة اشهر كانت مدة الرضاع سنتين واذا
كان الحمل تسعة اشهر كان مدة الرضاع سنة وثلثة اشهر وعلى هذا مهما زاد في الحمل شهر نقص من الرضاع وتسعه
بازايه وهذا يقتضي ان الحمل اذا بلغ سنتين ان المراة لا ترضع ولدها الا سنة اشهر وكان ابو حنيفة
رحمه الله يحمل قوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا على ذكر الحمل على الايدي مع بيان اكثر مدة
الرضاع والله تعالى اعلم وفي ايجاب نفقة الرضاع على الاب دلالة وجوب نفقة الاولاد الصغار والكبار
من الاناث والرجال الزمنى على الاب وقوله تعالى رزقهن وكسوتهن بالمعروف يقتضي وجوب
النفقة على مقدار الكفاية مع اعتبار حال الزوج في العسر واليسر اذ ليس من المعروف الزام المعسر
اكثر مما يقدر عليه وفيه دلالة على جواز استيجار الظير بطعامها وكسوتها **فان قيل** كيف تجب
نفقة الرضاع عندكم بعد موت الاب على قدر الميراث وقد قلتم ان الصبي اذا كان له خال وابن
عم كانت النفقة على الخال والميراث لابن العم **قلنا** ليس المراد بالاية حصول الميراث لان الميراث
لا يكون في حالة الحيوة وبعد الموت لا يدرى من يرثه وجايز ان يحدث له من الورثة من يحجب من اوجبنا
عليه النفقة وكان المراد بالاية والله اعلم ذا رحم محرم من اهل الميراث فان ايجاب هذه النفقة
على طريق صلة الرحم وابن العم ليس بذي رحم محرم والخال وان لم يكن وارثا في هذه الحالة فهو من اهل
الميراث وهو ذو رحم محرم **قوله عز وجل** والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم
فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير روى عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما في معنى هذه الاية ان الذين يموتون منكم ويتركون نساء من بعدهم ينتظرن في عدتهن
مضي اربعة اشهر وعشر لا يتزوجن ولا يتزين في هذه المدة فاذا بلغن اجلهن يقول انقضت
عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن اي لا حرج عليكم في تركهن بعد انقضاء هذه المدة ليتزين
زينة لا ينكر مثلها ويتزوجن من الاكفاء ويفعلن كل معروف والله بما تعملون من الخير والشر خبير
عالم يجزيكم به **فان قيل** الذين اسم موصول ويتوفون ويذرون من صلته وجملته مبتدا
ويتربصن فعل الازواج لا فعل الذين ولا فيه ضمير عايد الى الذين فيبقى المبتدا بلا خبر والمبتدا لا
يخلو من خبر اسما كان او فعلا وليس من ذلك هاهنا شي **قيل** له قال ابو العباس بن السراج
في الاية ضمير وتقديره ازواجهم يتربصن لان الفعل يدل على الفاعل **وقال** الاخفش تقديره
يتربصن من بعدهم اربعة اشهر حتى يكون الضمير عايدا الى الذين **وذكر** الزجاج ان النون في قوله
يتربصن قايم مقام الازواج كناية عنها لا محالة فصار كالتصريح وهذا كما يقال الذي يموت ويخلف ابنتين

يرثان الثلثين معناه يرث ابنتاه الثلثين وظاهر لفظ العشر يتناول الليالي الا ترى انه يقال لليالي الايام
عشرة ايام وانما غلب لفظ التانيث في الاية فقيل عشرا لان العرب تقدم الليل على النهار ويعدون
اول كل شهر من الليلة الا ترونهم يجعلون التراويح اذا راوا الهلال هلال رمضان ويدعونها اذا
راوا هلال شوال ومن عادتهم انهم اذا ذكروا احد العددين على سبيل الجمع ارادوا مثله من العدد
الاخر كما قال الله تعالى في قصة زكريا عليه السلام قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا
وقال في موضع اخر ثلث ليال سويا والقصة واحدة فعبر تارة بالايام عن الليالي وتارة بالليالي عن الايام
والحكمة في تقدير عدة الوفاة باربعة اشهر وعشر ما روى عن عبد الله بن مسعود انه قال يجمع
خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما علقة ثم اربعين يوما مضغة ثم ينفخ
فيه الروح في عشرة ايام فيكتب اجله ورزقه وانه شقي او سعيد فيجوز ان الله تعالى قدر هذه
المدة في عدة الوفاة ليظهر انها حامل وحايل واختلف في ان الحامل داخلة تحت هذه الاية اولا **فقال**
عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم ان الحامل تخرج من العدة
اذا وضعت حملها وان كان زوجها على السرير حتى قال عبد الله بن مسعود من شاء باهلته
ان قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن نزل بعد قوله تعالى اربعة اشهر وعشرا **وقال** علي كرم الله
وجهه عدة الحامل المتوفى عنها زوجها تنقضي بابعد الاجلين **وعن** عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن في المطلقة او
المتوفى عنها زوجها قال صلى الله عليه وسلم فيهما جميعا **وروي** ان سبيعة بنت الحرث وضعت
حملها بعد موت زوجها بايام فارادت ان تتزوج فمر بها ابو السنابل فقال اتريدين ان تتزوجي
قالت نعم قال كلا انه اخر الاجلين فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له فقال صلى الله عليه وسلم
كذب ابو السنابل اذا اتاك من يريد ذلك فاعلميني واكثر السلف رحمهم الله على ان عدة المتوفى عنها
زوجها باربعة اشهر وعشر من يوم يموت الزوج **فاما ما روي** عن علي كرم الله وجهه انها تعتد
من يوم ياتيها الخبر فمحمول على انه اذا اخفي عليها وقت الموت كان الاحتياط ان تحسب عدتها من
يوم ياتيها الخبر ويحتمل ان يكون المراد به انها تجتنب ما تجتنبه المعتدة من الزينة والخروج من يوم
علمت ولا خلاف بين الفقهاء رحمهم الله في مدد العدد بالشهور واجل الايلا والايمان والاجارات اذا عقدت
على الشهور مع روية الهلال ان الاعتبار بالاهلة فاما اذا كان ابتدا المدة في بعض الشهر روي عن ابي حنيفة
رحمه الله انه يحتسب لكل شهر ثلثون يوما **وروي** عنه في رواية اخرى انه يحتسب بما بقي من
الاهلة شهورا ويكمل من الشهر الاخر ما بقي من الشهر الاول تتمة ثلثين يوما وهو قول ابي يوسف ومحمد
رحمهما الله ومالك والشافعي رحمهم الله واجمع اهل التفسير على ان هذه الاية ناسخة لقوله تعالى
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج وان كانت
هذه الاية متقدمة على تلك الاية في التلاوة **واجمع الفقهاء** الا ابا بكر الاصم ان اربعة اشهر وعشرا
عدة الحرة دون الامة وان عدة الامة تنقضي بشهرين وخمسة ايام وكان ابو بكر الاصم رحمه الله يقول ان
عدتهما جميعا تنقضي باربعة اشهر وعشر وان ولد الامة انما ينفخ فيه الروح في الوقت الذي ينفخ فيه الروح
في ولد الحرة فالجواب عن هذا ان يقال ان خبر عبد الله بن مسعود من اخبار الاحاد لا يوجب حقيقة
العلم ولما اجمعوا ان الرق ينصف عدة الاقرا وعدة الشهور في الايسة والصغيرة كذلك وجب ان ينصف
عدة الوفاة **قوله عز وجل** ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النسا او اكننتم
في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا
معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم

فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ روى عن عبد الله بن عباس انه قال التعريض هو ان
يقول الرجل للمعتدة اني اريد النكاح واحب المراة من صفتها كذا وكذا فيصفها بالصفة التي عليها
حتى تعلم رغبته فيها وقيل هو ان يقول لها الخاطب انك لتعجبيني وارجو ان يجمع الله تعالى بيني
وبينك او يقول يا ليت لي مثلك وان قضى الله امرا كان ومعنى الاية والله تعالى اعلم لا حرج عليكم
فيما عرضتم به من خطبة النسا اللواتي هن في عدة من موت او طلاق باين او ثلاث وقوله تعالى
او اكننتم في انفسكم او اضمرتم واخفيتم في قلوبكم العزم على النكاح علم الله انكم ستذكرونهن في العدة
لرغبتكم فيهن وخوفكم سبق غيركم اليهن ولكن لا تواعدوهن سرا اى لا تواعدها ايها الخاطب
في السر ولا تواثقها الا تتزوج غيرك وقيل لا تواعدها في السر تصريحا وقيل ان المراد بالسر الجماع
لانه لا يكون الا في السر كانه قال لا ينعت الخاطب نفسه لها ليرغبها في نفسه وقوله تعالى الا ان
تقولوا قولا معروفا معناه الا ان تعرضوا بالخطبة كناية من غير افصاح ومعنى قوله عز وجل ولا تعزموا
عقدة النكاح اى على عقده النكاح لان العزم تقتضي معزوما عليه لكن حذف على التخفيف كما يقال
ضرب فلان الظهر والبطن اى على الظهر والبطن ومعنى حتى يبلغ الكتاب اجله حتى يبلغ فرض
الكتاب اجله اي حتى تنقضي العدة فان العدة فرض القران ويجوز ان يكون الكتاب نفسه في
معنى الفرض فيكون المعنى حتى يبلغ الفرض اجله كما قال الله تعالى كتب عليكم اى فرض عليكم
وقوله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم اى ما في قلوبكم من الوفا وغير ذلك فاحذروه
ان تخالفوه فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله غفور لمخالفتكم ان تبتم عنه حليم حين لا يعجل
عليكم بالعقوبة والتعريض في اللغة الايما والتلويح والدلالة على الشي من غير كشف ولا تبيين نحو ان يقول
الرجل لغيره ما اقبح البخل يعرضه بالبخل بذلك والكناية هي الدلالة على الشي مع العدول عن الاسم الاخص
الى لفظ اخر يدل عليه نحو ان يكني الرجل عن زيد فيقول لغيره ما ابخل صديقك وما ابخل الذي كنا
عنده والخطبة بكسر الخا هي الكلام الذي يستدعى به الى النكاح والخطبة بالضمة هو الكلام
المولف ضربا من التاليف اما موعظة او دعا الى شي وهما يتفقان في التصريف ويختلفان في المصدر
واما الاكنان فهو الستر تقول في كل شي سترته اكننته وفيما تصونه كننته قال الله تعالى كانهن
بيض مكنون اى مصون وكل واحد من اللفظين قريب من الاخر والعقد في اللغة هو الشد
يقال عقدت الحبل فاما عقد العهد فهو تشبيه بعقد الخيط من التوثق وفي الاية دلالة ان التعريض
بالقذف نحو ان يقول الرجل لست بزان يعرض بغيره انه زان لا يكون حكم ذلك حكم تصريح القذف
لان الله تعالى اباح التعريض بخطبه النكاح في العدة وحرم التصريح بذلك فيها قوله عز وجل
لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ
قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ قال ابن عباس معناه لا حرج عليكم
ان طلقتم النسا ما لم تجامعوهن او تسموا لهن مهرا ومتعوهن يعني اللواتي طلقتموهن قبل
المسيس والفرض على الغني بمقدار غناه وعلى الفقير مقدار طاقته متاعا بالمعروف اى ما تعرفون
انه القصد وقدر الامكان حقا على المحسنين اى واجب على المومنين فان قيل في اول هذه الاية
اباحة الطلاق باحد الشرطين وهو ان يكون قبل المسيس او بعد الفرض فيجب اذا طلقها بعد
المسيس وقبل الفرض ان لا يحل قيل قد اختلف الناس في معناه قال بعضهم معناه ما لم
تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة وهذا كما يقال افعل كذا ما لم تاكل او تشرب يراد بذلك ما لم
تاكل وما لم تشرب وكذلك ما لم تضطجع او تقعد يعني ما لم تضطجع ولم تقعد فيكون تقدير الاية
لا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن ممن فرضتم لهن فريضة ولم تفرضوا لهن فريضة لانه

انما يعطف التي لم يفرض لها على التي فرض لها فيكون معنى الاية اباحة الطلاق قبل المسيس
في جميع الاحوال في حالة الطهر والحيض جميعا سوا كانت المراة قد فرض لها المهر او لم يكن فرض لها
المهر بخلاف الطلاق بعد المسيس فانه لا يباح في حالة الحيض وقال بعضهم تقدير الاية ما لم تمسوهن
ولم تفرضوا لهن فريضة الا ترى ان الله تعالى عطف عليه قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
فرضتم لهن فريضة ولو كان الاول بمعنى ما لم تمسوهن وقد فرضتم او لم تفرضوا لما عطف عليها المفروض
لها فدل على ان معناه ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة وقد يكون او بمعنى الواو كما قال
الله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا معناه ولا كفورا وكذلك قال الله تعالى وان كنتم مرضى او على
سفر او جا احد منكم من الغايط والمعنى وجا احد منكم من الغايط فيكون شرط وجوب المتعة المضيا
جميعا وهما عدم المسيس وعدم التسمية وفايده تخصيص الطلاق بما قبل المسيس والفرض
انه لما كان المهر والنكاح من حق الله تعالى حتى لا يجوز خلو النكاح عنه وكان الطلاق قبل
المسيس يسقط المهر كله كان من الجايز ان يتوهم متوهم ان الطلاق قبل المسيس لا يحل فازال
الله تعالى هذا التوهم وبين ان الطلاق قبل المسيس والفرض وان اسقط المهر كله مباح لوجود ما
بعدل المهر بعد الطلاق وهو المتعة والى هذا القول الاخير ذهب اصحابنا رحمهم الله فلم يوجبوا المتعة
الا للمطلقة التي لم يمسها زوجها ولم يفرض لها مهرا وقد روي عن عبد الله بن عباس انه
قال نزلت هذه الاية في المراة تهب نفسها لرجل ثم يطلقها قبل المسيس لا مهر لها وعلى الزوج المتعة
وقال لا يجتمع وجوب شي من المهر مع المتعة قال واعلا المتعة خادم وثياب ووسطها وادناها درع
وخمار وملحفة وقد قال اصحابنا في قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره دليل على ان حال الرجال
معتبر في الفقر والغنى وفي قوله تعالى متاعا بالمعروف دليل على ان حال المراة معتبر في الشرف والدناة
لانا اذا اعتبرنا حال احدهما في ذلك ربما ادا الواجب على الزوج قبل الدخول على الواجب عليه بعد الدخول
وهذا لا يكون من المعروف ولهذا قالوا لا تجاوز بها المتعة نصف مهر المثل لتعرض الزوج وقد اختلف السلف
في ان هذه المتعة هل يجبر عليها الزوج او لا قال شريح واهل المدينة ان القاضي يامر الزوج به من
دون ان يجبر عليه وكان شريح يقول للزوج ان كنت من المتقين او من المحسنين فمتعها
واما عندنا فان القاضي يجبر الزوج على المتعة للمراة التي طلقها قبل المسيس والفرض
وقوله تعالى حقا على المحسنين تاكيد لايجاب السابق بقوله تعالى ومتعوهن وليس في الفاظ
الايجاب اكد من قولهم حقا عليه وفي قوله على المحسنين بيان انها من شروط الاسلام وعلى كل احد
ان يكون محسنا كما قال الله تعالى هدى للمتقين وهو هدى للناس كلهم وقيل انما خص المحسنين
بالذكر تشريفا لهم لا لانه لا تجب على غيرهم موصف المومنين بالاحسان لان الاحسان اكثر اخلاقهم
وقوله تعالى متاعا نصب على المصدر من قوله تعالى ومتعوهن وقوله تعالى حقا نصب على الحال
من قوله تعالى بالمعروف وتقديره عرف حقا ويجوز ان يكون نصبا على معنى حق ذلك عليهم حقا
يقال حققت على فلان القضا اى اوجبته وفي الاية دلالة جواز النكاح بغير تسميه المهر لان الله تعالى
حكم بصحة الطلاق مع عدم التسمية والطلاق لا يصح الا في نكاح صحيح قوله عز وجل
وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ
إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا
تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ معنى الاية والله تعالى اعلم وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن اي من قبل ان تجامعوهن وقد سميتم لهن مهرا فعليكم نصف ما سميتم
من المهر الا ان يتركن ما وجب لهن من الصداق يقول احداهن ما مسني ولا قربني فادع له المهر

وأما قوله تعالى أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ذهب أكثر المفسرين إلى أن الذي بيده
عقدة النكاح هو الزوج وعفوه أن يترك لها جميع الصداق ولا يرجع عليها بشيء من المهر إذا كان
أعطاها مهرها وإن لم يكن أعطاها فعفوه أن يتفضل عليها بأن يتم لها جميع مهرها وقد يكون الصداق
عبدا بعينه أو عرضا من العروض لا يمكن تمليكه بالإسقاط والإبراء من أحد الجانبين فيكون معنى العفو في ذلك
الفضل وفي الآية ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى في آخر الآية ولا تنسوا الفضل بينكم وإنما ندب الزوج إلى تتميم الصداق
لأنه إذا تزوجها ثم طلقها فقد تعطل ما بينهما فكان الأفضل أن يعطيها مهرها وذهب بعضهم إلى أن الذي
بيده عقدة النكاح هو ولي المرأة حتى قال مالك رحمه الله لأبي البكر أن يسقط نصف الصداق عن الزوج بعد
الطلاق قبل الدخول والصحيح هو القول الأول لأن قوله تعالى عقدة النكاح يقتضي عقدة موجودة والزوج
هو الذي يملك استدامة النكاح وحله وهو الذي يملك العقد على نفسه من غير ولي يحتاج إليه وتكون
عقدة النكاح في الحقيقة بيد الزوج وأما ولي المرأة فلا يملك العقد عليها إلا برضاها ولا يملك إسقاط ساير
حقوقها وأما قوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى فهو ندب كل فريق من الزوج والمرأة إلى العفو
كأنه قال أيهما عفا عن صاحبه فقد أخذ بالفضل وقوله تعالى أقرب للتقوى أي أقرب إلى أن يتقي أحدهما
ظلم صاحبه فإن من ترك حق نفسه كان أقرب إلى أن لا يظلم غيره بطلب ما ليس له ومن بذل النفل
كان أقرب إلى بذل الفرض ومعنى ولا تنسوا الفضل بينكم أي لا تتركوا الإحسان والإنسانية فيما بينكم
إن الله بما تعملون من الفضل والإحسان بصير عالم يجزيكم به ونسيان الفضل هو الاستقصا
في استيفا الحق على الكمال حتى لا يترك شيا من حقه على صاحبه **وذهب بعضهم** إلى أن
قوله تعالى وأن تعفوا خطاب للأزواج خاصة وظاهر هذه الآية يقتضي أن الزوج إذا كان سمى
لها مهرا بعد عقد النكاح ثم طلقها أن المسمى يتنصف بالطلاق وإليه ذهب مالك والشافعي وهو
قول أبي يوسف الأول ثم رجع هو إلى قول أبي حنيفة ومحمد فكان المراد بهذه الآية على قولهم
أن يكون الفرض في نفس العقد لأن التسمية بعد تمام عقد النكاح تقدير لمهر المثل أو بدل عنه فيسقط بالطلاق
قبل الدخول ويجب المتعة والله تعالى أعلم وقد ذهب أصحابنا رحمهم الله في هذه الآية إلى أن المراد
بقوله تعالى من قبل أن تمسوهن نفس المسيس أو ما يقوم مقامه فإنه إذا أخلا بها خلوة صحيحة
نحو أن لا يكون أحدهما محرما ولا مريضا ولا صايما صوم فرض ولا تكون المرأة حايضا ولا رتقا ثم طلقها
وجب لها المهر كله وإن لم يدخل بها كما روي عن زرارة بن أوفى أنه قال أجمع الخلفا الراشدون
المهديون أن من أغلق على امرأته بابا وأرخى حجابا ثم طلقها وجب لها الصداق كاملا وعليها العدة
وفرق عمر رضي الله عنه بين العنين وامرأته وأوجب عليه المهر وقال ما ذنبهن إذا جاء العجز
من قبلكم ولا يمتنع أن يقوم مقام المسيس ما هو مثله في الحكم كما قال الله تعالى فإن طلقها فلا جناح
عليهما أن يتراجعا ومعلوم أن ما قام مقام الطلاق من ساير أنواع الفرقة كان حكمه حكم الطلاق
في إباحتها للزوج الأول **قوله عز وجل** حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى
وقوموا لله قانتين وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه جرى فيما تقدم ذكر التقوى حيث قال
وأن تعفوا أقرب للتقوى والصلوة من التقوى ومعنى هذه الآية واظبوا وداوموا على الصلوات
المفروضات في مواقيتها بشروطها وأما قوله تعالى والصلوة قد اختلفوا في هذه الصلوة قال
أمير المؤمنين علي وابن عباس والحسن أنها صلوة العصر وقال زيد بن ثابت أنها صلوة الظهر
وقال قبيصة بن ذويب أنها المغرب وقال جابر بن عبد الله أنها صلوة الغداة فأما من قال أنها
العصر فإنما سماها الوسطى لأنها بين صلوتي الليل وصلوتي النهار وإنما خصها بالذكر لأنها تقع في
وقت اشتغال الناس بأمور البيت فخصها بالذكر للحث عليها وأما من يقول الظهر فإنما سماها
الوسطى لأنها تقع في وسط النهار وإنما خصها بالذكر لأنها أول صلوة أوجبت على الناس وأما
من يقول أنها صلوة المغرب لأنها أوسط صلوة أوجبت على الناس وقيل أنها وسطى أعداد
الركعات لأنها بين الثنتين والأربع وإنما خصها بالذكر لأنها أول صلوة الليل التي يرغب الناس عن
الصلوة فيه وأما من يقول أنها الفجر لأنها تقع في وقت بين الظلام والضيا وإنما خصها بالذكر
لأنها صلوة مفردة من بين ساير الصلوات حتى لا يجمع بينها وبين غيرها بوجه من الوجوه فأما ساير
الصلوات فالظهر والعصر يجمعان في وقت الظهر بعرفات والمغرب والعشا يجمعان في وقت العشا
بالمزدلفة وأي صلوة من هذه الصلوات كانت هي المراد فإن تخصيصها بالذكر يدل على فضيلتها
وعلى تأكيد أمرها كما دل تخصيص جبريل وميكائيل عليهما السلام من بين ساير الملائكة على فضلهما على
غيرهما من الملائكة **وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**
أنه قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله قلوبهم وبطونهم نارا
وعن أبي يونس مولى عايشة قال أمرتني عايشة رضي الله عنها أن أكتب لها مصحفا فقالت إذا بلغت
هذه الآية فآذني فلما بلغت آذنتها فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر
وعن حفصة رضي الله عنها أنها قالت لكاتب مصحفها حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة
العصر كما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قوله تعالى وقوموا لله قانتين قال ابن
عباس معناه قوموا لله داعين والقنوت هو الدعا في الصلوة في حال القيام وقال الحسن وهو إحدى
الروايتين عن ابن عباس معناه قوموا لله طايعين وقال عبد الله بن مسعود معناه ساكتين
كما روي عن زيد بن أرقم أنه قال كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت هذه الآية وقوموا لله قانتين
فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقال مجاهد معناه خاشعين فنهوا عن العبث والالتفات في
الصلوة وقيل معناه مطيلين للقيام كما في قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك والحفظ ضد النسيان
والحافظ خلاف المضيع وأصل الحفظ هو ضبط الشي في النفس نحو حفظ العلم والأدب ثم قد استعمل
في ضبط ما لا يكون في النفس والأوسط هو الشي بين الشيين على جهة الاعتدال **قوله عز وجل**
فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون
يقول إن خفتم من العدو فلم يمكنكم أن تقوموا قانتين موفين حق الصلوة صلوا قياما على أرجلكم
حيث ما توجهتم بالإيما إذا لم يمكنكم استقبال القبلة وإقامة الركوع والسجود وقوله تعالى أو ركبانا أي إذا
لم تستطيعوا النزول عن الدواب فصلوا ركبانا حيث توجهت بكم لا عذر لكم في ترك الصلوة في حالة الخوف
وكان الحسن رضي الله عنه يقول في قوله تعالى فرجالا أن معناه قايمين أو ماشين وذهب
أصحابنا رحمهم الله إلى أنهم لا يصلون وهم يقاتلون أو يمشون لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه فاتته ثلاث صلوات يوم الخندق فقضاهن على الترتيب ولولا أن الاشتغال بالقتال يفسدها
لما ترك الإيما بها حال القيام ومعنى فإذا أمنتم أي إذا أمنتم من الخوف فصلوا لله تعالى كما
أمركم قانتين مؤدين حقوق الصلوة وشرايطها وقوله تعالى ما لم تكونوا تعلمون معناه يعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون قبل التعليم والرجال جمع راجل مثل صاحب وصحاب وتاجر وتجار والركبان
جمع راكب مثل فارس وفرسان **قوله عز وجل** والذين يتوفون منكم ويذرون
أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم
فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم قال ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت هذه الآية قبل نزول آية المواريث وقبل استقرار العدة وكانت المرأة في ابتدا الإسلام إذا
احتضر زوجها أوصى لها من ماله بنفقة سنة من طعامها وشرابها وكسوتها وسكناها فإن كانت

من اهل المدر سكنت بيت زوجها حتى يبنى لها بيتا وان كانت من اهل الوبر سكنت بيت زوجها حتى تحول بيتا
فتحول اليه فان خرجت من بيت زوجها او تزوجت فلا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخت الوصية باية المواريث
وبقول النبي صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث ونسخ حكم الحول باعتبار اربعة اشهر وعشر عدة الوفاة بقوله
تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ومعنى هذه الاية
والله تعالى اعلم والذين يتوفون منكم ويتركون نسا من بعدهم فعليهم وصية لازواجهم ويقال كتب
عليهم وصية قال بعضهم كتب الله تعالى عليهم ان يوصوا اذا حضر احدهم الموت كما تقدم ذكره في اية الوصية
للوالدين والاقربين وقال بعضهم كانت هذه الوصيه واجبة من الله تعالى لنسائهم اوصى الميت او لم يوص
كما قال الله تعالى في اية المواريث وصية من الله ومن قرا وصية لازواجهم بالنصب فعلى تقدير فليوصوا
وصية او كتب الله تعالى عليهم وصية وقوله تعالى الى الحول اي متعوهن متاع السكنى والنفقة حولا
وقوله تعالى غير اخراج اي لا تخرجوهن من بيوت ازواجهن وانما انتصب غير لانه صفة المتاع وقيل على
معنى لا اخراجا كما يقال اتيتك غير رغبة اليك وقوله تعالى فان خرجن قال بعضهم معناه ان خرجن قبل مضى
الحول فلا حرج عليكم فيما فعلن في انفسهن من التشوف والتزين والتزوج بالمعروف اذا لم تكن المراة حبلى
من الميت ويقال معناه فان خرجن بعد انقضا عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن وقوله تعالى غير
اخراج تضمن معنيين احدهما وجوب السكنى في مال الزوج والثاني حظر الخروج والاخراج لا التعلق حق
الغير بالسكنى التي هي فيها وقد نسخ الحكم الاول واما الحكم الثاني وهو لزوم اللبث في البيت الى ان تنقضي عدتها
اربعة اشهر وعشر باق لم ينسخ ولا يجوز لها ان تبيت بالليالي دون منزلها ولا ان تتزين لان امراة جات
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها فنكحلها فرخص لها ثم
قال صلى الله عليه وسلم كانت احداكن تجلس في احلاس بيتها حولا لا تخرج حتى اذا مر بها كلب خرجت ورمته
ببعرة فهلا الان اربعة اشهر وعشرا وعن زينب بنت ابي سلمة قالت دخلت على زينب ابنة جحش حين توفي
اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول وهو على المنبر لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوجها
اربعة اشهر وعشرا وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان نسوة قتلى احد شكون الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فامرهن ان يتزاورن بالنهار ولا يبتن بالليل دون منازلهن
ومعنى والله عزيز حكيم اي قادر على النقمة ممن خالف امره ذو حكمة فيما حكم على الازواج قوله
عز وجل وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين روي عن سعيد بن جبير وابي العاليه
والزهري ان المراد بالمتاع المذكور في هذه الاية المتعة وهي واجبة لكل مطلقة وذهب بعض اصحابنا
الى ان المتعة تجب للمطلقات كلهن من طريق الديانة بحكم هذه الاية ولكن لا يجبر الزوج على المتعة الا المطلقة
لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر للاية المتقدمة وقال بعضهم المراد بالمتاع في هذه الاية نفقة عدة الطلاق
لان الله تعالى عطفه على قوله تعالى متاعا الى الحول والمراد به هناك النفقة والسكنى والمتاع في اللغة اسم لما
يستمتع به كما قال الله تعالى متاع قليل وقال جل ذكره انما هذه الحيوة الدنيا متاع ويحتمل ان يكون المراد
بالمتاع في هذه الاية الحق الذي يجب لها عند الطلاق اما المهر واما المتعة وعن سعيد بن المسيب ان حكم
غير المدخول بها اذا كان قد فرض لها المهر منسوخ من هذه الاية بقوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن والى هذا ذهب الشافعي رحمه الله حيث قال لكل مطلقة متعة الا التي طلقها زوجها قبل المسيس
وبعد الفرض قوله عز وجل كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون اي مثل
هذا البيان يبين الله لكم دلالاته في المستقبل كما بين في الماضي من امور دينكم ودنياكم لكي تفهموا ما امرتم به
ويقال لكي تكمل عقولكم فان العقل الغريزي انما يكمل بالعقل المكتسب ويقال لكي تعملوا عليه وحقيقة

العاقل

العاقل الذي يعمل ما افترض عليه وحقيقة العقل استعمال الاشيا المستقيمة قال الله تعالى انما التوبة على
الله للذين يعملون السوء بجهالة فسمى المسيئين جهالا وان كانوا مميزين لانهم اثروا اهواهم على ما علموا
انه الحق قوله عز وجل الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
روي عن عبد الله بن عباس انه قال وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر بالخروج بهم الى قتال عدوهم
فخرجوا للقتال ثم جبنوا وكرهوا القتال فقالوا لملكهم ان الارض التي ياتي بها الوبا فلا ناتيها حتى ينقطع
الوبا منها فقال لهم الله موتوا فماتوا وهم ثمانية الاف رجل وفي رواية اربعون الف رجل فمكثوا
ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ ساير بني اسرائيل موت اصحابهم فخرجوا اليهم ليدفنوهم فعجزوا عنهم
من كثرتهم فحظروا عليهم الحظاير ثم احياهم الله تعالى بعد ثمانية ايام فبقي فيهم من ريح النتن الذي
كان فيهم بعد الموت حتى بقي في ولادهم الى اليوم وعن اسمعيل السدي انه قال وقع الطاعون
في بني اسرائيل فخرج قوم منهم من ديارهم هاربين حتى انتهوا الى مكان وهم بضعة وثلثون الفا
فقال لهم الله موتوا فماتوا وتفرقت عظامهم وتقطعت اوصالهم فاتى على ذلك ما اتى عليه اذ
مر بهم نبي يقال له حزقيل عليه السلام فقال الحمد لله القادر على ان يحيي هذه الاجساد فاوحى
الله اليه ان احيهم باذن الله فنادى الا ايتها العظام البالية ان الله تعالى يامركن ان تجتمعن فاجتمعن
حتى صرن اجسادا من عظام ثم قال الا ايتها الاجساد البالية ان الله تعالى يامركن ان تكتسين لحما
فجعل اللحم يجري عليهن حتى صرن اجسادا من لحم ثم قال الا ايتها الاجساد الخاوية ان الله تعالى يامركن
ان تقمن باذن الله تعالى فقاموا فرجعوا الى بلادهم واقاموا وتوالدوا وكان احدهم اذا اكتسى
ثوبا صار عليه كفنا يكون فيه ريح الموت ومعنى الاية والله تعالى اعلم الم تعلم الذين ويقال
الم ينته علمك الى خبر هولا الذين خرجوا من ديارهم والالف في اول هذه الاية الف توقيف والمراد بالروية
روية القلب لا روية العين وهذا على سبيل التعجيب كما يقال الم تر الى ما صنع فلان ومعنى قوله
تعالى حذر الموت اي خرجوا هاربين حذر الموت وانتصب الحذر على معنى مفعول له وظاهر هذا
يقتضي ان خروج هولا القوم كان على وجه الفرار من الوبا على ما فسره السدي رحمه الله وهو اقرب
الى ظاهر هذه الاية وقيل في معنى الوف اي موتلفوا القلوب لم يخرجوا على تباغض ومعنى فقال
لهم الله موتوا اماتهم الله تعالى وهذا كما يقال قلت براسي كذا اي اشرت براسي وقال بعضهم
اماتهم الله تعالى بقول سمعوه وسمعته الملايكة واما قوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس اي
يتفضل على جميع الناس كما تفضل على هولا بان احياهم بعد الموت واراهم البصيرة التي لا غاية بعدها
ولكن اكثر الناس لا يشكرون رب النعم وفي الاية دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث اخبرهم
عن من قبله ولم يكن قرا الكتب فصدقه اليهود والنصارى وعلموا انه حق وفيها معنى الحث على الجهاد
وبيان ان الموت لا ينفع الهرب منه وهذا كما قال الله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في
بروج مشيدة وقال جل ذكره قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل وقال عز من قايل
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون واذا كانت الاجال موقتة محصورة لا يقع فيها
تقديم ولا تاخير كما قدره الله تعالى لم يجز الفرار عن الطاعون وغيره وقد روي ان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه اراد ان يدخل الشام وبها طاعون فاستشار اصحابه في ذلك فاشار عليه
بعض المهاجرين بالدخول فعزم على الرجوع فقال له ابو عبيدة بن الجراح يا امير المومنين اتفر من قدر
الله تعالى فقال عمر رضي الله عنه لو كان غيرك يقولها يا ابا عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ارايت
لو كانت لك ابل فهبطت بها واديا له عدوتان احدهما خصبة والاخرى جدبة اليس ان رعيت الخصبة

رعبتها بقدر الله وان رعبت الجدبة رعيتها بقدر الله فجا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال
عندي من هذا علم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا وقع هذا الرجز بارض فلا تدخلوا عليه
واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا منها فحمد الله تعالى عمر وانصرف **فان قال قايل** اذا كانت الاجال
مقدرة محصورة لا تتقدم ولا تتاخر فما وجه النهي منه صلى الله عليه وسلم عن دخول ارض بها الطاعون
واي فرق بين دخولها وبين البقا فيها **قيل** وجه النهي عن الدخول انما اذا دخلها وبها طاعون
فجايز ان يدركه اجله بها فيقول قايل لو لم يدخلها ما مات وهذا كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل ارضا بها طاعون لما عسى ان
يموت فيها باجله فيقول قوم من الجهال لو لم يدخلها لم يمت **قوله عز وجل** وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لهذه الامة يقول
قاتلوا في طاعة الله ولا تهربوا من الموت كما هرب هولا الذين سمعتم خبرهم فلا ينفعكم الهرب
واعلموا ان الله سميع لما يقوله المنافق بقله المهرب من القتال عليم بما يضمره فالعضهم هذه الايه
متصله بقوله فاماتهم الله ثم احياهم وقال لهم قاتلوا في سبيل الله **قوله عز وجل** مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
استدعا الى البر والانفاق في سبيل الله تعالى بالطف الكلام وابلغه وسماه الله تعالى قرضا تاكيدا
لاستحقاق الجزا لا يكون قرضا الا والعوض مستحق فيه ومعنى الاية والله تعالى اعلم من ذا الذي
يتصدق بصدقة طيبة من نفس طيبة لا يمن بها على السايل ولا يوذيه قال الحسن رضي الله عنه هو
النفقة في ابواب البر من النفل وقال ابن زيد رحمه الله هو الانفاق في الجهاد في سبيل الله وقوله فيضاعفه
له اضعافا كثيرة قال ابن زيد يعطيه سبعماية امثاله كما قال الله تعالى في اية اخرى مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة **وعن** ابي عثمن النهدي
رحمه الله قال ادخل ابو هريرة رضي الله عنه اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يضاعف الله تعالى للمومن حسنته الى الفي الف حسنة **وقال**
السدي رحمه الله الاضعاف الكثيرة لا يعلمها احد الا الله عز وجل **واما** قوله تعالى والله يقبض
ويبسط اي يقتر ويوسع على من يشا من خلقه وقيل يسلب النعمة من قوم ويبسطها على قوم وقيل
يقبض الصدقات ويبسط عليها الجزا عاجلا واجلا واليه ترجعون في الاخرة فيجزيكم بما قدمتم واصل
القرض في اللغة القطع بالناب وسمي المقراض مقراضا لانه يقطع ثم استعمل اسم القرض في الاموال
لان في ذلك قطع قطعة من المال يقال اقرضت فلانا اذا اقطعت له قطعة يجازيك عليها وقوله تعالى
فيضاعفه من قرا بنصب الفا فعلى جواب الشرط في الاستفهام وجواب الاستفهام بالفا يكون منصوبا
ومن قرا بالضم فعلى العطف على قوله يقرض ويقرا فيضعفه وفيضعفه والتضعيف والمضاعفة بمعنى واحد
وضعف الشي مثلاه في المقدار تقول ضعفت القوم اضعفهم ضعفا اذا صرت مع اصحابك على الضعف من
اوليك القوم وضعفت الشي تضعيفا واضعفته اضعافا وضاعفته مضاعفة اذا زدت على
الشي حتى يصير بالزيادة مثليه او اكثر وقد جهلت اليهود معنى هذه الاية او تجاهلت حيث
قالت ان الله تعالى يستقرض منا فهو فقير الينا ونحن اغنيا كما قال الله تعالى لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وعرف المسلمون معنى الايه ووثقوا بثواب الله تعالى
ووعده **روي** عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الايه جا
ابو الدحداحة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارى ربنا

يستقرض منا مما اعطانا لانفسنا وان لي حديقتين فان تصدقت باحداهما فلي مثلاها
في الجنة قال نعم قال وام الدحداحة معي قال صلى الله عليه وسلم نعم قال والصبية
معي قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه وهي تسمى الحنينية فلما رجع الى اهله وجد ام الدحداحة
والصبية في الحديقة التي تصدق بها فقام على بابها وتحرج ان يدخلها ثم نادى يا ام
الدحداحة قالت لبيك قال قد جعلت حديقتي هذه صدقة واشترطت مثليها في الجنة وام
الدحداحة معي والصبية معي قالت بارك الله تعالى لك فيما اشتريت ثم خرجوا منها ودفعها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد قبل منك واعطه اليتيمين اللذين في
حجرك وقال صلى الله عليه وسلم كم من نخلة مدلى عروقها في الجنة لابي الدحداحة **قوله
عز وجل** أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ معنى الاية والله تعالى اعلم الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم
بالملا من بني اسرايل وهم اشرافهم ووجوههم وقوله تعالى من بعد موسى اي من بعد وفاته
اذ قالوا لنبي لهم اسمه بالعبرانية اشمويل بن هلقانا وبالعربية اسمعيل هكذا قاله الكلبي ومقاتل رضي
الله عنهما وقال قتادة رضي الله عنه هو يوشع بن نون خليفة موسى عليهما السلام وقال السدي
رضي الله عنه هو شمعون النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد يوشع وانما سمي شمعون لان الامة
سالت الله تعالى ان يعطي واحدا من ولد هرون النبوة فاعطاهم شمعون قالوا اسمع الله الدعا فسموه
شمعون وهو بالعربية شمعون وقوله تعالى ابعث لنا ملكا اي ادع الله تعالى ان يجعل لنا ملكا
نقاتل معه عدونا في طاعة الله تعالى من قرا نقاتل بالجزم فعلى جواب الامر ومن قرا بالرفع
فعلى معنى فانا نقاتل ومن قرا يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا فهو راجع الى الملك وكان عدو بني اسرايل
قوما يقال لهم البلشتايا قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين لقيت منهم
بنو اسرايل بلا شديدا حتى غلبوهم على كثير من اراضيهم وسكنوا كثيرا من ديارهم ولم يكن
لبني اسرايل ملك يقاتلهم في سبيل الله تعالى وانما سالوا الملك لانهم علموا ان كلمة القوم لا تتسق
واموره لا تنتظم ولا يحصل منهم الاجتماع على القتال الا بملك يحملهم على ذلك ويجمع شملهم
وفي هذا دليل وجوب الامامة ولهذا فزع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده الى نصب امام
وقوله تعالى قال هل عسيتم ان كتب اي قال لهم نبيهم لعلكم اذا بعث الله تعالى لكم ملكا وفرض
عليكم القتال ان تجبنوا عن القتال ولا تقاتلوا وانما قال لهم ذلك ليتعرفا ما عندهم من الحرص
والجد قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله معناه وما لنا في ان لا نقاتل اي اي شي لنا في ترك القتال يقال
هربت ان اقول كذا اي من ان اقول وقيل معناه وليس لنا ان نمتنع عن قتال عدونا في طلب مرضات
الله تعالى وقوله تعالى وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اجلونا من منازلنا وسبوا ذراريتنا
ومعنى الاخراج من الابنا انه لما كان الاخراج من الديار يودي الى مفارقة الابنا قالوا اخرجنا
من ديارنا وابنائنا ويجوز ان يكون على وجه الاتباع كما يقال متقلدا سيفا ورمحا وقوله تعالى
فلما كتب عليهم القتال اي لما فرض عليهم القتال تولوا عن الطاعة في القتال الا قليلا منهم وهم ثلثماية
وثلثة عشر رجلا وقوله تعالى قليلا نصب على الاستثنا المعنى استثني قليلا منهم يقال جاني القوم الا
زيدا ومعنى والله عليم بالظالمين عالم بالذين ظلموا انفسهم بالمعصية ويعاقبهم وفي هذا تهديد
لمن تولى عن القتال والملا الجماعة الاشراف من الناس يجتمعون للمشاورة وجمعه الاملا واشتقاقه

عذوقها خ

من ملات الشي وفلان غني ملي به اذا كان مكثرا ومعنى الملا الذين يملون العين والقلب ويقرا هل عسيتم بكسر السين يقال عسيت ان افعل كذا وعسيت والنصب افصح **قوله عز وجل** وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ المعنى والله تعالى اعلم قال لهم نبيهم اشمويل عليه السلام ان الله تعالى قد اجابكم الى ما سالتم وجعل لكم طالوت ملكا ملكه عليكم قالوا من اين يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه يعنون ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا وليس هو من سبط النبوة ولا من سبط المملكة كان من اولاد بنيامين ولم يكن في نسله ملك ولا نبوة ويقال انه كان دباغا وقيل انه كان يبيع الخمر وقوله تعالى ولم يوت سعة من المال اي لم يعط ما لا ينفقه علينا كما تفعله الملوك مع اقرانهم وخدمهم قال عليه السلام ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة اي اختاره للملكة عليكم وزاده بسطة اي فضلة في العلم والجسم كان يوميذ اعلم رجل في بني اسرايل فرفعه الله تعالى بعلمه وقيل كان عالما بامر الحرب وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه وراسه فاعلمهم الله تعالى ان العلم هو الذي يجب ان يقع به الاختيار وان الزيادة في الجسم مما يهيب به العدو وقوله تعالى والله يوتي ملكه من يشا اي يعطي ملكه من يشا وهو جل وعلا لا يشا الا الحكمة والعدل وقوله تعالى والله واسع عليم اي يوسع على من يشا من عباده ويعلم اين ينبغي ان يكون الملك والسعة وانما قيل واسع بمعنى موسع كما يقال اليم بمعنى مولم ويقال معناه واسع الفضل الا انه حذف الفضل كما يقال فلان كبير اي كبير القدر ويقال معناه ذو سعة كما يقال عيشة راضية اي ذات رضي ورجل تامر ولابن اي ذو تمر ولبن وكذلك يقال رجل رامح ونابل **واما** الاصطفا فهو افتعال من الصفوة الا ان التا تبدلت طا لان التا مهموسة والصاد مجهورة فجعلت التا طا لسهولة اللفظ **واما** اسم طالوت وجالوت وداود فاجتمع فيه العجمة والتعريف فلذلك لا ينصرف ولو سمي رجل باسم جاموس لا ينصرف وان كان اعجميا لانه قد يمكن في العربية لانك تدخل عليه الالف واللام فتقول الجاموس وفي الاية دلالة ان الامامة لا تكون ارثا وانما يستحقها الانسان بخالة في نفسه وذكر الجسم في هذه الاية عبارة عن فضل قوة طالوت لان في العادة ان من كان اعظم جسما فهو اكثر قوة ولا حظ لعظم الجسم بلا قوة في امر القتال وهو وبال على صاحبه **قوله عز وجل** وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قال ابن عباس هذا جواب عن قولهم لنبيهم والله ما نصدقك ان الله قد بعثه علينا ولكنك انت بعثته علينا ملكا مضارة لنا حين سالناك ملكا فاتنا باية ان الله تعالى قد بعثه علينا قال لهم نبيهم ان الدلالة على كون طالوت ملكا ان ياتيكم التابوت الذي اخذه منكم عدوكم وكان ذلك التابوت من عود الشمشاد الذي يتخذ منه الامشاط مغرم بالذهب عليه صفايح الذهب وكانت السكينة في التابوت قال وهي شبه دابة راسها راس الهرة قال مجاهد وكان لها جناحان من زبرجدة او ياقوتة ويقال كان فيها روح وكانت تكلمهم بالبيان فيما اختلفوا فيه وكان لعينيها شعاع اذا نظرت الى الناس ذعر **وقال** ابن عباس كانت بنو اسرايل اذا احضروا القتال قدموا التابوت بين ايديهم الى العدو واذا انت السكينة في التابوت سمع التابوت انينها فدب نحو العدو وهم يمضون معه ما مضى فاذا استقر ثبتوا خلفه فلما عصت بنو اسرايل الانبيا عليهم السلام سلط الله تعالى عليهم عدوهم فقاتلهم وغلبهم على التابوت فدفنوه في مخلاة لهم وكان اذا ابترز احدهم عند التابوت

اخذه الباسور فلما ابتلاهم الله بذلك عرفوا ان ذلك من التابوت وقالوا ان اية بني اسرايل الذي فينا يعنون التابوت هو الذي يفعل بنا هذا الفعل فربطوا التابوت على عجلة وربطوا العجلة على بقرتين ووجهوهما نحو بني اسرايل فضربت الملايكة جنوبهما وساقوهما حتى هجموا به على ارض بني اسرايل فلما راوا التابوت قد جي به اقروا لطالوت بالملك فذلك قوله تعالى ان ياتيكم التابوت وقد قيل في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم اي فيه ما تسكنون به اذا اتاكم وتطمين قلوبكم اليه في الحروب **وعن** علي كرم الله وجهه ان السكينة كانت ريحا هفافة لها وجه كوجه الانسان **واما** قوله تعالى وبقية مما ترك ال موسى وال هرون قيل انه كان في التابوت رضاض الالواح لموسى وعصاه من اس وعمامة هرون وقفيز من المن وهو الترنجبين الذي كان لبني اسرايل في طست من ذهب وقوله تعالى تحمله الملايكة اي تسوقه الملايكة وهذا كما يقال حملت متاعي الى ارض كذا اذا كنت سببا لحمله **وقال** بعضهم ارسل الله تعالى ريحا انتزعت التابوت من ايدي الكفار ثم حملته الملايكة فالقته بين يدي طالوت وهذا بمعجزات الانبيا صلوات الله عليهم اشبه والله تعالى اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لاية لكم في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله تعالى ملك عليكم طالوت ان كنتم مصدقين بذلك **قوله عز وجل** فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال خرج طالوت من البلد بالجنود فسار بهم وهم سبعون الفا خرجوا معه في حر شديد فاصابهم العطش فسالوا الما فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم بنهر جار وهو نهر الاردن وفلسطين فمن شرب منه فليس معي على عدوي ومن لم يطعم ذلك فانه معي على عدوي وقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده استثنا يقرا بضم الغين وفتحها فمن قرا بالفتح فهو مصدر غرفت ومن قرا بالضم فهو مقدار ما يملا اليد من المغروف ونظير ذلك الخطوة بالنصب مصدر وهي برفع الخا مقدار ما يكون بين قدمي الماشي **قال** الكلبي ومقاتل رضي الله عنهما كانت الغرفة تشرب منها الرجل وخادمه ودابته وقيل ابتلاهم الله تعالى بذلك النهر ليميز الصادق من الكاذب في فعاله وكان اشمويل عليه السلام هو الذي اخبر طالوت بهذا الابتلا لان الله تعالى لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فلا يجوز هذا القول الا من نبي **واما** قوله تعالى فشربوا منه الا قليلا اي لم يطيعوا الا قليلا وذلك انه لما عرض لهم النهر وقد اشتد بهم العطش وقعوا في النهر فشربوا كلهم اكثر من غرفة الا قليلا وهم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كعدة اهل بدر قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر لاصحابه انتم على عدد اصحاب طالوت **قال** ابن عباس وقتادة والربيع من استكثر منهم من الما لم يذهب عطشه واما من لم يشرب منه الا غرفة فانه يروى ويذهب عطشه **واما** قوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه يقول لما تخطى طالوت النهر والذين صدقوه فلم يشربوا الا مقدار الغرفة راوا قلتهم قال بعضهم لبعض لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده **وذهب** بعض المفسرين الى ان القوم كلهم جاوزوا النهر ثم ان الذين خالفوا في الشرب من النهر اعتزلوا من المطيعين وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده واما قوله تعالى قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله معناه يوقنون ويعلمون وقد يسمى العلم ظنا كما تقدم في قوله تعالى يظنون انهم ملاقوا ربهم وقيل معنى يظنون في هذه الاية يتوهمون انهم يقتلون في هذه الوقعة لقلة عددهم وكثرة عدد اصحاب جالوت فانه روي انه كان معه مائة الف وقوله تعالى كم من فية قليلة معناه كم من فرقة قليلة عددهم قهرت فرقة عددها

كثيرة بامر الله تعالى ونصرة الله تعالى والله مع الصابرين في النصرة والمعونة والفصل في اللغة
هو القطع يقال فصل عن المكان اذا قطعه بالمجاوزة والجنود جمع تكثير يقال جند
واجناد وجنود واصل ذلك من الجند وهو الارض الغليظة والنهر والنهر لغتان والطعم
الذوق يقال في المثل تطعم تطعم واصل الفئة من قولهم فاوت راس فلان بالسيف
افاوه فاوا اذا قطعته بنصفين **قوله عز وجل** ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
معنى الاية والله تعالى اعلم لما خرجوا واصطفوا لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ
علينا صبرا اي اصبب علينا الصبر صبا واصل هذا من قولهم افرغت الانا اذا اخليته وصببت
ما فيه وقوله تعالى وثبت اقدامنا اي ثبتها في اماكنها في الحرب بتقوية قلوبنا ومعنى وانصرنا
على القوم الكافرين اعنا على قوم جالوت بالقاء الرعب في قلوبهم والبروز في اللغة هو
الظهور والابراز الاظهار ويقال بارز بين الصفين اذا خرج بين الصفين ظاهرا للقتال
قوله عز وجل فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
في الاية ايجاز لان ذكر الهزيمة بعد سوال النصر
دليل اجابة الدعا كان الله تعالى قال فاستجاب دعاهم فهزموهم باذن الله روى اصحاب
القصص باسانيدهم ان داود عليه السلام كان راعيا وكان له سبعة اخوة خرجوا مع طالوت
للقتال فلما ابطا خبر اخوته على ابيهم ايشا ارسل اليهم ابنه داود عليه السلام ينظر ما امرهم
وياتيه بخبرهم فاتاهم وهم في الصفوف وقد برز جالوت وهو يقول هل من مبارز فلم يخرج
اليه احد فقال يا بني اسرايل لو كنتم على حق لبرز الي بعضكم فقال داود عليه السلام اما فيكم
رجل يخرج الى هذا الاقلف فقالوا له اسكت فذهب داود عليه السلام الى ناحية من الصف ليس
فيها اخوته فمر طالوت به وهو يحرض الناس فقال داود عليه السلام ما تصنعون لمن
يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتي واجعل له نصف مملكتي قال داود عليه السلام
فانا اخرج اليه فاعطاه طالوت درعه وسيفه فلما خرج في الدرع جرها لان طالوت كان
اطول منه فرجع الى طالوت وقال اني لم اتعود القتال في الدرع ولكني قاتلت بالقلاعة قال له
طالوت وهل جربت نفسك في القتال في غير هذا قال نعم وقع الذيب في غنمي فضربته ثم اخذت
براسه وجسده وقطعت راسه من جسده فقال له طالوت الذيب ضعيف فهل جربت نفسك
في غير هذا قال نعم دخل الاسد في غنمي فضربته ثم اخذت بلحييه فشققتهما افترى هذا
اشد ام الاسد قال لا واخذ داود القلاعة وخرج الى جالوت فمر بثلاثة احجار فقلن خذنا
معك ففينا ميتة جالوت فاخذهن ثم مضى نحو جالوت فلما راه جالوت قال خرجت الي
لتقتلني بالقلاعة كما يقتل الكلب قال له داود عليه السلام هل انت الا مثل الكلب وكان
على جالوت بيضة هي ثلثماية رطل فقال جالوت اما ان ترميني او ارميك قال داود عليه
السلام بل ارميك ثم اخذ احدى الحجارة الثلث فرمى بها فوقعت في صدره فنفذته وقتلت
بعد ما نفذته خلقا كثيرا فهزم الله تعالى جنوده **ثم ان طالوت** زوج
داود عليه السلام ابنته واراد ان يدفع اليه نصف مملكته فقال له وزيره لو دفعت اليه
نصف ملكك صار منازعا لك في الملك وفسد عليك الملك فامتنع طالوت من ذلك وقصد
قتله فهرب داود عليه السلام وانطلق طالوت في طلب داود عليه السلام حتى اتى على امراة من

قدما بني اسرايل وهي تبكي على داود عليه السلام فضرب بابها قالت من هذا قال انا طالوت
قالت انت اشقى الناس طردت داود النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتل جالوت وهزم جنوده
قال انما اتيتك لاسالك ما توبتي قالت توبتك ان تاتي مدينة كذا وتقاتل اهلها فان فتحتها فهي
توبتك وان قتلت فهي توبتك فانطلق طالوت الى تلك المدينة فقاتل اهلها حتى قتل فاجتمع
بنو اسرايل وملكوا داود عليه السلام عليهم من بعده فذلك قوله تعالى واتاه الله الملك والحكمة
اي جمع الله له بين الملك والنبوة ولم تجتمع كلاهما لاحد الا لداود عليه السلام وسليمن عليه السلام
فاما قوله تعالى وعلمه مما يشا اي علمه علم الدروع ومنطق الطير وغير ذلك من العلوم
ومعنى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي لولا دفع الله تعالى باس المشركين بالغزاة
المجاهدين كما دفع بداود عليه السلام شر جالوت لفسدت الارض باهلها لغلبة الكفار
يقال معناه لولا الانبيا عليهم السلام الذين يدعون الى سبيل الله الناهون عن الفساد والخيار الذين
ياخذون على ايدي الاشرار لفسدت احوال الناس كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال يقول الله تعالى لولا رجال ركع وصبيان رضع وبهايم رتع لصببت عليهم العذاب صبا
وقال الحسن رضي الله عنه يزع الله تعالى بالسلطان اكثر مما يزع بالقران ولولا السلاطين
والامرا المسلطون على الدعارة والعيارين لخرجوا على اهل الصلاح واستولوا عليهم ومن قرا
ولولا دفاع الله الناس فهو من قولهم دافع يدافع مدافعة ودفاعا والدفع الصرف والهزم
الكسر والرد وهزمة الرعد صوت فيه تردد وتشقق وتهزم السقا اذا يبس وتكسر وانثنى
بعضه على بعض واما قوله تعالى ولكن الله ذو فضل على العالمين اي ذو من عليهم يدفع
المفسدين عن المصلحين **قوله عز وجل** تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن
المرسلين اي القران بما فيه من اخبار الامم الماضية ايات الله ينزل بها جبريل عليه السلام عليك لتبيان
الحق من الباطل وانك لمن المرسلين لانك اخبرت بهذه الايات مع انك لم تشاهدها ولم تخالط اهلها وقيل في
معنى هذه الايات اماتة الله تعالى الالوف في دفعة واحدة واحياوهم بدعائهم دفعة واحدة واعطاوه
الملك طالوت وهو من اهل الخمول الذي لا ينقاد له الناس ونصر اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم
على جالوت واصحابه مع شوكتهم وكثرة عددهم دلالات الله تعالى على قدرته وعلى نبوة انبيائه
صلوات الله عليهم وانك لمن المرسلين لانك قد اعطيت من الايات مثل ما اعطي الانبيا قبلك وزيادة
قوله عز وجل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من
بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله
ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد معنى الاية والله تعالى اعلم ان الذين نزلت عليك خبرهم في القران
هم الرسل لم يكونوا في الفضل متساوين ولكن فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا والعقبى ثم فسر
فضيلة كل واحد منهم فقال منهم من كلم الله وهو موسى عليه السلام كلمه الله تعالى من غير سفير
كان بينه وبينه ورفع بعضهم درجات اي اتخذ الله ابرهيم خليلا وسخر لسليمن الريح والجن والشياطين
وعلمه منطق الطير والنمل وقال مجاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم اراد بهذه الاية فضيلة محمد صلى الله عليه وسلم على جميع
الانبيا صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل هو ادريس عليه السلام كما قال الله تعالى
ورفعناه مكانا عليا ومعنى واتينا عيسى ابن مريم البينات اي اعطيناه الدلالات على اثبات نبوته
من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى والانبا بما غاب عنه وايدناه بروح القدس اي قويناه واعناه
بجبريل الطاهر عليه السلام حين اراد اليهود قتله حتى رفعه الله الى السما وقال الحسن رضي الله عنه الروح

وقوله تعالى م

جبريل عليه السلام والقدس هو الله عز وجل فيصير تقدير الايه و قويناه بروح الله تعالى وعن عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما انه قال روح القدس اسم الله الاعظم الذى كان به عيسى عليه السلام يحيي الموتى
و اما قوله تعالى ولو شا الله ما اقتتل الذين من بعدهم اى لو شا الله لم يقتتل الذين من بعد
الرسل من بعد ما وضحت لهم الحجج والدلايل كما قال الله تعالى ولو شا الله لجمعهم على الهدى وقال جل ذكره
ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا وقيل معناه لو شا الله تعالى لانزل اية تضطرهم الى الايمان بالله تعالى
وتمنعهم عن الكفر كما قال الله تعالى ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومعنى ولكن اختلفوا اى شا اختلافهم فاختلفوا و يقال لم يلجيهم الى الايمان لان التكليف لا يحسن
مع الضرورة والجزا لا يحسن الا مع التخلية وقوله تعالى ومنهم من كفر اى بالكتب والرسل ولو شا الله لم
يقتتلوا مع اختلافهم بان يامر المومنين بالكف عن القتال وبان يلجيهم جميعا الى ترك القتال ولكن الله
يفعل ما يريد من تقدير الاتفاق والاختلاف وغير ذلك مما توجبه الحكمة ه **قوله عز وجل**
يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
والكافرون هم الظالمون حث على الانفاق في الجهاد في سبيل الله تعالى وقيل هو الامر بالزكوة المفروضة
واما قوله تعالى من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه وهو يوم القيمه لا فدا فيه وقوله تعالى ولا خلة معناه
ليس فيه خلة لغير المومنين واما المومنون فتكون لهم خلة كما قال الله تعالى الاخلا يوميذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين وقوله تعالى ولا شفاعة اي لغير المومنين واما المومنون فيشفع بعضهم لبعض
ويشفع لهم الانبيا والرسل صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى
وقال جل ذكره ولا تنفع الشفاعه عنده الا لمن اذن له فاما قراة النصب والرفع في قوله تعالى لا بيع
فيه ولا خلة فالوجه في ذلك قد تقدم ذكره ومعنى قوله تعالى والكافرون هم الظالمون اى هم
الذين ظلموا انفسهم حتى لا خلة لهم ولا شفاعة ه وكان عطا رضى الله عنه يقول الحمد لله الذي قال
والظالمون هم الكافرون لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا ه **قوله عز وجل**
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات
وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يحيطون بشي من علمه الا بما شا وسع كرسيه السموات والارض ولا يوده حفظهما
وهو العلي العظيم ذكر وحدانية الله تعالى وصفته ليعلم ان من كان بهذه الصفات لا
يخفى عليه كفر من كفر به ولا معصية من عصاه فيجازى كل عامل على ما عمل بعمله واول هذه الايه في نفي
معبود الكفار واثبات معبود المومنين واثبات الشى مع نفي غيره عنه ابلغ في الاثبات كانه قال الله لا اله الا
هو دون غيره وهو المعبود لا معبود للخلق سواه ومعنى الحي القيوم الدايم الذي لا يموت موصوف
بالبقا على الابد وبه حي كل حي واما القيوم فهو القايم بتدبير الخلق في انشايهم وارزاقهم واعمالهم
واجالهم ومجازاتهم على عملهم كما قال الله تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقيل معنى القيوم
العالم بالامور من قولهم فلان يقوم بهذا الكتاب اى يحسنه ويعلم ما فيه ويقال معنى الحي القيوم
الدايم الذي لا يزول يقال فلان حي قايم كما كان ومعنى لا تاخذه سنة اى لا ياخذه النعاس وهو
اسم لاول ما يدخل في الراس من النوم قبل وصوله الى القلب **و اما النوم** فهو اسم للذى يصل الى
القلب فيستقل ومعنى هذا انه لا يغفل عن تدبير الخلق فان قيل ايش معنى نفي النوم بعد ان نفي النعاس
قلنا مثل هذا اللفظ انما يكون لنفي قليل النوم وكثيره ونظيره قول العرب فلان لا يملك قليلا
ولا كثيرا **وقد روي في الخبر** ان قوم موسى عليه السلام قالوا له اينام ربنا قال لهم
موسى عليه السلام اتقوا الله تعالى ولا تقولوا مثل هذا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انى جعلتك
واسطه

خ تبلغهم
واسطة بيني وبين خلقي لتبلغني عنهم كما بلغتهم عني خذ بيدك قارورتين مملوتين ما فاخذهما والقى
الله تعالى على موسى عليه السلام النعاس فضربت احداهما على الاخرى فاصطكتا وانكسرتا ثم اوحى الله
تعالى الى موسى عليه السلام قل لهولا اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس
لهلكت السموات والارض اسرع من كسر الزجاجتين ه وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض اي
هو مالك السموات والارض وما فيهما كلهم عبيده واماوه تحت قبضته وقدرته وقوله تعالى من
ذا الذى يشفع عنده الا باذنه جواب عن قول المشركين في اصنامهم هولا شفعاونا عند الله وقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اى لا يشفع احد لاحد عند الله تعالى الا بامره ورضاه كما يشفع
المومنون بعضهم لبعض بالدعا وكما يشفع الانبيا صلوات الله عليهم للمومنين ومعنى يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم من امر الدنيا وقال مجاهد والسدى على الضد من هذا وقيل يعلم الغيب
الذى تقدمهم والذي يكون بعدهم ولا يحيطون بشي من علمه اي لا يعلمون الغيب الا بما تقدمهم ولا
مما يكون بعدهم الا بما شا الله تعالى ان يعلموه وهو ما انبا به الانبيا صلوات الله عليهم ليكون دليلا على
تثبيت نبوتهم واما قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض قال ابن عباس كرسيه علمه فلا يخفى عليه
شي مما في السموات والارض كما قال الله تعالى ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما وقيل معناه وسعت قدرته التي
يمسك بها السموات والارض وقال الحسن الكرسي هو العرش بعينه ويقال بل هو سرير دون العرش
ويقال هو مكان خلق الله فيه السموات والارض وقال عطا بن ابى رباح والكلبي ومقاتل
السموات السبع والارضون السبع تحت الكرسي في الصغر كحلقة في ارض فلاة قال الكلبي ومقاتل
يحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة اوجه وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد ووجه نسر
اقدامهم في الصخرة التي تحت الارضين بمسيرة خمسمايه عام ه **وروي عن عبد الله** بن
مسعود بين كل سمايين خمسمايه عام وبين السما السابعه وبين الكرسي مسيرة خمسمايه عام وبين
الكرسي وبين الما مسيرة خمسمايه عام والعرش فوق الما والله تعالى فوق عرشه يعلم ما انتم فيه
ولا حجة لاهل التشبيه في هذا الحديث لان المراد من مثل هذا اللفظ القهر والقدرة يدل على ذلك ما روي
في بعض الروايات عن ابن عباس انه وصف الارضين وقال بين كل ارضين مسيرة خمسماية عام ولو حفرتم
الى الارض السابعة لوجدتم الله تعالى ثم وهذا كما قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وقال
جل ذكره وهو معكم اين ما كنتم وقال سبحانه وهو الذى في السما اله و في الارض اله واما من يزعم
من الجهال ان العرش مكان قعوده والكرسي موضع قدميه فقد وصف ربه بصفة الجبابرة الذين
يتعظمون في المجالس والاماكن وهو في الجهل بمنزلة من يزعم ان الكعبة موضع سكونه فيه والا لم
يكن لوصف الكعبة انها بيت الله تعالى معنى وكذلك القول في المساجد ه وقد ثبت بدليل العقل ان الله
تعالى لا يشبه الاجسام ولا يجوز عليه ما يجوز عليها من المماسة والمجاورة وكيف يصح ان يكون على العرش
والكرسي وهو خالقهما وقد كان ولا هما ولا يحتاج الى المكان فكيف يتغير فيصير محتاجا الى المكان تعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا واما قوله تعالى ولا يوده حفظهما اى لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السموات
والارض يقال ما اذك فهو لي ايد اى ما اثقلك فهو لي مثقل ومعنى وهو العلي العظيم العلي
عن الاشباه والامثال وصفات المحدثين عظيم الشان والسلطان والبرهان والقيوم على وزن
فيعول من القيام والقيام على وزن فيعال والاصل قيووم وقيوام الا ان اليا الساكنة اذا لقيتها
واو متحركة حولت الواو يا وادغمت احدى اليايين في الاخرى والكرسي في اللغة والكراسة انما هو الشي
الذى قد ثبت ولزم بعضه بعضا والكرس ما تلبد بعضه على بعض في اذناب الغنم ومعاطن الابل
ويقال اجعل لهذا الحايط كرسيا اى اجعل له ما يمسكه ويقال للعلما الكراسي لانهم هم المعتمد عليهم

قال ابن عباس ما بين ايديهم من امر الاخرة وما خلفهم م
خ نفسه
مسيرة خ

في امر الدين كما يعتمد على السرير وكذلك يقال العلماء اوتاد الارض لان بهم قوام الارض وقد روي
عن محمد بن الحنفية انه قال لما نزلت اية الكرسي خر كل صنم في دار الدنيا وخر كل ملك في الدنيا على
وجهه وسقطت التيجان عن رؤسهم وهربت الشياطين فضرب بعضهم على بعض حتى اجتمعوا الى
ابليس فاخبروه بذلك فامرهم ان يبحثوا فجاؤا الى المدينة فبلغهم ان اية الكرسي قد نزلت وعن
ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة
مكتوبة اعطاه الله تعالى قلوب الشاكرين واعمال الصديقين وثواب النبيين عليهم السلام وبسط
عليه يمينه بالرحمة ولم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت فيدخلها وقد كثرت الروايات في فضل هذه
الاية وعظم الثواب في قراتها وبالله التوفيق **قوله عز وجل** لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ اختلف اهل التفسير في هذه الاية على ثلثة اقوال قال السدي والضحاك ان هذه الاية نزلت
قبل الامر بقتال المشركين كما قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقال عز من قايل واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وكان القتال محظورا في اول الاسلام الى ان قامت عليهم الحجة الصحيحة بصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
فلما عاندوا بعد البيان امر الله تعالى المسلمين بقتالهم بقوله تعالى اقتلوا المشركين وغير ذلك من ايات القتال وقال
الحسن وقتادة وهو رواية عن ابن عباس ان هذه الاية خاصة في اهل الكتاب ان لا يكرهوا على الاسلام بعد
ان يؤدوا الجزية **فاما** مشركوا العرب فلا يقرون بالجزية ولا يقبل منهم الا الاسلام او السيف والقول الثالث
ان معناه من دخل في الاسلام بمحاربة المسلمين ثم رضي بعد الحرب فليس بمكره اي لا تقولوا لهم انما اسلمتم كرها
فلا اسلام لكم ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان لا تكرهوا على الاسلام وقد وضح الطريق المستقيم من الطريق
الذي ليس بمستقيم بما اعطى الله تعالى انبياءه من المعجزات فلا تكرهوا على الدين وقوله تعالى لا اكراه لفظ خبر
بمعنى النهي ودخول الالف واللام في الدين لتعريف المعهود ومعنى فمن يكفر بالطاغوت اي من يكفر بما امر
الله تعالى ان يكفر به ويصدق بالله تعالى وبما امر الله به فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله
حجة من الحجج ولا انقطاع لها بالشبهة والشكوك والله سميع لما يعتقده الانسان في ايمانه عالم بنيته
في ذلك والغي نقيض الرشد يقال غوى الرجل يغوى غيا وغواية اذا سلك خلاف طريق الرشد وغوى
يغوى اذا خاب قال الشاعر ٭ فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ٭ ومن يغو لا يعدم على الغي لايما ٭
والطاغوت ماخوذ من الطغيان زيد في اخره التاء والواو فصار طغووت كما فعلوا في جبروت وملكوت
ورهبوت ورحموت ثم قلبت عين الفعل من طغووت الى موضع اللام كما قيل صاعقة وصاقعة فصار
طوغوت قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فقيل طاغوت وهو اسم للاصنام والشياطين ولكل ما
يعبد من دون الله تعالى **واما** العروة فهي معروفة وهي عروة الدلو وغير ذلك يقال عراه
تعرية اذا جعل له عروة واعتراه الهم اذا تعلق به الهم وعرته الحمى وعرته الرايحة اذا تعلقت به
وعروت الرجل اعروه اذا تعلقت بسبب منه وانما شبه المصدق بالاسلام بالمستمسك بالعروة الوثقى
لان الشيء الخفي يمثل ابدا بالجلي والتمسك بالايمان امر حكمي خفي وبالعروة الظاهرة جلي فشبه به
فان قال قايل اذا كان قوله تعالى لا اكراه في الدين يقتضي حظر اكراه الذمي على الاسلام فكيف يصح
اسلام الذمي اذا اكره على الاسلام مع انه لا يجوز اكراهه على ذلك بعد دخوله في عقد الذمة قلنا
لما كان الاسلام لا يختلف حكمه في حال الاكراه والطوع فيمن يجوز اجباره عليه اشبه من هذا الوجه العتق
والطلاق وساير ما لا يختلف فيه جده وهزله فصححنا اسلامه ثم اذا اظهر الكفر بعد ذلك اجبر على
الاسلام بالحبس ولم يقتل لشبهة انه لم يعتقد الاسلام فان قيل فمشركوا العرب الذين امر النبي صلى الله
عليه وسلم بقتالهم فكيف يصيرون مسلمين بالاكراه على ذلك ومعلوم ان من دخل في الدين كرها فليس بمسلم

قيل

قيل انما اكرهوا على اظهار الاسلام لا على اعتقاده لان الاكراه على الاعتقاد لا يتصور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس الى ان قال وحسابهم على الله والفايدة في هذا الاكراه ان المكره اذا اظهر الاسلام وان
كان غير معتقد لذلك فان سماعه القران ومجالسته المسلمين يدعوه الى الاسلام ويوضح عنده فساد اعتقاده
فيتحقق اسلامه **قوله عز وجل** اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
معنى الاية والله تعالى اعلم الله تعالى ولي المومنين في نصرهم واظهارهم على مخالفيهم وهدايتهم في اقامة
الحجة في دينهم ومتولي جزائهم على حسن عملهم يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الهدى والذين جحدوا
توحيد الله تعالى اولياؤهم الذين يتولونهم هم الطاغوت ولفظ الطاغوت الوحدان ومعناه الجمع ومعنى
يخرجونهم من النور الى الظلمات ولم يكن لهم نور البتة قيل ان المراد به النصارى الذين كانوا على دين
عيسى عليه السلام خرجوا من التوحيد الذي كانوا فيه بجحدهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويقال اراد به قوما ارتدوا
عن الاسلام وجواب اخر انه لولا الطاغوت لكانوا مومنين فلما كان الطاغوت سببا لاباتهم الاسلام فكان
الطاغوت اخرجوهم وهذا كما يقال اخرج فلان ولده من الميراث اي فعل فعلا لولم يفعله لاستحق ولده
الميراث **قوله عز وجل** أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ
فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ المعنى الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم
بالذي جادل ابرهيم عليه السلام في ربه وهذا على جهة التعجب للناس في محاجة من حاج ابرهيم في ربه
وكلمة الى للغاية كانه تعالى قال هل رايت كالذي حاج ابرهيم او هل انتهت رويتك الى من كان
كالذي حاج ابرهيم في ربه وهذا كما تقول العرب الم تر الى فلان كيف يصنع اي هل رايت كفلان
في صنعه وقوله تعالى ان اتاه الله الملك اي بان اعطاه الله تعالى الملك واعجب بملكه وسلطانه
وهو نمرود بن كنعان اول من تجبر في الارض بادعاء الربوبية فخاصم ابرهيم عليه السلام في توحيد
ربه وقيل ان الهاء في قوله تعالى ان اتاه راجعة الى ابرهيم عليه السلام والملك هو النبوة ووجوب
طاعته على الناس وفي قوله تعالى اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت اضمار وهو ان نمرود
قال لابرهيم عليه السلام من ربك قال ابرهيم عليه السلام ربي الذي يحيي الموتى ويميت عند
انقضاء الاجال فقال له نمرود انا احيي واميت قال له ابرهيم عليه السلام ايتني ببيان ذلك
فاتى برجلين من سجنه وجب عليهما القتل فقتل احدهما واستحيى الاخر فقال هذا قد احييته وهذا
قد امته قال ابرهيم عليه السلام فان الله ياتي بالشمس من نحو المشرق فات بها من نحو المغرب
فبهت الذي كفر اي تحير وانقطع بما ظهر عليه من الحجة والله تعالى لا يرشد القوم المشركين الى دينه
وحجته فان قيل لم لم يثبت ابرهيم عليه السلام على الحجة الاولى والانتقال من حجة الى حجة
اخرى في المناظرة غير محمود قيل عنه اجوبة احدها ان ابرهيم عليه السلام كان داعيا
ولم يكن مناظرا فما كان يراه اقرب الى الهداية اخذ به والثاني انه روي ان ابرهيم عليه السلام
انتقل عن الحجة الاولى بعد الالزام لانه روي انه قال للنمرود انك احييت الحي ولم تحي الميت
والانتقال بعد الالزام محمود والثالث ان نمرود كان عالما ان ما ذكره ليس بمعارضة وكان
من حوله من اصحابه يوقنون بكذبه في قوله انا احيي واميت ولكن اراد التمويه على اغمار
قومه كما قال فرعون للسحرة حين امنوا بموسى عليه السلام ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
لتخرجوا منها اهلها اي تواطاتم على هذا المكر مع موسى عليه السلام واظهرتم العجز عن
معارضته ثم امنتم به فكان هذا القول تمويها منه على قومه كذلك فعل نمرود بقوله انا احيي

وأميت فترك ابرهيم عليه السلام اطالة الكلام وعدل الى حجة مسكتة لا يمكنه التمويه في تلك الحجة فان
قيل فهلا قال النمرود لابرهيم عليه السلام انّ مجئ الشمس هو العادة فقل لربك حتى ياتي بها
من المغرب قيل علم بما راى من المعجزات التي ظهرت له انه لو ساله ذلك لاتى به فكان يزداد
فضيحة للناس وقيل خذله الله تعالى عن هذا القول فلم يوفق للسؤال والله تعالى يفعل ذلك
مع المبطلين لان الذين بعث فيهم ابرهيم عليه السلام كانوا يزعمون ان حوادث العالم من حركات
الكواكب السبعة واعظمها عندهم الشمس وكانوا يسمونها الهة وكانوا لا يقرون بالله تعالى
وهم لا يختلفون هم وساير من يعرف مسير الكواكب ان للشمس حركتين متضادتين احداهما من المغرب
الى المشرق وهي حركتها التي تختص بها بنفسها والاخرى تحريك الفلك لها من المشرق الى المغرب في كل
يوم وليلة فقال له ابرهيم عليه السلام انك معترف ان للشمس التي تعبدها وتسميها الها
حركة سير ليست هي حركة نفسها بل بتحريك غيرها لها فانا ادعوك الى عبادة من احدث هذه
الحركة في الشمس ولو كانت الشمس الها لما كانت مقهورة مجبورة فلم يمكنه دفع هذا الاحتجاج
بوجه من الوجوه وذلك قوله تعالى فبهت الذي كفر والبهت في اللغة هو مواجهة
الرجل بالكذب عليه يقال بهت يبهت بهتا وباهت يباهت مباهتة وفي الحديث ان
اليهود قوم بهت اي كذبة والبهت الحيرة عند انقطاع الحجة ايضا وفيه لغات بهت وبهت
وبهت وبهت واجودها بهت بضم الها وفي الاية دلالة على ان الله تعالى لا يشبهه شي وان طريق
معرفته ما نصب من الدلايل على توحيده لان انبيا الله تعالى عليهم السلام انما حاجوا الكفار بذلك
ولم يصفوا الله تعالى بصفة توجب التشبيه وانما وصفوه بافعاله واستدلوا بها عليه وبالله التوفيق

قوله عز وجل أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي
هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً
لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
عطف على معنى الكلام الاول لا على اللفظ كانه قال ارايت كالذي حاج ابرهيم في ربه او كالذي مر على قرية
ويقال ان الكاف في هذه الاية زايدة كما في قوله تعالى ليس كمثله شي **روي** عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في عزير بن شرخيا وكان من علما بني اسرايل سباه بخت نصر
من بيت المقدس الى ارض بابل حين سلطه الله تعالى عليهم فخرب بيت المقدس فخرج عزير ذات
يوم في ارض بابل على حمار فمر بدير هرقل على شاطي دجلة فطاف بالقرية فلم يجد بها ساكنا
وعامة شجرها حامل فجعل يتعجب من خراب القرية وموت اهلها وكثرة حملها وهي ساقطة على سقوفها
وذلك ان السقف يقع قبل الحيطان ثم تقع الحيطان عليه فاخذ شيا من التين والعنب وتناول
بعضها وعصر العنب فشرب منه ثم جعل فضل التين في سلة وفضل العنب في اخرى وفضل العصير
في زق ثم نظر الى القرية فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي كيف يحيي الله تعالى هذه القرية
بعد خرابها وموت اهلها لم يك هذا القول منه انكارا للبعث لكن احب ان يرى كيف يحيي الله تعالى
الموتى ويزداد بصيرة في ايمانه فنام في ذلك الدير فاماته الله تعالى في منامه مايه عام واعمى عنه
الانس والسباع والطير ثم احياه فنودي يا عزير كم لبثت وكان اميت في صدر النهار ثم بعث
بعد مايه سنة في اخر النهار فظن انه مقدار لبثه يوم فقال لبثت يوما فلما نظر الى الشمس فقال
قد بقي منه شي قال او بعض يوم فنودي بل لبثت مايه عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك
العصير لم يتسنه اي لم يتغير طعمها بعد مايه عام ولم تغيرها السنون فنظر فاذا العنب والتين كما شاهد

وبالعصير طريا ثم قيل وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض تلوح قد تفرقت اوصاله فسمع صوتا
ايتها العظام البالية اني جاعل فيكن روحا فاجتمعن فارتعشت العظام وسعى بعضها الى بعض
قال فرايت الصلب تسعى كل فقرة له منها الى صاحبتها ثم رايت الوركين يسعيان الى مكانهما
والساقين الى مكانهما والوظيفين الى مكانهما ثم رايت الاضلاع يسعى كل ضلع منها الى فقرته ثم
رايت الكتفين سعيا الى مكانهما والذراعين الى مكانهما ثم رايت العنق تسعى كل فقرة منها الى صاحبتها
ثم جا الراس الى مكانه ثم رايت العصب والعروق واللحم القي عليه ثم بسط عليه الجلد ثم ذري عليه
الشعر ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قايم ينهق فخر عزير ساجدا لله تعالى وقال عند ذلك اعلم ان
الله على كل شي قدير حين تبين له من كمال القدرة البلى في حماره والموت في نفسه والبقا في العنب
والعصير اللذين هما من اسرع الاشيا فسادا وتغيرا ثم مشاهدة البعث بعد الموت قال عبد الله
ابن عباس وبعث وهو شاب ابن اربعين سنه على السن التي اميت عليها وكان ابنه في ذلك الوقت ابن
عشرين سنه فصار لابنه مايه وعشرون سنة ولعزير اربعون سنة فذلك قوله تعالى ولنجعلك
اية للناس وقيل في معنى ولنجعلك اية انه رجع الى بني اسرايل وهو يقرا التورية كلها عن ظهر قلبه
فاملاها عليهم لم يخرم منها حرفا وكانت التورية قد ذهبت عنهم فجاهم رجل من بني اسرايل
فانتسب لهم فعرفوه قال اخبرني جدي انه قال دفنت التورية يوم سبينا في خابية في كرمي
فاروه كرم جده فاخرج التورية فعارضوها بما املاها عزير فما اختلفا في حرف فتعجبوا من كثرة
عليه وحداثة سنه فقال بعضهم عزير ابن الله وقال الحسن وقتادة والربيع ان القرية
المذكورة في هذه الاية هي قرية بيت المقدس بعد ما خربها بخت نصر وكان وهب بن منبه
يقول كان المار بهذه القرية ارميا النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق هو خضر النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى خاوية اي خالية لا انيس بها والخوى الفرجة بين الشيين
يقال خوت الدار اذا خلت وخوى البطن اذا جاع واصله الخلا وقد يقال خوت النجوم اذا سقطت
ولم تمطر ويسمى السقف عريشا لارتفاعه على ارضه كما تسمى الظلة من الشجر عريشا لارتفاعها
على ما تستر يقال عرشت الكرم تعريشا وعرشته اعرشه عرشا اذا ظللته وقد يسمى البيت عريشا
لارتفاع ابنيته ويسمى السرير عرشا لارتفاعه عن الارض وعرش الرجل قوام امره ويجوز
اسقاط الها من قوله تعالى لم يتسنه في الوصل يقال سانهت مسانهة وسانيت مسانا
ومسانتة وقيل ان الاصل في قوله تعالى لم يتسنه لم يتسنى حذفت اليا للجزم ثم عوضت
منها الها في الوقف وكان في الاصل يتسنو لان تقدير السنه سنوه الا ترى ان جمعها سنوات
وتصغيرها سنيهه الا ان الواو ترد الى اليا في التفعل والتفاعل كالتراضي والتداعي لان اليا
اخف من الواو ويجوز ان يكون اثبات الها في هذا للوقف كما في قوله تعالى فبهداهم اقتده
وذهب بعضهم الى ان قوله تعالى لم يتسنه من اسن الما اذا تغير قال ابو عبيدة لو كان
من اسن لكان لم يتاسن وذهب بعضهم الى ان هذه من قوله تعالى حما مسنون اي متغير
وابدلوا النون من يتسنن يا وهذا كما قالوا في تظننت تظنيت وتقضى البازي قال الزجاج لا يجوز
ان يكون من حما مسنون لان معنى مسنون مصبوب على وسط الطريق واما القراة في قوله
تعالى كيف ننشرها من قرا بالراء غير معجمه فمعناه نحييها من النشر يقال نشر الميت اذا عاش
ونشره الله تعالى وانشره اذا احياه ومنه قوله تعالى ثم اذا شا انشره ومن قرا ننشزها بالزاي
معجمه فمعناه نرفعها ونعلي بعضها على بعض من النشز وهو المكان المرتفع ومنه نشوز المراة على زوجها
ترفعها عن طاعة زوجها وقوله تعالى اعلم ان قرى بقطع الالف اي قال عزير علمت مشاهدة ما

كنت اعلمه غيبًا ومن قرأ اعلم بغير قطع الالف فالمعنى قال لنفسه اعلم ان الله على كل شي قدير
فان قيل قوله تعالى حاكيا لبثت يوما او بعض يوم اكان صدقا منه او كذبا قلنا لم يكن
كذبا لانه اخبر عما عنده كانه قال عندي انك لبثت يوما او بعض يوم ونظيره ما حكاه
الله تعالى عن اصحاب الكهف قال قايل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
وقد كانوا لبثوا ثلثمايه وتسع سنين ونظيره قول النبي صلى الله عليه وسلم في احدى صلاتي
اما الظهر او العصر قال له ذو اليدين اقصرت الصلوة ام نسيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لم تقصر ولم انس وكان صلى الله عليه وسلم صادقا في ذلك لانه اخبر عما عنده وفي
ظنه ولهذا اما عفى الله عز وجل عن الحلاف بلغو اليمين على ما تقدم ذكره **قوله عز
وجل** وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ
لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ تقديرُ هذه الايه الم تر اذ قال
ابرهيم ويقال واذكر اذ قال ابرهيم **وعن** عبد الله بن عباس في سبب هذه
القصة ان ابرهيم عليه السلام مر بجيفة على ساحل البحر تنقض عليها طيور السما فتاخذ
منها بافواهها فتاكل ويسقط من افواهها في البحر فتاكل منه الحيتان وتجي سباع البر
فتاخذ منه عضوا عضوا فوقف منه متعجبا وقال اي رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن
اي اولم تصدق باني احيي الموتى قال بلى صدقت ولكن احب ان اعلم كيف تحيي هذه النفس
التي ارى بعضها في بطون السباع وبعضها في بطون الحيتان وبعضها في حواصل الطير فذلك قوله
ولكن ليطمين قلبي وهكذا روي عن مقاتل وقيل معنى ولكن ليطمين قلبي اي ليسكن قلبي انك
اعطيتني الذي سالتك وقيل انك اتخذتني خليلا **وقال بعضهم** لما جرى بين ابرهيم عليه السلام
وبين النمرود بن كنعان من المناظرة ما جرى وقال نمرود انا احيي واميت احب ابرهيم عليه السلام
ان يرى صنع الله تعالى في احيا الاموات فسال الله تعالى ذلك ليزداد عيانا بعد ان كان علمه غيبا
واستدلالا اذ الاستدلال تعتريه الشبه والشكوك والضروري الحسي لا تعتريه الشبه
فلذلك قال ولكن ليطمين قلبي قال الله تعالى فخذ اربعة من الطير **قال** عبد الله بن عباس
فاخذ ابرهيم عليه السلام اربعة من الطير من السعايين فجزا كل واحد منهن اربعة اجزا وجعل
راس كل واحد وجناحيه مع رجل اخر وعجزه وبعض ظهره خالف بينهم فجعلهن على اربعة
اجبل قد عاهن فطرن في الهوا حتى اجتمع كل طير على جثاله ثم وقعن على الجبال فاتينه سعيا
يقول مشيا بسرعة قال وكان هذا قبل ان يولد لابرهيم عليه السلام وقبل ان تنزل عليه
الصحف وكان يوميذ ابن خمس وتسعين سنة **وقال** ابو بكر الهذلي اربعة طيور مختلفة
الوانها واسماوها وابشها اخذ الطاوس والديك والحمامة والغراب فقطع روسهن
وخلط بين ريشهن ولحومهن ودمايهن اربعة اجزا على اربعة اجبال على كل جبل ريش
ولحم ودم وعظم ثم نودين بالوحي ايتها العظام المنكسره واللحوم المتقطعه والعروق
المتمزقه ارجعن برد الله تعالى فيكن ارواحكن فجعل العظم يثب الى العظم واللحم الى اللحم
ويجري الدم الى الدم ويطير الريش الى الريش حتى سواهن الله تعالى قال وامسك ابرهيم عليه السلام
روسهن بيده فجين يسعين على ارجلهن فعلق عليهن روسهن فاوحى الله تعالى اليه ان يا ابرهيم
اني حين خلقت الارض جعلت بيتي في وسط الارض فاذا كان يوم القيمه ارسل من السما اربعة رياح
الشمال والجنوب والدبور والصبا فتجمع اجساد القتلى والهلكى من اربع زوايا الارض الى اربعة اركان

البيت كما اجتمعت اربعة اطيار من اربعة اجبال ثم قال عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
واما قوله تعالى فصرهن اليك بكسر الصاد وضمها فمعناه ضمهن ويقال املهن واجمعهن
في الصرة وهي في معنى الجمع والتشديد ويقال قطعهن يقال صار يصور صورا وصار يصير
صيرا اذا قطع واذا امال والصور الميل في العنق وكان الفرا يقول صار يصير مقلوب
من صرى يصري وانكر ابو العباس السراج ذلك وقال هما لغتان للعرب كجذب وجبذ
والمقلوب كقولهم قسي من القوس لان من حقه تاخير السين فقدم وقيل على معنى القطع
ان قوله تعالى اليك من صلة قوله فخذ اربعة من الطير كانه قال فخذ اربعة من الطير اليك
فصرهن **واما قوله تعالى** واعلم ان الله عزيز حكيم اي غالب على كل شي لا يمتنع عليه
ما يريد حكيم فيما يريد لا يفعل الا ما فيه الحكمة **قوله عز وجل** مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ
وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه جرا
فيما تقدم ذكر النفقه في الجهاد في سبيل الله بقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
ثم ذكر تعالى ما كان من مسالة قوم من الله تعالى ان يبعث لهم ملكا يقاتلون معه اعداهم
فكانت الغلبة لهم مع قلة عددهم وكثرة عدد اعدايهم ثم عقبه الله تعالى بذكر امور
تدل على وحدانية الله تعالى فبين ان الكفر بعد هذه الايات اعظم واشنع وان الايمان اقوى
واحسن فمن كفر بعد هذا فقاتلوه وانفقوا في القتال فان النفقة في القتال تكون بسبعماية
وروي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية والاية التي بعدها في شان عثمن
ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما اما عثمان فجا الى النبي صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقال علي جهاز من لا جهاز له واشترى بير رومة وجعلها سبيلا
للمسلمين واما عبد الرحمن بن عوف فكان له ثمانيه الاف فجا باربعة الاف الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي ثمانية الاف درهم امسكت نصفها لنفسي
ولعيالي واقرضت نصفها لربي وهي ذه فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما
امسكت وفيما اعطيت وامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضت منه **ومعنى** الايه
والله تعالى اعلم صفة الذين ينفقون اموالهم في طاعة الله تعالى كصفة حبة القيت
في الارض واخرجت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة اي كما يكون الحبة واحدة والمكتسب
بها سبعماية فكذلك النفقة تكون واحدة والمكتسب بها سبع ماية ضعفها **وقوله تعالى**
يضاعف لمن يشا اي كما يضاعف الله في زرع الزارع الحارث من البذر الجيد في الارض العامرة
كذلك يضاعف للمرء الصالح ثواب صدقته بالمال الطيب اذا وضعه في موضعه **ومعنى** والله واسع
عليم اي واسع الفضل جواد لا ينقصه ما يتفضل به من السعة والمضاعفة عليم بمن يستحق الزيادة
والفايدة في تخصيص السبع في الاية ما قالوا ان السبع اشرف الاعداد **كما روي**
عن عبد الله بن عباس انه قال كادت الاشيا تكون كلها سبعا فان السموات سبع والارضين سبع
والكواكب السياره سبعة والبحار سبعة وايام الاسبوع سبعة وسجود العبد على سبعة اعضا
وجعل الله تعالى للسبع مزية حيث قال جل ذكره ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
ولو كان يستغفر لهم احدى وسبعين مره لكان ايضا لا يغفر الله لهم **واجمع اهل التفسير**
الا السدي ان العدة بالمضاعفة بسبعماية مختصة بالانفاق في الجهاد واما في غير ذلك من
الطاعات فالحسنة بعشر امثالها كما قال الله تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها **قوله عز**

وجل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم
أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون نزل في شان النفقة التي يستحق بها الثواب
المضاعف معناه الذين ينفقون اموالهم في طاعة الله تعالى ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على السايل
نحو ان يقول للسايل اذا وقع بينه وبينه خصومة اعطيتك وقت كذا وكذا او احسنت اليك واغنيتك
وما اشبهه مما ينغص ذلك على السايل فاما قوله ولا اذى اى لا يوذى السايل ولا يعيره ولا يزجره
نحو ان يقول له انت ابدا في فقر ومن ابلاني بك واراحني الله تعالى منك وما اشبهه وقد ورد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المان بما يعطي لا يكلمه الله تعالى يوم القيمه ولا ينظر اليه
ولا يزكيه وله عذاب اليم واما قوله تعالى لهم اجرهم عند ربهم اي للذين ينفقون في الطاعة
ولا يمنون ولا يوذون ثواب عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فيما يستقبلهم من اهوال
يوم القيمه ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا واصله من القطع يقال مننت الشي اذا قطعته
ومنه قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع ويقال حبل منين اى مقطوع قوله عز وجل
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم معناه يقول
كلام حسن ورد جميل ولطف ودعا للسايل بالسعة وتجاوز عن مظلمة ويقال معنى المغفرة
ستر الخلة على السايل فان المغفرة هي التغطية خير من صدقة اى هذه الاشيا احسن
عند الله من صدقة يتبعها اذى لان الصدقه اذا اتبعها اذى ذهب المال والثواب جميعا
قال الضحاك لان تمسك عليك مالك خير من ان تنفقه ثم تتبعه منا واذى وقوله تعالى
والله غنى حليم اى غنى عن صدقات العباد حليم اذ لم يعجل بالعقوبة على الذى يمن
بصدقته ونظير هذه الاية قوله عز وجل واما تعرضن عنهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها فقل لهم
قولا ميسورا قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه
تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم
الكافرين سبحانه ما الطفه حين مدح الانفاق الذى خلص من المن والاذى معرضا بقبح
المن والاذى فيه ثم فضل القول الحسن على الانفاق المشوب بالمن والاذى ثم صرح الخطاب
فقال عز من قايل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقوله تعالى كالذى ينفق ماله رئا الناس
اى لا تكونوا في ابطال تلك الصدقة كالمنافق الذى يتصدق لا رغبة في الثواب ولا رهبة من
العقاب بل خوفا من الناس وريا لهم انه مومن ثم ضرب لنفقة المنافق مثلا فقال جل ذكره
فمثله كمثل صفوان اى كحجر املس عليه تراب فاصابه وابل اى مطر كثير شديد الوقع فذهب
بالتراب الذى كان على الحجر وبقى الحجر يابسا لا شى عليه وقوله تعالى لا يقدرون على شى مما
كسبوا اى لا يقدر المان بنفقته والموذى والمنافق على شى من الثواب مما انفقوا كما لا يقدر
احد من الخلق على التراب الذى كان على الحجر الاملس بعد ما يصيبه المطر الشديد ومعنى
والله لا يهدي القوم الكافرين اى لا يهديهم حتى يخلصوا اعمالهم وقيل لا يهديهم بالمثوبة
لهم كما يهدى المومنين واصل الوابل من الوبيل وهو الشديد كما قال الله تعالى اخذا وبيلا
ويقال وبلت السماء اذا اشتد مطرها والصلد الحجر الاملس الصلب ويسمى البخيل صلدا
تشبيها له بالحجر فانه لا يخرج منه شي ويقال للارض التى لا تنبت شيا صلد وصلد الزند
صلودا اذا لم يور نارا وفي الاية دلالة ان الصدقه وساير القرب اذا لم تكن خالصة لوجه الله تعالى
لا يتعلق بها الثواب ويكون فاعله كمن لم يفعل قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له

الدين حنفاء ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله لا يجوز الاستيجار على الحج وتعليم القران وساير الافعال التى من
شرطها ان تفعل على وجه القربة لان اخذ الاجر عليها يخرجها من ان تكون قربة يدل الله هذه الايات
ثم ضرب جل ذكره لنفقة المخلصين المتثبتين مثلا اجرا على المثل الاول فقال عز وجل
ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة
أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير
اى صفة نفقة الذين ينفقون اموالهم لطلب رضى الله تعالى وتصديقا وحقيقة ويقينا في قلوبهم
بالثواب ويقال توطينا لانفسهم على الثبوت على طاعة ربهم ويقال تاملا وتدبرا لا يوقعونها غير
موقعها كصفة بستان بمكان مرتفع من الارض اصابها مطر كثير شديد او فرش مثل الرذاذ وهو
المطر الدايم الصغار القطر الذى لا تكاد تسيل منه المثاعب كذلك المنفق لوجه الله تعالى ان
كانت نفقته كثيرة فثوابها كثير وان كانت قليلة شيا بعد شى فبعددها والله بما تعملون من
الريا والاخلاص بصير عالم يجزيكم على قدر نياتكم والربوة والربوة والربوة والرباوة بمعنى
واحد كل ذلك من الربو وهو الارتفاع والمطر على الروابي اشد ونبتها احسن وريعها
اكثر منه اذا كان بمكان مستفل كما قال الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطل والاكل والاكل بتسكين الكاف وضمها بمعنى واحد
وهو اسم لما يوكل والاكل المصدر والجنة لا تعطي في الحقيقة الا انه يطلق مثل هذا
اللفظ على التوسع والمجاز يقال كم تعطي ارضك من الحنطة وكرمك من العصير اى كم تخرج
منها وضعف الشى مثله وضعفاه مثلاه زايدين عليه اي تثمر مرتين واربعا ثم ضرب جل ذكره
لنفقة المان مثلا اخر فقال عز وجل أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل
وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون وهذا استفهام في الظاهر يقتضي في الحقيقه تقريرا اى لا يود احدكم كما قال تعالى
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ومعنى الاية ايتمنى احدكم ان يكون له بستان من نخيل
وكروم يجرى من تحت شجرها ومساكنها وغرفها الانهار له في الجنة من الوان الثمار كلها واصابه
الهرم والضعف وله اولاد ضعاف عجزة عن الحيلة واصابها يعنى تلك الجنة اعصار اى ريح عاصف
تهب من الارض بالشدة كالعمود الى نحو السما تسميها العرب الزوبعة وسميت اعصارا لانها تعلو
كثوب عصر وقوله تعالى فيه نار اى في الاعصار نار فاحترقت يعنى احترقت منه الجنة يقول
كما يحرم هذا الشيخ الكبير نفع بستانه عند افقر ما يكون اليه عند عجزه وعجز اولاده من
ان يغرسوا مثل ذلك البستان لا يرد عليه شبابه وقوته ليغرس فيحزن ويغتم ويتوى اسفا
وتحسرا على ذلك فكذلك المان بصدقته يحرم في الاخرة اجرها عند افقر ما يكون اليه يرى
في القيمه اعماله هبا منثورا ولا يوذن له في الرجوع الى الدنيا فيتصدق ويكون من الصلحين
وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم الايات اي كهذا البيان الذى بين الله لكم فيما تقدم يبين لكم
الدلالات والعلامات لكى تتفكروا فتعتبروا فان قيل قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له
جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات على لفظ الاستقبال وقوله
تعالى واصابه الكبر فعل ماض فكيف عطف الماضى على المستقبل قيل الجواب عنه
من وجهين احدهما ان قد هاهنا مقدرة معناه وقد اصابه الكبر فيكون معناه الحال قال
الله تعالى وان كان قميصه قد اى قد قد والثانى يود يقتضي ان يكون في خبره لو كما في قوله تعالى

الطل المطر الضعيف

يود احدهم لو يعمر وقوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا ويقتضي ان يكون في خبره ان كما في هذه الايه
ولو للماضي وان للمستقبل ثم قد يستعمل لو مكان ان وان مكان لو ويقام احدهما مقام الاخر يقول
الانسان انا اتمني لو يكون لي ولد ويقول انا اتمني ان كان لي ولد فاذا كان معنى التمني قد
يقع على الماضي صح عطف الماضي عليه وفي الذرية قولان احدهما فعوله من ذراء واصله
ذرووه لان الهمزه اذا كان قبله حرف مد ولين مد ما قبله فاجتمعت واوان في اخر الكلمه قبلها
ضمتان فثقل فصيرنا الواوين يائين كما فعلنا في عتو عتيا فلما صارا يائين لانكسار ما قبلهما
فصار ذريه والثاني انه من الذر واصله ذروره كرهنا كثرة التضعيف فقلبنا الراء الاخيره
ياء كما هو في تقضي وتظني فصار ذرويه فحصلنا على ياء وواو والاولى ساكنه فصيرناهما يائين
وادغمنا الاولى في الثانيه وكسرنا ما قبلهما واما الضعفا فجمع ضعيف كنديم وندما واما قوله تعالى
ذريه ضعافا نحو ظريف وظراف وظرفا وكريم وكرام وكرما **قوله عز وجل** يا ايها الذين
امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد معنى الايه والله تعالى اعلم
يا ايها الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله تصدقوا من حلال ما كسبتم من الاموال ويقال من جيد
ما كسبتم وقوله تعالى ومما اخرجنا لكم من الارض اي من اعشار الحبوب والثمار وقوله ولا
تيمموا الخبيث لا تعمدوا الى الردي من اموالكم منه تتصدقون ولستم بقابضيه وقابليه الا ان
تغمضوا فيه يقول لو كان لبعضكم على بعض حق فجاء بدون حقه لم ياخذه منه الا ان يتغاضى له
عن بعض حقه ويتسامح عن عيب فيه فكيف تعطونه في الصدقه ويقال معنى قوله تعالى ولستم
باخذيه اي لو ان احدكم اهدي له ردي المال لم ياخذه الا باغماض وحيا وهذا على قول من يقول ان
هذه الايه انما وردت في التطوعات وقد روي في سبب نزول هذه الايه ان النبي صلى الله عليه وسلم
حث الناس على الصدقه وقال ان لله تعالى في اموالكم حقا وكان ياتي اهل الصدقه بصدقاتهم
فيضعونها في المسجد فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فجا رجل ذات يوم
بعد ما تفرق عامة اهل المسجد بعذق من حشف فوضعه في الصدقه فلما ابصره رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بيس ما صنع صاحب الحشف فامر به فعلق فجعل كل من يراه
يقول بيس ما صنع صاحب الحشف فانزل الله هذه الايه وذهب بعضهم الى ان معنى قوله تعالى
ولا تيمموا الخبيث لا تتصدقوا بالحرام فيكون معنى الا ان تغمضوا فيه على هذا التاويل الا ان تترخصوا
في تناوله ان كان حراما والاغماض ترك النظر يقال في المثل اغمض في هذا الامر وغمض اي
لا تستقص وكن كانك لم تبصره وتقول العرب اغضي فلان على القذى واغمض اذا لم يعترض على الامر
مع كراهته له ومعنى والله اعلم واعلموا ان الله غني حميد اي غني عن صدقاتكم محمود في فعاله
لم يامركم بالصدقه عن عوز ولكن بلاكم بما امركم فهو مستحق للحمد على ذلك وعلى جميع امره ويقال يعني الحميد
الموجب للحمد على طاعته وفي الايه اباحة الكسب واخبار ان فيه ما هو طيب والمكاسب على وجهين
احدهما ابدال الاموال وارباحها والثاني ابدال المنافع وقد نص الله تعالى على اباحة ذلك كله
في مواضع من كتابه نحو قوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربا وقوله تعالى واخرون يضربون في
الارض يبتغون من فضل الله وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقوله تعالى
فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن وقال صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبلا فياتي الجبل فيحتطب
خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه وعن عائشه رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعموم هذه الايه يوجب الصدقه في

جمع

جميع الاموال لان قوله تعالى ما كسبتم يشتمل على انواع الاموال وقوله تعالى انفقوا امر وظاهر الامر على
الوجوب الا ان الدلاله قد قامت على ان الصدقه لا تجب الا في اموال مخصوصه ورد الشرع بالايجاب فيها
فهذه الايه مجمله في مقدار الواجب مفتقره الى البيان يمكن الاحتجاج بها فيما اختلف في وجوبه
منها نحو مال التجاره وصدقة الخيل ووجوب العشر على قول ابي حنيفه في جميع ما يقصد بالزراعه وفي
قليل الخارج وكثيره ولا خلاف بين اهل العلم ان من ادى الاردا عن الاجود في صدقة الابل والبقر
والغنم ان عليه ادا الفضل وانما اختلفوا في ادا الردي عن الجيد في ذوات الامثال نحو ان يودي خمسه
دراهم زيوف عن خمسه جياد قال ابو حنيفه وابو يوسف لا يحل له ان يفعل ذلك ولكن اذا فعل فليس عليه
فضل يلزمه الادا لان الجوده لا تقوم في حقوق الادميين فكذلك في حقوق الله تعالى وقال محمد
عليه ان يودي فضل ما بينهما لانه لا ربا بين العبد وسيده وفي قوله تعالى الا ان تغمضوا فيه دلالة جواز
اخذ الردي عن الجيد في الصرف والسلم وجواز بيع الفضه الجيده بالرديه وزنا بوزن **قوله عز وجل**
الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم
المعنى والله تعالى اعلم الشيطان يخوفكم الفقر بالنفقه في وجوه البر وانفاق الجيد من المال
ويامركم بالمعصيه وهي منع الزكوه وانفاق الردي من المال في الواجبات وانما سمي منع الزكوه فحشا
لان العرب تسمي البخيل فاحشا والبخل فحشا ويقال انما سمي بهذا الاسم لما في ذلك من التقاطع فان
الغني اذا ترك الانفاق على ذوي الحاجات من اقاربه وجيرانه ادى ذلك الى القطيعه ومعنى والله
يعدكم اي يعدكم مغفرة لذنوبكم بالانفاق من خيار المال وفضلا اي خلفا في الدنيا والاخره والله
واسع عليم يوسع الرزق والخلف والمثوبه ويعلم حيث ينبغي ان تكون السعة **وروي** عن
عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما انهما قالا اثنتان من الله واثنتان من الشيطان
فمن الله المغفرة والفضل ومن الشيطان الفقر والفحشا **قوله عز وجل** يوتي الحكمة
من يشا ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب
اختلفوا في تفسير الحكمة قال ابن مسعود رضي الله عنه هي القران وقال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما هي علم ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وقال
السدي رحمه الله هي النبوة وقال قتاده رحمه الله هي الفقه وقال مجاهد وابرهيم رحمهما الله
الاصابة والفهم وقال الربيع رحمه الله هي خشية الله تعالى ويقال هي العلم بوسوسة الشيطان
في عدة الفقر والامر بالفحشا وكل هذه الاقاويل محتمل لان الحكمة في اللغة فعلة من احكام الشي وهو
كل ما تشهد العقول بصحته وتخضع لرفعته ومعنى ومن يوت الحكمة اي من يعطى العلم فقد اعطي
خيرا كثيرا يصل به الى رحمة الله تعالى لان نعم الدين اعظم من نعم الدنيا اذ الدنيا فانيه ونعم الدين تدوم
وتبقى والعلما باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقوده وامثالهم في القلوب موجوده وحكي عن بعض
الحكما رحمه الله انه كان يقول سمى الله تعالى العلم خيرا كثيرا والدنيا متاعا قليلا فينبغي لمن
اعطي العلم ان يعرف قدر نفسه ولا يتواضع لاصحاب الدنيا لدنياهم ومعنى وما يذكر الا
اولوا الالباب اي ما يتفكر فكرا يتعظ به الا ذووا العقول وسمي العقل لبا لانه انفس ما في الانسان
كما ان لب الثمرة انفس ما فيها والله تعالى اعلم **قوله عز وجل** وما انفقتم من نفقة
او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار معنى الايه والله تعالى اعلم ما
تصدقتم من صدقة او عقدتم على انفسكم فعل بر مثل صلوة او صدقة او صوم فان الله عز
وجل لا يخفى عليه ذلك يقبله ويجازي عليه وليس للمشركين من مانع في الاخره مما يراد بهم من العذاب
فان ناصر الانسان هو الذي يدفع عنه شرا ويعينه على عدوه ويقال ومعنى وما للظالمين ليس

لمن وضع الصدقة في غير موضعها اما بالربا او بالمن والاذى من ناصر ينصره والهاء في قوله عز وجل
يعلمه راجع الى الاسم الذي في قوله تعالى وما انفقتم من نفقة لانه في تقدير اي شيء انفقتم من نفقة
او نذرتم من نذر ثم ذكر الله عز وجل صدقة السر والعلانية بسؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايهما افضل **فقال جل وعز** إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ معناه ان تظهروا الصدقات
فنعم الشي صدقة العلانية وان تسروها وتعطوها الفقرا فهو خير لكم من العلانية وكلاهما مقبول
منكم ويكفر عنكم من ذنوبكم بقدر صدقاتكم والله بما تعطون من الصدقة عالم يجزيكم به
وقال ابن عباس
ذهب الحسن وقتادة الى ان الاخفا في كل صدقة افضل مفروضة كانت او تطوعا
ان صدقة التطوع اخفاؤها افضل ليسلم به من الربا واما المفروض من زكوة الاموال الظاهرة
لا يلحقه الربا ويلحقه بالاخفا تهمة المنع فيكون اظهاره افضل كما في الصلوات الخمس والجمعة والاعياد
والى هذا اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال افضل صلوة المرء في بيته الا المكتوبة يدل على صحة
هذا القول انه لا خلاف ان العامل اذا جا قبل ان يودي رب المال صدقته فطالبه باداها ان الفرض
عليه اداؤها في هذه الحال وذهب بعضهم الى ان الاخفا في الصدقات كلها كان احسن على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان لا يظن بهم منع الزكوة فاما في زماننا فبخلافه **واما**
القراة في فنعما هي بكسر النون والعين وبنصب النون وكسر العين وبكسر النون وتسكين العين
كل ذلك لغات واما قوله عز وجل ونكفر من قرا بالجزم الرا فلانه جواب الشرط عطف على موضع
الفا من قوله تعالى فهو كما في قوله تعالى فاصدق واكن من الصالحين ومن قرا برفع الرا
كان عطفا على موضع ما بعد الفا فيكون الفا في حكم الاستيناف لما بعده كما في قوله عز وجل من
يضلل الله فلا هادي له ويذرهم ويقرا ويكفر باليا ورفع الرا **قوله عز وجل** لَّيْسَ
عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا
ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ رخصة من الله تعالى
في التصدق على فقرا اهل الكتاب والمشركين حين سال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يجوز لنا يا رسول الله ان نتصدق على ذوي قرابتنا من غير اهل ديننا قال عبد الله بن عباس اعتمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضا وكانت معه اسما بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدها
ابو قحافة يسالونها الصلة والعطية فقالت لا اعطيكم شيا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانكم لستم على ديني فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال محمد بن الحنفية كان يكره
على المسلمين التصدق على اليهود والنصارى فامر وا بذلك في غير فريضة ومعنى الاية والله تعالى
اعلم ليس عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم تحصيل الثواب لهم بان تمنعهم الصدقة لتحملهم على الايمان
ولكن الله تعالى يثبت ويرشد ويوفق للخير من يشا ممن كان اهلا له وما تنفقوا من مال على بر او فاجر فلانفسكم
ثوابه اي ذخره ونفعه عايد اليكم فلا تمنوا به على غيركم ومعنى وما تنفقون الا ابتغا وجه الله
اي علم الله عز وجل انكم لا تريدون بنفقتكم الا طلب مرضاة الله عز وجل وان كان المتصدق عليه كافرا
وانما وضع الوجه موضع الرضوان لمعنيين احدهما لتحقيق الاضافة لان ذكره يرفع الايهام انه له
او لغيره والثاني ان الوجه اشرف الشي فاذا اريد تشريف الشي ذكر بالوجه ومعنى وما تنفقوا من خير
اي ما تتصدقوا من مال يوف اليكم ثوابه في الاخرة وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون شيا من
ثواب اعمالكم وصدقاتكم وظاهر هذه الاية يقتضي جواز دفع الصدقات الى الكفار الا ان النبي صلى الله
عليه وسلم خص منها الزكوات بقوله امرت ان اخذ الصدقة من اغنيائكم واردها في فقرائكم وذهب

الحسن

الحسن والزجاج في معنى قوله ليس عليك هداهم اي ليس عليك ان تحمل الكفار على النفقة في وجوه البر
فيكون هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على امتناعهم من الايمان والانفاق **قوله عز وجل**
لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ
التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلِيمٌ قيل معناه ما انفقتم من نفقة للفقرا ويقال معناه عليكم بالنفقة للفقرا الذين حبسوا في
طاعة الله تعالى اي احصرهم فرض الجهاد فمنعهم من التصرف وهولا اصحاب الصفة حبسوا
انفسهم في طاعة الله لطلب العلم وفضل الجمعة وخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا نحوا
من اربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن ولا عشاير كانوا معتكفين في المسجد في صفته قالوا نخرج في كل
سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله فحث الله تعالى على الصدقة عليهم وكان الرجل
اذا كان عنده فضل اتاهم به ومعنى لا يستطيعون ضربا في الارض الزموا انفسهم تعلم الشريعة
وفرض الجهاد فمنعهم ذلك من السفر للكسب والتجارة لا بسرانهم لا يقدرون على ذلك كما يقال امرني الوالي
ان اقيم فما اقدر ان ابرح اي الزمني نفسي طاعته فلا اقدر لا انه لا يقدر على الحركة والضرب في الارض
هو السير يقال ضربت في الارض ضربا ومضربا اذا سرت فيها وكان السدي يقول احصروا في سبيل الله
منعهم الكفار بالخوف منهم فلا يستطيعون تصرفا في الارض بمنع الكفار اياهم عن ذلك وقيل هذا لا يصح لانه
لو كان كذلك لقال حصروا بغير الالف **واما** قوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف اي يظنهم
الجاهل بامرهم وشانهم اغنيا من التعفف لتجملهم باللباس وكفهم عن المسالة والتعفف يذكر
ويراد به ترك المسالة كما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله
ومن استعف اعفه الله تعالى ومعنى تعرفهم بسيماهم اي تعرفهم انت يا محمد صلى الله عليه وسلم
بعلامة فقرهم فيهم جهد الفاقة وبذاذة الهيئة ورثاثة الحال ويقال بعلامة طاعتهم
من اصفرار الوجوه وانكساد البدن بقيام الليل وصيام النهار **واما** قوله عز وجل لا يسالون
الناس الحافا قال ابن عباس معناه لا الحاحا وغير الحاح اي ليس لهم سوال فيكون الحافا ٥
واستدلوا على هذا القول من وجهين احدهما من قوله تعالى تحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف اي
من القناعة ولو كانوا يسالون لم يكن يحسبهم الجاهل اغنيا والثاني من قوله عز وجل تعرفهم بسيماهم
ولو كانوا يسالون لكان يعرفهم بالسوال لا بالسيما وانما يسمى الملح ملحفا لانه يلصق
بالمسوول ويشتمل على وجوه الطلب في المسالة كاشتمال اللحاف ومعنى وما تنفقوا من خير اي ما
تتصدقوا به من مال فان الله به عليم تجزيكم به وفي الاية دلالة ان من له ثياب للكسوة ذات
قيمة كثيرة يشبه ظاهر حاله احوال الاغنيا لا يمنع ذلك من دفع الزكوة اليه اذا كان عند المتصدق
انه فقير لا يملك كمال الزكوة لان الله عز وجل امر باعطا الزكوة ودفعها الى من كان ظاهر حاله
يشبه حال الاغنيا وفيها دليل على جواز دفع الزكوة الى الصحيح الجسم لان هولا اصحاب الصفة
كانوا من المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد الغنى
الذي يوجب تحريم الصدقة في الشرع ان يفضل ملكه عن كسوته ومسكنه وخادمه وما يحتاج
اليه ما يساوي مايتي درهم وان كان اقل من مايتي درهم حلت له الصدقة لان النبي صلى الله
عليه وسلم قال امرت ان اخذ الصدقة من اغنيائكم واردها في فقرائكم ثم قال وفي
مايتي درهم خمسة دراهم وليس فيما دونها شي فجعل الناس صنفين اغنيا وفقرا وجعل
الغني من في ملكه هذا القدر لان الصدقة لا تجب على من ملك ما دونه **واما** ما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من سال الناس عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمر جهنم

قيل يا رسول الله وما ظهر غناه قال ان يعلم ان عند اهله ما يغديهم ويعشيهم وما روي انه
صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي ونحو ذلك من الاخبار فهو محمول
على تحريم السوال يدل عليه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم الصدقات
اذ جاء رجلان قويان فسالاه ان يقسم لهما فرفع راسه اليهما وقال اما انه لا تحل لكما
ولو سكتما اعطيتكما فلولا ان المراد بقوله لا تحل حرمة السؤال دون جواز الدفع لم يكن لقوله
صلى الله عليه وسلم اعطيتكما معنى ولا فايدة **قوله عز وجل** الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون قال عبد الله بن عباس ومقاتل نزلت هذه الاية في امير المومنين علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه كانت له اربعة دراهم لم يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا
وبدرهم علانية فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل معنى ينفقون اموالهم بالليل والنهار اي يبدا ويمون
على الانفاق والصدقة قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ينفقون على هذا الوجه حتى نزل
فرض الزكوة واراد بهذا والله اعلم ان الصدقة لم تكن مقدرة في المال يوميذ ثم صارت مقدرة
بنزول فرض الزكوة فمن شا اقتصر على ذلك القدر ومن شا زاد عليه **وعن** مكحول رضي الله عنه
انه قال في هذه الاية هم الذين يرتبطون الخيل عدة في سبيل الله تعالى **وروي** عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال المنفق على فرسه في سبيل الله عز وجل كالباسط كفيه بالصدقة
لا يقبضهما **قوله عز وجل** الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم
الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى لما بين للمتصدقين من طيب
ما لهم من عظم الاجر والثواب بين بعد ذلك ما لا يطيب من التجارة وذكر عقوبة اكلة الربا فقال جل
ذكره الذين ياكلون الربا اي الذين ياكلونه في الدنيا لا يقومون في الاخرة من قبورهم لعظم بطونهم
الا كما يقوم في الدنيا الذي يضربه ويصيبه الشيطان من المس اي من الجنون وروي انهم يبعثون يوم القيمة
وقد انتفخت بطونهم كلما قاموا سقطوا والناس يمشون عليهم وهم كالمجانين **قال** الحسن
رضي الله عنه هذه علامة اكلة الربا يعرفون بها يوم القيمة وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا
اي ذلك الذي ينزل بهم من العذاب بانهم قالوا انما البيع مثل الربا كان الرجل اذا حل ماله طلبه
فيقول المطلوب زدني في الاجل وازيدك في مالك فيفعلان ذلك فاذا قيل لهم ان هذا ربا
قالوا هما سوا الزيادة في اخر البيع بعد الاجل كالزيادة في اول البيع اذا بعت بالنسية سوا وليس
الامر على ما توهموه لان الزيادة في الثمن في اخر البيع لاجل الابعاد في الاجل بعدما صار الثمن دينا في الذمة
يكون عوضا عن الاجل والاعتياض عن الاجل باطل واما الزيادة في الثمن في اصل العقد يكون مقابلة
للمبيع ويجوز بيع المبيع بثمن قليل وثمن كثير وقد بين الله عز وجل في الاية ان ذلك القول جهل منهم
بما وضع الله تعالى امر الشريعة عليه من مصالح الدين والدنيا وان الامر بالمشروع لا بالقياس في موضع النص
فقال واحل الله البيع وحرم الربا اي احل الله تعالى الزيادة في اول البيع وحرم الزيادة الاخيرة فمن جاءه موعظة
اي نهي وزجر من ربه عن الربا فانتهى عنه فله ما مضى من اكله الربا قبل النهي اي لا اثم عليه
في ذلك وامره فيما بقي من عمره الى الله عز وجل ان شا عصمه وان شا لم يعصمه ويقال معنى
فله ما سلف له ما اخذ من الربا قبل التحريم وامره الى الله في الموثق في العفو والتجاوز عنه وانما
لم يقل فمن جاته موعظة لان تانيث الموعظة ليس بحقيقي فيجوز تذكيره ويجوز ان ينصرف الى المعنى

كانه

كانه قال فمن جاه وعظ ونهي من ربه عن الربا **ومعنى** ومن عاد فقال بعضهم من عاد الى اكل
الربا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون دايمون الى ما شا الله تعالى ويقال من عاد بعد النهي
الى قوله انما البيع مثل الربا فاولئك اهل النار هم فيها مقيمون دايمون لان مستحل الربا كافر
لانكاره اية من كتاب الله تعالى والربا في اللغة عبارة عن الزيادة ومنه الرابية والربوة من
الارض اذا كانت زايدة على ما حواليها ويقال اربى فلان على فلان في القول والفعل اذا زاد عليه
فاما الربا في الشرع فهو على ضربين احدهما ربا الفضل وهو الزيادة في احد البدلين المتفقين
من جنس واحد استند الا الى الخبر الوارد عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الذهب بالذهب مثلا بمثل يدا بيد والفضل ربا الى اخر الخبر
وهو معروف عند الفقها رحمهم الله ٥ والاخر ربا النسا ولا يكون ذلك بالنسية في
احد البدلين الا اذا كان البدلان من جنس واحد مثل الثوب الهروي بالهروي او اتفقا في
تقدير الثمنية او المثمنية مثل الحنطة بالشعير كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا اختلف النوعان فبيعوا كيف شيتم يدا بيد ولا خير فيه نسية والى هذا ذهب اصحابنا
رحمهم الله **وكانت العرب** تعقد قبض الدراهم والدنانير الى اجل بزيادة على مقدار القرض
على ما يتراضون بينهم ربا ولم يكونوا يعرفون البيع بالنقد ربا وان كان متفاضلا من جنس
واحد فاسم الربا شرعي فيه معنى اللغة **وقد روي** عن عمر رضي الله عنه انه قال ان
اية الربا من اخر ما نزل من القران وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبين لنا كثيرا منه
فان من الربا ابوابا لا تكاد تخفى على ذي لب منها السلم في السن **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سياتي على الناس زمان لا يبقى احد الا اكل الربا
فان لم ياكله اصابه من غباره **وعن** عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال اكل
الربا وموكله وكاتبه وشاهده اذا علموا به ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم اليوم القيمة
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الربا بضع وسبعون بابا ادناهن كاتيان
الرجل امه **واما** الخبط في اللغة فهو الضرب على غير استوا يقال خبط البعير اذا ضرب بيده
قال زهير رايت المنايا خبط عشوا فمن تصب ٥ تمته ومن تخطي يعمر فيهرم ٥
وخبط الشجرة ضربها بالعصي ليسقط ورقها والمس الجنون يقال رجل ممسوس اي مجنون
وبفلان مس اي جنون **قوله عز وجل** يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله
لا يحب كل كفار اثيم معناه يهلك الله الربا ويذهب ببركته والمحق نقصان الشي حالا
بعد حال الى ان يتلف كله وقيل ان مال اكل الربا لا يخلو من احد وجوه ثلث اما ان ينفقه
فيما لا يصلح او يذهب عنه او يذهب عن ولده ومعنى ويربي الصدقات يقبلها ويعطي خلفها
في الدنيا ويضاعف ثوابها في الاخرة من واحد الى عشرة الى سبعين الى سبعماية الى ما شا
الله من الاضعاف كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقبل الصدقات
ولا يقبل منها الا الطيبة ويربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه وفصيله حتى ان اللقمة
تصير مثل احد **ومعنى** والله لا يحب كل كفار اثيم اي يبغض كل جاحد بتحريم الربا
فاجر عاص باكله واستحلاله وانما قال كفار ولم يقل كافر ليتبين ان مستحل الربا مع كونه
كافر كفار للنعمة ٥ والاثيم المتمادي في الاثم والاثم الفاعل للاثم **قوله عز وجل**
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون معناه ان الذين امنوا بالله وكتبه ورسله وتحريم الربا وعملوا

يقال يمحقه الله يمحقه محقا فالمحق والامتحاق اي هلاك رمال الربا ينقص حالا بعد حال

الصالحات الطاعات فيما بينهم وبين ربهم واتوا الصلوات الخمس مما يجب من حق الله عز وجل فيها
واعطوا الزكوة المفروضة من اموالهم لهم جزاؤهم وثوابهم في الاخرة عند ربهم ولا خوف
عليهم اذا ذبح الموت ولاهم يحزنون اذا اطبقت النار على اهلها وانما جمع الله تعالى بين هذه الخصال
لا لان الثواب لا يستحق على كل واحد منها وانما يستحق على جملتها اذ لو كان كذلك لكان فيه
تصغير امر كل واحد منها ولكن جمع بينها للترغيب في كل واحدة منها وهذا كما قال الله عز وجل
والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثاما الى اخر الايه فجمع بين هذه الخصال في الوعيد لا لان الوعيد على مجموع هذه الخصال
دون آحادها اذ لو كان كذلك لكان فيه تهوين كل واحدة منها ولكن جمع بينها ليبين ان الوعيد يلحق
الانسان بفعل كل واحد منها **قوله عز وجل** يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا
ما بقي من الربا ان كنتم مومنين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه
الاية في نفر من ثقيف مسعود وحبيب وربيعه وعبد ياليل بني عمرو بن عمير الثقفي كانت
لهم ديون على بني المغيرة وكانت بنو المغيرة يربون لهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على
اهل مكة وضع الربا كله وكان اهل الطايف قد صالحوا على ان لهم رباهم من الناس ياخذونه
وما كان عليهم من ربا الناس فهو موضوع عنهم لا يوخذ منهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتب في آخر كتابهم ان لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فلما حل الاجل
كتب ثقيف الى بني المغيرة يطلبون رباهم فقالت بنو المغيرة ما بالنا نكون اشقى الناس
وضع الربا عن الناس كلهم ويوخذ منا خاصة فقالت لهم ثقيف انا صالحنا على ان
ربانا لنا وما كان علينا من ربا فهو موضوع فخاصموهم الى امير مكة وهو عتاب بن اسيد
فلم يدر ماذا يقضي بينهم وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينه فانزل الله تعالى
هذه الاية خطابا لثقيف يقول اخشوا الله تعالى وذروا ما بقي من الربا فانه لم يبق غير
رباكم ان كنتم مومنين اى من كان مصدقا بتحريم الربا فهذا حكمه وفي الاية دليل ان كل
ما طرا على عقد البيع قبل القبض مما يوجب تحريم ذلك العقد اوجب فسخه نحو النصرانيين
يتبايعان في الخمر ثم يسلم احدهما قبل قبض الخمر والمسلمين يتبايعان في الصيد ثم يحرم احدهما قبل
قبض الصيد فانه ينفسخ البيع ولو كان الصيد والخمر مقبوضين ثم احرما او اسلما لم يبطل البيع
لان الله تعالى انما ابطل في هذه الاية من الحرام ما لم يقبض **قوله عز وجل** فان لم
تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون
اول هذه الاية يحتمل معنيين **احدهما** ان لم تقبلوا امر الله تعالى
ولم تقروا بتحريم الربا ولم تتركوه فاعلموا انكم كفار يحاربكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
اى يعذبكم الله تعالى في الاخرة بالنار ويعذبكم رسوله صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالسيف
والاذن العلم يقال اذن باذن اذنا اذا علم ومن قرا فآذنوا بالمد فمعناه فاعلموا اصحابكم
المتمسكين بمثل ما انتم عليه ان من عامل بالربا مستحلا له حاربهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
والمعنى الثاني ان لم تتركوا ما بقي من الربا بعد نزول الامر بتركه فاذنوا بحرب من الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك لا يوجب الاكفار لان لفظ محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
يطلق على ما دون الكفر كما في اية قطاع الطريق وهذا الحكم في اية الربا انما يستقيم اذا
اجتمع اهل بلدة او قرية لهم منعة او قوة على المعاملة بالربا وكانوا مجترئين له فان الامام
يستتيبهم فان تابوا والا قاتلهم فاما اذا عامل واحد او جماعة قليل عددهم معاملة الربا

وأسفل

واتركوا

قال الامام

فان الامام يستتيبهم فان تابوا والا زجرهم وعزرهم وحبسهم الى ان يظهروا التوبة منهم **وقد روي**
عن عبد الله بن عباس وقتادة والربيع بن انس فيمن اربى ان الامام يستتيبه فان تاب والا قتله
وهذا محمول على ان يفعله مستحلا له لانه لا خلاف بين اهل العلم انه ليس بكافر اذا اعتقد تحريمه
ومعنى وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم اى ان رجعتم عن استحلال الربا واقررتم بتحريمه ويقال
ان تبتم عن معاملة الربا فلكم رؤوس اموالكم التي اسلفتموها بني المغيرة لا تظلمون بطلب الزياده
على راس المال ولا تظلمون بحبس راس المال عنكم وفي قوله عز وجل ولا تظلمون دليل ان المطلوب
اذا امتنع من اداء راس المال مع القدرة عليه كان ظالما ولهذا قالوا ان المديون يحبس في الدين **وقد روي**
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مطل الغني ظلم **وروي** انه قال لي الواجد
يحل عرضه وعقوبته ومعلوم انه لا يستحق الضرب بالاجماع فلم يبق الا الحبس **قال** عبد الله
ابن عباس لما نزلت هاتان الايتان كتب بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب فقراهما
على ثقيف فقالوا بل نتوب الى الله عز وجل فانه لا يدان لنا بحرب الله عز وجل وحرب رسوله
صلى الله عليه وسلم ثم طلبوا رؤس اموالهم من بني المغيرة فقالت بنو المغيرة نحن اليوم اهل عسرة
فاخرونا الى ان ندرك الثمار فابوا ان يوخروهم حتى نزل **قوله عز وجل** وان كان
ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون معناه ان كان المطلوب
ذا ضيق وشدة فتاخير الى سعة ويسار وروي عن ابن عباس وشريح وابرهيم ان الانظار
انما يجب في الدين يعني دين الربا خاصة وكان شريح يحبس المعسر في غيره من الديون
وروي عن ابي هريره والحسن والضحاك ان ذلك واجب في كل دين وهذا هو الاصح والله تعالى
اعلم لان نزول الايه في راس مال الربا لا يمنع اعتبار ساير الديون به بالاستدلال والقياس
وذهب بعض اهل النحو الى ان الرفع في قوله ذو عسرة دليل على انه ابتدا على معنى وان
وقع ذو عسرة او وجد ذو عسرة يقال قد كان الامر اي وقع الامر ولو كان هذا مختصا بالربا لقال
وان كان ذا عسرة بالنصب ويحتمل ان يكون تقدير الرفع وان كان ذو عسرة غريما لكم وفي قراة
ابي بن كعب رضي الله عنه وان كان ذا عسرة اي كان المطلوب ذا ضيق وشدة والنظرة
مصدر يقال بعت بنظرة اي بتاخير ومن قرا فناظرة فهي من اسما المصادر ايضا كما في قوله
تعالى ليس لوقعتها كاذبه وقوله عز وجل تظن ان يفعل بها فاقرة ومن قرا ميسرة بضم
السين فهو لغة في الميسرة **ومعنى** وان تصدقوا خير لكم اى ان تتصدقوا براس المال
فهو افضل لكم ان كنتم تعلمون ثواب من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله تعالى يوم القيمة
يوم لا ظل الا ظله وفي الايه دليل على ان للامام ان يتعرف عن احوال المحبوسين على ما قالوا ان كل من
ثبت عليه حق فحبسه الامام فانه يسال عنه بعد شهرين او ثلثه فان كان موسرا تركه في الحبس ابدا
الى ان يقضي الحق وان كان معسرا اخلى سبيله **وذكر** ابن رستم عن محمد عن ابي حنيفة رحمه الله
ان المطلوب اذا قال انا معسر واقيم البينة على ذلك وقال يسال عن حاله قال لا اسال عنه احدا الجواب
ان يكون له مال لا اخباه فاحبسه شهرين او ثلاثه حتى يضجر فيعطي المال ان كان له مال ثم ان لم يظهر له
مال فاني اسال عنه الا ان يكون معروفا بالعسر فلا احبسه **كما روي** ان رجلا اتى عليا كرم الله وجهه
بغريمه وساله حبسه فقال هات بينة على ماله احبسه قال فاني اذا الزمه قال ما امنعك من
لزومه **وقال** الشافعي يباع على الغريم ما ظهر من ماله ويحبس اذا بقي عليه من الدين شيء فان
اتى بالبينه على اعساره قبلت بينته وحلفته على ذلك بالله ما لك شي سوى ما ظهر عليك فاذا احلف
منعت غرماه من لزومه وليس في هذه الايه ما يمنع الملازمة بعد ظهور الاعسار لان النظرة تقتضي النظر

وفي اخراج المطلوب من الحبس مع الملازمة نظر لهما لكي يستوفي صاحب الحق حقه من كسبه
اذا وجد فيه فضلا عن نفقته وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ابتاع بعيرا
من اعرابي بثمن الى اجل فلما حل الاجل اتاه الاعرابي يتقاضاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جئتنا وما عندنا شي فجعل الاعرابي يقول واغدراه فهم عمر رضي الله عنه ان يضربه فقال
صلى الله عليه وسلم دعه فان لصاحب الحق مقالا وفي بعض الروايات تبادر اليه اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فان لصاحب الحق اليد واللسان وفي قوله
عز وجل وان تصدقوا دليل على ان الصدقة افضل من القرض لان القرض دفع المال بتاخير الاسترجاع
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قرض مرتين صدقة مرة قوله عز وجل
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون تحذير
من الله عز وجل ان يوافي العباد ذلك اليوم على غرة وغفلة وتقصير في اوامر الله تعالى ومخالفته
فيما احل وحرم يقول اخشوا عذاب يوم ترجعون فيه الى جزا الله تعالى ويقال الى ملك الله تعالى
فلا يكون لكم يوميذ مخلص بنصرة ولا شفاعة ومعنى وصف الناس بالرجوع اليه في ذلك
اليوم اي حالهم اخرا في ان لا يملك احد ضرهم ولا نفعهم الا الله تعالى بعود الى مثل ما كان عليه
حالهم اولا في بطون امهاتهم كان لا يملك ضرهم ولا نفعهم الا الله ثم بعد البروز في حال الرضاع
والفطام والنشو والبلوغ ملك بعضهم ضر بعض ونفع بعض في ايام الدنيا ثم ترجع الامور كلها الى الله عز وجل
في اليوم الاخر وهو يوم القيمة ومعنى ثم توفى كل نفس ما كسبت توفر على كل نفس جزا ما عملت
من خير او شر وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في سياتهم قال ابن عباس رضي الله عنه
هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران وذلك انه لما حج البيت نزل عليه جبريل
عليه السلام وهو واقف بعرفه بقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم ثم نزل بعد ذلك بهذه الاية
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقال يا رسول الله ضعها على راس ثمانين ومايتي اية من سورة البقرة
فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية بسبعة ايام قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب ان يكتب كما
علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيا فان كان الذي عليه الحق
سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان
لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهدا ان تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى ولا ياب
الشهدا اذا ما دعوا ولا تساموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة
وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا
تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل
شي عليم روي عن عبد الله بن عباس ان الكتاب كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلا
فامر الله الناس في بيعهم وشرايهم بالكتابة للمعادلة بينهم وكان يقول اشهد ان السلف المضمون
الى اجل معلوم داخل تحت اطول اية من كتاب الله تعالى فتلا هذه الاية وظاهر الاية على كل دين من سلم
او غيره ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان فيما تقدم امر الدين اذ هو من باب المداينة والمتاجرة فذكر
الله عز وجل المداينة المباحة وامر بالكتابة ومعنى الاية والله تعالى اعلم يا ايها الذين صدقوا
بتوحيد الله تعالى اذا تبايعتم بالنسية الى وقت معلوم فاكتبوا الدين باجله واشهدوا عليه كيلا
تحدث نفس احدكم بالطمع في مال صاحبه ولا يقع الشك في مقداره والتداين تفاعل من المداينة
وهو فعل الاثنين في سبب الدين وانما قال عز وجل بدين ولا يكون التداين الا بدين لان تداينتم

قد يكون

قد يكون بمعنى تجازيتم في الدين وهو الجزا وقد يكون بمعنى تعاملتم بدين فقيده بالدين لتخليص
اللفظ عن الاشتراك وجايز ان يكون على جهة التاكيد كما يقال ضربت ضربا وشتمت شتما ولا فرق
بين قولك دينا وبين قولك بدين كما لا فرق بين قولك كلمت فلانا كلاما وبين قولك بكلام واختلفوا في هذه
الكتابة انها فرض او ندب ذهب ابو سعيد الخدري والحسن والشعبي رضي الله عنهم ان الكتابة والاشهاد
على الديون الاجلة كانا واجبين بهذه الاية ثم نسخا بقوله عز وجل فان امن بعضكم بعضا وقال
ابن عباس رضي الله عنهما لا والله ان اية الدين محكمة ما فيها نسخ وهو قول الربيع وكعب وهذا هو الاصح
والله اعلم لان الامر بالكتابة والاشهاد انما ورد مقرونا بقوله عز وجل فان امن بعضكم بعضا ولم يثبت تاريخ
بين نزول هذين الحكمين ويستحيل ورود الناسخ والمنسوخ معا في شي واحد فكان المراد بالامر الندب بها
والفايدة في قوله عز وجل الى اجل مسمى بيان وجوب اعلام الاجل فان جهالة الاجل في البياعات تفسد
واما قوله عز وجل وليكتب بينكم كاتب بالعدل اي ليثبت الصك بين المتداينين كاتب بالحق
لا يزيد على الحق على المطلوب ولا ينقص عن حق الطالب يعني ان سبيل الكاتب اذا كتب ان يكتب
على حد العدل والاحتياط في كتبة الشروط الصحيحة والتحرز عن العبارات المحتملة للمعاني المشتركة
لتخرج الكتابة من اختلاف الفقها ووجوه الاحتمال حتى يحصل بذلك معنى الوثيقة ولذلك قال
عز وجل ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله اي لا يمتنع ان يكتب كما الهمه الله تعالى شكرا لما انعم
الله تعالى عليه حيث علمه الله عز وجل الكتابة واحوج غيره اليه فليكتب وقد اختلف السلف
رحمهم الله في وجوب الكتابة على الكاتب قال الشعبي هو واجب على الكفاية كالجهاد ونحو ذلك وقال
السدي هو واجب على الكاتب في حال فراغه وقال الضحاك كانت الكتابة واجبة في ذلك الوقت
ثم نسخ بقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد والصحيح ما تقدم ان الكتابة غير واجبة في الاصل على
المتداينين فاذا لم تكن واجبة عليهم فكيف تكون واجبة على الاجنبي الذي لا حكم له في هذا العقد
ولا سبب له فيه غير ان المتداينين اذا قصدوا الى ما ندبهم الله تعالى اليه من الاستيثاق بالكتاب ولم
يكونوا عالمين بذلك كان على من علم ذلك ان يبينه لهم وليس عليه ان يكتبه لهم ولكن يبين حتى
يكتبوه او يكتبه اجير او متبرع باملاء من يعلمه كما لو اراد انسان ان يصوم صوم تطوع او يصلي صلوة
تطوع ولم يعلم احكامها كان على العالم بذلك ان يبينه له لان على العلما بيان النوافل اذا سيلوا كما ان
عليهم بيان الفرض واما قوله عز وجل فليملل الذي عليه الحق اي ليمل على الكاتب حتى يكتب
والاملال والاملا بمعنى واحد مثل التقضض والتقضي والتظنن والتظني واما قوله عز وجل
وليتق الله ربه اي ليخش الله تعالى الذي عليه الحق في الاملا ولا ينقص من حق الطالب شيا وفي هذا اثبات
جواز الاقرار وبيان ان كل من اقر بشي لغيره كان القول قوله في ذلك اذ لولاه لم يكن للوعظ في ترك البخس معنى
واما قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
كما تقدم ذكره في قوله عز وجل
فان كان الذي عليه الحق سفيها خفيف العقل جاهلا بشروط الاملا لا يميز تمييزا صحيحا او ضعيفا
في العقل مثل الصبي والمراة او كبير السن او لا يستطيع ان يمل هو لمرض او خرس لا يقدر على ذلك لعيبه
فليملل وليه الذي يقوم بامره بالعدل بالحق وقد احتج ابو يوسف ومحمد
والشافعي رحمهم الله في اثبات الحجر على السفيه بان الله تعالى اجاز لولي السفيه الاملال
عليه في هذه الاية وهذه الاية مشتركة الدلالة لان في مضمونها جواز مداينة السفيه بقوله
عز وجل اذا تداينتم بدين الى قوله عز وجل فان كان الذي عليه الحق سفيها وهذه الحجة
لابي حنيفة رحمه الله وانما خالف بين السفيه وبين غيره في الاملا لقصور فهمه عما له وعليه
على ما تقتضيه شروط الوثيقة وقد قالوا ان المراد بقوله عز وجل فليملل وليه ولي الدين اي

لكن هو الذي يملي الكتاب حتى يقر به المطلوب الذي عليه الدين ومن الدليل على صحة هذا القول انه
لاخلاف ان اطلاق اقرار ولي المحجور عليه بالسفه لايجوز الا ان يكون في مقابلته مال للسفيه فعلم ان
المراد بهذا ولي الدين والله اعلم **وامّا** قوله عز وجل واستشهدوا شهيدين من رجالكم اي
اشهدوا على الحق شهيدين من رجالكم من الاحرار البالغين المومنين دون الكفار والعبيد وفي
الاية مايدل على هذه الشرايط في الشهود لان اول هذه الاية خطاب للمومنين وقوله تعالى من
رجالكم دليل ان البلوغ شرط في الشهادة وفي عطف هذا اللفظ على المداينة والاملاء دليل ان الحرية
شرط في الشهود لان العبد لايملك المداينة الا باذن المولى واذا اقر بشي لم يجز اقراره الا باذن مولاه
وامّا قوله عز وجل فان لم يكونا رجلين اي ان لم يكن اللذان يشهدان رجلين فليشهد رجل
وامراتان او فرجل وامراتان شهيدان لان قوله عز وجل فرجل وامراتان بدل قوله عز وجل
واستشهدوا شهيدين فلولا ان اسم الشاهدين يشترك فيه رجلان او رجل وامراتان جميعا لم يصح
ان يفسر بقوله عز وجل فرجل وامراتان بل كان يجب ان يقول واستشهدوا رجلين فان لم يكونا
فرجل وامراتان الا ترى انه لايصح ان يقال اعتق رقبة عبدا فان لم يكن فصيام شهرين لان اسم الرقبة
لايقع على الصيام كما يقع على العبد ويصح ان يقال اعتق رقبة عبدا فان لم يكن فامة لانه يشترك في
اسم الرقبة العبد والامة جميعا وليس شهادة رجل وامراتين من الابدال التي لاتصح مع القدرة
على الاصل مثل قوله عز وجل فلم تجدوا ماء فتيمموا ونحو ذلك لانه لاخلاف في جواز شهادة المراتين
ورجل مع وجود رجلين فعلم انه لم يرد به اقامة شهادة امراتين مقام رجل عند عدم الرجلين
وانما اراد تسمية الرجل والمراتين شهيدين فيكون ذلك اسما شرعيا يجب اعتباره فيما امرنا فيه
بشهادة شاهدين الا فيما قامت الدلالة عليه من الحدود والقصاص وفي الاية مايدل على جواز شهادة
رجل وامراتين في ابدال المنافع والاعيان نحو الاجرة والمهر وبدل الخلع والصلح من دم العمد لان هذه
ديون اجله بعقود مداينة لان لفظ الاية يقتضي عقود مشتملة على دين موجل في احد البدلين لا في
البدلين لان الله تعالى قال اذا تداينتم بدين ولم يقل بدينين وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدين بالدين **وامّا معنى** ممن ترضون من الشهدا اي من ترضون عدالته وامانته وهذا
يدل على ان من الشهود من لايرضى كما ان فيهم من يرضى والمرضي من تجتمع فيه ثلثة اشيا احدها
العدالة واصلها الايمان واجتناب الكباير ومراعاة حقوق الله تعالى من الواجبات والمسنونات وصدق
اللهجة واداء الامانة والثاني نفي التهمة نحو ان لايكون المشهود له والدا او ولدا او زوجا او زوجة
للشاهد وان لايكون الشاهد شهد بهذه الشهادة فردت شهادته للتهمة فان شهادة هولاء غير
مقبولة لمن ذكرنا وان كانوا عدولا مرضيين في الجملة والثالث التيقظ وقلة الغفلة وذلك ان
لايكون الشاهد ممن يلقن فيتلقن ويجوز عليه التزوير فيشهد به **وروى ابن رستم**
عن محمد في رجل صوام قوام مغفل يخشى عليه ان يلقن فياخذ به قال هذا اشر من الفاسق
في شهادته **وامّا** قوله عز وجل ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فمعناه والله اعلم
لان تنسى احديهما فتذكرها التي حفظت تقديره لان تذكر الذاكرة الناسية ان نسيت فيكون
الجزا مقدما في المعنى وهذا كما يقال ليعجبني ان يسال السايل فيعطى اي يعجبني الاعطا ان
سال السايل ويقال اعددت هذا ان يميل الحايط فادعمه وانما اعدته للادعام لا للميل لكن بدا
بذكر الميل لانه سبب الادعام كما ذكر الضلال هاهنا لانه سبب الاذكار ومن قرا ان تضل فتذكر
بكسر الالف وضم الرا على معنى الابتدا والشرط وموضع تضل جزم بالشرط وجواب الشرط بالفا يقتضي
الرفع وقيل في تفسير القراتين ان امتنعت احدى المراتين عن اداء الشهادة تعطها الاخرى حتى

تشهد

واحد خ

تشهد ومن قرا فتذكر بالتخفيف فالاذكار والتذكير بمعنى واحد يقال اذكرت فلانا وذكرته بمعنى وقيل
في معنى التخفيف تجعلها ذكرا اي يقومان مقام رجل واحد وقد اعترض على هذا القول وقيل ان في
الاية تعليق الاذكار بالضلال وكان معنى الاذكار من النسيان وقد ورد على وفق هذه الاية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما رايت من ناقصات العقل والدين اذهب بعقول
ذوي الالباب منكن فقالت امراة ما نقصان ديننا قال صلى الله عليه وسلم تقعد احداكن شطر
دهرها لاتصوم ولاتصلي فقالت ما نقصان عقلنا فقال صلى الله عليه وسلم اما شهادة امراتين
منكن مقام شهادة رجل واحد وفي الاية دلالة ان الشاهد وان عرف خطه لايجوز له ان يشهد
على ذلك الا ان يكون ذاكرا للشهادة **وامّا** قوله عز وجل ولاياب الشهدا اذا ما دعوا اي لايمتنعوا
اذا دعوا الى اقامة الشهادة عند الحكام واما من قال معناه اذا دعوا الى اثبات الشهادة في الكتاب ذهب
الى ان تحمل الشهادة فرض على الكفاية **وامّا** قوله عز وجل ولاتساموا اي لاتملوا ان تكتبوا الحق قليلا
كان الحق او كثيرا الى محله يقال سامت اسام سامة اذا امللت **قال الشاعر**
سيمت تكاليف الحيوة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسام **وامّا** قوله عز وجل
ذلكم اقسط عند الله اي الكتاب اعدل عند الله احصى للاجل واحفظ للشهادة واقرب الى ان لا
تشكوا في مقدار الحق ومقدار الاجل وفي هذا دليل انه لايجوز اقامة الشهادة الا مع زوال الريب
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايت مثل الشمس فاشهد والا فدع **وامّا** قوله عز وجل
الا ان تكون تجارة حاضرة فاكثر اهل القراة في التجارة الرفع معناه الا ان تقع تجارة حالة يدا بيد فليس
عليكم جناح في ترك كتابة تلك التجارة ومن نصب التجارة فمعناه الا ان تكون المداينة تجارة وفي هذا
توسعة من الله تعالى لعباده لان لايضيق عليهم امر بياعاتهم في الماكول والمشروب والاشيا التي تمس حاجتهم
اليها في اكثر الاوقات ويشق عليهم كتابة جميعها **وامّا** قوله عز وجل واشهدوا اذا تبايعتم فمعناه
اشهدوا على حقوقكم اذا بعتم واشتريتم وهذا محمول على البياعات النفيسة ولما يتعلق بها من الحقوق
لبعضهم على بعض من عيب يوجد او رجوع بالثمن عند الاستحقاق فاما القدر اليسير الذي ليس في العادة
التوثق بالاشهاد فيه نحو شرا الخبز والبقل والما وما جرا مجرى ذلك فغير داخل في هذا الخطاب **وامّا**
قوله عز وجل ولايضار كاتب ولاشهيد تحتمل وجهين احدهما الايضار الكاتب ولا الشاهد الطالب ولا
المطلوب اي لايكتب الكاتب الا بالحق ولايشهد الشاهد الا بالحق تقديره ولايضارر على النهي والثاني
على فعل ما لم يسم فاعله اي لايدعى الكاتب وهو مشغول لايمكنه ترك شغله الا بضرر يدخل عليه وكذلك
لايدعى الشاهد ويجيء للشهادة بضرره **وامّا معنى** وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي تقصدوا المضارة
بعد نهي الله تعالى عنها فانه اثم وخروج من امر الله تعالى واتقوا الله في الضرار ولاتعصوه فيما امركم به
ويعلمكم الله تعالى ما به قوام دينكم ودنياكم والله بكل شي من اعمالكم عليم يعلم ما تعملون في الكتابة والشهادة
قوله عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فان امن بعضكم بعضا
فليود الذي اوتمن امانته وليتق الله ربه ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله
بما تعملون عليم معنى الاية والله تعالى اعلم وان كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبا يكتب الوثيقة بالحق وفي
قراة ابن عباس كتابا يعني الصحيفة والدواة فرهان مقبوضة اي الوثيقة رهان يقبضها الذي له
الحق من الذي عليه الحق وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا اي ان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب
الحق فلم يرتهن منه شيا فليود الذي اوتمن امانته وهو المطلوب امانته بان لايجحد ولايبخس وليتق الله
ربه الذي راه فيما اوتمن عليه ثم حذر الله تعالى الشهود فقال عز من قايل ولاتكتموا الشهادة اي لا
تكتموها عند الحكام ولاتمتنعوا من ادايها ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي فاجر سريرته واضاف الاثم الى القلب

وان كان الاثم هو الكاتم لان الكتاب لا ثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب وهذا ابلغ في الوعيد واحسن
في البيان لان كاتم الشهاده يلحقه الاثم من وجهين احدهما العزم على ان لا يودي والثاني ترك
اداها باللسان وقوله والله بما تعملون عليم من كتمان الشهاده واقامتها واداء الامانه والخيانه
فيها لا يخفى عليه شي مما تفعلون وتدعون **والرهان** مصدر راهنت مراهنة ورهانا وقد يقام
المصدر مقام الاسم ويقال ان الرهان جمع الرهن كالكباش والبغال والجبال جمع الكبش والبغل والجبل
وقرا بعضهم فرهن مقبوضه فصلا بين رهان الخيل والرهن في غيرها واختار الزجاج رحمه الله
هذه القراه لموافقته المصحف فان المكتوب في المصحف بغير الف **وقال** ابو عبيد الرهن جمع الرهن
كما يقال سقف وسقف وفرس ورد وخيل ورد **وقال** الكسائي والفرا الرهن جمع الرهان
كما يقال ثمر وثمار وثمر **وقال** مجاهد انه كان يذهب الى ظاهر هذه الايه وكان يكره الرهن
الا في السفر ولا خلاف بين فقها الامصار وعلما السلف في جواز الرهن في الحضر **وقد روي**
عن عايشه رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما الى اجل ورهنه
درعه والفايدة في ذكر السفر في الايه ان الاغلب من حال السفر عدم الشهود والكتاب فخص
الرهن بحال السفر والله اعلم وفي هذه الايه دلاله ان الرهن لا يصح الا مقبوضا لان الله عز وجل عطف
الرهن على الشهاده وجعله قايما مقامها فلما كان استيفا العدد المذكور والصفة المشروطة في
الشهود واجبا فكذلك وجب ان يكون حكم الرهن فيما شرط الله عز وجل له من الصفه والثاني
ان الرهن وثيقه للمرتهن بدينه ولو صح غير مقبوض لبطل معنى الوثيقه وكان بمنزلة ساير اموال
الراهن اذ يمكنه جحد الرهن والدين جميعا وفي الايه دلالة ان الرهن مضمون لانه عطف
الامانة على الرهن والشي لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره **والحكمة** في الامر بالكتاب
والاشهاد والرهن والله تعالى اعلم ان هذه الاحكام كلها من صلاح الدين والدنيا لما في ذلك من
صلاح ذات البين ونفي التنازع والاختلاف فان المطلوب اذا علم ان عليه شهودا او كتابا او رهنا
في يدي الطالب قل الخلاف لعلمه ان الخلاف لا ينفعه بل يظهر بذلك كذبه بشهادة الشهود
عليه واذا لم يكن كتاب ولا وثيقه وجحده المطلوب حمل جحوده الطالب على مقابلته بمثله
حتى ربما لا يرضى بمقدار حقه دون الاضرار به في اضعافه فيودي ذلك الى فساد ذات البين
وذهاب الدنيا والدين قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم **وقد نبه الله**
سبحانه عباده على هذا المعنى في تحريم الخمر والميسر حيث قال جل ذكره انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر الى اخر الايه ولهذا ما حرم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الغرر وبيع ما ليس عند الانسان والبياعات المجهوله فمن تادب بادب الله تعالى
وانتهى الى اوامره جاز صلاح الدنيا والدين كما قال الله عز وجل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
لكان خيرا لهم واشد تثبيتا الى اخر الايات الثلث وفي الايتين اشارة الى وجوب حفظ المال والنهي عن
تضييعه وهو نظير قوله عز وجل ولا تؤتوا السفها اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقوله عز وجل
ولا تبذر تبذيرا وقوله عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا **وعن** رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه نهى عن قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال **قوله عز وجل** لله ما
في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشا
ويعذب من يشا والله على كل شي قدير روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
ان هذه الايه نزلت في كتمان الشهادة وذهب جماعة من المفسرين الى انها عامة في الشهادة
وغيرها **ومعنى** الايه والله اعلم ان ما في السموات والارض كلها لله تعالى وكلهم عبيده

اي لا يعلمون جـ
عالمرج
وعن جـ

وفي

في ملكه يقضي فيهم ما يشا وان تظهروا الشهاده او تكتموها ويقال ان تظهروا العمل بالاحكام التي تقدمت
في هذه الايه او تسروه فلا تعلنوه يجازيكم الله تعالى به في القيمه ويقال يعرفكم ما تفعلون روي عن عايشة
في قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا انه العرض من نوقش الحساب عذب وقوله عز وجل
فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا قيل في معناه يغفر لمن يشا لمن تاب من الذنوب ويعذب من يشا
لمن اصر عليها فانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار والاولى ان يقال في ظاهر هذه الايه
ان المسلم المذنب اذا مات قبل التوبه فهو في مشية الله تعالى ان شا رحمه وان شا عذبه ومن قرا فيغفر
ويعذب بالجزم فعلى معنى جواب الشرط **واما** قوله تعالى والله على كل شي قدير اي الله تعالى على كل
شي من المغفرة والعقوبة قادر **واختلف** اهل التفسير في هذه الايه انها محكمة او منسوخة ذهب
بعضهم الى ان المراد بالايه ان تظهروا ما في قلوبكم او تضمروه في قلوبكم يحاسبكم به الله تعالى لكنها نسخت
بما بعدها قالوا لما نزلت هذه الايه شق ذلك على المسلمين مشقة شديدة قالوا ان الرجل منا ليحدث
نفسه بامر من المعصية ثم لا يعمل بها او يعمل بها فهما سوا يواخذ بها **قال** معاوية بن قرة فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا فقالوا بل نقول سمعنا
واطعنا فنزلت هذه الايه لا يكلف الله نفسا الا وسعها فنسخ ما قبله **وعن** سفين الثوري انه قال
بلغني ان الانبيا عليهم السلام كانوا ياتون قومهم بهذه الايه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله فيقولون لا نطيق هذا ولا نحتمله فلما عرض على هذه الامة قبلوه فوضع عنهم بقوله عز وجل
لا يكلف الله نفسا الا وسعها واستدلوا على هذا القول بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا او يتكلموا به **وقال** بعضهم لا يجوز ان
تكون هذه الايه منسوخة لانها خبر من عند الله عز وجل والخبر لا يحتمل النسخ لانه خلف وبداء وذلك
جهل بالعواقب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لكن المراد بالايه اظهار العمل واخفاوه **وقال** مجاهد
هذه الايه محكمة في الشك واليقين **قال** الله عز وجل في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا اي شك **وقال**
الربيع بن انس هذه الايه محكمة لم ينسخها شي يعرف الله تعالى عبده يوم القيمة يقول انك اخفيت في
صدرك كذا وكذا في ساعة كذا وكذا ثم لا يواخذ المومن به واستدل على هذا القول بقوله عز وجل
ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا **ويحتمل ان**
يكون هذا تاويل الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى تجاوز
لامتي ما حدثت به انفسها وقيل من تاويل الخبر ان هذه الايه انما وردت فيما يواخذ به العبد
فيما بينه وبين الله تعالى وذلك الخبر انما ورد فيما يلزم العبد من احكام الدنيا فلا يقع عتقه ولا طلاقه
ولا بيعه ولا هبته بالنية ما لم يتكلم **ومن نظاير** هذه الايه قوله عز وجل ولكن يواخذكم بما كسبت
قلوبكم وقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشه في الذين امنوا الايه ويدل على ذلك ان من احب
ما يبغضه الله تعالى او ابغض ما احبه الله تعالى كان معاقبا على ذلك وان لم يعمل الا بقلبه **وقال**
محمد بن علي الحكيم في هذه الايه ان الاخفا ان يضمر على السو ويهم به ثم لا يصل اليه ولا
يتمكن منه وهذا القول حسن جدا اختاره جماعه من المفسرين رحمهم الله **قوله عز وجل**
امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير وذلك انه لما
سبق في السورة ذكر احكام كثيرة اثنى الله عز وجل على من امن بها وقبلها فقال عز من قايل امن
الرسول بما انزل اليه بجميع الاحكام التي انزلها الله تعالى وكذلك المومنون كلهم امنوا بالله تعالى
وانما وحد الله تعالى قوله امن لان لفظ الكل موحد وانما اتى بالايمان بالمليكه لان حبا من خلاعه

كانوا يقولون ان الملئكة بنات الله تعالى عن ذلك وقالت الفلاسفة ان الكواكب هي الملئكة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم والمومنون ان الملئكة عباد الله تعالى ليسوا ببنات الله تعالى ولا بالكواكب واما قوله
عز وجل وكتبه ففيه قرائتان احداهما على لفظ الجماعة وقرا حمزة والكسائي وكتابه على لفظ الوحدان
وهي قراة عبد الله بن عباس ويحتمل ان يكون المراد بلفظ الوحدان جنس الكتاب كما يقال كثر
الدرهم والدينار في ايدي الناس ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب القران وقوله تعالى لا نفرق بين احد
من رسله معناه قالوا لا نفرق بين احد من رسله اي لا نفعل كما فعل اهل الكتاب امنوا ببعض وكفروا ببعض
ومن قرا لا يفرق بالياء فالمعنى كل امن كل لا يفرق **واما** قوله عز وجل وقالوا سمعنا واطعنا اي قالوا سمعنا
قولك واطعنا امرك ويقال معنى اطعنا قبلنا ما سمعنا لان من سمع ولم يقبل قيل هو اصم كما قال الله تعالى
صم بكم عمي **ومعنى** قوله غفرانك ربنا اي اغفر غفرانك يا ربنا الا انه استغنى بالمصدر عن الفعل
في الدعاء كما يقال حمدا وشكرا اي احمد حمدا واشكر شكرا **وحكي** عن الكسائي عن بعض العرب
انه كان يقول في دعايه سبحانك رحمانك وكان يسال الله تعالى الرزق **واما** قوله تعالى واليك المصير
فالمعنى الى جزائك المصير اي نحن مقرون بالبعث وهذا كما قال الله عز وجل حكاية عن ابرهيم عليه السلام
اني ذاهب الى ربي سيهدين اي ذاهب الى حيث امرني ربي **قوله عز وجل** لا يكلف الله
نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا
تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين معناه والله تعالى اعلم لا
يكلف الله نفسا فرضا من فروضها من صوم او صلوة او صدقة او غير ذلك من جميع النفس
الا مقدار طاقتها كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعمران بن حصين صل قايما
فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك تومي ايما ولهذا ما امر الله عز وجل المريض
الذي لا يقدر على الوضوء بالتيمم والشيخ الكبير الذي لا يقدر على الصوم بالفدا وقال صلى الله عليه وسلم
بعثت بالحنيفية السمحة وقيل ان هذه الاية واردة مورد البيان لقوله عز وجل وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه فغلط بعض الرواة وقال ان هذا ناسخ لما قبله **فان قيل** هل يجوز للعدل
ان يكلف فوق الوسع **قيل** هذا خبر عن سعة رحمته وعطفه على خلقه كما نفى الظلم عن
نفسه وان كان لا يتوهم منه الظلم وقد قال قوم لو كلف فوق الوسع كان له ذلك لان الخلق
خلقه والامر امره ولكنه اخبر انه لا يفعله وقالوا ان معنى قوله عز وجل الا وسعها الا ما
يسعها او يجوز لها **واما** قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فالمعنى لها ما كسبت
من الطاعة وعليها ما اكتسبت من المعصية اي لا يواخذ احد بذنب غيره كما قال جل ذكره ولا تزر
وازرة وزر اخرى ولا فرق بين كسبت واكتسبت في اللغة **وكان** محمد بن علي الحكيم يقول
ان الكسب من توحيد القلب والتوحيد من الملكوت والاكتساب من النفس والنفس من التراب
وقيل في الفرق بينهما ان الكسب فعل الانسان لنفسه ولغيره والاكتساب ما يفعله
لنفسه خاصة كالقطع والاقتطاع فوصف المسي بالاكتساب لان وزره لا يعدوه ومعصيته لا
تضر غيره ووصف المحسن بالكسب لان غيره يشاركه في ثوابه بالهداية والشفاعة **واما** قوله
عز وجل ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا اي ان نسينا طاعتك او اخطانا في امرك **وقال** الكلبي
ان جهلنا او تعمدنا فذهب الى الخطا الذي هو ضد الصواب لا ضد القصد يقال خطي اذا تعمد
واخطا اذا سهي وقد يقال اخطا اذا تعمد **وقيل** معنى الاية ان تركنا امرا او اكتسبنا خطية
والنسيان بمعنى الترك معروف في الكلام كما في قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا ذكر الله تعالى

وامر فتركهم في العذاب والمراد بنفي المواخذة في النسيان لسقوط الاثم في الاخرة فاما في حكم الدنيا
فلا يرتفع التكليف منه اذا ذكره بعد النسيان كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نام
عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وتلا قول الله عز وجل واقم الصلوة لذكري وقوله عز وجل
واذكر ربك اذا نسيت وكذلك الخطا مرفوع الاثم في الاخرة وهو تاويل الخبر المروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاما في احكام الدنيا
فيتعلق به الحكم فان الله عز وجل نص على لزوم حكم قتل الخطا في ايجاب الدية والكفارة **واما**
قوله عز وجل ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا اي لا تحمل علينا ثقلا ويقال
عهدا كما حملته على الذين من قبلنا بني اسرايل بجرم منهم امرتهم بقتل بعضهم بعضا وحرمت
عليهم الطيبات بظلمهم وكما كانوا امروا بقطع موضع النجاسة من الثياب ونحو ذلك من
الامور التي كانت تثقل عليهم **واصل الاصر** في اللغة العطف ومنه اواصر الرحم لانها تعطفه
عليه والواحدة آصرة يقال له ما ياصرني عليه آصرة اي ما يعطفني عليه قرابة ولا مودة
والاصر جبل يمد على طريق او نهر يحبس به المارة ويمنعون عن النفوذ ليوخذ منهم
المكس والعشور **واما** قوله عز وجل ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي لا تجهدنا ولا
تحملنا ما يشق علينا وهذا كما يقال لا طاقة لي بهذا الامر ولا اطيق كلام فلان اي لا احمله
الا بمشقة وهذا هو معنى هذه الاية لان الله تعالى يكلف احدا شيا لا يكون ذلك في قدرته
قال الله تعالى وكانوا لا يستطيعون سمعا ومعلومات اسماعهم كانت صحيحة **قال الشاعر**
انك ان كلفتني ما لم اطق ساك ما سرك مني من خلق ويقال معنى ما لا طاقة لنا
به اي لا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العذاب **واما** قوله تعالى واعف عنا اي اعف عنا من
ذلك كله ويقال اترك عنا العقوبة والعفو الترك وقوله عز وجل اغفر لنا اي استر لنا ذنوبنا
وعيوبنا وارحمنا اي انعم علينا بالجنة والثواب ويقال معنى الاية واعف عنا من المسخ واغفر
لنا من الخسف وارحمنا من الغرق اي لا تفعل بنا ما فعلت ببعض من تقدمنا من الامم
وقوله تعالى انت مولانا وليّنا وناصرنا ومتولي امورنا ثم سالوه جل ذكره بعد ما سموه باسم المولى
ما يسال من المولى من النصرة قالوا فانصرنا على القوم الكافرين اي اعنا عليهم في اقامة الحجة
واظهار الدين كما وعدتنا **روي** عن عبد الله بن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت **وكان** معاذ بن جبل رضي الله عنه
اذا ختم هذه السورة قال امين **وعن** الحسن والضحاك ومجاهد وجماعة غيرهم ان قوله
تعالى امن الرسول الى اخر السورة كان في قصة المعراج وهو رواية عن ابن عباس حتى قال بعض
المفسرين ان جميع القران انزله جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم الا قوله تعالى امن
الرسول بما انزل اليه من ربه فانه سمع ليلة المعراج قالوا لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم
بالمعراج الى سدرة المنتهى قال له جبريل عليه السلام اني لم اجاوز هذا المكان ولم
يومر بالمجاوزة احد غيرك فامض انت قال فمضيت حتى انتهيت الى ما اراد الله تعالى فاشار جبريل
عليه السلام ان سلم على ربك فقلت التحيات لله والصلوات والطيبات قال الله عز وجل السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال عليه السلام فاردت ان يكون لامتي حظ في السلام فقلت
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل عليه السلام واهل السموات كل واحد منهم
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
قال الله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يشرك امته

فى الكرامة والفضيلة فقال عليه السلام والمومنون كل امن بالله الى اخر الاية قال الله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فقال جبريل عليه السلام عند ذلك للنبي صلى الله عليه و
سل تعط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا الى اخر السورة قالوا فلما رجع
النبي صلى الله عليه وسلم اوحى الله اليه بهذه الايات ليعلم امته بذلك ويعلمهم كيف يدعون الله تعالى
وعن ابى امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا البقرة وال عمران فانهما يجيان
يوم القيمة كالغمامتين او كالغيايتين او كفرقين من طير صواف يحاجان عن صاحبهما ثم قال تعلموا
البقرة وال عمران فان اخذهما بركة وتركهما حسرة ولا تستطيعهما البطلة يعنى السحرة وعن عايشة
رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة البقرة وال عمران جعل الله له يوم
القيمة جناحان يطير بهما على الصراط كالبرق

السورة التى تذكر فيها ال عمران مدنية وهى ماتا اية

لا اختلاف فى جملتها بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحى القيوم قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما
معناه انا الله اعلم ويقال هو قسم اقسم الله بان الله عز وجل واحد لا شريك له ولا معبود للخلق سواه
وقد تقدم تفسير الحروف المقطعة فى اول سورة البقرة ومعنى الحى الدايم الذى لا ابتدا له اي الذي
لا يموت ولا يزول والقيوم القايم على كل نفس بما كسبت قال محمد بن اسحق والربيع ان نيفا
وثمانين اية من اول هذه السورة نزلت فى نصارى نجران حين وفدوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحاجوه فى امر عيسى عليه السلام فانزل الله عز وجل هذه الايات وفى قوله عز وجل
لا اله الا هو الحى القيوم بيان ان الله تعالى هو المختص باستحقاق العبادة لتفرده بالاقتدار
على ما يجب به العبادة وتفرده بفعل ما يستحق به العبادة واكثر القراة فى قوله تعالى الم على
فتح الميم وللفتح وجهان احدهما انه لما كانت الميم بعد ياء ساكنة استثقلوا فيها التسكين فحركوها
الى الفتح لان ذلك اخف نحو كيف واين والثانى انه القى عليها فتحة الهمزة من الف الله وهذا
جايز فى الهجاء وان كان مثله لا يجوز فى الكلام الموصول من حيث ان حروف الهجا مبنية على الوقف فيكون
ما بعد كل حرف كالمبتدا والالف من قوله عز وجل الله الف وصل تسقط فى درج الكلام ومن قرا
بتسكين الميم فعلى اصل حروف الهجا انها مبنية على الوقف والسكت **قوله عز وجل** نزل عليك
الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل
الفرقان اى نزل عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم القران بالصدق والعدل ويقال لاقامة امر حق
ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما تقدمه من التورية والانجيل وساير كتب الله تعالى فى الدعا
الى توحيد الله تعالى وبيان اقاصيص الانبيا صلوات الله عليهم والامر بالعدل والاحسان وساير ما
لا يجرى فيه النسخ وقوله تعالى وانزل التورية والانجيل من قبل اي انزل التورية جملة على موسى عليه السلام
والانجيل جملة على عيسى عليه السلام من قبل القران بيانا للناس من الضلالة وانزل الفرقان قيل ان المراد به
القران واعاد ذكره لبيان انه يفرق به بين الحق والباطل ومتى اختلفت فوايد الصفات على موصوف واحد
لم يكن ذكر الصفة الثانية تكريرا بل تكون الثانية فى حكم المبتداة لان لكل صفة فايدة ليست للاخرى
والصفة الاولى تفيد ان من شانه ان يكتب والصفة الثانية تفيد ان من شانه ان يفرق بين الحق والباطل
وقيل ان كل كتاب لله تعالى فهو فرقان والغرض من الاية والله تعالى اعلم ان الله تعالى قد حكم فى
جميع الكتب المنزلة ان عبادة غيره حرام فاعملوا بحكمه ان اقررتم بالاهيته وقوله عز وجل
مصدقا لما بين يديه من الكتاب وفيه بيان ان الله تعالى بشر الانبيا صلوات الله عليهم فى كتبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وان اليهود والنصارى كما صدقوا بالتورية والانجيل فعليهم ان يصدقوا بالقران الذى يصدقهما وانما قيل لما مضى

بين يديه وللاتى خلف لان ما مضى تيقنت به فكانه بين يديك تنظر اليه وما لم يات بعد فانك لا
تستيقن به علما فكانه بعد خلفك لا تبصره ومعنى التورية فى اللغة الضيا والنور وقال البصريون
اصلها ووريه على وزن فوعلة مثل الحوقلة والدوقلة من ورى الزند وورى لغتان اذا اخرجت ناره
ولكن الواو الاولى قلبت تاء كما قالوا فى تولج اصله وولج من ولج اذا دخل وقلبت الواو الاولى تاء كيلا
يجتمع واوان فى اول الكلمة فصار تورية ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكوفيون اصل
التورية تورية على وزن تفعلة قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها الا ان تفعلة لا يكاد يوجد فى
الكلام وقال بعضهم اصله تورية على وزن تفعلة فنقل من الكسر الى الفتح كما قالوا فى جارية جاراة
وناصية وناصاة قال الزجاج هذا ردى لانه يقال توفية وتوفاة وتوقية وتوقاة والانجيل انفعيل
من النجل وهو الاصل سمى بهذا الاسم على معنى انه اصل العلوم والحكم وقيل انه من نجلت الشى اذا استخرجته
واظهرته معناه انه مستخرج منه علوم وحكم **قوله عز وجل** ان الذين كفروا
بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام معناه مع ما قبله ان فى كتب الله تعالى
ما يدل على صدق قولك فمن جحد بايات الله تعالى وهى العلامات الهادية اليه الدالة على توحيده
فاولئك لهم عذاب شديد والله عزيز غالب فى امره لا يمنعه لاحد منعه ممن يريد عذابه ذو انتقام ذو نقمة
ينتقم ممن عصاه ثم حذرهم عن التلبيس والاستتار بالمعصية **فقال عز وجل** ان الله لا يخفى عليه
شى فى الارض ولا فى السما اى الذى لا يخفى عليه شى مما فى الارض والسما لا يخفى عليه قول الكفار وعملهم يحصى كل ما
يعملونه فيجازيهم فى الاخرة وفايدة تخصيص الارض والسموات كان الله لا يخفى عليه شى بوجه من الوجوه لان ذكر
الارض والسما اكبر فى النفس واهول فى الصدر فذكره على الوجه الاهول اذ كان الغرض به التحذير ثم احتج
جل ذكره على الخلق فى علمه بالسر والعلانية بتصويره الانسان وساير الحيوان فى ارحام الامهات اذ ليس يقدر
احد ان يخلق من الماء المهين الضعيف فى قعر الرحم المظلم على هذا الخلق المحكم الصنعة العجيب التدبير والبنية
الا العالم بكل شى من السر والعلانية **فقال عز وجل** هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشا
لا اله الا هو العزيز الحكيم اى يخلقكم فى الارحام كيف يشا من لون وطول وقصر وعظم وصغر وذكورة
وانوثة وحسن ودمامة يفعل كل ذلك بالحكمة وقوله لا اله الا هو لتاكيد ذكر المدلول الذى دل عليه الكلام الاول
اى لا مصور ولا خالق الا هو ومعنى العزيز الحكيم المنيع فى سلطانه لا يغالب والصانع المحكم فى تدبيره وقضاياه
فى عباده وافعال الله تعالى كلها شاهدة بانه الواحد القديم العالم القادر الذي ليس كمثله شى لا يوصل
الى معرفته الا بالاستدلال بصنايعه وعجايب تدبيره اذ ليس بمحدود فيدرك بالابصار ويحوى بالخواطر
والافكار فلو لم يكن واحدا وكان معه اله غيره لكان اذا اراد هو تصوير واحد ذكرا واراد الاله الاخر تصويره
انثى لم يكن وجوده على الصورة التى اراد هو تصويره عليها باولى من وجوده على الصورة التى اراد الاخر تصويره
عليها ولو لم يرد واحد منهما الا ما اراده الاخر لكان كل واحد منهما عاجزا فى نفسه لا يقدر على شى دون
موافقة غيره وفى هذه الاية جواب للنصارى من وجه اخر وهو انهم كانوا يدعون ربوبية عيسى عليه السلام
لولادته بلا والد وكانوا يقولون انه ابن الله تعالى لهذه العلة فبين الله تعالى ان ولادة عيسى عليه السلام بلا والد
ليس باعجب من احيا النطفة وخلقها ذكرا وانثى وكيف يشا فمن قدر على مثل هذا يقدر على خلق بشر من غير اب
وبالله التوفيق **قوله عز وجل** هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنة وابتغا تاويله
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا
الالباب روي عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى معنى الاية هو الذي انزل عليك القران منه ايات
واضحات بينات بالحلال والحرام لم تنسخ هى اصل الكتاب الذي انزل عليك وهن ام فى التورية والانجيل والزبور

وكل كتاب نحو قوله تعالى فى سورة الأنعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ومعنى واخر متشابهات اى ومنه
آيات اخر اشتبهت على اليهود مثل الم والر والمر والمص على ما ذكرنا من قصتهم فى ذلك مع النبى صلى الله
عليه وسلم فى اول سورة البقرة فاما الذين فى قلوبهم زيغ ميل عن الحق والهدى وهم اليهود فيتبعون ما
اشتبه عليهم من امر الحروف المقطعة يحسبون ذلك بحساب الجمل ابتغاء الفتنه يقول طلبا للكفر والشرك
والاستقامة على ما هم عليه وابتغاء تاويله اى طلب تفسير منتهى ما كتب الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم من الاكل
ليرجع الملك الى اليهود وما يعلم تفسير منتهى ما كتب الله عز وجل لهذه الامة من الاكل الا الله تعالى وعن الربيع بن انس
رحمه الله ان هذه الآية نزلت فى وفد نصارى نجران لما حاجوا النبى صلى الله عليه وسلم فى المسيح فقالوا اليس هو
كلمة الله تعالى وروح منه قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله تعالى هذه الآيه ومعناها ان النصارى صرفوا قوله
كلمة الله الى ما يقولون من قدم عيسى عليه السلام مع الله تعالى وصرفوا قوله تعالى وروح منه الى انه جزء منه قديم
معه كروح الانسان وانما اراد الله عز وجل بقوله وكلمته ان الله تعالى اعلم مريم بشرا بكلمة منه وهى قوله تعالى كن
فكان وسماه روحه لان الله تعالى خلقه من غير اب بل امر جبريل عليه السلام فنفخ فى جيب مريم عليها السلام
فهو روح من الله تعالى اضافه الله عز وجل الى نفسه تشريفا له كبيت الله وسماء الله وارض الله تعالى وقيل
سماه روحا لانه كان يحيى به الموتى كما سمى القرآن روحا بقوله عز وجل وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
من حيث ان فيه حيوة الناس فى امر دينهم فصرف اهل الزيغ قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه
الى مذاهبهم الفاسدة طلب الكفر والضلال فلم يردوا هذا اللفظ الذى اشتبه عليهم وشبهوه على انفسهم
الى الآية المحكمة وهى قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب فعلى هذا يكون معنى قوله
وما يعلم تاويله الا الله اى ما يعلم تاويل جميع المتشابه حتى يستوعب علم المتشابهات كلها الا الله وقال الزجاج
المحكم ما اعترف به اهل الشرك مما اخبر الله تعالى من انشاء الخلق وجعله من الماء كل شىء حى وما خلق الله تعالى من الثمار
وتسخير لهم من الفلك والرياح والمتشابه ما يشابه عليهم من امر البعث ابتغاء الفتنة وهى فساد ذات البين فى الدين
والحرب وابتغاء مرجع المتشابه وعاقبة امره ولا يعلم احد متى البعث الا الله ومن الدليل على صحة هذا التاويل
انه تعالى ذكر اقرار المومنين بالبعث من بعد فقال عز من قائل حكاية عنهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
قال والتاويل المصير والعاقبة يقال فلان تاول الآية اى نظر الى ما يؤول اليه معناها وقال الضحاك
المحكمات الناسخات والمتشابهات المنسوخات وهى رواية اخرى عن ابن عباس وانما سمى الناسخ محكما لانه
ثابت الحكم والعرب تسمى البناء الوثيق محكما والعقد الوثيق الذى لا يمكن حله محكما وسمى المنسوخ
متشابها من حيث اشبه المحكم فى التلاوة وخالفه فى ثبوت الحكم فيشتبه على التالى حكمه فى ثبوته او نسخه
وقد انكر اليهود النسخ حيث قالوا يشبه البداء وذلك لا يجوز على الله تعالى قال قتادة هذه الآية فى كل من
احتج فى المتشابه لباطله وعن هذا قال بعض المفسرين المحكم مثل سورة الاخلاص والمتشابه مثل قوله
عز وجل الرحمن على العرش استوى الذى يحتمل استواء الجلوس واستواء المالك على ما يملكه بالاقتدار
والاستيلاء ونحو قوله تعالى خلقت بيدى وغير ذلك من الآى التى يحتاج الى تاويلها فى الابانة عنها
ويقال المحكم نحو قوله عز وجل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام والمتشابه مثل
قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين ثم قال جل ذكره وقدر فيها اقواتها فى
اربعة ايام ثم قال عز من قائل فقضاهن سبع سموات فى يومين فظن من لا معرفة له ان العدد
ثمانية ايام ولم يعلم ان اليومين الاولين داخلان فى الاربعة التى ذكرها الله عز وجل من بعد كما يقول القايل
سرنا من البصرة الى بغداد فى عشرة ايام وسرنا الى الكوفة فى خمسة عشر يوما واراد دخول العشرة فى ذلك وقال ابن
زيد المحكم هو الذى لم يتكرر الفاظه والمتشابه ما تكرر الفاظه كقصة موسى عليه السلام وقوله تعالى فباى الا
ربكما تكذبان وقوله عز وجل فويل يومئذ للمكذبين ولفظ الآية يحتمل جميع هذه الوجوه ولولا احتمال اللفظ لها لما

تاولوها

تاولوها الآية عليها وقد سمى الله تعالى جملة القرآن محكما حيث قال جل ذكره الر كتاب احكمت آياته فوصفه
بالاحكام فى لزوم العمل به وسماه كله متشابها فى آية اخرى حيث قال عز من قائل الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها اى يشبه بعضه بعضا فى الحسن والتصديق ووصف فى هذه الآية بعض القرآن بانه محكم وبعضه
بانه متشابه واراد بالمحكم ها هنا ما لا يحتمل الا وجها واحدا وبالمتشابه ما يحتمل وجوها شتى وفى مضمون هذه
الآية ما يقتضى وجوب رد المتشابه الى المحكم لانه تعالى قال فى صفة المحكمات هن ام الكتاب وام الشىء التى منها ابتداؤه
واليها مرجعه فتسمية المحكمات اما تقتضى بناء المتشابه عليها ورده اليها ثم وصف جل ذكره متبعى المتشابه
من غير حملهم له على معنى المحكم بالزيغ فى قلوبهم بقوله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ واعلم
ان هؤلاء يبتغون الفتنة وهى الكفر والضلال **وقد اختلف** اهل العلم فى معنى قوله تعالى وما
يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم للجمع كقول القائل لقيت زيدا وعمرا وما جرى مجراه لان حقيقة الواو
للجمع الا ان يقوم دليل الاستئناف ونظيره ما قال الله عز وجل فى شان قسمة الفى ما افاء الله على رسوله
من اهل القرى فلله وللرسول الى ان قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا كذلك قوله
والراسخون فى العلم يقولون معناه والثابتون فى العلم يعلمون تاويل ما نصب الله تعالى لهم الدلالة عليه
من المتشابه ويعلمهم يقولون ربنا آمنا به فيروى عن ابن عباس وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم
يعلمونه قائلين آمنا به قال ابن عباس وانا ممن يعلم تاويله لقول الله عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك
ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ومنهم من جعل تمام الكلام عند قوله عز وجل وما يعلم تاويله
الا الله وفى قراءة عبد الله بن مسعود ويقول الراسخون فى العلم آمنا به وهو مروى ايضا عن عبد الله
ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ولا يبعد ان يكون للقرآن تاويل استاثر الله تعالى بعلمه دون خلقه
لانا لا نعلم مراد الله تعالى وحكمته فى جميع اوامره ونواهيه غير انه الزمنا العمل بما انزله ولم يطالبنا
بما لا سبيل لنا الى معرفته ولم يخف عنا علم ما غاب عنا من وقت قيام الساعة ونحو ذلك الا لعلمه عز وجل
بما فيه المصلحة لنا وما هو خير لنا فى ديننا ودنيانا وما اعلمناه فلم يعلمنا الا لمصلحتنا ونفعنا فنعترف
بصحة جميع ما انزله الله عز وجل والتصديق بذلك كله ما علمنا منه وما لم نعلم وقد روى عن ابن جريج
ان المتشابهات ما لا سبيل لاحد الى معرفته كوقت نزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها
وقيام الساعة وعلم ما فى الارحام وعلم الامور المتوقعة ومعنى وما يذكر الا اولوا الالباب
اى ما يتعظ بالقرآن الا ذووا العقول من الناس فان قيل كيف قال جل وعز هن ام الكتاب فوحد
الام ولم يقل هن امهات الكتاب مع ان الآيات جمع قيل فيه قولان احدهما انه قال ذلك على جهة
الحكاية على تقدير الجواب كانه قيل ما ام الكتاب فقال جل ذكره هن ام الكتاب كما يقال من نظيره زيد
فيقال نحن نظيره والثانى ان الآيات المحكمات بمجموعها اصل الكتاب وليست كل آية محكمة ام
الكتاب واصله كما قال جل ذكره وجعلنا ابن مريم وامه آية ولم يقل آيتين لانه جعلهما آية واحدة
فان قيل لم انزل الله عز وجل فى القرآن المتشابه وهلا جعل جميعه محكما فكان لا يحتاج الى رد المتشابه
الى المحكم قيل لو جعل جميعه محكما لاتكل الناس على الخبر واشتغلوا عن النظر والاستدلال فكان لا يحصل لهم
العلم عند ذلك بصحة الامور والحوادث فجعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها ليكون ذلك داعيا لهم
الى النظر والاستدلال بادلة الله تعالى المودعة فى العقول ولولا ذلك لم يظهر فضل العالم المجتهد الذى يرد
المتشابه على المحكم على غير المجتهد وبالله التوفيق **قوله عز وجل** ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب معطوف على قوله عز وجل كل
من عند ربنا معناه يا ربنا لا تمل قلوبنا عن الهدى بعد اذ ارشدتنا وبصرتنا دينك ويقال معناه لا تتعبدنا
بما يكون مسببا لزيغ قلوبنا معناه لا تكلفنا الشدايد فقد يعصى الانسان عند تكليف الشدايد كما قال عز وجل

فمنهم من جعل تمام الكلام بعد قوله عز وجل والراسخون فى العلم وجعل الواو التى فى قوله تعالى والراسخون فى العلم صح

الحق صح

فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ومعنى وهب لنا اعطنا من عندك نعمة ويقال لطفا نثبت به قلوبنا
على الهدى واسم الرحمة يقع على كل خير ونعمة وقوله عز وجل انك انت الوهاب اى انت المعطى للمؤمنين والوهاب
الذى من سنته وعادته الاعطاء والهبة **قوله عز وجل** ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
ان الله لا يخلف الميعاد معناه يقولون ربنا انك محيى الناس وجامعهم بعد الموت لجزاء يوم لا ريب فيه اى ليس
فيه ريب وشك لوضوحه وهو يوم القيمة وهذا اقرار منهم بالبعث والنشور وقوله عز وجل ان الله لا يخلف
الميعاد يجوز ان يكون حكاية عن الموحدين على معنى انك لا تخلف الميعاد ويجوز ان يكون هذا اخبارا
عن الله تعالى والميعاد ما وعده الله تعالى من البعث والحساب والميزان والجنة والنار **قوله عز وجل**
ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار قيل
ان المراد بالذين كفروا اليهود الذين تقدم ذكرهم ويقال اراد بهم نصارى نجران ويقال عامة الكفار ومعنى
لن تغنى عنهم اموالهم اى لا تدفع عنهم كثرة اموالهم واولادهم شيئا من عذاب الله عز وجل فى الدنيا والاخرة
وسمى المال غنى لانه يدفع عن صاحبه الفقر والنوائب فاخبر الله عز وجل ان اموال هؤلاء الكفار واولادهم
لا ينفعهم ولا ينجيهم من العذاب لانه لا يقبل منهم فداء ولا شفاعة بل يصيرون الى النار وتنفد بابدانهم وتشتعل بهم
وان الوقود بنصب الواو ما يوقد به النار وهو الحطب وهذا بيان ان اهل النار يحترقون فى النار احتراق الحطب
لا كما يحترق الانسان بنار الدنيا فان نار الدنيا تسيل الصديد من الانسان ولا تاخذه كما تاخذ الحطب كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ومن قرا وقود بضم الواو فهو مصدر وقدت النار وقودا كما يقال ورد ورودا
وولج ولوجا فيكون المعنى واولئك هم ذووا وقود النار وانما ذكر الله تعالى الاموال والاولاد فى الاية لان اكثر
الناس يدخلون النار لاجل المال والولد فاخبر الله تعالى ان شيئا من ذلك لا ينفع فى الاخرة كيلا يغنى احد نفسه
لاجل المال والولد ويكون هذا القول عبرة للمؤمنين **قوله عز وجل** كداب ال فرعون والذين
من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب يقول عادة هؤلاء الكفار
فى الكفر والتكذيب بالحق كعادة ال فرعون وعادة الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود كذبوا بكتبنا
ورسلنا فعاقبهم الله تعالى بكفرهم وشركهم والله شديد العقاب اذا عاقب فعقابه شديد على
الدوام والتابيد لا كعقوبة اهل الدنيا والداب فى اللغة العادة يقال داب يداب دابا ودوبا
اذا عاد الشىء وتمرن عليه وقد يذكر الداب بمعنى الاجتهاد يقال داب فى كذا اذا اجتهد فيه
والمعنى على هذا القول اجتهاد هؤلاء الكفار فى كفرهم وتظاهرهم على النبى صلى الله عليه وسلم
كاجتهاد ال فرعون على موسى عليه السلام والكاف من اول هذه الاية فى موضع الرفع لانه خبر
الابتداء على التقدير الذى تقدم ذكره ان داب هؤلاء مثل داب ال فرعون **قوله عز وجل** قل
للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد معناه والله تعالى اعلم قل يا محمد
صلى الله عليه وسلم للذين كفروا ستغلبون وتحشرون ستهزمون وتقتلون وتحشرون بعد الموت
الى جهنم وبئس الفراش النار من قرا ستغلبون بالتاء فعلى معنى قل لهم فى خطابك لهم ومن قرا
بالياء فمعناه بلغهم انهم سيغلبون ولهذه الاية قصتان احداهما ما روى عن عبد الله بن عباس
وقتادة قالا لما اهلك الله عز وجل قريشا يوم بدر وجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود
بسوق قينقاع فدعاهم الى الاسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام فابوا وقالوا
لسنا كقريش الاغمار الذين لا يعرفون القتال ولئن حاربتنا لتلقين رجالا
وتعرف الباس والشدة فانزل الله تعالى هذه الاية والثانية ما قاله الكلبى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما هزم المشركين يوم بدر قالت اليهود هذا والله النبى الامى الذى بشرنا به موسى
عليه السلام نجده فى التورية بنعته وصفته فارادوا اتباعه فقال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى

حتى تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ قالوا لا والله ما هو به لقد تغيرت حالته وصفته وكان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم
عهد فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى ابى سفين بمكة
ووافقوهم على ان تكون كلمتهم واحدة فانزل الله عز وجل هذه الاية وقيل انه هذا خطاب
لجميع الكفار ولا ثنيا فى بين الامرين وفى هذه الاية دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
لانه انباهم عن غيب ثم بان صحة ما انباهم به ولا يمكن حمل ذلك على الاتفاق مع كثرة ما
اخبر به من الغيوب فى الامور المستقبلة فوجد مخبره على ما اخبر به من غير خلف وذلك
لا يكون الا من عند الله عز وجل العالم بالغيوب اذ ليس مثل ذلك فى وسع احد من الادميين
قوله عز وجل قد كان لكم اية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله
واخرى كافرة ترونهم مثليهم راى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار
يقول قد كان لكم ايها اليهود ويقال ايها الكفار فى فرقتين وجمعين التقتا يوم بدر فرقة تقاتل
فى طاعة الله عز وجل وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم ثلثمائة وثلثة عشر
رجلا وفرقة اخرى كافرة وهم مشركوا مكة تسعمائة وخمسون رجلا وقوله تعالى ترونهم مثليهم
راى العين من قرا يرونهم بالياء فالمعنى يرى الفئة المؤمنة الفئة الكافرة مثليهم ظاهر العين
اى ظن المسلمون ان المشركين ستمائة ونيف وانهم يغلبون المشركين كما وعدهم الله بقوله
فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين قلل الله تعالى المسلمين فى اعين المشركين والمشركين فى
اعين المؤمنين حتى اقتتل الفريقان كما قال جل ذكره واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم
فى اعينهم ثم قذف الله تعالى فى قلوب الكفرة الرعب حتى انهزموا بكف من تراب اخذه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرماه فى وجوههم وقال صلى الله عليه وسلم شاهت الوجوه وذهب بعضهم
فى معنى هذه الاية ان المشركين كانوا يرون المسلمين مثلى ما هم عليه ومن قرا ترونهم بالتاء فهو
خطاب لليهود يعنى ترون كفار مكة قريش والمؤمنين راى العين وقوله تعالى والله يؤيد بنصره
من يشاء اى يقوى ويشد بقوته من يشاء ان فى ذلك فى غلبة المؤمنين المشركين مع قلة المؤمنين وشوكة
المشركين وعلمهم ان ليس للمؤمنين رجاء مدد لعبرة لاولى الابصار فى الدين اى لذوى بصائر القلوب
ويجوز ان يكون معناه ان فى ذلك لعبرة لمن ابصر بعينه يومئذ وفى قوله تعالى فئة قراءتان من
قراها بالرفع فعلى معنى احداهما فئة تقاتل فى سبيل الله ومن قرا بالخفض فعلى طريق البدل من فئتين
تقديره فى فئة تقاتل فى سبيل الله وفى اخرى كافرة كما قال الشاعر

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ۝ ورجل رماها الدهر بالحدثان ۝
فاما التى صحت فازد شنوءة ۝ واما التى شلت فازد عمان ۝

وقد يروى البيت الاول برفع رجل صحيحة وكلاهما جايز وبالله التوفيق **قوله عز وجل**
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن الماب
بين الله تعالى بهذه الاية ان ما بسط للمشركين من زهرة الدنيا وزينتها هو الذى يمنعهم من تصديق النبى صلى الله
عليه وسلم فيما يدعوهم اليه والمعنى والله تعالى اعلم حسن للناس حب اللذات ولم يرد بالشهوات
نفس الشهوة فان الشهوة توقان النفس وميل الطبع فكان المعنى حب المشتهيات وقد فسر الله عز
وجل بقوله من النساء والبنين فاما القناطير المقنطرة فقد اختلف اهل التفسير فى معناها قال ابن عباس القنطار
ملء مسك ثور ذهبا او فضة واخرانه ثمانية الاف مثقال من ذهب وفضة ويقال الف ومائتا مثقال

وعن الحسن البصري انه قال مثل دية احدكم وجملته انه كثير من المال وأما المقنطرة فقال بعضهم
القناطير ثلثه والمقنطرة المضعفه وقيل القناطير ثلثه والمقنطرة تسعه وقيل المقنطرة هي المكمله
كما يقال الف مولفه وبدرة مبدرة وقال الضحاك هي الاموال المنضدة بعضها فوق بعض
والقنطرة في اللغة عقد الشي واحكامه ومن ذلك تسمى الجسور القناطر وأما الخيل المسومة
فهي الروائع الحسنات والتسويم في اللغة على وجهين إما من السوم وهو الرعي يقال اسمت الماشيه
وسومت اذا رعيت كما يقال اكثرت وكثرت واذكرت وذكرت وإما من السيما وهي العلامة من الاوضاح والغرر
التي تكون في الخيل وأما الانعام فهي جمع النعم واسم النعم اكثر ما يستعمل في الابل خاصة وقد يقع على ساير
المواشي من البقر والغنم والحرث الزرع وقيل في الحكمه في تقديم ذكر النسا في الايه ان فتنتهن عامة تحمل
الرجل على قطع ارحام الابا والامهات وجمع المال من الحلال والحرام قال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة
اضر على الرجال من النسا ثم ذكر فتنة البنين لان حبهم تحمل الرجل على جمع المال دون قطع الرحم ثم ذكر
فتنة الذهب والفضه لانها عامة في الملوك والتجار واصحاب الغنى ثم ذكر فتنة الخيل لانها خاصة في الملوك واصحاب السلطان
ثم ذكر فتنة اهل البوادي وهي الانعام ثم ذكر فتنة اهل القرى وهي الحرث ثم زهد في ذلك كله حثا على الصدقه
وتحريضا على سبيل الخير فقال جل ذكره ذلك متاع الحيوة الدنيا اي هذا الذي ذكرت مع عظم الاحسان فيه الى الخلق
متاع اي شي يستمتع به في الدنيا ثم يزول ويفنى والله عنده حسن الماب اي حسن المرجع والمنقلب للمومنين
وهو الجنه الباقيه ثم اعلم الله عز وجل ان ما اعد للمومنين في الاخرة خير من بقيه الدنيا فقال عز وجل
قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد معناه والله اعلم قل يا محمد صلى الله عليه وسلم
اخبركم بخير من الذي زين للناس في الدنيا للذين اتقوا الشرك والكباير والفواحش فلا يشتغلون
بالزينة عن طاعة الله تعالى عند ربهم جنات بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها انهار الما والعسل
والخمر واللبن خالدين فيها مقيمين دايمين اي ليست تلك المياه كمياه الدنيا تجري احيانا وتنقطع احيانا بل تكون
جارية ابدا وقوله تعالى وازواج مطهرة اي ولهم نسا مهذبة في الخلق والخلق ورضوان من الله اي لهم
مع ذلك رضا الله تعالى وهو من اعظم النعم قال الله في موضع اخر ورضوان من الله اكبر وقوله تعالى
والله بصير بالعباد عالم باعمالهم وثوابهم واختلفوا في منتهى الاستفهام في قوله قل اونبيكم قال بعضهم
منتهى الاستفهام عند قوله عز وجل بخير من ذلكم وقوله عز وجل للذين اتقوا عند ربهم استيناف
كلام وقال بعضهم منتهى الاستفهام عند قوله تعالى عند ربهم وقوله تعالى جنات استيناف
كلام على تقدير الجواب كانه قيل ماذا ذلك الخير فقيل هو جنات وهذا كقوله عز وجل قل افانبيكم بشر من
ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا ويقرأ ورضوان من الله بضم الرا وهو لغة قيس وتميم
فاما الكسر فهو لغة عامة العرب ويجوز في العربية جنات بالخفض بدلا من الخير قوله عز وجل
الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار معناه للمتقين الذين
يقولون يا ربنا اننا صدقنا بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم فاغفر لنا خطايانا وادفع عنا
عذاب النار وموضع الذين على هذا التقدير خفض ويجوز ان يكون موضعه رفعا على معنى هم
الذين يقولون ربنا فان قيل ما معنى سوال هولا المغفرة من الله تعالى مع ان الله عز وجل قد
اخبر عنهم بانهم اتقوا ما حرم الله تعالى عليهم ومن يكون هذه حاله لا يقع منه الذنب وان وقع
كان صغيرة والصغاير تقع مغفورة قيل عنه جوابان احدهما ان التوبة عن الصغاير واجبة
وان كانت تقع مغفورة كما اخبر الله عز وجل عن ابرهيم عليه السلام بقوله والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين وان كانت خطيئته وقعت مغفورة فثبت ان التوبة عن الصغاير

واجبه

واجبة لما فيها من اظهار الرغبة في المغفرة والثاني ان هذا تعبد على وجه الاستكانة والخضوع في سوال
ما يعلم من حاله ان الله تعالى يفعله وهذا كما اخبر الله تعالى عن الملايكة بقوله عز وجل فاغفر للذين
تابوا واتبعوا سبيلك وان كان الله تعالى يغفر لا محالة للذين تابوا واتبعوا سبيله قوله عز وجل
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار في محل الخفض بدلا
من الذين يقولون ويجوز ان يكون الذين يقولون مع ما بعده بدلا من العباد وذهب بعضهم الى ان
الصابرين نصبا للمدح ومعنى هذه الاية الصابرين على طاعة الله والشدايد والمصايب والصادقين في ايمانهم
واقوالهم وافعالهم فان الصدق قد يقع في الفعل كما يقع في القول يقال صدق فلان القتال وصدق في الحملة
اي حقق ويقال في ضده كذب فلان في القتال والحملة ومعنى والقانتين القايمين بعبادة الله
عز وجل والمنفقين اموالهم في طاعة الله تعالى وقوله تعالى والمستغفرين بالاسحار قال قتادة اراد به
المصلين بالاسحار وقال انس بن مالك اراد به السايلين المغفرة بالاسحار وهو نحو قوله تعالى كانوا قليلا
من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال الحسن انتهت صلوتهم الى وقت السحر ثم كان بعدها
الاستغفار وعن ابرهيم بن حاطب عن ابيه قال سمعت صوتا في ناحية المسجد سحرا يقول الهي
دعوتني فاجبتك وامرتني فاطعتك وهذا السحر فاغفر لي فنظرت فاذا هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
والسحر هو الوقت الذي قبل طلوع الفجر تقول العرب جيتك باعلا السحر تريد به في اول السحر وهو اول ادبار الليل الى طلوع
الفجر الصادق والصلوة والاستغفار في ذلك الوقت افضل لهجران صاحبه لذة المضجع والوسن كما قال الله تعالى
ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقد مدح الله تعالى اهل هذه الصفة بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع
الى اخر الايه قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم
قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال محمد بن السايب الكلبي رضي الله عنه لما ظهر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينه قدم عليه حبران من احبار الشام فقال احدهما لصاحبه حين
نظرا الى المدينة ما اشبه هذه المدينه بمدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي
صلى الله عليه وسلم قالا له انت محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم قالا انت احمد قال صلى الله عليه وسلم
نعم قالا فانا نسالك عن شهادة ان انت اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك قال صلى الله عليه وسلم
سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله تعالى فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم شهد
الله انه لا اله الا هو الى اخر الاية فاسلم الرجلان وصدقا برسول الله صلى الله عليه وسلم واما معنى
الايه قال ابو عبيدة رحمه الله معنى شهد الله قضى الله تعالى ويقال اخبر الله تعالى وحقيقة
الشهادة اداء العالم ما عنده من العلم اي علم الله وبين ويقال معناه شهد الله تعالى بما خلق من
الخلايق ما شهدت خلقة كل احد على وحدانيته لمن تدبر ذلك وقوله تعالى والملايكة اي شهدت
الملايكة بهذه الشهادة لما عاينت عظم قدرته واولوا العلم يشهدون بما شهد الله تعالى به وملايكته بما
تبين لهم من دلايل وحدانيته وتوحيده وفي هذه الاية فضل اهل العلم ويروى عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال من شهد لله تعالى بالتوحيد فهو من اولي العلم وقوله عز وجل قايما بالقسط اي بالعدل
يقال فلان قايم بالتدبير اي يجري افعاله على الاستقامه ونصب قايما على الحال من قوله شهد وقيل من
قوله تعالى لا اله الا هو ويجوز وقوع الحال المؤكدة على الاسم في غير الاشارة تقول انه زيد معروفا وهو الحق
مصدقا فان قيل ان الحال وصف هيئة الفاعل وذلك فيما يقبل التغيير فهل يجوز من الله تعالى ان
يزول عنه قيامه بالقسط قيل هذا على مذهب الكوفيين لا يلزم لانهم يسمونه على لفظ القطع يعنون
بالقطع قطع المعرفة الى لفظ النكرة فاما عند البصريين فالحال حالان حال يأتي بعد الفعل يجوز عليه التغير وحال يأتي
بعد الاسم لا يجوز عليه التغير وهذا من ذلك وكذلك قوله عز وجل وهذا بعلي شيخا وما تكرار لا اله الا هو

انه لا اله الا هو اي خلق
من الخلق صح

الغالب ج

في الاية فلتاكد الكلام في الرد على نصارى نصارى نجران ان المستحق للعبادة من كان على هذه الصفة
لا المسيح ومن جانسه ومعنى العزيز الحكيم المنيع ذو الحكمة في امره وسلطانه **قوله عز وجل**
ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب معناه ان الدين المرضي عند الله تعالى الاسلام يقال معناه
ان الطاعة عند الله الاسلام والدين في اللغة الجزاء فسميت الطاعة دينا لانها تفعل للجزاء واما الاسلام فهو
العمل بطاعة الله تعالى فيما امر به ودعى اليه اصله من السلم وهو الانقياد على السلامة يقال اسلم اذا
دخل في السلم كما يقال اتهم اذا دخل في تهامه واربع اذا دخل في الربيع ومن قرا ان الدين بالنصب فمعناه
شهد الله انه لا اله الا هو وشهد الله ان الدين عند الله الاسلام ويجوز في العربية انه لا اله الا هو
بالكسر على معنى ان الشهادة في معنى القول وما بعد القول مقصور على الحكايه وعن سعيد بن
جبير انه قال كان حول الكعبة ثلثمايه وستون صنما لكل حي من احيا العرب صنم او صنمان فلما نزلت هذه
الاية شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام اصبحت تلك الاصنام كلها وقد خرت سجدا
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه من قال شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقال
استودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة يجا بصاحبها يوم القيمه فيقول الله عز وجل
عبدي عهد الي وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب اي لم تترك اليهود والنصارى الاسلام ولم يتسموا باليهودية والنصرانية الا من بعد ما جاهم العلم في
كتابهم حسدا بينهم روي ان اليهود كانوا يسمون مسلمين فلما بعث عيسى عليه السلام وسمى
اصحابه مسلمين حسدت اليهود مشاركتهم في الاسم فسموا انفسهم يهودا فكانوا يسمون مسلمين ويسمون
يهودا فغيرت النصارى اسمهم وسموا انفسهم نصارى وقيل معنى البغي هو طلب الاستعلا بغير حق وقوله
تعالى ومن يكفر بايات الله اي يجحد بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فان الله سريع المجازاة كما قال جل ذكره
وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ويقال معنى سريع الحساب سريع التعريف للعامل عمله لا يحتاج
في حفظه الى اثبات وتذكرة **قوله عز وجل** فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن
اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما
عليك البلاغ والله بصير بالعباد قال الكلبي معناه فان خاصموك في الحجة قالوا انما اليهودية
والنصرانية لقب ودينا الاسلام فقل اخلصت طاعتي وعملي لله تعالى ويقال معناه اخلصت قصدي بالعبادة
لله تعالى يقول الرجل الاخر وجهي اليك اي قصدي اليك ويقال مر فلان على وجهه اي على قصده ويقال معناه
سلمت نفسي لله تعالى كما في قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه معناه الا هو وكذلك قوله عز وجل ويبقى وجه
ربك معناه الذات وقال الزجاج معنى الاية فان طالبوك بالحجة فاحتج عليهم باتباعك امر الله تعالى الذي
هم اجمعون مقرون بانه خالقهم قد عاهم الى ما قد اقروا به واراهم الدلالات والايات بانه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى ومن اتبعن اي كذلك ومن اتبعني والاصل في هذه اثبات اليا في اخره لكن حذفت اليا للتخفيف
واستغنت بكسرة النون دليلا على اليا وقوله تعالى وقل للذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى والاميين
مشركي العرب ااخلصتم كما اخلصت فان اخلصوا فقد اهتدوا من الضلالة وان تولوا عن الاسلام وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله فانما عليك البلاغ بالرسالة عن الله تعالى وليس عليك ان لا
يتولوا والله بصير بالعباد عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن لا يفوته شيء من اعمالهم التي يجازيهم بها فان قيل
في الاية عطف من اتبعني وهو ظاهر على المضمر في قوله عز وجل اسلمت والعرب لا تعطف الظاهر على المضمر
قيل انما لا يعطف اذا لم يكن بين الكلامين فاصل فاما اذا دخل بينهما فاصل جاز عطف المظهر على المضمر
الا ترى انه لا يجوز ان يقول اسلمت وزيد ولو قلت اسلمت بانشراح الصدر وطيب النفس ومن جامعي كان جايزا

الظاهر

في الكلام

في الكلام واما الاستفهام في قوله عز وجل ءاسلمتم يتضمن التهديد والامر بالقبول كما يقول الرجل الاخر بعد
ما يامره بالامر اقبلت والا فانت اعلم يكون ذلك سوالا بالوعيد يتضمن الامر بالقبول قال الكلبي
رحمه الله فلما نزلت هذه الاية ذكر ذلك لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان
عيسى بن مريم كلمة من الله تعالى وروح منه قالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله
ورسوله قالوا معاذ الله ولكنه ابن الله قال الكلبي فذلك حين تولوا عن الاسلام وانتحلوا غيره فانزل الله عز
وجل **قوله عز وجل** ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون
الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم معناه ان الذين يجحدون اعلام الله تعالى
التي بينها لهم واما قوله عز وجل ويقتلون النبيين فمعنى اضافه قتل الانبيا صلوات الله عليهم الى هولاء
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما رضاهم بقتل من سلف منهم النبيين نحو
قتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام والثاني ان هولا قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وهموا بقتله كما قال الله عز وجل
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الاية وقرا بعضهم يقاتلون النبيين بغير حق روي عن
ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اشد عذابا
يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم رجل قتل نبيا عليه السلام او قتل رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر
ثم قرا هذه الايه ثم قال يا ابا عبيده قتلت بنو اسرايل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة
فقام مايه رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرايل فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعا في اخر
النهار من ذلك اليوم واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وان كان حرف ان لا يجاب بالفا لا يقال
ان زيدا فقايم فلان ان في اول هذه الايه موصول بالذين والذي يوصل فتكون صلته بمنزلة
الشرط للجزا فيجاب بالفا فان قيل هل يقتل نبي بحق حتى يكون هذا بغير حق قيل المقصود
من هذه الايه انهم قتلوا الانبيا الذين صحت نبوتهم عليهم السلام فلم يكن القتل حقا اذ النبي
عليه السلام لا يقتل بحق قط فاما اذا كان كاذبا فهو متنبي وقتله حق وفي الاية دليل على
جواز انكار المنكر مع خوف القتل روى ابو حنيفة رحمه الله عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الشهدا حمزة بن عبد المطلب ورجل تكلم بكلمة حق عند سلطان
جاير فقتله **قوله عز وجل** اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم
من ناصرين اي اهل هذه الصفة بطلت حسناتهم فلا يستحقون الحمد والثنا والولاية المومنين
عليها في الدنيا ولا يستحقون الثواب عليها في الاخرة وما لهم من مانعين يمنعونهم من العذاب
اذا انزل بهم **قوله عز وجل** الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله
ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون قال الكلبي وذلك ان رجلا وامراة من اشراف
اهل خيبر من اليهود فجرا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون لهما
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصة في امر الرجم فياخذوا به فرفعوا امرهما الى النبي صلى الله
عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم وقال بعضهم جرت علينا يا محمد صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيني وبينكم التورية فمن اعلمكم بها قالوا ابن صوريا وهو يسكن فدك فارسلوا اليه
فلما قدم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال
كذلك يزعمون فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي من التورية فيه اية الرجم دله على ذلك
ابن سلام فقال لابن صوريا اقرا فقرا فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها ثم قام ابن سلام
فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاوزها ووضع كفه عليها ثم قام ابن سلام اليه
فرفع كفه عنها وقرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود ان المحصن والمحصنة اذا زنيا

فمعناه اخبرهم بعذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم واما دخول الفا في قوله فبشرهم بعذاب اليم ج

روى شعبة عن ابي اسحق عن ابي عبيدة عن عبد الله قال كانت بنو اسرايل تقتل في اليوم سبعين نبيا ثم تقوم سوقهم في اخر النهار مصحح

وماتت عليهما البنيه فيسال عن البينه فان كانوا عدولا رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع
ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم المحصنين الزانيين من اليهود ترجما فغضبت
اليهود لذلك غضبا شديدا ورجعوا كفارا فذلك قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
معناه الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم بالذين اعطوا حظا من علم التوريه وقوله عز وجل يدعون
الى كتاب الله قال ابن عباس والزجاج هو التوريه دعي اليها اليهود فابوا لعلمهم بلزوم الحجة
وان فيه البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم **وقال** الحسن وقتادة اراد به القران فانهم دعوا الى
القران لموافقته للتوريه في اصل الديانة **واما** قوله عز وجل ليحكم بينهم قال بعضهم معناه
ليحكم بينهم في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ويقال في امر ابرهيم عليه السلام ودينه ويقال في حد
الزنا لانهم تنازعوا في ذلك وقوله عز وجل ثم يتولى فريق منهم اي يعرض كثير منهم عن
الداعي وهم معرضون عن العمل بالمدعو اليه وانما قال معرضون بعد ذكر التولي لان الانسان قد
يعرض عن الداعي ويتامل ما دعاه الداعي اليه فينظر انه حق او باطل وهم لم يتاملوا ولم يتفكروا
فيما دعوا اليه **قوله عز وجل ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات**
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون يقول ذلك الاعراض والتكذيب بانهم قالوا لن تمسنا النار الا
اياما معدودات يعنون الاربعين يوما عدد الايام التي عبدا اباوهم فيها العجل وقيل عدد ايام الدنيا
سبعة ايام ومعنى وغرهم في دينهم غرهم افتراوهم على الله تعالى انه لا يعذبهم الا اياما معدودات
ويقال غرهم افتراوهم انهم قالوا نحن ابنا الله واحباوه **قوله عز وجل فكيف اذا**
جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون معناه كيف
يحتالون وكيف يصنعون اذا جمعناهم بعد الموت لجزا يوم لا شك فيه واعطيت كل نفس جزا ما
عملت من خير او شر تاما وافيا وهم لا ينقصون من حسنة ولا يزادون على سيئة وحذف بيان
الكيف في مثل هذا مستعمل في الكلام يقول الرجل كنت اكرمك وانت لم تزرني فكيف اذا زرتني
يريد فكيف يكون اكرامي لك اذا زرتني **قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك**
تؤتي الملك من تشا وتنزع الملك ممن تشا وتعز من تشا وتذل من تشا بيدك الخير
انك على كل شي قدير قال ابن عباس رضي الله عنهما لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
قال المنافقون ان محمدا صلى الله عليه وسلم يتمنى ان يكون له ملك فارس والروم واني يكون له
ذلك هم اعز وامنع من ان يدخل محمد صلى الله عليه وسلم في ارضهم او يغلب على بلادهم فانزل الله تعالى
هذه الايه ويقال في وجه اتصال هذه الايه بما قبلها ان اليهود قالوا لا نتبعك فان النبوة والملك لم
يزل في اسلافنا بني اسرايل فانزل الله هذه الايه ومعناها قل يا محمد صلى الله عليه وسلم يا الله يا مالك
الملك فانما زيدت الميم في اللهم لانها بدل عن يا التي في اوله التي هي اداة الندا الا ترى انه لا يجوز في الاختيار
ادخال الميم لا يقال غفر اللهم لي كما يقال في الندا اللهم اغفر لي ولهذا لا يجوز الجمع بين الميم في اخره وبين
يا في اوله لانه لا يجوز الجمع بين العوض والمعوض وانما شددت الميم لانها عوض عن حرفين فان الندا
حرفان هذا اختيار سيبويه والخليل رحمهما الله **وقال** الفرا ان معنى قول القايل اللهم
يا الله ام بخير اي اقصد طرحت حركة الهمزة على الها كما يقال ويل ام فلان وويل امه واسقط
الالف للتخفيف قال ولا يذكر يا اللهم في الندا الا في الشعر كما قال الشاعر
وما عليك ان تقولي كلما ۞ صليت او سبحت يا اللهم ما ۞ اردد علينا شيخنا مسلما ۞
وانشد قطرب اني اذا ما معظم الما ۞ اقول يا اللهم يا اللهما **وقد انكروا على**
الفرا هذا القول وقالوا انه لا يصح الا في ضرورة الشعر **واختلف اهل التفسير** في معنى

جمع

عبدالله

مالك الملك قال بعضهم معناه مالك كل ملك وهذه صفة لا يستحقها احد غير الله تعالى ويقال
معناه مالك امر الدنيا والاخرة **وقال** مجاهد اراد بالملك هاهنا النبوة وقيل ان هذا لا يصح
لانه قال وتنزع الملك ممن تشا والله تعالى لا ينزع النبوة من احد ولا يجوز ان تنزع لانه لا يختار لادا
الرسالة الا من يعلم من حاله انه يودي الرسالة على الوجه وانه لا يغير ولا يبدل لانه عالم بعواقب
الامور **ومعنى** تؤتي الملك من تشا تعطي الملك من تشا ان تعطيه وتنزع الملك ممن تشا ان تنزعه
منه وهذا كما يقال خذ ما شيت واترك ما شيت اي خذ ما شيت ان تاخذه واترك ما شيت ان تتركه
وقوله تعالى وتعز من تشا وتذل من تشا ظاهر المراد **ومعنى** بيدك الخير اي بيدك النصر
والفتح والغنى والغنيمة وغير ذلك من خير الدنيا والاخرة وانما قال بيدك الخير وان كان بيده
كل شي من خير او شر لانه انما قال ذلك على وجه الرغبة والرغبة انما تقع في الخير لا في الشر وفي ذكر احد
الامرين دليل على الاخر كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد وقوله تعالى انك على كل شي قدير
اي على كل شي من الاعطا والنزع والعز والذل قادر **قوله عز وجل تولج الليل في النهار**
وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشا بغير حساب
معناه تدخل من الليل في النهار حتى يصير النهار خمسة عشر ساعة وهو اطول ما يكون واقصره تسع ساعات
وتدخل النهار في الليل حتى يصير الليل خمسة عشر ساعة وهو اطول ما يكون واقصره تسع ساعات فما نقص من
احد هما دخل في الاخر هذا قول اكثر اهل التفسير وقال بعضهم معناه تذهب بالليل وتجي بالنهار وتذهب
بالنهار وتجي بالليل **واما** قوله وتخرج الحي من الميت قال عبد الله بن عباس وقتادة والضحاك معناه
تخرج الحيوان من النطفة وهي ميته والنطفه من الحيوان والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة
وزاد بعضهم في هذا فقال هو السنبلة من الحبة والحبة من السنبلة والمومن من الكافر والكافر من المومن
والعالم من الجاهل والجاهل من العالم وقوله عز وجل وترزق من تشا بغير حساب اي بغير هنداز
ولا تقدير يقال فلان ينفق بغير حساب اي ينفق بالسعة ولا يحسب ما ينفق وقد تقدم تفسير هذا من وجوه
اخر وبالله التوفيق **قوله عز وجل لا يتخذ المومنون الكفرين اوليا من دون المومنين**
ومن يفعل ذلك فليس من الله في شي الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله
المصير قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الايه في عبد الله بن ابي واصحابه المنافقين
كانوا مع اظهارهم الايمان يتولون اليهود وياتونهم باخبار المومنين رجا الظفر لهم على المومنين فنهى الله
تعالى المومنين عن موالاة الكفار فقال عز من قائل لا يتخذ المومنون الكفرين اوليا اي ان كنتم مومنين
فلا تتخذوا الكفار اوليا من دون المومنين وهذا نهي مغايبه ومبنى النهي على الجزم لكن كسرت الذال
لالتقا الساكنين وفي قوله عز وجل من دون المومنين بيان ان المكان المرتفع في الولاية مكان المومنين
وهذا كما يقال زيد دونك يراد به انك ارفع منه في الشرف ولا يراد به الارتفاع والاستفال في المكان ويقال
من دون المومنين اي من غير المومنين وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك اي ولاية الكفار فليس من الله
في شي اي في ولاية ولا دين كما قال في اية اخرى ومن يتولهم منكم فانه منهم يعني ان ولي الكافر راض
بكفره والرضا بالكفر كفر **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا بري من كل مسلم مع مشرك
لا تترا اى ناراهما وقوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان يحصل المومن في ايدي الكفار ويخاف على
نفسه فيداهنهم فيرضيهم بلسانه وقلبه مطمين بالايمان فهو مرخص في ذلك **كما روي ان**
مسيلمة الكذاب لعنه الله اخذ رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا
رسول الله قال نعم قال افتشهد اني رسول الله قال نعم ثم دعا بالاخر فقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم
قال افتشهد اني رسول الله قال اني اصم فاعاد عليه السوال ثلثا فاجاب في كل مرة بمثل هذا الجواب

واما يجوز اختيار المبدل على من لا يعلم عواقب الامور

فضرب مسيلمة عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه واخذ بالفضيلة فهنيئا له واما الآخر فقبل رخصة الله تعالى فلا تبعة عليه وقرا بعضهم تقية ويقرا تقاة بالفتح والامالة وكل ذلك لغات ومعناها واحد وقوله تعالى ويحذركم الله نفسه اي يخوفكم عقوبته وذكر النفس لتحقيق الاضافة كما يقال احذر الاسد اى صولة الاسد وافتراسه دون عينه وقال الزجاج معنى نفسه اياه وانما خاطب الله تعالى العباد على قدر علمهم وعقلهم ومعنى قوله عز وجل تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اى تعلم حقيقة ما عندى ولا اعلم حقيقة ما عندك وقوله عز وجل والى الله المصير زيادة في الايعاد وتذكير بالمعاد اي ان فعلتم ما نهيتكم عنه فمرجعكم الى **قوله عز وجل** قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شي قدير معناه قل ان تسروا ما في قلوبكم من التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم والعداوة للمومنين او تظهروه بالشتم والطعن والحرب يعلمه الله عز وجل فيجازيكم عليه وانما ذكر الصدر مكان القلب لانه مشتمل على القلب قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقوله عز وجل ويعلم ما في السموات وما في الارض اى لا يخفى عليه شي من عمل اهل السموات واهل الارض ولا يغرنكم الاخفا فان الاخفا والابدا عنده سوا والله على كل شي من عمل السر والعلانية وجزا ذلك قادر **قوله عز وجل** يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد اول هذه الاية منصرف الى قوله ويحذركم الله نفسه كانه قال ويحذركم الله نفسه يوم تجد ويقال معناه والى الله المصير يوم تجد وقوله تعالى محضرا اى تجدونه حاضرا مكتوبا في ديوانه لا تقصير فيه وقوله عز وجل وما عملت من سوء اى والذى عملت من سوء تتمنى ان يكون بينه وبين ذلك اجل طويل بعد ما بين المشرق والمغرب ليته لم يعمل وقد تعبر العرب عما لا يكون بالبعد تقول هذا الذى تقول فلان بعيد اي ليس بكلام يحتاج اليه في هذا الموضع ومعنى والله رؤف بالعباد رحيم بالمومنين خاصة هكذا قال عبد الله بن عباس وقيل ان اول هذه الاية عدل واوسطها تهديد وتخويف وآخرها رافة ورحمة وعن الحسن انه قال ومن رحمة الله عز وجل ان حذركم نفسه **قوله عز وجل** قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم روي انه لما نزلت الايات المتقدمة قالت اليهود نحن ابنا الله واحباوه وانما نزل الله تعالى مثل هذه الايات في اعدايه لا في احبابه واراد وابقو لهم نحن احباوه انا نحبه ويحبنا كما يقع اسم الصديق على كل واحد من المتصادقين فانزل الله تعالى هذه الاية والمحبة في الحقيقة هي الارادة وهو ان تريد نفع غيرك فتبلغ مراده في نفعك اياه واما العشق فهو افراط المحبة في هذا المعنى واما محبة الطعام والملاذ فهو شهوة وتوقان النفس في مشتهياتها كلها فاما محبة العباد الله عز وجل فالله عز وجل تستحيل عليه المنافع فلا يصح ان يراد بمحبته هذه الطريقة لكن يراد محبة اعظامه واجلاله وطاعته ومحبة رسله واوليايه ومحبة الله تعالى اياهم اثابته اياهم على طاعته وانعامه عليهم وثناوه ومغفرته لهم فمعنى قوله عز وجل ان كنتم تحبون الله اى ان كنتم تقصدون طاعة الله والرضا بشرايعه فاتبعوني على ديني يزدكم الله تعالى حبا ويغفر لكم ذنوبكم في اليهودية والله غفور رحيم وروي انه لما نزلت هذه الاية عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود فقال عبد الله بن ابي بن سلول السلولي ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله تعالى ويامر ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم عليه السلام وقالت اليهود يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم حنانا فانزل الله عز وجل **قوله** قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين

معناه

بحب تظهر صادقا

معناه ان كنتم تحبون الله كما تدعون فاظهروا دلالة الصدق بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فان علامة حب الله تعالى طاعته قال الشاعر شعر تعصي الاله وانت تزعم حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع وكان ابو سهل الانطاكي يقول علامة حب الله عز وجل ان يكون العبد دايم الفكر كثير الخلوة ظاهر الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا يحزن اذا اصيب ولا يفرح اذا اصاب ولا يخشى احدا الا الله عز وجل ولا يبتغي الا اياه ولا يرجو احدا غيره واما قوله تعالى فان تولوا اى لم يفعلوا ما ادعوهم اليه من اتباعك وطاعة امرك فقد كذبوا في قولهم انهم احبا الله تعالى ان الله لا يحب الكافرين لا يغفر لهم ولا يثني عليهم فلما نزلت هذه الاية قالت اليهود نحن من ابنا ابرهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله تعالى هذه الاية **قوله عز وجل** ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين معناه والله تعالى اعلم ان الله انما اصطفاهم على عالمي زمانهم لانبيا بهم اولا مرو ان آدم عليه السلام كان لا يتبع اولاده المشركين كذلك الانبيا صلوات الله عليهم لا يتبعون قومهم والاصطفا هو الاختيار وهو افتعال من الصفوة اى جعلهم صفوة خلقه وصفوة الله تعالى هم الذين لا دنس فيهم بوجه من الوجوه لا في الاعتقاد ولا في الفعل وفي الصفوة ثلث لغات صفوة وصُفوة وصِفوة واختلفوا في آل عمران في هذه الاية قال بعضهم اراد بآل عمران موسى وهرون وقال بعضهم اراد مريم **قوله عز وجل** ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم يقول اولادا واولاد الاولاد الاول من الاخر والاخر من الاول والله سميع لقولهم عليم بهم وبمجازاتهم وقوله عز وجل ذرية نصب على البدل وقيل على الحال اي اصطفاهم حال كون بعضهم من بعض واما الاشتقاق الذرية فقد تقدم ذكره وبالله التوفيق **قوله عز وجل** اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم قال ابو عبيدة اذ زايدة في الكلام وكذلك في ساير الآي وقال جماعة من النحويين معناه واذكر اذ قالت ويقال هو راجع الى قوله سميع عليم وكان اسم امرأة عمران حنة وهي ام مريم وجدة عيسى وكانت لها ابنتان احدهما ايشاع وهو عمران بن ماثان وبينه وبين عمران ابي موسى عليه السلام الف وثمانمائة سنة وقوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اى وجبت لك في نفسي ان اجعله عتيقا لخدمة البيت المقدس وكانوا يحررون اولادهم اي يعتقونها عن اسباب الدنيا يجعلون الولد خالصا لله تعالى لا يستعملونه في منافعهم كما ينتفع الوالد بولده ولم يكونوا يحررون الا الغلمان وكان المحررون سكان بيت الله يتعهدونه ويكنسونه فاذا بلغوا خيروا فان احبوا اقاموا في البيت وان احبوا ذهبوا والتحرير التخليص يقال طين حر اى خالص وتحرير الكتاب اخلاصه من الفساد والاضطراب وقوله عز وجل فتقبل مني انك انت السميع لدعاي العليم بنيتي واخلاصي والتقبل هو اخذ الشي على الرضا يقال تقبل الامير هدية فلان اى اخذها على الرضا واصله من المقابلة فسمي الاعتداد بالشي فما يقابل بالجزا عليه تقبلا **قوله عز وجل** فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وذلك انها كانت تظن وقت النذر ان ما في بطنها ذكر فلما ولدت جارية اشفقت ان لا يقبل منها فقالت رب اني وضعتها انثى لان ولدها جارية والجارية لا تصلح لخدمة البيت على وجه الاعتداد لان سعي الانثى اضعف وعقلها انقص وكانوا لا يحررون النسا لخدمة البيت لما يلحقهن من الحيض والنفاس يقول الله عز وجل والله اعلم بما وضعت وقرا بعضهم وضعتُ حكاية عن قول المراة واما قوله تعالى وليس الذكر كالانثى فهو من قول المراة معناه ليس الذكر كالانثى في خدمة البيت لان الانثى عورة لا تصلح لما يصلح له الذكر وقوله تعالى واني سميتها مريم بمرايها خادم الرب بلغتهم

سايوجح

قوله اذ قالت امراة عمران راجع الى قوله تعالى وآل عمران اى اصطفاهم اذ قالت ويقال صح

اي تقبل نذري صح

وقوله تعالى واني اعيذها بك اى امنعها بك وولدها ان كان لها ولد من الشيطان الرجيم اى المرجوم
وهو المطرود من رحمة الله تعالى روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من
مولود الا وللشيطان طعنة في جنبه حين يولد فيستهل صارخا من الشيطان الا مريم وابنها عليه السلام
قال ابو هريرة رضى الله عنه اقرأوا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي الآية
دليل جواز تعليق النذر بالخطر والاوقات المستقبلة وصحة النذر مع الجهالة لان امراة عمران كانت لا
تدرى ان ما في بطنها ذكرا او انثى ودليل ان للام ضربا من الولاية في تسمية الولد وتاديبه وتعليمه
ومثل هذا النذر من الانسان في ولده ان ينشيه على عبادة الله تعالى وطاعته وتعليمه الفقه والقرآن
وعلوم الدين نذر صحيح في شريعتنا **قوله عز وجل** فتقبلها ربها بقبول حسن
وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال
يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
معنى الآية والله تعالى اعلم استجاب الله دعاها وقبل نذرها وجعل مريم صوامة قوامة رباها الله
تربية حسنة وانما ذكر مصدر تقبلها بلفظ القبول لان في التقبل معنى القبول وذكر معنى انبات
على المعنى ايضا لان في انبات الله نباتا واما قوله عز وجل وكفلها زكريا اى ضمها للقيام بامرها
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشار باصبعيه ومن قرا وكفلها بالتشديد
وزكريا بالنصب فمعناه ضمها الله تعالى الى زكريا وضمنه القيام بامرها روي ان امراة
عمران لما دعت بهذا الدعا المذكور في الآية المتقدمة لفتها في خرقة ووضعتها في بيت المقدس
فتنافس فيها الاحبار ايهم تكون عنده فقال زكريا عليه السلام انا احق بها خالتها امراتي فقالت
له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها باقلامنا فتكون
عند من خرج سهمه فاخذوا الاقلام التي كانوا يكتبون بها كتاب الله عز وجل وكانوا سبعة
وعشرين رجلا فانطلقوا الى نهر سلوان فقالوا نطرح اقلامنا مع هذه الجرية فمن صعد قلمه
فغلب الجرية فهو احق بها ومن سفل قلمه مع الجرية فهو المقروع ثم رموا اقلامهم مع الجرية
سفلت اقلامهم جميعا وصعد قلم زكريا فغلب الجرية فضمها زكريا الى نفسه واسترضع لها
فلما بلغت المبلغ الذي صلحت للبيت بنى لها محرابا في غرفة من البيت وجعل باب الغرفة في
وسط الحايط لا يصعد اليها الا بالسلم فكان يغلق عليها الباب لا يدخل عليها احد غيره
وكانت اذا حاضت اخرجها الى منزله فتكون عند خالتها واذا طهرت ردها الى البيت فذلك
قوله عز وجل وكفلها زكريا واما قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب قال بعضهم اراد
بالمحراب المسجد وكانت مساجدهم تسمى المحاريب كما في قوله عز وجل اذ تسوروا المحراب ويقال
ان المحراب في اللغة هو الموضع العالي المقدم الشريف ومن ذلك سمي امام المسجد محرابا
وهو مفعال من الحرب لانه يحارب على قلبه وقيل هو موضع محاربة الشيطان ويقال ان
المحراب موضع الحرب وهي المال واما قوله تعالى وجد عندها رزقا فكان يجد عندها
فاكهة الشتاء والخريف في القيظ وفاكهة القيظ في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا اي من اين لك
هذا فانه لا يدخل عليك احد غيري قالت هو من عند الله اتاني به جبريل عليه السلام وعن
الحسن رضى الله عنه انه كان يقول تكلمت مريم في المهد ولم تلقم ثديا قط وانما كان ياتيها رزقها
من الجنة واما قوله تعالى ان الله يرزق من يشاء بغير حساب قد تقدم تفسيره **قوله عز
وجل** هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء
المعنى والله تعالى اعلم عند ما راى زكريا امر الله تعالى في مريم طمع ان الذي ياتي مريم بالفاكهة

في

في الشتاء يصلح له عقر امراته فدعا الله عند ذلك وقال رب هب لي اى اعطني من عندك ذرية
طيبة اى ولدا صالحا انك سميع الدعا سامع الدعا ومجيبه والاصل في هنالك الظرف في المكان يقال
رايته هنا ورايته هناك والفصل بينهما ان هنا اقرب من هناك وهناك اقرب من هنالك وفيه معنى
الاشارة كقولك ذا وذاك وذلك ودخول اللام فيه لتاكيد التعريف ولا موضع للكاف من وجوه الحركات
الا انه فيه خطابا **قوله عز وجل** فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله
يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين معناه والله اعلم
ناداه جبريل عليه السلام وهو قائم يصلي في المسجد ان الله يبشرك بولد اسمه يحيى كما قال جل ذكره في اية اخرى
يبشرك بغلام اسمه يحيى وقوله تعالى مصدقا بكلمة من الله يقول مصدقا بعيسى بن مريم كان يحيى
اول من صدقه وشهد انه كلمة الله وروحه وكان اكبر من عيسى بثلث سنين وفي بعض الروايات
ان مريم دخلت على خالتها بعد ما حملت بعيسى عليه السلام فسجد ما في بطن خالتها وهو يحيى لما في
بطنها فقالت لها خالتها انت خير النسا حملت خير الناس واخبرت زكريا بذلك فقال لها اما اني لا اخشى
على ابنة اختك وانما اخشى على نفسي اذ لم يكن يصعد اليها احد غيري واما قوله عز وجل وسيدا اى السيد
في الحقيقة من تلزم طاعته ويجب على الناس الاقتدا به في العلم والحلم والعبادة والتقا واما
قوله وحصورا اى الحصور الذي لا ياتي النسا يحبس نفسه عما يكون من الرجال ويقال عن شهوات الدنيا
كلها وقد يسمى كاتم السر حصورا او الذي لا يدخل مع الناس في الميسر حصورا لامتناعه من ذلك واصله من
الحصر وهو الحبس وسمي الحصير حصيرا لانه دخل بعضه في بعض في النسج وحبس بعضه على بعض وذهب
بعضهم الى ان الحصور هو الذي لا شهوة له والاول اولى لان الثاني من اضافة عيب العنة اليه ولان هذا
البنا في الصفة يستعمل حالة الاختيار كما يقال اكول وشروب وظلوم ونحو ذلك وقوله عز وجل ونبيا من
الصالحين اى نبيا من المرسلين ويقال معناه وكاينا من الصالحين نبيا لان من الصالحين من ليس بنبي
والصالح من يودي ما افترض الله عليه ويودي حقوق الناس اليهم واما ذكر الملائكة بلفظ الجمع في
اول هذه الآية فعلى معنى انه اتاه النداء من هذا الجنس وهذا كما يقال فلان ركب السفن وانما
ركب سفينة واحدة لكن يراد بقولهم ركب السفن جعل ركوبه في هذا الجنس ومن قرا فناداه بلفظ
التانيث فعلى معنى الجماعة ومن قرا ان الله بالكسر اى قالت له الملائكة ان الله وقراة التشديد في
يبشرك من التبشير ومن قرا يبشرك بالتخفيف فهو من قولهم بشرت الرجل وبشرته اذا فرحته
يقال بشرت فلانا ابشره وابشره اذا اخبرته بخبر سرور وبشر الرجل يبشر بشرا اذا فرح وانما سمي يحيى
لانه كان في علم الله تعالى ان يقتل شهيدا والشهدا احيا غير اموات **قوله عز وجل** قال رب
انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشا قيل في تفسير هذه الآية
قال زكريا لجبريل عليهما السلام حين سمع البشارة يا سيدي كيف يكون لي غلام وقد ادركني الهرم وامراتي
ذات عقر لا يلد قال له جبريل عليه السلام مثل ذلك يفعل الله ما يشا اى الذي شاه وقال بعضهم اراد
زكريا بالرب الله عز وجل اى قال يا رب كيف يكون لي غلام قال الكلبي رضى الله عنه كان زكريا ابن تسعين سنة
وكانت امراته قريبة في السن منه وقال الضحاك رضي الله عنه كان هو ابن مائة وعشرين سنة فان
قيل كيف قال زكريا انى يكون لي غلام فاستبعد ان يعطيه الله ولدا على كبر السن من امراة
عاقر بعد ما بشرته الملائكة بذلك قيل لم يكن هذا القول على جهة الاستبعاد ولكن من شان من
بشر بما يتمنى ان يحمله فرط سروره به على الزيادة في الاستكشاف والاستثبات كما يقول الانسان
اذا راى شيئا من الامور العظيمة كيف كان هذا على جهة الاستعظام لقدرة الله عز وجل لا لشك في القدرة
وكذلك اذا راى غيره وهب مالا عظيما لرجل قال كيف سمحت نفس فلان بهبة هذا المال كله يريد بذلك

الاستعظام دون الاستنكار اذ هو عالم بانه قد وهب وقيل في معنى قوله تعالى انى يكون لي غلام اي على اي حال
يكون الولد ابردني الله تعالى وامراتي الى حال الشباب ام على هذه الحالة ويقال معناه ابرزقني الله من
امراتي هذه او من امراة اخرى شابة فقيل له كذلك الله يفعل اي كما انت عليه يفعل الله تعالى الذي يشاء
ويروى ان جبريل عليه السلام حرك سعفة يابسة فاثمرت السعفة ثم قال جبريل كذلك الله يفعل ما
يشاء اي كاثمار السعفة اليابسة يفعل الله ما يشاء فان قيل كيف قال في هذا الموضع بلغني الكبر وقال
في موضع اخر وقد بلغت من الكبر عتيا وهل يجوز ان يقول الانسان بلغني البلد كما يقول بلغت البلد قيل
هذا جائز في هذا الموضع ولا يجوز في البلد لان الكبر كالطالب للانسان لاتيانه عليه بحدوثه فيه والانسان
كالطالب للكبر لبلوغه اياه بمرور السنين والاعوام عليه واما البلد فلا يكون طالبا للانسان كما يكون الانسان
طالبا للبلد **قوله عز وجل** قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا
واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار اي قال زكريا يا رب اجعل لي علامة اذا حبلت امراتي عرفت
ذلك منها اراد بهذا القول ان يتعجل له السرور قبل ظهور الولد بالولادة **ويروى** ان جبريل عليه
السلام لما بشر زكريا بالولد القى الشيطان في نفس زكريا عليه السلام ان النداء الذي سمعه نداء الشيطان
فقال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس اي علامة حدوث حبل امراتك ان لا تطيق الكلام مع احد
من الناس ثلثة ايام من غير خرس الا اشارة بالعينين والحاجبين واليدين وقيل ان الرمز تحريك الشفتين
باللفظ من غير ابانة بصوت والرمز والترمز في اللغة الحركة والتحرك وقوله عز وجل واذكر ربك كثيرا
اي في هذه الايام الثلاثة وسبح بالعشي والابكار اي صل غدوا وعشيا كما كنت تصلي من قبل يقال فرغت
من سبحتي اي من صلوتي وسمى الله التسبيح صلوة لما فيها من التوحيد والتمجيد والتنزيه من كل سوء
وقال بعضهم اراد بالتسبيح التسبيح المعروف فيما بين الناس قال الحسن جعلت اية زكريا ان امسك
لسانه عن الكلام مع الناس من غير خرس ولا حدوث افة به فكان لا يمكنه ان يتكلم مع الناس وكان
يمكنه ان يذكر الله تعالى ويقرا كلامه وكان هذا معجزة عظيمة الا انها انما كانت معجزة له في نفسه
دون غيره من الناس فان غيره من الناس كان اذا راه يتكلم بذكر الله عز وجل ولا يتكلم مع الناس
لا يمكنه ان يعلم انه ممنوع من الكلام مع الناس بل كان يظن انه يمتنع عن الكلام مع الناس بنفسه
وفي ذكر الايام الثلثة في هذه الاية وذكر ثلث ليال سويا في اية اخرى في هذه القصة دليل ان احد
العددين اذا ذكر على لفظ الجمع اريد به مثله معه من العدد الاخر في الاحكام الا ترى انه لما اختلف
الايام والليالي فرد كل واحد منهما بالذكر قال الله تعالى سبع ليال وثمانية ايام حسوما فاما عند
الاطلاق اذا ذكر احد العددين على وجه الجمع في العقود والنذور دخل معه مثله من العدد الاخر
قوله عز وجل واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين معطوف على اذ قالت امراة عمران والمراد بالملئكة جبريل
عليه السلام وحده على نحو ما تقدم ذكره ومعنى ان الله اصطفاك اي اختارك لطاعته وعبادته
وطهرك من الكفر بالايمان كما قال الله عز وجل ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا اراد طهارة الايمان والطاعات وقد سمى الله عز وجل الكفر نجاسة في قوله عز وجل انما
المشركون نجس وقيل معنى وطهرك اي من الادناس كلها من الحيض والنفاس وغيرهما وقوله
عز وجل واصطفاك على نساء العالمين اي اختارك على نساء عالمي زمانك وبولادة عيسى عليه السلام بشرا
من غير اب فان قيل كيف يجوز ظهور الملئكة لمريم وذلك كان معجزا لا يجوز ظهوره على غير نبي
ومريم لم تكن نبيا كما قال الله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم قيل انها وان لم تكن نبيا
فان ذلك كان في وقت زكريا عليه السلام ويجوز ظهور المعجز في زمان الانبياء عليهم السلام لغيرهم ويكون

ذلك معجزة لهم وقال بعضهم كان ذلك ابهاما لنبوة عيسى عليه السلام كما كان الشهب وتظليل
الغمامة وكلام الذئب ابهاما لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل** يا مريم
اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين قال سعيد بن جبير معنى اقنتي اخلصي العبادة
لربك وقال قتادة معناه اديمي الطاعة لربك وقال مجاهد معناه اطيلي القيام في الصلوة وهذا القول
الاخير اشبه الوجوه بحال الامر لان الله تعالى عطف الامر بالركوع والسجود على ذلك والقيام والركوع والسجود
كلها اركان الصلوة ولذلك لم يكن هذا موضع سجدة عند اهل العلم لانه امر بالصلوة وقيل في قوله عز وجل
واركعي مع الراكعين امرها بالصلوة في الجماعة مع الاحبار في بيت المقدس لانها كانت خادم المسجد وفي
الاية دليل ان الواو لا يوجب الترتيب لان الركوع مقدم على السجود في المعنى وقد قدم السجود في هذه
الاية في اللفظ **قوله عز وجل** ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون يقول ما
قصصناه عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم من امر زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من
اخبار ما غاب عنك يرسل جبريل عليه السلام به اليك وما كنت يا محمد صلى الله عليه وسلم عندهم
اذ يطرحون اقلامهم في النهر على الجرية ايهم يضم مريم للقيام بامرها وما كنت عندهم اذ يختصمون
في امرها للتربية **وذهب** بعض المفسرين الى ان المراد بالاقلام القداح وهي السهام سميت اقلاما
لانها تقلم اي انها تبرى كالقلم والقلم المقلوم وفي اخبار الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم بانباء الغيب
دليل نبوته لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا ومثل هذه الاخبار لا تعلم الا باحد وجوه اربعة اما بالمشاهدة
او بقراءة الكتب او بالتعلم ممن قرا الكتب وعرف تلك الاخبار او بالوحي من جهة الله عز وجل وقد انتفت الوجوه
الثلثة عن النبي صلى الله عليه وسلم فثبت انه كان بالوحي من جهة الله عز وجل **قوله عز وجل**
واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا
والاخرة ومن المقربين معناه والله تعالى اعلم واذكر اذ قالت الملئكة يعني جبريل عليه السلام
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه يعني عيسى بن مريم سماه الله تعالى كلمة لانه كان بكلمة من الله
تعالى القاها الى مريم ولم يكن بحدث والد وقال بعضهم سمي كلمة لان الناس كانوا يهتدون به في
اديانهم كما يهتدى بالكلام وقال بعضهم ذكره الله تعالى وكتب من قبله فكان الكلمة هي ما ذكر في
الكتب من حديثه وهذا كما يقول الانسان لغيره اذا خرج الامر موافقا لقوله قد جاء كلامي فاما
قوله تعالى اسمه المسيح فانما ذكره بلفظ التذكير لان معنى الكلمة معنى الولد فلذلك لم يقل اسمها والله اعلم
وقد اختلفوا في تسميته مسيحا روي عن عبد الله بن عباس انه قال المسيح الممسوح بالبركة وذهب الى ان
المسيح فعيل بمعنى مفعول وقال بعضهم سمي مسيحا بمعنى الماسح كان يمسح ذوي العلل
فيبرؤن وقيل لانه كان يمسح الارض سيحا ولا يستقر وقال الكلبي المسيح الملك الذي لا حاجة له الى
احد من المخلوقين **ويروى** عن عيسى عليه السلام انه كان يقول الشمس صلاي والقمر
سراجي ويقول البرية طعامي ابيت حيث يدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا بيت يخرب ولا
مال يسرق اصبح ولا غداء لي وامسي ولا عشاء لي وانا من اغنى الناس واما عيسى فهو معدول
من ايشوع بالسريانية واشتقاقه في كلام العرب انه فعلى من العيس وهو بياض الابل
وقيل من العوس وهو من السياسة الا ان الواو قلبت ياء لانكسار ما قبلها وقوله عز وجل
وجيها في الدنيا والاخرة اي ذا قدر ومنزلة في الدنيا عند اهلها وفي الاخرة عند ربه والوجيه
الذي لا يرد قوله يقال وجه الرجل يوجه وجاهة وله جاه اذا صار بحيث لا ترد مسالته وقوله
عز وجل ومن المقربين اي من المقربين الى ثواب الله عز وجل في جنة عدن وهي الدرجة العليا والنعيم

الى الله عز وجل تعرّب الى ثوابه **قوله عز وجل** وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ
معناه ويكلم الناس فى مضجع الرضاع ويكلم كهلا بعد ما دخل فى السن ومن الصالحين اى من المرسلين
وقال الكلبى اراد بالمهد الحجر وكل ما مهد فهو مهد **روى** فى الخبر ان مريم لما ولدت عيسى ذهب بهما
يوسف بن يعقوب بن ماثان الى غار فكانا فى الغار اربعين يوما ثم اتت قومها به وهو ابن اربعين يوما
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا فكلمهم فى حجرها قال انى عبد الله آتانى الكتاب الاية ثم لم يتكلم بعد
ذلك حتى بلغ مبلغ الغلمان الذين يتكلمون وكان يتكلم ويعلم ما لا يعلمه احد **فان قيل** الكلام فى حال
كونه فى المهد مما يحسن تعجيب الناس به واما الكلام من الكهل فليس بعجب وكيف ذكره الله تعالى فى القرآن
قيل فى ذكر الكلام فى الكهولة بشارة لمريم فى ان عيسى عليه السلام يعيش الى وقت الكهولة
وقيل اراد به انه يكلم فى حال الكهولة بعد نزوله من السماء لقتل الدجال ويقال اراد بالكلام فى المهد براءة
امه مما رماها اليهود واراد بالكلام فى الكهولة ابطال ما ادعاه النصارى من كونه الها لانه كان طفلا
ثم صار شابا ثم صار كهلا ومن يكون بهذه الصفة لا يجوز ان يكون الها والكهل فى اللغة هو الذى جاوز
حد الشباب ولم يبلغ حالة الشيخوخة يقال اكتهل النبات اذا قوى واشتد وقيل ان الكهل هو الذى يكون ابن
اربع وثلثين سنة **قوله عز وجل** قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ معناه قالت مريم لجبريل عليه السلام يا سيدى كيف يكون
لى ولد ولم يمسسنى بشر بالنكاح ولا بالسفاح وكان هذا القول منها على جهة الاستعظام لقدرة الله عز وجل لا
على وجه الاستبعاد كما تقدم ذكره وقال بعضهم ارادت بهذا القول ان تعرف انه يكون لها ولد قبل ان يمسها
بشر او بعد ان يمسها بشر فاجابها جبريل عليه السلام قال كذلك الله يخلق ما يشاء اى كما قلت لك ويقال كما
انت عليه يخلق الله ما يشاء ان يكون لك ولد من غير ان يمسك بشر وقوله عز وجل اذا قضى امرا اى اذا اراد شيئا
ويقال اذا حكم بكون شئ فانما يقول له كن فيكون كما اراده الله عز وجل وهذا اخبار عن سرعة كون مراد الله عز
وجل لانه لا يكون فى وهم العباد شئ اسرع من كن فيكون وانما ذكر ذلك بلفظ الامر لانه ادل على القدرة وقال بعضهم
هذه كلمة جعلها الله عز وجل علامة لحدوث امر من الامور وبالله التوفيق **قوله عز وجل** وَيُعَلِّمُهُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ معطوف على قوله
ويكلم الناس ويقرأ ونعلمه بالنون عطفا على قوله عز وجل نوحيه اليك والمراد بالكتاب الزبور
وغيره من الكتب التى انزلها الله عز وجل على انبيائه صلوات الله عليهم سوى التورية والانجيل وقيل
اراد بالكتاب الكتابة والحكمة الفقه وهو فهم المعانى واما قوله عز وجل والتورية والانجيل قيل
علمه الله التورية فى بطن امه والانجيل بعد خروجه هذا ايضا من الحكمة الا انه عز وجل ذكرهما تفخيما لامرهما
كما قلنا فى قوله عز وجل من كان عدوا لله وملئكته وقوله عز وجل ورسولا الى بنى اسرائيل اى يجعله
رسولا بعد ثلثين سنة الى بنى اسرائيل بانى قد جئتكم بعلامة من ربكم لنبوتى وقال بعضهم قوله
عز وجل ورسولا عطف على وجيها ومن قرأ انى قد جئتكم بالكسر فعلى الاستيناف ثم فسر الله تعالى الاية بقوله
عز وجل انى اخلق لكم معناه وهى انى اقدر لكم من الطين واصور كشبه الطير فانفخ فيه فى الطين
كنفخ النافخ فيصير طيرا يطير بين السماء والارض بامر الله عز وجل ويقرأ طائرا الا ان هذا احسن لان الطائر
يراد به الحال اى يقوم ويطير وطيرا يراد به انه يصير طيرا من الطير وقوله عز وجل وابرئ الاكمه والابرص
اى اصحح التى ولد اعمى والابرص ايضا واحيى الموتى باسم الله الاعظم يا حى يا قيوم واخبركم بما تاكلون
غدوة وعشية وما ترفعون من غداء للعشاء ومن عشاء للغداء ويجوز ان يكون معنى ما تاكلون معنى

الذى

الذى تاكلون والذى تدخرون ويجوز ان يكون ما مع ما بعده بمنزلة المصدر كانه قال بأكلكم وادخاركم
ان فى ذلك لآية لكم اى ان فيما اتيت لكم لعلامة لكم فى نبوتى ان كنتم مصدقين بالله عز وجل لان من صدق بالله عز
وجل وعلم انه حكيم لا يظهر المعجزة على من يكذب ويتخرص عليه وانما يظهرها على من يكون نبيا وقيل ان
معنى ان كنتم مؤمنين اى من كان مؤمنا فهذا حكمه ان يتبع المعجزة ويقبلها **روى** ان عيسى عليه السلام
لما دعاهم الى الله عز وجل بدعوى هذه المعجزات قالوا له اخلق لنا خفاشا سألوه ذلك لان الخفاش
من اعجب الطيور يطير بغير ريش ويلد ولا يبيض ويضحك ويحيض طلبوا منه ذلك متعنتين فاخذ طينا وجعل
منه خفاشا ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض فقالوا هذا سحر فقال ابرئ الاكمه والابرص واحيى
الموتى باذن الله فقالوا ان ابراء الاكمه والابرص يفعله اطباؤنا فذهبوا الى جالينوس واخبروه بامر عيسى
عليه السلام فقال ان الذى ولد اعمى لا يبصر بالعلاج والابرص الذى لو غرز لا يخرج منه الدم لا يبرأ بالعلاج
وان كان هو يحيى الموتى فهو نبى فجاؤوا باكمه وابرص فمسح يده عليهما فبرئا فقالوا هذا سحر فان كنت
صادقا فاحيى الموتى فاحيى رجلا يقال له ابن العازر بلغه انه قد مات فذهب مع اصحابه وقد دفن وانى
عليه ايام فدعى الله عز وجل فقام باذن الله عز وجل وذكره يقطر فعاش وولد له ولد واحيى ابن
العجوز مر به يحمل على سرير فدعاه فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله وبقى وولد
له ولد واحيى ابنة العاشر ماتت واتت عليها ليله فدعى الله تعالى لها فعاشت وبقيت وولدت فقالوا
انك تحيى من كان موته قريبا ولعلهم لم يموتوا واصابهم سكتة فاحيى لنا سام بن نوح فقال دلونى
على قبره فخرج وخرج القوم معه حتى انتهى الى قبره فدعى الله تعالى فخرج من القبر فقال له
عيسى عليه السلام من انت قال سام بن نوح عليه السلام قال من انا قال عيسى بن مريم روح الله وكلمته
قال كيف شاب راسك ولم تكن فى زمانك شيبت قال سمعت صوتا اجب روح الله فظننت ان القيامة
قد قامت فشاب راسى من هول ذلك قال تحب ان اسأل الله عز وجل ان تعيش معنا قال لا فان
مرارة النزع لم يذهب من حلقى بعد وكان من وقت موته اكثر من اربعة آلاف سنة فقال للقوم
صدقوه فانه نبى عليه السلام ومات مكانه فآمن به بعض القوم وكذبه بعضهم وقالوا هذا سحر
فاخبرنا بما اكلنا وادخرنا فكان يقول يا فلان انت اكلت كذا وادخرت كذا ويا فلان انت اكلت كذا
وادخرت كذا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ثم هم الكافرون بقتله فرفعه الله عز وجل الى السماء
قوله عز وجل وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ معناه والله اعلم وجئتكم مصدقا لما بين يدى اى
قد اتيت بالتورية واحكامها وصدقتها ويقال عنى بالتصديق ان فى التورية البشارة بى فاذا خرجت فقد صدقت
ذلك ولا يجوز ان يكون ومصدقا عطفا على ورسولا اذ لو كان كذلك لقال ومصدقا لما بين يديه وقوله
عز وجل ولاحل لكم عطف على معنى مصدقا كما يقال جئتك معتذرا ولاعطف ومعناه ولاحل لكم اى لارخص لكم
بعض الذى حرم عليكم لانه كان فى التورية اشياء محرمة حلل عيسى عليه السلام بعضها وهو العمل فى يوم السبت
وشحوم البقر والغنم وساير ما حرم عليهم بظلمهم فاما ان يكون احل لهم القتل والسرقة والزنا فمحال
وكان ابو عبيدة يذهب فى هذا الى ان معناه ولاحل لكم كل الذى حرم عليكم احباركم لا ما حرمته
انبياؤكم عليهم السلام وكان يستدل فى عبارة الكل بالبعض بقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها ٭ او يعتلق بعض النفوس حمامها ٭ قال معناه كل النفوس
وقال الزجاج لا يجوز ان يذكر البعض عبارة عن الكل لان بعض الشئ جزء منه قال ومعنى قول
لبيد او يعتلق اى يعتلق نفسى حمامها لان نفسه بعض النفوس وهذا كلام يستعمله الناس يقول
القائل بعضنا يعرفك يريد به انا اعرفك قال وانما جاءهم عيسى بتحليل البعض مما حرم عليهم من الطيبات

بتظلمهم واما قوله عز وجل وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ اى لم احل لكم شيا مما حرم عليكم من غير برهان بل اتيتكم بعلامة نبوتي فَاتَّقُوا اللَّهَ فيما امركم وانهاكم وَأَطِيعُونِ فيما ابينه لكم **قوله عز وجل** إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ حكاية قول عيسى عليه السلام اى قال لهم ان الله ربي وربكم خالقي وخالقكم فاعبدوه اى وحدوه هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم طريق في الدين لا عوج فيه من سلكه اداه الى الحق **قوله عز وجل** فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ معناه والله تعالى اعلم لما علم عيسى عليه السلام منهم الكفر والقصد الى قتله قال من انصاري اعواني مع الله تعالى ووضع الى في هذا موضع مع لان الى للغاية ومع للاتصال فتقارب اللفظان وهذا كما يقال الذود الى الذود ابل معناه الذود مع الذود ابل وقال الزجاج معنى من انصاري الى الله من يضيف الى الله نصرته لي فان من ينصرني فقد نصر الله وقال الحسن معناه من انصاري الى سبيل الله ويقال معناه من انصاري لله كقوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق معناه من يهدي للحق بدليل انه عقبه بقوله قل الله يهدي للحق وقوله عز وجل قال الحواريون نحن انصار الله اى قال المخلصون في النصرة والتصديق نحن اعوان دين الله تعالى معك صدقنا بتوحيد الله تعالى واشهد يا عيسى بانا مسلمون فانا اشهدناك على ذلك والاحساس هو العلم من جهة الحاسة **واختلف** اهل التفسير في الحواريين قال بعضهم المخلصون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي اى هو من خواص امتي وكان الحواريون لعيسى عليه السلام اثني عشر رجلا من اصحابه مكان العشرة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سموا حواريين من الحور وهو الخلوص يقال عين حوراء اذا اشتد بياض بياضها وخلص واشتد سواد سوادها وخلص ومنه يقال دقيق حواري للذي لم يبق منه الا لبابه وقال بعضهم سموا حواريين من الحور وهو البياض الا انهم اختلفوا في بياضهم قيل كانوا قصارين يبيضون الثياب فمر بهم عيسى عليه السلام فقال الا ادلكم على تطهير انفع من هذا قالوا نعم قال تعالوا حتى نطهر انفسنا عن الذنوب فتابعوه على ذلك وقيل كانوا بيض الثياب وقيل كانوا بيض القلوب من الفساد وقيل كانوا ملوكا فتبعوه وقال بعضهم كانوا صيادين قال لهم عيسى عليه السلام الا ادلكم على اصطياد انفع من هذا قالوا بلى قال تعالوا حتى نصطاد انفسنا من شرك ابليس فتبعوه كلهم كانهم ذهبوا في هذا الى اشتقاقه من الحور الذي هو الرجوع ومنه سمي المحور محورا لانه راجع الى المكان الذي زال منه وقيل لانه يدور انه ينصقل حتى يبيض واما ما روي في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور فمعناه من الرجوع والخروج من الجماعة بعد ان كنا فيها يقال كار عمامته اذا لفها على راسه وحارها اذا نقضها **قوله عز وجل** رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ اى قالوا يا ربنا صدقنا بما انزلت من الانجيل على عيسى عليه السلام واتبعنا عيسى عليه السلام فاثبت اسامينا في جريدة المصدقين لانبيائك عليهم السلام الذين شهدوا بصدق الانبياء من قبلنا **قوله عز وجل** وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ معناه والله تعالى اعلم مكر الكفار الذين لم يؤمنوا بقصدهم قتل عيسى عليه السلام والمكر هو الاحتيال في تدبير الشر وقوله تعالى ومكر الله اى جازاهم الله تعالى على ما تقدم ان الجزاء على المكر يسمى مكرا كما في الاعتداء والسيئة والاستهزاء وقوله عز وجل والله خير الماكرين اى هو افضل الصانعين حين جازى الكفار على مكرهم وخلص الممكور به وذلك ان اليهود كانوا قد اجمعوا على قتل عيسى عليه السلام وهرب منهم الى بيت فدخل البيت فرفعه جبريل من الكوة الى السماء فقال ملك اليهود وسماه يهوذا لرجل خبيث منهم يقال له ططيانوس ادخل عليه البيت فاقتله فالقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام عليه فلما خرج راوه على شبه عيسى عليه السلام فحسبوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى عليه السلام وبدنه يشبه بدن صاحبنا

فان

فان كان هذا صاحبنا فاين عيسى عليه السلام وان كان هذا عيسى فاين صاحبنا فوقع بينهم قتال فقتل بعضهم بعضا قال الضحاك واما المسيح فقد كساه الله عز وجل الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار في الملائكة **قوله عز وجل** إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ اول هذه الاية متصل بقوله عز وجل خير الماكرين ويقال معناه واذكر اذ قال الله عز وجل يا عيسى ذهب بعض المفسرين الى ان في الاية تقديما وتاخيرا معناه اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك اى مميتك بعد الانزال الى الارض وقال بعضهم معنى متوفيك اى قابضك الى من ايدي الكفار ومكرهم يقال توفيت من فلان كذا اذا استوفيته وقوله عز وجل ومطهرك من الذين كفروا اى مخرجك من بين اظهرهم فانهم كانوا ارجاسا وكان تطهير عيسى عليه السلام ازالتهم عنه برفعه فان التطهير ان النفي الانجاس عن الثوب والبدن وقال الربيع معنى متوفيك وفاة نوم لا وفاة اماتة اى رفعه الله عز وجل في حالة نومه الى السماء وقوله رافعك الي اى الى سمائي وجعل الرفع الى السماء رفعا اليه تفخيما لامر السماء وقال بعضهم معناه ورافعك الى كرامتي كما قال ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اى حيث امرني ربي فانه كان يذهب الى الشام واما قوله عز وجل وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا معناه جاعل الذين امنوا بك فوق الذين كذبوا عليك وكذبوك قال بعضهم اراد به فوقهم في العز والغلبة لا يرى يهوديا حيث كان الا اذل من النصراني قالوا وهذا يدل على انه لا يكون لليهود ملك كما هو للنصارى وقال بعضهم اراد بفوق الذين كفروا فوقهم في الحجة والبرهان قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الذين اتبعوا عيسى عليه السلام هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم الذين صدقوه في جميع ما قال ومعنى ثم الي مرجعكم الى مرجع الكفار والمؤمنين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين **قوله عز وجل** فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ معناه اعاقبهم عقوبة شديدة في الدنيا بالقتل والسبي والجزية وفي الاخرة بالنار وما لهم من مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل **قوله عز وجل** وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ اى الذين صدقوا وعملوا الصالحات يكمل لهم ثواب اعمالهم والله لا يرحم الظالمين ولا يغفر لهم **قوله عز وجل** ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ معناه والله تعالى اعلم ان ما جرى من القصص نزل به عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم فيتلوه عليك جبريل عليه السلام بامرنا واضاف التلاوة الى نفسه من حيث حصلت بامره ويقال معنى نتلوه نكلمك به وحقيقة التلاوة اظهار الكلمة على جهة الحكاية يقال انشا فلان كتابه وتلاه علينا فلان وقوله عز وجل من الايات اى من علامات نبوتك وبما فيه عبرة لمن اعتبر وتبصرة لمن تبصر وقوله عز وجل والذكر الحكيم اى ومن القران ذي الحكمة في التاليف والنظم وسماه حكيما لانه بما فيه من الحكمة كانه ينطق بالحكمة ويقال معنى الحكيم المحكم وهو فعيل بمعنى مفعول ويقال المراد بالذكر الحكيم اللوح المحفوظ **قوله عز وجل** إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ قال ابن عباس وذلك ان نصارى نجران السيد والعاقب والاسقف وغيرهم من علمائهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم بل يمنعكم من الاسلام ثلث اكلكم الخنزير وعبادتكم الصليب وقولكم لله عز وجل ولد فقالوا لو اريناك خلقا من غير اب وقالوا في احياء عيسى عليه السلام الموتى دليل ان الله عز وجل اتخذه ابنا فانزل الله عز وجل قوله ان مثل عيسى عند الله يقول صفة خلق عيسى عليه السلام بلا اب كصفة خلق ادم عليه السلام خلقه من غير اب اى صور الله ادم عليه السلام من تراب من غير اب ولا ام ثم قال تعالى لادم كن فكان واراد الله عز وجل بهذه الاية ان كون الولد من غير اب ليس باعجب من كون الانسان بغير اب وام وقد خلق الله

ادم عليه السلام من تراب من غير اب وام وفي هذه الاية دليل على صحة القياس لانه لو لم يصح القياس لم يكن الله تعالى يحتج به وفيها دليل جواز قياس الشيء على الشيء من وجه دون وجه لان الله عز وجل انما شبه عيسى عليه السلام بادم عليه السلام في كونه من غير اب لا في كونه من غير ام ولا في خلقه من التراب **فان قال قايل** هلا قال الله عز وجل ثم قال له كن فكان فان ادم عليه السلام قد انقضى كونه وقد اخبر عنه بالمستقبل **قيل** ان الفعل الماضي منقطع والمضارع متصل ومن ذلك كما يقال في الاصول ان ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فعل كذا وكان فعل فانه لا يقتضي التكرار وما روي انه كان يفعل كذا فانه على التكرار دون الانقطاع ثم فعل الله تعالى يبنى على المهلة ويحدث على التدريج الا ترى انه عز وجل خلق السموات والارض في ستة ايام وكذلك بدت الحيوة في ادم عليه السلام على التدريج وكذلك امر عيسى عليه السلام على التدريج كان يبدو شيا فشيا فاخبر الله عز وجل عن ذلك بفعل دايم **قوله عز وجل** الحق من ربك فلا تكن من الممترين ابتدا هذه الاية رفع على خبر مبتدا محذوف معناه الذي اتاك به هو الحق والصدق في امر عيسى عليه السلام فلا تكن من الممترين الشاكين قال بعضهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الخلق كلهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك في امر عيسى عليه السلام قط وهذا كما قال الله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النسا وقال بعضهم معناه لا تكن ايها السامع لهذا النبا من الشاكين واراد به كل انسان كان من المكلفين **قوله عز وجل** فمن حاجك فيه من بعد ما جاك من العلم فقل تعالوا ندع ابنانا وابناكم ونسانا ونساكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين معنى الايه والله تعالى اعلم فمن خاصمك في امر عيسى عليه السلام من بعد ما جاك من البيان فان عيسى عليه السلام لم يكن الله ولا ابن الله فقل تعالوا معشر النصارى ندع ابنانا وابناكم ونسانا ونساكم ليخرجوا الى فضا من الارض وانفسنا وانفسكم اي ونخرج نحن بانفسنا وانتم بانفسكم ثم نبتهل اي نلتعن والبهلة اللعنة يقال بهله الله اي لعنه الله وباعده ويقال معنى نبتهل نجتهد ونتضرع في الدعا على الكاذب من الابتهال وهو التضرع والاجتهاد في طلب الشي ثم فسر الابتهال فقال جل ذكره فنجعل لعنة الله على الكاذبين اي نقول لعنة الله في امر عيسى عليه السلام على الكاذبين وقد روي انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران ان الله عز وجل امرني ان اباهلكم ان لم تقبلوا فقالوا يا ابا القاسم صلى الله عليه وسلم بل نرجع فننظر في امرنا ثم ناتيك فنعلمك فرجعوا فخلا بعضهم الى بعض فقال السيد للعاقب قد والله علمتم ان الرجل نبي مرسل ولين لاعنتموه ليستاصلنكم وما لاعن نبي قوما قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وان انتم لم تتبعوه وابيتم الا الف دينكم فوادعوه وارجعوا الى بلادكم **فلما** كان من الغد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من اهله لم يختلف اهل السير في خروجه بهم اذ غدا محتضنا حسينا اخذا بيد الحسن وفاطمه تمشي على اثرهم وعلي يتبعهم رضوان الله عليهم فابوا ان يلاعنوه وانقادوا لقبول الجزية يؤدونها اليه في كل سنة فقالوا انا لا نحبك يا محمد صلى الله عليه وسلم حتى نرجع الى بلادنا وابعث معنا رجلا عدلا يقضي بيننا في اموال خالفتنا فيها ونعطيه من اموالنا فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفي حلة الف في صفر والف في رجب وقال لهم وان كان كون باليمن اعنتمونا بثلثين درعا وثلثين فرسا وثلثين بعيرا والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليكم وكتب لهم كتاب الامان والصلح بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد صلى الله عليه وسلم لنجران في كل صفرا وبيضا وسودا ورقيق فافضل عليهم ترك ذلك كله على الفي حلة في كل صفر الف حلة وفي كل رجب الف حلة ثمن كل حلة اوقيه وما زادت الحلل على الاواق فبحساب وما نقص من درع حلة او خيل او ركاب فبحساب وعليهم عارية ثلثين درعا وثلثين فرسا وثلثين بعيرا اذا كان كيد باليمن ولنجران

وحاشيتها

وحاشيتها جوار الله تعالى وذمة محمد صلى الله عليه وسلم على انفسهم وملتهم وكل ما تحت ايديهم من قليل وكثير لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير من حقوقهم ولا يغير اسقف من سقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا يحشرون من بلادهم ولا يعشرون ولا يطا ارضهم جيش ومن سال منهم حقا فله النصف غير ظالمين ولا مظلومين ومن اكل الربا من ذي قبل فذمتي منه برية لا يوخذ منهم رجل بطلب اخر لهم جوار الله تعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا حتى ياتي الله بامره ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم شهد الشهود ابو سفين بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف وغيرهم **ثم بعث** رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم معاذ بن جبل رضي الله عنه ليقضي بالحق فيما بينهم ورجعوا الى بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو باهلوني لاضطرم الوادي عليهم نارا ولم يبق نصراني ولا نصرانية الى يوم القيمه **وفي** بعض الروايات قال لو التعنوا لهلكوا كلهم حتى العصافير في سقوفهم فدل هذا الخبر ان امتناعهم من المباهله لم يكن الا لعلمهم ان الحق مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ لو لم يعلموا ذلك لباهلوه حتى كان يظهر بطلان قوله صلى الله عليه وسلم في الحال **قوله عز وجل** ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم يقول هذا الذي اوحيناه اليك من الحجج والايات لهو الخبر الحق بان عيسى عليه السلام لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه والقصص هو الخبر الذي يتلو بعضه بعضا من قولهم قص فلان اثر فلان اذا اتبعه وقوله تعالى وما من اله الا الله واحد بلا ولد ولا شريك وما اعطى الله عز وجل عيسى عليه السلام من المعجزة التي يعجز عنها المخلوقون لا يخرجه من العبودية لله عز وجل ودخول من في قوله ما من اله الا الله لتوكيد النفي في جميع ما ادعاه المشركون انهم الهة وقوله عز وجل وان الله لهو العزيز الحكيم اي العزيز بالنقمة لمن لا يومن به ذو الحكمة في خلق عيسى عليه السلام من غير اب وفي امره ان لا نعبد الا الله عز وجل **قوله عز وجل** فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين يقول ان اعرضوا عما اتيت به من البيان فان الله عالم بالمفسدين يجازيهم على ذلك ثم دعاهم الله عز وجل الى التوحيد **فقال عز وجل** قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم يا اهل الكتاب هلموا الى كلمة عدل بيننا وبينكم وفي سوا ثلث لغات سواء وسوى وسوى ولا يمد منها الا المفتوح ويقال معنى الى كلمة سوا اي الى كلمة ذات سوا اي مستويه بيننا وبينكم ثم فسر الكلمة فقال عز من قايل الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا اي ان لا نشرك به احدا من المخلوقين اربابا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اي نرجع الى معبودنا هو الله عز وجل وان عيسى عليه السلام بشر كما انا بشر فلا نتخذه ربا وسمى الله تعالى هذه الالفاظ كلمة لان معناها يرجع الى شي واحد وهو كلمة العدل **لا اله الا الله** تقول العرب للكلام الذي فيه شرح قصيه وان طال كلمة يقال انشدنا كلمة فلان اي قصيدته **وذهب بعض المفسرين** الى ان معنى ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله تعالى كما قيل في تفسير قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله اي اطاعوهم في معصية الله **وعن** عدي بن حاتم انه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية وفي عنقي صليب من ذهب فقال صلى الله عليه وسلم الق هذا الوثن عنك واحلق شعر الكفر عن راسك فقلت يا رسول الله ما كنا نعبدهم فقال صلى الله عليه وسلم اليس كانوا يحلون لكم فتاخذون بقولهم ويحرمون عليكم فتاخذون بقولهم فقلت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو ذاكم وقوله عز وجل فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي ان ابوا التوحيد فقولوا انتم

أي ما إله إلا الله

اشهد وا بانا مقرون بالتوحيد مستسلمون لما اتتنا به الانبيا صلوات الله عليهم من قبل الله تعالى ثم
ذكر الله تعالى خصومة اهل الكتاب مع النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم انا مسلمون على دين ابرهيم
فقال عز وجل يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا
من بعده افلا تعقلون قال الكلبي وذلك ان اليهود والنصارى اجتمعوا في بيت مدرسة اليهود وكل
فريق يقول ان ابرهيم عليه السلام منا وعلى ديننا فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اقض بيننا اينا
اولى بابرهيم عليه السلام ودينه فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين منكم بري من دين ابرهيم عليه السلام
ان ابرهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فانزل الله تعالى هذه الاية
يقول يا ايها اليهود والنصارى لم تخاصمون في ابرهيم عليه السلام ودينه وما انزلت التورية والانجيل الا من
بعده افلا تعقلون افليس لكم ذهن الانسانية فتعلموا ان اليهودية ملة محرفة عن شريعة موسى عليه السلام
وان اليهود سموا بهذا الاسم لانهم من ولد يهوذا والنصرانية ملة محرفة عن شريعة عيسى عليه السلام
سموا نصارى لانهم من قرية بالشام يقال لها ناصرة ويقال معنى قوله عز وجل افلا تعقلون افلا تتفكرون
فتنظرون انه ليس في التورية والانجيل ان ابرهيم عليه السلام كان يهوديا او نصرانيا فان قيل ليس في
نزول التورية والانجيل بعد ابرهيم عليه السلام ما يدل على انه لم يكن ابرهيم عليه السلام على اليهودية ولا على
النصرانية ولين دل ذلك افيجب ان يدل نزول القران بعده على انه لم يكن على الاسلام قيل ان اهل الكتابين
جميعا كانوا قد اتفقوا على وصف ابرهيم عليه السلام بانه مسلم الا ان اليهود ادعوا ان ذلك الاسلام كان يهودية
والنصارى ادعوا انه كان نصرانية فوصفوه بما لم يكن في الكتابين ونحن لما ادعينا انه كان مسلما ولم ندع اكثر من
ذلك في كتابنا نصفه بالاسلام كما بين الله تعالى بعد هذه الاية **قوله عز وجل** ها انتم هؤلاء
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون
معناه والله تعالى اعلم وانتم يا هؤلاء يا معشر اليهود والنصارى خاصمتم فيما لكم به علم من نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في كتابكم فلم تخاصمون فيما ليس لكم به علم وهو امر ابرهيم
عليه السلام والله يعلم دين ابرهيم وشانه وانتم لا تعلمون وقيل ان الهاء من ها انتم تنبيه
وانتم اسم المخاطبين وهؤلا اشارة اليهم كانه يقول انتبهوا انتم الذين حاججتم ه وزعم
الاخفش انه أانتم استفهام التوبيخ فحولت الهمزة الاولى ها كقولك أرقت وهرقت **قوله
عز وجل** ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
المشركين تكذيب من الله تعالى للفريقين في قولهم ان ابرهيم عليه السلام كان يهوديا او نصرانيا
ومعنى ولكن كان حنيفا مسلما اي مايلا عن اليهودية والنصرانية مخلصا مستسلما لامر الله عز وجل
وما كان مع المشركين على دينهم والحنيف هو المايل عن كل دين سوى الاسلام يشبه بالاحنف الذي
يكون صدور قدميه مايلة من جهة الخلقة **قوله عز وجل** ان اولى الناس بابرهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين قال الكلبي وذلك ان رؤسا اليهود
كانوا يقولون والله يا محمد صلى الله عليه وسلم لقد علمت انا اولى بدين ابرهيم وما بك الا الحسد لنا
فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها ان احق الناس بموالاة ابرهيم عليه السلام للذين اتبعوه في
دينه في زمانه ولم يغيروا ولم يبدلوا وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين امنوا اصحابه
الذين اتبعوه والله ولي المؤمنين بالنصر والمعونة ه ثم ذكر الله تعالى دعوة كعب بن الاشرف
واصحابه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وحذيفة وعمارا الى دينهم اليهودية
فقال عز من قايل ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا
انفسهم وما يشعرون معناه تمنت جماعة من اهل الكتاب ان يهلكوكم بادخالكم في الضلال وما

يرجع وبال ضلالهم الا على انفسهم وما يعلمون ان وبال ذلك يعود عليهم وقيل ما يعلمون ان الله تعالى
يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على فعالهم **قوله عز وجل** يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله وانتم تشهدون معناه يا اهل الكتاب لم تجحدون محمدا صلى الله عليه وسلم والقران
وانتم تعلمون في كتابكم انه نبي مرسل ويقال وانتم تشهدون بما يدل على صحة هذه الايات من كتب
الانبيا صلوات الله عليهم ه والاصل في لم تكفرون لما تكفرون اي لاي شي تكفرون حذفت الالف من
اخره للتخفيف وفتحت الميم دليلا على سقوط الالف وعلى هذا لم تقولون وفيم تبشرون
وعم يتساءلون **قوله عز وجل** يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق
وانتم تعلمون معناه لم تخلطون الحق بالباطل ولبس الشي بالشي خلط احدهما بالاخر وذلك لانهم اقروا
ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضه ويقال معناه لم تخلطون صفة محمد صلى الله عليه وسلم
بصفة الدجال ولم تكتمون الحق وانتم تعلمون ان محمدا والاسلام حق في كتابكم وقيل في معنى لم تلبسون لم تخلطون
الحق بباطلكم يقال لبست على فلان الامر البسه اذا عميته عليه ويقال في الثوب لبست الثوب البسه ومعنى تغطية
الحق بالباطل تحريفهم للتورية والانجيل وتاويلهم على غير وجهه ثم ذكر تعالى حيلة مقالة كعب بن الاشرف
واصحابه في تحويل القبلة **فقال عز وجل** وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون معناه اي قالوا لسفلتهم
صدقوا بالقبلة التي صلى المسلمون اليها صلوة الصبح وهي قبلة بيت المقدس واجحدوا القبلة التي
صلوا اليها في اخر النهار وهي الكعبة لعلهم يرجعون الى قبلتكم وقال بعضهم ان علما اليهود قالوا فيما
بينهم كنا نخبر اصحابنا باشيا قد اتى بها محمد صلى الله عليه وسلم فان نحن كفرنا بها كلها اتهمنا اصحابنا
ولكن نومن ببعض ونكفر ببعض لنوهمهم انا نصدقه فيما نصدقه ونريهم انا نكذبه فيما ليس عندنا
ويقال انهم اتوا النبي في صدر النهار فقالوا انك انت الذي خبرنا في التورية انك مبعوث ولكن انظرنا
الى العشي لننظر في امرنا فلما كان العشي اتوا الانصار فقالوا لهم كنا اعلمناكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم
هو النبي الذي هو مكتوب في التورية الا انا نظرنا في التورية فاذا هو من ولد هرون عليه السلام ومحمد
صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل بن ابرهيم عليه السلام فليس هو النبي الذي هو عندنا وانما فعلوا
ذلك لعل من امن به منهم يرجع لان مثل هذا يكون اقرب عندهم الى تشكيك المسلمين ه ووجه الشي
اوله يقال لاول الثوب وجه الثوب ويقال وجه الشي شرفه واعلاه واشرف النهار اوله **قوله
عز وجل** ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما
اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله واسع عليم حكاية
قول كعب بن الاشرف واصحابه قالوا لليهود لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اليهودية وصلى الى قبلتكم نحو
بيت المقدس واما قوله عز وجل قل ان الهدى هدى الله قال بعضهم هذا كلام معترض بين كلامي
اليهود ويجوز دخول المعارضين الكلامين اذا احتيج اليه كما دخل على قوله عز وجل ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى اول الكلام فقال عز من قايل اولئك لهم جنات
عدن وكذلك قوله تعالى قل ان الهدى هدى الله عارض ثم عاد الى كلام اليهود فقال عز من قايل ان
يوتى احد مثل ما اوتيتم اي قالوا لا تصدقوا ان يعطى احد من الكتاب والعلم مثل ما اعطيتم فصار
تقدير الاية ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم ما اعطيتم وان يحاجكم احد عند
ربكم الا من كان مثلكم على دين اليهودية قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الهدى هدى الله وان
الفضل بيد الله فلا تنكروا ان يوتيه غيركم وقال بعضهم ليس في الاية تقديم ولا تاخير ومعناه قالت
اليهود لا تومنوا الا لمن تبع دينكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله فلا تجحدوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم

اوان يحاجكم احد عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا اى النبوة والكتاب والهدى بتقدير الله
تعالى يعطيه من يشا والله واسع عليم اى واسع الفضل والمقدرة عليم بمن هو من اهل الفضل وذهب
الفرا والكساي الى ان معنى او يحاجوكم بمعنى حتى على جهة التاكيد للنفي كما يقال لا تفعل كذا او تقوم
القيامة اى حتى تقوم القيمة ويراد به لا تفعله اصلا **قوله عز وجل** يختص برحمته من
يشا والله ذو الفضل العظيم يقول يختص بدينه الاسلام من يشا ويقال يختص بالنبوة من يشا والله
ذو المن العظيم على من يختصه بالاسلام او النبوة **قوله عز وجل** ومن اهل الكتاب من ان تامنه
بقنطار يوده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك الا ما دمت عليه قايما ذلك بانهم
قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون في الاية دليل وبيان ان اهل
الكتاب فيهم امانة وفيهم خيانة فمنهم من ان تبايعه بملء مسك ثور ذهبا يوده اليك بلا عنا ولا
تعب ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك الا بعد عنا وتعب وقال الضحاك هو فنحاص
ابن عازورا اليهودي اودعه رجل دينارا فخانه وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا اى ذلك الاستحلال
والخيانة منهم لقولهم ليس علينا في مال العرب والذين لا كتاب لهم حجة ولا ما ثم كانوا يستحلون
ظلم من خالفهم ويقولون على الله الكذب اى يقولون لم يجعل لهم علينا في كتابنا حرمة نحن منا
وهم يعلمون ان الله عز وجل قد انزل عليهم في كتابهم الوفا واداء الامانة لمن بايعهم وخالطهم
قوله عز وجل بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين يقول ليس الامر
كما يزعمون لكن من اتم عهد الله الذي عاهده الله تعالى في التورية واتقى ظلم الناس في ترك الوفا ونقض
العهد فان الله يحب المتقين لنقض العهد وترك الوفا **قوله عز وجل** ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية فيما كان بين امرئ القيس
وعبدان بن الاشوع من الخصومة في ارض غلب عليها امرؤ القيس فاستحلفه عبدان فهم بالحلف فنزلت هذه
الاية فامتنع ان يحلف واقر لعبدان بحقه ودفعه اليه وعن الشعبي انه قال نزلت هذه الاية فيمن
ينفق سلعته باليمين الفاجرة ويقال نزلت هذه الاية في اليهود لكتمانهم نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته
ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان الذين يختارون على عهد الله عرضا يسيرا من الدنيا اولئك لا نصيب لهم
في الاخرة ولا يكلمهم الله تعالى بكلام خير ورحمة وهذا كما يقال فلان لا يكلم فلانا ولا ينظر اليه
يراد بذلك انه غضبان لا يكلمه الا بالسو ويقال معنى الاية لا يسمعهم الله تعالى كلامه كما يكلم
اولياه بغير سفير ومعنى ولا يزكيهم اى لا ينسبهم الى الزكوة ولا يثني عليهم خيرا ولهم مع
هذه الاحوال عذاب مولم وجيع **قوله عز وجل** وان منهم لفريقا يلوون
السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما
هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون روي ان جماعة من اليهود اولي الفاقة
والفقر قدموا المدينة من الشام ليسلموا فلقيهم كعب بن الاشرف فقال اتعلمون انه نبي
صلى الله عليه وسلم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله فقال
كعب بن الاشرف لقد حرمكم الله خيرا كثيرا كنت اريد ان اميركم واكسو عيالكم فحرمكم الله تعالى
فقالوا رويدك حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة سوى صفته ونعتا سوى نعته ثم انتهوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فكلموه وسالوه ثم رجعوا الى كعب فقالوا كنا نرى انه رسول الله واذا هو ليس بالنعت
الذي نعت لنا وجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوه فنظر اليه كعب ففرح واخذ
اقرارهم وخطوطهم ثم بعث الى كل واحد منهم بثمانية اذرع من الكرباس وخمسة اصوع من الشعير

نزلت

فنزلت الاية والمعنى وان من اهل الكتاب طايفة يحرفون الكتاب ثم يقرون ما حرفوه لتظنوا
ايها المسلمون ان ذلك من التورية ويقولون هو من عند الله نزل وماهو من عند الله نزل
ويقولون على الله الكذب بادعايهم ان ذلك المحرف من التورية وهم يعلمون انهم يكذبون
وليّ اللسان هو العدول عن الصدق والصواب واصله من الفتل يقال لويت العمود اذا
فتلته ولويت اليد اذا فتلتها ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لي الواجد ظلم ولي
الحبل هو ان يعدل به عن وجه الاستوا **قوله عز وجل** ما كان لبشر ان يوتيه
الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا
ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون وذلك انه لما كثرت دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم اياهم الى الاسلام وقامت عليهم الحجج قالوا هذا الرجل يريد ان نتبعه ونعبده كما سال عيسى
عليه السلام من قومه حتى عبدوه فكذبهم الله عز وجل في قولهم بهذه الاية ومعناها ما كان لبشر
من الانبيا مثل عيسى وعزير وغيرهما ان يعطيه الله تعالى الكتاب وعلم الحلال والحرام والنبوة ثم
يقول للناس كونوا عبادا لي اى لا يجتمع لاحد النبوة والقول للناس كونوا عبادا لي وليس هذا على وجه
النهي ولكنه على وجه التنزيه لله عز وجل انه لا يختار نبيا يقول مثل هذا القول للناس ويجوز
ان يكون هذا على وجه تعظيم الانبيا صلوات الله عليهم فانه من اعطي النبوة علم انه ليس له ان يدعو
الا الى عبادة الله عز وجل وقوله تعالى ولكن كونوا ربانيين اى ولكن يقول كونوا ربانيين علما عاملين
بتعليمكم الكتاب للناس وبما كنتم تدرسون لانفسكم ومن قرا تعلمون بنصب التا والتخفيف فمعناه
بعلمكم وبدرسكم وانما قيل للفقهاء ربانيون لانهم يربون العلم اى يقومون به وزيدت الالف
والنون للمبالغة كما يقال رجل لحياني ولذي الجمة الوافرة جماني وعن ثعلب انه يقال رجل
ربي ورباني اى عالم عامل معلم لان العالم انما ينبغي ان يقال له عالم اذا كان له منفعة من علمه
يعمل عليه فاما اذا لم يعمل فهو والجاهل سوا وقيل ان الرباني منسوب الى الرب جل وعز
قوله عز وجل ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد
اذ انتم مسلمون اى لا يامركم النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لا يامركم الله تعالى ان تتخذوا
الملايكة والنبيين اربابا وذكر الملايكة لان خزاعة كانت تقول الملايكة بنات الله تعالى من قرا برفع
الرا من قوله تعالى ولا يامركم فعلى الابتدا ومن نصب الرا فعلى البنا من قوله عز وجل ان يوتيه الله
الكتاب وقوله تعالى ايامركم بالكفر استفهام بمعنى الانكار اى الله عز وجل يبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ليدعو الناس الى الاسلام فكيف يدعوهم الى الكفر بعد ان كانت فطرتكم على الاسلام ويقال بعد
ان كنتم مقرين بالتوحيد **قوله عز وجل** واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من
كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ااقررتم واخذتم
على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين المعنى واذكر
لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم القصة حين اخذ الله العهد على كل رسول عليه السلام ان يومن
بساير الرسل عليهم السلام وياخذ الميثاق من قومه على الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم
الذي يخرج من بعده وعلى نصرته وقوله تعالى لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
من قرا لما اتيتكم فيكون ما في موضع الشرط وجوابه لتومنن به ودخول اللام في الشرط والجواب
للتاكيد كما في قوله عز وجل ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وكما يقال لين جيتني
لاكرمنك ويقال هذه لام القسم كانه استحلفهم والله لتومنن به واخذ الميثاق في معنى
التحليف لان الحلف وثيقة وموضع ما من قوله تعالى لما اتيتكم نصب بقوله اتيتكم كانه قال

وماهو من التورية ح

ان ح

فالسم

للذى اتيتكم من كتاب وقرا نافع لما اتيناكم لان عظيم الشان قد يعبّر عن نفسه بلفظ الجمع
ومن قرا لِما اتيتكم بكسر اللام فعلى معنى اخذ الله تعالى الميثاق لاتيانه الكتاب والحكمة وصرف
الكلام من الخبر الى الخطاب كانه قال واذ اخذت وقوله تعالى ءاقررتم اى قال الله تعالى الانبيائه
اقررتم بما امرتكم به واخذتم على ما قلت لكم عهدى **والاءِصْرُ** فى اللغة الثقل لكن يراد به العهد لما
فيه من الثقل ولفظا الاخذ يحتمل وجهين احدهما قبلتم على ذلك عهدى والثانى اخذتم العهد
بذلكم على اممكم يقال فلان اخذ بيعة فلان اذا قبل بيعته ويقال اخذ ببيعته اذا اخذها على غيره له
وقوله عز وجل قالوا اقررنا اى قالت الانبيا صلوات الله عليهم اقررنا بالعهد لنؤمنن به ولننصرنه قال
الله عز وجل فاشهدوا اى يشهد بعضكم على بعض بذلك ويقال معنى فاشهدوا ابيّنوا لمن يكون بعدكم
لان الشاهد هو الذى يصحح دعوى المدعى ثم قال تعالى وانا معكم من الشاهدين اى انا من الشاهدين عليكم
وعلى اممكم ويقال فى معنى فاشهدوا اى قال الله عز وجل للملئكة فاشهدوا على اقرارهم وشهادة الله تعالى
للنبيين تبيينه امر نبوتهم بالايات المعجزات **قوله عز وجل** **فمن تولى بعد ذلك فاولئك**
هم الفاسقون يقول من اعرض بعد اخذ الميثاق على النبيين وعلى اممهم فاولئك هم الفاسقون
فى الكفر اى هم الخارجون الى افحش مراتب الكفر فان فى الكفر ما هو اصغر وفيه ما هو اكبر **قوله**
عز وجل **افغير دين الله تبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها**
واليه ترجعون معناه والله اعلم ابعد هذه الوثايق الجارية بينهم وبين الله عز وجل فى امر النبى
صلى الله عليه وسلم يطلبون دينا سوى ما عهده الله تعالى اليهم قال الكلبى وذلك انه لما قال لهم نبى الله صلى الله
عليه وسلم حين اختلفوا فى دين ابرهيم عليه السلام كلا الفريقين منكم برى من دين ابرهيم عليه السلام
قالوا والله لا نرضى بقضايك ولا ناخذ بدينك فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى وله اسلم من فى السموات
والارض اى له اخلص وخضع قال الكلبى اما اهل السموات ومن وُلد فى الاسلام من اهل الارض فاسلموا
طايعين ومن اى قوتل حتى يدخل فى الاسلام كرها جا بهم فى السلاسل ويكرهون على الاسلام **وفى**
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عجب ربكم من قوم يقادون الى الجنة فى السلاسل
وقال قتادة فى معنى قوله وله اسلم اى اسلم بعضهم قبل روية الباس وبعضهم بعد روية الباس
وقال بعضهم معناه وله اسلم من فى السموات والارض بالاقرار له بالالهية كما قال الله عز وجل
ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال الزجاج معناه ان كلهم خضعوا لله من جهة ما
فطرهم عليه لانه لا يمتنع ممتنع من جبلة جبل عليها احب تلك الجبلة او كرهها لا يمكنه ولا يقدر على تغييرها
التخلص من حكم الله عز وجل فى المحن والبلايا ومعنى واليه ترجعون اى الى جزائه ترجعون
فى الاخرة فبادروا الى دينه ولا تطلبوا غيره ذلكه ويقرا يبغون ويرجعون كلاهما بالياء على المغايبة
فاما نصب طوعا وكرها لانه مصدر وضع موضع الحال كما يقال جيت ركضا وعدوا اى راكضا
وماشيا بسرعة **قوله عز وجل** **قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم**
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا
نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وامر له ان يقول عن نفسه
وعن امته امنا بالله وهذا كما يخاطب رئيس القوم بان يقول عن نفسه وعن قومه ومعنى
لا نفرق بين احد منهم اى لا نفرق بين الرسل فى الايمان بهم ولا نفعل كما فعلت اليهود والنصارى
ونحن له مسلمون اى مخلصون فى الطاعة والتوحيد **قوله عز وجل** **ومن يبتغ غير**
الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية
وما بعدها الى قوله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فى عشرة رهط امنوا ثم

رجعوا

رجعوا عن الاسلام فلحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحرث بن سويد
وغيرهم وندم الحرث وارسل الى اخيه الجلاس بن سويد المسلم انى قد ندمت على ما صنعت فسل
لى نبى الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة والا اذهب فى الارض فنزلت هذه الايات ومعنى
هذه الاية من يطلب دينا غير دين الله الاسلام فلن يقبل منه ما اقام عليه اى لن يثاب ولن يثنى عليه
ويقال معنى لن يقبل منه ان المرتد لا يقبل منه الا الاسلام او السيف ولا يقر على الكفر بالجزية
فان هذه الاية نزلت فى المرتدين وقوله تعالى وهو فى الاخرة من الخاسرين اى من المغبونين ترك
منزلته فى الجنة واختار منزلته فى النار **قوله عز وجل** **كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم**
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين معناه كيف
يهدى الله قوما كفروا بالله تعالى بعد ايمانهم به وقوله تعالى وشهدوا عطف على قوله عز وجل
ايمانهم دون قوله تعالى كفروا وقد يعطف الفعل على المصدر كما يقول اعجبنى ضرب زيد وان غضب
فصار تقدير الاية كفروا بعد ان امنوا وبعد ان شهدوا ان الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم حق
وجاءهم البينات دلالات صدقه ونبوته فكيف يستحقون هداية الله عز وجل كما يقال كيف احسن الى فلان
وقد انعمت عليه الكثير فلم يعرف حق نعمتى ومعنى والله لا يهدى القوم الظالمين اى لا يرشد المشركين
من لم يكن اهلا لذلك **فان قيل** ظاهر هذه الاية يقتضى ان من كفر بعد اسلامه لا يهديه الله
تعالى وان الظالمين لا يهديهم الله تعالى وكثير من المرتدين اسلموا ومن الظالمين تابوا **قيل**
معناه لا يهديهم الله ما داموا على كفرهم فاذا جاهدوا وقصدوا الرجوع الى الحق وفقهم كما
قال جل ذكره والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل معنى قوله تعالى كيف يهدى الله
قوما اى كيف يرحمهم وينجيهم من العقوبة **قوله عز وجل** **اولئك جزاؤهم ان عليهم**
لعنة الله والملئكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
يقول اهل هذه الصفة جزاؤهم ان عليهم لعنة الله اى عذاب الله واللعنة من الله الابعاد بالمكروه
واما لعنة الملئكة والناس فدعاؤهم على الكفار بان يبعدهم من رحمته **فان قيل** كيف قال الله تعالى
والملئكة والناس اجمعين ومن الناس من يوالى الكافر ويوافقه ولا يلعنه **قيل** فيه جوابان
احدهما انهم فى الاخرة يلعن بعضهم بعضا والثانى ان الله تعالى ركب فى الدنيا فى قلوبهم اللعن
على الظلمة فى كل حادثة وامر وقوله تعالى خالدين فيها اى مقيمين فى اللعنة وقيل انما توجيه
اللعنة وهو العذاب لا يهون عليهم ولا يؤجلون حين ينزل بهم **قوله عز وجل** **الا الذين**
تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم استثنا من قول الله عز وجل عليهم
لعنة الله ومعناه الا الذين تابوا من الكفر والشرك من بعد ارتدادهم واصلحوا اى لم يكتفوا بمجرد
الايمان ويقال اصلحوا اعمالهم بالتوبة ويقال اصلحوا من افسدوه من الناس ممن تبعهم فان الله
غفور متجاوز عنهم رحيم بهم بعد التوبة قال عبد الله بن عباس لما نزلت للحرث بن سويد
الرخصة فى التوبة ارسل اخوه الجلاس اليه ان الله عز وجل فرض عليكم التوبة فارجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فرجع وتاب من صنيعه وقبل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منه
فبلغ ذلك اصحابه الذين بمكة فقالوا نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم ريب المنون فان بدا لنا
الرجعة اليه ذهبنا كما ذهب الحرث فيقبل توبتنا فانزل الله تعالى **قوله عز وجل** **ان**
الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون
يقول ان الذين كفروا بالله والرسول بعد تصديقهم ثم ازدادوا كفرا بقولهم نقيم بمكة ما بدا لنا
لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون عن الاسلام وفى هذه الاية دليل ان هولاء لم يكونوا يحققون

وهذا م

مقيمين م

التوبة لانه قال اولئك هم الضالون وكانت هذه الاية خاصة في قوم علم الله انهم لايتوبون الا عند
الموت ومات طعمة كافرا ولو كانوا يحققون التوبة قبل المعاينة لقبلت توبتهم ويجوز ان يكون معنى
لن تقبل توبتهم اى التوبة التى يتوبون حين الموت وذهب بعض المفسرين الى ان هذه
الاية وما قبلها نزلت في اليهود لانهم كانوا مومنين بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه شاهدين
له بالنبوة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فانزل الله عز وجل هذه الايات وبين ان توبتهم في وقت ايمانهم بالنبى
صلى الله عليه وسلم قبل بعثته غير مقبولة منهم لانهم كفروا بعدها وازدادوا كفرا **قوله
عز وجل** إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا
وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ معنى الاية والله تعالى اعلم
ان الذين كفروا وماتوا على كفرهم لو كان لاحدهم في الاخرة ملء الارض ذهبا فافتدى به لن يقبل منه
كما روى في الخبر انه يقال للكافر يوم القيمة لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به من هذا
العذاب فيقول نعم فيقال له قد سئلت ما هو ايسر عليك من هذا فلم تفعل وقوله تعالى اولئك لهم عذاب
اليم اى اهل هذه الصفة لهم عذاب وجيع في الاخرة ليس لهم من مانع يمنعهم من العذاب والملء
بفتح الميم الفعل والملء بكسرها مقدار ما يملا به الشئ يقال هذا ملء هذا اى مقدار ما يملوه وهذا
كما يقال رعيت رعيا والرعى الراعية وقوله تعالى ذهبا نصب على تمييز المقدار والتمييز ثلثة تمييز
جملة مبهمة كما في قوله عز وجل انا اكثر منك مالا واعز نفرا وتمييز عدد مبهم كما يقال عندى ملء زق
عسلا واما دخول الواو في قوله عز وجل ولو افتدى به ذهب بعضهم الى ان الواو زايدة وانكر الزجاج رحمه الله
يقال ان فائدة الواو تعميم النفى لوجوه القبول ولو لم يكن الواو لاوهم الكلام ان ذلك لا يقبل في الافتداء
ويقبل على غير وجه الافتدا **قوله عز وجل** لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ قال ابن عباس رضى الله عنهما لن تنالوا ما عند الله من ثوابه في الجنة
حتى تتصدقوا مما تحبون من الاموال ويقال معناه لن تبلغوا حقيقة التوكل والتقوى حتى تخرجوا
زكوة اموالكم طيبة بها نفوسكم وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول هذه الاية
منسوخة نسختها اية الزكوة وذهب اكثر اهل التفسير الى ان المقصود من هذه الاية الحث على الصدقة
صدقة النفل والفرض بابلغ وجوه القرب لان قوله عز وجل مما تحبون يدل على المبالغة فيه ليكون
ذلك دليلا على صدق نية المتصدق كما روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم
سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم ان تنفق المال على حبه وهو صحيح شحيح يامل العيش
وتخشى الفقر واشترى ابن عمر رضى الله عنهما جارية كان يهواها فلما ملكها اعتقها ولم يصب منها
فقيل له اعتقتها بعد ان كنت تهواها ولم تصب منها قال رضى الله عنه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه كان يشترى اعدال السكر ويتصدق بها فقيل له
هلا تصدقت بثمنه قال لان السكر احب الى فاردت ان انفق مما احب وعن جعفر الصادق
رضى الله عنه انه قال بانفاق المحبوب يصل العبد الى بر حبيبه والمراد بذلك نفى الكمال وهو نفى اعلا منازل
القرب وهذا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس المسكين الذى ترده اللقمة
واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد ما ينفق ولا يفطن به فيتصدق عليه اراد به نفى
حقيقة المسكنة لا نفى اصل المسكنة وقوله عز وجل وما تنفقوا من شئ اى ما تصدقوا من مال فان الله بكم
وبنياتكم عليم يجزيكم على ذلك في الاخرة وانما اتصلت هذه الاية بما قبلها لبيان ان النفقة مقبولة من
المومنين وان كانت الفدية مردودة على الكفار في الدنيا والاخرة **قوله عز وجل** كُلُّ الطَّعَامِ
كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا

عشرون درهما

ان

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ روى عن عبد الله بن عباس انه قال في معنى هذه الاية كل الطعام الحلال اليوم وهو
ما سوى الميتة والدم ولحم الخنزير كان حلالا لبنى يعقوب عليه السلام من قبل ان تنزل التورية على موسى
عليه السلام الا الطعام الذى حرمه يعقوب على نفسه وهو لحم الابل والبانها وذلك انه عليه السلام كان
يمشى الى بيت المقدس فلقيه ملك من الملئكة وهو خلف الاثقال فظن يعقوب عليه السلام انه لص فعالجه
ليصارعه وكانا في ذلك حتى اضاء الفجر فغمز الملك فخذ يعقوب عليه السلام فهيج به عرق النسا
فصعد الملك الى السما وجاء يعقوب يعرج حتى لحق الاثقال فكان يبيت الليل ساهرا من وجعه
ويتصبب نهاره فاقسم ان شفاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه على نفسه فشفاه الله عز
وجل من ذلك فحرم احب الطعام والشراب اليه وكان ذلك لحوم الابل والبانها ثم استن ولده بسنته
فذلك قوله عز وجل الا ما حرم اسرايل على نفسه من قبل ان تنزل التورية فلما نزلت هذه الاية قال
صلى الله عليه وسلم لليهود ما الذى حرم اسرايل على نفسه قالوا كل شئ نحرمه اليوم على انفسنا
فانه كان محرما على نوح عليه السلام وهلم جرا حتى انتهى الينا وانت يا محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابك تستحلونه وادعوا ان ذلك مسطور في التورية قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم
قل فاتوا بالتورية فاتلوها اى اقروها هل تجدون فيها تحريم لحوم الابل والبانها وهل تجدون
فيها تحريم كل ذى ظفر وتحريم شحوم البقر والغنم وغير ذلك مما حرم الله عز وجل عليكم من الطيبات
بعد نزول التورية بظلمكم وبغيكم كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم فابوا ان ياتوا بالتورية خوفا من الفضيحة لعلمهم بصدق النبى صلى الله عليه وسلم فانزل
الله سبحانه **قوله عز وجل** فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
اى من اختلق على الله الكذب بان يقول عليه ما لم ينزله في كتاب من بعد ذلك يقول من بعد قيام
الحجة عليه فاولئك هم الظالمون لانفسهم وفي هذا اعظم دلالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لانه
كان اميا لم يقرا الكتب ولم يجالس اهل الكتاب فلم يكن يعرف سرائر كتب الانبيا صلوات الله عليهم المتقدمين
الا باعلام الله عز وجل وقد اخبرهم ان ما قالوه ليس في كتابهم وامرهم بان ياتوا بالتورية ولو لم
يكن في كتابهم حجة للنبى صلى الله عليه وسلم لكان يمكنهم اظهار كذبه باسهل الوجوه وهو ان ياتوا
بكتاب انفسهم **فان قيل** كيف كان من اسرايل تحريم هذه الاشيا على نفسه والتحريم والتحليل انما يكونان
بحسب المصالح والانسان لا يعلم موقع المصالح **قيل** يحتمل انه كان اذن له في تحريم تلك الاشيا على نفسه
مصلحة له كما انه اذن لنا في الاجتهاد في الاحكام وكان ما نعلمه بالاجتهاد مصلحة لنا **قوله
عز وجل** قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ معناه قل يا محمد
صلى الله عليه وسلم صدق الله في ان كل الطعام كان حلا لبنى اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه فاتبعوا ملة
ابرهيم في استباحة لحوم الابل والبانها وافعلوا ما كان يفعله من الصلوة الى الكعبة وحج البيت
وما كان من المشركين اى لم يكن ابرهيم عليه السلام على دين المشركين ولم يفعل كما فعله اليهود في دعائهم ان
عزير ابن الله ولا بمقالة النصارى ان المسيح ابن الله وهذه الاية حجة على اليهود في انكارهم نسخ الشريعة
وقولهم ان ذلك لا يجوز من جهة الله عز وجل ووجه اتصال تحريم يعقوب عليه السلام الطعام على نفسه
بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون بيان ان من انبيا الله صلوات الله عليهم من كان يحرم من احب
الاطعمة عنده لحق الله عز وجل فكونوا امثاله في الايثار على انفسكم بالانفاق في طاعة الله سبحانه **فان قيل**
هل يجوز لنا تحريم الاشيا على انفسنا كما جاز لاسرايل **قيل** لا لانه لم يوذن لنا في التحريم كما اذن لاسرايل
على انه لا يمتنع ان يكون انما حرمها على نفسه باليمين واحدنا يمكنه تحريم المباحات على نفسه
باليمين الا انه قد اذن لنا بالحنث في الايمان وبالتكفير ولم يكن قد اذن لهم بالحنث والكفارة

قوله عز وجل إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ

روى عن امير المومنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه وعن الحسن البصرى رضى الله عنه انهما قالا
معناه ان اول بيت وضع لعبادة الناس على وجه الارض الكعبة بناها ابرهيم عليه السلام كما قال الله
عز وجل واذ بوانا لابرهيم مكان البيت الى ان قال واذن فى الناس بالحج قالا ولم يرد به انه لم يكن قبل الكعبة
بيت مبنى بل كان قبل بنا الكعبه بيوت مبنية واما بنا بيت المقدس فقد كان بعد الكعبة بدهر طويل
بناه سليمن بن داود عليهما السلام وقد يقال اول للذى لا بعد له بقول الرجل هذا اول قد ومى مكة
وربما لا يقدم بعد ذلك ولهذا قالوا لو قال اول عبد امسكه فهو حر فملك عبدا عتق فى الحال **وقال**
مجاهد وقتادة وجماعة رحمهم الله ان اول بيت وضع فى الارض كان هو الكعبة ولم يكن قبله بيت
مبنى قال الكلبى رضى الله عنه كان آدم عليه السلام حين اخرج من الجنه بنى الكعبة فطاف بها
فلما كان زمن طوفان نوح عليه السلام رفعها الله عز وجل الى السما السادسة بحيال موضع الكعبة
وهى البيت الذى بناه ابرهيم عليه السلام وهو البيت المعمور يقال له الضراح يدخله كل يوم
سبعون الف ملك لم يدخلوها قط قبله **وروى** فى بعض الاخبار ان الله تعالى انزلها من السما
وهى من ياقوته حمرا وكانت الملئكة تحجها قبل ادم عليه السلام فلما كثرت الخطايا رفعها الله عز وجل
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الكعبة كانت خشعة على وجه الما فدحيت
الارض من تحتها **واختلف** المفسرون رحمهم الله فى بكة قال الزهرى بكة موضع المسجد
ومكة هى الحرم كله وسمى المسجد بكة لان البك هو الزحمة فى اللغة يقال بكه اذا زحمه فسمى
المسجد بكة لان الناس يتباكون فيه اى يزدحمون للطواف وفى هذا بيان انه لا يجوز الطواف
خارج المسجد لان الله عز وجل خص المسجد بكونه موضع الزحمة فى الطواف **وقال** ابو عبيدة بكة
اسم لبطن مكة ومكة هى المعروفة **وقال** مجاهد بكة ومكة واحد ابدلت البا من الميم كما يقال
ضربة لازم ولازب وسميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة ما من جبار قصدها الا وقد قصمه
الله عز وجل كاصحاب الفيل وغيرهم **وسميت مكة** لاجتذابها الناس من كل افق يقال
امتك الفصيل ما فى ضرع الناقة اذا استقصى فلم يدع منه شيا وقوله عز وجل مباركا نصب
على الحال تقديره الذي استقر بمكة ثابت الخير والبركة لان البركة هى ثبوت الخير ونموه يقال برك
بركا وبروكا اذا ثبت على حاله وقوله عز وجل وهدى للعالمين معناه انه بيان ودلالة للعالمين على
الله عز وجل باهلاك الله عز وجل كل من قصده من الجبابرة كما قال الله عز وجل اولم يروا انا جعلنا
حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وباستيناس الطيور فيه بالناس وباستشفا الطير اذا مرض بالبيت
وبان لا يعلوه طير اعظاما له وبانه لا يخاف ما يرمى فيه من الجمار فى كل سنه فلولا ان ما يقبل منها يرفع كما قاله
ابن عباس رضى الله عنهما قال والا يجب ان يكون قد اجتمعت هناك من الحجارة مثل الجبال وباجتماع
الكلب مع الظبى هناك فلا ينفر الظبى من الكلب ولا يعدو عليه الكلب وكل هذا لا يكون الا من جهة الله عز وجل
ويجوز ان يكون المراد بالهدى انه طريق الجنه وبالله التوفيق **قوله عز وجل** فِيهِ آيَاتٌ
بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ
كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ معناه فيه ثلاث علامات واضحات وهى ما تقدم ذكره
ومقام ابرهيم عليه السلام ايضا والاية فى مقام ابرهيم عليه السلام ان قدميه دخلتا فى حجر صلد
بقدرة الله عز وجل صار الحجر فى اللين كالطين حتى ساخت قدماه فيه ثم عاد حجرا صلدا ليكون ذلك
دلالة على صدق نبوته عليه السلام وقوله عز وجل ومن دخله كان آمنا قال الحسن عطف الله
عز وجل قلوب العرب فى الجاهلية على من لاذ بالحرم او عاذ اليه وان كان جانيا واجرى العادة بذلك فى

الاسلام وكان هو يقول فى الايات البينات ان مقام ابرهيم عليه السلام اية ومن دخله كان امنا اية ولله
على الناس حج البيت اية وفى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما فيه اية بينة مقام ابرهيم **وذهب**
اكثر المفسرين الى ان قوله تعالى ومن دخله كان امنا على لفظ الخبر ومعناه الامر وهو امر لنا ان نؤمن
من جنى فى غير الحرم ثم التجا اليه **واما** قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فمعناه
القصد والذهاب الى الكعبة ويقرا حج البيت بكسر الحا وهو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وقوله عز وجل
من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس وهو بدل البعض من الكل كما يقال ضربت فلانا راسه اى ولله الحج على
من استطاع من الناس سبيلا اليه والاستطاعة فى ظاهر اللغة ان يمكنه بلوغ مكة باى وجه يمكنه والى هذا
ذهب الحسن وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وقال مالك رحمه الله لو قدر على المشى اليه لزمه **وروى** عن
عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن الاستطاعة فى هذه الاية فقال
السبيل الى البيت الزاد والراحلة فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لزوم فرض الحج مخصوص بالركوب دون
المشى وان من لا يمكنه الوصول اليه الا بالمشى الذى يشق ويتعسر فلا حج عليه وهكذا روى عن عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما وبه اخذ اكثر الفقهاء رحمهم الله حتى شرطوا مع الزاد والراحلة نفقة الاهل الى ان يرجع وان لا يحول
بينه وبين الحج عدو **واما** قوله عز وجل ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فمعناه من انكر فريضة الحج فلم
يره واجبا فان الله غنى عن من حج وعن من لم يحج اى لم يتعبد الناس بالعبادات لحاجته اليها وانما
تعبدهم بها العلمه بمصلحتهم فيها **وقد روى** انه لما نزل فرض الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع المسلمين اليهود والنصارى ومشركى العرب فقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم
الحج فحجوا فلم يقبله الا المسلمون فانزل الله عز وجل قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين
واما ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من ادرك حج الاسلام فلم يحج فلم تمنعه حاجة ظاهرة ولا امام ظالم ولا سجن حابس حتى يموت
على ذلك فليمت على اى حال شا يهوديا او نصرانيا فهو على طريق التهديد والتخويف لا يكون الموت
يهوديا ولا نصرانيا ولا يجوز الحكم بالاكفار باخبار الاحاد وتاويل الخبر انه لم ير الحج فرضا عليه وقد وجد
الاستطاعة فليمت على اى دين شا والله تعالى اعلم ولا حجة فى هذه الايه لمن احتج بها ان الاستطاعة قبل
الفعل بمقتضى الايه لان المراد بالاية والله اعلم استطاعة الاحوال والاسباب واما استطاعة الافعال لا
تكون الا مع الفعل لانها استطاعة الفعل وسببه فلا تكون الا معه **قوله عز وجل** قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم
لليهود والنصارى لم تكفرون بالحج ومحمد صلى الله عليه وسلم والقران والله عالم بما تعملون وانما
قال فى هذا الموضع قل يا اهل الكتاب وقال من قبل يا اهل الكتاب لانه عز وجل خاطبهم اولا على جهة
التلطف فى استدعائهم الى الايمان ثم اعرض عن خطابهم اذلالا واهانة لهم وامر غيره بمحاطبتهم
قوله عز وجل قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ نزل فى قوم من اليهود كانوا يدعون عمار
واصحابه رضى الله عنهم الى اليهوديه وكانوا يسعون فى احيا الضغاين التى كانت بين الاوس
والخزرج فى الجاهليه وكانت قد ماتت فى الاسلام ومعنى الاية قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لم
تصرفون من امن عن دين الله تعالى وعن الطريق التى هى الوصلة الى رضى الله من الاسلام والحج
وغير ذلك تطلبون لها ميلا يقال ابغنى كذا اى اطلبه لى وابغنى بفتح الالف اعنى على طلبه
ويقال فى الامر والدين عوج بكسر العين وكل شى منتصب مايل نحو الجدار والعصا عوج بفتح
العين وقوله وانتم شهدا فيه قولان احدهما وانتم شهدا بتقديم البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم

في كتابكم والثاني وانتم عقلا كما في قوله تعالى او القى السمع وهو شهيد وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون
تهديد لهم على الكفر اى لا يخفى على الله شيء مما يعملون من الجحد والكتمان **قوله عز وجل**
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
قال بعض المفسرين هذا خطاب للاوس والخزرج يقول ان تطيعوا طايفة من اليهود في احيا الظغاين
التي كانت بينكم بالعصبية والحمية الجاهلية يصرفوكم الى الشرك والكفر بعد تصديقكم بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقران وقال بعضهم معنى الايه ان تطيعوا رؤسا اهل الكتاب فيما زوروا من
صفات النبي صلى الله عليه وسلم ولبسوها عليكم يردوكم كفارا **قوله عز وجل** وكيف تكفرون
وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم
معناه على اي حال يقع منكم الكفر ودلايل توحيد الله تعالى ونبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرأ
عليكم وهو القران ومعكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين لكم الايات وهذا على طريق التعجيب
والاستبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بدلالات الله عز وجل ومعنى ومن يعتصم بالله فقد
هدي الى صراط مستقيم اي من يستمسك بدينه ويمتنع به عن غيره فقد ارشد الى طريق قايم
برضاه الله تعالى وهو الاسلام **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن الا وانتم مسلمون معنى الايه يا ايها الذين امنوا اى صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران اطيعوا الله حق طاعته واثبتوا على الاسلام حتى لا بد ركم الموت الا وانتم مسلمون
قال الكلبي رضى الله عنه حق تقاته ان يطاع فلا يعصى طرفه عين وان يشكر فلا يكفر وان
يذكر فلا ينسى قال فلم تطق العباد ذلك وشق عليهم فانزل الله عز وجل قوله فاتقوا الله ما
استطعتم فصار ابتدا هذه الايه منسوخا به والى هذا ذهب قتاده ومقاتل والقتيبي وجماعة
من المفسرين وقال بعضهم لا يجوز ان يكلف الله عباده ما لا يطيقون وليست هذه الايه
منسوخة وانما معناها اتقوه فيما يحق عليكم ان تتقوه فيه وهو ما قسم الله عز وجل في كتابه في
مواضع شتى ولو كانت هذه الاية منسوخه لكان في ذلك اباحة بعض المعاصي وذلك لا يجوز روي
عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وطاوس رحمه الله ان هذه الاية محكمة غير منسوخة
واجاز بعض المفسرين النسخ من وجه اخر ان الله عز وجل لو كلف عباده ان يتقوه حق تقاته
كانوا يطيقون ذلك ولكن بعد مشقه شديده فخفف عنهم وهذا كما ان القيام بالقسط كان
واجبا في حال الامن والخوف جميعا ولم تكن التقية مباحة في حال الخوف ثم صارت التقية مباحة
بقوله فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وقوله عز وجل الا من اكره وقلبه مطمين
بالايمان وقد يقول الرجل لا استطيع كذا اذا شق عليه كما قال الله عز وجل وكانوا لا يستطيعون سمعا
واراد بذلك مشقته عليهم والتقاه في الاصل وقاه من الوقايه ابدلت التا منها لوا وكما قالوا
تخمه وهي من الوخامه وتجاه وهي من الوجاهه والتراث من الوراثه **قوله عز و**[جل]
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته
لعلكم تهتدون معناه تمسكوا بدين الله ويقال اراد بالحبل القران الذي عهده الله تعالى الى عباده
وهو كالحبل الذى يتمسك به للنجاة قال بعض الحكما ان مثل من في الدنيا كمثل من وقع في بير
فيها من كل نوع من الافات لا يمكنه الخروج منها والنجاة من افاتها الا بحبل وثيق وكذلك الدنيا
دار محنة فيها من كل الافات ولا سبيل الى النجاة منها الا بالتمسك بحبل وثيق وهو كتاب الله عز وجل
ومعنى ولا تفرقوا اى تناصروا في دين الله تعالى ولا تنقضوا قوانينه واحفظوا منة الله تعالى عليكم

اذكنتم

اذكنتم اعدا في الجاهلية يقتل بعضكم بعضا ويستبيح كل غالب ما غلبه فجمع الله تعالى بين قلوبكم
بالاسلام الحاظر للانفس والاموال الا بحقها فصرتم بنعمة الله اخوانا في الدين وذلك انه كان
بين الاوس والخزرج قتال قبل الاسلام باربعين عاما حتى كادوا يتفانون فلما بعث الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم فظهر بمكة امن به الاوس والخزرج وهم بالمدينه فلما هاجر النبي صلى الله
عليه وسلم اليهم وقعت الالفة بين الاوس والخزرج وزالت العداوة التى كانت في الجاهلية بينهم
فالتقى رجلان منهم لا دخار احدهما من الاوس والاخر من الخزرج فقال الخزرجي اما والله لو تاخر
الاسلام وقدوم النبى صلى الله عليه وسلم علينا وعليكم لاستعبد نا ابناكم وقتلنا اباكم فقال الاوسي قد
والله تاخر عنا وعنكم زمانا من الدهر فضربناكم حتى ادخلناكم دوركم فهلا فعلتم ما تقولون فاستبا
ما شا الله تعالى ثم افترقا فتناديا ففزعت الخزرج الى صاحبهم وفزعت الاوس الى صاحبهم
واخذوا السلاح ونهد بعضهم الى بعض فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار اليهم في
اناس من المهاجرين وهو راكب على حمار قال جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه فما كان من
طالع يوميذ اكرم الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا فاومى الينا بيده فكففنا
ووقف بيننا على حمار له فقرا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته الى قوله عز وجل اوليك لهم
عذاب عظيم فالقى الفريقان السلاح واطفاوا الحرب فلم يكن في الارض شخص احب اليهم من
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول الايه ومشى بعضهم الى بعض يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وعانق بعضهم بعضا يبكون فما رايت اكثر باكيا من يوميذ ولا رايت يوما قط اقبح
اولا ولا احسن اخرا من يوميذ وقال الحسن رضى الله عنه هذا خطاب لجميع العرب
فانه كان بينهم عداوة وطوايل وقتال وكان يغير بعض القبايل على بعض فازال الله عز وجل ذلك
عنهم بجمعهم على الاسلام واما قوله عز وجل وكنتم على شفا حفرة من النار فمعناه كنتم في
الجاهلية على طرف هوة من النار اى كنتم اشرفتم على النار فكدتم تقعون فيها لو ادرككم الموت
على الكفر فانقذكم منها اى خلصكم الله تعالى من النار والحفرة بالنبي صلى الله عليه وسلم وشفا الشي
في اللغة حرفه وهو مقصور يكتب بالالف وتثنيته شفوان وجمعه اشفا ويقال اشفى فلان على كذا
اى اشرف عليه واما قوله عز وجل كذلك يبين الله لكم اياته اي مثل هذا البيان الذى تلى عليكم
يبين الله تعالى لكم الايات الدلالات والحجج في الاوامر والنواهي لكي تهتدوا من الضلالة وتكونوا على رجا
الهدايه وبالله التوفيق **قوله عز وجل** ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واوليك هم المفلحون معناه لتكن منكم جماعة يدعون
الى الصلح والاحسان ويامرون بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم وساير الطاعات الواجبة
وينهون عن الكفر والشرك وساير ما لا يعرف في شريعة ولا سنة واوليك هم المفلحون الناجون من
السخط والعذاب وانما قال ولتكن منكم ولم يقل وليكن جميعكم لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين لان الغرض من ذلك وقوع المعروف
وزوال المنكر لا لامر يرجع الى الناهى والامر فاذا زال المنكر صار كانه لم يقع منكر قط وليس
كالصلوة والصوم وساير فروض الاعيان لان تلك الفروض انما تجب لامر يرجع الى النفس تلك الافعال
ويجوز ان يكون المراد بالامة في هذه الايه العلما الذين يحسنون ما يدعون اليه وذهب بعض
المفسرين الى ان معنى الايه لتكونوا كلكم لكن من هاهنا دخل للتوكيد وتخصيص المخاطبين
من ساير الاجناس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان معناه فاجتنبوا الاوثان فانها
رجس لا ان المراد به اجتنبوا بعض الاوثان دون بعض ثم النهى عن المنكر على مراتب اولها الوعظ

والتخويف فان زال بذلك لم يجز للناهي ان يتعدى عنها الى ما فوقه ثم بالايدي والنعال ثم بالسوط ثم
بالسلاح والقتال لان المقصود زوال المنكر فاما اذا كان الناهي عن المنكر خايفا على نفسه فقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم
يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ان اول ما دخل النقص على بني اسرايل ان كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله
ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما
فعلوا ذلك ضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ثم قال جل ذكره لعن الذين كفروا من بني اسرايل على
لسان داود الى قوله تعالى فاسقون ثم قال صلى الله عليه وسلم كلا والله لتامرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر ولتاخذن على يدي الظالم فتقسرنه على الحق قسرا فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان
من شرط النهي عن المنكر ان ينكره ثم لا يجالس المقيم على المعصية بل يجانبه ويظهر هجرانه **قوله
عز وجل** ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم
عذاب عظيم معناه ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين اختلفوا فيما بينهم وصاروا فرقا وشيعا
من بعد ما جاءهم العلامات في امر محمد صلى الله عليه وسلم واولئك لهم عذاب عظيم على تفرقهم
واختلافهم ثم اخبر بوقت ذلك **بقوله عز وجل** يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون تقدير الاية
والله تعالى اعلم عذابه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهو يوم القيمة تشرق وجوه الذين
سجدوا في الدنيا لله عز وجل مخلصين له بالتوحيد فتصير وجوههم كالثلج بياضا والشمس ضيا
وتسود وجوه الكفار والمنافقين من الحزن حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون فاما
قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم فجوابه محذوف لان في الكلام دليلا عليه المعنى
فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وهذا كما في قوله عز وجل واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
واسمعيل ربنا تقبل منا وقوله عز وجل والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم فاما
قوله عز وجل بعد ايمانكم فذوقوا قال بعضهم معناه بعد ايمانكم يوم الميثاق ويقال هو
خطاب لاهل الردة **قوله عز وجل** واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم
فيها خالدون يقول واما المومنون الذين ابيضت وجوههم في الاخرة ففي جنة الله تعالى صاروا
اليها برحمته هم فيها مقيمون دايمون وفي الاية بيان ان الجنة لا تنال الا برحمته وان اجتهد
المجتهد في طاعته **قوله عز وجل** تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد
ظلما للعالمين اي هذه حجج الله ينزل بها جبريل عليه السلام فيقراها عليك بالصدق وما الله يريد
ظلما للجن والانس اعلم الله عز وجل ان من يعذبه باستحقاق يعذبه لا يعذب احدا بغير ذنب
قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور معناه جميع
ما في السموات والارض من الخلق عبيد الله تعالى ومخلوقوه ومرزوقوه فلا يريد ظلمهم فان
من بلغ غناه هذا المبلغ لا يحتاج الى الظلم والى الله ترجع الامور في الاخرة ولو قال واليه ترجع
الامور لكان حسنا لكن اعادة ذكر الله تعالى للفخامة والتوكيد او ليكون قوله عز وجل والى الله
ترجع الامور مستقلا بنفسه **قوله عز وجل** كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المومنون
واكثرهم الفاسقون خطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعم ساير امته لان الشرط في الخيرية
ما هو المذكور في الاية فمن اراد ان يكون من الصالحين فليات بهذه الشرايط ومعنى الاية والله اعلم كنتم فيما تقدمت

البشارات في كتب الامم المتقدمه افضل اهل دين وملة وانفع الناس للناس قال الحسن رضي الله عنه
نحن اخر الامم واكرمها على الله عز وجل ويقال معنى كنتم اي كنتم عند الله في اللوح المحفوظ وقيل كنتم مذ كنتم
ويجوز ان تكون لفظة الكون زايدة كما في قوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما وقوله عز وجل تامرون
بالمعروف صفة لهذه الامة بالوفاء يقول تامرون بالتوحيد واتباع الشريعة وتنهون عن الشرك والظلم لا
يظلمون من خالفهم من غيرهم ومعنى وتومنون بالله توحدون الله عز وجل بالايمان ويقال معناه
توحدون الله عز وجل بالايمان برسوله صلى الله عليه وسلم لان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يوحد الله تعالى
لانه يزعم ان المعجزات التي اتى بها النبي صلى الله عليه وسلم اتى بها من ذات نفسه فيجعل غير الله تعالى يفعل
فعل الله عز وجل وايات الانبيا صلوات الله عليهم لا يقدر عليها الا الله عز وجل وفي هذه الاية ما يدل على
هذا التاويل وهو قوله تعالى ولو امن اهل الكتاب معناه لو صدق اليهود والنصارى مع ايمانهم بالله
بايمانهم بنبيه صلى الله عليه وسلم لكان خيرا لهم من الاقامة على دينهم منهم المومنون عبد الله بن
سلام واصحابه وساير من اسلم من اهل الكتاب واكثرهم الفاسقون الخارجون عن امر الله عز وجل
وهم الذين لم يسلموا منهم وفي الاية صحة اجماع الامة لان الله عز وجل مدحهم بقوله تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس ولا يستحقون من الله عز وجل صفة مدح الا وهم قايمون بحق الله عز وجل غير ضالين
ولانه تعالى اخبر انهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمعروف ما امر الله تعالى به والمنكر ما نهى الله
تعالى عنه فاقتضت الاية ان ما امرت به فهو معروف وما نهت عنه فهو منكر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا تجتمع امتي على الضلالة **قوله عز وجل** لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم
الادبار ثم لا ينصرون معناه لن يصلوا الى ضرركم معشر المسلمين الا ان يوذوكم باللسان بقولهم
عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلثه وبالسب والبهت والتحريف وان يخرجوا الى قتالكم يعطوكم
الادبار منهزمين ثم لا يمنعون من سيوفكم وسبيكم اياهم وفي الاية دلالة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر ان اليهود ان قاتلوا لم ينصروا وكان كما اخبر اذ يهود المدينة كلهم من بني قريظه وبني
النضير وبني قينقاع ويهود خيبر لم يثبت احد منهم لحرب المسلمين قط بل قتل بعضهم وانهزم
اكثرهم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انكم معشر المسلمين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر واذا
انكرتم على اليهود فلم يقبلوا تعرضوا لمحاربتكم فلا تجبنوا وقاتلوهم فانهم يولون الادبار
قوله عز وجل ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا
بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون معناه الزمت وجعلت عليهم مذلة القتل والسبي اينما وجدوا
اخذوا وضرب الشي على الشي الزامه اياه يقال فلان ضرب الضريبة على عبده اذا الزمها اياه ومن ذلك
سميت الضريبة ضريبة ومعنى الا بحبل من الله الا ان يعتصموا بعهد الله وهو الاسلام وقوله عز وجل
وحبل من الناس اي عهد وامان وعقد ذمة المسلمين وقوله عز وجل وباءوا بغضب من الله اي انصرفوا
بغضب استوجبوه من الله عز وجل ومعنى وضربت عليهم المسكنة جعل عليهم زي الفقر والبوس
حتى صاروا من الذلة الى ما لا يبلغه اهل ملة بعد ان كانوا ذوي عز ويسار ومنعة فترى الرجل منهم
عليه البوس والمسكنة وانه لغني ولم يبق لليهود منعة في موضع من المواضع وفي هذا ايضا
دلالة صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك بانهم كانوا يكفرون اي ذلك الذل والغضب
عليهم من الله عز وجل بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ورضاهم بقتل ابايهم الانبيا صلوات
الله عليهم بغير حق وعصيانهم ومجاوزتهم الحد وفي هذا بيان ان الله عز وجل يعاقبهم بهذه
العقوبة الغليظة من غير سبب بل عاقبهم بها لعظم ما ركبوه فان الله عز وجل لا يعذب احدا بغير ذنب

قوله عز وجل ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون وذلك ان الله عز وجل لما ذكر في الآيات المتقدمة من آمن من اهل الكتاب ومن لم يؤمن قال عز من قايل ليسوا سواء اي ليس الفريقان سواء وهذا وقف تام ثم استانف عز وجل قوله من اهل الكتاب لبيان افتراق الفريقين في الطريقة فقال عز من قايل من اهل الكتاب امة قائمة عادلة مستقيمة مهتدية وقال الاخفش ذو امة قائمة اي ذو طريقة قائمة قال والامة الطريقة من قولهم اممت الشيء اذا قصدته ومعنى يتلون آيات الله يقرؤون القرآن في ساعات الليل ومعنى وهم يسجدون قال بعضهم يصلون فالواو هذه واو حال لان القراءة لا تكون في الركوع ولا في السجود وانما ذكرت الصلوة باسم السجود لان السجود نهاية ما فيه من التواضع قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اراد به صلوة العتمة ويقال اراد به ما بين المغرب الى العشاء الاخرة وقال بعضهم معنى الواو في قوله عز وجل وهم يسجدون عطف السجود المعروف على قراءة القرآن فكانه قال وهم مع ذلك يسجدون **واختلف اهل اللغة** في واحد الآناء فقال بعضهم انا مثل معا وامعاء وقال بعضهم اني مثل نحي وانحاء **قوله عز وجل** يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين قال عبد الله بن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام وجماعة معه رضي الله عنهم قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا فانزل الله عز وجل هذه الآية الا انها وان نزلت فيهم فمن حق كل مسلم ان يكون على هذه الصفات ومعنى هذه الآية يصدقون بالله وبالبعث بعد الموت ويامرون باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن اتباع الجبت والطاغوت ومخالفة محمد صلى الله عليه وسلم ويبادرون الى الطاعات والاعمال الصالحة واولئك من المؤمنين المخلصين وهم ابو بكر وعمر وساير الصحابة رضي الله عنهم **قوله عز وجل** وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين اي ما تفعلوا من طاعة فلن تجحدوه يعني تجزون به وتثابون عليه لان الكفر هو الستر وستر الخير انما يكون بترك الجزاء عليه ومعنى والله عليم بالمتقين عالم باعمالهم وثواب اعمالهم ومن قرا وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء فهو راجع الى قوله عز وجل الصالحين **قوله عز وجل** ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون معناه ان الذين جحدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لن تمنعهم كثرة اموالهم واولادهم شيئا مما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل واولئك اهل النار هم فيها مقيمون دائمون **قوله عز وجل** مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون معناه مثل ما تنفق اليهود في اليهودية على رؤسايهم وعلمايهم وما ينفق اهل الاوثان على اصنامهم في تظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم واهلاكهم مال انفسهم كمثل ريح فيها برد شديد ويقال الصر صوت لهب النار التي تحرق الزرع اصابت حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم بمنع حق الله عز وجل عليهم فيه فاهلكته اي احرقته الريح فلم ينتفعوا منه بشيء في الدنيا كذلك من ينفق في غير طاعة الله تعالى لا ينتفع بنفقته في الآخرة كما لا ينتفع صاحب هذا الزرع بزرعه في الدنيا يقول الله عز وجل وما ظلمهم الله عز وجل باهلاك زرعهم ولكن انفسهم يظلمون بمنع حق الله عز وجل فيه وقال بعضهم معنى الآية مثل اهلاك الله عز وجل نفقة هؤلاء في هذه الحيوة الدنيا لوضعهم لها في غير حقها كمثل اهلاك ريح فيها صر اصابت زرع قوم زرعوا في غير موضع الزراعة وفي غير وقت الزراعة فاهلكته الريح لوضعهم ذلك في غير موضعه والله اعلم **قوله عز وجل** يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون قال عبد الله

معناه

ابن عباس

ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في الانصار كانوا قد ظاهروا اليهود حتى صار كان بينهم نسبا وكانوا يتواصلونهم ويعاطفونهم حتى كان الرجل من الانصار يتزوج فيهم فيختارهم على قومه وكانت اليهود يجدون بهم منذ ذلك فلما جاء الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام وآمن الانصار ابغضتهم اليهود وكان الانصار يخالطونهم ويشاورونهم كما كانوا يفعلون قبل الاسلام للرضاعة والمصاهرة التي كانت بينهم وبينهم فنهى الله عز وجل الانصار بهذه الآية وما بعدها ومعنى الآية ايها المؤمنون لا تتخذوا دخلا من غيركم يعني اليهود وبطانة الرجل خاصته واهل سره الذين يستبطنون امره سموا بذلك على جهة التشبيه ببطانة الثوب الذي يلي جلد الانسان في القرب وحرف من في قوله تعالى من دونكم للتبيين اي لا تتخذوا الذين هم اسافل وارذل بطانة وقوله عز وجل لا يالونكم خبالا اي لا يبقون غاية ولا يتركون الجهد في القايكم في الفساد وضرب بعضكم على بعض يقال ما الوت في الحاجة جهدا اي ما قصرت ويقال لم الُ في هذا الامر الوا والخبل والخبال الفساد يقال فلان مخبل الراي اي فاسد الراي وبفلان خبل اي جنون ويقال معنى ودوا ما عنتم اي تمنوا ما اثمتم بربكم والعنت في اللغة المشقة يقال اكمة عنوت اي طويلة شاقة المسلك ومعنى قد بدت البغضاء من افواههم قد ظهرت العداوة من السنتهم بالشتم والطعن وما يضمرون في قلوبهم من القتل لو ظفروا بكم اعظم مما اظهروا لكم ومعنى قد بينا لكم الآيات اخبرناكم بما اخفوا وابدوا بالدلالات والعلامات ان كنتم تعلمون الفصل بين العدو والولي **قوله عز وجل** ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور معناه انتم يا هؤلاء تحبون اليهود بمصاهرتكم ومظاهرتكم ولا يحبونكم لدينكم وتؤمنون بالتورية والانجيل وساير كتب الله عز وجل ولا يؤمنون هم بكتابكم واذا لقوكم يعني منافقي اهل الكتاب قالوا آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم انه رسول الله صادق فيما يقول واذا خلوا فيما بينهم عضوا عليكم اطراف الاصابع من الحنق عليكم وهذا مثل ضربه الله عز وجل من شدة عداوة اليهود للمؤمنين ومن صبر على مكايدهم لان المغتاظ من الشيء الآسف على ما فاته من مراده منه يعض انامله من الغيظ وقوله عز وجل قل موتوا بغيظكم ليس على طريق الايجاب لانه لو كان على طريق الايجاب لماتوا كلهم من ساعتهم كما قال الله عز وجل في موضع آخر فقال لهم الله موتوا ولكن اللفظ من هذه الآية على صيغة الامر والمراد به الخبر معناه تموتون بغيظكم ولم تبلغوا امانيكم من قهر محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ومعنى ان الله عليم بذات الصدور عالم بما في القلوب من البغض والعداوة وغير ذلك قال الفراء في قوله عز وجل ها انتم اولاء ان العرب اذا جاءت الى اسم مكني قد وصف بهذا جعلته بين ها وذا فتقول للقريب ها هو ذا وها هما ذان فيكون معنى ها انتم اولاء ها انتم الذين تحبونهم ويحبونكم بمعنى الصلة واولاء اسم موصول وكسرت الهمزة الاخيرة من اولاء لسكونها وسكون الالف الذي قبلها وقال بعضهم ها اشارة وانتم خطاب ابتداء واولاء في تقدير الخبر وتحبونهم حال كانه قال انتبهوا يا هؤلاء لعلكم محبين لهم **قوله عز وجل** ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط معناه ان اصابتكم نعمة بالالفة والغلبة على الاعداء والغنيمة والخصب تسؤهم تلك الحسنة يعني اليهود وان تصبكم محنة من جهة اعدايكم او جدب ونكبة يعجبوا بها وان تصبروا على اذى المنافقين واليهود وتتقوا معصية الله عز وجل لا يضركم احتيالهم لابقاعكم في الهلاك ان الله بما يعملون محيط اي احاط علمه وقدرته باعمالهم والمحيط بالشيء هو المطيف بالشيء من جميع جوانبه وقوله عز وجل ان يمسسكم بغير الادغام لغة اهل الحجاز وقوله لا يضركم بالادغام لغة غيرهم من العرب وكلا الوجهين جايز حسن ومن قرا لا يضركم بفتح الراء فلان الفتح

خفت الحركات ومن كسر فلالتقا الساكنين واما الضم فعلى اصل الكلمة تقديره فلا يضركم كيدهم وقد تضم العرب
حرف الفا وتريد اثباته كما قال الشاعر ٥ مَن يفعل الحسنات الله يشكرها ٥ والشرّ بالشر عند الله مثلان ٥
ومن قرا لا يضركم فهو من الضير والضير والضر والضر بمعنى واحد قال الله عز وجل قالوا لا ضير
وقال عز من قائل واذا مسكم الضر **قوله عز وجل** وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ
مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ معناه واذكر اذ اصبحت من عند اهلك من المدينة تهيئ للمومنين مواضع
للحرب لقتال المشركين يوم احد وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان راى في المنام بعد ما سمع بامر المشركين
وجمعهم للقتال ان عليه درعا حصينة فاولها المدينة وكره الخروج اليهم وامر بتبوية المقاعد للقتال
الى ان يوافيهم المشركون فقال رجال من المسلمين اخرج بنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم لا يرى
اعدا الله انا جبنا عنهم فلم يزالوا به حتى خرج وكان ذلك في شوال في العام المقبل الذي كان قبله
وقعة بدر وقوله عز وجل والله سميع عليم اى سميع لقول المنافقين عليم بنياتهم وبما يصيب المسلمين
في هذا الحرب وهذا قول اكثر المفسرين رحمهم الله قالوا نزلت هذه الاية في غزوة احد وقال الحسن ومجاهد
رضي الله عنهما نزلت الاية في يوم الاحزاب وكل واحد منا لموضعين قريب من المدينة **قوله عز
وجل** إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
قال اكثر المفسرين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج لحرب احد رجع عبد الله بن ابي المنافق
بثلث الناس بعد خروجهم للحرب فقصدت فرقتان بنو حارثة وبنو سلمة ان يجبنا فترجعا فثبت الله عز
وجل قلوبهما حتى لم يرجعا فذلك قوله عز وجل اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا ومعنى والله
وليهما اى ناصرهما وحافظ قلوبهما وعلى الله فليتوكل المومنون في امورهم ٥ وفي الاية دليل ان هم
الطايفتين كان هم خطرة لا هم عزيمة لان الله عز وجل مدحهما بقوله والله وليهما وفي قوله عز
وجل همت طايفتان منكم ان تفشلا دليل ان الفشل لم يكن واقعا منهم بعد **قوله عز وجل**
وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ معناه ولقد اعانكم الله
ببدر وانتم قليل في العدد وذلك ان المسلمين كانوا ثلثمايه وثلثه عشر رجلا كان عدد المهاجرين
سبعة وسبعين رجلا وعدد الانصار مايتين وستة وثلاثين وكان امير المومنين علي كرم الله وجهه
صاحب رايته صلى الله عليه وسلم وكان سعد بن معاذ صاحب راية الانصار وكان عدد الكفار
تسعماية ونيفا ومعنى فاتقوا الله اطيعوه فيما يامركم به لتقوموا بشكر النعم التي انعمها عليكم
واختلفوا في تسمية بدر بهذا الاسم قال بعضهم هو اسم لما الذي هناك ونسب المكان اليه وقال
بعضهم هو اسم موضوع لذلك المكان لا على جهة النسبة الى احد كسائر اسامي البلدان والامصار
وروي ان وقعة بدر كانت على راس تسعة عشر شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة
وهو اليوم السابع عشر من رمضان والله تعالى اعلم وبالله التوفيق **قوله عز وجل** اذ تقول للمومنين
أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ وذلك ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا يوم احد بعد انصراف عبد الله بن ابي بثلث الناس سبعماية رجل وكان المشركون ثلثة الاف رجل
فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه الن يكفيكم ان يقويكم ربكم بمدد ثلثة الاف من الملايكة منزلين من
السما **قال الله عز وجل** بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ
بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ معناه ان تصبروا مع نبيكم صلى الله عليه وسلم وتتقوا مخالفته
وياتوكم اهل مكة من وجههم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة معلمين بالصوف الابيض
ويقال بالصوف الاحمر في نواصي الخيل واذنابها اى ينزلهم الله عز وجل من السما معلمين بهذه العلامة
ويجوز ان يكون معنى مسومين مرسلين من الاسامة وهي الارسال ومن قرا مسوِّمين بكسر الواو فلانهم

سوموا خيولهم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا
فان الملايكة قد تسومت وقال قتادة كانت على الملايكة يوم بدر سيما القتال وكانوا على خيل بلق قال
ابن عباس كانت سيما الملايكة يوم بدر عمايم بيضا مرخيها على اكتافهم او بين اكتافهم وسيماهم يوم حنين
عمايم خضر مرخيها بين اكتافهم او على اكتافهم قال ولم يصبر المومنون يوم احد للقتال الا القليل منهم ولو صبروا
لنزلت عليهم الملايكة واتاهم ما وعدهم الله عز وجل ولكنهم لم يصبروا فلم ينزل عليهم الملايكة ٥ واما
الفور فقد يكون فورا الابتدا وقد يكون فور الغضب وهو غليانه مثل فور القدر ومعنى الفور هاهنا مستعار
في حدة مجي العدو وحرارته **قوله عز وجل** وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ معناه ما جعل الله امدادكم بالملايكة الا بشارة لكم ولتسكن
قلوبكم حتى تثبتوا لاعدايكم ثم قال وما النصر الا من عند الله اى الله عز وجل وان امدكم بالملايكة
وقوى قلوبكم فليس النصر بكثرة العدد وقلته ولكنه يكون من عند الله تعالى المنيع في سلطانه الحكيم في امره ٥
وفي الاية بيان ان الانسان لا يستغني في حال من الاحوال عن الله وان كثرت عدته واجتمع ماله وعلم ان الحق
معه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان الملايكة لم تباشر القتال الا يوم بدر فاما ما سوى ذلك فانها
تحضر الصف ولا تقاتل **وذهب** بعض المفسرين ان الملايكة لم تقاتل البته ولم يبعثوا الا للبشارة اذ لو
بعثوا للاعانة لكان ملك واحد يكفيهم كما فعل جبريل عليه السلام بقوم لوط حين ادخل جناحه تحت مدايهم
الاربع فبلغ بجناحه الى الارض السابعة فاقتلعها من اصلها ورفعها الى السما ثم جعل عاليها سافلها **وذهب
بعضهم** الى ان الملايكة كانوا يقاتلون وكانت علامة ضربهم اشتعال النار في موضع ضربهم حتى قال ابو
جهل لعنه الله لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه انت تقتلني انما قتلني الذي لم يصل سناني الى سنبك دابته
وان اجتهدت قالوا وقد جعل الله عز وجل اولئك الملايكة مجاهدين الى يوم القيمة فكل عسكر من المسلمين صبر
واحتسب قاتلت معهم الملايكة **قوله عز وجل** لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا
خَائِبِينَ معناه ينصركم ليقتل ويستاصل جماعة من الذين كفروا وينقصهم بذلك او يهزمهم
فيرجعوا منقطعين عن امالهم والكبت هو الوهن في القلب فيصرع المرء على وجهه لاجله يقال
كبته الله لوجهه اى صرعه لوجهه وقري في الشاذ ليكبدهم يقال كبده اذا رماه فاصاب كبده
وكبته كذلك والمكبود المهوف والخايب الذي لم ينل ما يامل ولا يكون الخيب الا بعد انقطاع الامل
واليأس قد يكون قبل الامل وبعده **قوله عز وجل** لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ وذلك انه لما شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته
وقتل سبعون رجلا من اصحابه رضي الله عنهم وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح
قوم فعلوا بنبيهم هذا وهو يدعوهم الى ربهم وهمّ ان يلعنهم ويلعن الذين انصرفوا مع
عبد الله بن ابي بن سلول فانزل الله هذه الاية ينهاه عن اللعن وبين ان فلاحهم ليس اليه
وانه ليس اليه من الامر شيء الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وهذا قول ابن عباس وقتادة
ويقال معنى ليس لك من الامر شيء ليس لك من النصر شيء كان هذا متصل بقوله وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم فاما قوله تعالى او يتوب عليهم قال بعضهم هذا متصل بقوله عز وجل او يكبتهم
وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء معترض بين الكلامين كما تقول القايل ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا
فيكون قوله فانهم معترضا بين الكلامين من غير ان يمنع اتصال احدهما بالاخر وقال بعضهم معنى
او يتوب عليهم حتى يلطف لهم لطفا يتوبون عنده او يعذبهم وقد يكون او بمعنى حتى كما
يقال لا الزمنك او تقضيني حقي يراد بذلك حتى تقضيني حقي وقال الضحاك ومقاتل رضي الله عنهما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا من فقرا اهل الصفة وكانوا سبعين رجلا بعثهم الى

عُصَيَّة ورِعل وذكوان يدعونهم الى الاسلام فعمدوا اليهم فقتلوهم فاشتدّ ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم فدعى عليهم اربعين صباحًا في صلوة الغداة فنزل قوله تعالى ليس لك من
الامر شي الى اخر الاية **قوله عز وجل** وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ معناه جميع ما في السموات وما في الارض من الخلائق
كلهم عبيد الله وفي ملكه يغفر لمن يشا الذنب الكبير اذا تاب ويعذب من يشا على الذنب الصغير اذا اصرّ
على ذلك والله غفور رحيم في قبول توبتهم وتاخير العذاب عنهم وانما ختم الله تعالى هذه القصة
بالغفران والرحمة على معنى انه وان كان على التعذيب قديرا لكن الغالب على امره وما يريد بخلقه
الرحمة والمغفرة وسُئِل ابن المعتز رحمه الله فقيل له كيف يعذب الله عز وجل عباده
بالاجرام مع سعة رحمته قال سعة رحمته لا تغلب حكمته اذ لا تكون رحمته برقة القلب كما
تكون الرحمة من الادميين **قوله عز وجل** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا
مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية
في اهل الطايف كانت بنو المغيرة يربون لهم فاذا حل الاجل زادوا في المال وازدادوا في الاجل فنهاهم
الله تعالى عن ذلك في الاسلام ومعنى اضعافا لا تاكلوا اضعاف ما اتيتموه لا تاخذوا الا المثل
ومعنى مضاعفة لا تضعفوا المال المال في الزيادة في الاجل واخشوا الله تعالى في الربا ولا تستحلوه
لكي تنجوا من العذاب في الاخرة ثم صارت هذه الاية عامة في جميع الناس وانما عاد تعالى تحريم الربا
بعد ما كان ذكره في سورة البقرة لتاكيد التحريم بتصريح النهي عنه ويجوز ان يكون المراد باية الربا في
سورة البقرة ربا النسيئة والمراد بهذه الاية في هذه السورة ربا الفضل ثم اتصال هذه الاية بما قبلها اتصال
النهي عن حال الجاهلية في الربا بالنهي عن حال الجاهلية في الكفر **قوله عز وجل** وَاتَّقُوا النَّارَ
الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ معناه اخشوا النار في اكل الربا التي اعدت اي خلقت للكافرين بالله عز وجل
وبتحريم الربا فان قيل اذا كانت النار معدة للكافرين فكيف يعذب بها غير الكافرين قيل فايدة
تخصيص الكافرين بالذكر انهم هم العمدة في اعداد النار لهم وقد يدخلها غير الكافرين على طريق
التبع وهذا كما قال عز وجل في ذكر الجنة اعدت للمتقين وان كان الاطفال والمجانين يدخلونها تبعا
للمتقين وقال بعضهم معنى الاية واتقوا النار في استحلال الربا فان من احل الربا فهو كافر
ويقال معناه اتقوا الربا فانه يخاف نزع الايمان من آكله ومن الذنوب ما يخاف منه نزع
الايمان كما روي ان رجلا كان عاقا لوالدته فقيل له عند الموت قل لا اله الا الله فلم يقدر
على ذلك حتى جات امه فرضيت عنه **فروي** ان رجلا لقن كلمة التوحيد فكان يقول
ده دوازده سيزده **قوله عز وجل** وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
معناه اطيعوا الله والرسول في تحريم الربا لكي ترحموا فلا تعذبوا **قوله عز وجل** وَسَارِعُوا
إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ معناه بادروا الى ما يوجب
لكم مغفرة من ربكم وهو التوبة فان التوبة باليقين توجب المغفرة لان التايب يكون موديا
جميع ما كلف ومن ادى جميع ما كلف سترت ذنوبه وحط عنه العقاب ويقرا سارعوا بغير الواو
على سبيل الابتدا الا على وجه العطف وانما اختلف القراة لاختلاف المصاحف فان في مصحف اهل المدينة
واهل الشام مكتوب بغير الواو وفي مصحف عثمن ومصحف اهل العراق مكتوب بالواو فاتبع كل قوم
مصحفهم واما قوله عز وجل وجنة عرضها السموات والارض فقد روي عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما انه قال الجنان اربع جنة عدن وهي الدرجة العليا وجنة الماوى وجنة الفردوس
وجنة النعيم ثم في كل جنة منها جنات عدد نجوم السما وقطر المطر كل جنة منها في العرض

والسعه

والسعة لو الصقت السموات السبع والارضون السبع بعضهن ببعض لكانت الجنة الواحدة اعرض
منها ودلت الاية على ان طولها يزيد على السموات والارض لان طول الشي يزيد على العرض
في العادة **وذهب** بعض المفسرين الى انه ليس المراد بهذه الاية التقدير لكن المراد انها
اوسع شي رايتموه حتى قال اسمعيل السدي رحمه الله لو كسرت السموات والارض فصرن
خردلا كان بكل خردلة لله تعالى جنة عرضها السموات والارض ومعنى اعدت للمتقين خلقت
للمتقين الشرك والمعاصي فان قيل اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض فاين النار قيل
ان الله عز وجل خلق الجنة عالية والنار سافلة والشيان اذا كان احدهما عاليا والاخر سافلا لا يمتنعان
لانهما يوجدان في مكانين متغايرين ويجوز ان تكون الجنة في السما وهي اعرض من السما فان العرش
اعظم من السما وهو فوق السموات كذلك لا يمتنع مثله في الجنة ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
سُئل عن هذا السوال فقال يا سبحان الله اذا جا النهار فاين ذهب الليل ومعنى هذا الجواب والله اعلم
المعارضة لاسقاط السوال اي كان الله عز وجل قادر على ان يخلق مكانا يذهب بالليل الذي هو الظلمة
فكذلك هو قادر على ان يجعل للنار موضعا عند اخذ الجنة عرض السموات والارض **قوله عز وجل**
الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
اول هذه الاية نعت المتقين ومعناها الذين يتصدقون في حال اليسر والعسر ويقال في سرا المسلمين
في عرسهم وولايمهم وضرايهم نوايبهم وماتمهم وفي حال ايثارهم على انفسهم وان كان بهم
خصاصة وذلك لان الذي يدعو الى الشح بالمال احد امرين اما السرور بالمال او الخوف من قلة المال فبين
الله تعالى ان المتقين ينفقون على الدوام لا تمنعهم قلة المال ولا كثرته عن الانفاق واما قوله
عز وجل والكاظمين الغيظ فمعناه الذين يكفون غيظهم يردونه الى اجوافهم يقال كظم البعير على
جرته اذا ردها في حلقه فلم يجتر ويجوز ان يكون معنى الكظم الحبس والشد يقال كظمت القربة
اذا ملاتها ثم شددت راسها على الامتلا والغيظ هو انقباض الطبع مما تكرهه هكذا روي عن قتادة رضي
الله عنه ولهذا لا يجوز الغيظ على الله تعالى وان كان يجوز عليه الغضب لان الغضب هو ارادة
العقاب واما قوله عز وجل والعافين عن الناس فمعناه الذين يعفون عن المذنبين من الاحرار
والمملوكين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كظم على غيظ وهو يقدر على
ان ينفذه فلم ينفذه زوجه الله تعالى من الحور العين حيث يشا وروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ما عفى رجل عن مظلمة قط الا زاده الله تعالى بها عزا ولا نقصت صدقة من مال قط فتصدقوا
ولا فتح رجل على نفسه باب مسلة الا فتح الله عليه باب فقر وان اكرم الناس من اعطى من لا يرجوه
واوصل الناس من وصل من قطعه واعظم الناس عفوا من عفى عن قدرة واما قوله عز وجل
والله يحب المحسنين فمعناه يثني على المحسنين الى الناس ويرضى عملهم **وقد روي** عن عيسى
عليه السلام انه قال ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافاة وانما الاحسان ان تحسن
الى من اسا اليك وبالله التوفيق **قوله عز وجل** وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا
وَهُمْ يَعْلَمُونَ متصل بقوله عز وجل والعافين عن الناس وقوله عز وجل والله يحب المحسنين عارض
دخل بين كلامين ويقال قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة كلام مبتدا جوابه اولئك جزاؤهم
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير هذه الاية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
آخى بين رجلين مسلمين انصاري وثقفي فخرج الثقفي بالقرعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
الانصاري يتعهد اهل الثقفي فيقوم على الباب فيسالهم عن حاجتهم فان كانت لهم حاجة عملها والانصاري

فاقبل يوما فاذا بامراة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقع حبها في نفسه فدخل كما هو عليها
حتى انتهى اليها فوضعت كفها على وجهها فقبّل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى وادبر وقال لا
أجد لتوبتي من معصيتي الا ان اسيح في الجبال اتوب واتعبد وخرج يسيح في الجبال فلما رجع
المسلمون من غزاتهم لم ير الثقفي اخاه فاخبرته امراته بفعله فخرج الثقفي في طلبه يسال عنه في
الرعاة والجبال والفيافي حتى دُلّ عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي فقال يا فلان
ثم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله عز وجل يجعل لك مخرجا فاقبل معه حتى قدم
المدينة فسال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لا توبة لك اما تعلم ان الله عز وجل يغار للغازي
في سبيله ما لا يغار للسوقي الجالس في بيته فقام على باب النبي صلى الله عليه وسلم فهتف يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم المذنب المذنب فاذن له فدخل فسال فرد عليه الصلوة والسلام مثل ما رد اصحابه رضي الله
عنهم فخرج يسيح في الجبال لا يمر على حجر ولا مدر ولا سهلة حارة الا تجرد فتمرغ عليه حتى اذا
كان ذات يوم عند العصر نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبته فتلا هذه
الاية ومعناها والذين اذا فعلوا كبيرة او ظلموا انفسهم بفعل الصغيرة مثل النظر واللمس والغمز
والقبل ذكروا مقامهم بين يدي الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعقابه ويقال معنى
ذكروا الله ذكروا اسم الله تعالى فقالوا ربنا ظلمنا انفسنا فاغفر لنا وقوله تعالى ومن يغفر
الذنوب الا الله معناه ليس احد يقدر على ان يغفر الذنوب الا الله عز وجل وهذا عارض دخل بين
كلامين ذكره الله عز وجل على وجه التنبيه لتشتد الرغبة في طلب المغفرة من الله عز وجل وقوله
عز وجل ولم يصروا على ما فعلوا معناه ولم يقيموا على ما فعلوا من المعصية اي ندموا عليها فان
الاستغفار باللسان من غير ندامة القلب توبة الكذابين ومعنى وهم يعلمون اي يعلمون انها
معصية لله عز وجل فانهم اذا لم يعلموا انها خطية كان اثمها موضوعا عنهم وهذا مثل ان يتزوج
امه واخته من الرضاعة وهو لا يعلم ذلك او اشترى جارية فيقربها ثم تستحق الجارية كان اثم ذلك موضوعا
عنه **قوله عز وجل** أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ معناه اهل هذه الصفة ثوابهم ستر من ربهم لذنوبهم وحط
العقاب عنهم وبساتين تجري من تحت شجرها وغرفها الانهار مقيمين دائمين فيها ونعم اجر
التائبين في التوبة فوضع عنهم ما كان مكتوبا على بني اسرائيل فانه كان اذا اذنب احدهم يرى توبته
مكتوبة على بابه اجدع انفك او اجدع اذنك فوضع ذلك عن هذه الامة واكتفي منهم بالندم والاستغفار
قوله عز وجل قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ معناه قد مضت من قبلكم سنن وهي الطرائق في الخير والشر ويقال معناه قد مضت من
قبلكم سنن الهلاك في المكذبين لرسلنا صلوات الله عليهم فسافروا في الارض فانظروا كيف صار
آخر المكذبين بالرسل والكتب اي اتعظوا بالآثار التي بقيت منهم في الارض مثل ديار قوم لوط وعاد
وسبا وغيرهم وقال بعضهم اراد بالسير في الارض قراءة القران اي اقرؤوا القران فاعتبروا بما فيه
وتفكروا الى ما صار عاقبة المكذبين فان من قرا القران فكانه سافر في الارض **قوله عز
وجل** هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ معناه هذا القران بيان للناس من الضلالة
وهدى من العمى ونهي للمتقين من الفواحش والبيان في اللغة كل ما يظهر به المعنى للمتقين والهدى
بيان طريق الرشد دون طريق الغي والموعظة ما يدعو الى فعل الحسنة من ترغيب او ترهيب
وتخصيص المتقين في الاية لان فائدة الهدى والبيان راجعة اليهم **قوله عز وجل**
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ عائد الى ما تقدم ذكره من حديث حرب

أحد

أحد ومعناه لا تضعفوا عن قتال عدوكم ولا تحزنوا على ما اصابكم من القتل والهزيمة وانتم الاعلون في الحجة
ويقال انتم الغالبون في العاقبة ان كنتم مصدقين بوعد الله عز وجل بالنصر قال بعض المفسرين هذا
خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرجوا على عهده في عسكر الا ظفروا وما خرج واحد
منهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا ظفر وقال بعضهم هذا خطاب لعامة المؤمنين معناه ان صفة
المؤمن المخلص ان يثق بالله عز وجل ثقة من يعلم نصره اياه وحفظه له ولا يثق المؤمنون هذه الثقة ولا
يثبتون الا وينصرهم الله عز وجل كما نصرهم يوم بدر وفي مواطن كثيرة ويقال ان قوله عز وجل ان كنتم
مؤمنين متصل بقوله عز وجل ولا تحزنوا وقوله وانتم الاعلون اعتراض بين الكلامين بوعد مؤكد
قوله عز وجل إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا
بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ومعنى الاية والله تعالى
اعلم ان يمسسكم قرح من حرب احد فقد مس القوم اهل مكة قرح مثله وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه كانوا قتلوا يوم بدر من المشركين سبعين واسروا سبعين وقتل يوم احد من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سبعون وجرح سبعون ويجوز ان يكون المراد بالمثل في الاية المماثلة
في اصل المس لا في صفات الفعل واما القراءة في القرح بنصب القاف وضمها فهما لغتان ومعناهما
واحد وهو الجراحة والمها يقال قرح الرجل اذا جرح وقال بعض اهل اللغة القرح بالنصب عين
الجراحة وبالضم المها واما قوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس فمعناه تلك الايام نصرفها بين
الناس فنجعلها تارة لفريق وتارة عليهم والدولة هي الكرة لفريق بنيل المراد ومن ذلك يقال الايام دول
ثم بين الله عز وجل المعنى الذي لاجله يداول الايام بين المؤمنين والكفار فقال عز من قائل وليعلم الله
الذين آمنوا ومعناه ليرى من يقيم على الايمان ممن لا يقيم فيظهر المؤمن المخلص والذي في قلبه مرض
وقال الزجاج معناه ليعلم الله تعالى علم شاهد بعد ما كان علمه علم غيب لان العلم الذي علمه
الله عز وجل قبل وقوع الشيء لا تجب به المجازاة ما لم يقع واذا وقع هذا العلم كان التغيير حاصلا في المعلوم
لا في العلم ولا في العالم كما ان احدنا يعلم الغد قبل مجيئه ثم اذا جاء فانما يعلمه اليوم ثم اذا انقضى فانما
يعلمه امس ويكون التغيير حاصلا في المعلوم لا في العلم واما الواو في قوله تعالى وليعلم فلانه
عطف على خبر محذوف تقديره وتلك الايام نداولها بين الناس لضروب من التدبير وليعلم الله تعالى
المؤمنين متميزين من المنافقين **واما** قوله عز وجل ويتخذ منكم شهداء فمعناه ولكي يتخذ منكم
شهداء يكرمهم بالشهادة قال بعضهم معناه ويجعلكم شهداء على الناس على معاصيهم اجلالا لكم
وتعظيما لكم ثم قال عز من قائل والله لا يحب الظالمين اي لا يفعل الله تعالى ذلك لحب الظالمين فانه
لا يحب الظالمين وفي هذا بيان ان الله عز وجل لا ينصر الكفار على المسلمين اذ النصرة تدل على المحبة والله
عز وجل لا يحب الكفار ولكن قد ينصر المسلمين في بعض الاوقات على الكفار وفي بعض الاوقات يكل المسلمين الى
حولهم وقوتهم لذنب كان حصل منهم وانما جعل الله تعالى الدنيا متقلبة لكي لا يطمئن المسلم اليها لتقلبها ولكي
يسعى للاخرة التي يكون نعيمها الى الابد **قوله عز وجل** وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ
معطوف على قوله تعالى ويتخذ منكم شهداء معناه وليمحص الله المؤمنين من الذنوب يقال محصت الشيء امحصه
محصا اذا خلصته من العيب ومحص الحبل يمحص محصا اذا ذهب عنه الوبر لكد العمل فصار املص
وحبل محص وملص واملص بمعنى واحد ومعنى ويمحق الكافرين اي يهلكهم لانهم يجترئون فيخرجون
للحرب مرة اخرى فيستاصلهم وهذا تاويل مداولة الايام والله اعلم **قوله عز وجل** أَمْ حَسِبْتُمْ
أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ معناه اظننتم معشر المؤمنين
ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله عز وجل جهاد المجاهدين ولا صبر الصابرين واقعا منكم مشاهدة وهذا

استفهام بمعنى الانكار لظنهم وحسبانهم وقد يقول الرجل في شي بعاتب عليه لم يعلم الله تعالى ذلك مني
بريد اني لم افعله وقول الرجل لما يفعل معناه لم يفعل انضم اليه حرف ما واما في جواب المستقبل فيقال لن
يفعل ولا يفعل وقرا الحسن رضى الله عنه ويعلمِ الصابرين بالكسر عطفا على قوله عز وجل ولما يعلمِ الله الذين
جاهدوا منكم واما قراة النصب فهي نصب على الصرف صرفا اخر الكلام عن اوله على تقدير وان يعلم الصابرين وهذا
قول الكوفيين واما البصريون فيسمونه نصبا على الجمع وهذا كما **قال الشاعر**
لا تنهَ عن خُلقٍ وتاتيَ مثلَهُ ۝ عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيم ۝ اى لا يكن منك النهي عن خُلق مع
اتيانك مثله ويقال لا تاكل السمك وتشرب اللبن اى لا يكن منك الجمع بينهما **قوله عز وجل**
وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ قال عبد الله بن عباس
وذلك انه لما اخبرهم الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما فعل بشهداء بهم يوم بدر
من الكرامة والثواب في الجنة رغبوا في ذلك وقالوا اللهم ارنا قتالا لعلنا نستشهد به فنلحق باخواننا
في الجنة فاراهم الله عز وجل ذلك يوم احد فلم يثبتوا مع نبيهم صلى الله عليه وسلم وانهزموا الا من شا الله تعالى
منهم ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل بعضهم وجرح بعضهم فانزل الله عز وجل هذه
الاية ومعناها ولقد كنتم تمنون الموت بعد وقعة بدر من قبل ان تنظروا اليه يوم احد فقد رايتموه
يومئذ وانتم تنظرون الى السيوف فيها الموت وهذا العيب لهم بفشلهم عند الحرب مع صدق رغبتهم
في الشهادة ۝ وذكر الزجاج ان معنى تمنون الموت تمنون القتال الذي هو سبب الموت قال ومعنى
وانتم تنظرون وانتم بصرا كما يقال رايت كذا وكذا وان لم يكن في عينك علة واستدل على هذا بقوله الم
تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الى اخر الاية **قوله عز وجل** **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ**
مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ
شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ نزلت هذه الاية جوابا لعذر المعتذرين من المنهزمين يوم احد سمعنا
صوتا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فلذلك انهزمنا وذلك ان مصعب بن عمير كان يذب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل ظن قاتله انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فنادى قتلت محمدا
صلى الله عليه وسلم ويقال ان ابليس لعنه الله نادى في الناس بذلك ومعناها لانه انما محمد صلى الله عليه
وسلم الا كمن تقدمه من الرسل صلوات الله عليهم قتل بعضهم ومات بعضهم افان مات محمد صلى الله
عليه وسلم او قتل في طاعة الله تعالى رجعتم الى دينكم الكفر وقلتم لو كان نبيا لما قتل وفي هذا توبيخ
لمن يترك القتال على الدين وبيان ان الانبيا عليهم السلام لا يبقون ابد الدهر واما قوله عز وجل ومن ينقلب
على عقبيه فلن يضر الله شيا معناه من يرجع الى دينه الشرك فلن ينقص من ملك الله تعالى وسلطانه شيا
وانما يضر نفسه وسيجزي الله المومنين المجاهدين وانما سمى الارتداد انقلابا على العقب لان الردة رجوع
الى اقبح الاديان كما ان الانقلاب على العقب فهو اقبح ما يكون في المشي والتنكيل بالنفس وسمي المطيع شاكرا
لان الطاعات كلها شكر لله عز وجل على نعمه **قوله عز وجل** **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ**
اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي
الشَّاكِرِينَ معناه ما كانت نفس لتموت الا بامر الله تعالى كتب الله عز وجل كتابا الى اجل لرزقه وعمره
وفي هذا التحريض للمومنين على القتال اي لا تتركوا الجهاد خشية الموت والقتل فانهم لن يهلكوا قبل اجلكم
وانما هو من اذن الله تعالى لملك الموت في قبض الارواح عند انتها الاجال والاجل الوقت المعلوم
وقوله عز وجل كتابا مصدر منصوب بدل على فعل محذوف سابق ومثله من التوكيد قوله عز وجل
كتاب الله عليكم بعد قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وكذلك قوله عز وجل صنع الله الذي اتقن كل شي
ومعنى ومن يرد ثواب الدنيا من يرد بعمله المدحة والريا لا يحرم حظه المقسوم له في الدنيا من غير

ان

ان يكون له حظ في الاخرة وقد فسر الله عز وجل في اية اخرى وهي قوله عز وجل من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد ويقال معنى هذه الاية من اراد بالجهاد ثواب الدنيا لم نحرم حظه من الغنيمة
واما قوله عز وجل ومن يرد ثواب الاخرة فمعناه ومن يرد بعمله ثواب الاخرة نعطه منها مع ما يقسم له
من الرزق في الدنيا ومعنى وسنجزي الشاكرين سنجزي المطيعين قال بعضهم نجزيهم الجنة في الاخرة
وقال بعضهم لا نحرمهم الدنيا بارادتهم ثواب الاخرة كما قال عز وجل من كان يريد حرث الاخرة نزد له في
حرثه **قوله عز وجل** **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي**
سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ معناه كم من نبي قاتل معه جماعات كثيرة
فما فتروا فيما بينهم لما اصابهم في طاعة الله وما جبنوا عن قتال عدوهم لدين الاسلام ۝ وفي كاين
ثلث لغات كاين بتشديد اليا على وزن كعين وكاين على وزن كاع وكاين على وزن كع واصل
هذه الكلمة كاف التشبيه واي للاستفهام وان للشرط وحروف الافراد تودي معاني فاذا ركبت ادت
معاني بخلاف الاول وهذا مثل لولا ولوما وهلا كلمات تقتضي التحريض عند التركيب وكانت قبل
التركيب تودي غير ذلك المعنى وفي قاتل ثلث قراات قاتل على معنى قاتل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه
ربيون والثاني قتل على معنى قتل النبي صلى الله عليه وسلم ويوقف عليه والثالث قتل بغير وقف عليه على
معنى قتل معه الربيون لمجاهدتهم معه قال الحسن رضى الله عنه لم يقتل احد من الانبياء
صلوات الله عليهم قط في معركة ولو وقف على قتل لادى الى ان نبيا قتل في معركة وعلى هذا يكون
معنى فما وهنوا ما وهن من بقي منهم وهذا كما تقول الرجل قتلنا وسلبنا وهو لم يقتل وانما يريد بذلك
قتل قومه **واما** ربيون فهو جمع ربية والربة الواحدة عشرة الاف ويقال هو جمع ربي وهو العالم
التقي الصابر منسوب الى الرب جل وعز كما يقال الاهي واما كسر الرا فكما يقال للمنسوب الى امس امسي
بكسر الهمزة وكما يقال للمنسوب الى الدهر دهري بضم الدال ۝ والوهن انكسار الحد بالخوف ونحوه والضعف
نقصان قوة البدن والاستكانة الخضوع واظهار الضعف وهي افتعال من السكون **قوله**
عز وجل **وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ**
أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ حكاية قول الربيين من اتباع النبيين صلوات الله عليهم
المتقدمين ومعناه ما كان قولهم عند قتالهم عدوهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغاير والكبايد
ومعنى الاسراف في اللغة مجاوزة الحد بارتكاب الذنوب العظام ومعنى وثبت اقدامنا ثبتها للقتال بتقوية
قلوبنا واعنا على القوم الكفرين بالقا الرعب في قلوبهم اى هلا قلتم ايها المومنون كما قال الربيون
وهلا قاتلتم كما قاتلوا ويقرا قولهم في اول هذه الاية بالرفع على تقدير انه اسم كان والخبر ما بعد الا
والاكثر في الكلام ان يكون الاسم ما بعد الا فينتصب قولهم للخبر كما في قوله تعالى فما كان جواب قومه
الا ان قالوا وقوله ما كان حجتهم الا ان قالوا ونحو ذلك **قوله عز وجل** **فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ**
الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ معناه فاعطاهم الله النصر والفتح والثنا الحسن
في الدنيا والجنة في الاخرة والله يحب المومنين المجاهدين وفي الاية دلالة انه قد يجوز اجتماع الدنيا
والاخرة لواحد ۝ وعن علي كرم الله وجهه انه قال من عمل لدنياه اضر باخرته ومن عمل لاخرته اضر
بدنياه وقد يجمعهما الله لاقوام **قوله عز وجل** **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا**
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ معناه ان تطيعوا اليهود والنصارى فيما يقولون لكم
ان محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان حقا لما ظهر عليه المشركون يردوكم الى دين الشرك فتصيروا
مغبونين الى دينكم الاول **قوله عز وجل** **بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ** معناه بل الله
وليكم وناصركم وهو خير المانعين من الكفار لان احدا لا يقدر ان ينصركم نصره ولا ان يدفع كدفاعه وعند

وماخضعوا لعدوهم والله يرضى على الصابر على تال عدوهم

نصره لا يوثر فعل غيره ومن قرا بل الله بنصب الها فعلى معنى بل اطيعوا الله عز وجل **قوله عز وجل** سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين بشارة من الله عز وجل باسكان الرعب في قلوب الكفرة بعد وقعة احد ومعنى الاية سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب المخافة عقوبة لهم باشراكهم بالله شيا لم ينزل الله به كتابا فانه عذر وحجة لهم ومصيرهم في الاخرة النار وبئس مقام الظالمين النار في الاخرة واصل السلطان القوة وسلطان الملك قوته والتسليط على الشي التقوية عليه وانما سميت الحجة سلطانا لقوتها على قمع الباطل وقهر المبطل واصل الكلمة في الرعب ضم العين الا ان اكثر القرا يقرون بتسكين العين لاستثقال الضمتين وفي الاية دلالة صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر بالقاء الرعب في قلوب المشركين فكان كما اخبر كما روي في الخبران ابا سفين صعد جبلا يوم احد ينادي اعل هبل اعل هبل فاستاذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم في ان يجاوبه فاذن له فنادى عمر رضي الله عنه بل الله اعلا واجل فقال ابو سفين يوم بيوم وحنظلة بحنظلة فقال عمر لا سوا قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال ابو سفين نشدتك يا ابن الخطاب بمحمد صلى الله عليه وسلم في الاحيا فقال عمر اي والله يسمع كلامك فقال ابو سفين اين الموعد يعني نتحارب بعد هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل ببدر الصغرى وهو موضع يسمى بدر الصغرى وكانت وقعة احد على ثلث سنين من الهجرة وبدر الصغرى على اربع سنين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ببدر الصغرى على الموعد ورعب الكفار ولم يتجاسروا على الحضور ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب حتى ان العدو ليرعب مني على مسيرة شهر **قوله عز وجل** ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفى عنكم والله ذو فضل على المومنين معنى الاية والله تعالى اعلم لقد انجز لكم الله تعالى وعده لكم بالنصر على عدوكم يوم احد ان تصبروا وتتقوا وذلك انه لما صاف رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم احد جعل عبد الله بن جبير الانصاري مع خمسين من الرماة على ما يلي قبل خيل المشركين خلف المسلمين لئلا ياتيهم المشركون من خلفهم وقال لهم اذا رايتموهم يقتلوننا او نقتلهم فلا تبرحوا من مكانكم فلما هزم الله تعالى المشركين وراى الرماة الناس من المسلمين يقعون في الغنايم ظنوا ان من اخذ شيا فهو له فتركوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على النهب لا عبد الله بن جبير وثمانية من اصحابه رضي الله عنهم فخرج خالد بن الوليد مع مايتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل ذلك الشعب وكان هو يوميذ مشركا فقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف فية المسلمين وتفرق المسلمون ورجع المشركون فحملوا حملة رجل واحد فصار المسلمون من بين قتيل وجريح ومنهزم فذلك قوله عز وجل اذ تحسونهم باذنه تستاصلونهم قتلا في اول الحرب بامره وعلمه حتى اذا فشلتم يقول جبنتم من عدوكم واختلفتم في الامر الذي امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثبات على المركز وعصيتم الرسول من بعد ما اراكم الله عز وجل من النصرة على عدوكم قال بعض المفسرين جواب اذا فشلتم هاهنا مقدر كانه قال اذا فشلتم وتنازعتم امتحنتم بما رايتم من القتل والبلا وقال بعضهم الواو في قوله عز وجل وتنازعتم زايدة كما في قوله عز وجل حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال امرء القيس ولما اجزنا ساحة الحي وانتحى معناه انتحى قال سيبويه متى امكن ان لا يجعل حرف من كتاب الله عز وجل ملغى فهو اولى من غيره ومعنى منكم من يريد الدنيا من الرماة من يريد الدنيا وهم الذين وقعوا في الغنايم ولم يثبتوا عند المركز وقوله عز وجل ومنكم من يريد الاخرة اراد به الذين ثبتوا معهم حتى قتلوا وقوله عز وجل ثم صرفكم عنهم اي صرفكم الله عن المشركين بالهزيمة قيل ان المراد بالصرف في هذا الموضع رفع النصر وقيل معنى صرفكم اذن لكم في الانصراف فانه لما بقي الباقون من المسلمين وفيهم قلة لم يمكنهم الثبات للعدو فصاروا ماذونين بالانصراف غير مامورين

بالقتال

بالقتال حينئذ ومعنى ليبتليكم ليعاملكم معاملة المبتلين بان يجازيكم على ما يظهر من عملكم لا على ما يعلمه فيكم ويقال معناه ليبتليكم اولياونا واضاف الابتلا الى نفسه على جهة التفخيم للاوليا كما قال الذين يوذون الله واراد به اوليا الله عز وجل وقوله عز وجل ولقد عفى عنكم اي لم يعاقبكم عند ذلك فلم تقتلوا جميعا والله ذو فضل على المومنين ذو من عليهم بالعفو والتجاوز وفي الاية دلالة ان النصر من الله عز وجل في جهاد العدو مضمن باتباع امره والاجتهاد في طاعته وعلى هذا جرت عادة الله عز وجل في نصر المسلمين على اعدايهم ولهذا حين كان المسلمون من الصدر الاول لا يقاتلون الا الذين فرض الله عز وجل على عشرين الا يفروا من مايتين كما قال الله عز وجل ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين وكان عدد المسلمين وسلاحهم يوميذ اقل فنصرهم الله عز وجل يوم بدر على اضعاف المشركين وكان المشركون شاكين في السلاح فقتل المسلمون منهم ما شاوا واسروا كيف شاوا ثم لما خالط المسلمين بعد ذلك من لم يكن لهم مثل بصايرهم خفف الله تعالى عن الجميع فقال عز من قايل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم ماية صابرة يغلبوا مايتين ومعلوم انه لم يرد ضعف قوى الابدان ولا عدم السلاح لان قوة ابدانهم كانت باقية وكان عددهم اكثر وسلاحهم اوفر وانما اراد به انه خالطهم من ليس له قوة البصيرة مثل ما للاولين فالمراد بالضعف هاهنا ضعف النية واجرى الجميع مجرى واحدا في التخفيف اذ لم يكن من المصلحة تمييز ذوي البصاير منهم باعيانهم واسمايهم من اهل ضعف اليقين **قوله عز وجل** اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون راجع الى قوله عز وجل ولقد عفى عنكم لان عفوه عنهم لا بد ان يتعلق بذنب منهم وذلك الذنب ما بينه بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على احد ومعناه اذ تبعدون هربا في الارض بالهزيمة والاصعاد السير في مستوى الارض يقال اصعد فلان من مكة الى موضع كذا وقرا الحسن رضي الله عنه اذ تصعدون بفتح التا والعين والصعود هو الارتقا الى المكان المرتفع قال وقد كانوا يصعدون الجبل منهزمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي يا معشر المسلمين ويا اصحاب البقرة وال عمران انا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت اليه منهم احد حتى اتوا اعلا الجبل ولا تنافي بين القراتين لانه كان يوميذ في المنهزمين صاعد ومصعد ويحتمل انهم ذهبوا في بطن الوادي اولا ثم صعدوا الجبل ومعنى ولا تلوون على احد لا تعرجون ولا يقيمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقيم بعضكم على بعض والرسول يدعوكم في اخراكم اي من خلفكم وذلك انه لما انهزم المسلمون لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ الا ثلثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة بن عبد الله وسعد وثمانية من الانصار ومعنى فاثابكم غما بغم جزاكم غما متصلا بغم فاحد الغمين الهزيمة وقتل اخوانهم والثاني اشراف خالد بن الوليد عليهم في خيل المشركين من فم الشعب فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ان هذه العصابة هم الذين يعبدونك في هذه البلدة وانهم ان يقتلوا لا تعبد اللهم اصرفهم عنا فصرفهم الله عز وجل وقال بعضهم الغم الاول هو القتل والجراح والثاني بانهم سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قتل فانسا هم الغم الاول وقوله عز وجل لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اي اذ اثابكم غم النبي صلى الله عليه وسلم نسيتم له كل غم من فوت الغنيمة ووجود الهزيمة وقيل معناه ان من تزاحمت الغموم عليه واعتاد ذلك يقل حزنه وتاسفه على ما يفوته من الدنيا وقال الزجاج معنى اثابكم غما بغم جزاكم غما بغم بما غممتم به النبي صلى الله عليه وسلم بمفارقة المكان الذي امركم بحفظه ويقال ان قوله تعالى

في ع سنقذف

بعده ع

وعده ع

يقول ع

كيلا تحزنوا على ما فاتكم متصل بقوله عز وجل ولقد عفى عنكم ومعنى والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم
من اغتمام المسلمين وشماتة المنافقين **قوله عز وجل** ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة
نعاسا يغشى طايفة منكم وطايفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور وذلك انه
لما افترق الفريقان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه في اثرهم وقال له انظر
فان هم اجتنبوا الخيل وركبوا الابل فهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون
المدينة فخرج علي رضي الله عنه في اثرهم فاذا هم ركبوا الابل وقايدوا الخيل فالواقدا اجتمعنا
لنحارب ثانيا فرجع علي كرم الله وجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره عن حالهم وعما قالوا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذبوا فانهم عازموا الانصراف الى مكة فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامن المسلمون والقى الله عز وجل عليهم النوم فما بقي منهم احد الا ضرب ذقنه صدره الا معتب
ابن قشير واصحابه الذين كانوا يشكون في امر محمد صلى الله عليه وسلم لما علم الله عز وجل من باطنهم خلاف
ما عليه من المومنين منعهم ما اعطى المومنين فترددوا في الخوف على انفسهم وسوء الظن بربهم يئسوا
من نصره وشكوا في سابق وعده وصادق عهده ومعنى الاية ثم انزل عليكم من بعد الغم الذي
كنتم فيه امنا وقوله نعاسا بدل من الامنة اي امنكم امنا تنامون معه لان الخايف لا ينام وبهذا
قال ابن مسعود رضي الله عنه النعاس في الصلوة من الشيطان وفي القتال من الرحمن وقوله
عز وجل يغشى طايفة منكم من قرا يغشى بالياء كان نعتا للنعاس ومن قرا بالتاء كان نعتا للامنة
وهذا كما في قوله عز وجل الم يك نطفة من مني تمنى يقرا بمنى بالياء والتاء والمراد بالطايفة التي
غشيهم النعاس في هذه الاية اهل الصدق واليقين وقوله تعالى وطايفة قد اهمتهم انفسهم
رفع بالابتدا وهذه الطايفة هم المنافقون معتب بن قشير واصحابه احزنتهم انفسهم يقال لكل
من خاف وحزن في غير موضع الحزن والخوف اهمته نفسه ومعنى يظنون بالله غير الحق يظنون
ان لا ينصر الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم كظنهم في الجاهلية ويقال
كظن الجهال وهم المشركون واما قوله عز وجل يقولون هل لنا من الامر من شيء ففيه وجهان
احدهما هل نطمع ان يكون لنا شيء من الظفر والدولة والثاني لو كان الامر الينا ما خرجنا
ولكنا اخرجنا الى القتال مكرهين قل لهم يا محمد ان النصر والظفر والدولة كل ذلك لله عز وجل
من نصب قوله تعالى كله جعله توكيدا للامر ومن رفعه جعله اسما مستانفا خبره لله وقوله تعالى
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي المنافقون يسرون ويضمرون في قلوبهم ما لا يظهرون لك
بالسنتهم يقولون سرا لو كان لنا من النصر والدولة شيء وكان دين محمد صلى الله عليه وسلم حقا
ما قتل اصحابنا هاهنا في اتباعه ويقال معناه لو لم تخرجنا الى الحرب وساوونا ما قتلنا واما
قوله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم فمعناه قل
للمنافقين لو تخلفتم انتم في بيوتكم لخرج الذين كتب عليهم القتل الى المكان المنكشف من مصارعهم
ومواضع قتلهم لا محالة لنفوذ قضاء الله عز وجل ويقال معناه لو كنتم في بيوتكم لما اخطاكم ما
كتب عليكم ويقال معنى الاية لو كنتم ايها المنافقون في بيوتكم لبرز الذين فرض عليهم القتال
وهم المومنون المخلصون الى موضع القتال صابرين محتسبين واما قوله عز وجل وليبتلي الله
ما في صدوركم فهو معطوف على قوله عز وجل ليبتليكم ومعناه وليختبر ويظهر ما في قلوبكم باعمالكم

لانه

لانه علمه غيبا فيعلمه مشاهدة ومعنى وليمحص ما في قلوبكم يبين ما في قلوبكم ليذهب نفاق من
شاء منكم والله عليم بما في القلوب من الخير والشر **قوله عز وجل** ان الذين تولوا
منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم
ان الله غفور حليم معناه والله تعالى اعلم ان الذين انهزموا منكم معشر المومنين يوم التقى
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وجمع ابي سفين واصحابه انما استزلهم
الشيطان عن اماكنهم ببعض ما كسبوا وهو مفارقة المكان الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحفظه ولقد عفى الله عنهم حين لم يستاصلهم ويقال في معنى الاية ان هولاء لم يتولوا
على جهة المعاندة والفرار من الزحف ولكن اذكرهم الشيطان خطاياهم التي كانت منهم فكرهوا
لقا الله تعالى الا على حالة يرضونها ولذلك عفى الله عنهم ولهذا قيل ان الشيطان اذا لم يقدر
ان يوسوس الى الانسان في الدعا له الى المعصية وسوس اليه بان يريه شيا طاعة ومعنى ان الله
غفور حليم متجاوز لذنوبهم لم يعجل العقوبة عليهم وروي ان رجلا من الخوارج اتى عبد الله بن عمر
فساله عن عثمن رضي الله عنه اكان هو في الخمسين الذين هربوا يوم احد فقال نعم قال اشهد
يوم بدر فقال لا فقال اشهد بيعة الرضوان فقال لا فولى الرجل يهتز فرحا فلما احس ابن عمر
ببغضه عثمن رضي الله عنه قال له ارجع واجلس فرجع وجلس فقال له ابن عمر اما يوم بدر فان
النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على ابنته ام كلثوم يقوم عليها فانها كانت مريضة فتوفيت يوم
هزم المسلمون الكفار فكان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في الغزو وعثمن في تكفين ابنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنها والصلوة عليها فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم جعل اجره
كاجرهم وسهمه كسهمهم واما بيعة الرضوان فقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيساره على يمينه
فقال هذا عن عثمن وعلمنا ان ضرب يسار النبي صلى الله عليه وسلم على يمينه ليس باقل من ضرب
يمين غيره على يمينه واما يوم احد فقد ذكر الله عز وجل العفو عنهم بقوله عز وجل ولقد عفى عنكم
فقام الرجل خزيان ناكسا راسه **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا
وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله
ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير خطاب للمومنين المخلصين
معناه لا تكونوا كمنافقي اهل الكتاب عبد الله بن ابي واصحابه قالوا لاخوانهم اذا ساروا في الارض
تجارا مسافرين فماتوا من سفرهم ذلكا وكانوا في الغزو فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا في سفرهم وما قتلوا
في الغزو وانما قال اذا ضربوا وحرف اذا يستعمل في الاستقبال وانما يستعمل في الماضي حرف اذ لان الغرض
من هذا اللفظ بيان ان شان المنافقين هذا ابدا فيما مضى وفيما يستقبل وهو نظير قول القايل ان فلانا
اذا حدث صدق اي ان ذلك عادته ابدا والغزا جمع غاز كما يقال ضارب وضرب وراكع وركع وقد يجمع
الغازي على غزاه كما يقال قاض وقضاه ويجمع على غزاء كما يقال صايم وصوام واللام في قوله عز وجل ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم لام العاقبة وتقديره لتصير عاقبة امرهم الى ان يجعل الله تعالى ما ظنوا حزنا يتردد
في اجوافهم وقوله والله يحيي ويميت تحذير عن التخلف عن الجهاد خشية الموت والقتل لان
الاحيا والاماتة الى الله عز وجل في الحضر والسفر وحال القتال وغير حال القتال وقوله عز وجل
والله بما تعملون بصير ترغيب في الطاعة وتحذير عن المعصية **قوله عز وجل** ولئن
قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون معناه لو قتلتم في طاعة
الله او متم فيها مغفرة الله عز وجل ورحمته خير لكم مما يجمعون من الاموال وانما قال ذلك وان
كان هذا معلوما لان من الناس من اثر الحيوة الدنيا على الجهاد في سبيل الله لخشية القتل بين الله عز وجل

أنّ ما يحصل من الثواب والمغفرة على الجهاد خير مما توثرونه انتم في الحيوة الدنيا ومن قرا يجمعون
بالياء فعلى الخبر معناه خير لكم ايها المومنون مما يجمع المنافقون من الدنيا **قوله عز وجل**
وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ معناه لئن متم على فرشكم او قتلتم في الغزو لالى الله ترجعون
في الاخرة اي كيف ما دارت القصة فان مصيركم الى الله عز وجل ولان تصيروا الى الله تعالى بالقتل الذي
تستحقون عليه العوض خير من ان تصيروا اليه بالموت الذي لا تستحقون عليه العوض وهو نظير قول امير المو
منين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ٥ فان تكن الابدان للموت انشيت ٥ فقتل امرئ بالسيف في الله افضل ٥
واللام في لان لام القسم وتصلح ان تكون للابتدا او التاكيد واللام في لمغفرة جواب القسم ويصلح ان يكون
موكدا لجواب الشرط ويقرا متم بكسر الميم ايضا وهما لغتان مات يموت ومات يمات **قوله عز وجل**
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ
لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ معناه
فبرحمة عظيمة من الله تعالى لنت لهم حتى صار لينك لهم سببا لدخولهم في الدين لان النبي صلى الله عليه
وسلم اتاهم بالحجج والبراهين مع لين وخلق عظيم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد
لولده فاذا اتى احدكم الغايط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولكن شرقوا او غربوا وفي الاية منة على
المومنين اذ جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما بهم واما حرف ما في قوله عز وجل فبما رحمة من الله
صلة وتوكيد عند اكثر اهل النحو لا يمنع الباء من عملها وقال بعضهم معناه فبشيء رحمة من الله تعالى وكذا قالوا
في فبما نقضهم ميثاقهم فبشيء نقضهم قال الزجاج لو قري فبما رحمةٌ من الله برفع الرحمة على معنى
فبما هو رحمة من الله لجاز ولكن لا يقرا بها لان القراة سنة متبعة **واما** قوله عز وجل ولو كنت فظا غليظ
القلب فمعناه لو كنت يا محمد صلى الله عليه وسلم خشنا في القول سيئ الخلق قاسي القلب لتفرقوا من حولك
فلم تر منهم احدا ولكن الله تعالى جعلك سهلا سمحا طلقا لطيفا لينا بارا رحيما والفظاظة الجفوة في القول
واصل الفظ الفظظ كما يقال صب اصله صبب ومثله في فيا المضاعف من فرق يفرق ورجل فرق ويسمى
ما الكرش فظا لغلظ مشربه **واما** قوله عز وجل فاعف عنهم معناه تجاوز عنهم في الجريمة التي تكون
بينك وبينهم وكانوا عصوا النبي صلى الله عليه وسلم في الانهزام وترك المركز وترك الاجابة لدعوته ارجعوا
فندب الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العفو عنهم بالثنا عليه في حسن خلقه وقوله تعالى واستغفر
لهم معناه واستغفر لهم الله عز وجل في الذنب الذي يكون منهم ٥ **واما** قوله تعالى وشاورهم في الامر
فمعناه اذا اردت ان تعمل عملا لم يكن عندك فيه وحي فناظرهم واعمل بتدبيرهم ومشورتهم وكان
النبي صلى الله عليه وسلم مستغنيا عن مشاورتهم فانه كان صلى الله عليه وسلم اسدهم رايا لكن الله عز وجل
انما امره بالمشاورة لتقتدي به الامة وليكون فيه تطييب لنفوس المومنين ورفع لاقدارهم وثنا عليهم
في حسن سرايرهم ويقال ان في المشورة ردا للملامة لانه يقول فعلت بمشورتكم **وعن** سهل بن سعد
الساعدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما شقي عبد قط بمشورة وما سعد باستغناء
براي ٥ ومعنى المشورة في اللغة اظهار الراي يقال شرت الدابة اشورها اذا امتحنتها وعرفت
هيئتها في السير ويقال شرت العسل واشرته اذا اخذته من موضع النحل ويقال فلان حسن
الصورة والشورة اي حسن الهيئة واللباس ٥ والشوار متاع البيت ٥ **فاما** قوله عز وجل فاذا عزمت
فمعناه اذا عزمت على شي فثق بالله وفوض اليه ولا تتكل على المشورة وفي هذا دليل ان الله عز وجل
انما امره بالمشورة فيما لم يكن عنده وحي لان العزيمة فيما فيه الوحي لابد ان تكون سابقة على
المشورة **وذهب** بعض الناس الى ان الله عز وجل انما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشورتهم في
امور الدنيا خاصة وهذا بعيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقتصر من دنياه على القوت والكفاف الذي لا

فصل فيه

فصل فيه وانما كان يشاور اصحابه في امر الحروب التي تشترك فيها الآرا كما روي انه نزل في غزاة بدر
موضعا فقال له الحباب بن المنذر ان كان نزولك هاهنا بوحي الله فسمعا وطاعة وان كان رايا
فالارا مشتركة فقال صلى الله عليه وسلم لا بل راي فقال ان بالقرب من هاهنا لموضع كمين فالاستقال
من هاهنا احسن فانتقلوا ونزلوا مكانا اخر وجعلوا حوض الماء وراء انفسهم وكذلك شاور النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه في اسارى بدر وسنذكر تلك القصة في موضعها ان شا الله تعالى **واما** قوله
تعالى ان الله يحب المتوكلين تحريض للمسلمين على التوكل **قوله عز وجل** إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ معناه
ان يمنعكم الله تعالى من عدوكم فلا غالب لكم من العدو مثل يوم بدر وان يخذلكم بان يكلكم الى
انفسكم ويرفع نصرته عنكم كيوم احد فمن ذا الذي يمنعكم من عدوكم من بعد خذلانه اياكم
وبالله فليتوكل المومنون في النصرة **قوله عز وجل** وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ
يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ معناه وذلك انهم اتهموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنايم يوم احد حتى وقعوا في عسكر المشركين ياخذون الغنايم
فظنوا ان من اخذ شيا تركه واياه وان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقسم لهم كما لم يقسم يوم بدر
ولهذا تركت الرماة المركز ووقعوا في الغنايم **وعن** عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما
انهما قالا نزلت الاية في قطيفة حمرا فقدت يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبي صلى الله عليه وسلم
اخذها فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى الاية ما كان لنبي ان يخون اصحابه فيستاثر شيا من
الغنيمة على وجه والفايدة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر بيان انه لم يكن ليقدم على
الخيانة مع النبوة اذ الخيانة من النبي صلى الله عليه وسلم اعظم من خيانة غيره فكان تخصيصه بالذكر
وان كانت خيانة غيره محرمة كما قال الله عز وجل فاجتنبوا الرجس من الاوثان وان كان الرجس
من الاوثان وغير الاوثان محرما وقيل فايدة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا لم يكن له ان يخون
وهو المتبوع فكيف يكون لاحد ممن يتبعه ان يخون ومن قرا ان يُغَلّ بضم اليا فمعناه ان ينسب الى
الغلول كما يقال فسقت فلانا اي لا ينبغي لاصحابه ان يخونوه وقيل معنى يغل يوجد غالا
كما يقال احمدت فلانا اي وجدته حامدا ويقال معناه ليس حق النبي صلى الله عليه وسلم ان يستر
عنه شي من الغنايم ان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو القاسم للغنيمة بين الغانمين **ومعنى**
ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة اي يخن ويات بما خان يوم القيمة كما روي في الخبر انه يمثل له
ذلك الشي في النار ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه حتى اذا انتهى اليه حمله على ظهره فاذا انتهى
الى الباب سقط عنه الى اسفل جهنم ويرجع وياخذه ولا يزال ذلك دابه الى ما شا الله ويقال يات بما غل
بوبال ما غل اي يوخذ بجزايه يوم القيمة **واما** قوله عز وجل ثم توفى كل نفس ما كسبت معناه
توفى كل نفس جزا ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على
سياتهم **والغلول** في اللغة اخذ الشي في الخفية ومنه الغلل وهو الما الذي يجري في اصل الشجر
والغل الحقد والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الثياب ويقال تغللت بالغالية وتغليت اذا
جعلتها في اصول الشعر ٥ **وعن** عبادة بن الصامت انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى جنب بعير من المغنم ثم تناول سنام البعير فاخذ وبرة منه فقال ايها الناس ان هذه من
غنايمكم فادوا الخيط والمخيط وما دون ذلك وما فوق ذلك فان الغلول عار على اهله ونار
وشنار على اهله يوم القيمة ٥ **وفي** بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ وبرة
فقال لا يحل لي من غنايمكم مثل هذا الا الخمس والخمس مردود فيكم **وروي** عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم انه سُئل بوادي القرى لمن الغنيمة فقال لله خمسها واربعة اخماسها الجيش فقيل وهل
احد احق بها من احد فقال صلى الله عليه وسلم لا ولا السهم تستخرجه من جسدك لست احق به من
اخيك المسلم وفي التغليظ في الغلول اخبار كثيرة وردت في غير الطعام والعلف فاما في الطعام والعلف
فقد وردت في اباحة ذلك من الغنيمة اخبار مستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم روى عن عبد الله بن ابي اوفى انه قال اصبنا طعاما يوم خيبر فكان الرجل ياخذ منه
قدر ما يكفيه ثم ينصرف وعن عبد الله بن المغفل انه قال وجدت جرابا من شحم يوم خيبر فالتزمته وقلت
لا اعطي احدا منه شيا اليوم ثم التفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم **قوله عز وجل**
أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ استفهام لمعنى
تقرير حال الفريقين يقول ليس من اتبع رضوان الله واخذ الحلال من الغنيمة كمن استوجب سخط الله باخذ
الغلول والحرام ويقال معنى باء بسخط من الله اي بوا سخط الله تعالى في نفسه وجعل نفسه مباءة
السخط وقيل في معنى الاية افمن اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيل الله كمن باء بسخط منه بالفرار من الجهاد وقوله عز
وجل وماواه جهنم وبئس المصير راجع الى من باء بسخط الله عز وجل اي بئس النار المصير صاروا اليه ولفظ بئس يستعمل في الشر كما
يستعمل في القبح **قوله عز وجل** هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ معناه ان الذين يتبعون
رضوان الله تعالى ذوو درجات رفيعة والاخرون ذوو دركات خسيسة فان لاحد الفريقين درجات
في الجنة وللاخر دركات في النار كما روي في الخبر ان اهل الجنة ليرون اهل عليين كما ترون الكوكب الدري في
افق السماوات ان ابا بكر وعمر منهم وانعما معناه زادا وقد قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
ولا يكون الاسفل الا لما له اعلا واوسط وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية خاصة في المومنين اي هم
طبقات بعضهم ارفع من بعض في الجنة وهذا كما يقال بنو تميم كذا وكذا بيتا اي هم اهل كذا وكذا من البيوت
ومعنى والله بصير بما يعملون اي عالم بمن يغل وبمن لا يغل **قوله عز وجل** لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ معناه لقد انعم الله عز وجل على المومنين اذ بعث فيهم
رسولا وهو النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى من العرب معروف النسب معروفا بالصدق والامانة
وكان يسمى الامين قبل الوحي ويقال بعثه الله عز وجل من جنس بني ادم ولم يبعث من الملائكة لان الرسول
اذا كان من جنسهم كان تعلمهم منه اسهل عليهم وقري في الشواذ من انفسهم بنصب الفا يعني من اشرف الناس
لان العرب افضل من غيرهم وقريش افضل العرب وبنو هاشم افضل قريش فجعل الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
من بني هاشم وقوله تعالى يتلو عليهم اياته اي يقرا عليهم القران بما فيه من اقاصيص الامم السالفة وهو امي
لم يقرا الكتب ومعنى ويزكيهم يطهرهم من الشرك والذنوب وياخذ منهم الزكوة التي يطهرهم بها يقال
لعامل الصدقات مصدق لانه ياخذ الصدقة ويقال معنى يزكيهم يشهد لهم بالزكا ومعنى ويعلمهم
الكتاب والحكمة يعلمهم القران والفقه وان كانوا من قبل ان ياتيهم محمد صلى الله عليه وسلم لفي ضلال عن الهدى
وخطا بين وهذا كالرجل يقول لولده لقد علمتك وادبتك وان كنت من قبل لفي غاية من الجهل **قوله
عز وجل** أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قيل ان الواو في اول هذه الاية واو النسق دخلت عليها الف الاستفهام
فبقيت مفتوحة على هيئتها وهذا كما يقول القايل فلان يقول كذا فيجاب اوهو ممن يقول ذلك ومعنى الاية
ولما اصابتكم مصيبة يوم احد قد اصبتم مثليها يوم بدر اي قتلتم يوم بدر سبعين منهم واسرتم سبعين وقتل منكم
يوم احد سبعون ولم يوسر منكم احد قلتم من اين اصابنا هذا الخزي ونحن مسلمون قل يا محمد صلى الله عليه وسلم هو من عند
انفسكم لمخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج عن المدينة وقد كان امركم بالمقام فيها

ليدخل عليكم الكفار فيقتلوهم في ازقتها ويقال هو من عند انفسكم انما اصابكم هذا من عند قومكم
بمعصية الرماة بتركهم ما امرهم به النبي صلى الله عليه وسلم ان الله على كل شي من النصر وغير ذلك قادر
قوله عز وجل وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ
لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ
معناه وما اصابكم معشر المسلمين يوم احد يوم التقى جيش المسلمين وجيش المشركين فبعلم الله عز وجل
وقضايه وارادته وقد يسمى العلم اذنا كما قال الله عز وجل واذان من الله ورسوله اي اعلام من
الله تعالى ورسوله ويقال اراد بالاذن التخلية بين المومنين والكفرين والا فالله تعالى لا ياذن في
المعصية ولكن لما كان الاذن هو الاطلاق بكلام يسمع سمي التخلية باسم الاذن واما قوله عز وجل
وليعلم المومنين لا يجوز حمله على ظاهره لان ظاهره يقتضي حدوث علم لله عز وجل لم يكن لكن العلم
يذكر ويراد به المعلوم كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا اي معلومك فينا فيكون معنى قوله عز وجل
وليعلم المومنين وليرى الله ايمان المومنين بثبوتهم على ما نالهم ويرى المنافقين بفشلهم وقلة صبرهم
على ما نزل بهم في ذات الله عز وجل وقيل معنى وليعلم المومنين وليعرف اولياء الله تعالى المومنين
متميزين من المنافقين الا ان الله عز وجل اضاف العلم الى نفسه تعظيما لاوليايه واما قوله عز وجل
وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله فقد روي ان عبد الله بن ابي واصحابه لما رجعوا الى
المدينة قبل القتال قال لهم عبد الله بن جبير تعالوا الى احد فقاتلوا في طاعة الله تعالى او ادفعوا عن انفسكم
وحريمكم ويقال معنى ادفعوا كثروا سوادنا حتى ندفع القوم بكثرتكم قال المنافقون لا يكون قتال
اليوم ولو نعلم ان يكون قتال لكنا معكم يقول الله عز وجل هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اي
كانوا قبل هذا القول عند المومنين اقرب الى الايمان بظاهر حالهم حتى هتكوا سترهم واظهروا ميلهم الى
الكفر فصاروا في ذلك اليوم اقرب الى الكفر وقوله تعالى اقرب لا يقتضي ان يكون لهم نصيب من الايمان
كما يقول الرجل لخصمه انا احق منك واصدق وابر لا يريد به ان يجعل لصاحبه نصيبا في الصدق واما
قوله عز وجل يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم كناية عن كذبهم في قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم
وذكر الافواه على معنى التاكيد لان الرجل يقول بالحاجر وبالاشارة ونظير هذا قوله عز وجل يكتبون
الكتاب بايديهم وقوله عز وجل يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم والمعنى والله اعلم بما يكتمون
اي الله تعالى اعلم منهم بانفسهم فيما يخفون من الشرك **قوله عز وجل** الَّذِينَ قَالُوا
لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
معناه هم الذين قالوا لاخوانهم من المنافقين بالمدينة وقعدوا هم بانفسهم عن الجهاد لو اطاعونا
المسلمون الذين خرجوا الى القتال ما قتلوا في الغزو قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم فادفعوا الموت
عن انفسكم ان كنتم صادقين في مقالتكم لو لم تخرجوا الى القتال ما قتلوا بل كان يجوز ان يدخل
عليهم العدو فيقتلوهم في قعر بيوتهم قال الفقيه ابو الليث رحمه الله سمعت بعض المفسرين
رحمهم الله يقول لما نزلت هذه الاية مات يومئذ سبعون نفسا من المنافقين **قوله عز وجل**
وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وجابر رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم يوم احد جعل الله تعالى ارواحهم في اجواف طير خضر
ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما راوا طيب منقلبهم

ومطعمهم ومشربهم وما اعد الله عز وجل لهم من الكرامة قالوا يا ليت اخواننا علموا ما اعد الله تعالى
لنا من الكرامة وما نحن فيه من النعيم فلم ينكلوا عند اللقا ولم يجبنوا في الحرب فقال الله عز وجل
انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الى اخر الايات الثلاث **قال**
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول الله عز وجل لهم ما تشتهون فيقولون ما نشتهي ونحن نسرح
في الجنة حيث نشا قلنا ثم يقولون في الثالثة ربنا نحب ان ترد ارواحنا في اجسادنا فنقتل فيك مرة اخرى
قال وارواح اهل الكفر في اجواف طير سود تغدو وتروح على النار **وعن** عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما انه قال اذا اقبل العبد الى العدو في سبيل الله تعالى اطلعت عليه زوجتاه من الحور العين
فقالتا اللهم وفقه وسدده فاذا ادبر قالتا اللهم اعف عنه وتجاوز عنه فاذا اقبل باهى الله عز
وجل به ملائكته فيقول انظروا الى عبدي يبذل نفسه ودمه ابتغا مرضاتي فتقول الملائكة يا رب
الا نذهب فننصره فيقول لهم خلوا عن عبدي فطال ما سهر ونصب في طلب النصر ابتغا مرضاتي
احب لقائي واحببت لقاه فيقاتل حتى يقتل فتنزل اليه زوجتاه من الحور العين حتى يستريح
ويسكن اليهما وتحيه الملائكة وتبشره بالجنة والكرامة ثم يوخذ روحه فيجعل في جوف طير اخضر
على حسب ما تقدم ذكره **ومعنى** الاية ولا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم الشهدا المقتولين في طاعة
الله عز وجل انهم اموات بل هم احيا عند ربهم يرزقون التحف معجبين بما اعطاهم الله عز وجل
من رزقه ويطلبون السرور بقدوم من لم يقدم عليهم من اخوانهم فيقولون ليت اخواننا
قتلوا كما قتلنا فنالوا من الثواب ما نلنا **وقال** السدي رضي الله عنه يرفع الى الشهيد كتاب
فيه خبر من يقدم عليه من اخوانه فيتعجل السرور بذلك كما يبشر الانسان بقدوم غايب له فيتعجل
السرور به قبل قدومه ويقال معنى ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم اي يستبشرون بان
لا خوف على اخوانهم الذين ياتونهم من بعدهم من المومنين وانهم لا يحزنون في الاخرة ويقال
معنى يستبشرون باخبار الله عز وجل اخوانهم الذين لم يقتلوا بما لهم من الكرامة ويستبشرون
ايضا ان لا خوف عليهم **وقد اختلف المفسرون** في قوله عز وجل عند ربهم
قال بعضهم معناه بحيث لا يملك ضرهم ولا نفعهم الا الله عز وجل ولم يرد به اثبات المسافة
والمكان لان المسافة والمكان لا يجوزان الا على الاجسام **وقال** بعضهم معناه بل احيا في علم ربهم
وليسوا باموات كما تحسبونهم وهذا نظير قول القايل هذا عند فلان كذا اي في علم فلان وجميع هذا
الذي ذكرناه في هذه الاية دليل ان الشهدا احيا في الحال لا ان معناه انهم سيحيون ويبعثون في الاخرة
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم في الفضل من المومنين لان في هذا التاويل لا يخبر ابطال تخصيص
الشهدا وحمل ظاهر اللفظ على المجاز دون الحقيقة **وقال** بعضهم معنى الاية لا تحسبنهم اموات
في دينهم بل احيا في دينهم يكتب اجورهم **قوله عز وجل** يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ
وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ معناه يستبشرون بجنة الله وما اعد الله تعالى لهم من الكرامة
ويستبشرون ان الله تعالى لا يضيع ثواب الموحدين ومن قرا وانّ الله بالكسر فهو على الابتدا
وفي حرف ابن مسعود والله لا يضيع اجر المومنين وهذا يويد قراة الكسر وبالله التوفيق
قوله عز وجل الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ يجوز ان يكون اول هذه الاية في موضع الخفض على النعت للمومنين والاحسن
ان يكون في موضع الرفع على الابتدا وخبره للذين احسنوا ومعنى الاية الذين اجابوا الله تعالى بالطاعة
والرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج الى بدر الصغرى من بعد ما اصابهم الجراح للذين وافوا منهم
الميعاد واتقوا سخط الله تعالى ومعصيته ثواب وافر في الجنة **قال** ابن عباس رضي الله عنهما

وذلك انهم تواعدوا يوم احد ان يجتمعوا ببدر الصغرى في العام القابل فلما حضر الاجل ندم المشركون
فلقي ابو سفين نعيم بن مسعود وكان يخرج الى المدينة للتجارة فقال اذا اتيت المدينة
فخوفهم كي لا يخرجوا ولك عشر من الابل ان رددتهم فلما قدم نعيم المدينة وكان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريدون موافاة ابي سفين قال لهم بيس الراي رايتم اتوكم في دياركم وقراركم فلم
يفلت منكم الا الشريد تريدون ان تاتوهم في ديارهم وقد جمعوا لكم عبد اللطيمة اما ان الرجل الواحد
منهم يطيق عشرة منكم اذا والله ما يفلت منكم الا الشريد نكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخروج اليهم وتثاقلوا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منهم قال والذي نفسي بيده
لاخرجن اليهم وان لم يخرج معي منكم احد فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للميعاد ومعه نحو من سبعين
رجلا حتى انتهوا الى بدر فلم يخرج اليهم ابو سفين ولم يلقوا بها احدا من المشركين فتسوقوا من السوق
حاجتهم ثم انصرفوا فذلك قول الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول **قوله عز وجل** الَّذِينَ
قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ معناه الذين قال لهم نعيم بن مسعود ان ابا سفين واصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم
ولا تخرجوا اليهم فزادهم هذا القول تصديقا ويقينا وجراة على القتال كما قال الله عز وجل في اية
اخرى ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الى
اخر الاية ومعنى وقالوا حسبنا الله ثقتنا بالله ويقال كافينا الله عز وجل اي هو الذي يكفينا
امرهم ونعم الناصر والحافظ وانما ذكر في الاية والله اعلم نعيم بن مسعود بلفظ الناس لان
الواحد قد يذكر بلفظ الجماعة على معنى الجنس وهذا كما يقال فيمن خرج من السجن وراى انسانا
واحدا خرج فلان من السجن وراى الناس وراه الناس ويقول الرجل سمعت الناس يقولون كذا
وان كان سمع من واحد ولهذا قالوا من حلف وقال ان كلمت الناس فعبدي حر وكلم رجلا واحدا
حنث ويجوز ان يكون قول نعيم فشا في المدينة فكان الناس يقول بعضهم لبعض ان الناس
قد جمعوا لكم **قوله عز وجل** فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ
وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ معناه فانصرفوا باجر من الله عز وجل وفضل وهو
ما تسوقوا به من السوق وروي انهم اشتروا ادما وزيتا واشيا غير ذلك بسعر رخيص فربحوا
على ذلك ومعنى لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراحة واتبعوا رضوان الله تعالى في الخروج
الى المشركين والله ذو من عظيم بدفع المشركين عن المومنين **قوله عز وجل** إِنَّمَا ذَلِكُمُ
الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قال بعضهم اراد
بالشيطان نعيم بن مسعود وكل عات متمرد فهو شيطان ويقال معنى الاية ذلك التخويف
من عمل الشيطان ووسوسته واما قوله يخوف اولياه قيل ان معناه يخوف المنافقين ومن لا
حقيقة له في ايمانه فلا تخافوا المشركين في الخروج اليهم وخافوني في القعود عن الجهاد ان كنتم
مصدقين بما اعلمتكم اني انصركم والقي الرعب في قلوب الكفار وقيل معنى يخوف اولياه
اي من اوليايه لان التخويف يتعدى الى مفعولين كما قال الله عز وجل في موضع اخر لينذر باسا
شديدا اي بباس شديد وفي قوله عز وجل فلا تخافوهم دليل ان هذا القول الثاني هو الاصح
وذهب بعض المفسرين الى ان قوله عز وجل الذين استجابوا لله الى اخر هذه الايات
الاربع نزلت في حرب احد وذلك انه لما رجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة
قال صلى الله عليه وسلم رحم الله تعالى قوما انتدبوا لهولا المشركين ليعلموا انا لم نستاصل فانتدب
قوم ممن اصابهم الجراح في ذلك اليوم فشدوا على المشركين حتى كشفوهم عن القتلى بعد ان مثلوا

[illegible]

حمزة وقد كانوا همّوا ابا المثلة بقتلى المسلمين فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب فانهزموا
فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على القتلى المسلمين ودفنهم بدمائهم فجا اناس من العرب
وقد مرّوا بابى سفين ومن معه بموضع يسمى حمرا الاسد فقالوا المسلمين تركناهم متاهبين للرجوع
الى المدينه لقتل بقيتكم فعند ذلك قال المسلمون حسبنا الله ونعم الوكيل فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصحابه بالمسير اليهم فلما صاروا الى حمرا الاسد وهي على راس ثمانيه اميال من المدينه لم يروا المركين
هناك فانصرف المسلمون الى المدينه بنعمة من الله عز وجل وهي كفاية الله عز وجل لهم شر قريش حتى
لم ينلهم منهم شر ولا ضر بالوا وسمى الله تعالى هذه الكفاية فضلا لئلا يقدر في هذه النعمة انها مستحقة لا
محالة وفي قوله عز وجل ذو فضل عظيم بيان انه عز وجل يتفضل عليهم من بعد بنعيم الدنيا والاخرة
وبالله التوفيق **قوله عز وجل** ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا
الله شيا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم معنى الايه والله تعالى اعلم
ولا يحزنك يا محمد صلى الله عليه وسلم الذين يبادرون الى الجحد والتكذيب وهم اليهود كانوا يكتمون صفه النبي
صلى الله عليه وسلم ويقال هم مشركوا قريش كانوا يكذبونه وكان الناس يقولون لو كان حقا
لاتبعه اقرباوه وكان يشق ذلك عليه ويقال نزلت هذه الايه في قوم ارتدوا عن الاسلام فاغتم النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يامن ان يضره ردتهم فامنه تعالى من ذلك بقوله انهم لن يضروا الله شيا اى لم
ينقصوا شيا من ملك الله تعالى وسلطانه يريد الله الا يجعل لهم حظا نصيبا من الجنة في الاخرة وقال محمد
ابن اسحق يريد الله ان لا يجعل يريد احباط ثواب اعمالهم بما استحقوه من جرايمهم وقال الحسن
رضي الله عنه معناه يريد فيما حكم من عدل حكمه ان من اختار الكفر على الايمان فلا حظ له في الاخرة
وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم ظاهر المراد **قوله عز وجل** ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
لن يضروا الله شيا ولهم عذاب اليم معناه ان الذين اختاروا الكفر على الايمان لم ينقصوا من ملك الله
عز وجل وانما اضروا بانفسهم حيث استوجبوا لانفسهم العذاب ولهم عذاب وجيع في الاخرة فان قيل كيف
اعاد قوله عز وجل لن يضروا الله شيا وما الفايدة فيه قيل ان المراد به في الايه الاولى تسليه النبي
صلى الله عليه وسلم والمراد به في الايه الثانيه بيان ان مضرة كفرهم لاحقة بهم **قوله عز وجل**
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب
مهين من قرا ولا تحسبن بالتا فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم
اليهود والنصارى والمنافقين ان املاءنا خير لهم من ان يموتوا كما مات شهدا احد ويقال معناه
ولا تحسبن املانا لهم لخير وتوبة تقع منهم انما املاونا لهم ان تكون عاقبه امرهم ان يزدادوا بذلك
معصيه على معصيه ولهم عذاب مهين يهانون فيه ويقال ان المراد بالذين كفروا اشركوا قريش
كان الله تعالى قال ولا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اصابوا من الظفر يوم احد خير
لانفسهم وانما كان ذلك ليزدادوا معصيه فيزداد في عقوبتهم وبجوز وقوع فعل الحسبان على
الاسم ويراد به ما بعده لان الحسبان يتعدى الى مفعولين كقولك حسبت زيدا منطلقا فيكون تقدير
الايه لا تحسبن املانا للذين كفروا ان ذلك خير لهم وهذا كما قال الشاعر
فما كان قيس هلكه هلك واحد ۞ ولكنه بنيان قوم تهدما ۞ معناه ما كان هلك قيس
هلك واحد ومن قرا انما نملي لهم بالكسر في الموضعين فلان الحسبان ليس بفعل حقيقي
فيبطل عمله مع ان كما يبطل عمله مع اللام تقول حسبت لعبد الله منطلق ويجوز ان يكون ما
في قول الله عز وجل انما نملي لهم خير عمادا وصلة وتقدير ذلك ولا تحسبن ان املانا خير لهم ومنهم
من جعلها في هذا الموضع اسما يكتبها على الانفصال اى لا تحسبن ان الذى نملي لهم خير لهم والاملا في

اللغة اطالة المدة والملاوة الحين من الدهر والملوان الليل والنهار ونظير اللام من قوله عز وجل
ليزدادوا اثما قوله عز وجل فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقد يقول الرجل للاخر ما زادك
وعظي الا شرا وما كان وعظي الاول الا هيك اذا كان لا يقبل موعظته ومن قرا لا يحسبن بالياء فمعناه لا
يظنن الكفار ان املانا خير لهم **قوله عز وجل** ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشا
فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال عبد الله بن عباس وذلك ان قريشا
من اهل مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تزعم فيمن خالفك انه من اهل النار واذا ترك
ديننا واتبع دينك فهو من اهل الجنة فاخبرنا عن هذا من اين هو واخبرنا من ياتيك ومن لا
ياتيك فانزل الله تعالى هذه الايه ومعناها لم يكن الله ليترك من كان في علمه السابق انه يومن على ما
انتم عليه من الكفر حتى يميز الكافر والمنافق من المومن المخلص وما كان الله ليطلعكم ويوقفكم على من
يصير منكم مومنا قبل ان يومن ولكن الله يصطفي من يشا للنبوة والرسالة فيوحي اليه ما يشا لان الغيب
لا يطلع عليه الا الرسل صلوات الله عليهم بوحي من الله عز وجل ليقيموا البرهان على ان ما اتوا به من
عند الله تعالى وهذا كما قال الله عز وجل في اية اخرى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول ومعنى فامنوا بالله ورسله صدقوا بالله ورسله وقوله عز وجل وان تومنوا وتتقوا
اى تصدقوا وتتقوا الشرك والمعصية فلكم ثواب عظيم في الجنه ومن قرا يميز بالتخفيف وفتح اليا فهو من
الميز وهو الفرق ويسمى العاقل مميزا لانه يفرق بين الحق والباطل واصل الاجتبا الجمع كان الله
عز وجل يخلص رسوله صلى الله عليه وسلم لنفسه حتى يكون له باجمعه وذهب بعض المفسرين
الى ان هذه الاية نزلت في المنافقين فانهم اعلنوا الاسلام واسروا الكفر وصلوا مع المومنين
فسال المخلصون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يميز الله تعالى بين الفريقين
ويطلعهم على سراير المنافقين فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها ان الله تعالى لا يترك
المومنين على ما انتم عليه ايها المومنون بظاهر الحال حتى يظهر نفاق المنافقين بالدلايل
التي تظهر منهم من تخلفهم عن الجهاد وتثبيطهم المخلصين عنه وما كان الله ليجعل لكم
علامة تعرفون بها حقيقة ما في قلوب المنافقين ولكن الله يصطفي من رسله من يشا فيطلعه
على الغيب **قوله عز وجل** ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات
والارض والله بما تعملون خبير من قرا ولا تحسبن بالتا فمعناه لا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم
بخل الذين يبخلون بما اعطاهم الله تعالى من فضله من اماله فيمنعون ذلك من حق الله تعالى من الزكوه
والجهاد وساير وجوه البر الذي اوجب الله تعالى عليهم لا تظنن ذلك خيرا لهم وانما حذف ذكر البخل في
اول الايه لان المضاف اليه قد يذكر ويراد به المضاف كما في قوله عز وجل واسال القريه ولان لفعل
المذكور بقوله عز وجل يبخلون يدل على البخل وهو كقول القايل ۞ اذا نهي السفيه جرى اليه ۞
وخالف والسفيه الى خلاف ۞ وانما هو في قوله عز وجل هو خيرا لهم للفصل ويسميه
الكوفيون العماد ومعنى بل هو شر لهم بخلهم شر لهم وقوله عز وجل سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة اى سياتون يوم القيمة بما بخلوا به من الزكوة ونفقة الجهاد كهيئة
الطوق في اعناقهم وهذا كما قال الله عز وجل في اية اخرى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه ومرفوعا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ياتي كنز احدكم شجاعا اقرع له زبيبتان فيطوق

يا أهل مكة

في عنقه يلدغ بحذبه ويقول انا الزكوة التي بخلت بي في الدنياه ومن قرا ولا يحسبن باليا فالفعل
للباخلين كانه قال ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم ه **وذهب** بعضهم الى ان المراد
بهذه الاية اليهود بخلوا ببيان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والبخل الناس بن بخل بعلمه ومعنى
سيطوقون على هذا القول سيطوقون وزره وما ثمه كقوله عز وجل يحملون اوزارهم على ظهورهم
والاظهران هذه الاية في بخل المال والبخل في اللغه منع الحق الواجب ولذلك يعد ذما فيما بين الناس
وقال صلى الله عليه وسلم واى دا ادوا من البخل ه واما منع التفضل فلا يكون بخلا ولو جعل ذلك بخلا لكان
صاحب المال العظيم لا يتخلص من البخل الا باخراج ماله كله من ملكه **واما** قوله عز وجل ولله ميراث
السموات والارض فهو تحريض على الانفاق ومعناه يموت اهل السموات واهل الارض كلهم من الملايكة
والجن والانس ولا يبقى الا الله عز وجل واذا كانت الاموال لا تبقى للناس ولا يحملونها مع انفسهم
الى قبورهم فالاجدر بهم ان ينفقوها في الوجوه التي امرنا الله عز وجل فيستوجبون بها الحمد
والثواب ه وانما سمى الله تعالى هذا ميراثا والاملاك في الحقيقه كانت لله عز وجل قبل الخلق لانه خاطب
الخلق على قدر عقولهم وهم يسمون ما يخلص للحي من الميت ميراثا فلذلك ذكر بلفظ الميراث والله
تعالى اعلم وقوله تعالى والله بما تعملون خبير اى عالم بمن يودى الزكوة وبمن يمنعها وفي هذا
تاكيد للوعد والوعيد لانه اذا علم جازى المحسن على احسانه والمسيء على اساته **قوله عز وجل**
لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ نزلت هذه الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه فانهم
حين نزل قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا نرى اله محمد صلى الله عليه وسلم
يستقرضنا فاذا هو فقير ونحن اغنيا وانما قالوا ذلك تلبيسا على سفلتهم وطعنا في النبوه على انه لو كان
عز وجل هو الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وهو القادر على كل شي لم يكن ليستقرض وكانوا يعلمون في
انفسهم ان لفظ الاقراض تلطف في الاستدعا الى الانفاق وانما سمى الله عز وجل الصدقه قرضا من حيث
ان المقرض يرد عليه ماله ويبقى له الشكر وكذلك الله عز وجل يرد على المتصدق ضعف صدقته
ويبقى له الثواب ومعنى سنكتب ما قالوا ستكتب الكرام الكاتبون عليهم بامرنا قولهم ذلك وقتلهم
الانبيا بغير جرم منهم ويقال معنى سنكتب سنحفظ واجرى على اللفظ اسم الكتابه لان الكتابه انما
تكون للحفظ ويقرا سيكتب على فعل ما لم يسم فاعله وقتلهم الانبيا بضم اللام ويقول بالياء وفي هذا
زجر لليهود عن المعصية فانهم اذا علموا ان ما يعملونه مكتوب في المصاحف وانهم يقرونه في
الاخرة على روس الاشهاد كانوا ابعد من المعاصي في الدنيا ولو تفكروا ومعنى ونقول ذوقوا عذاب
الحريق نقول لهم يوم القيمه ذوقوا العذاب المحرق ويقال للذي يوئس من المعذوق ما
انت فيه اى لست بمتخلص منه وقيل ان النار لا تذاق ولكن لما كانت وجوه الكفار تعبس عند
رويتها اطلق اسم الذوق عليها لان الدوا اذا ذيق تبينت الكراهة والبغض في وجه ذايقه
قوله عز وجل ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ معناه
ذلك العذاب بما قدمتم على الكفر والتكذيب وقتل الانبيا صلوات الله عليهم وانما اضاف الى اليد
على وجه الصلة لان العمل اكثر ما يكون باليد واما قوله وان الله فمعناه وبان الله لا يعذب
احدا بغير ذنب ولا يمنع احدا اجزاه حسب استحقاقه خيرا فعله العبد او شرا وليس لاحد
ان يقول اذا لم يكن الله ظالما اصلا فلماذا نفى ان يكون ظلاما لان الفايده في هذا اللفظ
بيان ان العذاب الذي يتوعد الله عز وجل ان يفعله بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد
عظمه **قوله عز وجل** الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا
بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
نزلت الاية في كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا امرنا الله في التوريه ان لا نصدق رسولا يزعم انه من عند الله تعالى حتى ياتينا
بقربان فتجي نار من السما لها دوي وحفيف تاكل القربان كما كان في زمن موسى وزكريا ويحيى وغيرهم من الانبيا قبلهم عليهم السلام
فكان هذا القول تكذيبا منهم على الله عز وجل واعتلالا ومدافعة في الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم فاحتج

الحفظ

معجما فاحتج الله عليهم بقوله عز وجل قل قد جاءكم رسل من قبلي اى قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم قد جاءكم رسل من قبلي
بالعلامات الواضحات المعجزات وبالذي قلتم اي من القربان فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين في مقالتكم وكانوا قتلوا
زكريا ويحيى وجماعة من الانبيا صلوات الله عليهم وزعموا انهم قتلوا عيسى عليه السلام **قوله عز وجل**
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ معناه فان نسبوك يا محمد صلى الله عليه وسلم الى الكذب فلست باول
رسول كذب لقد كذب نوح وهود وصالح وغيرهم من الانبيا صلوات الله عليهم جاوا بالعلامات
الواضحات وبالزبر والزبر جمع زبور وهو كل كتاب ذي حكمة يقال زبرت اذا كتبت وزبرت اذا قرات
وقيل ان الزبور هو الكتاب الذي يكثر فيه تكرر المزاجر وهو ماخوذ من الزبر يقال زبرت الرجل اذا
زجرته واما الكتاب المنير فهو الكتاب المبين للحلال والحرام ه **قوله عز وجل** كُلُّ نَفْسٍ
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ
فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله عز وجل
كل من عليها فان قالت الملايكة هلك اهل الارض فلما نزلت هذه الايه ايقنت الملايكة بالهلاك ومعنى
الاية كل نفس ذايقة شدايد الموت وانما تعطون جزا اعمالكم بتمامها يوم القيمه اى لا تغتروا
بتنعم الكفار ولا تحزنوا لشدايد المومنين فان كلا الفريقين يتفرقون فلا بوس يبقى ولا نعيم في الدنيا
وليست الدنيا دار جزا على الاعمال وانما الاخرة هي دار الجزا لان نعيم الدنيا مكدر لا يصفو وان عجل للمومنين
بعض النعيم فذلك لا يكون الا مشوبا بهموم الدنيا وانما توفى الله عز وجل جزا الكل في الاخرة على الكمال ودوام
ومعنى فمن زحزح عن النار من ازيل وبعد عن النار وادخل الجنة فقد نجا وسعد في الجنة يقال لكل
من نجا من هلكة او لقي ما يغتبط به فاز وسمي المفازه مفازة مع انها مهلكة على سبيل التفاول كما سمي اللديغ سليما
والاعمى بصيرا واما قوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور قال ابن عباس متاع الغرور
مثل القدر والسكرجه والقماش متاع في الدنيا ثم يذهب ويفنى كذلك الحيوة الدنيا ويقال ان متاع الغرور
ما يبر الانسان في الحال وعنيه الاماني ثم يوبقه في الهلكة وكان التاجر يهرب من متاع الغرور وهو ما يسارع
اليه الفساد مثل الزجاج الذي يسرع اليه الكسر ولا يصلحه الجبر كذلك ينبغي للعاقل ان يهرب من الدنيا الفانيه
الى متاع الاخرة **وعن** عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
سجيناه بثوب وجلسنا حوله نبكي فاتانا ات نسمع صوته ولا نرا شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فقلنا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال كل نفس ذايقة الموت وقرا الاية الى اخرها
ثم قال ان في الله تعالى خلفا من كل هالك وعزا من كل مصيبة ودركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا
فان المصاب من حرم الثواب قال فتحدثنا انه جبريل عليه السلام **قوله عز وجل** لَتُبْلَوُنَّ
فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وذلك ان الله عز وجل لما ذكر الجنه في الاية
المتقدمة اتى عقبها بما يدعو اليها ويوجبها فقال لتبلون في اموالكم ومعناه لتختبرن بالنقص والذهاب في الاموال
وفي ابدانكم بالامراض والاوجاع ويقال ان المراد بالابتلا فرايض الدين مثل الجهاد في سبيل الله والانفاق فيه
ويقال للواحد من المذكرين لتبلين وللاثنين لتبليان وللجماعة لتبلون ويقال للمراة لتبلين بكسر اليا
وللاثنتين لتبليان ولجماعة النسا لتبلين زيدت الالف لاجتماع النونات ه واما قوله عز وجل ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فمعناه ولتسمعن من الذين اعطوا التوريه والانجيل وساير كتب الله عز وجل
وهم اليهود والنصارى ومن مشركي العرب كلام اذى كثيرا اما من اليهود فقولهم عزير ابن الله وقولهم ان
الله فقير ونحن اغنيا ونحو ذلك ه ومن النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وثالث ثلاثه ه ومن المشركين قولهم الملايكة
بنات الله وعبادتهم الاوثان ونصبهم الحرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاذى ما يكره الانسان ويغتم
به ومعنى وان تصبروا ان تصبروا على اذى الكفار وتتقوا معصية الله عز وجل فان ذلك من عزم الامور
وخيرها والعزم في اللغه توطين النفس على امضا الامور **قوله عز وجل** وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ
مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا

به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون معناه وقد اخذ الله ميثاق اهل الكتاب ليبيّنن الكتاب بما فيه من
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته للناس ولا يخفون شيا من ذلك من قرا ليبيّننه بالياء فعلى الحكاية
لانهم غُيَّب ومن قرا بالتاء فعلى المخاطبة التي كانت في اخذ الميثاق اى قال لهم لتبيننه وقوله عز وجل
فنبذوه وراء ظهورهم اى رموا به خلف ظهورهم يقال للذي يترك الشي ولا يعمل به جعل ذلك الامر
خلف ظهرهم ومعنى واشتروا به ثمنا قليلا اختاروا بكتمان نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته عرضا يسيرا
من الماكل والهدايا التي كانت لعلمائهم من روسايهم فبئس ما يختارون الدنيا على الاخرة وقال الحسن وقتادة
رضي الله عنهما المراد بهذه الاية كل من اوتي علما فكتمه **قوله عز وجل** لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب
اليم في الاية قولان احدهما انها نزلت في اليهود كانوا يقولون نحن اهل الصلوة والصوم والكتاب الاول
والعلم الاول يريدون الفخر والمن والسمعة والريا لكي يثني عليهم ويحمدهم سفلتهم على ما يفعلون
من بيان صفة كتابهم والثاني انها نزلت في المنافقين كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم ويخالطون
المسلمين ويراون بالاعمال اليه يحبون ان يحمدوا ويمدحوا على ذلك واما قوله عز وجل فلا تحسبنهم
معناه لا تظننهم يا محمد صلى الله عليه وسلم بمنجاة اى بعد من العذاب ولهم عذاب وجيع في الاخرة
وتكرار ولا تحسبن في هذه الاية لطول القصة كقول العرب لا تظنن زيدا اذا جاءك وحدثك بكذا وكذا
فلا تظننه كاذبا ويجوز ان يكون خبر لا تحسبن الاول مضمرا تقديره لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ناجين وان ذلك خير لهم ومن قرا بما اتوا فمعناه بما اعطوا
من الدنيا ومن قرا بما اتوا فمعناه بما اعطوا من النفقة والصدقة **قوله عز وجل** ولله
ملك السموات والارض والله على كل شي قدير معناه ولله خزاين السموات والارض فخزاين
السموات المطر وخزاين الارض النبات ووجه اتصال هذه الاية بما سبق ان في هذا تكذيب اليهود
في قولهم ان الله فقير وبيان ان من كان مالك السموات والارض فهو قادر على الانتقام من الكفار
والاثابة للمومنين وعلى كل شي من الاشيا وبالله التوفيق **قوله عز وجل** ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب معناه ان في خلق السموات بما فيها من الشمس
والقمر والنجوم والارض بما فيها من الجبال والشجر والنبات والدواب واختلاف الليل والنهار
في المجي والذهاب واللون لعلامات واضحات لذوي العقول من الناس على توحيد الله عز وجل
وذلك ان تعاقب الاعراض المتضادة في السموات والارض مع استحالة وجودها عارية منها والاعراض
محدثة دليل على حدوث السموات والارض لان الاجسام اذا لم تخل من الاعراض مثل الحركة والسكون
والاجتماع والافتراق لم تكن الاجسام سابقة الاعراض وما لم يسبق المحدث فهو محدث ويستدل
بحدوثها على ان لها محدثا لاستحالة وجود حادث لا محدث له ويتدرج من ذلك الى ان محدثها
قديم لان محدث الاجسام لو كان محدثا لاحتاج الى محدث اخر فكان يتسلسل الى ما لا نهاية له
ويستدل من خلق السموات والارض الى ان محدثها حي عالم قادر سميع بصير ومن ذلك الى
انه لا يشبه الاجسام ولا شيا من الاشيا فانه لو اشبهها لم يخل من ان يشبهها من جميع الوجوه
او من بعضها فان اشبهها من جميع الوجوه فهو محدث مثلها وان اشبهها من بعض الوجوه
فواجب ان يكون محدثا من ذلك الوجه لان حكم المتشابهين واحد من حيث اشتبها فوجب ان
يتساويا في حكم الحدوث من ذلك الوجه وان يجوز على كل واحد منهما ما يجوز على الاخر من التغير
والزيادة والنقصان وفي مجي الليل والنهار على التعاقب على مقدار معلوم حتى ان مقدار النهار
في كل صيف يكون على مقداره في الصيف الماضي دليل على ان الذي ياتي بهما عالم لا يسهو ولا يغفل عن شي

وله

قوله عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار بيان لصفة اولي الالباب وفي قوله عز وجل
قياما وقعودا قولان احدهما ان المراد بذلك الذكر المطلق اى يذكرون الله تعالى في جميع احوالهم لان الانسان لا
يكون الا على احدى هذه الحالات الثلث الا في النادر والثاني ان المراد بالذكر الصلوة اى لا يدعون الصلوة فاذا
مرضوا يصلون قياما ان استطاعوا وجلوسا ان لم يستطيعوا قياما ومضطجعين ان لم يستطيعوا جلوسا
ومعنى ويتفكرون في خلق السموات والارض يتفكرون في عظم شانهما وما فيهما من الايات والعبرات قايلين
يا ربنا ما خلقت هذا الخلق للباطل والعبث بل خلقته دليلا على وحدانيتك وصدق ما اتت به انبياوك تنزيها
لك وبراة لك من ان تكون خلقتهما باطلا فادفع عنا عذاب النار روى انه لما نزلت هذه الاية قال صلى الله
عليه وسلم ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتامل فيها وهذا حث على النظر في دلالات الله عز وجل وزجر عن
الاتكال على التقليد **قوله عز وجل** ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين
من انصار من دعا اولي الالباب ومعناه يا ربنا انك من تدخل النار يوم القيمة فقد اهنته واذللته وتقال
اوقفته موقفا يستحيى منه واسم الخزي يحتمل الفضيحة ويحتمل الحيا وفي تفسير قتادة انك من تخلد في النار
فقد اخزيته ومعنى وما للظالمين من انصار ما لهم من مانع يمنعهم مما يراد بهم من العذاب **قوله عز
وجل** ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سياتنا وتوفنا مع الابرار معناه والله اعلم يقولون ربنا اننا سمعنا محمدا صلى الله عليه وسلم
يدعو الخلق الى الايمان بان امنوا بربكم فاجبنا الى ما دعانا اليه وامرنا به وعن محمد بن كعب القرظي
انه قال المنادي كتاب الله عز وجل يدعو الناس كلهم الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وانما وضع اللام موضع الى لان اللام للغرض الذي هو الغاية والى للغاية فصح ان يوضع احدهما موضع الاخر
ومعنى فاغفر لنا ذنوبنا اى اغفر لنا الكباير وما دون الكباير وكفر عنا شركنا في الجاهلية هكذا قال الكلبي وقيل
ان الذنوب والسيات بمعنى واحد وقيل انما جمع بين اللفظين لان المغفرة قد تكون ابتدا وتكفير السيات انما
يكون بطاعات اعظم منها وهو نظير احباط الطاعة بالمعصية ومعنى وتوفنا مع الابرار اى اجعل ارواحنا
مع ارواح الانبيا والصالحين الذين كانوا قبلنا ويقال هذا دعا الاستعاذة من شر اخر الزمان كقول يوسف
عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين والابرار يجوز ان يكون جمع بار كما يقال صاحب واصحاب ويجوز
ان يكون جمع البر كما يقال جد واجداد وثوب واثواب وعن الحسن رضي الله عنه ان البر هو
الذي لا يوذي الذر **قوله عز وجل** ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم
القيمة انك لا تخلف الميعاد معناه ويقولون يا ربنا اعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك ولا تخذلنا ولا
تعذبنا يوم القيمة انك لا تخلف ما وعدت من الجنة والثواب للمومنين فان قيل ما فايدة الدعا لانجاز
الوعد مع العلم بان الله عز وجل منجز وعده قيل فايدته التعبد والخضوع والخشوع له ورفع الحاجة
اليه في عموم الاحوال وقيل معناه واجعلنا من اهل استحقاق ثوابك لا من يستحق عقابك وانصرنا على الكفار
كما وعدتنا **قوله عز وجل** فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى
بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن
عنهم سياتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن
الثواب معناه فاجابهم ربهم باني لا احبط عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم اولياء بعض في الدين
الاخر من الاول والاول من الاخر فالذين هاجروا من مكة الى المدينة واخرجوا من اوطانهم واوذوا في طاعتي
وقاتلوا المشركين مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتلهم العدو في الجهاد لاكفرن عنهم ذنوبهم ولادخلنهم بساتين تجري
من تحت شجرها ومساكنها الانهار جزاء من عند الله وقوله عز وجل ثوابا نصب على المصدر معناه لاثيبنهم ثوابا

كما في قول الله عز وجل كتاب الله عليكم وقوله عز وجل صنع الله الذي اتقن كل شي والله عنده حسن الجزا
للموحدين المطيعين ومن قرا وقتلوا بالتشديد فعلى معنى التكثير والمبالغه وتقطيع الاعضا ومن قرا وقُتلوا
وقاتلوا على التقديم والتاخير فلان الواو لا توجب الترتيب ويجوز ان يكون معناه وقتل بعضهم وقاتل
بعضهم كما يقال قُتلنا اي قُتل عشايرنا **قوله عز وجل** لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد ابتدا هذه الايه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به اصحابه كانه قال لا يغرنك ايها السامع ذهاب اليهود ومجيئهم في تجاراتهم ومكاسبهم في الارض منفعة
يسيرة في الدنيا تنقطع وتفنى ثم مصيرهم الى جهنم وبئس الفراش النار ويقال انما كان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يغره شي لتحذير الله عز وجل له عن الاغترار بشي وتاديبه اياه تحسن الخطاب له **قوله عز وجل**
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله
خير للابرار تقدير هذه الايه مع ما قبلها والله اعلم لا يعجبك يا محمد صلى الله عليه وسلم تقلبا ولكنا لكفار في
نعيم الدنيا بل ما اعطي المتقون في الاخرة افضل فان الذين اتقوا ربهم ووحدوه واطاعوه فيما امرهم به
ونهاهم عنه لهم بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها الانهار مقيمين فيها نزلا اي رزقا وثوابا لهم وهذا
نصب على التفسير كما يقال هذا الشي هبة لك وصدقة ونحو ذلك ويجوز ان يكون نصبا على المصدر على
معنى انزلها نزلا ويقال جعل ذلك لهم نزلا والنزل ما يهيا للنازل من كرامة وبر وطعام وشراب وملهى ومنظر
حسن كما جرت العادة به في ايصال النزل الى الضيف ومعنى وما عند الله خير للابرار اي ما عند الله تعالى
من الجزا والثواب خير للصالحين مما لهم في الدنيا ثم اخبر الله عز وجل عن حال من امن من اهل الكتاب وخشوعهم
وبر عنتهم عن ان يشتروا بايات الله ثمنا قليلا **فقال عز وجل** وان من اهل الكتاب لمن
يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا
اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب معناه وان من اهل الكتاب لمن يصدق بالله
والقران والتوريه والانجيل والزبور وساير كتب الله عز وجل وهم عبد الله بن سلام واصحابه خاشعين لله اي
ذليلة انفسهم لله عز وجل لا يشترون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران عرضا يسيرا كما فعله روسا اليهود
اولئك لهم ثوابهم عند ربهم ان الله سريع الحساب اذا حاسب فحسابه سريع لا يوخر جزا اعمالهم يوم
القيمة لطول الحساب **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه يا ايها الذين اقروا بتوحيد الله تعالى ونبوة رسوله صلى الله
عليه وسلم اصبروا على ادا الفرايض واجتناب المحارم وصابروا اعداكم في الجهاد ومصابرة العدو
ملاقاة صبرهم على مكروههم بالصبر عليهم في مقاتلتهم ورابطوا خيولكم على الجهاد والرباط
والمرابطة ان يربط كل واحد من الفريقين خيولهم في الثغر ليوعد به صاحبه ويقال معنى
المرابطة ان يربط كل واحد منزل للمقاتلين لقتال صاحبه ويقال معنى المرابطه المحافظة على الصلوات
كما روي في الخبر هو انتظار الصلوه بعد الصلوة فذلكم الرباط واصل الربط الشد والرباط الحبل الذي
يُشد به ثم اكد الله عز وجل هذه الطاعات بالتقوى فقال عز من قايل واتقوا الله لعلكم تفلحون
اي تتقوا الله في كل ما امركم به ولا يكن كذكركم الجهاد فقط لكي تكونوا على رجا الفلاح وانما غيب عنهم
ما امرهم ليكونوا حذرين وجلين فان ابن ادم اذا امن طغا وعن جعفر بن محمد الصادق رضي الله
عنه انه قال ومعنى هذه الايه اصبروا عن المعاصي وصابروا مع الطاعات ورابطوا الارواح بالمشاهدة
لكي تبلغوا مواقف اهل الصدق فانها محل الفلاح وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا ال عمران اعطي بكل ايه منها امانا على الصراط وبالله التوفيق

سورة النسا مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية عند البصريين

وست وسبعون عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها
الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما
رجالا كثيرا ونسا واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا
قال ابن عباس رضي الله عنهما قد يكون يا ايها الناس عاما وقد يكون خاصا لاهل مكة وهو في هذا الموضع
عام لجميع الناس ومعنى اتقوا ربكم اخشوا واطيعوا ربكم وانما ابتدا الله عز وجل هذه السورة
بالموعظة لان الامر بالاشيا والنهي عن الاشيا اذا ابتدا الكلام بالوعظ كان ذلك انجع في السامعين ثم
اخبر جل ذكره بما يدل على انه واحد وان حقه سبحانه ان يتقى فقال عز من قايل الذي خلقكم من
نفس واحدة اي خلقكم جميعا من نفس ادم عليه السلام وحدها وانما انث النفس لاعتبار اللفظ
دون المعنى وهذا كما قال الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى ۞ وانت خليفة ذاك الكمال ۞
فقال ولدته اخرى وان اراد به ذكرا لان لفظ الخليفة مونث وانما من الله تعالى علينا بان خلقنا
من نفس واحدة لان ذلك اقرب الى ان يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضا لرجوعنا جميعا
في القرابة والاخوة الى اصل واحد واما قوله عز وجل وخلق منها زوجها معناه خلق من نفس ادم عليه
السلام زوجها حوا خلقها من ضلع من اضلاعه اليسرى وهي القصيرى بعدما القي عليه النوم
فلم يوذه ولو اذاه ما عطف عليها ابدا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان
المراة خلقت من ضلع اعوج فان اردت ان تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها على عوج
واما قوله عز وجل وبث منهما رجالا كثيرا معناه نشر وفرق من ادم وحوا خلقا كثيرا من الرجال
والنسا وقوله تعالى جده واتقوا الله الذي تساءلون به اي اتقوا معاصي الله بحفظ الذي فرضه
عليكم وحقيقة الاتقا ان تجعل بينك وبين الشي الذي تتقيه حاجزا يحجز بينك وبينه والفايدة في
اعادة الامر بالتقوى ان الثاني لبيان ان حقه عز وجل ان يتقى لانكم تساءلون به ومعنى تساءلون
اي يسال بالله بعضكم بعضا من الحوايج والحقوق يقول الرجل للرجل انشدك بالله واسالك
بالله ومن قرا بتشديد السين فلادغام التا في السين لقرب مخرجهما ومن قرا بالتخفيف فلان التا
الثانيه حذفت لاجتماع التايين واما قوله عز وجل والارحام ففيه قراتان من قرا بالنصب فمعناه
واتقوا الارحام ان تقطعوها وقد روي في الخبر ما يوافق ما ورد به التنزيل قال صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل انا الله الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته
ومن قطعها قطعته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من شي مما اطيع الله تعالى فيه
باعجل ثوابا من صلة الرحم وما من شي مما يعصى الله فيه باعجل عقوبة من البغي واليمين الفاجرة تدع
الديار بلاقع وعن هذا قال اصحابنا رحمهم الله ان الهبة لذي الرحم المحرم تقع قربة لله تعالى فلا
يصح الرجوع فيها كما لا يصح الرجوع في الصدقة ۞ واما من قرا والارحام بالخفض فمعناه يتساءلون بالله
وبالرحم وهو قولهم اسالك بالله وبالرحم قال الزجاج رحمه الله استقبح النحويون نسق اسم الظاهر
على المضمر المجرور لا يقولون مررت بك وزيد وبه وزيد الا ان اظهر حرف الخفض مع المظهر يقولون
بك وبزيد قال المازني الاسم الثاني في العطف شريك الاول فكما لا يصلح ان يقال مررت بزيد وك
كذلك لا يقال مررت بك وزيد وقد جا عطف المظهر على المضمر في الشعر قال الشاعر
قد كنت من قبل تهجونا وتشتمنا ۞ فاذهب فما بك والايام من عجب ۞ واما قوله عز وجل ان الله كان
عليكم رقيبا معناه ان الله كان حفيظا لاعمالكم ومن ذلك سمي الحافظ للانسان رقيبا وقال بعضهم يعني
رقيبا عليما والعليم والحفيظ متقاربان لان العليم بالشي حافظ له **قوله عز وجل** واتوا
اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا

معناه والله تعالى اعلم واعطوا اليتامى اموالهم بالانفاق عليهم في حال الصغر وبالتسليم اليهم بعد بلوغ
الحلم قال مقاتل نزلت هذه الآية في رجل من غطفان كان في يده مال لابن اخيه فلما بلغ اليتيم طلب ماله فمنعه
العم فانزل الله تعالى هذه الآية فقراها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل اطعنا الله واطعنا الرسول
نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم لقد اصاب الغلام الاجر وبقي الوزر قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف بقي الوزر وقد انفق في سبيل الله عز وجل فقال اصاب الغلام الاجر وبقي الوزر على والده وقيل انما سمى
الله عز وجل البالغ في الآية يتيما لقرب عهده باليتم استصحابا للاسم الاول كما كان الكفار يسمون النبي صلى الله
عليه وسلم يتيم ابي طالب **واما** قوله عز وجل ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب فمعناه لا تذروا اموالكم الحلال
وتاكلوا الحرام من اموال اليتامى **وعن** مجاهد وابي صالح انهما قالا معناه لا تجعل رزقك الحلال حراما
تعجله بان تستهلك مال اليتيم فتنفقه او تخرقه لنفسك او تكسبه وتعطيه غيره فيكون ما تاخذ من مال اليتيم
خبيثا حراما وتعطيه مالك الحلال ولكن اتوهم اموالهم باعيانها وفي هذا دليل انه لا يجوز لولي اليتيم
ان يستقرض مال اليتيم ولا ان يستبدله من نفسه قال ابو حنيفة رحمه الله الا ان يكون في بيعه مال اليتيم
من نفسه خير ظاهر لليتيم فيجوز حينئذ لقوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقيل في معنى
قوله ولا تتبدلوا الخبيث ولا تجعلوا الزايف بدل الجيد والمهزول بدل السمين **واما** قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم فمعناه لا تاكلوا اموالهم مضيفين الى اموالكم وذلك انهم كانوا يخلطون اموال اليتامى باموالهم حتى
تصير دينا عليهم ثم كانوا يبيعونها مع اموالهم ويربحون عليها ويستبدون بتلك الارباح ومعنى انه
كان حوبا كبيرا اثما عظيما وقرا الحسن حوبا بالنصب والحوب في اللغة زجر الابل يقال حاب يحوب
حوبا وحوبا وحابا وسمي الاثم حوبا لانه يزجر عنه والحالان ذلكما بزجرعنه وحكى الفرا عن بني اسد انهم
كانوا يقولون الحايب للقاتل **قوله عز وجل** وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما
طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت
ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه
نفسا فكلوه هنيئا مريئا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال وذلك انه لما نزلت
قوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية خاف الناس في اموال اليتامى ان لا يعدلوا فكانوا
يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرهم وكانوا يتزوجون من النساء ما شاءوا فنزلت هذه الآية
ومعناها ان خفتم الا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا في النساء اذا اجتمعن عندكم ان لا تعدلوا بينهن فتزوجوا
ما حل لكم من النساء ولا تنكحوا الا ما يمكنكم امساكهن ثنتان ثنتان وثلث ثلث واربع اربع ولا تزيدوا على الاربع
الحراير **وعن** عايشة رضي الله عنها انها قالت كان الناس يتزوجون اليتامى ولا يعدلون في صدقاتهن
وساير ما يجب لهن من حقوق النكاح وكان الرجل يرغب في اليتيمة التي تكون في حجره لمالها وجمالها ولا يقسط
في صداقها فنهاهم الله عز وجل عن ذلك فقال عز من قايل وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يعني في
نكاح اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من غيرهن اي اذا وقع منكم حيف في حق البالغات كان طلب مرضاتهن
وتطييب انفسهن بتزوجهن امكن **وقال** مجاهد رضي الله عنه معناه ان تحرجتم في ولاية اليتامى
ايمانا وتصديقا فتحرجوا من الزنا فانكحوا الطيب من النساء والاقساط في اللغة العدل يقال اقسط
اذا عدل وقسط اذا جار **قال** صلى الله عليه وسلم المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيمة
وقال الله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لان ما
مع الفعل بمنزلة المصدر كانه قال فانكحوا الطيب يعني الحلال من النساء وقوله عز وجل مثنى وثلاث ورباع
بدل ما طاب لكم وهو مما لا ينصرف لان مثنى معدول عن اثنين وذلك نكرة وثلاث معدول عن ثلاثة وهي على

لفظ التانيث **وذهب** بعض من شذ عن الاجماع من جملة الروافض الى استحلال تسع نساء واستدل
بهذه الآية وليس ذلك بشيء لانه قال مثنى وثلث ورباع ولا يراد به على التفريق ولا يعبر احد بمثنى وثلاث
ورباع عن تسعة **وقد روي** عن قيس بن الحرث انه كان عنده ثماني نسوة فلما نزلت هذه الآية
امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمسك اربعا ويفارق اربعا **وقال** صلى الله عليه وسلم لغيلان حين
اسلم وتحته عشر نسوة امسك منهن اربعا وفارق سايرهن **واما** قوله عز وجل فان خفتم الا تعدلوا
فمعناه ان خفتم الا تعدلوا في القسمة والنفقة بين النسوة الاربع التي احل الله تعالى لكم فتزوجوا امراة واحدة
لا تخافون الميل في امرها او اقتصروا على الاماء حتى لا تحتاجوا الى القسم بينهن وقوله عز وجل ذلك ادنى الا
تعولوا اي التزوج بالواحدة والاقتصار على ملك اليمين اقرب الى ان لا تميلوا ولا تجوروا والعول مجاوزة
الحد ومنه العول في الفرايض لانه مجاوزة مخرج الفرايض ويقال للبكا الشديد العويل واما من قال معنى
الا تعولوا اي لا تكثر عيالكم وهذا القول يحكى عن الشافعي رحمه الله فقد قيل انه خطا في اللغة لانه لا يقال في
كثرة العيال عال يعول وانما يقال اعال يعيل اذا صار ذا عيال وفي الآية ما يبطل هذا التاويل وهو قوله عز وجل
او ما ملكت ايمانكم لان اباحة كل ما ملكت اليمين ازيد في العيال من اربع نسوة **وعن** طاوس انه قرا ذلك ادنى
ان لا تعيلوا اي لا تفتقروا من العيلة يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر **واما** قوله عز وجل وآتوا النساء
صدقاتهن فقد ذهب الكلبي الى ان هذا خطاب للاوليا كان الولي اذا زوج امراة فان كانت معهم في العشيرة
لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كانت غريبة حملوها على بعير الى زوجها لا يعطونها من مهرها غير ذلك البعير
وقال مقاتل واكثر اهل التفسير على ان هذا خطاب للازواج كان الرجل يتزوج المراة فلا يعطيها مهرها يتولد
ارثك وترثيني وهذا هو الاصح ومعنى الآية اعطوا النساء مهورهن وهي جمع الصدقة وقوله عز وجل نحلة
اي عطية من الله عز وجل للنساء حيث جعل المهر لهن ولم يوجب عليهن شيئا من الغرم مع كون الاستمتاع
مشتركا بينهن وبين الازواج يقال نحلت الرجل نحلة ونحلى اذا اعطيت ويقال نحل الجسم اذا دق ويجوز
ان يكون النحل سمي نحلا لان الله عز وجل نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها **وعن** هذا قالوا
ان في كون المهر عطية من الله تعالى للنساء بيان ان المراة لا تقدر على دفع المهر عن نفسها عند وجود
سبب وجوبه وان كان يمكنها الابراء عنه والهبة بعد الوجوب كالميراث الذي لا يقدر الوارث على دفعه عن
نفسه في الابتدا وان كان يمكنه ان يهب بعد وجوبه وان يبري عنه ان كان دينا وقيل معنى نحلة
ديانة يقال فلان ينتحل بكذا وكذا اي يدين به **واما** قوله عز وجل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
فكلوه اي ان احللن لكم عن شيء من المهر وقوله عز وجل نفسا نصب على التمييز لانه اذا قيل طبن
لكم لم يعلم في اي صنف وقع الطيب فكانه قال فان طابت انفسهن بهبة شيء من المهر فكلوا
الموهوب لكم هنيئا لا اثم فيه مريئا لا ملامة فيه والهني والمري لغتان على فعيل من هنو ومرو
وهنئ ومرئ اذا صار سايغا نحو ظريف من ظرف وسميع من سمع يقال هناني الطعام ومراني
واذا افردوا قالوا امراني ولا يقال اهناني ومنه التهنية بالخير وقيل ان مراني مستقبل انه سبقهم
واحمد مغبته وامراني يراد به قد انهضم وحمدت مغبته واصل الهني الهنا وهو ان تطلى البعير
بالقطران يقال هنات البعير اهناه هنا وهناء **وعن** امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه انه قال اذا كان احدكم مريضا فليسال امراته درهمين من مهرها حتى تهب له بطيبة
نفسها فليشتر بذلك عسلا ويشربه مع ما المطر وقد اجتمع الهني والمري والشفا والما المبارك يعني
ان الله عز وجل سمى المهر هنا مريا اذا وهبت المراة لزوجها وسمى العسل شفا وسمى المطر ما مباركا فاذا
اجتمعت هذه الاشيا يرجا له الشفا **قوله عز وجل** ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي
جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا معناه والله تعالى اعلم

ولا تعطوا الجهال بمواضع الحق وهم النسا والصبيان اموالكم التى جعلها الله تعالى قوام امركم ومعيشتكم
اى جعلكم تقومون بها قياما اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لم ينبغ له ان
يسلط واحدا منهما على ماله الذى هو قوام امره ومن قرا قيما فمعناه التى جعل الله لكم قيمة للاشيا
بها تقوم اموركم وعن عمر رضى الله عنه انه قال من لم يتفقه فلا يتجر فى سوقنا ٥ واصل السفه
فى اللغة خفة الحلم وسمى الفاسق سفيها لانه لا وزن له عند اهل العلم والدين ويسمى ناقص العقل
سفيها لخفة عقله ومعنى وارزقوهم فيها اطعموا النسا والاولاد واكسوهم من اموالكم وقولوا لهم
قولا معروفا اى عدوهم عدة حسنة نحو ان يقول الرجل سافعل كذا ان شا الله عز وجل ويقال
معناه علموهم امر دينكم وذهب بعض المفسرين الى ان معنى قوله عز وجل ولا تؤتوا السفها
اموالكم اى لا تعطوهم اموالهم واستدل بقوله عز وجل وارزقوهم فيها واكسوهم على ذلك قال
وانما اضاف الله عز وجل اموال السفها الى الاوليا لانهم هم الذين يقومون فيها وقيل انهم خلطوا
اموالهم باموال انفسهم فاضاف الكل اليهم وهذا كما قال الله عز وجل ثم انتم هولا تقتلون انفسكم
ولم يكن الرجل منهم يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا اى تقتلون الجنس الذى هو جنسكم
قوله عز وجل وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا
معناه واختبروا اليتامى فى عقولهم وديانتهم وتدبيرهم اسباب انفسهم حتى اذا بلغوا مبلغ النكاح وهو الحلم
وفى هذا دليل جواز الاذن للصبى فى التجارة لان حتى غاية مذكورة بعد الابتلا ومعنى فان انستم منهم علمتم
ووجدتم منهم صلاحا فى عقلهم وحفظا لمالهم فادفعوا اليهم اموالهم التى عندكم هكذا روى عن ابن
عباس رضى الله عنهما وذهب السدى رحمه الله الى ان معنى الرشد الصلاح فى الفضل والدين والقول
الاول هو الاصح لان قوله رشدا مصدر منكر ولا خلاف ان الفاسق اذا كان حافظا لماله لم يحجر بمنع ماله
عنه واما الايناس فى اللغة فهو الاحساس فيكون المراد بالايناس الاحساس بما به يونس الرشد
ومنه الانس خلاف الجن لانهم يونس بهم واما قوله عز وجل ولا تاكلوها اسرافا وبدارا
اى لا تاكلوا اموال اليتامى بغير حق والاسراف مجاوزة الحد فى الزيادة وقوله وبدارا يعنى مبادرة كبرهم
اى لا تبادروا الى الاكل اموالهم مخافة ان يكبروا فياخذوا اموالهم منكم واما قوله عز وجل ومن
كان غنيا فليستعفف اى ليتورع بغناه عن مال اليتيم ولا ينقص شيا من ماله وقوله عز وجل
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف قال عمر بن الخطاب وسعيد بن جبير وعبيدة السلمانى
معناه ان كان فقيرا فلياخذ من مال اليتيم على جهة القرض مقدار الحاجة فاذا ايسر رده عليه
وهكذا روى الطحاوى عن ابى حنيفة رحمه الله وقال مكحول وعطا بن ابى رباح وقتادة ان لولى
اليتيم ان ياخذ من مال اليتيم قدر ما يستر عورته ويسد جوعته لا على جهة القرض وعن ابن عباس
ان رجلا جا اليه فقال ان فى حجرى اموال اليتامى فتاذن لى ان اصيب منها فقال ان كنت تبغى
ضالتها وتهنا جرباها وتلوط حياضها فاشرب غير مضر بالنسل ولا ناهك فى الحلب وعنه
فى رواية اخرى ان معنى فلياكل بالمعروف فى هذه الاية لياكل من مال نفسه بالمعروف حتى لا ياكل
من مال اليتيم شيا وروى محمد فى كتاب الاثار عن ابى حنيفة عن رجل عن ابن مسعود انه قال
لا ياكل من مال اليتيم قرضا ولا غيره قال وهو قول ابى حنيفة وروى بشر بن الوليد عن ابى يوسف
انه قال لا ياكل من مال اليتيم اذا كان مقيما فان خرج الى تقاضى دين لهم او ضياع لهم فله ان ينفق
ويكتسى ويركب فاذا رجع رد الثياب والدابة الى اليتيم وعن ابى يوسف فى رواية اخرى ان قوله

فلياكل بالمعروف يجوز ان يكون منسوخا بقوله عز وجل لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم فحاصل هذه الروايات ان الاصح على مذهب اصحابنا انه ليس للوصى اليتيم ان ياكل
من ماله قرضا ولا غير قرض الا ان يضطر الى شى منه فياخذه بالضرورة ثم يرد اذا وجد لان الوصى
هو الذى ادخل نفسه فى الوصية وضمن القيام بها على غير بدل فهو كالمستبضع ولو كان ما ياخذه
اجرة له على عمله لكان لا يفترق الحال بين ان يكون الوصى غنيا او فقيرا ولا خلاف بين اهل العلم انه لا يجوز له
ان ياخذ من ماله ان كان غنيا ولهذا افترق ما ياخذه ولى اليتيم وبين ارزاق القضاة والمفتين
من اهل العلم لان اوليك يحل لهم الاخذ مع الغنا وهو شى جعله الله عز وجل لهم ولكل من قام بشى من امور الاسلام
لانه لو لم يجعل لهم ذلك فى بيت مال المسلمين لم يتفرغوا الشى من امور انفسهم وليس ما ياخذونه على
طريق الاجرة لان ما يفعلونه فرض عليهم ولا يجوز الاخذ للاجرة على شى من الفروض وقد كان للنبى
صلى الله عليه وسلم سهم من الخمس ولا يجوز ان يقال انه عليه السلام كان ياخذ الاجرة على شى من الدين كيف وقد
قال الله عز وجل قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى وسيل عبد الله بن مسعود عن قوله عز وجل
اكالون للسحت اهو الرشا قال لا ذاك كفر انما هو هدايا العمال واما قوله عز وجل فاذا دفعتم اليهم
اموالهم اى بعد بلوغهم وايناس الرشد منهم فاشهدوا عليهم وثيقة لكم وكفى بالله حسيبا شهيدا ومجازيا
لكم فى الاخرة الا ان الاشهاد فيما بين الناس من احكام الدنيا ضرب من المصلحة والحسيب فعيل من الحساب
فى العدد والحسب فى الكفاية وانتصاب الحسيب على القطع يريد وكفى بالله الحسيب حسيبا قوله عز وجل
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه
او كثر نصيبا مفروضا وذلك ان العرب كانت لا تورث الا من طاعن بالرماح وذاد عن المال وحاز
الغنيمة فاعلم الله سبحانه انه حق الميراث للرجال والنسا قال عبد الله بن عباس توفى اوس بن ثابت
الانصارى وترك ثلث بنات له وترك امراة يقال لها ام كحة فقام رجلان من بنى عمه قتادة وعرفطة
وكانا وصيين له فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيا من المال فجات ام كحة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوس بن ثابت توفى وترك ثلث بنات وليس عندى ما انفق عليهن
وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند قتادة وعرفطة ولم يعطيانى ولا لبناتى شيا من المال
وهن فى حجرى لا يطعمن ولا يسقين ولا يرفع لهن راس فقال عليه السلام ارجعى الى بيتك حتى انظر ما يحدث
الله عز وجل الى فيهن فرجعت الى بيتها فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها للرجال نصيب اى حظ
مما ترك الوالدان والاقربون وللنسا نصيب اى حظ مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا
يعنى معلوما مقدرا جعل ذلك فرضا لهم فلما نزلت هذه الاية ارسل عليه السلام الى قتادة وعرفطة
ان لا تقربا من مال اوس شيا فانه قد انزل الله عز وجل لبناته نصيبا ولم يبين كم هو حتى انظر
كم يبين الله عز وجل لهن فنزل بعد ذلك قوله عز وجل يوصيكم الله فى اولادكم الى قوله
وذلك الفوز العظيم فلما نزلت اية المواريث وبان قسمتها ارسل عليه السلام الى قتادة وعرفطة ان
ادفعا الى ام كحة الثمن من جميع المال وادفعا اليها لبناتها الثلثين قوله عز وجل واذا
حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا
معناه والله اعلم واذا حضر قسمة المواريث ذووا قرابة الميت من الرحم واليتامى من ذوى الحاجة
والفقرا فاعطوهم شيا من المال قبل القسمة وقولوا لهم قولا معروفا اى عدوهم عدة حسنة ويقال اعتذروا
منهم عند قلة المال وقولوا لهم كنا نحب ان يكون اكثر من ذلك قال الحسن وابرهيم النخعى كانوا
اذا قسموا العين اى الذهب والفضة اعطوا من حضر القسمة من الاقربا الذين لا يرثون ومن اليتامى
والمساكين واذا بلغوا الى قسمة الدواب والرقيق والارضين قالوا لهم ارجعوا بورك فيكم فهو معنى قوله عز وجل

وقولوا لهم قولا معروفا وعن سعيد بن جبير أنه قال هذه الآية يتهاون الناس بها قال وهما وليان
أحدهما يرث وهو الذي أمروا أن يرزقوهم ويعطوهم أنصباءهم والآخر لا يرث وهو الذي أمروا أن
يقولوا لهم قولا معروفا قال يقال لهم هذا المال لقوم غيب أو لأيتام صغار ولسنا نملك أن نعطي منه شيئا
وإذا حضر الغيب وبلغ الصغار أمرناهم أن يعرفوا حقكم ويتبعوا فيه وصية ربهم فهذا هو القول المعروف
وقد روي عن عبد الله بن عباس فيه روايتان أحدهما أن هذه الآية محكمة غير منسوخة وهو قول عطاء
ومجاهد والزهري وجماعة حتى روي عن عبيدة السلماني أنه ذبح للأقرباء شاة من أموال اليتامى وأعطاهم وقال
أحب أن يكون ذلك من مالي لولا هذه الآية وقرأ عليهم الآية وعن ابن سيرين أنه فعل مثل ذلك أيضا والرواية
الأخرى عن ابن عباس أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهو قول سعيد بن المسيب والسدي وأبي مالك
وأبي صالح وقيل هذه الآية في إنفاذ وصاة الميت في هؤلاء وقال زيد بن أسلم هذا شيء أمر به الموصي أن يجعل
لمن لا يرث من قرابته صلة وكذلك اليتامى والمساكين إذا لم يجحف لذلك ضررا على الموروثين والاستحباب في
حق الورثة الحضور البالغين لأنها لو كانت واجبة مع كثرة قسمة المواريث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة
ومن بعدهم لنقل وجوب ذلك واستحقاقه لهؤلاء كما نقلت المواريث لعموم الحاجة إلى ذلك ۝ وأما الذين قالوا إن
هذه الآية منسوخة فالمراد به عندهم نسخ الوجوب بآية المواريث وخبر عبيدة السلماني محمول على أن الورثة كانوا
بلغوا الحلم فذبح الشاة من جملة المال بإذنهم **قوله عز وجل** وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما كان الناس قبل نزول هذه الآية إذا حضر واحدا منهم قالوا للمريض أوص لفلان بكذا ولفلان بكذا
فلا يزالون كذلك حتى يذهب عامة ماله فيبقى عياله بغير شيء فكره الله تعالى ذلك لهم وأنزل هذه الآية وانتهى
الناس عن ذلك بعد نزولها وصارت الوصية إلى الثلث لا يزاد عليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل
على سعد بن عبادة يعوده فقال سعد يا رسول الله إني ذو مال وليس لي ولد إلا جارية أفأوصي بالثلثين
قال لا قال فالنصف قال لا قال فالثلث قال الثلث والثلث كثير وإنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون
الناس وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية خطاب لمن يتصرف في أموال اليتامى وأمر لهم أن يعاملوا فيها
بالواجب معناه ليخش الذين يخافون الضياع على ذريتهم الضعاف من بعد موتهم فلا يفعلوا في أموال اليتامى
إلا ما يحبون أن يفعل بأولادهم من بعد موتهم والقول السديد هو الذي لا خلل فيه من جهة الفساد
وهو مأخوذ من سد الخلة **قوله عز وجل** إن الذين يأكلون أموال اليتامى
ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا نزلت هذه الآية في حنظلة بن الشمردل
كان يأكل مال اليتيم في حجره ظلما ومعنى الآية الذين يأكلون أموال اليتامى بغير حق إنما يأكلون في
بطونهم حراما وسمي الحرام نارا لأن الحرام يوجب النار فسماه باسمها على معنى أن أجوافهم تمتلئ نارا في الآخرة
قال السدي من أكل مال اليتيم ظلما يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من جوفه وأذنيه وعينيه وأنفه كل
من رآه عرف أنه أكل مال اليتيم ظلما ۝ ومعنى وسيصلون سعيرا سيدخلون النار في الآخرة ويلزمونها
والصلا ملازمة النار للاحتراق والتسخين أو الإنضاج يقال صلي يصلى صلا فهو منه قولهم اصطلى
بالنار إذا دفئ بها ۝ ومن قرأ وسيصلون بضم الياء فعلى فعل ما لم يسم فاعله ۝ والسعير النار المسعورة ۝
الموقودة يقال كف خضيب أي مخضوب ۝ ولا شبهة في أن الوعيد المذكور في هذه الآية راجع إلى كل من أكل
شيئا من مال اليتيم ظلما أو أتلف عليه شيئا من ماله لأن الضرر الذي يرجع إلى اليتيم لا يختلف في حقه بين
الأكل والإتلاف وإنما ذكر الأكل لأن الأكل هو المعظم فيما يبتغى من التصرف وفي الآية دليل أن من أخذ من
مال غير اليتيم من غير ضرر اليتيم فهو داخل في هذا الوعيد ۝ **قوله عز وجل** يوصيكم
الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن

كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد
وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين
آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان المال للبنين وكانت الوصية للوالدين
والأقربين في قوله كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية إلى أن نزلت هذه الآية ثم صار
ذلك منسوخا بهذه الآية ومعنى الآية يفرض الله عليكم في أولادكم لأن الوصية من الله عز وجل فرض قال الله عز
وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا من الفرض المحكم علينا ۝ ومعنى
للذكر مثل حظ الأنثيين للذكر الواحد من الأولاد مثل نصيب الأنثيين في الميراث فإذا خلف الرجل ابنا وابنتين
كان للابن النصف وللابنتين النصف وإن خلف ابنا وبنتا فللابن الثلثان وللبنت الثلث وإن كان الأولاد جماعة
فلكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم واسم الولد يتناول ولد الرجل لصلبه حقيقة ويتناول من كان من صلب بنيه مجازا
فإذا كان للميت ولد لصلبه حمل اللفظ على الحقيقة وإن لم يكن له ولد لصلبه حمل على من كان من صلب بنيه مجازا
وأما ولد البنات فلا يتعدى من ولده في النسبة والتعصيب ولكنهم من ذوي الأرحام وأنشد القيسي
بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ۝ بنوهن أبناء الرجال الأباعد ۝ وعلى هذا قال أصحابنا فيمن
أوصى لولد فلان أن ذلك لولده لصلبه فإنه لم يكن ولد لصلبه فهو لولد ابنه ولا يدخل أولاد البنات
في هذه الوصية على ظاهر الروايتين فأما قوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين معناه إن كانت
الأولاد نساء أكثر من اثنتين ليس معهن ذكر فلهن ثلثا ما ترك من المال والباقي للعصبة قال صلى الله
عليه وسلم ما أبقت الفرائض فلأولى عصبة ذكر وأما قوله عز وجل وإن كانت واحدة من قرأ
واحدة بالنصب وهو الأجود فتقدير ذلك وإن كانت المولودة واحدة ومن قرأ واحدة بالرفع
فعلى معنى وإن وقعت مولودة واحدة بين أصحاب المواريث فلها نصف ما ترك الميت من المال وأما
بنات الابن فهن بهذه المنزلة إذا لم يكن للميت بنات لصلبه فإن قال قائل لم أعطيتم الابنتين
الثلثين وفي الآية إيجاب الثلثين لأكثر من اثنتين قيل في فحوى الآية دليل بيان فرض الابنتين
لأن أول هذه الآية يقتضي في أول العدد وهو ذكر وأنثى أن للابنة الواحدة مع الابن الثلث
فإذا كان لها مع الذكر الثلث كانت بأخذ الثلث عند عدم الذكر أولى فاحتجنا إلى بيان حكم ما
فوق الابنتين فذلك نص على حكم ما فوقهما يدل عليه أنه إذا كان للابن الثلثان وللابنة
الثلث دل أن نصيب الابنتين الثلثان لأن الله تعالى جعل للذكر مثل حظ الأنثيين وجواب آخر
أن الله عز وجل جعل للأخت من الأب والأم النصف في آخر هذه السورة كما جعل للابنة الواحدة النصف
في هذه الآية وجعل للأختين هنالك الثلثين فأعطينا الابنتين الثلثين قياسا على الأختين في تلك الآية ۝
وأعطينا جملة الأخوات الثلثين قياسا على البنات في هذه الآية ولا خلاف بين أهل العلم أن للاثنتين
الثلثين إلا شيئا يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه جعل للابنتين النصف كنصيب الواحدة وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أعطى ابنتي سعد بن الربيع حين قتل شهيدا الثلثين من ماله
وأعطى أمهما الثمن وجعل الباقي لعمهما وأما قوله عز وجل لكل واحد منهما السدس مما ترك الميت
من المال إن كان له ولد أو لابنه ولد وهذا بيان ما يستحقه الأبوان مع الولد بالفرض لا بيان جميع ما يستحقانه
بالميراث مع الولد فإنه قد يزيد ميراثهما على ذلك ألا ترى أن الميت إذا ترك ابنة وأبا فللابنة النصف
والباقي للأب فإذا ترك ابنة وأما فللابنة النصف وللأم السدس ويكون الباقي ردا عليهما على
قدر سهمهما وإذا ترك ابنة وأبوين فللابنة النصف وللأبوين السدسان بالفرض ويبقى السدس
يستحقه الأب بالتعصيب وإن كان الولد ذكرا فللأبوين السدسان بحكم النص والباقي للابن

لانه اقرب تعصيبا من الاب وفي هذا بيان انه اذا كان مع الاولاد ذو سهام نحو الابوين والزوج والزوجة
انهم متى اخذوا سهامهم كان الباقي بعد السهام بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين ولهذا قالوا ان الاناث من
اصحاب الفرائض اذا اختلطن بالذكور صرن عصبة وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ان الولد
يحجبون الام من الثلث الى السدس وان لم يرثوا لخروجهم بان يكونوا كفارا او مملوكين او قاتلين لان الله عز وجل لم يفرق في هذه
الاية بين الولد الكافر والمسلم وقال عمر وعلي وزيد بن ثابت رضي الله عنهم للام الثلث وما بقي فللاب
وجعلوا الكافر والرقيق بمنزلة الميت وحملوا الاية على ولد يحوز الميراث اذ لا خلاف بينهم ان ابن الميت
اذا كان كافرا لم يحجب اب الميت ويقال لمن يستدل بقول ابن مسعود رضي الله عنه لم يحجب الولد
الكافر الام دون الاب وظاهر قوله تعالى لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد يقتضي
حجب كل واحد منهما عن ما زاد على السدس واما اذا اجتمعت الابنة وابنة الابن فقد روي عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى للابنة بالنصف ولابنة
الابن بالسدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت من الاب والام ولهذا قالوا ان الاخت من الاب والام مع
البنات عصبة وكذلك الاخت من الاب اذا لم يكن للميت اخت لاب وام واما اذا كان للميت ابنتان وابنة ابن
فلا ميراث لابنة الابن الا ان يكون معها ابن ابن في درجتها او اسفل منها فيكون الثلث الباقي بينهما للذكر مثل
حظ الانثيين في قول عامة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما يحكى عن ابن مسعود رضي الله عنه
واما في قوله فما بقي فلابن الابن خاصة وحكم الاخت من الاب والام مع الاخت من الاب كحكم الابنة مع ابنة
الابن واما قوله تعالى فان لم يكن له ولد فمعناه ان لم يكن للميت ولد ذكر ولا انثى ولا لابنه ولد
وورثه ابواه فلامه الثلث مما ورثاه ويكون الباقي للاب بقوله وورثه ابواه واما قوله فان كان
له اخوة اي للميت فلامه السدس مما ترك الميت وما بقي فللاب لقوله عز وجل وورثه ابواه ونظير هذا قول الرجل
هذه الدار لفلان وفلان منها السدس لفلان فان الباقي يكون للاخر وفي الاية دليل ان الاخوة يحجبون الام عن
الثلث الى السدس واقل الاخوة بلسان الجمع الصحيح لا يكون اقل من ثلثة ولا خلاف ان الحجب يقع بثلثة من
الاخوة والاخوات وان ذلك لا يقع بالواحد ثم قال عامة الصحابة ان حكم الاثنين في هذا حكم الثلثة لان
العرب تسمي الاخوين اخوة والاثنان في حكم الميراث بمنزلة الثلثة كما في الابنتين والاختين فكذلك في
الحجب وعن قتادة رضي الله عنه انه قال انما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب لانه
يقوم بنكاحهم والنفقة عليهم دون الام وذهب جماعة من الصحابة الى ان الجد ابا
الاب يحجب الاخوة لانه يقوم مقام الاب اذا لم يكن الاب في الاحياء وفي الاية دليل ان الابن وابن الابن
يحجبان الاخوة لانهما اقرب تعصيبا من الاب وكانا اولى بحجب الاخوة والاخوة والاخوات من الاب محجوبون
بالاخ للاب والام وقال ابن عباس حكم الاثنين من الاخوة والاخوات في حجب الام كحكم الواحد
فاذا كانوا ثلثة حجبوا الام من الثلث الى السدس وكان السدس لهم والسدس للام والباقي للاب وفي رواية
اخرى عنه انه لا يكون السدس للاخوة الا ان يكونوا اخوة للام دون الاب وكان من مذهبه انه لا يورث
من الجدات الا واحدة وهي ام الام تقوم مقام الام فترث السدس تارة والثلث اخرى وروي
ان جدة جاءت الى ابي بكر رضي الله عنه وطلبت ميراث حافدها فقال لها ابو بكر لا اجد لك في كتاب الله عز وجل
شيئا فقام المغيرة بن شعبة وشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى الجدة ام الام السدس فقال ايت
معك بشاهد اخر فجاء محمد بن مسلمة وشهد بمثل شهادته فاعطاها ابو بكر الصديق رضي الله عنه
السدس وبهذا الخبر اخذ اصحابنا رحمهم الله وقالوا ان الجدة والجدتين والثلث مشتركات في
السدس اذا كن مستويات الا الجدة الفاسدة وهي ام اب الام واما قوله عز وجل من بعد وصية
يوصي بها او دين فمعناه ان هذه القسمة بعد فضل المال على الدين وبعد امضا الوصية من الثلث ان كان

الميت

الميت اوصى بها ومن قرا يوصى بكسر الصاد فعلى اضافة الوصية الى الميت فان قيل كيف ذكر الله تعالى الوصية قبل الدين
والدين مقدم على الوصية قيل ان كلمة او لا توجب الترتيب ولكنها توجب تاخير قسمة الميراث عن هذه الاشيا وعن
احدها اذا انفرد وعن كل واحد منهما اذا كان احدهما مضموما الى الاخر وكانه قال من بعد احد هذين فاذا كان
كذلك لم يعرف بالاية وجوب البداية باحدهما عند اجتماعهما في التركة واحتجنا في معرفة ذلك الى دليل اخر
وقد روي عن علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى بالدين قبل الوصية
وهذا شي قد اجمعت الامة عليه حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له ما بالنا نقدم افعال العمرة
على افعال الحج وقد قال الله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله فقال رضي الله عنه كما تقدمون الدين على
الوصية وقد قال الله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين واما قوله عز وجل اباؤكم وابناؤكم فمعناه
ان المذكورين في الاية اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فقد يكون الولد اكثر
نفعا للوالد وقد يكون الوالد اكثر نفعا للولد واما في الاخرة فان كان الاب ارفع درجة في الجنة سال الله عز وجل ان
يرفع ابنه اليه فيرتفع وان كان الولد ارفع درجة سال الله عز وجل ان يرفع اباه اليه فيرتفع وفي هذا جواب طعن الملحدين
عن قول بعضهم هلا كان الرجال اولى بالمعونة لكونهم اقوى من النسا الضعاف وعن قول اخرين منهم لم جاز
تفضيل الذكر على الانثى في قسمة الميراث والانثى اولى بالزيادة لعجزها عن التصرف وقعودها عن الحيلة فتبين
الله تعالى في اخر هذه الاية انه جل ذكره فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة ومصلحة لهم ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم
انفع فوضعتم الاموال على غير حكمة وقيل معنى لا تدرون لا يدري احدكم اهو اقرب وفاة فينتفع ولده بماله
ام الولد اقرب وفاة فينتفع الوالد بماله واما قوله عز وجل فريضة من الله نصب على الحال والتوكيد من قوله
يوصيكم ومعنى ان الله كان عليما حكيما اي لم يزل كان عالما بالمواريث وغيرها حكيما حين بين قسمة المواريث على الحكمة
قال سيبويه كان القوم شاهدوا علما وحكمة فخوطبوا على قدر عقولهم فقيل لهم ان الله كان عليما حكيما اي كان
ذلك لم يزل على ما شاهدتم وعن الحسن البصري رضي الله عنه ان معناه كان الله عليما بالاشيا قبل خلقها حكيما
فيما يقدر من تدبيره منها ويقال ان الخبر عن الله عز وجل في هذه الاشيا بالماضي كالخبر بالاستقبال
والحال لان الاشيا عنده تعالى على حال واحدة ما مضى وما يكون وما هو كائن قوله عز وجل
وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ
لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ
كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ
مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ
اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ معناه والله اعلم ولكم يا معشر الرجال نصف ما ترك نساؤكم ان لم يكن
لهن ولد ذكر او انثى منكم او من غيركم ولا لابنائهن ولد فان كان لهن ولد يحوز الميراث من ذكر
او انثى او ولد ابن منكم او من غيركم فلكم الربع مما تركن من المال من بعد وصية يوصين بها او دين اي
من بعد قضا دين عليهن او امضا وصية وصين بها من الثلث واما قوله عز وجل مما تركتم فمعناه
وللنسا الربع مما تركتم ايها الازواج من المال ان لم يكن لكم ولد يحوز الميراث من ذكر او انثى او ولد ابن منهن
او من غيرهن فلهن الثمن مما تركتم من المال من بعد قضا دين عليكم او امضا وصية اوصيتم بها من الثلث
وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول اذا كان للميت زوجة او زوج وابوان كان للام ثلث المال كاملا
وقال لا اجد في كتاب الله عز وجل ثلث ما بقي واما عامة الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجعلون فرض الباقي من احد الزوجين
بعد موت الاخر استحقاقا على كلا الابوين ويجعلون للام ثلث ما بقي من المال بعد فرض الباقي من الزوجين
واما قوله عز وجل وان كان رجل يورث كلالة او امراة ففيه قراتان من قرا يورث بنصب الرا فتقديره يورث

مسئلة الكلالة قال ابن عباس الكلالة ان يموت الرجل ولا ولد له ولا والد وعن ابي بكر وعمر وجابر وقتادة
والزهري رضي الله عنهم ان الكلالة اسم لما عدا الوالد والولد والظاهر ان هذا الاسم في اللغة من تكلله
النسب اي احاط به وسمي الاكليل اكليلا لاحاطته بالراس فيكون معنى الاية يورث بتكلل النسب والوالد والولد
خارجان من ذلك لانهما طرفان للرجل وهما اصل النسب وعموده الذي ينتهي اليهما فتعذر معنى الاحاطة
فيما وراءهما وهو ان يتكلله النسب من الجوانب وينقطع اطرافه ومن قرا يورث بكسر الرا جعل الكلالة
مفعولا ومن حق المفعول ان يكون منصوبا والها في الكلالة للتانيث وقوله تعالى او امراة عطف على قوله
تعالى وان كان رجل يورث معناه وان كان رجل او امراة يورث كلالة وقوله تعالى وله اخ او اخت لاخلاف
بين الامة ان المراد بالاخ والاخت في هذه الاية الاخ والاخت من الام دون الاب لكل واحد منهما السدس
مما ترك الميت من المال وفي قراءة ابي بن كعب رضي الله عنه وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وله اخ او اخت لام
ولهذا ان الاخ والاخت للام لا يرثان مع الولد وولد الابن ولا مع الاب والجد ابي الاب ولو خلينا
وظاهر اية الكلالة في اخر هذه السورة لكنا نقول ان الاخت من الاب والام لا ترث مع ابنة الصلب ولكنا تركنا
الظاهر بالخبر المروي عن عبد الله بن مسعود على نحو ما تقدم ذكره في الاية التي قبل هذه الاية وذهب بعض
المفسرين الى ان الكلالة اسم للميت وصفة له ودخول الها في ذلك كما يقال علامة ونسابة قالوا والكلالة
مصدر من كل يكل كلالة اذا اعيا فيكون معنى الاية يورث على تعب وكلال واعيا من النسب ويقال
يورث وهو كالمعيي ليس له جانب الصعود ولا جانب الهبوط وقد يقام المصدر مقام الاسم وروى
طاوس عن ابن عباس ان الكلالة من عدا الولد وكان يورث الاخوة من الام مع الاب وانما اخرج الوالد
من الكلالة لانه بعض الميت واما ابو الميت فليس بعضه فصار كالاخ من الاب والام واما قوله عز وجل
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث فمعناه ان كانت الاخوة للام اكثر من واحد فهم كلهم سوا في
مقدار الثلث لا يفضل الذكر على الانثى ولا تزاد الاخوة من الام على الثلث شيئا وان كثروا وقوله عز وجل
من بعد وصية يوصى بها او دين اي من بعد قضا دين على الميت او امضا وصية ان كان اوصى بها
واما قوله عز وجل غير مضار نصب على الحال معناه يوصي بها الميت غير مضار في حال وصيته بان يزيد على
الثلث او يفضل بعض الورثة على بعض بوصيته لنفسه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز
وجل قد اعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث الا ان تجيزها الورثة واما قوله عز وجل وصية من الله
نصب على المصدر والتوكيد ومعنى والله عليم حليم عليم بما دبر من هذه الفرايض حليم حلم عن عصاه بان اخر
وقبل توبته فلا يغترن احد بامهاله العاصي فانه سبحانه [illegible] **وقد اختلفت الصحابة**
رضي الله عنهم فيما اذا اجتمعت الفرايض وزادت على المال فروي ان عمر رضي الله عنه اول من اعال
الفرايض وقال ارى ان اقسم المال عليكم بالحصص يعني يضرب كل ذي حق بمقدار حقه كالديون الديون
في التركة اذا كانت التركة لا تفي بدين اكثرهم وهو قول ابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهما
وعن علي كرم الله وجهه انه سيل عن ابنتين وابوين وامراة فقال صار ثمنها تسعا وعن
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه كان ينكر العول ويقول ينظر الى اشد اصحاب الفرايض في فريضته تغيرا
فيدخل البخس عليه قال وهم البنات والاخوات تتغير فرضهن بمخالطة البنين والاخوة قال
عطا سمعت ابن عباس يقول اترون الذي احصى رمل عالج عددا جعل في مال قسم نصفا ونصفا وثلثا
يعني اذا كان للميت زوج واخت لاب وام واخ واخت لام قال لهذا النصف ولهذه الاخرى النصف
فاين موضع الثلث قال عطا فقلت له ان هذا لا يغني عنك ولا عني شيا لو مت او مت قسم ميراثنا على
ما عليه القوم من خلاف رايك قال ان شاوا فلندع ابناءنا وابناءهم ونساءنا ونساءهم وانفسنا وانفسهم
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ما جعل الله في مال نصفا ونصفا وثلثا واختلفت الصحابة رضي

الله عنهم في مسالة المشتركة وهي ان تخلف الميتة زوجها وامها واخوتها لامها واخوتها لابيها وامها
قال علي وابن عباس وابي بن كعب وابو موسى الاشعري رضي الله عنهم للزوج النصف وللام السدس
وللاخوين من الام الثلث وسقطت الاخوة والاخوات من الاب والام وبهذا اخذ اصحابنا رضي الله عنهم
قالوا ان العصبة لا يرثون الا ما بقي من اصحاب الفرايض واستدلوا باجماع الصحابة كلهم على ان الميتة لو تركت زوجا
واما واخا لام واخوة واخوات لاب وام ان للزوج النصف وللام السدس وللاخ من الام السدس وما بقي فللاخوة
والاخوات من الاب والام للذكر مثل حظ الانثيين لا يدخلون مع الاخ للام في نصيبه وكان قول عمر رضي الله عنه
مثل ما ذكرنا حتى احتج الاخوة من الاب والام فقالوا والله يا امير المومنين لنا اب وليس لهم اب ولنا ام كما لهم ام
فان كنتم حرمتمونا بابينا فورثونا بامنا كما ورثتم هولا بالام واحسبوا ان ابانا كان حمارا السنا [illegible] رحم
واحد فقال عمر رضي الله عنه صدقتم فاشركهم وبهذا اخذ مالك والشافعي رضي الله عنهما والله اعلم
قوله عز وجل تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم معناه والله اعلم هذه فرايض الله تعالى التي امركم بها في
المواريث وامر اليتامى والحدود هي الامكنة التي لا ينبغي ان تتجاوز ويقال معناه تفصيل الله عز وجل بين
فروضه والحد هو الذي يفصل بين الشيين ومنه حد الجدار وقوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله اي من
يتم حدود الله عز وجل وحدود رسوله صلى الله عليه وسلم في امر المواريث وغيره يدخله بساتين تجري من تحت شجرها
الانهار ويقرا ندخله بالنون والياء اقرب الى لفظ الاية وقوله عز وجل خالدين فيها نصب على الحال اي يدخلهم
مقدرين الخلود فيها كما يقال مررت برجل معه باز صايدا به غدا اي مقدرا للصيد به غدا ومعنى
وذلك الفوز العظيم تلك النجاة الوافرة فازوا بها في الجنة **قوله عز وجل** ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين معناه والله اعلم ومن يعص الله
ورسوله في قسمة المواريث فلم يقسمها وذلك ان المنافقين كانوا لا يفرقون للنسا والصبيان الصغار من
قسمة المواريث شيا يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين **قوله عز وجل** واللاتي ياتين الفاحشة
من نسايكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى
يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجماعة من
المفسرين ومعنى هذه الاية ان النسا اللاتي يزنين من حرايركم من الثيبات المحصنات فاطلبوا عليهن
اربعة منكم من الشهود من احراركم من المسلمين العدول فان شهدوا عليهن بالزنا فاحبسوهن في البيوت
وهي السجون بيوت معروفة في المدينة حتى يتوفاهن الموت في الحبس او يجعل الله لهن سبيلا مخرجا من الحبس
قبل الموت وفي هذه الاية دليل ان القاضي لا يقضي بعلم نفسه في الحدود وانما يقضي بالاقرار وبالشهادة لان الله عز وجل
اثبت الفاحشة في الاية بما امر باستشهاد اربعة من الشهود واللاتي جمع على غير لفظ الوحدان واما
اللواتي فجمع على القياس كالفاعل والفواعل **قوله عز وجل** واللذان ياتيانها منكم فاذوهما
فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما قال ابن عباس رضي الله عنهما
الفتى والفتاة اللذان لم تحصنا اذا اتيا بالزنا فاذوهما بالسب والتعيير لهما يقال لهما زنيتما وفجرتما
وانتهكتما حرمات الله تعالى ويقال عنى باللذين ياتيانها البكرين لانهما يحدان واراد بالاذى الضرب
بالنعال ومعنى فان تابا من الزنا واصلحا العمل بعد التوبة فاعرضوا عنهما الا تسبوهما ولا تعيروهما ان
الله عز وجل لم يزل متجاوزا عن الناس رحيما بهم بعد التوبة ويجوز ان يذكر كان في مثل هذا الموضع على وجه
الصلة كما قال الشاعر ۝ فكيف اذا حللت ديار قوم ۝ واخوان لنا كانوا كرام ۝ اراد
واخوان كرام والغى كان في الشعر واما الحد المذكور في هاتين الايتين فكان مشروعا في اول الاسلام
حين كان التعيير في الناس لم يحل محل الجلد فكان الزانيان يعيران الا المراة المحصنة فانها كانت تحبس في

البيوت بلا بزوج ولا تخلية عقوبة لها الى ان تموت او يجعل الله لها سبيلا ثم نسخ هذا الحكم بما روى عن عبادة
ابن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا
البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة وكان هذا النسخ نسخ القرآن
بالسنة ثم نسخ التغريب في البكر عندنا بقوله عز وجل الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
لان ظاهر تلك الآية تقتضى ان الجلد بيان لجميع الحكم المتعلق بالزنا اذ لو لم يجعل ذلك كذلك لكان قصورا
والبيان في مواضع الحاجة ونسخ جلد الزانى الثيب المحصن لحديث ماعز ان النبي صلى الله عليه وسلم رجمه ولم يجلده
وعن عمر رضى الله عنه انه قال لولا ان الناس يقولون زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله عز وجل لكتبت على حاشية
المصحف ان الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله عز وجل ويتوب الله على من تاب وقال
الشافعى رحمه الله جلد الثيب المحصن منسوخ وتغريب البكر غير منسوخ وعند داود ومن تابعه من
اصحاب الظاهر ليس شىء منهما منسوخا ومن الفقهاء من يقول ان خبر عبادة ليس بناسخ للقرآن لان
الله عز وجل اوجب الامساك في البيوت الى الغاية وخبر عبادة ورد في بيان تلك الغاية واما من جعل هذا الخبر
ناسخا للآية فعلى معنى ان فيه ازالة حكم الآية بالخبر وهذا هو معنى النسخ فان قيل لو كان الرجم
منقولا من جهة الاستفاضة الموجبة للعلم لما انكرته الخوارج باسرها قيل ان الخوارج لم يجالسوا فقهاء
المسلمين ولا نقلة الاحاديث وانفردوا عنهم وردوا اخبار من ليس على مقالتهم وهذا لا يوجب قطع التواتر
الا ترى ان فرائض صدقات المواشى ثابتة بالنقل المستفيض ولا يعرفها الا فقيه قد سمعها او صاحب مواشى
تكثر بلواه بوجوبها وذهب بعض المتأخرين من اهل التفسير ان المراد بقوله عز وجل واللاتى
يأتين الفاحشة من نسائكم المرأة تزنى بالمرأة وبحبسهن في البيوت الى ان يقضى الله تعالى لهن بتزوجهن
ويقوم عليهن قال والمراد بقوله عز وجل واللذان يأتيانها منكم الرجل يزنى بالرجل وكان الحسن يقول
ان الآية الثانية وان كانت متأخرة عن الآية الاولى في التلاوة فهى مما نزلت قبلها وهى منسوخة بها كان
حد الزانى في الابتداء الايذاء باللسان فصار منسوخا بالحبس في البيوت ثم صار الحبس منسوخا بالجلد
والرجم الا ان النبى صلى الله عليه وسلم امر بوضع هذه الآية في التلاوة بعد الاولى وهذا ليس بقوى لان قوله تعالى
واللذان يأتيانها منكم كناية عن الفاحشة والتصريح بذكر الفاحشة في الآية الاولى ولا يجوز ان يسبق ذكر الكناية عن
المكنى عنه **قوله عز وجل** إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ
مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا معناه انما التجاوز من الله تعالى
للذين يعملون المعصية بجهالة ثم يتوبون من قبل ان ينزل بهم سلطان الموت لا في وقت المعاينة فاولئك
يقبل الله تعالى توبتهم وكان الله عليما باهل التوبة حكيما حكم بقبول التوبة وقد اتفق اهل التفسير انه لا
يجوز ان يكون معنى الجهالة المذكورة في الآية ان لا يكون الرجل عاقلا ولا يعلم ان ذلك سيئة وان ذلك ليس بذنب
اذ لم يكن الرجل مفرطا ثم اختلفوا في معنى الجهالة قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون كل ذنب اذنب العبد فهو جهالة وقال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك
وانما سميت المعصية جهالة وجهلا لقبحها ويقال الجهل فاعلها بما يكون عليه من المضرة في فعلها وما يكون من
قدرا لعقاب عليها فان الانسان وان كان يعلم استحقاق العقوبة على المعصية فلا يعلم كنهها وتفصيلها كما لا يعلم
استحقاق الثواب على الطاعة ولا يعلم تفصيله ويقال معنى الجهالة اختيار اللذة الفانية على الباقية وهذا تشبيه بالجاهل
في الذم وقلة التحفظ والتحرز كما قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن
واكن من الجاهلين ومعلوم ان الانبياء صلوات الله عليهم يعلمون المعصية وعن هذا قال بعض اهل التفسير
ان معنى الجهالة في هذه الآية ان يتعمد المعصية وانما يسمى جهالة لان المؤمن لا يقصد بالمعصية مخالفة الله تعالى
ولكنه يعرض نفسه للعقوبة ويجعلها على الخطر **وذهب** بعضهم الى ان معنى الجهالة ان يكون

عاصيا وان جهل ان ذلك ذنبا اما بتاويل او باعراض عن النظر مع التمكن من العلم بذلك والتحرز منه قالوا وانما جعل
المتعمد للذنب في هذه الآية لان التوبة من العمد اوجب من التوبة عن ذنب المتاول وانما سمى الله تعالى ما قبل معاينة
اسباب الموت قريبا لان كل ما هو آت قريب لان المرء لا يأمن من المنية في كل وقت وساعة وكل ما يكون هذا صفته
فهو موصوف بالقرب وروى عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تاب قبل موته بسنة
تاب الله عليه ثم قال ان السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال ان الشهر كثير من تاب قبل موته
بجمعة تاب الله عليه ثم قال ان الجمعة لكثيرة من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال ان اليوم كثير فمن تاب قبل موته
بساعة تاب الله عليه ثم قال ان الساعة لكثيرة من تاب قبل ان يغرغر بنفسه تاب الله عليه وعن الحسن
رضى الله عنه انه قال لما اهبط ابليس الى الارض قال بعزتك لا افارق ابن آدم ما دام الروح في جسده قال الله عز وجل
وبعزتى لا احجب التوبة عن عبدى ما لم يغرغر بنفسه **قوله عز وجل** وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا معناه وليس قبول التوبة للذين يعملون لمعصية مقيمين عليها حتى اذا عاين احدهم اسباب الموت
الشرق والنزع ومعاينة ملك الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون على الكفر اولئك خلقنا وهيأنا لهم عذابا
مولما وهى النار التى هى مصيرهم اليها وذهب الربيع الى ان المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون ثم
عطف الكفار المجاهرين بالكفر على المنافقين واما حالة المعاينة فلا يعلمها الحاضرون للميت وانما يعلمها من حضرته
تلك الحالة وانما لم تقبل التوبة عند المعاينة لانه يصير عند ذلك ملجأ الى فعل الحسنات وترك القبائح ومن يكون بهذه
الصفة لا يكون مكلفا لانه لا يستحق المحمدة على فعله ولا المذمة واذا زال عنه التكليف لم تصح منه التوبة
ولهذا لا يكون اهل الآخرة مكلفين **قوله عز وجل** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ
كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا قال عبد الله بن عباس
كانوا في الجاهلية واول الاسلام اذا مات رجل له امرأة وله ولد من غيرها او وارث غير الابن القى ثوبه
عليها فورث نكاحها بالصداق الاول يقول انا ولى زوجك فورثتك فان كانت جميلة امسكها ودخل بها وان لم
تكن جميلة طول عليها لتفتدى منه فاتت كبيشة بنت معن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ان ابا قيس بن الاسلت توفى وولى نكاحى ابنه حصن بن ابى قيس وقد اضر بى وطول على فلا هو ينفق على
ولا هو يخلى سبيلى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعدى في بيتك حتى يأتينى فيك امر فانزل الله
عز وجل هذه الآية ومعناها يا ايها الذين آمنوا اى اقروا وصدقوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها واما
قوله عز وجل ولا تعضلوهن معناه والله تعالى اعلم اذا لم تكن لكم حاجة في صحبتهن فلا تمنعوهن تخلية سبيلهن
حتى يفتدين ببعض ما لهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة قال الحسن وابو قلابة والشعبى هى الزنا اذا
اطلع الرجل منها على زنية حل له ان يحبسها ولا يطلقها حتى تفتدى مما اعطاها من المهر فيخلعها على ذلك
وقال ابن عباس والضحاك وقتادة ان الفاحشة في هذه الآية النشوز واذا نشزت حل له ان ياخذ منها
الفدية ومن قرأ مبينة بكسر الياء فعلى معنى مبينة خبثها وقوله وعاشروهن بالمعروف امر
للازواج بعشرة نسائهم بالجميل وهو ان يوفيها حقها من المهر والنفقة والمبيت ويترك اذاها
بالكلام الغليظ والاعراض عنها والعبوس في وجهها بغير ذنب منها وقوله تعالى فان كرهتموهن
فعسى ان تكرهوا شيئا بيان ان الخير ربما كانت للعبد في الصبر على ما يكرهه يقول لعلكم ايها الازواج
ان تكرهوا شيئا من صحبتهن ايا كم ويجعل الله منه خيرا كثيرا بان يرزق لكم منهن الولد فتظهر بعد ذلك
الالفة والموافقة وينقلب الكراهة المحبة والنفور ميلا ويقال اراد بالخير الكثير ما يستفيده الزوج من
امور الآخرة وثوابها وحسن الذكر على تكلف الانفاق عليهن ويقال معناه عسى ان يقضى الله عز وجل

بالفراق على وجه بجل وبخل فتستبدل المراة من هو خير لها منه ويستبدل بها من هي خير له منها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق معنى هذه الاية وهو ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابغض الحلال الى الله جل ذكره الطلاق وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا ولا تطلقوا فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات **قوله عز وجل** وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا معناه والله اعلم ان اردتم تخلية المراة واردتم ان يستبدل مكانها اوليس تريدوا ابيتم احداهن قنطارا اي مالا عظيما وقد تقدم تفسير القنطار في ال عمران فلا تاخذوا منه شيا اي اذا لم يكن من المراة فاحشة من نشوز او زنا فلا تاخذوا منه شيا مما اعطيتموها اتاخذونه بهتانا اي ظلما واثما مبينا اي ذنبا ظاهرا والبهتان هو الباطل الذي تحير من ظلامه ومن ذلك سمي الكذب العظيم بهتانا لانه يباهت به مخبره ويتحير المكذوب عليه لعظمه واصل البهت التحير قال الله عز وجل فبهت الذي كفر اي تحير لانقطاع حجته وانما سمى الله تعالى اخذ المهر منها بغير حق بالبهتان لان الزوج لما استعمل المكر والخداع في اخذ ما اعطاها صار في الوزر بمنزلة من يكذب ويوهم ان الذي قاله حق **قوله عز وجل** وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا معناه كيف تستحلون اخذ شي مما ابيتموهن وقد وصل بعضكم الى بعض قال ابن عباس الافضا كناية عن الجماع وقال جماعة من اهل التفسير اذا كان معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها فقد وجب المهر وعن زرارة بن اوفى انه قال قضى الخلفا الراشدون المهديون انه من اغلق على امراة بابا وارخى سترا فقد وجب المهر والعدة وذكر الفرا ان الافضا هو الخلوة وان لم يقع دخول كانه ذهب الى ان الافضا ماخوذ من الفضا وهو المكان المتسع الذي ليس فيه بنا ولا حاجز عن ادراك ما فيه فسميت الخلوة افضا لوصول الزوج بها الى جميع ما يقصده من الوطي والدخول في موضع لا مانع فيه من ذلك والفرا حجة فيما علمه من اللغة واما قوله عز وجل واخذن منكم ميثاقا غليظا معناه اخذن منكم عهدا وثيقا وهو ذكر المهر في النكاح ويقال هو ما اشترط الله تعالى للنسا على الرجال من امساك بمعروف وتسريح باحسان وكان يقال للناكح في صدر الاسلام الله عليك لتمسكن بمعروف او لتسرحن باحسان وفي الاية دليل ان الفرقة اذا وقعت بعد الدخول بوجه من الوجوه اما بردة المراة او بمعنى من جهة الزوج انه لا يسقط شي من المهر **قوله عز وجل** ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا روي انهم كانوا بعد نزول قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها واذا رضيت المراة امسكها ولي الميت برضاها على حكم النكاح واذا سخطت تركها فحرم الله تعالى ذلك عليهم بهذه الاية ومعناها لا تتزوجوا ما تزوج اباوكم من النسا ويقال لا تطاوا من وطي اباوكم واسم النكاح يقع على العقد والوطي جميعا وهو في اصل اللغة للجمع بين الشيين يقول العرب انكحنا الفرا فسنرى اي جمعنا بين حمار الوحش والاتان فسنرى ما يحدث بينهما وهذا مثل يضربونه في الامر يتشاورون فيه ويجتمعون عليه ثم ينظرون الى ما يصير وكان الشيخ ابو الحسن الكرخي يقول ان قوله ما نكح اباوكم مراده الوطي دون العقد لان حقيقة لفظ النكاح للوطي اذ الجمع يحصل به لا بالعقد الا ان العقد انما سمي نكاحا مجازا لانه سبب يختص باحل الوطي ويتوصل به اليه كما يسمى الشي باسم غيره اذا كان منه بسبب او يجاوره قال الا انا انما وجبنا تحريم امراة الاب اذا لم تكن موطوة بغير هذه الاية وقد اختلف اهل العلم في ثبوت حرمة المصاهرة في الزنا والخلاف بينهم ان الوطي بالشبهة وبملك اليمين مع عدم النكاح يوجب من الحرمة ما يوجبه عقد النكاح وانه لا تحل للابن من الجواري ما وطيهن ابوه ولا ما مسهن ابوه بالشهوة في ملك اليمين واما قوله عز وجل الا ما قد سلف فمعناه سوى ما قد سلف في الجاهلية من نكاح منكوحة الاب كان ذلك مغفورا لكم لا تواخذون به وهذا استثنا منقطع لان الماضي لا ينهى عنه باختيار ولا تحريم وهذا كما يقال لا تلق فلانا الا ما لقيت بالامس لكن ما لقيت لا لوم عليك فيه وتاول بعض اهل التفسير الا ما قد سلف على ان المراد به الا ما تزوجتموهن قبل نزول الاية فامسكوها وهذا خطا لم يروا ان النبي صلى الله عليه وسلم اقر احدا على نكاح امراة ابيه وان كان

في الجاهلية ولو كان اقر احدا على ذلك لنقل واستفاض واما قوله عز وجل انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا ذهب الزجاج الى انه لا يجوز ان يجعل كان زايدة في هذا الموضع لانها لو كانت زايدة لم تنصب خبرها كما لم تنصب في البيت الذي تقدم ذكره • واخوان لنا كانوا كرام • ولكن المعنى ان نكاح امراة الاب كان فاحشة فيما سلف لانهم كانوا يسمون هذا النكاح في الجاهلية نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي • فاعلمهم الله عز وجل ان هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكرا في قلوبهم ممقوتا عندهم والمقت هو البغض عن امر قبيح ركبه صاحبه والفاحشة اسم لما يرتفع ذكر قبحه فيما بين الناس وذهب اكثر اهل التفسير الى ان المراد بالاية انه فاحشة بعد نزول التحريم لان مثل هذا لا يسمى فاحشة الا بعد قيام حجة السمع عليهم بتحريمه ولم تقم الدلالة على ان حجة السمع كانت قايمة عليهم من جهة الرسل المتقدمين ولا يمتنع ان يكون لفظ كان عاملا في الخبر وان لم يعمل فيه معناه فيكون نصب الخبر للفظ دون المعنى واما قوله عز وجل وسا سبيلا وهو لتاكيد التحريم وبيان ان نكاح امراة الاب طريق سو لانه يودي الى جهنم وسبيلا نصب على التمييز وبالله التوفيق **قوله عز وجل** حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسايكم وربايبكم اللاتي في حجوركم من نسايكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلايل ابنايكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حرم الله عز وجل من النسا اربعة عشر صنفا سبعة بالنسب وسبعة بالسبب وتلا هذه الاية ثم قال والسابعة في قوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الا ما قد سلف والمراد بالامهات في هذه الاية تحريم نكاح الامهات ولا خلاف ان الجدات وان بعدن محرمات لان اسم الامهات يشملهن كما ان اسم الابا يتناول الاجداد وان بعدوا ومن اجاز حمل اللفظ الواحد على الحقيقة والمجاز جميعا حرم الجميع بالاية ومن حمل الاية على الحقيقة خاصة حرم الجدات ونسا الاجداد بالاجماع واما قوله وبناتكم معناه نكاح بناتكم واسم البنات يتناول بنات الاولاد وان سفلن وقوله واخواتكم يشتمل على الاخوات من الاب والام ومن الاب ومن الام واما وعماتكم فهن اخوات الابا وخالاتكم اخوات الامهات وقد دخل في هذا التحريم عمات الاب والام وخالات الام والاب لان اسم العمات والخالات يتناولهن كما يتناول بنات العمات وبنات الخالات فلا يسمين عمات والخالات فلا يدخلن في التحريم واما بنات الاخ وبنات الاخت فقد ذكر الله عز وجل اسم الاخوات الابنا ولهن كما يتناول اسم البنات بنات الاولاد فنص الله عز وجل على تحريمهن وهو السبع المحرمات من جهة النسب بنص التنزيل ثم ذكر عز وجل تحريم الرضاع فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وفي هذا بيان ان اسم الامهات والاخوات تثبت بالرضاع لانا لو لم نجعل قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم بمنزلة قول القائل وامهاتكم اللاتي اطعمنكم وكسونكم لبطلت فائدة قوله اللاتي ارضعنكم لان ابتدا الاية تحريم الامهات على الاطلاق وامهات الرضاع عطف على ذلك وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا رضاع بعد الفطام وقال عليه السلام لا تحرم الجرعة والجرعتان من اللبن ما بين الحولين الكاملين وعن عائشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابي القعيس جاء يستاذن عليها بعد نزول اية الحجاب وكان عمها من الرضاعة قالت فابيت ان اذن له حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ليلج عليك فانه عمك فقلت انما ارضعتني المراة ولم يرضعني الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ليلج عليك فانه عمك وكان ابو قعيس زوج المراة التي ارضعت عائشة رضي الله عنها وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل له امراتان ارضعت هذه غلاما وهذه جارية هل يصلح للغلام ان يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد وفي هذا اشارة الى ان اللبن يحصل من ماء الرجل والمراة كما كان الولد منهما ولبن الفحل خلاف بين اهل العلم هل يوجب التحريم ام لا يوجب والاكثر على انه يوجب التحريم ثم ذكر الله عز وجل تحريم الصهر فقال وامهات نسايكم

وامهات نسايكم وقال ابن عباس وعطا وسعيد بن جبير رضي الله عنهم ان ام المراه مبهمة تحرم على زوج
ابنتها بنفس العقد **واما** قوله عز وجل وربايبكم اللاتي في حجوركم فمعناه وبنات نسايكم من غيركم
والربيبة المربوبه سميت ربيبة لان زوج المراة هو الذي يربيها في العادة كما يقال قتيل بمعنى مقتول
وقد يسمى زوج المراة ربيبا بمعنى الراب كما يقال شهيد بمعنى شاهد وخبير بمعنى خابر **ويروى** عن
علي كرم الله وجهه ان الربيبة اذا لم تكن في حجر زوج الام وكانت في بلد اخر ثم فارق لزوج الام
بعد الدخول انه جائز له الربيبة ان يتزوجها الا ان هذه الروايه لم تثبت ولم يقبلها اهل الحديث ولا خلاف
اليوم بين اهل العلم ان تربية زوج المراة ابنتها وكونها في حجره لا يكونان شرطا في تحريمها عليه الا ان
الله عز وجل ذكر الحجور في هذه الاية على عادات الناس ان الاعم الاكثر ان زوج الام هو الذي يربي
ابنتها فخرج الكلام على وفق العادة دون الشرط وهذا كقوله عز وجل ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد ومعلوم ان المعتكف لا يحل له الجماع وان كان قد خرج من المسجد لحاجة الا ان الغالب من
حال المعتكف انه يكون في المسجد فقرنه بذكر المسجد **واما** قوله عز وجل من نسايكم اللاتي دخلتم
بهن فمن الناس من رد هذا الشرط على قوله من نسايكم وعلى قوله وامهات نسايكم فشرط
الدخول بالنسا في المسالتين في ثبوت التحريم المذكور في الاية على معنى ان الله عز وجل عطف
حكما على حكم وعقبهما بشرط الدخول بقوله اللاتي دخلتم بهن وهو قول بشر بن غياث وغيره الا ان
هذا لا يصح لان قوله عز وجل وامهات نسايكم جملة مستقلة بنفسها وقوله عز وجل وربايبكم بما فيه من
شرط الدخول جملة اخرى مستقلة بنفسها فلم يجز بنا احدى الجملتين على الاخرى ولو جعلنا شرط
الدخول راجعا الى الاول لخصصنا عموم اللفظ الاول بالشك قال اهل النحو ان لفظ نسايكم من قوله
وامهات نسايكم مخفوض بالاضافة وقوله من نسايكم مخفوض بحرف الجر فلا ينصرف الشرط الا الى الثاني
فان من قال الخزيمت بنسايك وهربت من نسا زيد الظريفات لا يكون هذا النعت الا لنسا زيد لان كل
واحد من لفظي النسا معمول لعامل على حدة فلو صرف النعت اليهما صار معمولا لعاملين **واما** قوله عز وجل
فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فان لم تكونوا دخلتم بنسايكم فلا حرج عليكم في تزويج الربايب
اذا طلقتم امهاتهن قبل الدخول او ماتت امهاتهن قبل دخول الزوج بهن ه روى عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه انه كان يقول لا تحرم ام المراة بنفس العقد فخالفه من بالمدينه كلهم في ذلك عمر وعلي رضي الله
عنهما فقالا انها مبهمة فرجع الى قولهما **واما** قوله عز وجل وحلايل ابنايكم فمعناه ونكاح نساء
ابنايكم الذين من اصلابكم وانما سميت امراة الابن حليلة لانها تحل معه في الفراش فيكون هذا الاسم
من الحلول ويقال سميت حليلة لانها محللة له اي حلال واما امة الابن فلا تسمى حليلة
له ولا تحرم على الاب ما لم يطاها الابن وقوله عز وجل من اصلابكم ليس هو على ما ظن بعض الناس
ان شرط الصلب في هذه الايه لاخراج امراة الابن من الرضاع عن التحريم بل امراة الابن من الرضاع
بمنزلة امراة الابن من الصلب في الحرمة وانما شرط الله تعالى وهو اعلم كون الابن من صلبه لاخراج
امراة الابن من التبني عن التحريم فان النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج امراة زيد بن حارثة بعد
ما فارقها زيد تكلم فيه المشركون وقالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم تبنى هذا ثم تزوج امراته
وكانوا يجعلون الابن المتبنى بمنزلة الابن من الصلب في الحرمة والميراث فانزل الله عز وجل هذه الاية
وقوله تعالى ادعوهم لابايهم هو اقسط عند الله **واما** قوله عز وجل وان تجمعوا بين الاختين
فهو في موضع الرفع ومعناه وحرم عليكم ان تجمعوا بين الاختين وهذا يقتضي تحريم الجمع بينهما
في النكاح وصورة الجمع ان يتزوج الرجل الواحد اختين معا او يتزوج اختين في عقدين ثم لا يدرى
ايتهما كانت الاولى واما اذا تزوج امراة ثم تزوج بعد ذلك اختها وهو يعلم الثانيه فنكاح الثانية حرام

لان الجمع حصل بالثانيه دون الاولى ومن الجمع ايضا الجمع بين وطء الاختين في ملك اليمين وقد كان في
هذا خلاف بين السلف ثم زال وحصل الاجماع على التحريم ه روى ان رجلا سال عثمان رضي الله عنه عن الجمع
بين وطء الاختين في ملك اليمين فقال حرمتهما آية يعني هذه الايه واحلتهما ايه يعني قوله تعالى الا ما
ملكت ايمانكم واما انا فلا افعله فخرج الرجل من عنده فلقي عليا كرم الله وجهه فذكر ذلك له فقال لو ان الي من
هذا الامر شيا لجعلت على من فعل ذلك نكالا فغلب الفقها جهة التحريم على جهة الاباحة ه ومن الجمع
بين الاختين ايضا ان يتزوج احديهما والاخرى تعتد منه في طلاق باين او رجعي لان ذلك جمع بينهما في
استحقاق النسب ووجوب النفقه والسكنى وذلك حكم من احكام النكاح كما ان الجمع في الوطي حكم من احكام
النكاح **وذهب** بعض اهل العلم الى ان المعتده اذا كانت تعتد من طلاق باين او ثلث حل للرجل ان يتزوج
اخت معتدته هذه والله اعلم **واما** قوله الا ما قد سلف فمعناه الا ما مضى في الجاهلية فانه مغفور
لكم اذا انتهيتم عنه **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما قال كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى
من النسا الا امراة الاب والجمع بين الاختين لان الله تعالى قال في هذين الفصلين الا ما قد سلف
وقوله عز وجل ان الله كان غفورا رحيما معناه ان الله غفور رحيم لا يواخذكم بما كان منكم قبل التحريم
وقد الحق الفقها بالجمع بين الاختين ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنكح المراه على عمتها
ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها الى اخر الخبر الا ان منهم من عول على هذا الخبر فقال هو خبر
تلقته الامة بالقبول يجوز الزياده بمثله على الكتاب ومنهم من قال هو مفهوم من تحريم الجمع بين الاختين
لانهما شخصان لو قدرنا احدهما ذكرا والاخرى انثى لم يحل النكاح بينهما من الطرفين فكانا في معنى الاختين وبالله
التوفيق **قوله عز وجل** **والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم**
واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن
اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان
عليما حكيما اول هذه الايه عطف على الاية المتقدمة من المعنى وحرم عليكم ذوات الازواج اللاتي
احصن بالازواج الا ما ملكت ايمانكم اي الا ما افاء الله عليكم من السبايا روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه ان المسلمين اصابوا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج من المشركين فتاثم المسلمون من وطيهن وقالوا
لهن ازواج في دار الحرب فانزل الله تعالى هذه الاية فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا
توطا الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يستبرين بحيضة ولا يجوز ان تطا الرجل سبايا اوطاس كن
وثنيات ولكن لا تحللن للمسلمين لان الوثنيه اذا عرض عليها الاسلام فاسلمت حلت للمسلمين اذا وقعت
الفرقة بينها وبين زوجها **وذهب** بعض الصحابة وهو ابي بن كعب وانس وجابر وغيرهم الى ان
الامة اذا خرجت من ملك مولاها الى ملك رجل اخر حرمت على زوجها باي سبب خرجت حتى روي عن عبد الله
ابن عباس انه قال طلاق الامة بيعها وهبتها وميراثها وسبيها وصدقتها وانكر عمر وعلي وعبد الرحمن
ابن عوف رضي الله عنهم هذا القول وقالوا انما نزلت هذه الاية في السبايا خاصة بدليل ما روي ان عايشه
رضي الله عنها اشترت بريرة واعتقتها فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان زوجها عبدا اسود
يسمى مغيثا **وعن** عبد الله بن مسعود في المشتراه روايتان **وروي** عن عبد الله بن عباس في روايه
اخرى مثل قول عمر وعلي رضي الله عنهم وقال مالك والشافعي اذا سبيت المراه بانت من زوجها سوا كان
معها زوجها او لم يكن اسند لا الا بظاهر قوله عز وجل الا ما ملكت ايمانكم ولا يخلو مراد الله تعالى في المعنى الموجب
للفرقة في المسبية من احد وجهين اما اختلاف الدارين في الزوجين او حدوث الملك في المراة بالسبي ولما
ذكر الله تعالى اية الهجرة في سورة الممتحنة ورفع الجناح عن نكاح المهاجرات علمنا ان المعنى الموجب للفرقة
في المسبية تباين الدارين ولو كان قوله عز وجل الا ما ملكت ايمانكم على ظاهر العموم لكان تقع الفرقة بحدوث الملك

بالشرا ونحوه وقد وافقنا الخصم على نفي وقوع الفرقة بذلك واما قوله عز وجل كتاب الله عليكم فمعناه
هذا ما حرم الله تعالى عليكم في الكتاب وقوله كتاب الله منصوب على التوكيد اى كتب الله عليكم في الكتاب هذا
كتابا ويجوز ان يكون منصوبا على جهة الامر اى الزموا كتاب الله وقيل ان العامل فيه عليكم المحذوفة دون
المذكور تقديره عليكم كتاب الله اى تمسكوا بكتاب الله عليكم واما قوله واحل لكم ما وراء ذلكم فمعناه رخص لكم ما
سوى المحرمات من قرا احل بالنصب فهو نسق على قوله كتاب الله عليكم ومن قرا بضم الهمزة وكسر الحا فهو معطوف
على قوله حرمت عليكم امهاتكم وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم يعني احل لكم نكاح ما سوى المحرمات ان تطلبوا
باموالكم محصنين اعفا غير زناة وفي هذا دليل ان بدل البضع لا يجوز الا ان يكون مالا او ما يستحق به تسليم
مال ولهذا قال اصحابنا ان تعليم القران لا يجوز ان يكون صداقا ولو جاز ذلك لجاز التزويج على تعليم الاسلام
وذلك باطل بالاجماع وكذلك خدمة الزوج لا يكون صداقا عند ابي حنيفة وابي يوسف و في تقدير الصداق خلاف
بين اهل العلم روي عن علي كرم الله وجهه انه قال لا مهر اقل من عشرة دراهم وهكذا روي مرفوعا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبه اخذ اصحابنا وقال مالك اقل المهر ربع دينار وقال الشافعي يجوز بقليل المال وكثيره واصل
الاحصان في اللغة من المنع ومنه سمي الحصن حصنا لانه يمنع من العدو ومنه الدرع الحصينة اى المنيعة والحصان
بكسر الحا الفحل من الافراس لمنعه راكبه من الهلاك والحصان بالفتح العفيفة من النسا لمنعها فرجها من الفساد
قال حسان في عايشة رضي الله عنها ٭ حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ٭ وتُصبِحُ غَرثَى مِن لُحُومِ الغَوَافِلِ ٭
واما الاحصان في القران فهو يقع على معان مختلفة منها النكاح كما في اول هذه الاية ومنها الحرية كما في قوله
عز وجل فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات معناه اذا اسلمن ومنها العفة
كما في قوله عز وجل والذين يرمون المحصنات ويتعلق بالاحصان الشرعي حكمان احدهما ايجاب الحد على
قاذف المحصنة ويعتبر في ثبوت احصان المقذوف العفاف والحرية والاسلام والعقل والبلوغ فلا يجب
الحد على قاذف المجنون والصبي والزاني والكافر والعبد و الاخر هو الاحصان الذي يتعلق به الرجم
اذا زنى ويعتبر في ثبوت ذلك الاحصان الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والنكاح الصحيح مع الدخول
بالمراة وهما جميعا على هذه الصفة فان عدم شي من هذه الخصال في الزاني لم يكن عليه الرجم ٭ واصل
السفاح من سفحت الما اذا صببته ومنه سفح الدم والدمع ويسمى اسفل الجبل سفحا لانه موضع
مصب الما وانما سمي الزنا سفاحا لانه يسفح الما بالباطل من غير ان يتعلق بذلك الماحكم ثبوت
النسب ووجوب العدة وساير احكام النكاح واما قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن روي
عن ابن عباس وعطا وسعيد بن جبير رضي الله عنهم ان معناه فما استمتعتم بنكاح اللتي ابيح
لكم منهن فاعطوهن اجورهن فريضة من الله لهن عليكم والفرض ما يكون في اعلا مراتب الايجاب عن الله
عز وجل ولهذا لا يجوز اسقاط المهر في ابتدا العقد وعن ابن عباس في رواية اخرى ان المراد
بالاستمتاع الاستمتاع بالنكاح وبالمتعة الى اجل ويروى عنه انه سيل عن المتعة اسفاح ام نكاح
قال لا سفاح ولا نكاح قيل فما هي قال المتعة كما قال الله تعالى قيل هل لها من عدة قال نعم عدتها
حيضة قيل هل يتوارثان قال لا ثم روي عن ابن عباس انه رجع عن القول بالمتعة وقال عند موته
اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف في درهم بدرهمين يدا بيد وعن عمر
رضي الله عنه انه خطب حين ولي ثم قال ايها الناس ان الله احل لنا المتعة ثلثا ثم حرمها وانا
اقسم بالله تعالى لا اجد من تمتع الا رجمته الا ان ياتي باربعة يشهدون انه صلى الله عليه وسلم احلها
بعد ان حرمها وعنه ايضا انه قال لا اوتى برجل تزوج بامراة الى اجل الا رجمته بالحجارة وعن ابن
مسعود رضي الله عنه ان المتعة كانت رخصة لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة شكوا فيها الغربة
ثم نسختها اية النكاح وانما سمى الله تعالى المهر اجرا لانه بدل عن المنافع كما يسمى بدل منفعة الدار والدابة

اجرا وعن هذا استدل ابو حنيفة رحمه الله ان من استاجر امراة ليزني بها فزنى بها فلا حد عليه وجعل
قول الرجل لها استاجرتك بمنزلة قوله امهرتك وقد روي عن عمر رضي الله عنه ما يدل على سقوط حد
الزنا في الاجارة واما قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فمعناه لا اثم عليكم
فيما تراضيتم به من الزيادة والنقصان في المهر من بعد الفريضة في ابتدا النكاح و في هذا دليل جواز الحاق
الزيادة بالعقد خلاف ما قال زفر والشافعي رحمهما الله ان الزيادة تكون هبة مبتداة لا تملك الا بالقبض
وان قيل لو لحقت الزيادة بالمهر بعد النكاح لتنصف بالطلاق قبل الدخول قيل ما لا يكون مسمى في
نفس العقد يسقط بالطلاق قبل الدخول وان كان لاحقا بالعقد مثل الطلاق كمهر المثل يجب بعد الدخول او الموت
ويسقط بالطلاق قبل الدخول ومعنى ان الله كان عليما حكيما ان الله عليم بما يصلح امر العباد حكيم فيما امركم
به ونهاكم عنه **قوله عز وجل** وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ
فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ
بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا
أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ
وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد
رضي الله عنهم ان المراد بالطول الغنا والسعة ومعنى الاية ومن لم يستطع منكم غنى وقدرة اى من
لم يجد ما لا يتزوج به الحراير فلينكح مما ملكت ايمانكم اى ليتزوج بعضكم من اما بعض من امايكم وقال جابر
ابن زيد وربيعة وابرهيم النخعي ان المراد بالطول الهوى اى من لم يقدر منكم على نكاح الحراير هوى اي
عشقا بامة من الاما لا يتسع قلبه لتزويج الحرة فليتزوج بالامة التي يهواها من الاما المومنات ومعنى والله
اعلم بايمانكم اى هو اعلم بحقيقة الايمان وانتم تعرفون الظاهر وليس عليكم ان تبحثوا عن الباطن بعضكم من
بعض في الدين ويقال بعضكم من بعض في النسب اى كلكم ولد ادم عليه السلام وانما قال ذلك لان العرب كانت
تطعن في الانساب وتفخر بالاحساب وتعير بالهجنة يسمى ابن الامة الهجين فاعلم الله عز وجل ان الامة في جواز
نكاحها كالحرة بذلك وقوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن اى انكحوا الولايد باذن مواليهن واعطوهن
مهورهن يعني باذن اهلهن بالمعروف اى مهرا غير مهر البغي وهو ان يكون عشرة دراهم فما فوقها محصنات
يعني العفايف قرا الكساي وحده محصنات بكسر الصاد حيث كان هذا اللفظ في القران الا قوله عز وجل والمحصنات
من النسا وهكذا روي قيس بن سعد عن ابن كثير وقرا الباقون كلهم بفتح الصاد في جميع القران وقوله
عز وجل غير مسافحات اى غير زانيات معلنات بالزنا ولا متخذات اخدان اى اخلا في السر وذلك لان اهل
الجاهلية كان فيهن زوان بالعلانية لهن رايات منصوبة وبعضهن اتخذن اخدانا في السر حتى قال ابن
عباس رضي الله عنهما كان فيهم من حرم ما ظهر من الزنا ويستحل ما خفي منه فنهى الله عز وجل من نكاح
الفريقين جميعا وقوله عز وجل فاذا احصن قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه اى الاما اذا اسلمن
وتزوجن ومن قرا فاذا احصن بضم الهمزة فمعناه اذا زوجن واحصن بالازواج فان اتين
بفاحشة يعني الزنا فعليهن نصف حد الحراير خمسون جلدة لان الحراير من اهل الخطاب اذا لم تكمل
احصانهن بالنكاح والدخول فيه والاسلام كان حدهن في الزنا جلد ماية فاذا كمل فالحد الرجم والمراد
بهذه الاية تنصيف الجلد لان الرجم لا نصف له وكان يقول لان الامة لا يجب عليها الحد اذا زنت وان اسلمت حتى
تتزوج وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومعنى اذا احصن بالفتح اسلمن وجعل عليها الحد اذا
اسلمت وزنت وان لم تتزوج وهكذا روي عن عمر رضي الله عنه قال الحسن رضي الله عنه تحصنها الاسلام
وتحصنها التزوج **وذهب** عامة الفقها رحمهم الله الى ان الاسلام والتزويج لا يكونان شرطا في وجوب
حد الجلد على الامة فانها وان لم تكن محصنة بالاسلام والتزويج اقيم عليها نصف حد الحرة اذا زنت واستدلوا بما يروى

عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الامة اذا زنت ولم تحصن فقال صلى الله
عليه وسلم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فبيعوها ولو بضفير فان
قيل فما فايدة شرط الاحصان فى قوله عز وجل فاذا احصن والامة تحد حد الزنا سوا كانت محصنة بالاسلام
والزوج او لم تكن قيل فايدة ذكر احصان الاما ان حد الحرة يختلف بالاحصان وعدم الاحصان
وكان يجوز ان يتوهم متوهم ان حد الامة يختلف ايضا بالاحصان بالاسلام والزوج كما يختلف حد الحرة بذلك
فاوجب الله ذلك الحد بالجلد فى الحالة التى يجب فيها الرجم على الحرة ليعلم ان الاما لا مدخل لهن فى الرجم والله اعلم
ومعنى ذلك لمن خشى العنت منكم اى تزويج الاما والرضا بنكاحهن عند عدم طول الحرة لمن خشى الزنا منكم ويقال لمن
خشى الضرر فى الدين والدنيا منكم وان تصبروا عن نكاح الاما خير لكم وانما قال ذلك لان ولد الامة يكون رقيقا
لمولى الامة وله حق استخدامها فى الحاجات وبين ايدى الرجال والاجانب واما قوله عز وجل والله غفور
رحيم فمعناه غفور لما اصبتم من الحرمات يغفرها لكم بعد التوبة رحيم لا يعجل بالعقوبة على المذنبين والطول
فى اللغة ماخوذ من الطول الذى هو خلاف القصر لانه ينال بالغنا معالى الامور كما ينال الطويل ما لا يناله
القصير ومن ذلك التطول وهو الافضال بالغنا ويقال طال فلان فلانا يطول طولا اذا كان له فضل
عليه فى القدر واصل الفتى فى اللغة الشاب والفتاة الشابة الا ان الامة تسمى فتاة عجوزا كانت
او شابة لان الامة لا توقر توقير الحرة الكبيرة والاخدان جمع الخدن والخدن الخدين الصديق والعنت
فى اللغة المشقة الشديدة ويسمى الزنا بهذا الاسم لان الذى عمله يلقى الاثم العظيم فى الاخرة ويقام عليه
الحد فى الدنيا وقد تعلق اصحاب الشافعى رحمهم الله بظاهر هذه الاية فقالوا اذا كان عند الرجل من المال
مقدار ما يمكنه ان يتزوج به الحرة لا يجوز له ان يتزوج الامة قالوا ولا يجوز للمسلم ان يتزوج بالامة اليهودية
ولا النصرانية ولا يجوز للحر ان يتزوج اكثر من امة واحدة لان خوف العنت يزول بنكاح امة واحدة
قالوا ويجوز للعبد ان يتزوج على الحرة لان هذه الاية خطاب للاحرار لان الله تعالى قال فمن ما ملكت ايمانكم
وليست هذه الاية عند اصحابنا رحمهم الله على طريق الشرط ولكن معناها من لم يبسط الله تعالى له فى الرزق
فليرض بما قسم الله له ولا يعقد دون النكاحين ان لم يقدر على اعلاهما كما قال الله تعالى لينفق ذو
سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله وكما قال عز وجل فان خفتم الا تعدلوا فواحدة
وفى قوله عز وجل من فتياتكم المومنات بيان ان الامة المومنة خير من الحرة الكتابية ولو كان جواز
نكاح الامة للحر مقيدا بحال الضرورة وخوف العنت لكان الحر اذا تزوج حرة على الامة بطل نكاح الامة
ولا خلاف ان نكاح الحرة اذا طرا على نكاح الامة لا يبطل نكاح الامة وعن ابى يوسف رحمه الله انه تاول
هذه الاية على ان وجود الطول هو كون الحرة على ما ورد به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا
تنكح الامة على الحرة وتنكح الحرة على الامة وهذا تاويل صحيح لان كل من لا يكون عنده حرة فهو غير مستطيع
للطول اليها الا ان القدرة على المال لا توجب له ملك الوطى الا بعد وجود النكاح والله اعلم قوله عز وجل
يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم معنى الاية
والله اعلم يريد الله ان يبين لكم ما تحتاجون الى معرفته من الحلال والحرام وكيفية الطاعة ويبصركم
طريق الذين من قبلكم من اهل التورية والانجيل يدلكم على طاعته كما دل من قبلكم ويقال يعرفكم طريق
الذين من قبلكم من اهل الصلاح والفساد لتقتدوا بالصالحين ويتوب عليكم اى يتجاوز عنكم ما كان منكم
فى الجاهلية والله عليم بما فعلتم وبمن يتوب منكم حكيم بما امركم به ونهاكم عنه وقد اختلف اهل
النحو فى اللام التى فى قوله عز وجل ليبين لكم قال بعضهم معناها ان يبين لان الارادة والامر لا
يكونان الا للمستقبل وقال بعضهم اللام مع ما يليه فى حكم المصدر المعنى ارادة الله عز وجل تبيينه لكم وكذلك
وامرنا لنسلم لرب العالمين اى امرنا بالاسلام لرب العالمين ويقال فى معنى الاية يريد الله تعالى ما يريد

ليبين لكم وامرنا ما امرنا لنسلم لرب العالمين وكذلك فى قوله عز وجل ردف لكم اى ردفكم ما ردفكم قوله
عز وجل والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان
تميلوا ميلا عظيما معناه والله يريد ان يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم ويريد الذين يتبعون الشهوات
والمبطلون ان تعدلوا عن القصد والصواب وتخطئوا خطاء عظيما وانما سمى المبطل متبعا للشهوات
لان اتباعه للشهوة من غير ان يرجع الى الحق يوقعه فى الباطل وقال السدى اراد بالذين يتبعون الشهوات
اليهود والنصارى ويقال اراد به اليهود خاصة وقال مجاهد اراد به الزناة واللفظ عام فى الجميع
قوله عز وجل يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا
معناه يريد الله ان يسهل عليكم ويضع اوزاركم ويحط ذنوبكم وخلق الانسان ضعيفا لا يستطيع الصبر عما يهواه
ويقال معنى ضعيفا اسير الشهوة وفى الاية بيان ان الله عز وجل انما خفف فى تكليف العباد لضعفهم واراد بالضعف
ان يضعف الرجل عن احتمال خلاف هواه لكثرة دواعيه الى الشهوة واللذة لا ان يكون ضعيفا فى الخلقة لان الضعيف
فى الخلقة والقوة اذا قويت دواعيه الى الطاعة صار فى حكم القوى والقوى فى الخلقة والالة اذا ضعفت دواعيه
الى الطاعة صار فى حكم الضعيف قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما معناه يا ايها الذين
صدقوا بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم لا ياكل بعضكم مال بعض بالظلم وبينة الزور ويمين
الفاجرة والربا والقمار وغير ذلك وقوله عز وجل الا ان تكون تجارة استثنا منقطع لان المستثنى
خلاف جنس المستثنى منه لا يدخل الحلال فى ذكر الحرام حتى يستثنى منه فيكون معنى الا لكن كانه
قال لكن كلوا ما ملكتم بالمبايعة عن تراض منكم من قرا تجارة بالنصب فمعناه الا ان تكون الاموال
تجارة ومن قرا بالرفع فمعناه الا ان تقع تجارة وقيل ان معنى قراءة الرفع اولى لانها ادل على الانقطاع من
الاول روى انه لما نزلت هذه الاية امتنع الناس عن اكل الاموال بالهبة والهدية والضيافة ونحوها فانزل الله
عز وجل الاية التى فى سورة النور ليس على الاعمى حرج الى قوله عز وجل ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم واما
قوله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم فمعناه لا يقتل بعضكم بعضا فانكم اهل دين واحد وانتم كنفس واحدة كما
ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المومنون كلهم كنفس واحدة اذا اشتكى عضو تداعى سائر الاعضا
بالحمى والسهر وفى بعض الروايات المومنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ونظير هذه الاية قوله عز وجل فسلموا
على انفسكم ويقول العرب قتلنا ورب الكعبة اى قتل بعضنا بعضا وقال بعض المفسرين معنى قوله ولا تقتلوا
انفسكم لا يقتلن الرجل نفسه عند الضجر والغضب ويقال معناه ولا تقتلوا انفسكم لطلب المال وهو ان يحمل نفسه
على الغرر والمودى الى التلف وربما يتعدى ذلك الى سبب القتال فيصير هو سببا الى قتل نفسه ويعنى
ان الله كان بكم رحيما اى لا يرضى منكم بقتل بعضكم بعضا ولا اكل المال بالباطل فيرجع ضرره عليكم فى
الدين والدنيا قوله عز وجل ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا
وكان ذلك على الله يسيرا معناه اى من ياكل المال بالباطل ويقتل النفس بغير الحق عدوانا اى
اعتداء وجورا بغير حل والعدوان ان يعدو عن ما امر به والظلم ان يضع الشى غير موضعه
يعنى اذا فعل ذلك على وجه التعمد فسوف ندخله فى الاخرة النار وكان ذلك التعذيب على الله سهلا
لينا لا يمنع كثرة رحمته من تعذيب من يستحق العذاب قوله عز وجل ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم مدخلا كريما معناه ان تتركوا كباير
الذنوب جانبا نكفر عنكم الصغاير كما روى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير وندخلكم مدخلا كريما
يعنى الجنة والكباير ما كبر وعظم من الذنوب قال ابن عباس رضى الله عنهما هى كل شى سمى الله تعالى فيه النار

لمن عمل بها او شيء ترك فيه حد في الدنيا وروي ان رجلا اتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال اني اصبت
ذنوبا فاحببت ان تعد لي الكباير فعد عليه سبعا فقال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واكل
الربا واكل مال اليتيم وقذف المحصن واليمين الفاجرة قال طاووس رحمه الله قلت لابن عباس رضي الله عنهما
ما الكباير السبع قال هن الى السبعين اقرب منهن الى السبع وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لا ترى
الكباير الا اربعا الاياس من روح الله والقنوط من رحمه الله والامن من مكر الله والشرك بالله وقال مقاتل
رحمه الله الكباير ما نهى الله تعالى عنه في اول هذه السورة الى اخرهن الاية ويقال لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار وليس في الحقيقة هاهنا حد يفصل به بين الصغاير والكباير ولا يحسن في الحكمة
توقيف العباد على الصغاير لانه يكون في ذلك اغرا بالصغاير من حيث ان الانسان اذا علم ان الصغاير تقع
مغفورة ارتكبها ولم ينته عنها وليس المراد بالاخبار الواردة في هذا الباب قصر الكباير على ما هو مذكور فيها
فان قيل اذا لم يكن بين الامرين حد يفصل بينهما فكيف يجوز تعلق تكفير الصغاير باجتناب الكباير
قيل ان الله عرفنا جميع المعاصي ونهانا عنها وحذرنا عن كبايرها فلا يحصل التوثق باجتناب الكباير
الا بالتحرز عن جميع الذنوب وهذا كالرجل يخبئ واحدا عن واحد من العشرة بغير عينه لا يحصل له التحرز
عن ذلك الواحد الا بالتحرز عن جميع العشرة وقوله مدخلا يقرا بضم الميم وفتحها فمن قرا بضم الميم فهو اسم
موضع الادخال من ادخل يدخل وهذه القراءة مطابقة للفظ لانه يقال ادخل مدخلا ومن قرا بالفتح
فهو موضع الدخول **قوله عز وجل** ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله
كان بكل شيء عليما قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى هذه الاية لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا اشيا
مما لغيره ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراة للرجال حظ من الاجر مما اكتسبوا من العمل
الصالح وللنساء حظ من الاجر مما عملن من العمل الصالح واسألوا الله من رزقه ان الله لم يزل بكل شيء من اعمال
الرجال والنساء عالما قال الكلبي رضي الله عنه وفيها وجه اخر قالت الرجال ان الله فضلنا على النساء في الدنيا
فلنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الاعمال ولهن اجر واحد كما فضلنا عليهن في
الميراث فقالت ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ونسوة معها ليت الله تعالى كتب علينا الجهاد كما
كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فانزل الله عز وجل هذه الاية يقول ان المراة تجزى بحسناتها
عشر امثالها كما يجزى الرجل وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه اذ اقبلت امراة حتى قامت على راسه صلى الله عليه وسلم ثم قالت يا رسول الله
انا وافدة النساء اليك ليس من امراة بلغها مسيري اليك الا اعجبها ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل رب النساء ورب الرجال وادم عليه السلام ابو الرجال وابو النساء وحوا عليها السلام ام الرجال
وام النساء وبعثك الله عز وجل الى الرجال والى النساء فالرجال اذا خرجوا في سبيل الله فقتلوا فهم احياء عند ربهم
يرزقون فرحين واذا خرجوا فلهم من الاجر مثل ما قد علمت ونحن نحتبس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الاجر
من شيء فقال صلى الله عليه وسلم اقرئي النساء مني السلام وقولي لهن ان طاعة الزوج واعترافا بحقه
يعدل ما هنالك وقليل منكن يفعله ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان بدء اكثر المعاصي من القتل
والظلم واخذ مال الغير بغير حق ونحو ذلك انما يكون بالتمني ولما ذكر الله تعالى من قبل ما يحرم ويحل من النساء
والاموال وغيرها بين ما يكون تاديبا لاهل الدين فيما يتمنون ويسالون فحرم ان يتمنى امرؤ نفس ما فضل
الله به البعض على البعض وهو ان يتمنى ان تزول نعمة غيره اليه وهو الحسد المذموم الذي يرجع الى سخط الله تعالى
فيما يشاهده من فضل غيره عليه لان هذا التمني لا يقدر على نقل النعيم من غيره الى نفسه واذا تمنى ذلك فانما يتمنى
ان ينقله الله عز وجل اليه والقادر على نقله هو القادر على ابتداء التفضل عليه بعطاياه وكرمه ولو علم الله

عن

لاعطاه

عز وجل ان مصلحة هذا المتمني في اعطايه ما اعطى الاخر لانه لا يمنع من بخل ولا عدم وانما يمنع لحكمة اما
لمصلحة له في الحال او لعطية اكثر من ذلك في ثاني الحال والى هذا اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه انه قال لا يستام الرجل على سوم اخيه ولا يخطب على خطبة اخيه فما ظنك بمن
يتمنى ان يحصل له ما قد صار لغيره وفي ملكه ومن التمني المذموم ان يتمنى ما يستحيل وقوعه مثل ان تتمنى المراة
ان تكون رجلا او يتمنى خلافة او امامة او نحوها من الامور التي لا تكون واما التمني المباح فهو ان يتمنى الرجل ان يكون له
مثل ما لغيره من غير ان يريد زوال النعمة من غيره كما روى الزهري عن سالم عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فهو ينفق منه اناء الليل والنهار ورجل اتاه الله القران فهو
يقوم به اناء الليل والنهار **قوله عز وجل** ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما اراد بالموالي العصبة في هذه الاية قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسموا المال بين
اهل الفرايض فما ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ومعنى الاية لكل ميت جعلنا موالي مما ترك وهم الوالدان والاقربون
ويقال معناه لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي اي ورثة يرثونه واقرب العصبات عند الفقها
الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم كل من تتصل قرابته بالاب مثل الجد والاخوة من الاب والام ثم من الاب
ثم الاعمام وابناؤهم وان بعدوا يتقدم في ذلك الاقرب فالاقرب واخر العصبات موالي العتاقة ثم عصبته يكونون عصبة
العبد المعتق واولاده ولا خلاف بين من لا يتصل نسبه بالميت الا من جهة النساء انه ليس بعصبة وللمولى عدة تفاسير المعتق
والمعتق والولي والاولى بالشيء وابن العم والناصر والجار والحليف الا ان الكل يرجع الى القرب وهو كل من يليك
اما في القرابة او النصرة والحماية او النعمة وكل من والاك في المحبة فهو مولى لك وقد يسمى مالك العبد مولى لانه يليه بالملك
والتصرف واختلف اهل العلم في ميراث المولى الاسفل من الاعلى في باب العتاقة فقال عامتهم لا يرث المولى الاسفل
من الاعلى وحكى ابو جعفر الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث الاسفل من الاعلى وروي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه
الى غلام المعتق قال ابو جعفر فليس هذا الحديث معارضا فوجب اثبات حكمه وتاويل هذا الخبر والله اعلم انه يحتمل
ان النبي صلى الله عليه وسلم دفعه اليه لا على وجه الميراث ولكن لحاجته وفقره لانه كان مالا لا وارث له وكان
سبيله الصدقة واما قوله والذين عاقدت ايمانكم روي عن ابن عباس انه قال كان الرجل في الجاهلية
اذا اعجبه ظرف الرجل ووجب في خلده عاقده وحالفه وقال انت ابني ترثني حرمتي حرمتك وذمتي ذمتك
وثاري ثارك فيكون له كبعض ورثته في ماله يرثه مثل نصيب احدهم الا ان ينقص نصيبه عن السدس
لكثرة الورثة فيعطى السدس خاصة لا ينقص منه شيء فلما نزلت اية المواريث قام رجل من اهل العقد فقال كان
الرجل منا يا رسول الله يتبع الرجل فيصيب من ماله شيئا معلوما مع ولده وقد انزل الله تعالى اية المواريث
ولم يذكرنا شيئا فنزلت هذه الاية ثم نسخت بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ويقال ان
المراد بهذه الاية اصحاب الوصايا وما لهم من الحق في ثلث مال الميت لا يزادون عليه ويقال المراد بها
الزوج والمراة والاشبه بظاهر الاية ان تكون نازلة في اثبات التوارث لان قوله عاقدت ايمانكم
يقتضي معاقدة الحلف بين اثنين لان ظاهر الاية يقتضي نصيبا كان معلوما عندهم وليس معنى
قول ابن عباس ان هذه الاية منسوخة نسخ حكمها من الاصل ولكن معناه تقديم ذوي الارحام على
اهل العقد وهو كحدوث ابن لمن له اخ لا يخرج الاخ من ان يكون من اهل الميراث الا ان الابن اولى منه
كذلك اولوا الارحام اولى من الحليف فاذا لم يكن للميت رحم ولا عصبة فالميراث للحليف ولهذا قال اصحابنا
فيمن اسلم على يدي رجل ووالاه وعاقده ثم مات ولا وارث له غيره ان ميراثه له ولهذا قالوا ان له ان يوصي
بجميع ماله ولا وارث له صحت الوصية الا ان الوصية والولاء والموالاة يختلفان من وجه وهو ان ولاء الموالاة

لا يتعلق به شيء من المال مع العصبية والرحم والوصية يتعلق بها وجوب مقدار ثلث المال ومعنى ان الله كان
على كل شيء شهيدا اي لم يزل كان شاهدا على كل شيء من اعطاء النصيب ومنعه ۞ قوله عز وجل الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات
حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع
واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا قال ابن عباس نزلت
الاية في ابنة محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع وهو احد النقباء لطمها لطمة فنشزت عنه واستعدت
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصي منه وكان القصاص بينهم يومئذ في
اللطمة والشجة والجراح فنزل جبريل عليه السلام بهذه الاية ومعناها والله اعلم الرجال مسلطون على ادب
النساء بالحق والقيم والقوام كل من يقوم على الغير فيما يحتاج اليه ويقال هذا قيم المراة وقوامها قال الشاعر
الله بيني وبين قيمها يفر مني بها واتبع وقوله عز وجل بما فضل الله بعضهم على بعض اي جعل
الله عز وجل ذلك للرجال بفضلهم على النساء في العقل والراي وبانفاقهم اموالهم في المهور واقوات
النساء فالصالحات قانتات اي المحسنات مطيعات لله في امر ازواجهن وقيل قانتات لحقوق ازواجهن
واصل القنوت مداومة الطاعة ومعنى حافظات للغيب يحفظن فروجهن واموال ازواجهن في حال غيبة
ازواجهن ويدخل في حفظ المراة لغيبة الزوج ان تكتم عليه ما لا يحسن اظهاره مما يقف احد الزوجين على
الاخر وقوله عز وجل بما حفظ الله اي بحفظ الله عز وجل اياهن من معاصيه وبتوفيقه لهن ويقال بما
حفظهن الله في مهورهن والزام الزوج النفقة عليهن وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال خير النساء امراة اذا نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك
في مالك ونفسها ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية واما قوله عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن
معناه ان النساء اللاتي تعلمون عصيانهن لازواجهن فعظوهن وقد يجوز ان يوضع الخوف موضع العلم
لان خوف الشيء انما يكون للعلم بموقعه كما قال ابو محجن الثقفي ۞ فلا تدفنني بالفلاة فانني ۞
اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها ۞ والنشوز الترفع على صاحبها ماخوذ من النشز وهو المكان المرتفع
والمراد بالوعظ والهجر والضرب في الاية ان يكون ذلك على الترتيب المذكور فيها لان هذا من باب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر اذا امكن الاستدراك بالاسهل والاخف لا يتصل الى الاثقل فالاولى ان يبدا الزوج فيقول لزوجته
الناشزة اتقي الله وارجعي الى فراشك فان اطاعته والا سبها هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما والهجر
الكلام الفاحش يقال هجر الرجل يهجر اذا هذى واهجر الرجل يهجر اهجارا اذا تكلم بقبيح وقال الحسن وقتادة
قوله واهجروهن في المضاجع من الهجر وهو ان لا يقرب فراشها ولا ينام معها لان الله تعالى قرن قوله
واهجروهن بقوله في المضاجع ويقال هجرت فلانا اهجره اذا باعدته واذا لم ينفعها الوعظ هجرها زوجها
في المضجع فان كانت تحب زوجها شق عليها الهجران وان كانت تبغضه وافقها ذلك فكان دليلا على ان
النشوز من قبلها فيضربها الزوج حينئذ ضربا غير مبرح ولا شائن كما يؤدب الرجل ولده ويكون ذلك موكولا الى
رايه واجتهاده على ما يرى من المصلحة فيه ولهذا قيل ان هذا الضرب يتقيد بشرط السلامة لان الضرب
ربما يفضي ويزيد في الفساد وربما يكون طريقا الى الصلاح فالاولى ان يضربها بالنعل واللطم ضربا [illegible]
على حسب ما يراه ويقال معنى واهجروهن شدوهن ماخوذ من الهجار وهو ما يشد به ركب البعير يقال هجر
الرجل البعير يهجره هجرا اذا جعل له هجارا ومعنى فان اطعنكم اي فيما تلتمسون منهن فلا تطلبوا
عليهن عللا ولا تكلفوهن الحب لكم فانه ليس بملكهن ذلك ان الله كان عليا علا فوق كل شيء كبيرا ولا شيء اكبر منه
اراد بالعلي العلو في القدرة والقهر لا علو المكان واراد بالكبير الجلال والعظمة لا كبر الجثة تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا وقيل في تعليق هذا اللفظ بما سبق كان الله عز وجل يقول اني مع علوي وكبريائي

ارضى عن عبادي بالطاعة ولا اخذهم بالحب الذي لا غاية بعده فان في اكثر عبادي من يؤثر نفسه علي ولا
يخلص حبه لي كل الاخلاص ۞ وقد روي في الخبر انه لما شكى الرجال نساءهم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامرهم بالضرب اصبح بباب النبي صلى الله عليه وسلم سبعون امراة يشكون ازواجهن فاقبل
على اصحابه بعد الصلوة فقال ان المراة خلقت من ضلع اعوج فان اردتم اقامتها كسرتموها وان رفقتم
استمتعتم بها على عوج ثم قال خيركم خيركم لاهله ۞ قوله عز وجل وان خفتم شقاق بينهما
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما
خبيرا معناه وان علمتم ايها المؤمنون بعد العظة والهجران تباعد الزوجين عن الحق وهو ان يكون كل واحد
منهما في شق على حدة بالخلاف الذي بينهما ولم يدروا من ايهما جاء النشوز فابعثوا عدلا ذا راي وعقل من
اهل الزوج وعدلا من اهل المراة يختار الحاكم حكما من اهله وحكما من اهلها فيخلو حكم الزوج به فيقول اخبرني بما
في نفسك اتهواها ام لا فانا لا ادري ما اقول وما اعمل حتى ادري ما تريد فان قال انا اهواها لكنها تسيء معاشرتي
فعظها وارضها علم ان الزوج ليس بناشز وان قال لا حاجة لي فيها فرق بيني وبينها وخذ لي منها ما
استطعت علم انه ناشز وكذلك يفعل حكم المراة بالمراة ثم يلتقي الحكمان فيصدق كل واحد لصاحبه فيما
سمع فيقبلان على الزوج ان كان ناشزا فيقولان له يا عدو الله انت العاصي لله الظالم على امراتك
ويعظانه ويزجرانه وكذلك يفعلان بالمراة ان كانت هي الناشزة فذلك قوله ان يريدا اصلاحا اي
الحكمين اذا ارادا عدلا ونصيحة الف الله تعالى بين الزوجين ويقال وفق الله تعالى بين اقوال الحكمين
ان الله كان عليما بامر الحكمين خبيرا بنصيحتهما ويقال عليما بما فيه صلاح الخلق خبيرا بذلك وذهب
بعض اهل العلم الى ان الحكمين اذا رايا ان يفرقا بينهما فرقا بينهما وكذلك اذا راى الحاكم ان يفرق فعل
اذا وقع الاياس عن زوال الشقاق واعتبروا ذلك بالعنة وعلى اصل الشافعي رضي الله عنه بالتفريق باعسار
الزوج عن نفقة المراة فاما عند اصحابنا رضي الله عنهم فليس للحكمين ان يفرقا الا ان يكونا وكيلين في
الخلع من الجانبين او يرضى الزوج بتفريقهما لانه لا خلاف ان الزوج لو اقر بالاساءة اليها لم يجبر على طلاقها قبل
تحكيم الحكمين وكذلك لو اقرت المراة بالنشوز لم يجبرها الحاكم على الخلع ولا على رد المهر وكذلك بعد تحكيم الحكمين
واسم الحاكم يقع ههنا لكل من نصبه السلطان لامور المسلمين والحكم كل من يحكم الخصمان فيما بينهما ليجري
الصلاح فيما يرجعان فيه اليه وليس في هذه الاية دليل جواز تفريق الحكمين لان ارادة الاصلاح تقتضي
ارادة الالفة لا ارادة الفرقة بغير رضى الزوجين وعن عبيدة السلماني ان رجلا وامراة اتيا عليا كرم الله
وجهه مع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي كرم الله وجهه ما شان هذين قالوا بينهما شقاق
قال فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ثم قال للحكمين هل تدريان ما
عليكما عليكما ان رايتما ان تجمعا ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا ان تفرقا فقالت المراة رضيت بكتاب الله عز
وجل فقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كرم الله وجهه كذبت والله لا تنفلت مني حتى ترضى كما رضيت هي
وفي هذا الخبر بيان ان فرقة الحكمين لا تكون الا برضى الزوجين والله اعلم ۞ قوله عز وجل
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار
ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من
كان مختالا فخورا معناه والله اعلم وحدوا الله واطيعوه ولا تعبدوا معه غيره فان ذلك يفسد
عبادته واحسنوا بالوالدين احسانا ويقال معناه استوصوا بالوالدين احسانا وقد يذكر المصدر المنصوب
على تقدير فعل محذوف يدل عليه الحال كما يقال عمرا ضربا اي اضربه وصبرا اي اصبر كقول الله عز وجل
فضرب الرقاب ومعناه الامر واما قوله وبذي القربى معناه احسنوا بذوي القرابة وباليتامى والمساكين
والاحسان المذكور في الاية على وجوه منها المواساة للفقير منهم اذا خاف عليه الضرر الشديد من الجوع

والعري ومنها حسن العشرة وكف الاذى عنه والمحاماة دونه ممن يحاول ظلمه وكل ما يكون من مكارم الاخلاق
ويدخل في ذلك حسن قيام الاوصياء على اليتامى في اموالهم **واما** قوله عز وجل والجار ذي القربى معناه ما روي في الخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلثة جار له ثلثة حقوق وهو الجار القريب المسلم وجار له حقان وهو الجار
المسلم وجار له حق وهو الجار الكافر فعلى هذا يكون معنى الجار الجنب الذي هو من قوم اخرين لا قرابة بينك
وبينه ويقال ان الجار ذا القربى هو الذي يقاربك في الجوار تعرفه ويعرفك والجار الجنب هو الجار الغريب المتباعد
والجنب في اللغة البعيد واما الصاحب بالجنب فهو الرفيق في السفر والمنقطع الى الرجل رجاء خيره وبره
ويقال الزوجة ويقال هو جار الرجل في البيت الواحد ومما اوجب الله تعالى من حق الجوار الشفعة لمن يبيع
دار الى جنبه وفي ذلك خلاف بين اهل العلم **واختلفوا ايضا** فيمن اوصى لجيرانه قال ابو حنيفة
رحمه الله هو لجيرانه الملاصقين للدار وقال صاحباه لهم ولغيرهم من الجيران من اهل المحلة ممن قربوا او بعدوا
بعد ان يجمعهم مسجد واحد من مساجد الجماعة **واما** قوله عز وجل وابن السبيل قال مجاهد والربيع بن
انس هو المسافر ومعناه صاحب الطريق كما يقال للطير الماء ابن الماء وقال قتادة والضحاك هو الضيف ينزل عليك
وسمي ابن السبيل لان الضيف كالمجتاز الذي لا يقيم والضيافة ثلثة ايام وما زاد فهو صدقة وقال الشافعي
رحمه الله هو الذي يريد السفر ولا نفقة له **واما** قوله عز وجل وما ملكت ايمانكم فهم الخدم احسنوا اليهم
ولا تكلفوهم الا طاقتهم كما روي في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اطعموهم مما تاكلون واكسوهم
مما تلبسون ولا تكلفوهم الا ما يطيقون فانهم لحم ودم وخلق امثالكم **وعن** انس بن مالك رضي الله عنه
انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وما زال يوصيني بالنساء
حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن وما زال يوصيني بالمملوك حتى ظننت انه يجعل له مدة اذا انتهى اليها عتق
وما زال يوصيني بالسواك حتى ظننت ان احفي فمي وما زال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتي
لن يناموا الليل وكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاته الصلوة وما ملكت ايمانكم قال انس رضي
الله عنه جعل صلى الله عليه وسلم يغرغر بهذه الكلمة في صدره وما يفيض بها لسانه **ومعنى** ان الله لا يحب من
كان مختالا فخورا اي لا يرضا عمل من يختال في مشيته ويفخر على الناس بكبره والفخر من الادمي ضرب من الخيلا
وسميت الفخارة فخارة لانها تصوت اذا نقرتها وهي خالية وقيل انما ذكر المختال في هذه الاية لان المختال
يانف من ذوي قراباته اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا كذلك ولا يحسن عشرتهم وفي قوله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم ولا فخر بيان انه كان مامورا بان يقول هذا القول لانه قال ذلك لا على جهة الفخر الا
ترى انه روي في خبر اخر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى
عليه السلام واراد بهذا القول ان يقال على وجه المفاخرة **قوله عز وجل** الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
يجوز ان يكون اول هذه الاية في موضع النصب بدلا عن قوله مختالا فخورا ويكون نصبا على الذم على معنى
اعني الذين يبخلون ويحتمل ان يكون رفعا بالاستيناف وعلى اضمار هم الذين يبخلون قال عبد الله بن
عباس وابن مسعود ان المراد بالاية اليهود بخلوا بما كان عندهم من العلم بامر النبي صلى الله عليه وسلم
وامروا قومهم بالبخل وهو الكتمان ويقال كانوا لا يعطون من اموالهم شيئا ويامرون الناس بذلك
ويعتادون الاخذ والمنع وقال بعضهم ان الاية عامة في كل من بخل بما اوتي من المال ويكتم ما اعطاه
الله من النعم لا يخرج زكوته فعلى هذا يكون المراد بالكافرين في اخر الاية كافري النعم دون الكفار بالله عز وجل
فاما على التاويل الاول فالمراد بالكافرين اليهود والبخل منع الواجب وفيه قراتان من قرا بضم البا فهو
كالجود والشح ومن قرا بالنصب فهو كما يقال عطش يعطش عطشا وحزن حزنا **قوله عز وجل**
والذين ينفقون اموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان

له

له قرينا فساء قرينا نزلت في المنافقين الذين كانوا يراؤون الناس في الانفاق ولا يتصدقون في السر
ويقال ان المراد بالاية روساء مكة انفقوا على الناس وقت خروجهم الى حرب بدر وفي الاية بيان ان المنفق للريا
والسمعة لا يكون خيرا من البخيل واما قوله ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا فمعناه من يفعل ما يدعوه اليه
الشيطان ويسول له فبيس قرينه الشيطان يغويه في الدنيا ويكون قرينا معه في السلسلة في النار **قوله
عز وجل** وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم
عليما معناه اي شي عليهم ويقال ما الذي عليهم لو صدقوا بالله واليوم الاخر وتصدقوا مما رزقهم الله
من الاموال وما فرض الله تعالى عليهم من الصدقة وكان الله بهم عليما انهم لا يؤمنون وفي الاية بيان
انهم انما كفروا بسوء اختيار انفسهم وقلة تاملهم مع قدرتهم على الايمان لانه لا يحسن ان يقال لمن لا يقدر
على الشي ماذا عليك لو فعلت كذا كما لا يحسن ان يقال للمريض ماذا عليك لو كنت صحيحا ولا ان يقال للفقير ما
ذا عليك لو كنت غنيا ولا يقال لاهل النار ماذا عليكم لو خرجتم من النار **قوله عز وجل** ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما معناه ان الله لا
ينقص من جزاء الاعمال زنة نملة حمراء صغيرة وهي اصغر النمل هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
واصله الانتقاص والمثقال مفعال من الثقل وهو ما يوزن به الشي ومن ذلك يسمى ما يوزن به الدينار
مثقالا لانه يعادله في الثقل والذرة ماخوذ من قولك ذريت الشي اذا بددته مسحوقا ولذلك قيل ايضا
ان الذرة ما يظهر من شعاع الشمس **واما** قوله عز وجل وان تك حسنة يضاعفها من قرا حسنة بالنصب
فعلى تقدير وان تكن الفعلة حسنة ومن قرا بالرفع فعلى معنى وان تقع حسنة قال الضحاك اراد بالحسنة
التوبة ومن لم تكن له الا حسنة واحدة مقبولة غفر الله له ويقال معناه اذا زاد على سيئاته مثقال ذرة
من الحسنة يضاعفه الله عز وجل حتى يجعله مثل احد ويوجب له الجنة ويعطيه من عنده الزيادة على ما
يستحقه من جزاء عمله فذلك الاجر العظيم لا يعلم مقداره الا الله عز وجل **وعن** عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه انه قال خمس ايات في سورة النساء احب الي من الدنيا وما فيها ولقد علمت ان العلماء اذا مروا بها
عرفوها وهي قوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم مدخلا كريما
وقوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقوله عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله وقوله عز وجل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاؤك **واما** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها وهو ان المنفق اذا لم تبطل عليه ثواب ذرة من
نفقته مما الذي يمنعه من الانفاق اذا نظر وتفكر فيما يوجبه الراي والعقل **قوله عز وجل** فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا معناه والله اعلم كيف يصنع الكفار وكيف يكون
حالهم يوم القيمة اذا جئنا من كل جماعة بنبيها عليه السلام شهيدا عليهم ولهم وجئنا بك شهيدا يا محمد صلى الله عليه
وسلم على هؤلاء الذين ارسلت اليهم شهيدا تشهد لمن صدق بالتصديق وعلى كل من كذب بالتكذيب وانما
حذف الجواب في الاية لما تقدم ان الحذف في هذا الموضع في كلام العرب ابلغ من الاثبات لانك اذا حذفت الجواب
ذهبت النفس في الجواب الى كل مذهب واذا اثبت الجواب كان الجواب مقصورا على المذكور ونظير هذا قوله عز وجل
ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ولم يقل لكان هذا القران لكي تذهب النفس
منه الى كل مذهب والفايدة في ذكر الشهدا يوم القيمة ان الانسان اذا تصور عنده انه اذا عمل بالمعصية
شهد بها الانبياء على روس الاشهاد يوم القيمة كان ذلك ردعا له وازجر من فعلها كما اذا علم ان ملكين
يكتبان عليه ما يفعل وانه يحتاج الى ان يقرأه يوم القيمة على روس الاشهاد دوانه اذا علم انه كذلك شهدت
عليه جوارحه كان ذلك ازجر له واكف من ان يفعل ما يستحيي في الاخرة من مثل ذلك الفعل **وروي** عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه لما قرا هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عينا رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقد أجمع الناس على أن الانبيا صلوات الله عليهم يشهدون على اهل عصرهم واختلفوا في شهادتهم على من بعد اهل عصرهم قال بعضهم يشهدون عليهم وعلى من بعدهم وقال بعضهم لا يشهدون الا على اهل عصرهم واستدل بما حكى الله عز وجل عن عيسى عليه السلام وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم فاخبر انه انما يكون شهيدا عليهم مدة مقامه فيهم ثم بعد ذلك لم يكن له علم بهم

قوله عز وجل يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا معناه يوم وقوع الشهادة تمنى الذين كفروا بالله وعصوا الرسول ان الارض سويت بهم ومشى عليها اهل الجمع قال ابن عباس رضي الله عنهما ويودون انهم لم يكتموا الله حديثا وذلك حين يميز الله اصحاب اليمين واصحاب الشمال ويقول للبهايم والطيور والوحوش كوني ترابا فيرى ذلك اهل الكفر ويرون ما اكرم الله به اهل الجنة يقول بعضهم لبعض هلموا نقول اذا سئلنا والله ربنا ما كنا مشركين فيقولون ذلك فيختم الله على السنتهم ويأذن لجوارحهم بالكلام فتشهد عليهم عند ذلك فيقولون يا ليتنا كنا ترابا ويتمنون انهم لم يكتموا الله حديثا لانهم كذبوا في قولهم ما كنا مشركين وهذه الرواية المروية عن ابن عباس محمولة على ان البهايم تصير ترابا يوم القيمة بعد ان توفى اعواضها ويستوفى بعضها من بعض ولهذا قالوا انه لا يحسن من الله تعالى ان يبيح لنا استعمال البهايم وذبحها وانزال الالام بها دون ان يضمن لها الاعواض لان ايصال الالام الى حيوان لا لدفع مضرة ولا لمنفعة بالمفعول به يكون ظلما **وقد روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى لينصف الجما من القرنا **وعن** الحسن رضي الله عنه انه قال ان اهل الاخرة يكونون في تلك مواضع ففي موضع لا يسمع كلامهم الا همسا كما اخبر الله عز وجل عنهم وفي موضع ينكرون ما فعلوا من المعاصي والكفر ظنا منهم ان ذلك ينفعهم كما حكى الله تعالى عنهم ما كنا نعمل من سوء والله ربنا ما كنا مشركين وفي موضع يعترفون بما فعلوا من الكفر والمعاصي **وذهب** بعض اهل التفسير الى ان قوله عز وجل ولا يكتمون الله حديثا كلام مستانف غير داخل في التمني ومعناه انهم لا يقدرون على كتمان شي مما عملوا لظهور ذلك عند الله اي لا يفيد كتمانهم لان ذلك لا ينكتم عند الله قالوا وحمل هذا على الاستيناف اولى لان الكتمان عمن هو عالم بالامر من الكاتم محال وانه لا فايدة لهم في الكتمان لان الكاتم انما يكتم الشي ليلا يطلع عليه وهذا لا يتصور في الاخرة انهم لم يكفروا فيخبرون على ما توهموا الا انهم يقصدون الكتمان وذلك لا يخرجهم من ان يكونوا كذبوا كما قال الله عز وجل انظر كيف كذبوا على انفسهم لان من اخبر عن شي توهمه فقطع القول في خبره ولم يكن المخبر به على ما توهمه كان ذلك كذبا مثال ان يقول زيد في الدار وهو يتوهم ان زيدا في الدار وهو لا يكون في الدار فانه يكون كاذبا الا ان يقول اتوهم ان زيدا في الدار وقال بعضهم ان الكفار يقولون ما كنا مشركين على جهة الذهل فانهم يذهلون فيقولون هذا القول عند ذلك لا على جهة الاخبار عن انفسهم بذلك وقوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي كيف وجبوا العقاب على انفسهم فانه يقال كذب اي اوجب وانما تعرضت هذه الاقاويل عن مسئلة وهي ان الاخرة هل يجوز عليهم فعل القبيح ام لا قال بعضهم يجوز واستدل بهذه الايات وقال بعضهم لا يجوز لان اهل الاخرة اذا راوا اهوال الاخرة وما ادى بهم فعل القبيح في الدنيا الى العقاب في الاخرة صاروا ملجئين الى ترك القبايح بانفسهم ولان التمكين من فعل القبيح في غير دار التكليف يودي الى اباحة فعل القبيح وذلك لا يجوز من الله عز وجل والله اعلم

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية في جماعة من اكابر الصحابة كانوا يشربون الخمر قبل التحريم ثم ياتون الصلوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلون معه فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وتاويل الاية على هذا الطريق لا تقربوا موضع الصلوة وهو المسجد وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وما تقرا امامكم في الصلوة وهو خطاب لمن لم يبلغ به السكر الى حد لا يفهم الكلام كله لان الذي لا يفهم شيا من الكلام لا يصح ان يخاطب وقد جعل ابو يوسف ومحمد وجماعة من اهل العلم حد السكران مختلط بكلامه فلا يعلم ما يقول وانما منعوا من المساجد اذا دخلهم السكر لان من يكون على هذه الصفة لا يحترم المسجد ولا يامن ان يكون منه ما يلوث به المسجد فيجنب المسجد كما يجنب الصبي والمجنون وقوله عز وجل ولا جنبا الا عابري سبيل اي لا تقربوا موضع الصلوة وانتم جنب حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مجتازين وذلك ان من الصحابة من كانت بيوتهم في المسجد فكان لا يمكنهم الخروج من بيوتهم من حيث الا ان يمروا في المسجد ثم امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوجهوا بيوتهم الى غير المساجد فقال وجهوا هذه البيوت الشارعة الى غير المسجد فاني لا احل المسجد لحايض ولا جنب ويقال رخص لهم ان يتيمموا في بيوتهم ثم يمروا في المسجد الى الما فيغتسلوا واذا لم يكن الما الا في المسجد تيمم الجنب ودخل المسجد ثم اخذ الما وخرج واغتسل **وذهب** الشافعي رحمه الله الى ان الجنب يجوز له العبور في المسجد بغير التيمم ولا يجوز له اللبث والاقامة فيه وقال مقاتل نزلت هذه الاية في جماعة من الصحابة كانوا يشربون الخمر في دار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قبل التحريم فحضرت صلوة المغرب فقدموا رجلا منهم فقرا قل يا ايها الكافرون وقال اعبد ما تعبدون وحذف لا في جميع السورة فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعنى الاية على هذا القول لا تقربوا نفس الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقرون اي لا تتعرضوا للسكر عند الصلوة ولا يكن منكم شرب تصيرون منه الى حال السكر عند الصلوة لا عن فعل الصلوة لان كون الانسان جنبا او محدثا لا يوجب سقوط فرض الصلوة عنه **وقد روي** عن ابن عباس في رواية اخرى انه قال كانوا لا يشربونها بعد نزول هذه الاية عند الصلوة فاذا صلوا العشا شربوها **وعن** عمر رضي الله عنه انه قال بعد نزول هذه الاية اللهم ان الخمر تضر بالعقول والاموال فانزل فيها امرك فصبحهم الوحي باية المايدة واما قوله عز وجل ولا جنبا الا عابري سبيل فمعناه لا تصلوا وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين لا تجدون الما فتيممون وتصلون هكذا روي عن علي كرم الله وجهه والتيمم وان كان يبيح الصلوة فانه لا يرفع الجنابة لانه يعودون على الماء بعد التيمم يعود الى ما كان عليه من قبل من حدث او جنابة وقال بعضهم معنى الا عابري سبيل الا ان يكون مسافر لا يجد ما ولا ترابا نظيفا يصلي في الوقت ثم يعيد بعد ذلك وهو قول ابي يوسف في المحبوس في المصر اذا لم يجد ما ولا ترابا نظيفا وعلى ان حمل الاية على نفس الصلوة اولى من حملها على موضع الصلوة لان حملها على المسجد عدول له عن حقيقة اللفظ الى المجاز وفي نسق الاية ما يدل على ان المراد به حقيقة الصلوة وهو قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون وليس للمسجد قول مشروط يمنع من دخوله المقدرة عليه عند السكر وفي الصلوة قراة مشروطة فدل ان المراد بالاية حقيقة الصلوة ويحتمل ان يكون فايدة النهي عن الصلوة مع السكر وجوب اعادتها في حال الصحو اذا فعلوها في حال السكر واستدل ابو حنيفة من الاية على ان حد السكر الموجب للحد ان لا يعرف السما من الارض والرجل من المراة لان السكران الذي لا يدرك ما يقول يبلغ به السكر الى هذا المبلغ ولهذا يسقط عنه خطاب ادا الصلوة كما يسقط عن الصبي الذي لا يعقل والمجنون والنايم فاما الذي يدري ما يقول فلا يتناوله النهي عن فعل الصلوة وقال الضحاك المراد بالاية سكر النوم خاصة وفي هذا حمل اللفظ على المجاز لان الذي يغلبه النوم لا يسمى سكرانا على الحقيقة والسكر ماخوذ من السكر وهو سد البثق يقال سكرت النهر اسكره اذا سددت بثقه وسمي السكر سكرا لانه يسد مواضع المعرفة فاما قوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر فمعناه ان كنتم مرضى تخافون الضرر من استعمال الما نحو ان يكون الرجل كسيرا او مجروحا او صاحب قروح او وجد ريح يخاف برد الما او اذاه او كنتم على سفر مسافرين او جا احد منكم من الغايط معناه وجا احد منكم من الغايط لان الغايط ليس من جنس السفر والمرض فان المرض والسفر سبب لاباحة التيمم والرخصة والمجي من الغايط سبب لايجاب الطهارة فعلم ان المراد به وجا احد منكم من الغايط والغايط في اصل

اللغة هو المكان المطمئن من الارض يقال تغوط الرجل اذا دخل المكان المطمئن لقضا الحاجة وجعل هذا اللفظ
كناية عن ذلك يقال جا من الغايط اذا رجع عنه وقوله او لامستم النسا قال امير المومنين علي وابن عباس رضي
الله عنهم معناه او جامعتم النسا وقال عمر وابن مسعود رضي الله عنهما اراد به اللمس باليد وكانا لا يبيحان للجنب
التيمم وكانا يقولان انه لا يصلي وان لم يجد الماشهرا ويحتمل ان يكون المراد بالملامسة الملامسة التي يكون منها المذي
او الملامسة الفاحشة وهي ان يضاجع المراة وليس بينهما ثوب وقوله عز وجل فلم تجدوا ما معناه لم تقدروا على استعمال
الما وقد يذكر الوجود ويراد القدرة على استعمال الما فان كان بينه وبين الما سبع او عدو لم يكن واجدا للما في الحكم
ويحتمل ان يكون قوله فلم تجدوا راجعا الى قوله او على سفر دون قوله وان كنتم مرضى لان حالة المرض ليست حالة
يغلب فيها عدم الما ولكن يغلب فيها الضرر وحالة السفر يغلب فيها عدم الما وهكذا روي عن ابن عباس وابن مسعود
وقال الحسن رضي الله عنه قوله فلم تجدوا ما راجع الى المريض والمسافر جميعا اما المريض فلا يجد الما اذا لم يجد
من يناوله اياه واما المسافر فقد لا يجد الما بنفسه وقوله فتيمموا صعيدا طيبا معناه فتعمدوا واقصدوا ترابا
طاهرا ويقال ان الصعيد ما يتصاعد على وجه الارض وهو فعيل بمعنى فاعل لان ما يكون صاعدا على وجه الارض
يكون اقرب الى الطهارة من المكان المنخفض وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او صخرا لا تراب عليها
لان الله تعالى قال فتصبح صعيدا زلقا واذا كان على الصخرة تراب لا تكون زلقا ولهذا جوز ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله تراب
التيمم من صخرة لا غبار عليها ويقال انما سمي وجه الارض صعيدا لانه نهاية ما يصعد اليه من باطن الارض وقوله عز وجل
فامسحوا بوجوهكم وايديكم معناه فامسحوا وجوهكم وايديكم بعد ضرب الايدي على الصعيد الطيب وقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وذهب داود ومن
تابعه من اهل الظواهر ان التيمم ان يمسح اليدين الى الزندين اذ لو كان ذلك الى المرفقين لذكر في الاية كما ذكر في اية
الوضوء وفي الاية دليل على ان المراد بقوله او لامستم النسا الجماع دون اللمس باليد لان الله تعالى قال في اول الاية
ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا فبين حكم الجنب عند وجود الما ثم بين عند عدم الما حكم الطهارة من الحدث وهو التيمم
فالجوزان يدع بيان حكم الجنب عند عدم الما ويبين حكم المحدث مع ان المقصود باول الاية بيان حكم الجنب عند وجود
الما فنعلم ان المراد بقوله او لامستم النسا الجماع ليكون ذلك بيانا لحكم الجنب عند عدم الما ومعنى ان الله كان عفوا
غفورا متفضلا عليكم بتسهيل الاوامر وتخفيفها لانه نقلكم من الوضو الى التيمم غفورا متجاوزا عنكم يغفر لكم بهذه الطاعة سو
المسهلة ذنوبكم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجدورا اصابته الجنابة على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لا نجد لك رخصة التيمم وانت واجد للما فاغتسل فمات فاخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال قتلوه قتلهم الله هلا سالوا اذ لم يعلموا انما شفا العي السوال قوله عز وجل الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم
وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا قال عبد الله بن عباس هم اليهود كانوا يستبدلون الضلالة بكتمان صفة النبي
صلى الله عليه وسلم وكانوا ياخذون الرشا على كتمانهم ذلك بعد ما اوتوا العلم به ومعنى الم تر الم تعلم وبقا الم
تخبر والاصح ان الروية اذا كانت مقرونة بالى كان معناها المشاهدة والمعاينة كما يقال الم تر الى زيد ما اكرمه
ويراد بذلك التعجب من روية مثله في الكرم وقوله ويريدون ان تضلوا السبيل معناه ويريدون ان تضلوا انتم
طريق الهدى كما ضلوا هم بانفسهم وذلك ان اليسع ورافعا وغيرهم من احبار اليهود كانوا ياتون عبد الله بن
ابي ومالك بن الدخشم يامرونهم بترك الاسلام ومعنى والله اعلم باعدائكم اي هو اعرف بهم يعلمكم ما هم عليه
وفي قوله تعالى وكفى بالله وليا اعلام من الله تعالى ان عداوة اليهود لا تضر المسلمين اذ ضمن النصرة والولاية ومعنى
التاكيد اي اكتفوا بولاية الله ونصرته قوله عز وجل من الذين هادوا يحرفون الكلم عن
مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم
قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يومنون

الا قليلا قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر
فيخبرهم ويرى انهم ياخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون
له سمعنا قولك ويقولون في انفسهم وعصينا امرك وقوله عز وجل من الذين هادوا راجع الى قوله والله
اعلم باعدائكم على جهة التبيين للاعدا كما يقال هذا الثوب من القطن او من الكتان على جهة تبيين اصله
ويجوز ان يكون هذا استيناف كلام معناه من الذين هادوا قوم يغيرون كلام الله عز وجل وكلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن مواضعه فاستغنى بذكر الصفة عن الموصوف كما قال الشاعر
وما الدهر الا تارتان فمنهما ۝ اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ۝ يعني تارة منهما اموت فيها
واما قوله عز وجل واسمع غير مسمع فمعناه انهم كانوا اذا كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي قالوا
له اسمع وقالوا في انفسهم لا اسمعت ولا سمعت ويقال معنى غير مسمع غير مجاب الى شي مما تدعوا اليه وكانوا
يقولون راعنا يوهمون انهم يريدون بهذا القول انظرنا حتى نكلمك بما نريد وكانوا يريدون بذلك اللفظ
السب بالرعونة بلغتهم ويقال كانوا يقولون هذه الكلمة على وجه التكبر والتجبر كما يقول المتكبر لغيره
افهم كلامي واسمع قولي وكانوا يقولون ارعنا سمعك وتامل كلامنا ومثل هذا انما لا يخاطب به الانبيا صلوات
الله عليهم انما يخاطبون بالاجلال والاعظام وقوله عز وجل ليا بالسنتهم اي كانوا يلوون السنتهم بالسب
والتعيير والطعن في الدين واللي في اللغة الفتل يقال لويت العود اذا فتلته ولويت الغريم اذا ماطلته
لان ذلك يفتله وقوله عز وجل ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا معناه لو انهم قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك
مكان قولهم سمعنا وعصينا وقالوا واسمع وانظرنا اسمع قولك وتفهم كلامك مكان قولهم واسمع غير مسمع
لكان خيرا لهم في الدين واصوب مما يقولون ولكن لعنهم الله خذلهم وابعدهم من رحمته مجازاة لكفرهم فلا
يومنون الا ايمانا قليلا لا يجب ان يسموا به مومنين وقيل لا يومنون الا قليلا منهم وهم عبد الله بن سلام
ومن تابعه قوله عز وجل يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم
من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
وكان امر الله مفعولا معناه يا ايها الذين اعطوا علم التورية صدقوا بهذا القران الذي انزلناه على
محمد صلى الله عليه وسلم موافقا لما معكم من التورية من قبل ان نمحوا اثار الوجوه عنها اي نخسف بالعين والانف
وغير ذلك من اثار الوجوه فنحولها الى الاقفية فيمشون القهقري روي انه لما نزلت هذه الاية قدم عبد الله
ابن سلام من الشام فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي ويقال معنى فنردها على ادبارها نجعل وجوههم على هيئة
اقفيتهم ومعنى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما مسخنا اصحاب السبت وكان امر الله
مفعولا قضاؤه كاينا لا شك فيه فان قيل كيف قال الله عز وجل من قبل ان نطمس وجوها واوعدهم
بطمس الوجوه ان لم يومنوا ثم لم يومنوا ولم يقع الطمس قيل يحتمل ان يكون هذا وعيدا لهم على ترك جميعهم
الاسلام وقد امن منهم جماعة بعد هذه الاية كعبد الله بن سلام وعبد الله بن ثعلبة واسيد بن ثعلبة واسيد بن
عبيد وغيرهم ويحتمل ان يكون المراد بالاية الطمس في الاخرة وسيفعل الله ذلك بهم في الاخرة ويقال
قبل الشي لا يقتضي وجود ذلك الشي لا محالة كما في قوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فلهذا قالوا
ان من قال لامراته انت طالق قبل قدوم زيد انها تطلق في الحال قدم زيد او لم يقدم وذهب الحسن
وجماعة ان معنى من قبل ان نطمس وجوها نصرف وجوه القلوب عن الهدى ونردها الى الضلالة
الدايمة مجازاة لما هم عليه من الضلالة فيضلون ضلالا لا يومنون معه ابدا قوله عز وجل
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما قال عبد الله بن عباس لما لقي الناس يوم احد وقد جعل لوحشي ان هو قتل حمزة فهو حر

فقتله فلم يوف له فلما قدم مكة ندم على صنيعه الذى صنعه هو واصحابه معه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا من الدخول معك الا انا سمعناك تقول اذ كنت عندنا بمكة والذين لا
يدعون مع الله الها اخر الى قوله عز وجل ويخلد فيه مهانا وقد دعونا مع الله الها اخر وزنينا وقتلنا النفس فلولا
هذه الاية لاتبعناك فنزل الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية الى
وحشى واصحابه فلما قرؤوها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه
الاية فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فبعث بها اليهم فقالوا نخاف ان لا
نكون من اهل مشيته فنزل قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية فبعث بها اليهم
فوجدوها اوسع مما كان قبلها فدخل هو واصحابه فى الاسلام فقال عليه السلام لوحشى كيف قتلت حمزة فاخبره
فقال غيب وجهك عنى فانى لا اقدر على النظر اليك فلحق بالشام فمات وفى بطنه الخمر ويروى عن عبد الله
ابن عمر رضى الله عنهما انه قال كان اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا له انه من اهل النار حتى نزل قوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فامسكنا عن هذه الشهادات ويقال ان هذه الاية
مستثناة على جميع ما فى القران من الوعيد ومعنى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا يغفر ما دون الشرك من
الذنوب كلها لمن سبقت له المشية بالمغفرة من الله تعالى فيغفرها له بفضله ويعذب من يشا من
المذنبين بعدله وفى هذا ابطال قول من يقول ان فى الوعد بغفران المعاصى اغراء بها لانه انما يكون
الاغرا بالقطع على غفرانها فاما اذا علق غفرانها بالمشية لم يكن فى ذلك اغرا بها ولكنه يوقف العبد بين
الخوف والرجا وهكذا يجب ان تكون صفة المومن ولا يصح قول من يقول انه لا يصح ان الله تعالى يغفر المعصية
لبعضهم دون بعض لان فيه محاباة وليس من الله تعالى ومن احد ما يوجب المحاباة وذلك ان الله عز
وجل متفضل بالغفران وللمتفضل ان يتفضل على الانسان وان يتفضل على غيره بمثل ذلك ومعنى ومن يشرك بالله
فقد افترى اثما عظيما اى من يشرك بالله سواه فقد اختلق على الله كذبا عظيما غير مغفور له والافترا
والاختلاق متقاربان فى المعنى الا ان معنى افترى قطع كذبا وهو الافتعال من الفرية وهى القول الزور
واصلها من قولهم فريت الاديم اذا قطعته ومعنى اختلق اى قدر كذبا من الخلق الذى هو التقدير
قوله عز وجل **الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشا ولا يظلمون فتيلا**
قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الاية فى بحرى بن عمرو ومرحب بن زيد اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعهما طايفة من اليهود باطفالهم فقالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم هل على اولادنا هولاء من ذنب قال لا
فقالوا والذى يحلف به ما نحن الا مثلهم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل
الا كفر عنا بالنهار فهولاء الذين زكوا انفسهم برؤوها من الذنوب وزعموا انهم ازكيا يقول الله عز وجل
بل الله يزكى من يشا وفى الاية بيان ان الله عز وجل لا يزكى احدا من غير استحقاق وانما يزكى بما توجب الحكمة
التزكية له لا ان يختار واحدا من دون استحقاق التزكية ومعنى ولا يظلمون فتيلا اى لا تنقصون من جزا ما
تستحقونه قدر الفتيل والفتيل ما تفتله بين اصبعك من الوسخ اذا مسحت احديهما بالاخرى وقال الحسن
رحمه الله الفتيل ما فى بطن النواة فى شقها من لحايها والنقير النقرة التى تكون فى ظهر النواة والقطمير جملة
ما التف عليها من لحايها **قوله عز وجل** **انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به
اثما مبينا** معناه انظر يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يختلق اليهود على الله الكذب وكفى
بما يفعلونه ذنبا بينا اى كفى هو فى الاثام وهذا اللفظ انما يستعمل على جهة المبالغة كما
يقال كفى بفلان لك صديقا وكفى بفلان لك عدوا **قوله عز وجل** **الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هولاء اهدى من الذين امنوا سبيلا** قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

ركب كعب بن الاشرف فى سبعين راكبا من اليهود فيهم حيى بن اخطب وجدى بن اخطب ومالك
ابن الصيف وغيرهم فاتوا مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى
كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اجله ففعلوا فقال ابو سفيان ويحكم يا معشر
اهل الكتاب انشدكم بالله ابنا اقرب الى الهدى والحق انحن ام محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
فانا نعمر هذا المسجد ونسقى الحاج ونفادى الاسير ونحجب الكعبة ونصل الرحم ومحمد صلى الله عليه
وسلم قطع ارحامنا واتبعه شرار الحجيج بنو غفار فنحن اهدى ام هم فقالت اليهود لا بل انتم
اهدى منهم فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها الم تخبر يا محمد صلى الله عليه وسلم ويقال الم
ينته علمك الى الذين اعطوا نصيبا من الكتاب اى علما بالتورية وما فيها من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته يصدقون بالجبت والطاغوت قال ابن عباس الجبت حيى بن اخطب والطاغوت كعب بن
الاشرف ويقال الجبت الكهنة والطاغوت الشياطين ويقال الجبت الصنم والطاغوت مترجم الصنم لهم
عن الصنم على لسانه ويقال الجبت بلغة الحبشة والطاغوت بلغة العربية وهذا لا يصح الا ان تكون لغة
العرب موافقة للغة الحبشة فى ذلك وقال اهل اللغة كل معبود سوى الله تعالى فهو جبت وطاغوت
فهذا غير خارج عن اقاويل اهل التفسير ومعنى ويقولون للذين كفروا اى اليهود يقولون
للمشركين انتم يا هولاء اصوب دينا وطريقا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وفى هذا بيان شدة
عناد اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه لان المسلمين كانوا يصدقون بكثير مما كانوا عليه
اليهود والمشركون كانوا لا يصدقون باصل دين اليهود ثم زعم اليهود ان الذين لم يصدقوا بشى
من الكتب وعبدوا الاصنام اهدى طريقا من الذين يصدقونهم فى كتبهم المنزلة من الله عز وجل
قوله عز وجل **اوليك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا**
معناه اوليك الذين خذلهم الله وابعدهم من رحمته ومن يبعده الله من رحمته فلن تجد له
مانعا بدفع عذاب الله تعالى عنه ويقال معنى فلن تجد له نصيرا اى لا يعتد بنصر غير الله مع
خذلان الله عز وجل والا فقد كان اولياوهم ينصرونهم **قوله عز وجل** **ام لهم
نصيب من الملك فاذا لا يوتون الناس نقيرا** وذلك ان اليهود كانوا اصحاب بساتين
واموال وكانوا على غاية البخل يقول الله عز وجل ام لهم نصيب من الملك ولهذه الالف معان
احدها ان ام تكون معادلة فترجع الى الالف فى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
والثانى ان تكون معادلة لالف مقدر كانه قال الهم نصيب من النبوة ام لهم نصيب من الملك
والثالث ان تكون منقطعة ومعناها بل لهم نصيب من الملك كما فى قوله عز وجل الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه ومعنى فاذا لا يوتون الناس نقيرا لو كان لهم نصيب
من الملك ما اعطوا الناس مقدار النقير وهذا على طريق التمثيل اى انهم يضنون بالقليل الذى لا
شى اقل منه وقوله عز وجل لا يوتون فى موضع نصب كما يقول الرجل لاخر انا اكرمك فيجيبه اذا اكرمك
بنصب الميم تقديره اذا اكرمتنى فعلى ان اكرمك وقال بعضهم النقير ما نقرته باصبعك من درهم
او غيره ماخوذ من النقر وهو النكت ومنه سمى المنقار منقارا لانه ينكت فى الارض ويسمى الصور
ناقورا لانه ينكت فيه بالصوت **قوله عز وجل** **ام يحسدون الناس على ما اتاهم
الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما**
معناه بل يحسدون الناس يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اعطاه الله تعالى من النبوة
ويقال حسده اليهود على ما احل الله تعالى له من النسا وقالوا لو كان نبيا لشغلته النبوة عن النسا
وقال قتادة اراد بالناس العرب بان جعل الله تعالى النبوة فيهم ومعنى فقد اتينا ال ابرهيم

وقال عكرمة الجبت والطاغوت صنمان كان
المشركون يعبدونهما وقال ابن عباس
الجبت الاصنام والطاغوت الذين
يعبدون عنها الكذب ليضلوا الناس
وروى عن عمر بن الخطاب ان الجبت
السحر والطاغوت الشيطان وكذا
قال مجاهد والشعبي وقال ابن زيد
الجبت الساحر والطاغوت الشيطان
وقال [illegible] الجبت الساحر
والطاغوت الكاهن
[illegible]

الكتاب والحكمة فقد كانت النبوة والكتاب في آله وهم آل ابرهيم عليه السلام وقوله عز وجل وآتيناهم ملكا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنهما هو ملك سليمن بن داود عليهما السلام وكان لسليمن سبعمائة امراة مهرية وثلثمائة سرية وكان لداود عليه السلام مائة امراة والحكمة في كثرة تزويج الانبيا صلوات الله عليهم والله اعلم ان الذي لا يستفرغ بالنظر الى ما لا يحل له كانت شهوته اغلب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان واليدان تزنيان والفرج يصدق ذلك ويكذبه **قوله عز وجل** فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا معناه من اليهود من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من اعرض عن الايمان به ويقال معناه منهم من آمن بهذا الخبر عن داود وسليمن عليهما السلام بما اعطيا من الله عز وجل ومنهم من كذب وكفى بجهنم سعيرا وقودا لمن كفر به اي ان صرف الله عز وجل عن اليهود بعض العذاب في الدنيا مثل طمس الوجوه بسبب ايمان بعضهم فقد اعد لهم عذاب جهنم في الآخرة **قوله عز وجل** ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما معناه ان الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن سوف ندخلهم نارا ويقال معنى سوف نصليهم نشويهم من قولهم شاة مصلية اي مشوية ومعنى كلما نضجت جلودهم كلما احترقت جلودهم جددنا لهم جلودا غيرها بيضا كالقراطيس وذلك انهم كلما احترقوا خبت عنهم النار ساعة زيدت سعيرا وبدلوا خلقا جديدا فيهم الروح ثم عادت النار تحرقهم فهذا دابهم فيها ابدا قال الحسن رضي الله عنه بلغني انها تنضج كل يوم سبعين الف مرة وفي قوله عز وجل ليذوقوا العذاب بيان ان العذاب يكون كالمبتدا عليهم في كل حال لا كمن يستمر به الشي فان الذي يستمر به الشي ان كان ذلك لذة لم يجد في الحالة الثانية مثل ما وجد في الاولى وان كان الما فانه يالفه ولا يكون حاله كحال من يحل به ذلك في الابتداء ومعنى ان الله كان عزيزا حكيما غالبا في امره لا يملك احد منعه من نزاله وعليه ذا حكمة فيما حكم للكفار من النار وقد طعنت الزنادقة في تبديل جلود المذنبين وقالوا في هذا تبديل الجلد الذي اذنب وعصى بالجلد الذي لم يكن اذنب وهذا خطا منهم وغلط لان الجلد الثاني هو الاول يجدده الله عز وجل ويعيده الى الحالة الاولى فتكون الجلود جلدا واحدا والاحوال عليها متغايرة كما يقول الرجل صنعت من خاتمي خاتما اخر فهو وان غير الصوغ فاصل الفضة واحدة وكما ان الانسان اذا اتخذ من القميص قباء فقد يقول له غيره جئتني تغير لباسك الاول وليس انشا الجلد بعد النضج الا كانشا الجلد الذي يبلى بالبعث **وذهب** بعض المتكلمين الى ان الانسان هو الروح اللابس لهذا البدن وليس الجلد يتالم وانما يتالم الانسان الذي كان في الشخص بسبب الجلد الثاني والثالث كما يالم بالجلد الاول **وقال** بعضهم اراد بالجلود السرابيل وهذا لا يصح لان القمص لا تسمى جلودا ولان النضج انما يستعمل في الجلد واللحم دون الثياب والاصح هو الجواب الاول ثم بين الله عز وجل مصير المؤمنين **فقال عز وجل** والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا معناه والذين صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم سندخلهم بساتين تجري من تحت شجرها وغرفها مياه الانهار مقيمين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة في الخلق والخلق وندخلهم ظلا دائما وهو ظل الاشجار والقصور ظل لا حر معه ولا برد وليس كل ظل يكون ظليلا واسم الظل يتناول ما وقعت عليه الشمس وما لا تقع عليه الشمس ولا يكون الظليل الا ما لا يقع عليه الشمس وفي الخبر المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال

ان

كلهم

ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعه وهي شجرة الخلد **قوله عز وجل** ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة اتى البيت ليدخله فسال عن المفتاح فقيل هو مع عثمن بن طلحة فارسل اليه فاتاه فقال هات المفتاح فقال عمه العباس بن عبد المطلب بابي انت وامي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها لي الحجابة مع السقاية فقبض عثمن يده مخافة ان ياخذه منه فيدفعه الى عمه العباس فقال عليه السلام هات المفتاح يا عثمن فهم ان يعطيه فاعاد العباس مقالته فقبض عثمن يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمن ان كنت تؤمن بالله واليوم الاخر فهات المفتاح فلم يجد من دفعه بدا فعند ذلك فقال هاك انت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بامانة الله عز وجل فاخذ عليه السلام المفتاح ففتح الباب فلما اراد ان يدخل البيت اذ هو بصورة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والكبش في الحائط واذا الازلام في ايديهما فقال قاتل الله المشركين ما لابرهيم والقداح فامر بالصور فمحيت بالما ومكث في البيت ما شا الله ان يمكث فلما خرج وطاف بالبيت ثلثة اشواط او اربعة اشواط نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الاية ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فدعا عثمن بن طلحة فدفع اليه المفتاح وقرا عليه الاية فصارت الاية عامة للناس كلهم ولما هاجر عثمن الى المدينة دفع المفتاح الى اخيه شيبة فتوفي عثمن وصار المفتاح في ولد شيبة الى اليوم **فان قيل** اليس ذلك المفتاح كان امره بعد فتح مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له نقله من يد عثمن الى غيره فكيف تعد ذلك فيما يلزم رده من الامانات **قيل** اذا كان في يد من يوثق بديانته وامانته وكان اهلا لذلك لم يمتنع ان يلزم اقراره بعد الفتح كما يلزم اقرار المرء على نفسه وماله اذا اسلم على ذلك فيدخل هذا في جملة الاية واما قوله عز وجل واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل فهو خطاب للائمة ومعناه ويامركم اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي بالحق وقوله عز وجل ان الله نعما يعظكم به اي نعم الذي يامركم الله عز وجل به من اداء الامانة والحكم بالحق ان الله كان سميعا لمقالة العباس بصيرا بامانة عثمن **قوله عز وجل** يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا معناه يا ايها الذين صدقوا بتوحيد الله تعالى اطيعوا الله فيما امر واطيعوا الرسول فيما بين ويقال اطيعوا الله في الفرائض والرسول في السنة واما قوله واولي الامر منكم روي عن ابن عباس وجابر وجماعة من التابعين انهم الفقها والعلما في الدين وعن ابن عباس في رواية اخرى وهو قول ابي هريرة ان اولي الامر ولاة المسلمين وقال الكلبي ومقاتل هم امرا السرايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية امر عليهم وامرهم ان يطيعوه ولا يخالفوه ولا تنافي بين القولين لجواز انهما ارادا بالاية لان الامرا يلون امر تدبير الجيوش وقتال العدو والعلما يلون حفظ الشريعة وما يجوز وما لا يجوز فامر الله تعالى الناس بطاعتهم والقبول منهم ما داموا عدولا مرضيين وعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال حق الامام ان يحكم بالعدل ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك وجب على المسلمين ان يطيعوه لان الله عز وجل امرهم باداء الامانة والعدل ثم امر الناس بطاعتهم وبهذا استدل بعض المفسرين على ان الاظهر من الاية ان المراد بها الامرا لان قوله واذا حكمتم خطاب لمن يملك تنفيذ الاحكام ومنهم من [illegible] ان الاظهر ان المراد بها العلما لان امرا السرايا انما تجب طاعتهم من جهة امر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك وامرهم

لانه مرجع اليهم **واما** العلما اذا استدلوا من الكتاب والسنة او اجمعوا في حادثة من الحوادث على شي فان ذلك يضاف اليهم وصاروا فيه بمنزلة الكتاب والسنة وفي قوله عز وجل فان تنازعتم في شي دليل على ذلك معناه ان اختلفتم في شي من الحلال والحرام والشرايع والاحكام فردوه والحادثة الى الله تعالى والى ادلة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الرد لا يكون الا بالاستدلال والاستخراج من القياس لان الموجود في نص الكتاب اذا علم وعمل به لا يوصف بانه رد الى الكتاب وانما يقال هو اتباع النص وغير العلما لا يعلمون كيفية الرد الى الكتاب والسنة ولا دلايل احكام الحوادث وفي قوله عز وجل ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر بيان ان القصد بالخلاف كفروان الايمان اتباع الكتاب والسنة والاجماع وهذه الاية جامعة لبيان اصول الفقه ومعنى ذلك خير واحسن تاويلا رد الاختلاف الى الله عز وجل والرسول خير من الاصرار على الاختلاف واحسن عاقبة لكم ويقال احسن تاويلا من تاويلكم الذي تتاولونه من غير رد الى الكتاب والسنة **وعن** عمر رضي الله عنه انه قال الرجوع الى الحق خير من التمادي بالباطل

قوله عز وجل ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا معناه الم تخبر يا محمد عن الذين يزعمون انهم صدقوا بالقران الذي انزل اليك وبما انزل من قبلك من الكتب وهم المنافقون يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الى كعب بن الاشرف وكان يسمى الطاغوت وقد امروا في كتاب الله عز وجل ان يكفروا بالطاغوت ويريد الشيطان ان يضلهم عن الهدى ضلالا بعيدا عن الحق وذلك انه كان بين رجل من المنافقين وبين يهودي خصومة وكانت تلك الخصومة في حكم الاسلام على المنافق وفي حكم اليهود على اليهودي فقال اليهودي للمنافق انطلق بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم احاكمك وقال المنافق بل الى كعب بن الاشرف فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك جا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختصما اليه فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال الا ارضى بينى وبينك ابو بكر فحكم ابو بكر رضي الله عنه لليهودي فقال بيني وبينك عمر رضي الله عنه فصارا الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي اني خاصمته انا وهذا الى محمد صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فلم يرض بقضايه وزعم انه يخاصمني اليك فجيت معه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك قال نعم قال لهما رويدكما حتى اخرج اليكما فدخل البيت واخرج السيف ثم خرج اليهما وضرب به المنافق حتى برد وذهب اليهودي هاربا فشكى اهل المنافق عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم لعمر انت الفاروق **قوله عز وجل** وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا قال ابن عباس رضي الله عنهما اختصم الزبير بن العوام وثعلبة بن حاطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر بينهما فقضى للزبير فخرجا من عنده فمرا على المقداد بن الاسود وهو جالس فقال لمن كان القضا يا ثعلبة فقال قضى لابن عمته الزبير ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هولا يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطوون عقبه ثم يتهمونه في قضا يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا في حيوة موسى بن عمران فقال لنا اقتلوا انفسكم فقتلنا فبلغ قتلانا في طاعة الله عز وجل سبعين الفا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس وكان معهم اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسي لفعلت فانزل الله عز وجل في شان ثعلبة وليه شدقه واذا قيل لهم تعالوا اي قيل للمنافقين هلموا الى التحاكم الى اوامر الله عز وجل في كتابه والى الرسول صلى الله عليه وسلم ليحكم بينكم رايت المنافقين يعرضون عن حكمك اعراضا والصدود في اللغة هو الاعراض يقال صد يصد صدودا اذا اعرض بنفسه وصد يصد صدا اذا صرف غيره عن الشي والله اعلم

قوله عز وجل

قوله عز وجل فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا معناه والله اعلم فكيف صنيعهم من ندم او خزاية ويقال كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة بقتل صاحبهم وظهور نفاقهم بما فعلوه من ردهم حكم النبي صلى الله عليه وسلم وليه الشدق ثم جاوك معتذرين يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا تسهيلا عليك كيلا تشغلك خصومتنا وتوفيقا بين الخصوم بالتماس ما يقرب التوسط دون الحمل على مر الحكم ويقال معناه ما اردنا بالمحاكمة الى كعب بن الاشرف الا احسانا الا الحسانا الى من هو اهل الاحسان وتاليفا بين المسلمين والكفار **يقول الله عز وجل** أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا اي هم الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق والله عز وجل يعلم ما في قلوب الناس انهم منافقون وانهم لا ينفعهم كتمانهم مع علم الله تعالى ذلك منهم وقوله تعالى فاعرض عنهم اي اعرض عن عقوبتهم في الدنيا ويقال اعرض عن قبول عذرهم وعظهم مع ذلك بلسانك واعلمهم انهم ان عادوا الى رد حكمك يحقهم العقوبة والقتل ومعنى القول البليغ ان يبلغ صاحبه بعبارته كنه ما في قلبه يقال بلغ الرجل بلاغة فهو بليغ وبلغ القول فهو بليغ اذا بلغ اقصى العبارة **قوله عز وجل** وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما معناه وما ارسلنا رسولا الى الناس الا ليطاع ذلك الرسول بامر الله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بمطالبة الحكم الى الطاغوت جاوك ايها الرسول فاستغفروا الله وتابوا اليه واستغفر لهم الرسول عند ذلك لوجدوا الله قابلا للتوبة رحيما بهم بعد التوبة **قوله عز وجل** فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما معناه ليس الامر كما يزعم المنافقون ثم اقسم جل ذكره بنفسه فقال عز من قايل فلا وربك لا يومنون لا يستحقون اسم الايمان ولا يكونون مومنين عند الله تعالى حتى يحكموك فيما وقع بينهم الاختلاف بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي لا يضيق صدورهم من قضيتك ويقال لا يجدوا في انفسهم شكا في حكمك ويسلموا تسليما ينقادوا لحكمك وقضايك انقيادا وفي الاية دلالة ان من لم يرض بحكم واحد من احكام الله عز وجل وشك في اية من اياته كان ذلك كفرا منه ولذلك حكمت الصحابة بارتداد من امتنع من اداء الزكوة وقتلهم وسبي ذراريهم وقال بعضهم معنى تكرار لا في اول هذه الاية تاكيدا للنفي ومثله يستعمل في كلام الناس والمشاجرة في اللغة هي المخاصمة اخذت من الشجر تشبيها للخصومة في دخول بعض الكلام في بعض بالاشجار في التفاف بعضها الى بعض **قوله عز وجل** ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا نزلت في قول ثابت بن قيس اما والله ان الله تعالى ليعلم مني الصدق ان محمدا صلى الله عليه لو امرني بقتل نفسي لفعلت وكان ثابت من القليل الذين استثناهم الله عز وجل في الاية ومعنى الاية لو انا فرضنا عليهم كما فرضنا على بني اسرايل ان اقتلوا انفسكم وامرناهم ان تخرجوا من ديارهم لشق ذلك عليهم ولم يفعله الا قليل منهم مع علمه بوجوب ذلك عليهم ورفع القليل على البدل من الواو والمعنى ما فعله الا قليل منهم ومن قرا قليلا بالنصب كان نصبا على الاستثنا على معنى استثنى قليلا منهم فالوا وانما يجوز هذا في النفي فاما في الاثبات فلا يجوز فعلوه الا قليل منهم بالرفع لان الفعل لا يكون مضافا الى القليل ولا يكون القليل بدلا من الواو وقال الله عز وجل ضربوا منه الا قليلا منهم وانما حرف لو في اول هذه الاية فهو موضوع في اللغة ليمتنع به الشي لامتناع غيره تقول لو جاني زيد لحييته تريد بذلك ان

يجى امتنع لامتناع مجى زيد وحق لو ان يليها الفعل الا ان ان الشديده يقع بعدها لان ان
في اللغه تنوب عن الاسم والخبر يقول ظننت انك عالم اى ظننتك عالما وظننت علمك وكذلك
تنوب عن الاسم والفعل كما نابت عن الاسم والخبر فالمعنى في لو انا كتبنا عليهم كالمعنى في لو كتبنا
عليهم فاما قوله عز وجل ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا ففيه اربعة اوجه احدها ضم النون في ان والواو
في او لانهما اذا حركتا الى الكسر وقع خروجا من الكسر الى الضم وليس في كلامهم فعل فاستثقلوا ذلك
فضموها والثاني كسرهما جميعا لالتقاء الساكنين والثالث كسر الاولى وضم الثانيه لان الكسره في
الواو مستثقله والرابع ضم الاولى وكسر الثانيه وهو ضعيف لان في الواو ثقلا وفي الضمه ثقلا اخر
فعدلوا عن الضمه الى الكسره واما قوله عز وجل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به فمعناه لو فعل المنافقون
ما يومرون به من الرضى بحكمك لكان خيرا لهم من المحاكمة الى غيرك واشد تثبيتا لقلوبهم على الصواب
لان الحق يبقى والباطل يذهب ويتلاشى ويقال معناه لتثبت البصيره تودى الى سكون النفس واعتقاد
الجهل يودى الى الحيره والشك **قوله عز وجل** وَاِذًا لَاٰتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا اَجْرًا عَظِيْمًا
اى اذا لو فعلوا ما امروا به لاعطيناهم من عندنا ثوابا جزيلا في الجنه يصغر عنده كل ما سواه **قوله
عز وجل** وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيْمًا قال بعضهم ولفعلنا بهم من اللطف ومن الطاعات
ما يلزمون به الصراط المستقيم كما قال الله عز وجل والذين اهتدوا زادهم هدى وقال بعضهم
ولهديناهم في الاخره الى طريق الجنه **قوله عز وجل** وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ فَاُولٰئِكَ
مَعَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاۤءِ وَالصّٰلِحِيْنَ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيْقًا
معناه من يطع الله والرسول فيما يدعو الله اليه ويامر به فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال نزلت هذه الايه في ثوبان مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير
وجهه ولونه ونحل جسمه فقال عليه السلام ما غير لونك فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي من
مرض ولا وجع غير اني لم ارك فاشتقت اليك واستوحشت فهذا الذي نزل بي من اجل ذلك واذكر الاخره
واخاف ان لا اراك هنالك فانك ترفع مع النبيين فانزل الله تعالى هذه الايه فقال عليه السلام والذي نفسي
بيده لا يومن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين واما قوله والصديقين
فهم اصحاب الصدق والصديق فضل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسمي المداوم على التصديق بما يوجبه
الحق صديقا ويقال في معنى الصديق المتصدق في اعمال البر واما الشهدا هم الذين استشهدوا في
سبيل الله ويقال سموا شهدا لقيامهم بشهاده الحق وهذا هو معنى دعا المومنين اللهم ارزقنا الشهادة
وانما يقال للمبطون والغريق شهيدا على التشبيه بالشهيد لشده ما يناهم ويصبرون عليه واما
الصالحون فهم الذين استقامت احوالهم بحسن عملهم والمصلح هو المقوم لحسن عمله ولهذا يجوز في
في صفات الله تعالى المصلح ولا يجوز الصالح لانه يقوم بتدبير عباده فان قيل كيف يكون المطيعون لله
سبحانه والرسول صلى الله عليه وسلم مع النبيين ودرجة الانبيا في الجنه في اعلى عليين قيل ان الانبيا عليهم
السلام وان كانوا في الجنه في اعلى عليين فان غيرهم من المومنين يرونهم ويزورونهم ويستمتعون برويتهم
فيصلح في اللفظ ان يقال انهم معهم واما قوله وحسن اولئك رفيقا فمعناه حسن الانبيا ومن معهم رفقا
في الجنه اى ما احسن من يرفقهم فيها فذكر الرفيق بلفظ التوحيد لانه نصب على التمييز كما في قوله عز وجل فان
طبن لكم عن شي منه نفسا وكما يقال فلان احسن الناس وجها ويجوز ان يكون معنى حسن اولئك حسن
كل واحد من اولئك رفيقا كما قال الله عز وجل ثم يخرجكم طفلا ولم يقل اطفالا واصل الرفق في اللغه ارتفاق
صاحبه في المنزل او السفر ماخوذ من الرفق في الامر **قوله عز وجل** ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّٰهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ عَلِيْمًا

معناه ذلك المن من الله على المطيعين وكفى بالله عليما بهم وباعمالهم ومجازيا لهم بما يستحقونه
من ثواب وكرامه والفضل اصل في اللغه هو الزياده على المقدار الا انه كثر استعماله في النفع
وافعال الله عز وجل كلها تفضل وتفضل وافضال لانه لا ينتقص بالعبد على مقدار ما يستحقه
من عمله كما يفعل الناس بل يزيده زياده كثيره **قوله عز وجل** يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا خُذُوْا حِذْرَكُمْ
فَانْفِرُوْا ثُبَاتٍ اَوِ انْفِرُوْا جَمِيْعًا معناه يا ايها الذين اقروا وصدقوا الله ورسله خذ واحذركم من عدوكم
بالاسلحه والدوات والرجال ولا تخرجوا متفرقين ولكن انفروا جماعات جماعات سريه سريه
كما يامركم النبي صلى الله عليه وسلم في جهاد عدوكم او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم
ان اراد الخروج ويجوز ان يكون معنى الحذر السلاح من ما يطلب به الحذر والتوى في اللغه الفزع
يقال نفر ينفر نفورا ونفر الى الله عز وجل اذا فزع اليه والنفر الجماعه التي يفزع الى مثلها وواحد الثبات
ثبه وقد تجمع ثبه ثبون وانما جمعت بالواو والنون لان الواو والنون جعلتا عوضا من حذف
الحرف وتصغير ثبه ثبيه وكذلك عزه وعضه كما قال الله عز وجل عضين وعزين وثبة الحوض
وسطه حيث يثوب الماء واشتقاق الثبه من قولهم ثبت على فلان اذا جمعت ذكر محاسنه **قوله
عز وجل** وَاِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيُبَطِّئَنَّ فَاِنْ اَصَابَتْكُمْ مُّصِيْبَةٌ قَالَ قَدْ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيَّ اِذْ لَمْ اَكُنْ مَّعَهُمْ شَهِيْدًا
معناه وان ممن اظهر الايمان ليتثاقلن على الجهاد ويثقلن وهم عبد الله بن ابي وجد بن قيس واصحابهما
من المنافقين الذين كانوا يشاركون المسلمين في ظاهر الاسلام كانوا ينتظرون هلاك المسلمين وهزيمتهم
ويتثاقلون عن الجهاد يقال ابطا الرجل اذا تاخر عن العمل وابطا له المده وبطا الرجل اذا ثقل واللام التي
في لمن لام ان واللام التي في ليبطئن لام القسم كانه قال وان منكم لمن احلف والله ليبطئن ومعنى فان
اصابتكم مصيبه اى ان اصابتكم نكبه او قتل او هزيمه قال هذا المبطي قد من الله علي اذ لم اكن معهم حاضرا
مصيبا ما اصابهم **قوله عز وجل** وَلَئِنْ اَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللّٰهِ لَيَقُوْلَنَّ كَاَنْ لَّمْ تَكُنْۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهٗ
مَوَدَّةٌ يّٰلَيْتَنِيْ كُنْتُ مَعَهُمْ فَاَفُوْزَ فَوْزًا عَظِيْمًا معناه ولئن اصابكم معشر المومنين ظفر ودوله وغنيمه
ليقولن هذا المبطي يا ليتني كنت معهم في الغزو فاصيب حظا وافرا وغنائم كثيره واما قوله عز وجل كان
لم يكن بينكم وبينه مودة فانه معترض بين التمني وما قبله تقديره ولئن اصابكم
فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما كان لم يكن بينكم وبينه مودة اى تمنى
ان ينال المال من غير ان يريد الجهاد والقتال ويقول قول الممنوع عن النبي صلى الله عليه وسلم
وان كان ممتنعا بنفسه ويجوز على هذا التاويل حمل الايه على النظم الذي ورد الكتاب به وقال
بعضهم موضع قوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة سابق على هذه الايه وهو متصل بقوله تعالى قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم يكن بينكم وبينه مودة اى صلة في الدين ومعرفه في الصحبه
كانه لم يعاقدكم قبل ان يجاهد معكم ثم امر الله عز وجل كل من عقد عقد الايمان بالقتال فقال
عز وجل فَلْيُقَاتِلْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ الَّذِيْنَ يَشْرُوْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ وَمَنْ يُّقَاتِلْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ
فَيُقْتَلْ اَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيْهِ اَجْرًا عَظِيْمًا معناه فليقاتل في سبيل الله وهم الذين يبيعون الحيوة
الدنيا بنعيم الاخره وهم المومنون ويقال هو قوله عز وجل فليقاتل خطاب للمبطين ومعنى يشرون الحيوة
الدنيا يختارون الحيوة الدنيا على الاخره وهذا اللفظ من الاضداد يقال شريت بمعنى بعت وشريت بمعنى
اشتريت ثم ذكر الله تعالى المجاهدين في الاخره فقال عز من قائل ومن يقاتل في سبيل الله اى في الجهاد
الذي هو طاعه الله فيقتل هو او يغلب ويظفر على العدو فسوف نعطيه في كلا الوجهين ثوابا وافرا
في الجنه وسمى الله الثواب عظيما لانه جل ذكره تام من العبد بادنى الاثمان وقد يكون ثمن الشي مثله واكثر
وسطا من الاثمان وفي الايه بيان ان المومن اذا غلب العدو لا ينتقص ثوابه عند غلبته على ما اصاب من

الظفر والغنيمة ونظير هذه الآية قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يعني الظفر في الدنيا
والشهادة في الآخرة **قوله عز وجل** وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك
معناه اي شيء لكم ايها المومنون في ترك الجهاد واجتماع الاسباب الموجبة للحرص عليه وقوله لا تقاتلون في
موضع النصب على الحال كانه ما لكم تاركين للقتال كما قال الله عز وجل في آية اخرى فما لهم عن التذكرة
معرضين وقوله تعالى والمستضعفين في موضع الخفض باضمار في ومعناه وفي شان المستضعفين
اي وفي نصرة المستضعفين ويجوز ان يكون معناه وعن المستضعفين اي للذب عن المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان الذين هم بمكة ويلقون فيها اذى كثيرا من المشركين وهم سلمة بن هشام
والوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وغيرهم كانوا اسلموا بمكة فاراد عشايرهم من اهل مكة بعد هجرة
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ان يفتنوهم عن الاسلام يقول الله عز وجل ما لكم لا تقاتلون المشركين
في خلاص هولاء الضعفاء الذين يسالون الله عز وجل ويقولون ربنا اخرجنا اي خلصنا من هذه القرية
يعنون مكة الظالم اهلها اي الكافر اهلها واجعل لنا ربنا من عندك حافظا يحفظنا من اذاهم
واجعل لنا من عندك ما نعا يمنعنا منهم فاستجاب الله تعالى دعاهم وجعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم حافظا
وناصرا فتح مكة على يديه واستعمل هو عليهم عتاب بن اسيد وكان عتاب بن اسيد ينصف الضعيف
من الشديد وذهب الزجاج الى ان الظالم في هذه الآية نعت للقرية قال ووحد الظالم لانه صفة تقع
موقع الفعل يقول مررت بالقرية الصالح اهلها تريد بذلك الى صلح اهلها وقال الفرا هو نعت للاهل
فلما عاد الاهل على القرية كان فعل ما اضيف اليها بمنزلة فعلها كما تقول مررت بالرجل الواسع داره والحسن
شانه ونحو ذلك **قوله عز وجل** الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في
سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا في الآية بيان ان المومنين يقاتلون عن بصيرة
والكفار يقاتلون عن شبهة ومن يقاتل عن بصيرة يكون اقوى قلبا واشد واقرب الى النصرة ممن يقاتل
عن شبهة لان يشتد الحرص على القتال بقوة البصيرة ومعنى الآية الذين آمنوا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
يقاتلون في طاعة الله بامر الله والذين كفروا ابو سفيان واصحابه يقاتلون في طاعة الشيطان فقاتلوا ايها
المومنون قرنا الشيطان ان مكر الشيطان وصنعه بالوسوسة الى اوليائه ان الظفر يكون لهم كيد
ضعيف وانما ادخل على هذا اللفظ كان ليبين ان صفة الضعف لازمة له وانه مذ كان ضعيفا يخذل اولياءه
كما خذلهم يوم بدر حيث قال لهم اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون **قوله عز وجل** الم تر الى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون
الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن
قال ابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم نزلت هذه الآية في قوم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله والمقداد بن الاسود وغيرهم استاذنوا من
النبي صلى الله عليه وسلم في قتال المشركين حين كانوا بمكة فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف وقال اني
لم اومر بقتالهم بعد وفي رواية الروايات كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لو اذنت لنا ان نعمل معاول
نقاتل بها المشركين فقال صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم عن المشركين من ضربهم وقتالهم واقيموا الصلاة اي الم
الصلوات الخمس بشرايطها واعطوا زكوة اموالكم يقول الله عز وجل فلما فرض عليهم بالمدينة الجهاد اذا فريق
منهم طايفة منهم وجماعة يخشون الناس يخافون قتال اهل مكة كخوفهم من عذاب الله بل اكثر خوفا منهم من
خوفهم من الله وكلمة او في هذا الموضع لابهام الامر على المخاطب لا للشك اذ الشك لا يجوز على الله سبحانه وهذا
كما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويجوز ان يكون او في هذا للتخيير والاباحة كقولك جالس

الحسن او ابن سيرين اي ان شبهت خشيتهم من الناس بخشيتهم من الله كنت مصيبا وان شبهتها
باشد من ذلك كنت مصيبا لان خشيتهم من الناس قد بلغت مبلغ خشيتهم من الله وزيادة واما قوله
عز وجل وقالوا ربنا اي قالوا يا ربنا لم اوجبت علينا الجهاد لولا اخرتنا الى اجل قريب يعنون الموت
قال الحسن رضي الله عنه لم يقولوا هذا لكراهة امر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك كما يدخل
الجبن على الرجل وقال بعضهم انما قالوا هذا لانهم ركنوا الى الدنيا واثروا نعيمها على القتال واما قوله
عز وجل قل متاع الدنيا قليل معناه قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم منفعة الدنيا يسيرة تنقطع وتفنى
الجديد منها الى البلاء والشباب منها الى الهرم والانتصار قالوا واقل قيمة منها من يطلبها ويفرح بها ويرغب
اليها وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها
واما قوله عز وجل والآخرة خير لمن اتقى معناه وثواب الآخرة خير وافضل لمن اتقى المعاصي ولا ينقصون من
اعمالهم من الجزاء الذي استحقوه مقدار الفتيل ويقال ولا تظلمون بالتاء على المخاطبة وقد تقدم تفسير الفتيل والله
الموفق **قوله عز وجل** اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه
من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهولاء القوم لا يكادون يفقهون
معنى الآية والله اعلم اينما تكونوا معشر المومنين المخلصين والمنافقين في بر او بحر او حضر او سفر يلحقكم
الموت وان كنتم في حصون حصينة محكمة من الحديد وغيره مرتفعة الى اعنان السماء اي انكم وان سويتم
وامرتم بترك القتال فان اجل اعماركم موت لا تفوتون منه وذهب السدي الى ان البروج قصور باعيانها
في السماء ويقال هي الابنية على رؤوس السور وهي في الجملة ماخوذة من الظهور يقال تبرجت المراة اذا
اظهرت زينتها ومنه البرج سعة العين ورجل ابرج اذا كان واسع العين واما المشيدة فيجوز ان يكون
معناها من الشيد وهو الجص ويجوز ان يكون معناها المطولة المرتفعة شاد الرجل بناءه تشييدا شيد
او شادا اذا رفعه وطلاه بالشيد فاما في الذكر فيقال اشدت بذكر فلان لا غير اذا رفعت من ذكره
واما قوله عز وجل وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله فهو حكاية قول المنافقين واليهود كانوا
يقولون ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مذ قدم هذا الرجل علينا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم
بعد قدومه المدينة فذلك قوله عز وجل وان تصبهم حسنة اي يصبهم خصب ورخص سعر وتتابع
امطار يقولوا هذه من فضل الله علينا وان يصبهم قحط وجدوبة وشدة وغلاء سعر يقولوا هذه من شوم
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم كما قال الله عز وجل في شان موسى عليه السلام
وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه يقول الله عز وجل قل كل من عند الله اي قل لهم يا محمد صلى الله
عليه وسلم الحسنة والسيئة كلها بقضاء الله وتقديره فما لهولاء المنافقين واليهود لا يفقهون من فهم حديث
عن الله تعالى والفقه في اصل اللغة الفهم ثم اختص من جهة العرف بعلم الفتوى واستدل بعض المفسرين
على ان المراد بقوله عز وجل من قبل اذا فريق منهم يخشون الناس المنافقون دون المخلصين وقال الحسن
رضي الله عنه اراد بالحسنة في هذه الآية الظفر والغنيمة وبالسيئة القتل والهزيمة كانوا اذا غلبوا قالوا هذه
من عند الله واذا غلبهم العدو قالوا هذه بتدبيرك **قوله عز وجل** ما اصابك من
حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله
شهيدا اختلف المفسرون في المخاطب بهذه الآية قال اكثرهم هي خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها
عامة الناس كما قال عز من قائل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقال من قال
المخاطب باول هذه الآية الانسان كانه قيل ما اصابك ايها الانسان من حسنة اي خصب ورخص سعر
ونعمة فالله عز وجل هداك له واعانك ووفقك عليه وما اصابك من قحط وجدوبة ونكبة وهزيمة وكل
امر تكرهه فمن نفسك اي اصابك ذلك بما كسبت بمعاصيك عليك كما قال جل ذكره في آية اخرى وما اصابكم

حدثنا

من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من خدش
عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عز وجل اكثر وقال بعض المفسرين بين هذه
الاية وبين التي قبلها اضمار تقديره ذلك فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك لانه يستحيل ان يامر الله عز وجل باضافة الحسنة
والسيئة الى امره واضافته في انه لم يتلوها بانه يفرق بينهما بعد ان ذم قوما على التفرقة في الاولى فكيف يجوز
ان يدم على الجميع في الاية الثانية ومثل هذا الاضمار كثير وفي قراة الشواذ فمن نفسك اي الكلام من الله
فمن انت ونفسك حتى يضاف اليك شي غير ان القراة سنة متبعة فلا يقرا الا بما تصح به الرواية فاما قوله
عز وجل وارسلناك للناس رسولا فمعناه من نعمة الله تعالى عليك ارساله اياك رسولا اليهم وكفى
بالله شهيدا يشهد لك بالرسالة والصدق ويقال يشهد على مقالة القوم ان الحسنة من الله والسيئة
من عندك **قوله عز وجل** من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك
عليهم حفيظا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في المنافقين كانوا
يقولون يا رسول الله صلى الله عليك وسلم امرك طاعة فمرنا بما شئت نفعله فاذا امرهم بالامر ونهاهم
عن الشي خالفوه وغيروا ما قال لهم فانزل الله تعالى هذه الاية وما بعدها فيهم ومعنى الاية من يطع
الرسول فيما يامره وينهاه فقد اطاع الله لان الرسول صلى الله عليه وسلم انما يامر به من عند الله ومن
تولى اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا اي ليس عليك عليهم حفيظا اي ليس عليك الا البلاغ
وما ارسلناك عليهم مسلطا تجبرهم على الايمان والطاعة وتمنعهم عن الكفر والمعصية فانك مبلغ وانا
العالم بسرائرهم وهذه الكلمة من اخر هذه الاية منسوخة نسختها اية السيف **قوله عز وجل**
ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما
يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا معناه ان المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله
عليه وسلم امرك طاعة وقولك متبع فاذا خرجوا من عندك يا محمد صلى الله عليه وسلم غير جماعة من المنافقين
الامر الذي تامرهم به على وجه التكذيب والتدبير بخلاف ما تقول يقال لكل امر قضي بالليل بيت
به وادغام تاء بيت لان كل تانيث غير حقيقي يجوز تعين بلفظ التذكير وقرا بعضهم بيت طائفة منهم
باسكان التاء وادغامها في الطاء لقرب مخرجها وهذا مما يستقبح في الفعل لان الفعل الماضي مبني على
الفتح ومعناه والله يكتب ما يبيتون يحفظ عليهم ما يغيرون من امرك وتعالى ينزل اليك في كتابه فاعرض
عنهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعاقبهم وتعالى لا تسمي المنافقين باعيانهم اي استر عليهم الى ان
يستقيم امر الاسلام وثق بالله وفوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا ثقة وحافظا والوكيل هو العالم بما
يفوض اليه من التدبير **قوله عز وجل** افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا معناه افلا يتفكرون في القران يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وان احدا من
الخلائق لا يقدر على مثله فيعلمون انه حق وانه من عند الله والتدبر في اللغة هو النظر في دبر الشي وعاقبته
يقال دبر القوم اذا هلكوا ودبر وادبر اذا ولى امرهم ويسمون النخل دبرا لانه يعقب ما ينتفع به ويسمى المال
الكثير دبرا لانه شي للاعقاب وقوله عز وجل ولو كان من عند غير الله معناه لو كان هذا القران من عند
النبي صلى الله عليه وسلم او كان يعلمه بشر على ما قاله الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والاختلاف على ثلاثة
اوجه اختلاف تناقض وهو ان يدعو احد الشيئين الى فساد الاخر واختلاف تفاوت وهو ان يكون بعضه
بليغا وبعضه مرذولا ساقطا وهذان الضربان من الاختلاف منفيان عن القران وهو احدى دلالات اعجاز
القران لان كلام البلغاء والفصحاء اذا طال مثل السور الطوال من القران لا يخلو من ان يختلف اختلاف
التفاوت والثالث اختلاف تلاؤم وهو ان يكون الجميع متلائما في الحسن كاختلاف وجوه القراءات ومقادير

الايات والاختلاف بين الناسخ والمنسوخ وهذا الاختلاف غير منفي عن القران وفي الاية دليل
على بطلان قول من يقول انه لا يجوز تفسير القران الا بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم لانه لو كان
الامر على ما قالوا لم يمكن التدبر في القران اصلا اذ لا يمكن التدبر فيه الا بمعرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يمكن معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم الا بمعرفة صحة القران وانتفاء الاختلاف عنه وهذا يوجب ان لا
يعلم واحد منهما وفي الاية دليل بطلان التقليد في اصول الدين اذ لو جاز التقليد فيها لم يكن للامر بالتدبر
للقران معنى **قوله عز وجل** واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى
الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم
الشيطان الا قليلا قال بعض المفسرين اراد باول الاية المنافقين كانوا اذا اتاهم خبر من امر السرايا
الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم من ظفر ودولة وغنيمة او اتاهم عنهم خبر نكبة وهزيمة افشوا
ذلك الخبر واظهروه ليحذر بخبر الظفر من ينبغي ان يحذر من الكفار ويقوى بخبر الهزيمة قلب من كان
يبتغي نكبة المسلمين منهم وقال بعضهم اراد به صفة المسلمين في الرأي كانوا اذا بلغهم خبر افشوه يقول
الله عز وجل ولو ردوه الى الرسول اي لو تركوا امر العسكر والسرايا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى
اولي الامر من المؤمنين وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي واكابر الصحابة رضي الله عنهم حتى يكونوا هم
الذين يفشون لعلمه الذين يطلبون الخبر ويستخرجونه من النبي صلى الله عليه وسلم واكابر الصحابة ان ذلك
صحيح ام فاسد وعلموا تدبير مكايد العدو والخروج الى الجهاد من الاقدام في حالة والاحجام في اخرى
وعلموا ان ذلك هل ينبغي ان يذاع ذلك الخبر ولا يذاع وقد تقدم تفسير اولي الامر انهم امراء السرايا او العلماء
ولا تنافي بين القولين لان الامراء هم الذين يملكون الامر والنهي والعلماء هم الذين يحتاج الناس الرجوع
اليهم في الحوادث وان كانوا لا يملكون الالزام والاستنباط في اللغة الاستخراج واصل ذلك من
النبط وهو الماء الذي يخرج من البير في اول الحفر يقال انبط الحافر اذا بلغ الماء ومنه تسمية الانباط
بذلك لانهم كانوا اصحاب معرفة باستخراج المياه واما قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
فمعناه لولا ما انزل الله تعالى عليكم من القران وبين لكم من الايات على لسان نبيه عليه السلام لاتبعتم
الشيطان الا قليلا اي كان اقلكم ينجوا من الكفر مثل زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة والمرداد
بالفضل في هذا الفضل الرسول صلى الله عليه وسلم والقران لا عموم الفضل والرحمة لان الذي يؤمن
بغير الكتاب والرسول لا يخلو اعانة من فضل الله ورحمته وقال بعضهم في الاية تقديم وتاخير والمعنى
اذاعوا به الا قليلا من الخبر لم يذيعوه او الا قليلا من المنافقين لم يذيعوه وقال بعضهم المعنى لعلمه الذين
يستنبطونه منهم الا قليلا قال وليس هذا استنباط نظر وتفكر فلا يعرفه الا قليل من الناس انما هو
استنباط خبر والاكثر يعرف الخبر اذا اخبر به وانما القليل المبالغ في التلاوة لا يعلم ما يخبر به ثم امر الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالخروج الى بدر الصغرى حين كان اكثر الصحابة يكرهون ذلك كراهة
شديدة فخرج في سبعين راكبا حتى اتى موسم بدر الصغرى فكف الله عنه باس العدو وقال والنفس هي
واصحابه بذلك **قوله عز وجل** فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين
عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا واشد تنكيلا اختلفوا في الفاء في اول هذه
الاية قال بعضهم هو جواب قوله عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله وقال بعضهم هو جواب قوله وما
لكم لا تقاتلون في سبيل الله اي اي شي لكم في ترك القتال فقاتل في طاعة الله بالجهاد لا تؤخذ الا بفعل
نفسك وليس عليك ذنب غيرك وحرض المؤمنين على القتال ايضا لعل الله ان يمنع عنك قتال الكفار وعسى
من الله تعالى واجب لانه في اللغة الاطماع واطماع الكريم لا يكون الا انجازا وقوله عز وجل والله اشد
باسا معناه هو اشد قوة واشد عقوبة من اهل مكة وانما سميت العقوبة تنكيلا لانها فعل ما يوجب

ولم يكن صح

النكول الذي هو الامتناع من الشيء ومنه النكول عن اليمين والنكول عن الامر **قوله عز وجل** من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في معنى الاية من يصلح بين اثنين يكن له اجر وثواب من ذلك الاصلاح ومن يمشي بالغيبة والنميمة يكن له حظ من وزرها وعقوبتها ويقال معناه من يوحد ويامر بالتوحيد يكن له اجر من ذلك ومن يشرك ويامر بالشرك يكن له وزر من ذلك ويقال الشفاعة الحسنة هي الدعا للمومنين والشفاعة السيئة هي الدعا عليهم فان اليهود كانوا يدعون على المومنين فتوعدهم الله عز وجل بذلك واصل الشفاعة في اللغة ضم الشيء الى مثله وهو ان يصير الانسان شفع صاحبه في معنى من المعاني في جهاد ومسئلة خير او قصد سيء مما يفعل او قول وان كان استعمال هذا اللفظ في القول وطلب الخير اكثر في العرف والعادة واما الكفل فهو النصيب ماخوذ من قولهم اكفلت البعير اذا ادرت على سنامه او موضع من ظهره كسا وسمي ذلك كفلا لانه يستوعب الظهر كله وانما ذكر النصيب بلفظ الكفل على مقابلة الاول ليكون ابلغ في الحسن والجودة واحظا في البلاغة واما قوله عز وجل وكان الله على كل شيء مقيتا فمعناه مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة وانشد للزبير بن عبد المطلب ٥ وذي ضغن كففت النفس عنه ٥ وكنت على مساءته مقيتا ٥ اي مقتدرا وقال الزجاج المقيت الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ لانه مشتق من القوت يقال قت الرجل اقوته قوتا اذا حفظت نفسه بما تقوته والقوت اسم ذلك الشيء الذي يحفظ نفسه والافضل فيه على قدر الحفظ وانشد وانشد قول الشاعر ٥ الي الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت ٥ ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الاية التي قبلها تحريض على القتال وفي هذه الاية بيان ان للمعين بفعله وقوله نصيبا من الاجر والثواب ٥ **قوله عز وجل** واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا ٥ قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالتحية السلام ومعنى الاية على هذا القول واذا سلم عليكم احد فاجيبوا تحيته احسن منها وهو ان يزيد في التحية فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته تحيي بذلك المسلم عليه والملكين الحافظين معه بابلغ التحية وقوله عز وجل او ردوها معناه او اجيبوا مثل الذي سلم عليكم وقد روي ان رجلا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم ودخل رجل اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقام الداخل الاول فقال سلمت عليك فلم ترد علي وعليكم وزدت هذين فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لم تترك من السلام شيئا فرددته عليك وهذان تركا منه شيئا فرددتهما وفي هذا الخبر بيان ان منتهى السلام وبركاته وفي الاية دليل ان السلام سنة ورد السلام واجب وقد قال اصحابنا رحمهم الله ان رد السلام فرض على الكفاية اذا سلم الرجل على جماعة فرد واحد منهم اجزا عنهم الا في رواية ابي يوسف ان الرد واجب على كل واحد منهم واما قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير فالمراد بذلك والله اعلم الاستحباب في افشاء السلام ليكون الحظ من الثواب اكثر وهذه الاية محمولة على ما اذا كان المحيي مسلما فاما اذا كان المحيي كافرا فلا يزيد المسلم عليه في جوابه على قوله وعليك كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تبدءوا اليهود بالسلام فان بدؤكم فقولوا وعليكم وتاويل هذا الخبر ان ينوي المسلم عليه بقوله ما يفعل ان يدعى به للكفار من البقاء والنعمة في الدنيا دون نعيم الاخرة ولهذا لا يقال لهم ورحمة الله لان رحمة الله عز وجل لا تليق بالكفار وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى قوله واذا حييتم بتحية اي اذا اهدي اليكم هدية فكافئوا بافضل منها او مثلها وانما حملوا الاية على هذا التفسير لان معنى التحية في اللغة الملك على ما قيل في

التحيات لله ان معناها الملك لله وكانوا يقولون قبل الاسلام حياك الله اي ملكك الله ثم ابدلوا هذا اللفظ بالسلام بعد الاسلام واقيم السلام مقام قولهم حياك الله وعن هذا التفسير استدل فقهاونا رحمهم الله على صحة قولهم فيمن وهب لغير ذي رحم محرم منه ان له الرجوع فيها ما لم يعوض عنها كما رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الواهب احق بهبته ما لم يثب منها قالوا وحمل الاية على الهبات اولى لان عين السلام لا يتصور رده واما قوله عز وجل ان الله كان على كل شيء حسيبا فمعناه مجازيا يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه اي يكفيه يقال حسبك هذا اي اكتف بهذا وقوله عز وجل عطاء حسابا اي كافيا وانما سمي الحساب في المعاملات حسابا لانه يعلم به ما فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان عنه ثم وحد الله تعالى نفسه لبيان انه لا اله غيره يجازي على الاعمال **فقال عز وجل** الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا معناه هو الله لا اله في الارض ولا في السماء غيره واللام في ليجمعنكم لام القسم كانه قال الله ليجمعنكم هو في الحيوة والموت وفي قبوركم الى يوم القيمة ويقال معناه ليجمعنكم ايها المخاطبون الى جمع يوم القيمة وسمي هذا اليوم بهذا الاسم لان الناس يقومون للحساب يومئذ ويقال لانهم يقومون من قبورهم ومعنى لا ريب فيه لا شك فيه انه كائن لوضوح الحجة في كونه وقوله عز وجل ومن اصدق من الله حديثا استفهام بمعنى النفي اي ليس لاحد اوفى من الله وعدا ولا اصدق منه قولا اذ لا صادق الا ويوجد خبره بخلاف مخبره وقاما من الاوقات الا الله عز وجل فمن اصدق منه حديثا وانما كان الله سبحانه اصدق حديثا لعله يتبع الكذب ومعناه عن فعله ولا يكون الكذب الا للجهل بقبحه او لجلب منفعة او لدفع مضرة والله سبحانه غني عن العالمين ٥ **قوله عز وجل** فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ٥ قال ابن عباس رضي الله عنهما هاجر اناس من قريش فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا ثم ندموا فقالوا للمسلمين انا قد اجتوينا المدينة فنخرج ونتنزه فتصد قوهم فخرجوا فجعلوا يتحولون منقلة ثم منقلة حتى تباعدوا من المدينة ثم ادلجوا فاصبحوا وقد قطعوا ارضا بعيدة من الارض فلحقوا بمكة وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على ما فارقناكم عليه من التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنا اشتقنا الى ارضنا ولحقوا بمكة ثم انهم ارادوا ان يخرجوا في تجارتهم الى الشام فاستبضعهم اهل مكة وقالوا انتم على دين محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فان لقوكم فلا باس عليكم منهم فخرجوا من مكة متوجهين الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقالت طائفة منهم نقاتلهم فلبسوا علي ديننا وقالت طائفة سبحان الله كيف نقاتل قوما على ديننا فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها اي شيء لكم من الاختلاف في هولاء المنافقين حتى صرتم في امرهم فرقتين من محل لاموالهم ومحرم لاموالهم والله تعالى ردهم الى كفرهم وضلالتهم بما كسبوا من اعمالهم السيئة ونفاقهم وخبث نياتهم واما انتصاب قوله فئتين فعلى الحال كقوله ما لك قائما اي ما لك انتصبت قائما اي لم فئتين في هذه الحالة قائما ومعنى اتريدون ان تهدوا من اضل الله اتريدون معشر المخلصين ان ترشدوا من خذله الله عن دينه وحجته ومن يضلل الله اي يخذله الله عن دينه الاسلام فلن تجد له طريقا الى الحجة ويقال معنى اتريدون ان تهدوا اتريدون ان تقولوا ان من اضلهم الله فهم مهتدون ومن نسبه الله سبحانه الى الضلالة فلن تجد له هاديا يسميه مومنا وهذا كما يقال من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره **قوله عز وجل** ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ٥ معناه والله اعلم تمنى المنافقون والكفار ان تكفروا انتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران كما كفروا فتكونون انتم معهم في الكفر سواء فلا تتخذوا منهم احبا حتى يهاجروا في طاعة الله سبحانه فان اعرضوا عن الايمان

والهجرة فأسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم احدا حبيبا في العون والنصر ولا
مانعا وهذه الاية محمولة على حال ما كانت الهجرة فرضا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا
بريء من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين وانا بريء من كل مسلم مع مشرك قيل لم يا رسول الله قال لا تتراءى
نارا هما ثم نسخ ذلك يوم فتح مكة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال يوم فتح مكة لا هجرة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله عز وجل عليه **قوله عز وجل**
الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا
اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ه اول هذه الاية استثناء لمن اتصل من الكفار بقوم
بينهم وبين المسلمين ميثاق قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالقوم الاسلميين وادع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي واصحابه على ان لا يعينوه ولا يعينوا عليه فمن وصل اليهم والتجأ اليهم
بالانساب او بالولاء فله من الجوار مثل ما لهم ويقال اراد بالوصول ان يدخل احد من سائر الكفار
في عهد الاسلميين على حسب ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش من الموادعة فدخلت
خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو كنانة في عهد قريش واما قوله عز وجل او جاؤكم
حصرت صدورهم ان يقاتلوكم فمعناه او يصلون الى قوم جاؤكم ضاقت صدورهم ان يقاتلوكم مع قومهم
او يقاتلوا قومهم معكم وهم بنو مدلج ولو شاء الله لسلط قوم هلال بن عويمر وبني مدلج عليكم فلقاتلوكم
اذا قاتلتموهم ظالمين لهم فان اعتزلوكم يقول ان تركوكم فلم يقاتلوكم مع قومهم ان استسلموا وخضعوا
بالصلح والوفا فما جعل الله لكم عليهم سبيلا حجة في القتال والحصر في اللغة الضيق ومنه الحصر في القراءة
لانه ضاقت عليه المذاهب فلا يتوجه لقراءته ومنه المحصور في حبس ونحوه قال اهل النحو معنى او جاؤكم
حصرت صدورهم او جاؤكم قد حصرت صدورهم لان حصرت لا يكون حالا الا بقد قالوا ويجوز ان يكون
حصرت صدورهم خبرا بعد خبر كانه قال او جاؤكم ثم اخبر بعد فقال حصرت صدورهم ان يقاتلوكم
وفي الشواذ او جاؤكم حصرة صدورهم واما اللام التي في قوله لسلطهم فهي جواب لو واللام الثانية التي في
فلقاتلوكم تكرار والفاء عطف بمنزلة لو وقد روي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما منسوخة بصدر
اول سورة التوبة واراد بها ان معاهدة المشركين وموادعتهم منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
لان الله عز وجل اعز الاسلام واهله فلا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او السيف بهذه الاية وقد امرنا الله
تعالى في اهل الكتاب بقتالهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر
الى قوله وهم صاغرون فلا يجوز مهادنة الكفار وترك اخذ منهم على الكفر من غير جزية اذا كان بالمسلمين قوة
القتال واما اذا عجزوا عن مقاتلتهم وخافوا على انفسهم وذراريهم جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية
يؤدونها اليهم لان حظر الموادعة كان بسبب فاذا زال السبب زال الحظر **قوله عز وجل**
ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم
يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم
سلطانا مبينا ه معناه ستجدون قوما آخرين يظهرون لكم الصلح يريدون ان يأمنوا منكم بكلمة التوحيد
يظهرونها لكم ويأمنوا من قومهم بالكفر في السر كلما دعوا الى الشرك رجعوا فيه روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال هم اسد وغطفان كانا حاضري المدينة وكانا تكلما بالاسلام واقرا بالتوحيد وكانا غير مسلمين
كان الرجل منهم يقول له قومه لم ذا اسلمت وبم ذا امنت فيقول امنت بهذا العود وبهذا العقرب وبهذه الخنفساء
يريدون به الاستهزاء فاذا لقوا محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه قالوا انا على دينكم واظهروا الاسلام

فاطلع

فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ذلك بهذه الاية وقوله عز وجل فان لم يعتزلوكم
اي ان لم يتركوا قتالكم ولم يستسلموا لكم في الصلح ولم يمنعوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واسروهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم واولئكم اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم حجة ظاهرة في قتالهم ومن الناس
من يقول ان هذه الايات غير منسوخة ويجوز للمسلمين ترك قتال من لا يقاتلهم من الكفار وممن قال بهذا
القول سفيان الثوري وابن شبرمة وهو قول الشافعي الا ان هذه الايات تقتضي حظر قتال من كف عن
قتالنا من الكفار ولا نعلم احدا من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل عن قتالنا من المشركين وانما اختلفوا في جواز
ترك قتالهم فقد حصل الاتفاق منهم جميعا على نسخ حظر القتال **قوله عز وجل** وما كان
للمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا
ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله
وكان الله عليما حكيما ه معنى الاية والله اعلم ما كان لمؤمن في حكم الله تعالى وامره ان يقتل مؤمنا
بغير حق ويقال معناه ما كان له فيما سلف كما ليس له الآن وقال بعضهم ان اللام مقدمة على موضعها تقدير
الاية ما كان مؤمن ليقتل مؤمنا وهذا كما قال الله عز وجل ما كان لله ان يتخذ من ولد تقديره ما كان
الله ليتخذ من ولد وكقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها تقديره ما كنتم لتنبتوا شجرها واما قوله عز وجل الا
خطأ يجوز ان يكون استثناء صحيحا على معنى الا ان يكون وقوع القتل منه على وجه الخطأ وهو ان لا يكون
قاصدا قتله فيكون مرفوع الاثم والعقاب وقال بعضهم هذا استثناء صحيح يفيد اباحة قتل المؤمن خطأ في
بعض الاحوال وهو ان يجد المسلم مسلما عليه سيما المشركين او يجده في حيزهم فيظنه مشركا يجوز له قتله وهو
خطأ وقيل ان هذا لا يصح لان الاباحة لا تتصور في قتل الخطأ كما لا يتصور فيه النهي لان الحالة التي لا يعلمها
الانسان لا يجوز ان يتعلق بها حكم الحظر والاباحة وقال بعضهم هذا الاستثناء ليس من الاول معناه الا ان
يخطئ المؤمن فيكون خطؤه ما ذكره الله عز وجل في هذه الاية ونظير هذا الاستثناء قول الله تعالى الا ان
تكون تجارة عن تراض منكم وقول الشاعر وقفت فيها اصيلالا اسائلها ٭ اعيت جوابا وما بالربع من احد
الا اواري لايا ما ابينها ٭ والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد ٭ واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية
فقال ابن عباس نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي حين اسلم بمكة وخاف اظهار الاسلام فخرج هاربا
الى المدينة فخرجوا في طلبه واحتالوا عليه فردوه الى اهله وكان فيمن رده الحارث بن زيد فحلف عياش ان لا يلقاه
خاليا الا قتله ثم ان الحارث اسلم بعد اسلام عياش فبينما عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث فقتله ولم يكن
يشعر باسلامه فقيل له انه قد اسلم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه القصة فانزل الله تعالى
هذه الاية وقال بعضهم نزلت في ابي الدرداء حين قتل راعيا خطأ واما قوله عز وجل ومن قتل مؤمنا خطأ فمعناه
ومن قتل من غير قصد بان قصد غيره فاصابه او قتله على ظن انه مباح الدم فعليه عتق رقبة في ماله وعليه
وعلى عاقلته تسليم دية كاملة الى اولياء المقتول ولم يذكر في الاية من عليه الدية من القاتل والعاقلة وقد
اتفق الفقهاء على وجوب دية الخطأ على العاقلة بالاخبار الواردة في هذا الباب وهذه الدية الحقيقة تلزم القاتل
عند اصحابنا رحمهم الله وهو داخل في تحمل العقل كاحد العاقلة الا ان العاقلة امرت بالدخول معه فيها
على جهة المواساة من غير ان يلزمهم ذنب جنايته كما امرت الاقارب بصلة الارحام بكل وجه امكنهم لصلاح
ذات البين وكما اوجب الله تعالى الصدقة في مال الاغنياء للفقراء على وجه المواساة وكذلك امرت العاقلة
بتحمل الدية عن قاتل الخطأ من غير اجحاف بهم وبه لانه يلزم كل واحد منهم ثلاثة دراهم او اربعة ويحمل في
اعطياتهم اذا كانوا من اهل الديوان مؤجلة في ثلاث سنين واذا لم يكن القاتل من اهل الديوان فعلى قبيلته
تضم الى قبيلة اقرب القبائل اليها حتى لا يؤدي الى الاجحاف بالعاقلة واذا لم يكن للقاتل عشيرة جعلت الدية

فى بيت مال المسلمين فى ثلث سنين حتى لا يؤدى الى هدر الدم واما قوله عز وجل الا ان يصدقوا فمعناه الا ان يتصدق اولياء المقتول فيتركوا الديه واما قوله عز وجل فان كان من قوم عدو لكم فمعناه وان كان المقتول خطاء من قوم حرب لكم فقتل فى دار الحرب وهو مؤمن اسلم فى دار الحرب ولم يهاجر حتى قتل فعلى قاتله عتق رقبة مؤمنة ولم يذكر الديه لان دم المقتول لا قيمة له اذا لم يحرز نفسه بدار الاسلام وليس هو فى صلح المسلمين ويقال انما لم يذكر الديه لكيلا تسلم الى اهل الحرب ديته فيقوون بها علينا وهذا القول يقتضى ان الديه واجبة الا انها لا تعطى اليهم وفى وجوب هذه الديه خلاف بين اهل العلم واما قوله عز وجل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فمعناه وان كان المقتول خطاء من قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد او صلح فعلى القاتل وعاقلته تسليم دية كاملة الى اولياء المقتول وعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة بالله وبرسوله والفائدة فى اعادة ذكر المؤمنة لانه لو لم يعد لكان يتوهم متوهم انه لما وجب فى قتل المؤمن رقبة فى مثل صفته يجب ايضا فى قتل الكافر رقبة فى مثل صفة المقتول وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين معناه فمن لم يجد رقبة مؤمنة فعليه صيام شهرين متواليين لا يفرق بين صيامهما وقوله عز وجل توبة من الله اى اعلموا انما امركم الله به للتوبة ليتوب الله تعالى به عليكم وهذا نص على ما يقال فعلت كذا حذارا من الشر اى للحذر من الشر ويجوز رفع توبة على اضمار ذلك وانما سميت الكفارة توبة لان قاتل الخطا كان عاصيا فى سبب القتل من حيث انه لم يحترز وان لم يكن عاصيا فى نفس القتل ويقال معنى التوبة التوسعة والتخفيف من الله تعالى حيث لم ينص فى الكفارة على الرقبة كما فى قوله عز وجل علم ان لن تحصوه فتاب عليكم اى خفف عليكم ومعنى وكان الله عليما حكيما عليما بكل شى حكيما فيما امركم به من الدية والكفارة

قوله عز وجل وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا

قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الاية فى مقيس بن ضبابه وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل عليه السلام معه رجلا من بنى فهر وقال له ايت بنى النجار فاقرئهم منى السلام وقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام ان تدفعوه الى مقيس بن ضبابه فيقتص منه فان لم تعلموا له قاتلا ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهرى ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله والله لا نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى ديته فاعطوه مائة من الابل وانصرفا راجعين نحو المدينه وبينهما وبين المدينه قريب فوسوس الشيطان مقيسا وقال له اى شى صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك سبة اقتل الذى معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الديه فرمى الفهرى بصخرة فشدخ راسه وقتله وركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكه كافرا وجعل يقول فى شعره قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بنى النجار ارباب فارع فادركت ثارى واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت الايه وقتل مقيس يوم فتح مكه ومعنى الايه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فى قتله مستحلا له ويقال متعمدا قتله لايمانه فجزاؤه جهنم خالدا فيها باستحلاله وكفره وغضب الله عليه بقتله غير قاتل اخيه ولعنه باعده من رحمته واعد له اى هيا له عذابا عظيما بجرأته على الله عز وجل بقتل نفس بغير حق وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى رواية اخرى ان هذه الايه عامه فى كل قاتل عمد وكان يقول جميع الذنوب يمحوها الله تعالى بالتوبة الا تعمد قتل المومن فانه لا توبة له وعامه الفقها على خلاف هذا القول يقولون بالتوبة فى جميع الذنوب ثم ان لم يتب ابن ضبابه قولان اما اصحاب الوعيد يقولون بخلوده فى النار لا محالة واهل السنه يقولون جزاؤه الخلود لو جازاه الله به ولكنا لا ندرى ايجازيه بالخلود فى النار ام لا وقد ثبت بالدلايل الاخر ان الله تعالى يعامل عباده بالفضل فان شاء عفى عن القاتل بقوله عز وجل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان شاء عاقب القاتل لا على الخلود لانه جل ذكره سمى القاتل مومنا بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى وليس فى هذه الايه ان الله تعالى يعاقب القاتل المومن بالتخليد بالنار وهذا كما يقول الامير من فعل كذا فعقوبته كذا فاذا لم يعاقب لا يكون منه خلف

ولا كذب

ولا كذب وفى ذكر الغضب فى الايه وجهان احدهما يريد الله تعالى ان ينتقم من القاتل والثانى ان معناه معنى الذم ويكون ذمه تعالى اياه غضبا منه عليه والغضب نقيض المحبة او الرضا واللعن الطرد والابعاد من الخير على جهة العقوبة ولهذا لا يجوز لعن من لا يستحق العقوبة كالاطفال والبهايم واما وصف عذابه الاخرة بالعذاب العظيم فانه لا عذاب اعظم منه وقد يكون فى المستحقين للعذاب من يريد الله تعالى الانتقام منه ولا يطرده وقد يكون من يطرده ولا يعد له عذابا عظيما واما قاتل العمد فيستحق هذه العقوبات الثلاث واختلف اهل العلم فى تفسير القتل العمد الذى يتعلق به وجوب القصاص قال ابو حنيفة رحمه الله هو ما تعمدت القتل بسلاح او ما يجرى مجرى السلاح فى تفريق الاجزاء وقال ابو يوسف ومحمد وجماعه غيرهما ان الاعتبار فى هذا بالقصد الى القتل بكل شى يقتل فى الغالب سواء كانت الاله سلاحا او لم تكن واذا اقتص من القاتل فذلك جزاؤه فى الدنيا وفيما بين المقتول وبين القاتل باقيه فى الاخره لان الولى وان قتله فانما اخذ حق نفسه للتشفى ودرك الغيظ فاما المقتول فلم يكن له فى القصاص منفعه وبالله التوفيق ٥

قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الايه فى مرداس بن نهيك كان مسلما لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم فهربوا وتركهم واقام الرجل فى غنمه فى عاقول من الجبل فلما سمعهم يكبرون نزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغشاه اسامه بن زيد فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا من ذلك فانزل الله تعالى هذه الايه فقال اسامه استغفر لى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف بلا اله الا الله قال ذلك ثلاثا ثم استغفر له بعد ثلاث وامره ان يعتق رقبه ومعنى الايه يا ايها الذين امنوا اقروا وصدقوا بالله ورسوله اذا خرجتم مسافرين فى طاعة الله ميزوا الكافر من المومن بالدلايل والعلامات ولا تعجلوا بالقتل حتى يتبين لكم ومن قرا فتثبتوا بالثا فمعناه تثبتوا فى امر من يظهر لكم الاسلام ولا تعجلوا بقتله ولا تقولوا لمن القى اليكم الانقياد والمتابعه واسمعكم كلمة الاسلام لست مومنا فتقتلوه تطلبون بترك اسلامه استغنام ما معه من المال فعند الله مغانم كثيرة يظهرها الله تعالى فى الدنيا عليها ويبيح لكم اخذها ومن قرا السلام بالالف معناه لا تقولوا لمن سلم عليكم وحياكم لست مومنا والتسليم من علامات الاسلام ويجوز ان يكون معنى الاسلام السلم وقوله عز وجل كذلك كنتم من قبل اى كنتم تامنون من قبل الهجره بكلمة الاسلام فكيف تقتلون بعد سماع كلمة الاسلام ويقال معناه كنتم تقتلون وتوخذ اموالكم قبل الهجره فمن الله عليكم بوثوق الايمان والهجره فتبينوا ولا تخيفوا الذى امركم تامنون بمثله والفائده فى اعادة لفظ التبين بيان ان المجازى علم بما يفعله العباد ولذلك عقبه عز وجل بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا اى كان عليما بما تعملون من القتل وغير ذلك وقد روى عن جندب بن سفيان انه قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم حين جاءه بشير من سريه بعثها فاخبره بالفتح وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا نحن نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى اذ لحقت رجلا بالسيف فلما احس ان السيف واقعه قال انى مسلم فقتلته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت مسلما قال يا نبى الله انه قال ذلك تعوذا قال فهلا شققت عن قلبه فنظرت اصادقا هو ام كاذبا قال لو شققت عن قلبه ما كان يعلمنى هل قلبه الا بضعة من لحم قال فانت قتلته لا ما فى قلبه علمت ولا لسانه صدقت فقال يا رسول الله استغفر لى فقال لا استغفر لك قال ثم مات الرجل الرجل فدفنوه فاصبح على وجه الارض ثم دفنوه فاصبح على وجه الارض ثلث مرات فلما راى ذلك قومه استحيوا وخزوا وحملوه فالقوه فى شعب من الشعاب فقال صلى الله عليه وسلم انها لتطابق على من هو اعظم منه ولكن اراد الله عز وجل ان يبين لكم حرمة الدم **قوله عز وجل**

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ف الاية بيان ثواب المجاهدين ومعناها لا يستوي في الفضل والثواب القاعدون عن الجهاد من المؤمنين الاصحا الذين لا مرض بهم ولا زمانة ولا عذر يمنع من الجهاد والمجاهدون في طاعة الله عز وجل بالانفاق من اموالهم والخروج بانفسهم روي انه نزل اولا لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجا ابن ام مكتوم الاعمى فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله عز وجل بالجهاد وحالنا على ما ترى فهل لنا من رخصة والله لو استطيع الجهاد لجاهدت فنزل قوله غير اولي الضرر ومن قرأ غير بالنصب فهو نصب على الاستثنا كانه قال الا اولي الضرر كما يقال جاني بنو تميم غير زيد ويجوز ان يكون نصبا على الحال اي لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون وهذا كما يقال جاني زيد غير مريض اي صحيحا ومن قرأ بالرفع فيجوز الرفع في استثنا الاثبات من النفي ويجوز ان غير صفة للقاعدين وان كان اصل غير ان يكون صفة للنكرة المعنى لا يستوي القاعدون والذين هم غير اولي الضرر والمجاهدون في الفضل والثواب وان كانوا كلهم مؤمنين ونظير الصفه قولك جاني رجل غير قبيح او غير طويل واختار بعض القرا قراة الرفع لان معنى الصفه على لفظ غير اغلب من معنى الاستثنا واختار بعضهم قراة النصب لان قوله غير اولي الضرر انما نزل بعد نزول قوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله على حسب ما تقدم ذكره فيكون معنى الاستثنا به اليق وقوله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم معناه فضلهم الله تعالى بالجهاد في طاعته على القاعدين عن الجهاد فضيلة ومنزلة وكلا الفريقين المجاهد والقاعد وعدهم الله الحسنى يعني الجنة بالايمان وقيل في هذا دليل ان الجهاد فرض على الكفاية لانه لو كان فرضا على الاعيان لم يجز ان يكون القاعد عنه موعودا بالحسنى وقوله تعالى وفضل الله المجاهدين اي فضلهم على القاعدين عن الجهاد بغير عذر ثوابا حسنا في الجنة وقوله اجرا نصب على التفسير وقال الاخفش هو نصب على المصدر تقديره آجرهم الله تعالى اجرا والفائده في تكرار لفظ التفضيل ان في الاول بيان تفضيل من جاهد بالمال والنفس جميعا وفي اخر الاية بيان تفضيل المجاهد مطلقا فيدخل فيه المجاهد بالمال والنفس والمجاهد بالمال وحده والمجاهد بالنفس دون المال **قوله عز وجل** درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما معناه فضايل من الله تعالى في الدرجات في الجنة وهذا بدل من قوله اجرا او صفه له وهو في موضع النصب ويجوز رفع درجات على اضمار ذلك وعن ابن محيريز انه قال فضل الله المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا للجواد المضمر واما قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما فمعناه كان الله غفورا لذنوب من جاهد رحيما اذ سوى في وعد الحسنى من له العذر مع من جاهد وقال الحسن كان الله غفورا رحيما قبل ان خلق العباد واراد بهذا انه كان من شانه الرحمة كما يقال من صفات الله عز وجل باعث ووارث لان من شانه ان يبعث الخلق وان يرثهم ويقال انما دخل لفظ كان ليبين انه اجراهم في المغفره والرحمة لانه لو قال والله غفور رحيم لدل ذلك على ان هذا من صفاته ولم يدل على وقوع المغفره فان قيل كيف ذكر التفضيل بدرجات وذكر التفضيل في الاية التي قبلها بدرجة قلنا قال بعضهم في الدرجة في الاية الاولى الفضيلة والكرامة في الدنيا وبذكر الدرجات في الاية الثانيه درجات الجنة فهي منازل في النعيم بعضها اعلى من بعض وذكر المغفره لبيان خلوص نعيمهم عن الكدر كما روي في الخبر ان الله تعالى ينسيهم في الجنة ما كان منهم من الذنوب في الدنيا حتى لا يلحقهم الحيا وذكر الرحمة لبيان ان الله تعالى اعطاهم ذلك النفع العظيم على جهة النعمة مع ما يضاف اليه من الفضل بالزيادة في النعمة وقال بعضهم اراد بالتفضيل في الدرجة في الاية الاولى تفضيل المجاهدين على القاعدين من اصحاب العذر واراد بالاية الثانيه تفضيل المجاهدين على

القاعدين الذين لا عذر لهم **قوله عز وجل** إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا ه روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في قوم من المنافقين من اهل الاوثان خرجوا مع المشركين الى بدر فلما راوا قلة المؤمنين قالوا وهم مع المشركين غر هولاء دينهم فقتلوا يوميذ او عامتهم فضربت الملايكة وجوههم وادبارهم وقالت لهم لم ذا خرجتم مع المشركين وتركتم الهجرة قالوا كنا مستضعفين في الارض ومعنى الاية ان الذين توفاهم الملايكه اي تقبض ارواحهم عند الموت وقال بعضهم وذواتهم عند حشرهم من القبور لحشرهم الى النار وانما حذفت التا الثانيه من تتوفاهم لاجتماع التاءين ويجوز ان يكون معنى توفاهم تقبض ارواحهم على المعاصي وذكر الفعل لان تانيث اللفظ ليس بتانيث حقيقي وقوله عز وجل ظالمي انفسهم نصب على الحال المعنى تتوفاهم في حال ظلمهم لانفسهم بالشرك والنفاق والاصل ظالمين الا ان النون حذفت استخفافا وهي ثابته في المعنى فيكون هذا في معنى النكرة وان اضيف الى المعرفه كما في قوله عز وجل هديا بالغ الكعبة اي بالغا الكعبه وقوله عز وجل قالوا فيم كنتم اي قالت الملايكه على جهه التوبيخ لهم على التخلف عن الهجره في اي الفريقين كنتم فيم ذا كنتم واين كنتم عن الهجرة قالوا كنا مقهورين في ارض مكه في ايدي الكفار قالت لهم الملايكه الم تكن ارض الله واسعة اي المدينة كانت امنة ساكنة فهلا هاجرتم اليها وهذا دليل انه لا عذر لاحد في المقام على المعصية في بلده لاجل المال والولد والاهل بل ينبغي ان يفارق وطنه ان لم يمكنه اظهار الحق في وطنه ولهذا قالوا اذا عمل بالمعاصي في بلد فاخرجوا منها الى غيرها وقوله عز وجل فاولئك ماواهم جهنم اي اهل هذه الصفه مصيرهم ومنزلهم جهنم وساءت مصيرا لمن صار اليها واختلفوا في خبر ان الذين توفاهم فقال بعضهم خبره فيم كنتم اي قالوا لهم فيم كنتم وهو مضمر الا انه حذف لدلالة الكلام عليه وقال بعضهم خبره فاولئك ماواهم جهنم **قوله عز وجل** الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا استثنا من قوله فاولئك ماواهم جهنم ويقال من قوله قالوا فيم كنتم قال ابن عباس رضي الله عنهما انا ممن استثنى الله يوميذ وكنت غلاما صغيرا ومعنى هذه الاية والله اعلم الا من كان مستضعفا من الشيوخ والولدان والنسا لا يجد من نفقه الخروج الى المدينة ولا يمكنهم الخروج اليها ولا يعرفون من طريق حتى يهاجروا **قوله عز وجل** فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا اي اهل هذه الصفه من المستضعفين لعل الله يتجاوز عنهم وعسى من الله تعالى كلمه لايجاب لانه للترجي في الاطماع وما امر الله تعالى ان ترتجى من رحمته فهو من له الواقع وكذلك الظن بارحم الراحمين والفايده في ذكر هذا اللفظ ان يكون العبد بين الخوف والرجا واما قوله عز وجل وكان الله عفوا غفورا معناه كان لم يزل عفوا عن عباده غفورا لهم قبل ان يخلقهم هكذا روي عن الحسن **قوله عز وجل** ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما معناه ومن يخرج في سبيل الله الذي امر الله تعالى بالهجرة فيه وهو سبيل المدينة يجد في الارض متحولا كثيرا واصل المراغم ماخوذ من الرغم وهو الذل يقال على رغم فلان اي على ذله وكرهه وارغم الله انف فلان اي الصقه بالتراب ويسمى التراب رغاما لانه ذليل متيسر لمن رامه مع احتقاره فيكون المراغم الذلول المتسع السهل كما قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا والذلول والمراغم متقاربان في المعنى ويجوز ان يكون المراغم ما يرغم به من منعه عن الهجرة يقال راغمت فلانا اي اذا هاجرته وعاديته ولم ابال رغم انفه ومن هذا قال بعضهم يجد مراغما كثيرا مهاجرا كثيرا والمهاجر المقاوم وهو الموضع الذي يهاجر الرجل اليه من عدوه وقوله عز وجل وسعة قال السدي معناه مطلب للرزق وجماعته انه يجد في المواضع التي يمكنه اظهار الدين فيها

سعة وقال قتادة معناه سعة فى اظهار الدين وانما قال ذلك لما كان يلحقهم من التضيق من جهة الكفار
فى اظهار دينهم وقوله تعالى ومن يخرج روى عن ابن عباس انه قال لما نزل قوله تعالى ومن يهاجر فى سبيل
الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة سمعها رجل من بنى ليث شيخ كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما
انا ممن استثنى الله عز وجل فانى لاجد حيلة والله لا ابيت ليلة بمكة فخرجوا به يحملونه على سرير فاتوا به التنعيم فادركه
الموت بها فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم ان هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمات حميدا فبلغ ذلك اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون لو بلغ الينا لتم
اجره فانزل الله تعالى قوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اى من يخرج من منزله
مهاجرا قومه واهله وولده الى طاعة الله وطاعة رسوله ثم يدركه الموت فى الطريق فقد وجب ثوابه على الله تعالى
المليّ الوفى بوعده وكان الله غفورا لما كان منه فى الشرك رحيما به فى الاسلام روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم
ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا **قوله عز وجل** وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا
وذلك ان الله تعالى لما بيّن الجهاد والهجرة اتبعه حكم المجاهد فيما ياتى به من الصلوة فقال عز من قايل واذا ضربتم
فى الارض اى سافرتم فيها لان الخروج الى الصحرا والقصد الى القرية القريبة لا يسمى ضربا فى الارض وقوله فليس
عليكم جناح اى ليس عليكم حرج ومأثم فى ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الكفار فى انفسكم
وفى دينكم ان الكافرين كانوا لكم ظاهرا لعداوة معكم يبينون عداوتهم لكم وفى هذه الاية ذكر
القصر من الصلوة بين شرطين واجمعت الامة ان اصل القصر لا يتعلق بهما وان كل واحد منهما يؤثر فى القصر
نوع تاثير فتاثير السفر فى القصر فى العدد فى الصلوات الرباعية يردها السفر الى الشطر وهو عام فى السفر
عبر قصر على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وتاثير الخوف فى القصر فى اركان الصلوة اذا خاف ان قام فى
الصلوة ان يراه العدو او خاف ان نزل عن الدابة ان يدركه العدو كان له ترك القيام وان يومى على الدابة
يخفض راسه للركوع والسجود ويحتمل ان حرف العطف مضمر فى قوله ان خفتم كانه قال وان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة وقال الحسن رحمه الله صلوة السفر ركعتان
فاذا قام الحرب فركعة وهذا اللفظ يقتضى القصر الذى هو غاية فى القصر معلق بشرطين على مذهبه وعن ابن
عباس رضى الله عنهما ما يدل على ان المراد بالاية قصر العدد والاركان جميعا فى حالة واحدة وروى ان
رجلا سال عمر رضى الله عنه عن هذه الاية فقال كيف تقصر الناس وقد امنوا فقال عمر رضى الله عنه عجبت مما
عجبت منه حتى سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها على عليكم فاقبلوا
صدقته وصدقة الله علينا تقتضى اسقاط الفرض عنا وفى قوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته دليل ان
القصر عزيمة لا رخصة لان ظاهر الامر على الوجوب وهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان المسافر اذا صلى الظهر
اربعا ولم يقعد فى الثانية قدر التشهد فسدت صلوته كمصلى الفجر اذا صلاها اربعا **قوله عز وجل**
وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا
مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ
كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
مُهِينًا روى عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم انهما قالا لما راى المشركون الرسول
صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى صلوة الظهر وهو يؤمهم ندموا على تركهم الاقدام على قتالهم فقال
بعضهم دعوهم فان بعدها صلوة هى احب اليهم من ابائهم واولادهم يريدون صلوة العصر فاذا رايتموهم

قاموا اليها فشدوا عليهم فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية واطلعه
على قصدهم ومكرهم وعن هذا كان اسلام خالد بن الوليد رضى الله عنه حين عرف ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطلع على ما كان بين المشركين من قصدهم فى السر فيما بينهم ومعنى الاية والله اعلم واذا كنت
يا محمد صلى الله عليه وسلم مع المومنين فى الغزو وابتدات فى تادية الصلوة صلوة الخوف فلتقم طائفة منهم
معك فى الصلوة ولكن اسلحتهم معهم فى صلوتهم لان ذلك اهيب للعدو واذا سجدت الطائفة التى معك
وصليت ركعة واحدة فلينصرفوا الى المصاف وليقفوا بازاء العدو ولتات طائفة اخرى وهم الفريق الذين كانوا
بازاء العدو ولم يصلوا معك الركعة الاولى فليصلوا معك الركعة الاخرى ولكن اسلحتهم معهم فى الصلوة
ولم يذكر فى الاية لكل طائفة الا ركعة واحدة وفى صلوة الخوف خلاف بين اهل العلم ذهب بعضهم الى انها
غير مشروعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رواية عن ابى يوسف وهو قول الحسن بن زياد لان
فى هذه الاية ما يدل على كون النبى صلى الله عليه وسلم شرطا فى اقامة صلوة الخوف ولانها انما جازت للنبى
صلى الله عليه وسلم ليستدرك الناس فضيلة الصلوة خلفه لان امامة غيره ما كانت تقوم مقام امامته
وذهب اكثر اهل العلم الى ان صلوة الخوف مشروعة بعد النبى صلى الله عليه وسلم وان الخطاب فى هذه الاية
وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالائمة بعده يقومون مقامه كما فى قوله عز وجل خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم ونحو ذلك من الايات ثم اختلف هولاء فى كيفية صلوة الخوف فقال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله يجعل الامام
الناس طائفتين فتقف طائفة بازاء العدو وتقوم طائفة مع الامام مستقبلى القبلة فيصلى بالطائفة التى معه ركعة
وسجدتين ثم تنصرف هذه الطائفة الى وجه العدو وتجى الطائفة الاخرى فيصلى بهم الامام ركعة وسجدتين ويتشهد
ويسلم ثم ترجع هذه الطائفة الى وجه العدو بغير سلام ولا كلام وتاتى الطائفة الاولى فتقضى الركعة الثانية وحدانا
بغير قراءة فاذا سلمت وقفت بازاء العدو وجاءت الطائفة التى صلت مع الامام الركعة الثانية فيقضوا الركعة
الاولى وحدانا بقراءة ولا يصلون وهم يقاتلون لان النبى صلى الله عليه وسلم فاتته ثلث صلوات يوم الخندق
وحكى ابو سليمن الجوزجانى عن ابى يوسف انه اذا كان العدو فى وجه القبلة وقف الامام وجعل الناس
خلفه صفين فافتتح بهم الصلوة معا فصلى بهم ركعة فاذا سجد سجد معه الصف الاول ووقف الثانى يحرسهم
فاذا رفعوا روسهم من السجود سجد الصف الثانى وتاخر الاول وتقدم الصف الثانى فركع بهم جميعا ثم
يرفعون روسهم ويسجد الصف المقدم سجدتين والصف المؤخر يحرسهم ثم يسجد الصف المؤخر سجدتين
لانفسهم ثم يتشهد الامام ويسلم بهم جميعا وهكذا قاله ابن ابى ليلى وقال مالك يجعل الامام الناس طائفتين
فيصلى بطائفة ركعة وسجدتين ثم ينتظر الامام حتى يصلوا بقية صلاتهم ويسلموا وينصرفوا الى وجه العدو
وتاتى الطائفة الاخرى فيصلى بهم ركعة وسجدتين ويسلم ويقومون فيتمون صلاتهم وقال الشافعى مثل
ذلك الا انه قال فى الطائفة الاولى ينبغى لهم اذا صلى الامام بهم ركعة وسجدتين ان ينووا الخروج من
صلوة الامام وقال فى الطائفة الاخرى لا يسلم بهم الامام ولكن ينتظر حتى يقوموا فيتموا صلاتهم ثم يسلم بهم وانما
وقع هذا الاختلاف لاختلاف الاخبار الواردة فى هذا الباب روى على وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود
وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بالطائفة الاولى ركعة كما ذكر
الله عز وجل فى الاية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت الطائفة الثانية الى موضع العدو حتى قضت الطائفة
الاولى الركعة الثانية وسلمت ثم رجعت الى وجه العدو وجاءت الطائفة الثانية فقضت الركعة الاولى
وسلمت فكانت لكل طائفة ركعتان وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم صلاها كما
قاله ابو يوسف وروى صالح بن ذكوان عن سهل بن ابى حثمة ان النبى صلى الله عليه وسلم صلاها كما قاله
الشافعى رضى الله عنه فدلت هذه الاخبار على جواز الجميع وانما يقع الكلام فى الاولى فالاقرب الى ظاهر
القران وظاهر نسق الرواية التى رواها على كرم الله وجهه وغيره من الصحابة رضى الله عنهم الذين رووا

معه لان في قوله عز وجل ولتقم طائفة منهم معك دليل على ان الامام لا يصلي بالطائفتين جميعا معا وفي
قوله فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم دليل ان الطائفة الاولى تنصرف عقيب السجود وعند مالك
والشافعي رحمهما الله لا تنصرف الطائفة الاولى الا بعد تمام الصلوة وفي قوله تعالى ولتات طائفة اخرى لم
يصلوا دليل ان الطائفة الثانية تاتي وهي غير مصلية وعند ابي يوسف تقف معه في الابتدا وتصلي بعض
الصلوة مع الامام ثم تقدم الى موضع الصف الاول وهذا كله اذا امكنهم اقامة الصلوة بالجماعة فاذا لم
يمكنهم اقامتها بالجماعة لقيام القتال وكثرة العدو صلى كل واحد منهم صلوة نفسه على حسب ما امكنه
اما الى القبلة او الى غير القبلة اذا لم يمكنه التوجه الى القبلة وان كان راكبا اومى ايماء كما قال الله
عز وجل فان خفتم فرجالا او ركبانا واما قوله عز وجل ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
معناه تمنى الكفار ان تضعوا اسلحتكم وامتعة الحرب فيميلون عليكم ميلة واحدة قال ابن عباس رضي الله عنهما
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربا وبني انمار فهزمهم الله عز وجل فنزل صلى الله عليه وسلم والمسلمون
ولا يرون من العدو احدا فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي الى الوادي حتى قطعه
فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فانحدر من الجبل ومعه السيف وقال لاصحابه قتلني الله ان لم اقتل محمدا
صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه في يده السيف فقال يا محمد
من يعصمك مني الان فقال صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت فاهوى
بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه وندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذ السيف وقال من يمنعك مني يا غورث قال لا احد قال اتشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله
واعطيك سيفك قال لا ولكن لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيفه فرجع الى اصحابه فقالوا لو رايناك اهويت بالسيف على راسه ما منعك منه فقال لقد اهويت ولكن لا ادري
من زلخني بين كتفي فخررت فسبقني الى سيفي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه
واخبرهم بالقصة وانزل الله تعالى عليه هذه الاية ومعنى قوله عز وجل ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من
مطر لا حرج عليكم معشر الغزاة ان كان بكم اذى من مطر شدة من مطر او كنتم مرضى من جراح او غير ذلك ان تضعوا
اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله حق وهيأ للكفرين عذابا مهينا يهانون فيه وهو القتل في الدنيا والنار
في الاخرة **قوله عز وجل** فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا
اطمانتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا ه معنى الاية والله اعلم فاذا فرغتم
من صلوة الخوف فاذكروا الله بالتعظيم والتحميد في الاحوال كلها قال ابن عباس رضي الله عنهما
لم يعذر الله احدا في ترك ذكره الا المغلوب على عقله وقوله عز وجل فاذا اطمانتم فاذا رجعتم من سفركم
وزال عنكم الخوف والمرض فاقيموا الصلوة اتموها اربعا بركوعها وسجودها وساير شروطها ان الصلوة
كانت على المومنين فرضا موقتا اوقاته ويقال منجما اذا انقضى نجم اتى نجم اخر ويقال معلوما فرضه للمسافر
ركعتان وللمقيم اربع ركعات ثم حث جل ذكره المومنين على طلب الكفار وقتلهم **فقال عز
وجل** ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله
ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ه معناه لا تضعفوا في طلب الكفار وقتلهم لما اصابكم من الجراحات
يوم احد ان تكونوا تالمون اي ان كان لكم صارف من الحرب وهو انكم تالمون من الجراح فلهم مثل ذلك
من الصارف عن الحرب ولكم اسباب داعية الى الحرب ليست لهم وهو انكم ترجون من الثواب والنصر من
الله عز وجل ما لا يرجون الكفار وكان الله عليما بما يحكم حكيما فيما امركم به **قوله عز وجل**
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ه روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق سرق درعا من

جار له

جار له يقال له قتادة بن النعمان وكان الدرع في غرارة فيها دقيق وفي الغرارة خرق فانتثر الدقيق
من المكان الذي سرقه الى باب منزله ففطن به انه هو السارق فمضى بالدرع الى زيد بن السمين اليهودي
واودعه اياه ثم سار الى قومه فاعلمهم انه لما اتهم اتبع اثرها فعلم انها عند اليهودي وان اليهودي
سارقها فجا قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اهل لسان وبيان فسالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يعذره عند الناس فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعذره ويضرب اليهودي
فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها انا انزلنا اليك الكتاب يا محمد صلى الله عليه وسلم القران انزالا بالحق
ويقال انزلناه بالحق الذي فيه لتحكم بين الناس بما علمك الله ولا تكن يا محمد لطعمة وقومه معينا **قوله
عز وجل** واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ه معناه تب الى الله من همك باليهودي ان تضربه
ان الله كان غفورا لمن يستغفره رحيما بالتائبين **قوله عز وجل** ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما ه معناه ولا تخاصم عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة ورمي
اليهود بها ان الله لا يحب من كان مكتسبا للاثم فاجرا بالكذب ورمي البري والجدال والمجادلة في اللغة
شدة الخصومة وهي محاولة لكل واحد من الاثنين ان يعيد صاحبه الى رايه ومذهبه والجدل شدة الفتل
ويسمى الصقر اجدل لانه من اشد الطيور قوة والاختيان افتعال من الخيانة وانما قال يختانون انفسهم
وان كانوا خانوا غيرهم لان مضرة خيانتهم راجعة اليهم كما يقال لمن ظلم غيره ما ظلمت الا نفسك وانما قال
خوانا ولم يقل خاينا لعظم امر الخيانة ويقال لئلا يتوهم متوهم ان الخيانة اليسيرة توجب زوال المحبة واما
الاثيم فهو منقول من الاثم وهو ابلغ من اسم الفاعل كالسميع والعليم **قوله عز وجل** يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون
محيطا ه معناه يستخفي قوم طعمة اي يستترون من الناس وهم يعلمون انه سارق ولا يستترون من الله اي
لا يمكنهم الاستخفاء منه فان سرهم وعلانيتهم عند الله ظاهر قال الضحاك وذلك انه لما سرق طعمة الدرع
فاتخذ حفرة في بيته فجعل الدرع تحت التراب ويقال معنى ولا يستخفون من الله ولا يتركون الخيانة حياء
من الله عز وجل والاستحيا من العباد ان يفعلوا الشيء سرا والاستحيا من الله ان لا يفعله البتة وقوله عز وجل وهو
معهم اي مشاهد لافعالهم وانما عبر عن ذلك بهذا اللفظ لان من يكون مع الانسان يكون مشاهدا لافعاله
وقوله عز وجل اذ يبيتون ما لا يرضى من القول اي يدبرون ويقولون بالليل قولا لا يرضاه الله عز وجل وهو
اتفاق قوم طعمة على ان يرمي طعمة اليهودي بالسرقة ويحلف انه لم يسرقها فتقبل يمين طعمة لانه على دين الاسلام
ولا تقبل يمين اليهودي وقوله في مقابلة قول طعمة واما قوله عز وجل وكان الله بما يعملون محيطا فمعناه وكان
الله بما يعملون من اعمالهم محيطا عالما لا يفوته شي من افعال عباده كما لا يفوت المحيط بالشيء وبالله التوفيق
قوله عز وجل ها انتم هولاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من
يكون عليهم وكيلا ه قال الضحاك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يقطع طعمة في السرقة
بعد هذه الايات فجا قومه شاكين في السلاح فجادلوا عنه وهربوا به فانزل الله عز وجل هذه الاية
ها انتم هولاء جادلتم عنهم ومعنى هذه الاية انتم يا قوم طعمة خاصمتم النبي صلى الله عليه وسلم عن طعمة وعن خيانته
في دار الدنيا وفي حرف ابي جادلتم عنه وقوله فمن يجادل الله اي من يخاصم الله عالم الغيب والشهادة يوم
يوخذ منه بالحقايق امن يكون عليهم وكيلا يتوكل بهم ويصلح امرهم ويحفظهم من عذاب الله يريد وانما
دخول ها التنبيه في اول هذه الاية مرتين على طريق التوكيد اذ من شان العرب ان يدخل الاسم المبهم
بين التنبيه وبين الاسم للمبالغة للخطاب يقال ها انت الذي فعلت كذا وانما كنت انت الذي فعلت فذكر
انت والذي للتاكيد ويقال معنى ها انتم هولاء على نحو ما تقدم ذكره من قبل ثم ندب الله عز وجل المذنب
الى التوبة **فقال عز وجل** ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا

رحيما معناه ومن يعمل فعلا يسوء به غيره نحو السرقة والقتل والسب والقذف او يظلم نفسه نحو الكذب واليمين الفاجرة وشرب الخمر وترك الفرايض ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا للمستغفر من التايبين رحيما بهم بعد التوبة وانما شرطت التوبة لان الاستغفار باللسان لا يكون توبة بالاجماع ما لم يقل معه تبت واسات ولا اعود اليه ابدا فاغفر لي يا رب وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالسوء الكبيرة وبظلم النفس الصغيرة وفايدته بيان ان الكبيرة تغفر بالاستغفار والصغيرة لا تحتاج الى الاستغفار وعن علي كرم الله وجهه انه قال كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفعني الله به ما شاء واذا سمعته من غيره حلفته عليه وحدثني ابو بكر رضي الله عنه وصدق ابو بكر قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضى ويصلي ركعتين ويستغفر الله تعالى الا غفر الله له وتلى هذه الاية ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية **قوله عز وجل** وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٥ معناه من يعمل معصية فانما عقوبة معصيته على نفسه وكان الله لم يزل عليما بكل ما يكون حكيما فيما حكم من القطع على السارق والكسب في اللغة هو الفعل الذي يجر به صاحبه الى نفسه منفعة او يدفع عن نفسه مضرة ولهذا لا يجوز في صفات الله عز وجل كاسب لانه لا يجوز المنافع والمضار عليه وقد روي انه لما نزلت هذه الاية عرف قوم طعمة كلهم انه هو الظالم فاقبلوا عليه وقالوا له اتق الله وتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبوء بالذنب فقال لا والذي يحلف به ما سرقها الا اليهودي فنزل **قوله عز وجل** وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ٥ معناه والله اعلم من يعمل معصية بغير عمد او يعملها متعمدا ثم يرم بما فعل بريا فقد استوجب عقوبة البهتان برميه غيره بشي لم يفعله واثما مبينا اي ذنبا بينا ظاهرا وقيل انما قال خطيئة او اثما لان الله عز وجل سمى بعض المعاصي خطايا وبعضها اثاما فاعلم الله عز وجل ان من كسب معصية يقع عليها اسم الخطيئة او الاثم ثم يرم به من لم يعمله فقد احتمل بهتانا واثما مبينا **قوله عز وجل** وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ٥ معناه ولولا فضل الله عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والاسلام ورحمته بارسال جبريل عليه السلام اليك بالقران الذي فيه خبر ما غاب عنك لقصدت جماعة من قوم طعمة ان يخطوك ويحملوك على ان تحكم بما هو غير واجب في الباطن وان تبرى الخاين من عبر حقيقة وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم اي وما يكون اضلالهم الا على انفسهم ولا ينقصونك شيا مع عصمة الله تعالى اياك وانزل الله تعالى عليك القران ومعرفة الحلال والحرام وعلمك بالوحي ما لم تكن تعلم قبله وكان من الله تعالى عليك عظيما بالنبوة والاسلام وفي هذه الايات دلالة انه لا يجوز لاحد ان يخاصم عن غيره في اثبات حق ونفيه وهو غير عالم بحقيقة امره وانه لا يجوز للحاكم الميل الى احد الخصمين وان كان احدهما مسلما والاخر كافرا وان وجود السرقة في يدي انسان لا يوجب الحكم بها عليه ٥ **قوله عز وجل** لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ٥ معناه والله اعلم لا خير في كثير من اسرار قوم طعمة في ما يدبرون فيما بينهم الا نجوى من امر بصدقة فيتصدق بها ويجوز ان يكون الا من امر استثناء ليس من الاول على معنى لكن فيكون موضع من امر نصبا على الاضمار والا فهو موضعه خفض وذهب الزجاج الى ان النجوى في اللغة ما ينفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا قال ومعنى نجوت الشي اذا خلصته والقيته يقال نجوت الجلد عن البعير اذا القيته ونجوت الوبر واستنجيته اذا خلصته واصل ذلك من النجوة وهي المكان المرتفع من الارض واما قوله او معروف فمعناه او امر بمعروف ويسمى البر كله معروفا لان العقول تعترف به وتقبله ويروى ان رجلا من اهل

البادية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال عليه السلام وعليك السلام فقال الرجل انا معشر اهل البادية فينا الجفا فعلمني كلمات ينفعني الله بهن فقال ادن ثلثا فدنا فقال اعد علي فاعاد فقال اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيا ولو ان تلقا اخاك بوجه منبسط ولو ان تفرغ من فضل دلوك في انا المستسقي وان امرء سبك بما يعلم فيك فلا تسبه بما تعلم فيه فان الله تعالى جاعل لك اجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيا مما خولك الله تعالى قال الرجل فما سببت بعد شيا لا شاة ولا بعيرا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل معروف صدقة واول اهل الجنة دخولا اهل المعروف وصنايع المعروف تقي مصارع السوء واما قوله عز وجل او اصلاح بين الناس فالمراد به الاصلاح بين المتخاصمين واصلاح ذات البين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم بافضل درجة من الصلوة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة فلا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين واما قوله عز وجل ومن يفعل ذلك فمعناه من يفعل ذلك البر والاصلاح والصدقة لطلب رضاء الله تعالى لا للريا والسمعة فسوف نؤتيه في الاخرة ثوابا وافرا في الجنة ثم ارتد الله عز وجل طعمة وهرب الى مكة خوفا من القطع او الفضيحة **قوله عز وجل** وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٥ معناه ومن يخالف الرسول في التوحيد والحدود معاندا من بعد ما تبين له حكم الله عز وجل ويتبع دينا غير دين المومنين وهو دين اهل مكة نوله في الاخرة جزاء ما تولى في الدنيا ويقال نتركه الى ما اختار لنفسه في الدنيا اي لا يتولى الله نصره ومعونته ويلزمه دخول جهنم في الاخرة وساءت جهنم مصيرا لمن صار اليها روي في الخبر ان طعمة اقام على كفره بمكة فنقب بيت رجل فسقط عليه حجر من البيت فنشب فيه فلم يستطع ان يدخل ولا يخرج حتى اصبح فاخذوه فقال بعضهم لبعض انه قد لجا اليكم ونحن نكم فاتركوه فخرج مع قوم من التجار نحو الشام فسرق بعض متاعهم وهرب فطلبوه واخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره تلك الحجارة **قوله عز وجل** إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في وحشي قاتل حمزة على ما تقدم ذكره ومعنى الاية والله اعلم ان الله تعالى لا يغفر شرك المشرك به ان مات بغير توبة لان التايب عن الشرك لا يكون مشركا وقوله عز وجل ويغفر ما دون ذلك لمن يشا اي يغفر ما دون الشرك لمن يشا من اهل الاسلام بغير توبة لان الله تعالى قابل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويقال انما لم يقيد الشرك بالتوبة في هذه الاية لانه قيده بالتوبة في اية اخرى وهو قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى من امن بالله فان قال قايل ان الكافر الذي لا يشرك مع الله شيا خارج عن قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به او داخل فيه قلنا ان كل كافر مشرك بالله لان اليهود تقول عزير ابن الله والنصارى تقول المسيح ابن الله ويقال ان من كفر بنبي من الانبيا فقد زعم ان الايات التي اتى بها ليست من عند الله فجعل ما لا يكون الا لله لغير الله فيصير مشركا وذهبت المعتزلة الى ان المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا مغفرة الصغاير لا اهل الاسلام بغير توبة منهم اذا اجتنبوا الكباير وزعموا ان قوله لمن يشا منهم يرد الى ساير الايات الواردة في الصغاير والكباير وقوله عز وجل ومن يشرك بالله اي من يشرك مع الله شيا فقد ذهب عن الهدى والصواب ذهابا بعيدا والفايدة في قوله بعيدا ان الذهاب عن نعيم الجنة على من اتى بعدها الشرك بالله عز وجل **قوله عز وجل** إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا معناه ما يعبد اهل مكة من دون الله الا الاصنام والاوثان وسماها باسم الاناث لانهم سموها باسماء الاناث اللات والعزى ومنات فعبدوها مع اعتقادهم نقصان مرتبة الاناث عن الذكور لان الاناث من كل جنس ارذله ويقال اناثا مواتا

لان الموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن الاناث فيقال هذه الاحجار تعجبني ويقال ان الموات من الحيوانات
كالاناث من الذكور في نقصان المرتبة وقال الضحاك المراد بالاناث الملائكة فانهم كانوا يسمون الملائكة
بنات الله وقوله عز وجل وان يدعون الا شيطانا مريدا معناه ما يدعون بتوجيههم بالعبادة الى الاناث
الا عبادة الشيطان وهذا صفو الجواب عن قول من يقول ان في اول هذه الاية نفي العبادة الا للاصنام
وفي اخرها اثبات عبادتهم لغير الاصنام ومعنى المريد العاتي الخارج عن الطاعة وسمي مريدا لتعريه من
الخير يقال شجرة مرداء اي لا ورق عليها وغلام امرد اذا لم يكن على وجهه شعره **قوله عز وجل**
لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا اراد به الشيطان ابعده الله من رحمته الى
عقابه بالحكم له بالخلود في جهنم ويسقط بهذا قول من قال كيف يصح قول من قال لعنه الله وهو في الدنيا
لا يخلو من نعمة تصل اليه من الله تعالى في كل حال لانه لا يعتد له بتلك النعمة مع الحكم له بالخلود في النار
والحاقوله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا معناه وقال ابليس لاتخذن من عبادك حظا معلوما
والفرض في اللغة القطع ومنه الفرضة وهي الثلمة تكون في النهر والفرض في القوس ما يشد فيه الوتر
والفريضة في العبادات الامر الحتم القاطع ويجوز ان يكون معنى مفروضا افترضه على نفسه ويقال الفرض
الكثرة فيقال لمن لا سهم له في الغنيمة يرضخ له ومن له سهم في الغنيمة يفرض له وكل ما اطيع فيه ابليس مفروض له
قوله عز وجل ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن
خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا معناه حكاية عن قول ابليس
ولاضلنهم عن الحق ولارجينهم طول الحيوة في الدنيا وان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ويقال
ولامنينهم الاهوا الباطلة الداعية الى العصيان ولامرنهم بتشقيق اذان الانعام وهي البحيرة التي كانوا
يفعلونها نسكا وعبادة للاوثان والبتك والتبتيك القطع واما قوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة بتغيير دين الله تعالى وكان عكرمة يقول اراد تغيير خلق الله بالخصا قال
مجاهد كذب عكرمة انما هو دين الله فان الله عز وجل خلق الانعام للركوب والاكل وقد حرموها على
وخلق الشمس والقمر يجري للناس تعبدها المشركون فغيروا خلق الله واستشهد على هذا القول بقوله
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وعلى هذا قالوا كل من كفر فقد غير خلق
الله وعن عبد الله بن مسعود انه قال المراد بتغيير خلق الله الوشم ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
الله اي من يتخذه ناصرا من دونه فقد غبن غبنا ظاهرا لانه خسر الجنة والنعيم الذي فيها **قوله عز**
وجل يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا معناه يعدهم ان لا جنة ولا نار ويرجيهم
طول البقاء في الدنيا ودوام نعيمها ليؤثروها على الاخرة وما يعدهم الشيطان الا باطلا وغرورا ايهام
النفع في ما فيه ضرر **قوله عز وجل** اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معناه اهل
هذه الصفة مستقرهم جهنم ولا يجدون عنها معدلا ولا مخلصا يقال حاص يحيص حيصا وحاص يحيص
حيصا بالضاد المعجمة اذا عدل عن الشئ عدولا **قوله عز وجل** والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا معناه
والذين صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم سندخلهم بساتين تجري من تحت
شجرها وغرفها انهار الماء والخمر والعسل واللبن مقيمين في الجنة الى الابد وانما جمع بين الايمان والطاعة
ليبين بطلان توهم من يتوهم انه لا تضر المعصية والاخلال بالطاعة مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع
الكفر وليبين استحقاق الثواب على كل واحد من الامرين وقوله وعد الله حقا نصب على المصدر معناه
وعد الله هذا لهم حقا كائنا ومن اصدق من الله قيلا اي ليس احد اصدق قولا ووعدا وما عادة ذكر
معنى الاستفهام لانه لا يحسن جوابه الا بالنفي **قوله عز وجل** ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب

من يعمل

من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا معناه ليس ثواب الله تعالى باما نيكم
فان ليس يقتضي اسما وقد تقدم ما يدل على اضمار الثواب وهو قوله عز وجل سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار واختلفوا في المخاطبين بهذه الاية قال بعضهم ان المخاطبين بها عبدة الاوثان
اي ليس الثواب باماني عبدة الاوثان ولا اماني اهل الكتاب والمراد بالسوء الكفر وذلك ان قريشا
قالت لن نبعث ولن نعذب واهل الكتاب قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقال بعضهم ان
المخاطب بها المسلمون اي ليس باما نيكم معشر المسلمين الا توحدوا وتسوءوا بعد الايمان ولا اماني اهل الكتاب
ان لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى من يعمل معصية يجز به ولا ينفعه منيه ان يتخلص من عقابه ولا يجد له من
دون الله قريبا ينفعه ولا ناصرا يمنع العذاب روي انه لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف الفلاح بعد هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست
تنصب الست تصيبك اللأواء قال بلى قال فهو ما تجزون به وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال لما نزلت
هذه الاية شق ذلك على المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قاربوا وسددوا فكل ما
يصيب المؤمن كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها وروي عن ابي بن كعب وعايشة رضي الله عنهما
انهما قالا هذا في الصغاير فان الصغاير يستحق عليها مضرة منقطعة يحسن تكفيرها بالامراض والاحزان
ومصايب الدنيا **قوله عز وجل** ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا معناه ومن يعمل من رجل او امراة وهو مصدق بالثواب والعقاب فاولئك
يدخلون الجنة في الاخرة ولا ينقصون مما استحقوه من جزاء اعمالهم مقدار النقير فان قيل كيف قال ولا
يظلمون نقيرا وكان معلوما للناس ان الله عز وجل لا يظلم احدا قيل فائدة اللفظ بيان انه لو نقص من
جزاء اعمالهم مقدار النقير لكان ذلك ظلما ولا يظلم الله تعالى احدا **قوله عز وجل** ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا
معناه اي احد احكم واصوب طريقة وسيرة ممن اخلص عمله وطاعته لله عز وجل وهو محسن في الاعتقاد
والعمل فيما بينه وبين ربه واتبع دين ابرهيم مايلا عن كل دين سوى دين الاسلام ويقال معنى الحنيف المستقيم
في سلوك الطريق الذي امر بسلوكه وسمي الاعرج حنيفا تفاؤلا ومعنى المحسن ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه سئل ما الايمان فاجاب فسئل ما الاسلام فاجاب فسئل ما الاحسان فقال ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واما قوله واتخذ الله ابرهيم خليلا ففيه وجهان احدهما الاصطفاء
بالمحبة والاختصاص بالاسرار دون من ليس له تلك المنزلة والثاني من الخلة وهي الحاجة فخليل الله المحتاج اليه
المنقطع بحوائجه الى الله دون غيره وقد سمي الفقير خليلا كما قال زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم فاذا اريد به الوجه الاول جاز ان يقال ابرهيم خليل الله والله خليل ابرهيم
واذا اريد به الوجه الثاني لم يجز ان يوصف الله عز وجل بانه خليل ابرهيم وجاز وصفه بانه خليل الله وعن
جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتخذ الله ابرهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه
السلام وصلاته بالليل والناس نيام وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال كان ابرهيم ابا الضيفان
وكان منزله على ظهر الطريق وكان يضيف من مر به فاصاب الناس سنة فبعث غلمانه الى خليل له بمصر يسأله الميرة
فقال خليله لو كان ابرهيم انما يريد لنفسه لاحتملنا ذلك ولكنه يريد للناس وقد دخل علينا ما دخل على
الناس فرجع رسل ابرهيم صلوات الله عليه وقالوا فيما بينهم نستحي ان نمر بالناس وابلنا فارغة فملؤوا الاحمال
سهلة فاتوا ابرهيم وسارة نايمة فاعلموه بذلك فاهتم ابرهيم عليه السلام لمكان الناس ببابه فغلبت عيناه
فنام فاستيقظت سارة فقامت الى الغراير ففتحتها فاذا هي احوذ حواري فاختبزوا فانتبه ابرهيم عليه السلام فشم
رائحة الطعام فقال لها من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال عليه السلام لا بل من عند خليلي

السماوى نويد اتخذ الله خليلا فان قال قائل لم كان ديننا احسن الاديان قيل ان احسن اعمال العباد طاعة الله تعالى على حدود الاخلاص لما فيها من استحقاق الجزاء على من يوثق بجزائه من حيث لا يضيق ملكه عن المجازاة ولا يخاف عليه الفوت وديننا ابلغ الاديان فى طاعة الله تعالى على حد الاخلاص فان قيل لم كان اتباع ملة ابرهيم اولى من اتباع ملة غيره من الانبيا مثل موسى وعيسى وغيرهما صلوات الله عليهم قيل لان الفرق كلهم متفقون على تعظيمه ووجوب اتباع ملته وهو كان يدعو الى الحنيفية دون اليهودية والنصرانية فان قيل ملتنا هى ملة ابرهيم بعينها او غيرها قيل اصل الملة واحد وهى ملة ابرهيم عليه السلام وفى ملتنا اشيا لم يكن فى ملته يويد **قوله عز وجل** وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ٥ معناه ولله ما فى السموات وما فى الارض ملكا وانما قال هذا ليبين ان ابرهيم مع كونه خليل الله تعالى لعبد له وانه لم يتخذه خليلا لحاجته اليه ولكن اتخذه خليلا جزاء على عمله فان الحكمة تقتضى مجازاة المحسن على احسانه وقال بعضهم انما قال ذلك لانه لما امر الناس بطاعته حثهم على الطاعة بما يوجب الرغبة فيها وهو كونه مالكا للسموات والارض واما قوله عز وجل وكان الله بكل شى محيطا معناه وكان الله لم يزل قادرا على كل شى عالما بكل شى من كل وجه فلا يخرج شى عن معلومه ومقدوره **قوله عز وجل** وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان هذه الاية نزلت فى ام كجة امراة اوس بن ثابت وبناتها منه لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوريثهن من اوس قال عيينة بن حصن الفزارى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قد ورثت البنات والنسا والصغار ولم نكن نحن نورث الا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة فانزل الله تعالى هذه الاية ويقال انها نزلت بعد نزول قوله يوصيكم الله فى اولادكم الى قوله ان الله كان عليما حكيما قبل نزول فرض الزوجات جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتونه فى ميراث ام كجة امراة المتوفى فانزل الله عز وجل هذه الاية ووعدهم ان يبينهم فى ميراث الزوجات فانزل فى ذلك قوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم الى اخر الاية ومعنى هذه الاية والله اعلم يسالونك يا محمد صلى الله عليه وسلم الفتيا فى امر النسا وما يجب لهن من الميراث قل الله يبين لكم ميراثهن والذى يقرا عليكم فى كتاب الله عز وجل من اول هذه السورة يفتيكم ويبين لكم ما سالتم عنه فى بنات ام كجة اللاتى لا تعطونهن ما فرض الله لهن من الميراث وهو قوله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم واما قوله عز وجل وترغبون ان تنكحوهن قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد رضى الله عنهم معناه وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن فلا تعضلوهن نصيبهن من الميراث لترغبوهن عنكم وذلك ان بنى اعمام تلك البنات كانوا اولياهن وكانوا لا يعطونهن حقهن من الميراث ويرغبون ان يتزوجوهن وعن عايشة والحسن رضى الله عنهما انهما قالا معناه وترغبون ان تتزوجوهن لجمالهن ولا تعطونهن ما اوجب الله تعالى لهن من الصداق وفى كلا القولين دليل على جواز نكاح الاوليا لليتامى واما قوله عز وجل والمستضعفين من الولدان معناه وفى المستضعفين من الولدان اى فى ميراث اليتامى وقوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط معناه وفى ان تقوموا لليتامى بالقسط فى اموالهم وحقوقهم بالعدل وما تفعلوا من خير فى امر اليتامى والصغار والضعاف فان الله كان به عليما يجزيكم على ذلك كله وقد اختلف اهل الاعراب فى موضع قوله وما يتلى عليكم فذهب اكثرهم الى انه فى موضع الرفع وتقديره وما يتلى عليكم فى الكتاب يفتيكم وقال بعضهم هو فى موضع الخفض تقديره وفى ما يتلى عليكم فى الكتاب الا ان هذا الوجه اضعف من الاول لانه لا يجوز عطف الظاهر على المضمر بحرف الجر من دون اعادة حرف الجر لا يقال مررت به وزيد الا باعادة حرف الجر فى زيد **قوله عز وجل** وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا

أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٥ روى ان هذه الاية نزلت فى ابنة محمد بن مسلمة وفى زوجها سعد بن الربيع تزوجها وهى شابة فلما علاها الكبر جفاها وتزوج عليها شابة اثرها عليها فشكت هى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت معناها وان علمت امراة من زوجها ترفعا عنها لبغضه اياها او اعراضا بوجهه عنها لايثار غيرها عليها فلا حرج على الزوج والمراة ان يصالحا بينهما صلحا معلوما يتراضيان به وهو ان يقول لها الزوج انك امراة قد دخلت فى السن وانا اريد ان اتزوج عليك امراة شابة واوثرها عليك فى القسمة لها لشبابها وان تدعى نصيبك من القسم فان رضيت والا سرحتك بالاحسان وتزوجت اخرى فان رضيت حل للزوج ذلك كما روى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه طلق امراته سودة فسالته لوجه الله عز وجل ان يراجعها ويجعل ايامها لعايشة رضى الله عنها ففعل ومثل هذا الصلح لا يقع لازما لان المراة الكبيرة اذا ارادت بعد ذلك الا المقاسمة على التسوية فذلك لها الى ان يرضيها الزوج بعد ذلك اما بتخيير او بوجه اخر على ما تقدم ذكره وذهب بعض المفسرين الى ان الزوج والمراة لو اصطلحا على ان اعطاها الزوج مالا معلوما حتى تركت له بعض ايامها او نقص من نصيبها لصاحبتها جاز وهذا لا يصح لان اسقاط الحق والاعتيا عن الاسقاط مع وجود السبب الموجب للتسليم وهو العقد باطل فان المراة اذا ابرات زوجها عن تسليم العبد المهر او ابرا المشترى البايع عن تسليم المبيع او اخذ عوضا عن الامتناع من التسليم فذلك باطل لا يجوز تراضيهما عليه وقرا بعضهم ان يصلحا بينهما صلحا من الاصلاح وقوله عز وجل والصلح خير معناه والصلح خير من الاقامة على النشوز ويقال الصلح خير من الفرقة وانما اقيم الخوف فى اول هذه الاية مقام العلم لان خوف النشوز لا يكون الا وقد بدا منه شى واما دخول حرف الشرط على الاسم فانه على احد التقديرين اما تقدير فعل مضمر يليه المظهر الذى بعده كانه قال وان خافت امراة خافت من بعلها نشوزا وحذف الفعل الاول لتفسير الثانى اياه ونظيره فى المنصوب زيدا ضربته تقديره ضربت زيدا ضربته واما على التقديم والتاخير كانه قال وان خافت امراة من بعلها نشوزا وعلى هذا قوله عز وجل ان امرو هلك وقوله عز وجل وان احد من المشركين استجارك وهذا لا يكون الا فى الفعل الماضى كما يقال ان الله عز وجل امكننى فعلت كذا وكذا فاما فى الفعل المستقبل فيقبح ان يفرق بين ان التى للجزا وبين لفظ الاستقبال فيقال ان امراة تخف لان ان تجزم المستقبل فلا ينفصل بين العامل والمعمول واما قوله عز وجل واحضرت الانفس الشح فمعناه جبلت الانفس على الشح فشح المراة الكبيرة منعها من الرضا بدون حقها وترك بعض نصيبها من الرجل لغيرها وشح الرجل نفسه من الشابة منعه من توفير نصيب الكبيرة من القسم عليها وقوله عز وجل وان تحسنوا وتتقوا معناه وان تحسنوا العشرة وتتقوا الظلم على النسا فان الله كان بما تعملون من الاحسان والجور عالما بخبير عملكم المحسن والمسى يجزيكم على ذلك **قوله عز وجل** وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا معناه ولن تقدروا ان تسووا بين النسا ولو اجتهدتم فى العدل كما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم ان هذا قسمى فيما املك فلا تواخذنى فيما لا املك واراد به التسوية فى المحبة وقوله تعالى فلا تميلوا كل الميل معناه لا تميلوا الى الشابة بالفعل كل الميل فتتركوا العجوز بغير القسمة كالمحبوسة لا ايم ولا ذات بعل وفى قراة ابى بن كعب كانها محبوسة وعن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كانت له امراتان فمال الى احديهما جا يوم القيمة واحد شقيه مائل وقوله عز وجل وان تصلحوا وتتقوا معناه وان تصلحوا اما افسدتم بافراط الميل وتتقوا العقوبة فيه فان الله كان غفورا لما سلف من الظلم منكم عليهن رحيما

بكم بعد التوبة **قوله عز وجل** وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا
حكيما ه معناه والله اعلم ان الزوج والمراة اذا تفرقا خوفا من ترك حقوق الله سبحانه التي وجبها
عليهما اغنى الله كلا من سعته من رزقه الزوج بامراة اخرى والمراة بزوج اخر وكان الله واسعا
لهما في النكاح حكيما حكم على الزوج الامساك بالمعروف او التسريح بالاحسان ويقال معناه وكان
الله واسع الملك جوادا لا يعجزه شيء ذا حكمة فيما حكم من الفرقة بجعل لكل واحد منهما من يسكن اليه
مستغنيا به عن الاول وفي هذه الاية بيان ان رزق العباد على الله تعالى وان ما يجريه منه على ايدي عباده
فهو المسبب له والمستحق عليه الحمد **قوله عز وجل** ولله ما في السموات وما في الارض ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض وكان الله غنيا حميدا معناه ان لله ملك السموات والارض وما فيهما كلهم عبيده
واماؤه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر على من يشاء لان الذي تضمن به من الرزق يسير بالاضافة الى ما
خلقه وقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم اي امرنا اهل التورية في التورية
واهل الانجيل في الانجيل واهل كل كتاب في كتابهم واياكم اي وصيناكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم
في كتابكم ان اتقوا الله واطيعوه في امر اليتامى والنساء واحكامهم وفي هذه بيان ان الزام الله تعالى عباده
التقوى عموم لا خصوص فيه اي الزمكم ما الزم سائر الامم قبلكم مصلحة لكم وان تكفروا اي تجحدوا
وصية الله سبحانه فلم تقبلوها فان لله ما في السموات من الملائكة وما في الارض من الجن والانس وسائر
الخلق وكان الله غنيا عن عبادتكم لا يضره كفر من كفر منكم ولا ينفعه طاعة من اطاع منكم حميدا محمودا
في ذاته وفي خواص مملكته وعباده حمدتموه ام لم تحمدوه ويقال حامدا لمن وحده واطاعه **قوله عز
وجل** ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ه تنبيه بعد تنبيه كانه عز وجل نبههم
عن غفلتهم بانه حفيظ على اعمالهم كي يحفظوا ولا ينسوا ويعملوا بما امروا به من امر الله عز وجل وليس شيء من
هذه الالفاظ تكرار في كتاب الله عز وجل ولكن كل واحد منها مقرون بفائدة جديدة والفائدة في
اعادة قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض بانشاء الامر بالاتكال على الله عز وجل والثقة
به وتفويض الامر اليه ولذلك عقبه بقوله وكفى بالله وكيلا اي حافظا لاعمالكم كفيلا بارزاقكم
قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله على ذلك قديرا ه معناه ان الله
سبحانه كما يملك الموجود من السموات والارض يملك ايضا الاستبدال فافناء الخلق وانشاء الاخرين ويقال هو
خطاب للكفار لانه تعالى قال من قبل وان تكفروا فكانه قال ان يشا يهلككم ايها الكفار ويات بقوم
اخرين اطوع منكم وكان الله على هلاككم وخلق غيركم مكانكم قادرا وذكر لفظ كان لبيان انه لم يزل
كان قادرا على كل شيء لا انه حدثت له قوة لم تكن وفي الاية تخويف لكل من كانت له ولاية او رياسة
فلا يعدل فيمن كان تحت يده او كان عالما فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس ان يذهبه الله تعالى ويهلكه ويأتي
بغيره خيرا منه **قوله عز وجل** من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان
الله سميعا بصيرا وذلك ان الله عز وجل لما ذكر عظم سلطانه وسعة ملكه وقدرته اراد ان يرغبهم
فيما عنده من ثواب الاخرة ويخوفهم من عقابها كي ينقطعوا اليه بالكلية فقال من كان يريد ثواب
الدنيا اي من كان يريد بعمله منفعة الدنيا فليعمل لله ولا يقتصر على طلب الدنيا فان ثواب الدنيا واصل الى
البر والفاجر والمؤمن والكافر ولكن ليتكلف طلب الاخرة التي لا تنال الا بالعمل وكان الله سميعا
لكلام عباده بصيرا بما في قلوبهم وفي الاية تهديد للمنافقين المرائين من الناس وجاء في الحديث ان في
جهنم واديا تستعيذ منه جهنم في كل يوم اربعمائة مرة اعد للقراء المرائين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته وليس من مؤمن يعمل عملا الا

سار في قلبه سورتان فان كانت الاولى لله سبحانه فلا تهيدنه الاخرى ويقال ان المراد بهذه الاية
مشركوا العرب كانوا يتقربون بالله سبحانه خالقهم ويزعمون ان تقربهم الى الاصنام يقربونهم الى
الله سبحانه زلفى ويعطيهم الله عز وجل من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها فاعلم الله عز وجل ان خير الدنيا
والاخرة عنده **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا ه اعاد افتتاح ذكره عز وجل في هذا الموضع لاشتماله على اتمام الوصايا وانفاذ الشهادات
والاحكام معناه يا ايها الذين اقروا وصدقوا بالله ورسله قوموا بالعدل وقولوا الحق ويجوز ان يكون
معنى القوام بالقسط استعماله العدل على حسب ما يجب من انصاف الانسان من نفسه وانصاف كل مظلوم من
ظالمه ومنع كل ظالم من ظلمه يقال فلان يقوم بهذا الكتاب اي يحسنه وبهذا الامر اي يمكنه التصرف فيه
ولفظ القوام لا يكون الا للمبالغة والقسط والاقساط العدل ويقال اقسط الرجل اقساطا اذا عدل واتى
بالقسط وقسط الرجل يقسط قسوطا اذا جار قال الله تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين اي اعدلوا وقال
واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا اي الجائرون وقوله عز وجل شهداء لله انتصب لاحد اوجه ثلثة احدها
انه خبر ثان كما يقال هذا حلو حامض والثاني على الحال كما يقال هذا زيد راكبا والثالث على انه صفة للقوامين
فان قوامين نكرة وشهداء نكرة والنكرة تنعت بالنكرة ومعنى شهداء لله اي اشهدوا بالحق لله على ما كان
من قريب او بعيد وكل ما كان الوصول الى القسط فيه من طريق الشهادة فاقيموا الشهادة لله على الظالم للمحق
واما قوله ولو على انفسكم فمعناه قولوا الحق ولو على انفسكم والشهادة على النفس اقرار والاقرار والشهادة
يجتمعان في المعنى وقوله او الوالدين والاقربين معناه او على والديكم او على قراباتكم وفي هذا بيان ان
شهادة الابن على الوالد لا تكون عقوقا ولا يحل للابن الامتناع من الشهادة على ابويه لان في الشهادة عليهما
بالحق منعا لهما عن الظلم وقوله ان يكن غنيا او فقيرا معناه ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله احق بالغني
والفقير من عباده من احدهم بوالديه وقراباته وارحم واراف فاقيموا الشهادة لله لا تميلوا في الشهادة رحمة
للفقير ولا تقصدوا اقامتها لاحتمال غنى الغني عندكم اي لا تحل غنى المشهود له حرمة له ونظير هذا قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومن هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او
مظلوما فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما فقال ان ترده عن ظلمه
فان ذلك نصره مثل ذلك وقوله عز وجل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا وهذا
كما يقال لا تتبع الهوى لترضي ربك ويقال معناه لا تتبعوا الهوى ان لا تعدلوا ويقال كراهة ان تعدلوا وهذا
كما قال في قوله عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا ويقال معنى تعدلوا تميلوا من الحق الى الهوى وقوله وان
تلووا او تعرضوا من قرا تلووا بواوين فمعناه ان تماطلوا في اقامة الشهادة وتقلبوا اللسان لتفسد والسياق
او تعرضوا عن اقامة الشهادة ماخوذ من لوى فلان في دينه يلوي ليا اي دافع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته ومن قرا تلوا بواو واحدة فهو من الولاية معناه ان اقمتم الشهادة او اعرضتم
قال الفراء اصل تلوا تلؤوا بالهمزة من لاى يلأى اذا ابطأ فطرحت الهمزة ونقلت حركتها الى اللام وقوله فان الله
كان بما تعملون خبيرا اي لا يخفى عليه شيء مما تعملون من كتمان الشهادة واقامتها ويروى عن عبد الله ابن
عباس رضي الله عنهما ان المراد بالاية القاضي يتقدم اليه الخصمان فيعرض عن احدهما او يدافع في امضاء الحق او
لا يسوي بينهما في المجلس والنظر والاشارة ولا يمتنع ان يكون المراد بالاية القاضي والشاهد وعامة الناس
لاحتمال اللفظ الجميع وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فليقم شهادته على من كانت ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجحد الحق هو عليه وليؤده عفوا ولا يلجئه الى السلطان
والخصومة ليقطع بذلك حقه وايما رجل خاصم الي فقضيت له على اخيه بحق ليس هو له عليه فلا ياخذه فانما

انقطع له قطعة من نار جهنم **قوله عز وجل** يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ه في المخاطبين بهذه الآية ثلثة أقوال أحدها أنهم هم المؤمنون أمروا
بالإقامة على الإيمان والثبات عليه كما في تفسير قوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم أي ثبتنا عليه والثاني
أن المراد بها اليهود والنصارى كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا من قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء صلوات الله
عليهم آمنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من عند الله لأنكم آمنتم بالمتقدمين من الأنبياء صلوات الله
عليهم للآيات التي كانت معهم فعليكم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم حيث آمنتم بهم فعليكم الإيمان بنبوته
كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا معه أتوا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله نؤمن بك وبكتابك وبموسى وعزير والتورية ونكفر بما سواه من الكتب
والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبرسوله محمد وبالرسل كلهم صلوات الله عليهم
أجمعين وبكل كتاب كان من قبل فقالوا لا نفعل فأنزل الله تعالى هذه الآية والثالث أن المراد بهذه الآية
المنافقون كأنه قيل يا أيها الذين أقروا بألسنتهم بالإيمان في الظاهر صدقوا بقلوبكم في الباطن وقوله عز وجل
ومن يكفر بالله وملائكته معناه من يجحد بوحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت فقد أخطأ
خطأ بعيدا عن الحق والصواب وهذا تحذير عن الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم فإن من كفر بالرسول
فقد كفر بهذه الأشياء الخمسة كلها **قوله عز وجل** إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا
كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ه اختلف المفسرون في هذه الآية على قولين أحدهما
أن المراد بها اليهود قال الكلبي آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعد موته ثم آمنوا بعزير عليه السلام ثم كفروا
بعد عزير بالمسيح عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وقال مقاتل آمنوا بموسى
عليه السلام ثم كفروا بعد موته ثم آمنوا بعيسى عليه السلام ثم كفروا بعد ما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء
ثم أقاموا على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعده بعيسى عليه
السلام ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن بعث ثم كفروا به بعد ما بعث ثم أقاموا على كفرهم وقال
قتادة آمن اليهود بموسى عليه السلام ثم كفروا به بعبادة العجل ثم آمنوا بالتورية ثم كفروا بعيسى عليه السلام
ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال إن يهود المدينة لما بلغتهم نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وهو بمكة أقروا أنه نبي مبعوث ثم كفروا به بعد مقدمه المدينة ثم أقروا طائفة منهم حين ظفر يوم
بدر ثم جحدوا يوم أحد وكانت يهود المدينة تفعل مثل هذا تشكيكا للمسلمين كما قال الله عز وجل وقالت
طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون
والثاني أن المراد بهذه الآية المنافقون قال الضحاك نزلت هذه الآية في شأن أبي عامر الراهب الذي بنى مسجد
الضرار آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر ثم آمن ثم كفر ثم مات على كفره وقيل يجوز أن يكون المراد
من آمن ثم كفر ثم آمن ثم كفر ومنافق أظهر الإيمان وأبطن الكفر ثم آمن ثم كفر ثم ازداد كفرا وقوله عز وجل
لم يكن الله ليغفر لهم معناه ما داموا على كفرهم وقوله ولا ليهديهم سبيلا معناه ولا ليوفقهم طريقا إلى الإسلام
ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم وقال الزجاج معناه ولا يجعلهم بكفرهم مهتدين بل يضلهم لأن الله
عز وجل يضل الظالم وفي الآية دليل وفي الآية دليل أن المرتد متى تاب قبلت توبته لأن الله عز وجل حكم
بإيمانه متى أظهر الإيمان مرة بعد أخرى ولم يؤاخذنا باعتبار حقيقة ما في القلوب لأنا لا نتوصل إلى ذلك
ولهذا قال أبو حنيفة رحمه الله إني أستتيب الزنديق كما أستتيب المرتد فإن تاب خليت سبيله وإن أبى
قتلته وبه قال أبو يوسف زمانا فلما رأى ما يصنع الزنادقة يتوبون ويعودون قال أرى أن أتى بزنديق
أن أمر بضرب عنقه ولا أستتيبه وإن تاب قبل أن أقتله خليته وفي رواية عن أبي يوسف أنه قال إذا زعم

انه قد تاب حبسته حتى أعلم توبته وذكر الشيخ أبو الحسن الكرخي أن المرتد إذا عاد إلى الردة المرة
الثالثة استتيب فإن أبى قتل وإن تاب ضرب ضربا وجيعا دون الحد وحبس حتى يعلم صدق توبته
ويرى عليه أثر الخشوع وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال أقتل الزنديق سرا فإن توبته لا تعرف
وهذه رواية أخرى رواها أبو يوسف عنه في أماليه فإن قيل إن الله عز وجل لا يغفر كفر مرة
واحدة فما الفائدة في قوله آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا قيل إن الكافر إذا آمن غفر له كفره
فإذا كفر بعد إيمانه لم يغفر له كفره الأول وهو مطالب بجميع كفره **قوله عز وجل** بشر المنافقين
بأن لهم عذابا أليما معناه خوف المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه ومن يكون على سبيلهم إلى يوم
القيمة بأن لهم عذابا وجيعا يخلص وجعه إلى قلوبهم وإنما قال في هذا الموضع عذابا أليما وقال في موضع
آخر عذاب أليم لاستواء الفواصل وإن كان كل واحد من اللفظين في معنى الآخر لأن أواخر الآيات
في هذا الموضع على سبيلا ونصيرا فقال أليما ولما كانت في الموضع الآخر على حريق وبعيد قال بعذاب أليم
ونظير هذا قوله في موضع رب هرون وموسى لكون أواخر الآيات على الياء وفي موضع آخر رب موسى
وهرون لكونها على الواو والنون وكذلك قوله والليل إذا يسري وقوله الكبير المتعال بغير ياء في
آخره على موافقة ما قبله لأن اتفاق الفواصل ينبغي في الآيات كاتفاق القوافي في الأبيات إلا أن الأهم
في الأبيات القوافي والمعاني تابعة لها والأهم في كلام الله تعالى المعاني والفواصل تابعة للمعاني وإنما
ذكر البشارة في موضع العذاب فعلى معنى جعل لهم في موضع البشارة العذاب كقول العرب تحيتك الضرب
وعتابك السيف ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال عز وجل الذين يتخذون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا معناه هم الذين يتخذون اليهود
أحبابا في العون والنصرة من دون المؤمنين المخلصين الموحدين وهذا دليل أنه لا يكون للمؤمنين الاستنصار
بالكفار على غيرهم من الكفار إذا كانوا متى غلبوا كانت الغلبة للكفار وكان حكم الكفر هو الغالب
لأن الله عز وجل إذا ذم قوما على فعل كان ذلك الفعل قبيحا لا يكون لأحد من الناس فعله إلا أن تقوم
الدلالة عليه وقوله عز وجل أيبتغون عندهم العزة استفهام بمعنى الإنكار أي كيف يطلبون عند
الكفار العزة وهم أذلاء في حكم الله عز وجل وقوله فإن العزة لله جميعا معناه فإن القوة والمنعة لله
جميعا لمن أراد أن يطلب العز فليطلبه من الله عز وجل لأنه المقتدر لجميع من له العز من خلقه فجميع العز
له ولأنه لا يعتد بعزة أحد مع عزة الله سبحانه لصغرها واحتقارها في صفة عزته فلا يكون إطلاق العز
إلا لله عز وجل وأصل العز من الشدة ثم نقل عنها إلى القوة ومنه قيل للأرض الصلبة الشديدة عزاز
وعن النبي إذا قال لأنه يشتد مطلبه ويعز علي أن أفعل كذا أي يشتد علي وعازه في الأمر إذا شاده
واستعز على المريض إذا اشتد وجعه وشاة عزوز إذا كانت تحلب بشدة لضيق إحليلها والعزيز القوي
المنيع **قوله عز وجل** وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ
بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا معناه وقد نزل عليكم في القرآن في سورة الأنعام بمكة أن إذا سمعتم آيات القرآن
تجحد بها ويستهزأ بها فلا تجلسوا معهم حتى يكون خوضهم في كلامهم في حديث غير القرآن أراد بقوله
وقد نزل عليكم قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وقوله عز وجل إنكم إذا مثلهم معناه أن من جالسهم راضيا بما هم عليه من الكفر والاستهزاء
بآيات الله فهو مثلهم في الكفر لأن الرضا بالكفر والاستهزاء بآيات الله عز وجل كفر ومن جلس معهم
ساخطا لتلك الحال منهم لم يكفر ولكنه يكون عاصيا بالقعود معهم فيكون معنى قوله عز وجل إنكم
إذا مثلهم أي في أصل العصيان وإن لم تبلغ معصية المؤمن معصية الكفار وهذا إذا لم يكن

حلوس المومن معهم لاقامة فرض وسنة فاما اذا كان حلوسه هنالك لاقامة عبادة وهو ساخط لتلك الحال لا يقدر على تغييرها فلا باس بالجلوس كما روي عن الحسن رضي الله عنه انه حضر هو وابن سيرين جنازة وهناك نوح فانصرف ابن سيرين فذكر ذلك للحسن رضي الله عنه فقال ان كنا متى راينا باطلا تركنا حقا اسرع ذلك في ديننا ولم نرجع وقال ابو حنيفة رحمه في الرجل يكون في الوليمة فيحضر هنالك اللهو واللعب انه لا ينبغي له الخروج وقال قد ابتليت بهذا مرة وقوله عز وجل ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اي يجمعهم في جهنم مجازاة لاجتماعهم في الدنيا للاستهزاء فمن سره ان لا يكون معهم في جهنم فلا يكون معهم في الدنيا ثم زاد في نعت المنافقين فقال عز وجل

الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المومنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا معناه هم الذين ينتظرون بكم الدوائر ويتراعون احوالكم والمتربص للشي هو المتوقع لاسبابه ويسمى المحتكر متربصا لتوقعه غلا السعر وقوله عز وجل فان كان لكم فتح من الله معناه ان كان لكم ظفر وغلبة وغنيمة قال المنافقون الم نكن معكم على دينكم فاعطونا من الغنيمة وان كان للكافرين نصيب ظهور على المسلمين قال المنافقون الم نغلب على امركم بالموالاة لكم الم نطلعكم على سرهم ونكتب به اليكم ونحذركم عنهم حتى ملكتنا نعلمكم من اخبارهم ونخبئهم عنكم فالله يقضي بين المومنين والمنافقين والكفار يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا قال بعضهم لن يجعل الله لليهود على المومنين ظهورا ويقال ان المراد بالسبيل الحجة ولن يجعل الله للكافرين من اليهود وغيرهم حجة على المسلمين في الدنيا ولا في الاخرة ويقال معنى السبيل الدولة الدائمة ويقال معناه لا يدخل الكافرون الجنة فيقولون للمومنين ما اغنى عنكم تعبكم في الدنيا وما ضرنا كفرنا بعد ان تساوينا في الجنة فيكون لهم على المومنين بذلك السبيل والاستحواذ في اللغة هو الاستيلاء يقال حاذ الحمار اتنه اذا استولى عليها وجمعها وكذلك حازها قال الشاعر يحوذهن وله حوذي كما يحوذ الفئة الكمي

يحوذهن وله حوذي ومن قال حاذ يحوذ لم يقل الا استحاذ يستحيذ ومن قال احوذ كما يقال اخوذت واطيبت بمعنى اجدت واطبت قال على هذا الاصل استحوذ وهذا شاذ استنوق الجمل واستصوبت رايه

قوله عز وجل ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا معناه ان المنافقين يخادعون اولياء الله باظهارهم الايمان وابطانهم الكفر ليحقنوا بذلك دماءهم ويشاركوا المسلمين في غنايمهم وجعل الله مخادعة اوليايه مخادعة له كما قال الله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقوله عز وجل وهو خادعهم اي مجازيهم جزاء اعمالهم كما قال جل ذكره يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم الى اخر الاية ووجه اخر ان المنافقين يعملون عمل المخادع لمالكه بما يظهرون من الايمان ويبطنون خلافه وهو يعاملهم عمل المخادع بما امر به من قبول ايمانهم مع علمه بابطان كفرهم وقوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة معناه واذا قام المنافقون الى الصلوة قاموا متثاقلين لا يريدون بها وجه الله سبحانه ولا ياتون الصلوة الا دبرا ولا دواعي لهم اليها الا مرايا للناس خوفا منهم ولا يصلون لله الا قليلا رياء وسمعة ولو كانوا يريدون بذلك القليل وجه الله عز وجل لكان كثيرا ولكنهم لم يريدوا بذلك وجه الله عز وجل فلم يتقبل منهم

قوله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اول الاية نصب على الذم معناه مترددين بين كفر السر وايمان العلانية ليسوا من المومنين فيجب لهم ما يجب للمومنين وليسوا من الكفار فيجب عليهم ما يجب على الكفار ومن يخذله الله عز وجل عن الهدى فلن تجد له يا محمد صلى الله عليه وسلم مخرجا وطريقا الى الهدى

قوله عز وجل يا ايها الذين

امنوا

امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا معنى الاية والله اعلم لا تفعلوا ايها المومنون كما يفعله المنافقون ويقال معناها يا ايها الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون لا تتخذوا اليهود اولياء في العون والنصر من دون المخلصين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم حجة ظاهرة بوجوب العقوبة عليكم في الدنيا والاخرة والسلطان في اللغة عبارة عن الحجة يقال للامير سلطان يراد به انه ذو الحجة وتقول العرب قضت عليك السلطان تريد بذلك حجة الوالي وقد يقال قضى عليك السلطان ويراد به البرهان والاحتجاج قال الله عز وجل لولا ياتون عليهم بسلطان بين وقال حكاية عن سليمن عليه السلام او لياتيني بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال اراد بالسلطان المبين في هذه الاية العذاب المبين ويقال معناه اتريدون ان تسلطوا عليكم عذاب الله بموالاة الكفار

قوله عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا اخبار عن منازل المنافقين في الاخرة انهم يكونون في الطبق الاسفل من النار وهي الهاوية لمكرهم وخيانتهم النبي صلى الله عليه وسلم مع ابطان الكفر قال ابو عبيدة جهنم ادراك اي منازل كل منزلة منها درك ومن قرا الدرك بتسكين الرا فهو لغة واكثر القرا على فتح الرا والدركات في النار مثل الدرجات في الجنة كلما كان من درجات الجنة اعلى فثوابه من فيها اعظم وما كان من دركات النار اسفل فعقاب من فيها اشد وسيل ابن مسعود رضي الله عنه عن الدرك الاسفل فقال هو توابيت من حديد مبهمة عليهم لا ابواب لها وقوله عز وجل ولن تجد لهم نصيرا اي لن تجد لهم مانعا يمنع العذاب عنهم والمنافق في اللغة ماخوذ من النفق وهو السرب اي يستتر بالاسلام كما يستتر الرجل بالسرب ويقال هو من قولهم نافق اليربوع ونفق اذا دخل نافقاه فاذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء واذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء والراهطاء والداماء جحرة اليربوع فان قال قايل ما وجه التوفيق بين هذه الاية وبين قوله ادخلوا ال فرعون اشد العذاب قيل لا يمتنع ان يجتمع القوم في موضع واحد ويكون عذاب بعضهم اشد من عذاب بعض الا ترى ان البيت الداخل في الحمام يجتمع فيه اناس ويكون بعضهم اشد اذى بالنار لكونه ادنى الى موضع الوقود وبعضهم اخف اذى لكونه ابعد منه وكذلك قد يجتمع القوم في القعود في الشمس ويتاذى الصفراوي منها اشد واكثر من تاذي السوداوي

قوله عز وجل الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المومنين وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما معناه الا الذين تابوا من النفاق واخلصوا العمل فيما بينهم وبين ربهم وتمسكوا بتوحيد الله ودينه ويقال اعتصموا بالطاعة من الضرر في العاجل والاجل واخلصوا دينهم لله اي توحيدهم وعملهم لله جعلوا ذلك خالصا من شوب الرياء وطلب عوض من الدنيا على ما هو سبيل القرب اذ لا تفعل الا لوجه الله تعالى فاولئك مع المومنين في الجنة والثواب لا يضرهم النفاق السابق اذا تابوا من ذلك واصلحوا وقوله وسوف يوت الله المومنين كلمة ترجية واطماع وهي من الله سبحانه ايجاب لانه جل ذكره اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز ويحتمل ان يكون قبوله وسوف يوتي الله المومنين كناية عن جميع المومنين يعطيهم الله الثواب الوافر في الجنة من تقدم منه الكفر ومن لم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد به بيان زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق واما حذف اليا من قوله يوت الله في الكتابة فعلى اتباع اللفظ لسكونها وسكون اللام بعدها وكذلك الواو من قوله سندع الزبانية وقوله عز وجل يوم يدع الداعي

قوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما وذلك ان الله عز وجل لما ذكر الدرك الاسفل من النار اعلم ان المنافقين هم الذين اوقعوا انفسهم فيها واستحقوها بعظم ذنبهم لجحدهم من كفر السر وخديعة المومنين وانه ليس في حكمة الله سبحانه تعذيب من شكر وامن وانما في حكمته

ان يجزي كل عامل ما عمل فذلك قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم اى ما حاجته الى تعذيبكم ايها المنافقون
ان وحدتم فى السر وصدقتم فى ايمانكم و يقال معناه ان شكرتم نعم الله وامنتم بكتبه وبرسله وكان
الله عند ذلك شاكرا اى مثيبا بقليل السعي ويعطي الجزيل عليها بالثواب يضعف لمن يشا واحدا الى عشرة
الى سبع مايه الى ما شا الله من الاضعاف والشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمة الواصلة اليه مع ضروب
من التعظيم والشكر من الله عز وجل شكرا تشبيها بشكرنا الذى هو فى مقابلة ابتداء انعامه وتفضله
علينا وتوفيقه ايانا على طاعته ونظير هذه الايه قوله تعالى قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم اى ما يصنع بعذابكم
ان دعوتموه **قوله عز وجل** لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما
روى عن عبد الله بن عباس وقتادة ان معناه لا يحب الله الجهر بالدعا بالشر على احد الا ان يظلم فيدعوا على
فيدعوا على ظالمه فلا يعاب على ذلك وهو ماذون له فى ان يشكو ظالمه ويدعو عليه ويقال قوله الا من
ظلم استثنا منقطع معناه لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيا وفى تفسير الحسن رضى الله عنه لا يحب الله الشتم
فى الانتصار الا من ظلم فلا باس له ان ينتصر ممن ظلمه بما يجوز له الانتصار به فى الدين ونظيره قوله عز وجل
وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الحسن رضى الله عنه لا يجوز للرجل اذا قيل له يا زانى ان يقابل بمثل ذلك او نحوه
من انواع الشتم وقال مجاهد نزلت هذه الايه فى الضيف اذا لم يضف ومنع حقه فقد اذن له ان يشكو والضيافه
ثلاثه ايام وقيل ان هذا التاويل محمول على وقت كانت الضيافه ثلثه ايام واجبة فى ذلك الوقت ومن قرا الا
من ظَلَم بنصب الظا فمعناه لكن الظالم يجهر بذلك ظلما واعتدا وقيل لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول
وقوله عز وجل وكان الله سميعا عليما معناه سميعا لدعا المظلوم عليما بعقوبة الظالم ويقال سميعا لجميع
المسموعات عليما بجميع المعلومات ووجه ايضا هذه الايه بما قبلها ان الله عز وجل لما اباح للمومنين
الجهر على المنافقين بالسوء بعد العلم بنفاقهم لاظهار فضيحتهم حرم على المومنين فيما سوى ذلك الا ان
يكون استغاثة من مظلوم يشكو ظالمه **قوله عز وجل** ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن
سوء فان الله كان عفوا قديرا معناه ان تظهروا خيرا او تسروه او تعفوا عن مظلمة ظلمتم بها فان الله كان
عفوا قديرا والعفو كثير العفو من عصى والقدير والقادر بمعنى واحد اى الله عز وجل اقدر على العقوبه
ثم يعفو عن العباد مع قدرته على الانتقام فالاولى ان تتخلقوا طريقه لكم وقيل فى معنى هذه الايه ان
تردوا جوابا حسنا او تسكتوا عن الظالم ولا تحقدوا او تتجاوزوا عن ظلمه فان الله عز وجل يعفو
عن المظلوم ذنوبه فان عفو الله عز وجل عنكم معاصيكم اكثر من عفوكم عمن ظلمكم وفى تفسير الكلبى
ان من عمل حسنة كتبت له عشر ومن هم بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحده **قوله عز وجل**
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا قال الحسن رضى الله عنه نزلت هذه الايه فى اهل
الكتابين من اليهود والنصارى امنت اليهود بموسى عليه السلام والتوريه وكفرت بعيسى عليه
السلام والانجيل وامنت النصارى بعيسى عليه السلام والانجيل وكفرت بموسى عليه السلام والتوريه وكلهم
كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا والقران فاعلم الله عز وجل انه ليس من الايمان بالبعض
والكفر بالبعض دين بعد ذلك طريقا **قوله عز وجل** اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا معناه اهل هذه الصفة هم الكافرون حقا البتة وقوله جل ذكره حقا نصب على
المصدر للتاكيد كما تقول زيد اخوك حقا اى احق ذلك حقا والفايده فى قوله حقا بيان ان ايمانهم بالبعض
لا ينفعهم ولا يسلب اسم الكفر عنهم ويقال ان اهل الشرك داخلون فى هاتين الايتين لانهم يفرقوا بين الله
ورسله اذ يقرون بان الله عز وجل خالقهم ورازقهم وينكرون الرسل وقوله عز وجل واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا ظاهر المعنى **قوله عز وجل** والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك

سوف

سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما وذلك ان الله عز وجل لما ذكر فى الايه التى قبل
هذه الايه حكم الذين امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا بالبعض واوعدهم على ذلك العذاب المهين بين
بهذه الايه حكم المومنين الذين امنوا بالله وجميع رسله ولم يفرقوا بين احد منهم فى الايمان والتصديق
ووعدهم الاجر العظيم والمغفرة والرحمة وفى تسميه الله عز وجل الثواب اجرا دليل على انه مستحق لان
ذلك حكم الاجر **قوله عز وجل** يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد
سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من
بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا معناه يسالك يا محمد صلى الله عليه
وسلم كعب بن الاشرف وجماعه اليهود ان تنزل عليهم كتابا من السما جملة واحدة كما انزلت التوريه
على موسى عليه السلام وهو حين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقراه
وقوله تعالى فقد سالوا موسى اكبر من ذلك اى لا تعجب من سالتهم الكتاب من السما بعد ان جاءتهم
البينات على نبوتك فانهم سالوا موسى عليه السلام بعدما راوا الايات اعظم من ذلك فقالوا ارنا الله
جهرة اى معاينة منكشفة ظاهرة وهم السبعون الذين كانوا معه عند الجبل حين كلمه الله سبحانه
سالوه ان يروا ربهم رويه يدركونها بابصارهم فى الدنيا وقال ابو عبيدة معنى الايه قالوا جهرة ارنا
الله فجعل جهرة صفة لقولهم قال لان الرويه لا تكون الا جهرة وقوله عز وجل فاخذتهم الصاعقة بظلمهم
معناه اخذتهم النار فعوقبوا لهم بسؤالهم موسى عليه السلام ما لم يستحقوه وقوله ثم اتخذوا العجل يعنى
الذين خلفهم موسى عليه السلام لمضى واستخلف عليهم هرون عبدوا العجل من بعد ما جاءتهم الايات
البينات الداله على توحيد الله عز وجل وفى هذا بيان جهل اليهود وتعنتهم وعنادهم واى جهل اعظم من
اتخاذ العجل الها بعد ظهور المعجزات وثبوت الايات البينات وقوله عز وجل فعفونا عن ذلك اى تجاوزنا
عنهم بعد توبتهم مع عظم جنايتهم وجرمتهم ولم نستاصلهم دل الله تعالى بذلك على سعة رحمته ومغفرته
وتمام نعمته ومنته وبين ذلك انه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله عز وجل وفى هذا منع من القنوط واسناد على
الى التوبه وقوله عز وجل واتينا موسى سلطانا مبينا معناه اعطيناه حجة على من خالفه بينة ظاهرة وهى اليد
والعصا **قوله عز وجل** ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا
لهم لا تعدوا فى السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا معناه ورفعنا فوق روسهم الجبل باقرارهم
بالله عز وجل وبنبوة موسى عليه السلام وذلك حين ابوا قبول التوريه فرفع الله عز وجل فوقهم الطور فقبلوا
وخروا سجدا فرفع الله تعالى الطور عنهم وقوله عز وجل وقلنا لهم ادخلوا الباب اى قلنا لهم مع هذا
ايضا ادخلوا باب اريحا اذا دخلتموها خاشعين لله منحنية اصلابكم فدخلوا زحفا وبدلوا ما قيل لهم ويقال
اراد بالباب الباب الذى عبدوا فيه العجل امرهم الله تعالى ان يدخلوه بعد توبتهم عن عبادة العجل ساجدين لله
عز وجل فيصير ذلك كفارة لعبادة العجل حقا موضوعا فى موضع الباطل ليمحوه ويرفعه وقوله عز وجل وقلنا
لهم لا تعدوا فى السبت معناه وقلنا لهم مع هذا ايضا لا تستحلوا اخذ السمك فى يوم السبت ومن قرا لا تعدّوا
بتشديد الدال فاصله لا تعتدوا فادغمت التا فى الدال واقيم التشديد مقامه والقراة بالتخفيف من عدا
يعدو عدوا وقوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى اقرارا وثيقا شديدا فابوا الا المضى على المعصية
وخروجا من الطاعة واستخفافا بامر الله تعالى وهذا كله مما يخبر الله محمدا صلى الله عليه وسلم على مخالفة
اليهود وتكذيبهم اياه يقول هولا بنيه اولئك الذين عددت عليك بعض اعمالهم الخبيثة يقترحون على الانبيا
الايات بعد قيام الحجة عليهم بل لا يؤمنون الا قليلا **قوله عز وجل** فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات
الله وقتلهم الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا معناه
فبنقضهم الميثاق الذى اخذ عليهم فى التوريه وبجحدهم بالقران والانجيل وبما فى التوريه من نعت الاسلام وصفه

النبي صلى الله عليه وسلم وبقتلهم الانبيا صلوات الله عليهم بلا جرم وقولهم قلوبنا غلف اى فى اوعية
لا تعى شيا يقول الله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم معناه ليس كما قالوا ولكن ختم الله على قلوبهم مجازاة لهم
على كفرهم فلا يومنون الا ايمانا قليلا لا يجب ان تسموا به مومنين وذلك انهم امنوا ببعض الرسل والكتب
دون البعض وقال الحسن رضى الله عنه فى هذا تقديم وتاخير معناه بل طبع الله عليها بكفرهم الا قليلا فلا يومنون
المراد بالقليل عبد الله بن سلام ومن تابعه واما دخول ما فى قوله فبما نقضهم ميثاقهم فمعناه التاكيد كانه
قال فبنقضهم العهد حقا وجواب قوله فبما نقضهم مضمر فى الاية تقديره ذلك فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وهذا الان
اول هذه الاية ذم على الكفر ومن ذمه الله عز وجل على الكفر فقد لعنه ويقال ان الجالب للبا فى قوله
فبما نقضهم قوله عز وجل من بعد فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله عز وجل فبظلم من الذين
هادوا بدل من قوله فبما نقضهم وجوابهما جميعا قوله حرمنا عليهم طيبات والطبع والختم نظيران فى اللغة
ومن قرا بل طبع بادغام اللام فى الطا وكذلك بل تؤثرون فى قوله بل تؤثرون فلقرب مخرج الحرفين والاولى
ان لا تدغم لانها من كلمتين وقد تقدم تفسير الختم فى قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم قال الحسن رضى
الله عنه ان الكافر اذا بلغ فى الكفر والعناد حدا معلوما طبع الله تعالى على قلبه عقوبة على عناده من غير ان
يمنعه الطبع عن الايمان او ان يسلب قدرته عليه وقال بعضهم الطبع علامة يجعلها الله عز وجل فى القلب
الكافر الذى يعلم الله تعالى انه لا يومن ليستدل به الملائكة على كفره فيتركوا موالاته والاستغفار له من
دون ان يحول بين صاحبه وبين الايمان واستدلوا عليه بانهم لو كانوا ممنوعين عن الايمان غير قادرين
عليه لكانوا صادقين فى قولهم قلوبنا غلف فيستحقون المدح على صدقهم ولا يستحقون الذم والنكير
واستدلوا عليه بقوله عز وجل فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقوله قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى
اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقال بعضهم انما ذكر الله الطبع على جهة الذم تشبيها لقلوبهم بالمطبوع
عليها بمنزلة قوله صم بكم عمى فهم لا يرجعون واستدلوا عليه بقوله عز وجل فلا يومنون الا قليلا ولو كانوا
ممنوعين عن الايمان لم يومن منهم قليل ولا كثير **قوله عز وجل** وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا
عَظِيمًا عطف على ما تقدم ومعناه وبجحدهم بعيسى عليه السلام وبالانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم
ورميهم مريم بالزنا وهو البهتان العظيم وذلك ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فقال
بعضهم لبعض قد جا الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فسمع ذلك عيسى عليه السلام
فقال اللهم انت ربى خلقتنى فلم اتهم من تلقا نفسى اللهم العن من سبنى ويسب والدتى فاستجاب الله لعيسى
عليه السلم ومسخ ذلك الرهط خنازير وكانوا رهوا امة يوسف بن يعقوب بن ماثان **قوله عز وجل**
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ
الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ٥ روى عن عبد الله
بن عباس رضى الله عنهما انه قال وذلك انه لما مسخ الرهط الذين سبوا عيسى عليه السلم خنازير فزعت اليهود
لذلك وخافت دعوته فاجتمعت كلمتهم على قتله فثاروا اليه ليقتلوه فهرب منهم ودخل بيتا فى سقفه روزنة
فرفعه جبريل عليه السلام الى السما وامر يهوذا ملك اليهود رجلا يقال له ططيانوس ان يدخل البيت فيقتله
فدخل البيت فلم يجده فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلم فلما خرج الى اصحابه قتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه
السلام ثم صلبوه فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم ان وجهه لوجه عيسى وجسده جسد صاحبنا ثم قالوا ان كان
هذا عيسى عليه السلم فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى عليه السلم فاشتبه عليهم واختلفوا فيه ثم بعث الله
عليهم ططوس بن اسبيسيانوس الرومى فقتل منهم مقتلة عظيمة فذلك قوله عز وجل وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى بن مريم معناه واعترافهم بقتلهم اياه وقوله تعالى رسول الله قول الله تعالى خاصة لا قول اليهود كانت اليهود
تقول قتلنا عيسى بن مريم قال الله تعالى رسول الله اى يعنون الذى هو رسول الله وهذا رد على الفريقين من اليهود

والنصارى

والنصارى اذ اليهود تقول هو ولد زنا والنصارى تقول هو الله وتقول هو ابن الله فرد الله تعالى على الفريقين
وقوله عز وجل وما قتلوه وما صلبوه معناه ما قتلوا عيسى عليه السلم ولا صلبوه ولكن القى الله على ططيانوس
شبه عيسى عليه السلم فقتلوه ورفع عيسى عليه السلام الى السما فذلك قوله ولكن شبه لهم وذكر الحسن
رضى الله عنه ان عيسى عليه السلام كان قال للحواريين ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل فيدخل الجنة
فقام رجل من الحواريين فقال انا يا رسول الله فالقى الله عليه شبه عيسى عليه السلم فقتل وصلب ورفع الله عيسى
عليه السلام الى السما فقالت اليهود انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وقال بعضهم وذلك ان يهوديا قال لليهود
انا ادلكم على عيسى عليه السلم وكان رجلا منافقا فجا بهم الى البيت الذى كان به عيسى عليه السلم فلم يجدوا
عيسى عليه السلم فى البيت اخذ ملكهم ذلك اليهودى وطرد العامة عن نفسه فقتل اليهودى ثم ضرب وجهه
اليهودى بالدم ثم صلبه فكان الناس يرونه من بعيد مصلوبا مضمخا بالدم وكان الناس قد فقدوا عيسى
عليه السلم فكان ذلك بمنزلة اليقين انه عيسى عليه السلم واما قوله عز وجل وان الذين اختلفوا فيه لفى شك
من قتله ويقال هم النصارى اختلفوا فى قتل عيسى عليه السلم قال بعضهم قتل الاب وقال بعضهم قتل الابن
وقال بعضهم قتل الناسوت وذهب اللاهوت وقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن معناه لم يكن بذلك
علم حقيقة لكن يتبعون الظن يظنون انهم قتلوا عيسى عليه السلم وهذا استثنا منقطع ليس من الاول
لانه مخالف للعلم وقوله عز وجل وما قتلوه يقينا معناه لم يقتلوه حقا ولا يقينا وهذا كما يقال خرج فلان من البلد
بيقين ولم يخرج فلان بيقين ويقال معناه ما قتلوه يقينا لم يستيقنوا بقتله بل اشتبه الامر عليهم فيه فان قال
قايل كيف يجوز ان يكونوا كلهم كذبة مع كثرتهم ومشاهدتهم ولئن جاز مثل هذا يجوزون فى سائر الاخبار
المتواترة فيبطل الثقة بالاخبار قيل ان المتواتر هو الذى يقع العلم بصحته ولا فرق بين ان يقع العلم بالشى وبين
ان يعلم بخبر الله انه على خلاف ما قالوه واذا صح ذلك فلا بد ان يحمل الامر على ان القوم كلهم قد قلدوا واجمعوا
بسيرا كان يجوز عليهم الكذب ثم ذلك الجمع اليسير على عادتهم مع علمهم انهم لم يقتلوا عيسى عليه السلم
ولذلك اختلفوا بعد بعضهم فى قتله على نحو ما تقدم ذكره **قوله عز وجل** بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا معناه بل رفعه الله الى السما وانما سمى ذلك رفعا اليه لانه رفع الى موضع لا يملك
فيه احد شيا الا الله تعالى وهذا كما يسمى رجوع الناس الى المحشر يوم القيمة رجوعا اليه وقد قال الله عز وجل
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله واراد بذلك الهجرة الى المدينة وقال فى قصة ابرهيم عليه السلم انى
ذاهب الى ربى سيهدين واراد بذلك الذهاب الى الشام بامر الله وعن الحسن رضى الله عنه انه قال انما
سمى رفع عيسى عليه السلم رفعا اليه لانه موضع عرشه وسرير ملكه ومتعبد ملائكته يطوفون به كما سميت
الكعبة بيت الله تعالى لانها متعبد الناس يطوفون بها وقوله عز وجل وكان الله عزيزا حكيما قد ذكرنا معناه
غير مرة وفايدة ذكرها هنا بيان قدرة الله سبحانه على نجاة من شا وبيان حكمته فيما فعل ويفعل وحكم ويحكم
قوله عز وجل وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ٥ وذلك ان الله عز وجل لما ذكر اختلاف اليهود والنصارى فى عيسى عليه السلم
بين بعده ان هذا الشك سيزول عن كل كتابى فقال وان من اهل الكتاب معناه ما من احد من اهل
الكتاب الا ان يومن بعيسى عليه السلم قبل ان يموت الكتابى يعنى اذا عاين اليهودى امر الاخرة وحضرته
الوفاة ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالت اتاك عيسى بن مريم عليه السلم نبيا فكذبت به فيومن به حين
لا ينفعه ايمانه وتقول للنصارى اتاك عيسى عليه السلم عبد الله ورسوله فزعمت انه الله او ابن الله فيومن
بانه عبد الله حين لا ينفعه ايمانه ويقال معنى قوله قبل موته قبل موت عيسى عليه السلم وذلك حين ينزل
من السما لقتل الدجال حتى لا يبقى احد من اهل الكتاب وقت نزوله الا ويومن به وقد روى فى الخبر عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسيح جاى فمن لقيه فليقرا منى السلام وروى انه حلفه رسول الله

صلى الله عليه وسلم في امته ينزل على ثنية جبل بيت المقدس وفي يده عصا من حديد فيمكث في الارض
اربعين سنة اماما مهديا يدق الصليب ويريق الخمر ويقتل الخنزير ويذهب السخرة والمملكة وتكون
السجدة واحدة ثم يموت وتصلي عليه هذه الامة ويدفن في الارض وذكر الحسن رضي الله ان عيسى اذا نزل
في اخر الزمان فقالوا له تقدم يا رسول الله تقدم في صلوة الصبح فيقول لا ينبغي لاحد ان يتقدم على هذه الامة
قال فيصلي خلف رجل منهم ويقال ان المراد بقوله ليؤمنن به محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن به اهل الكتاب
في وقت المشاهدة ولكن لا ينفعهم والقول الاول اصح لان الاية في قصة عيسى عليه السلام وقوله عز وجل
ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا اي يشهد عيسى عليه السلام على نفسه يوم القيمة بالعبودية وعلى النصارى
بانهم عبدوه بغير حق وعلى اليهود بانهم كذبوه ويقال معناه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالبلاغ وللامة
بالتصديق ه **قوله عز وجل** فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا معناه بكفر اليهود وبجرمهم حرمنا عليهم اشيا كانت طيبة لهم في
التورية منها لحوم الابل والبانها والثروب من الشحوم وكانوا اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله تعالى عليهم
طعاما طيبا فلم يكونوا ينفكون من ههنا فحرم الله لحوم الابل والبانها والثروب وذلك بعد نزول التورية كما
قال الله عز وجل في اية اخرى ذلك جزيناهم ببغيهم وقوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا معناه وبسبب
منعهم الناس عن دين الله وهو الاسلام **قوله عز وجل** واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم
اموال الناس بالباطل واعتدنا للكفرين منهم عذابا اليما ه معناه وبسبب اخذهم الربا
وقد نهوا عن ذلك في التورية وبسبب اكلهم اموال الناس بالباطل واخذ الرشا في الحكم وجعلنا
وهيأنا للكفرين منهم عذابا وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم وانما خص الكفرين بالذكر ليبان ان من يؤمن
من الذين هادوا غير داخل في هذا الوعيد وقد روي انه لما نزلت هذه الاية قالت اليهود والله ما حرم الله تعالى
علينا شيا كان حلالا في الاصل وهذا الذي حرم علينا كان حراما على ادم عليه السلام ومن بعده وانت
يا محمد صلى الله عليه وسلم تخبر ذلك فانزل الله عز وجل **قوله عز وجل** لكن الرسخون في العلم
منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون
الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما ه معناه لكن الراسخون
المبالغون من اهل الكتاب وهم عبد الله بن سلام واصحابه وسموا بهذا الاسم لثباتهم في العلم وتبحرهم
فيه لا يضطربون ولا تميل بهم الشبه بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها في الارض وغير الراسخ يضطرب
وينتقل من اعتقاد الى اعتقاد ومن مذهب الى مذهب بقليل من الشبه تعرض له بمنزلة الشجرة التي لم ترسخ
عروقها في الارض تحركها الريح الضعيفة من الرياح وتميلها من جانب الى جانب وتكسرها مرة وتقلعها اخرى وقوله
عز وجل والمؤمنون يؤمنون معناه والمؤمنون من غير اهل الكتاب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
يصدقون بما انزل اليك من الفرقان وما فيه من تحريم هذه الاشيا عليهم بظلمهم ويصدقون بما انزل من قبلك
على ساير الانبيا من الكتب وقوله عز وجل والمقيمين الصلوة يجوز ان يكون معناه يؤمنون بالنبيين المقيمين الصلوة
فيكون قوله والمقيمين نسقا على قوله بما انزل اليك ويجوز ان يكون نصبا على المدح على معنى اعني المقيمين الصلوة
وهم المؤتون الزكوة كما يقال جاني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدايد ويقال مررت بزيد الكريم
وبزيد الكريم نصبا لكريم ورفعه قال الشاعر وهي خرنق بنت هفان القيسية ه
لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وافة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر
ومن عادة العرب الانتقال في اثنا الخطاب من الرفع الى الخفض ومن الخفض الى الرفع كما ينتقل من المخاطبة الى المغايبة
ومن المغايبة الى المخاطبة كما قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة واشباه ذلك وذهب بعض
اهل النحو الى ان قوله والمقيمين نسق على الها والميم من قوله منهم معناه ومن المقيمين الصلوة يؤمنون وقيل ان هذا

ردى

ردى جدا لان الظاهر لا ينسق على المضمر المجرور الا في ضرورة الشعر ولان المقيمين الصلوة داخلون في
قوله تعالى والمؤمنون وذهب بعض الجهال الى ان هذا غلط من الكاتب حين كتب مصحف الامام عثمن رضي الله
عنه ورووا ان عثمن رضي الله عنه لما نظر في المصحف قال ارى فيه لحنا وستقيمه العرب بالسنتها وعن عايشة
رضي الله عنها انها قالت ثلثة احرف في المصحف غلط الكاتب قوله عز وجل والمقيمين الصلوة وقوله تعالى
والصابيون والنصارى وقوله عز وجل ان هذان لساحران وهذا بعيد عند اهل العلم لا يجوز ان يترك اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا في القران يصلحه غيرهم لانهم حماة الدين والقدوة بهم في الشرايع والاحكام
وقوله عز وجل والمؤمنون بالله واليوم الاخر معناه والمصدقون بالله وبالبعث بعد الموت اولئك سنعطيهم
ثوابا وافرا في الجنة **قوله عز وجل** انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمن واتينا داود زبورا ه في الاية بيان ان حال محمد صلى الله عليه وسلم فيما اوتي من الايات الدالة
على صدقه ونبوته كحال من مضى من الرسل والمعنى الذي اوجب الايمان بهم وبما انزل عليهم يوجب الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية انا انزلنا جبريل عليك بهذا القران كما اوحينا الى نوح فامرناه بالاستقامة
على التوحيد ودعوة اليه وكما اوحينا الى النبيين من بعد نوح واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وهم بنو يعقوب عليه السلم وهم اثنا عشر رجلا والى عيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن واعطينا
داود زبورا والزبور هو الكتاب ماخوذ من الزبر وهو الكتابة ومن قرا بضم الزاي معناه الكتب على الجمع
فان قيل كيف قدم الله عز وجل في هذه الاية ذكر عيسى عليه السلام على ذكر ايوب ويونس وهرون وسليمن
وداود عليهم السلم وقد كان بعدهم قيل ان الواو للجمع دون الترتيب فتقديم ذكره عليه السلم في الذكر
لا يوجب تقدمه في الخلق والارسال ثم الفايدة في تقديمه في الذكر الرد على اليهود لغلوهم في الطعن فيه وفي
نسبه وقدمه الله تعالى في الذكر لان ذلك ابلغ في كبت اليهود وفي تبرئته مما رمي به ونسب اليه فان قيل
كيف قال واتينا داود زبورا ولم يقل واتينا عيسى الانجيل قلنا اخباره تعالى بانه اعطى داود الزبور لا ينفي
اعطا غيره كتابا اخر والغرض من الاية بيان ان داود عليه السلام كان مخصوصا بفضيلة اعطا الزبور
كما خص عيسى عليه السلام باعطا الانجيل في اية اخرى **قوله عز وجل** ورسلا قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما يجوز ان يكون اول هذه
الاية عطفا على انا اوحينا اليك كانه قال انا ارسلناك موحين اليك وارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك
ويجوز ان يكون قوله ورسلا منصوبا بالفعل الذي بعده كانه قال وقد قصصنا رسلا عليك تقول رايت
زيدا وعمرا اكرمته ومعنى قصصناهم سميناهم لك في القران وعرفناك قصصهم وارسلنا رسلا لم نسمهم
لك امرناهم بالاستقامة على التوحيد ودعوة الخلق اليه وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قلت يا
رسول الله صلى الله عليه وسلم كم كانت الانبيا صلوات الله عليهم وكم كان المرسلون قال كانت الانبيا
صلوات الله عليهم ماية الف واربعة وعشرين الفا وكان المرسلون ثلثماية وثلثة عشر وعن انس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت على اثر ثمانية الاف من الانبيا صلوات الله عليهم منهم اربعة الاف
في بني اسرايل وعن كعب الاحبار انه قال الانبيا صلوات الله عليهم الفا الف ومايتا الف وخمسة وعشرون
الفا والمرسلون ثلثماية وثلثة عشر وفي تفسير الكلبي ان الله تعالى لما انزل هذه الاية وقراها رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الناس قالت اليهود فيما بينهم ما نرى محمدا صلى الله عليه وسلم يقرها انزل الله عز وجل على موسى
عليه السلم ولقد اوحى الله كما اوحى الى النبيين من قبله فانزل الله تعالى هذه الاية فقراها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد ذكره فيمن ذكره وفضله بالكلام عليهم وفايدة تخصيص موسى عليه
السلم بالكلام مع انه تعالى كلم غيره من الانبيا انه جل ذكره كلمه من غير واسطة وكلم غيره من الانبيا صلوات الله

عليهم بالوحي على لسان بعض الملائكة وقوله عز وجل تكليما يدل على التأكيد كلا يحمل كلام الله عز
وجل إياه على معنى الوحي إليه على سبيل التوسع في الكلام كما في قوله عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم
وكما قال جل ذكره هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق لأن ما كان طريقه طريق التوسع والمجاز لا يتأكد بالمصادر وفي
الآية ما يدل على غاية من الجودة والفصاحة لأن الله تعالى أجمل ذكر جماعة من الأنبياء صلوات الله عليهم في الآية
التي قبل هذه ثم خص داود عليه السلم بالزبور ثم أجمل ذكر جماعة من الرسل ثم خص موسى عليه السلم بالكلام
ولما أخره في الذكر قرن ذكره بفضيلة اختص هو بها كما اشتهر داود عليه السلم بالزبور واشتهر موسى عليه السلم
أنه كليم الله تعالى **قوله عز وجل** رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل وكان الله عزيزا حكيما معناه أرسلنا هؤلاء رسلا مبشرين بالجنة لمن أطاع الله ومخوفين بالنار لمن
عصى الله لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيمة بعد إرسال الرسل إليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا
فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى وقوله عز وجل وكان الله عزيزا حكيما ظاهر المعنى وفائدة ذكرها بيان قدرة
الله عز وجل على أن يقص على النبي صلى الله عليه وسلم أخبار من قبله من الرسل كلهم ولكنه قص بعضهم دون
بعض على ما أوجبته الحكمة وعلم من المصلحة ويقال معناه أنه قادر على إنجاز الموعود على ألسنة الرسل حكيم
في إرسال الرسل فإن قيل قوله عز وجل لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل هل يدل على أنه لولا الرسل
لم يجب على أحد شيء ولم يستحق أحد ثوابا ولا عقابا قيل لا يدل على ذلك لأن الله عز وجل لو لم يرسل الرسل
وأعطى كل خلقه من العقل ما يعرفون الله تعالى به كان ذلك عدلا منه لكن أرسل الرسل فضلا منه وزيادة
في الحجة عليهم وبيانا لما يختص وجوب معرفته بالرسل من الشرائع والسمعيات دون ما يجب معرفته بأدلة
العقول **قوله عز وجل** لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون
وكفى بالله شهيدا قال عبد الله بن عباس وذلك أن رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا سألنا اليهود عن نعتك وصفتك فزعموا أنهم لا يعرفونك في كتابهم فأتنا بمن يشهد لك أن الله عز
وجل بعثك إلينا رسولا فأنزل الله عز وجل هذه الآية ومعناها لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنه لم
يشهد غيره وأنزل قوله قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم فشهادة الله عز وجل للنبي صلى الله
عليه وسلم تبيين أمره بالمعجزات التي أعطاه ويجوز أن يكون القرآن المنزل شهادة منه جل ذكره من
حيث كان القرآن معجزا يدل بنفسه على النبوة وفي قوله عز وجل أنزله بعلمه ثلثة أوجه أحدها أنزله على علم
منه بأنك أهل لإنزاله عليك وعلم من يقبل ومن لا يقبل كما قال جل ذكره الله أعلم حيث يجعل رسالته
والثاني أنزله بمعلومه أي علم ما فيه من الأحكام وما يحتاج إليه العباد من أمر دينهم ودنياهم
ثم أنزله والثالث أنه هو الذي أنزل عليك من عنده لم تبدل ولم تغير بل وصل إليك كما كان في اللوح المحفوظ
وقوله والملائكة يشهدون أي هم يشهدون على شهادة الله وعلى شهادتك بأن الذي شهدت به حق
ويجوز أن يكون شهادة الملائكة عند المعجزة وقوله عز وجل وكفى بالله شهيدا معناه اكتفوا بالله شهيدا
في شهادته إن لم تشهد اليهود بما في كتابهم **قوله عز وجل** إن الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا معناه أن الذين جحدوا وحدانية الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم
والقرآن وصرفوا الناس عن دين الله وطاعته فقد أخطأوا وأخطأوا بعيدا عن الهدى والصواب بين الله
تعالى في هذه الآية ضلالتهم في الدنيا ثم بين في الآية التي بعدها عقوبتهم في الآخرة فقال عز
وجل إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم
خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا معناه أن الذين كفروا بما يجب الإيمان به وظلموا
أنفسهم بكفرهم لم يكن الله ليتجاوز عنهم ما داموا على كفرهم ولا ليوفقهم إلى طريق الإسلام لكن
يتركهم إلى طريق جهنم وهو الكفر ويقال معنى ولا ليهديهم طريقا ولا ليرشدهم في الآخرة إلى طريق

غير طريق جهنم كما في قوله عز وجل فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقوله عز وجل خالدين فيها أبدا أي
مقيمين دائمين فيها إلى الأبد وكان ذلك التخليد والتعذيب على الله يسيرا هينا **قوله عز وجل**
يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات
والأرض وكان الله عليما حكيما خطاب لعامة الخلائق قد جاءكم الرسول يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم بكلمة التوحيد والقرآن من عند ربكم فصدقوا بالله ورسله وبما جاء به من عنده يكن خيرا لكم
من التكذيب قال الفراء انتصب قوله خيرا لأنه متصل بالأمر وهو من صفته تقديره هو خير لكم
فلما سقط هو اتصل بما قبله وهو معرفة انتصب وعلى هذا قوله عز وجل انتهوا خيرا لكم وقال الخليل
والبصريون إنما انتصب قوله خيرا لأنك إذا أمرت بفعل دخل في معناه ايت خيرا لك وإذا نهيت عن فعل
دخل في معناه ايت بدله خيرا لك قال الكسائي انتصب لخروجه من الكلام قال وهذا إنما تقوله
العرب في الكلام التام نحو قولك لتقومن خيرا لك وإذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا إن تنتهوا خير
لكم وقوله عز وجل وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض فيه وجهان أحدهما إن تكفروا فإنكم
الله فإن لله ما في السموات والأرض والثاني وإن تكفروا فإن الله غني عنكم لكونه مالك السموات
والأرض وقوله عز وجل وكان الله عليما حكيما أي لم يزل كان عليما بخلقه من يؤمن ومن لا يؤمن
حكيما في أمره حكم بالإسلام على عباده **قوله عز وجل** يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح
منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون
له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه
الآية في نصارى أهل نجران وهم النسطورية الذين يقولون إن عيسى ابن الله والمار يعقوبية الذين يقولون
عيسى هو الله والمرقوسية الذين يقولون ثالث ثلثة ويقال لهم الملكانية ومعنى الآية يا أهل الكتاب
لا تجاوزوا والمتعمقون الذين يتعمقون وافيه والغلو في الدين مجاوزة الحد وقد غلت النصارى في أمر عيسى
عليه السلام حتى جاوزوا به منزلة الأنبياء فجعلوه إلها وقال إن الآية خطاب لليهود والنصارى لأن اليهود
أيضا غلوا في عيسى عليه السلام حتى جاوزوا به منزلة من ولد على الطهارة فجعلوه لغير رشدة وقوله تعالى ولا
تقولوا على الله إلا الحق معناه لا تصفوا الله عز وجل إلا بالحق والحق أن تقولوا لا شريك له ولا صاحبة له ولا
ولد وأن يوصف بجميع صفاته العليا وينزه من القبائح والنقائص وعن جميع صفات المحدثين وقوله تعالى
إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله معناه ليس المسيح إلا رسول الله لأن إنما تقتضي نفي المذكور والمحقق
ما سواه كقوله تعالى إنما الله إله واحد وكان قوله إنما المسيح عيسى ابن مريم ردا على اليهود
والنصارى وفي قوله عيسى ابن مريم بيان أنه لا يجوز أن يكون إلها وهو ابن مريم أمة الله
ولكن يكون إلها وأمه قبله والله عز وجل هو القديم الذي لم يزل وفي قوله تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم ثلثة
أوجه أحدها ما روي عن الحسن وقتادة رضي الله عنهما أنه كان بكلمة الله عز وجل وهو قوله كن فكان
والثاني سبيلا آخر العادة به من حدوث الولد من الذكر والأنثى جميعا والثالث أنه يهتدى به كما يهتدى
بكلمة الله والثالث ما تقدم من البشارة به في الكتب المتقدمة مما أنزلها الله تعالى على أنبيائه وفي قوله عز
وجل وروح منه أربعة أقوال أحدها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناها أمره الله عز وجل حاجا
جبريل عليه السلم بأمر الله تعالى فنفخ في جيب درعها فحلت تلك النفخة بطنها فحملت بعيسى عليه السلم فسماه روحا
عليه السلم والنفخ في اللغة يسمى روحا كما قال ذو الرمة فقلت له ارفعها إليك وأحيها بروحك واقتته لها قيتة قدرا
أي بنفخك والثاني سماه الله تعالى روحا لأنه كان يحيي به الناس والدين كما يحيون بالأرواح والثالث أنه
روح من الأرواح أضافها الله عز وجل إلى نفسه تشريفا له كما قال بيت الله والرابع أنه كان ... وهم الملائكة

في الطهور والرفعة وقوله عز وجل فآمنوا بالله ورسله معناه صدقوا بوحدانية الله عز وجل وبما جاءكم به الرسل من الله ولا تقولوا آلهتنا ثلثة اب وابن وروح قدس انتهوا عن هذه المقالة وتوبوا الى الله عز وجل هو خير لكم من الاصرار على الكفر وقوله عز وجل انما الله اله واحد معناه ما الله الا اله واحد سبحانه ان يكون له ولد كلمة تنزيه عن السوء اي تنزيها له عن ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماوه وفي قبضته ويستحيل ان يكون المملوك ابنا للمالك اي لا يجتمع الملك مع الولادة ونظير هذه الاية قوله عز وجل وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا ويجوز ان يكون قوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض بيان ان اجازة الولد تشبيه الفاعل بفعله وذلك لا يجوز وقوله عز وجل وكفى بالله وكيلا معناه اكتفوا بربوبيته وكفايته ووكالته فلا ولد له ولا شريك سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا **قوله عز وجل** لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية في وفد نجران اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فناظروه في امر عيسى عليه السلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله فقالوا لا تقل هكذا فان عيسى عليه السلم يانف من هذا القول فنزلت تكذيبا لقولهم لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله اي لن يانف ولن يتعظم عن الاقرار بعبودية الله تعالى واصل الاستنكاف في اللغة ماخوذ من قولك نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك عن خدك ويقال درهم منكوف اذا كان زيفا يرد فعلى هذا يكون معنى يستنكف لن يمتنع ولن ينقبض من عبودية الله تعالى وقوله عز وجل ولا الملائكة المقربون معناه ولن يستنكف الملائكة المقربون عن عبوديته وانما خص الملائكة المقربين بعد عيسى لان النصارى كانت تقول في عيسى انه ابن الله وبنو مليح كانوا يقولون الملائكة بنات الله فرد الله عز وجل على الفريقين جميعا وقال الحسن معنى الاية لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الذين هم افضل من المسيح عند الله وكان يستدل على ان الملائكة افضل من الادميين بهذه الاية وبقوله عز وجل لا يعصون الله ما امرهم وقوله عز وجل لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا من يانف ويمتنع عن توحيده وطاعته ويتعظم عن الاعتراف والايتمار بامره ويستكبر فسيجمعهم اليه جميعا المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع الى محاذاة الله عز وجل لان الحشر لا يكون الا للجلا ثم كلهم ثم فصل الله جل ذكره فقال عز وجل فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا معناه اما الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم فيوفر عليهم جزاء اعمالهم في الجنة ويزيدهم من عطاياه ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين ابوا واتسعوا وتعظموا واستنكفوا عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فيعذبهم عذابا اليما وجيعا ولا يجدون لانفسهم سوى الله قريبا ينفعهم ولا مانعا يمنعهم من النار **قوله عز وجل** يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا خطاب للناس كلهم بان قد جاءهم برهان من ربهم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم سماه الله برهانا لظهور معجزاته وقوله عز وجل وانزلنا اليكم نورا مبينا معناه انزلنا اليكم القران وسماه نورا مبينا لان النور هو الذي يبين الاشياء حتى ترى والقران مبين للاشياء كلها به يعرفون من يوالون ومن يعادون وما يحلون وما يحرمون وما ياخذون وما يعطون **قوله عز وجل** فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما معناه فاما الذين صدقوا بوحدانية الله عز وجل وتمسكوا بدينه وكتابه وسالوا العصمة منه عن معاصيه فسيدخلهم دخولا في الاخرة في جنته والكرامات التي اعدها الله فيها لاوليائه ويعرفهم

في الدنيا

في الدنيا سبيل الهدى وهو الاسلام ويثبتهم على ذلك تقديرا لانه يهديهم في الدنيا ويرحمهم في الاخرة ولم يذكر اضدادا المعتصمين بالله لدلالة الحال **قوله عز وجل** يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في جابر بن عبد الله جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي اختا فما لي منها بعد موتها فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها ويسالونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن حكم الله عز وجل في الكلالة قل الله يفتيكم يبين لكم حكم الكلالة وقد تقدم تفسير الكلالة في اول هذه السورة وقوله عز وجل ان امرؤ هلك معناه ان هلك امرؤ كما قلنا وان امراة خافت من بعلها وقوله عز وجل وله اخت اراد به الاخت من الاب والام او من الاب لانه جل ذكره ذكر حكم الاخت من الام في قوله عز وجل وان كان رجل يورث كلالة على ما سبق ذكره وقوله عز وجل فلها نصف ما ترك معناه للاخت من الاب والام نصف ما ترك الميت من المال وما بقي فللعصبة وان لم يكن للميت اخت لاب وام وله اخت لاب فللاخت من الاب تقوم مقام الاخت من الاب والام وان كان للميت اخت لاب وام واخت لاب فللاخت من الاب والام النصف وللاخت من الاب السدس تكملة الثلثين وما بقي فللعصبة وظاهر هذه الاية يقتضي ان الاخت لا ترث مع الابنة وهو قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الا ان ساير الصحابة جعلوا الاخت من الاب والام ثم من الاب عصبة مع البنات وتاويل الاية على قولهم ان في الاية بيان حكم ميراث الاخت ان لم يكن للميت ولد وليس فيها نفي ميراثها ان كان له ذلك الا ترى ان الاخ يرث مع الابنة وقد قال الله عز وجل وهو يرثها ان لم يكن لها ولد وقوله عز وجل وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الميت وحكم الثلث من الاخوات حكم الثنتين كما في البنات وقوله عز وجل وان كانوا اخوة رجالا ونساء معناه ان كانت الورثة اخوة من اب وام او من اب ذكورا واناثا فللذكر مثل نصيب الانثيين لكل اخ سهمان ولكل اخت سهم يبين الله لكم قسمة المواريث لئلا تخطئوا في قسمتها وقد تحذف لا في الكلام ويراد ثباتها كما في قوله عز وجل والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ويقال في القسم والله ابرح قاعدا اي لا ابرح ويذكر لا ويراد طرحه كما في قوله عز وجل لا اقسم وقوله عز وجل ما منعك الا تسجد وذهب البصريون الى ان معنى قوله ان تضلوا كراهة ان تضلوا فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما في قوله عز وجل واسال القرية وقال الفرا موضعه نصب بنزع الخافض وقوله تعالى والله بكل شيء عليم ظاهر المعنى وفايدة ذكره هاهنا بيان كونه عالما بما يحتاج اليه عباده من امر معايشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم بين لهم كل ما يحتاجون اليه على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة النسا اعطي من الاجر كمن اشترى ذا رحم فاعتقه وبري من الشرك وكان في مشية الله عز وجل من الذين يتجاوز عنهم وبالله التوفيق

سورة المائدة مدنية

الا قوله عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم وقوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم فان هاتين الايتين نزلتا بمكة بعد الفتح وحكمهما حكم المدنية لنزولهما بعد الهجرة وعدد ايات هذه السورة مائة وعشرون اية عند الكوفيين واثنان وعشرون اية عند الحجازيين وثلث وعشرون اية عند البصريين بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في معنى هذه الاية يا ايها الذين صدقوا بالله ورسله اوفوا بالعقود التي عقدها الله تعالى عليكم مما احله لكم او حرمه عليكم وعنه في رواية اخرى ان معناها اتموا العهود التي بينكم وبين المشركين لا تنقضوها حتى يكون النقض من قبلهم وهكذا

روي عن الضحاك وقتادة وابن جريج وجماعة من المفسرين وعن الحسن رضي الله عنه ان معناها اوفوا بعقود الدين يعني اوامر الله عز وجل ونواهيه قال وكل امر وكل نهي عقد ويقال معناها اوفوا بالعقود التي تعقدونها على انفسكم من نذر ويمين ويقال بالعقود التي يعقدها بعضكم على بعض مما يوجد الدين نحو عقد البيع والاجارة والنكاح والشركات ولا تنافي بين هذه الاقوال اذ كل هذه العقود مما يجب الوفاء بها وحقيقة العقد الجمع بين الشيئين مما يتعسر حل احدهما عن الاخر ومنه العقدة يقال عقدت الحبل اذا شددت بعضه الى بعض والعقد اوكد من العهد يقال عهدت الى فلان كذا اي الزمته ذلك واذا قلت عاقدته او عقدت عليه فتاويله انك الزمته ذلك باستيثاق والوفاء والايفاء القيام بما يوجبه العقد على شروطه واما قوله احلت لكم بهيمة الانعام فمعناه رخصت لكم الانعام نفسها واضاف البهيمة الى الانعام كما يقال مسجد الجامع وباب الحديد ونفس الانسان والانعام في اللغة تشتمل على الابل والبقر والغنم كما قال الله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا الى ان قال ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى ان قال ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ويدل على ذلك قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم ذكر بعد الانعام الخيل والبغال والحمير فقال عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فدل ذلك على ان اسم الانعام لا يتناول الا الاشياء الثلاثة واسم البهيمة في اللغة يتناول كل حي لا يميز استبهم عليهم الجواب اي استغلق ويقال دخلت في هذه الاية اباحة الظبا وبقر الوحش وحمار الوحش لانها بهيم في التمييز من الاهلية ولهذا استثنى الله الصيد في حالة الاحرام في اخر هذه الاية حيث قال غير محلي الصيد وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد معناه الا ما يقرا عليكم تحريمه في هذه السورة من الميتة والدم والموقوذة والمتردية وغيرها وموضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثناء ويجوز ان يكون موضعه رفعا كما في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا معناه غير الله وقوله عز وجل غير محلي الصيد نصب على الحال من الكاف التي في قوله احلت لكم كما يقال جاءني زيد راكبا وجاء غير راكب ويقال هو نصب من قوله اوفوا كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام غير محلين الصيد اي من غير ان تستحلوا قتل الصيد وانتم محرمون اوفوا بالعقود التي عقدها الله تعالى عليكم مما احله لكم وحرمه عليكم غير محلين الصيد وانتم محرمون وقوله عز وجل ان الله يحكم ما يريد معناه يقضي على عباده بما يشاء من التحريم والتحليل على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة وهو اعرف بصلاح خلقه وما يصلحهم

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى واتقوا الله ان الله شديد العقاب

اختلف المفسرون في الشعائر قال عبد الله بن عباس اراد به المناسك كلها لا تستحلوا مخالفة شيء منها ولا تجاوزوا مواقيت الحرم غير محرمين حقوقها قال وذلك ان الانصار كانوا لا يسعون بين الصفا والمروة وكان اهل مكة لا يخرجون الى عرفة فامر الله تعالى ان لا تتركوا شيئا من امور المناسك وقال الحسن رضي الله عنه شعائر الله دين الله اي لا تحلوا في دين الله تعالى ما لا يحله الله عز وجل ويقال هي حدود الله في فرائض الشرع والشعائر في اللغة المعالم والشعيرة هي كل ما جعل علما لطاعة الله عز وجل والاشعار الاعلام ومنه اشعار البدن ومنه المشعر الحرام وقوله تعالى ولا الشهر الحرام واراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم كلها وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم الا انه ذكر باسم الجنس كما في قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر اراد به جنس الانسان ولذلك استثنى الجميع بقوله تعالى الا الذين امنوا وكان الواجب في ابتداء الاسلام ان لا تحاربوا في الاشهر الحرم كما قال الله عز وجل قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وعلى هذا كانت العرب ثم نسخ حرمة القتال في الشهر الحرام بقوله عز وجل اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم واما قوله سبحانه ولا الهدي فمعناه

لاتحلوا

لا تحلوا الهدي اي لا تذبحوه قبل محله ولا تنتفعوا به بعد ان جعلتموه لله ولا تمنعوه ان يبلغ البيت والهدي اسم لما يهدى الى مكة كما قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة وواحد الهدي هدية مثل جدي وجدية وقوله عز وجل ولا القلائد معناه لا تحلوا القلائد التي تكون في اعناق الهدايا اي تقطعوها قبل الذبح وتصدقوا بها بعد الذبح كما قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه تصدق بجلالها وخطامها ولا تعط الجزار منها شيئا ويقال عنى بالقلائد ذوات القلائد كانه عز وجل بين ان الهدايا المقلدة وغير المقلدة حرام وذلك انهم كانوا يقلدون البدن وهي الابل والبقر والغنم ولا يقلدون الغنم وقوله عز وجل ولا امين البيت الحرام معناه ولا تستحلوا القتال والغارة على القاصدين المتوجهين نحو البيت الحرام وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية وردت في شريح بن ضبيعة اليمامي دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال انت محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم قال الى ما تدعو اليه قال الى شهادة **ان لا اله الا الله** واني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي امرا ارجع اليهم واستامرهم فان قبلوا قبلت ثم اخرج فمر من عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرج قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر فمر شريح بسرح لاهل المدينة فاستاقها واتى بها الى اليمامة ثم خرج بعد ذلك نحو مكة معه تجارة عظيمة في حجاج بكر بن وائل من اهل اليمامة وهم مشركون وكانت العرب تغير في الجاهلية بعضهم على بعض فاذا كان في اشهر الحج امن الناس بعضهم بعضا فاذا سافر احدهم في غير الاشهر الحرم نحو مكة قلد هديه بالشعر والوبر ومن لم يكن معه هدي قلد راحلته ومن لم يكن معه راحلة جعل في عنقه قلادة وكانوا يامنون بذلك فاذا رجعوا من مكة جعلوا شيئا من لحا شجر الحرم في عنق الراحلة فامنوا بذلك فلما سمع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بخروج شريح واصحابه من اهل اليمامة الى مكة اراد اهل السرح من اهل المدينة ان يغيروا على شريح واصحابه فاستامروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله يبتغون فضلا في موضع نصب على الحال معناه قاصدين طالبين رزقا بالتجارة ورضوانا اي رضى من الله تعالى قال الحسن رضي الله عنه معنى رضوانا اي يرضى الله عنهم فيصلح لهم معيشتهم ويصرف عنهم العقوبات في الدنيا اذ كانوا لا يقرون بالبعث ويجوز ان الله عز وجل انما ذكر قوله ورضوانا لانه قال لا امين البيت الحرام على الاطلاق ولم يتعرض للكفر ثم بين في مواضع ان الله لا يرضى عن القوم الكافرين ثم نسخ الله بعد ذلك حرمة تعرض المشركين بقوله فاقتلوا المشركين كافة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا معناه اذا احللتم من احرامكم فاصطادوا في الحل ان شئتم وهذا اللفظ امر ومعناه الاباحة لان الامر اذا تعقب النهي كان معناه رفع الحظر كما في قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وقد مضت السنة ان من رمى جمرة العقبة يوم النحر فقد حل له الصيد والطيب وكل شيء الا النساء فاذا طاف بالبيت طواف الزيارة حلت له النساء وقوله عز وجل ولا يجرمنكم شنآن قوم معناه لا يحملنكم ويقال لا يكسبنكم يقال فلان جريمة قومه اي كاسبهم من قرا شنآن بتحريك النون فهو مصدر مثل الغليان والطيران ونحو ذلك يقال شنئته شنآنا اي ابغضته فيكون المعنى لا يحملنكم بغض قوم بان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام على ان تظلموهم وتجاوزوا الحد للمكافاة وموضع ان تعتدوا نصب لانه مفعول وان صدوكم مفعول له كانه قال لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء عليهم لصدهم اياكم ومن قرا شنان بتسكين النون جعله ايضا مثل العطشان والسكران فيكون المعنى لا يحملنكم بغض قوم وعدو قوم ومن قرا ان صدوكم بالكسر جعله شرطا والنصب اجود لان الصد كان واقعا من الكفار قبل نزول هذه السورة واما قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى معناه تحاضوا وتحاثوا على الطاعة وترك المعصية قال ابو العالية البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه فظاهره يقتضي وجوب المعاونة على

الطاعة والتعاون تفاعل من المعونة وظاهر الامر على الوجوب وقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان معناه لا يعن بعضكم بعضا على شيء من المعاصي والظلم وقوله تعالى واتقوا الله معناه اخشوا الله واطيعوه فيما امركم به ونهاكم عنه ان الله شديد العقاب اذا عاقب فعقابه شديد وانما ذكر الله سبحانه العظة في اول هذه السورة لانه جل ذكره اراد ان يذكر في هذه السورة فرايض من الاوامر والنواهي فابتدا بالعظة ليكون الخطاب ابلغ والى الامر اجمع والتكليف انفع كما ابتدا في اول سورة النساء بالعظة **قوله عز وجل** حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم ٥ معنى الاية والله اعلم حرم الله تعالى عليكم الميتة اذ لا يحل ولا يحرم سواه والميتة اسم لكل ذي روح فارقه الروح حتف انفه والمراد بالدم الدم المسفوح كانوا يجعلون الدم في المباعر ويشوونها وياكلونها ودخول الالف واللام في الدم دليل ان المراد به الدم المسفوح الذي حرمه الله تعالى باية اخرى وهي قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او دما مسفوحا لان الالف واللام للمعهود وقوله عز وجل ولحم الخنزير معناه وحرم عليكم لحم الخنزير لعينه لا لكونه ميتة حتى انه لا يحل تناوله مع وجود الذكاة فيه بخلاف ما يوكل لحمه من الحيوانات وفايدة تخصيص لحم الخنزير بالذكر دون لحم الكلب وساير لحوم السباع ان كثيرا من الكفار الفوا لحم الخنزير واعتادوا اكله واولعوا به ما لم يعتادوا اكل غيره وقيل فايدته ان مطلق لفظ التحريم يدل على نجاسة عينه مع حرمة اكله ولحم الخنزير مختص بهذا الحكم وذلك ان ساير الحيوانات المحرم اكلها اذا ذبحت كان لحمها طاهرا لا تفسد الما اذا وقع فيه وان لم يحل اكله بخلاف لحم الخنزير وقوله عز وجل وما اهل لغير الله به معناه وحرم عليكم ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله عز وجل وذلك انهم كانوا يذبحون الذبايح للاصنام يتقربون بذبحها اليها فحرم الله عز وجل كل ذبيحة يتقرب بذبحها الى غير الله ولذلك قال الفقهاء ان الذابح لو سمى النبي صلى الله عليه وسلم مع الله عز وجل فقال بسم الله ومحمد حرمت الذبيحة ولا فرق بين ان يذكر مع اسم الله غيره كاينا من كان وبين ان يسمي عليها غير اسم الله تعالى ان ذلك يحرم الذبيحة لانه قد اهل عليها لغير الله وذكر القاضي الامام ابو عاصم العامري محمد بن احمد رحمه الله عن اصحابنا ان سلطانا لو دخل بلدا فذبح الناس له ذبايح تقربا اليه بذبحها واراقة دمها لم يحل تناولها ولا شي منها لانه قد اهل بها لغير الله ويتقرب بها بذبحها الى غير الله وكان يفرق بين هذا وبين ما يذبحه الرجل لضيفه بمعنى ان صاحب الضيف انما يتقرب الى ضيفه باللحم دون اراقة الدم الا ترى انه لو ذبح الشاة باسمه وبسببه ولكن لم يقربها اليه لم يكن متقربا اليه فعلم ان التقرب الى الضيف انما يحصل بتقديم اللحم دون اراقة الدم فاما ما يذبح لاجل الامرا عند دخولهم البلاد انما يتقربون اليهم بالذبح واراقة الدم دون اللحم فان اللحم لا يحمل الى الامرا ولا يرجع اليهم شي من منافعه فلذلك افترق الامران وكان يحكي عن بعض المشايخ ان هذه المسئلة وقعت ببعض بلاد ما ورا النهر فاختلف فيها فقهاوها فكتبوا الى ايمة بخارى فافتوا بتحريمها واما قوله عز وجل والمنخنقة فمعناه حرم عليكم اكل لحم المنخنقة وهي التي تختنق بحبل او بشبكة او يخنق بعضها بعضا فتموت من غير ذكاة وقوله عز وجل والموقوذة معناه المضروبة بالخشب حتى تموت يقال وقذت واوقذت اذا ضربت حتى تشرف على الهلاك ولفظ التحريم مضمر في كل شي من المحرمات المذكورات في هذه الاية ويتضمن ذلك تحريم ما يعتاد من افعال المكلفين في هذه الاشيا لان لفظ التحريم اذا اضيف الى الاعيان اريد تحريم ما يعتاد فيها من التصرفات فدخل في ذلك تحريم الاكل والبيع والتملك والانتفاع بها من جميع الوجوه

الا ما خصه الدليل ولذلك حمل قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم على تحريم النكاح دون تحريم غيره اذ النكاح هو التصرف المعتاد في النسا فانصرف اللفظ اليه واما قوله والمتردية فهي التي تتردى من جبل او في سطح او في بير فتموت قبل الذكاة والتردي هو السقوط ماخوذ من الردى وهو الهلاك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم اذا ترديت رميتك من جبل فلا تاكل فانك لا تدري سهمك قتلها ام التردي واذا وقعت في ما فلا تاكل فانك لا تدري اسهمك قتلها ام الما وهذا الكلام اصل في كل موضع اجتمع فيه معنيان احدهما حاظر والاخر مبيح انه يغلب جهة الحظر على جهة الاباحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهة فدع ما يريبك الى ما لا يريبك الا وان لكل ملك حمى وان حمى الله تعالى محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وعن عمر رضي الله عنه انه قال كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة الربوا وقوله عز وجل والنطيحة معناه التي تنطح حتى تموت فان لفظ الفعيل قد يكون بمعنى الفاعل وقد يكون بمعنى المفعول واذا انتطحت الحيوانات فقتل بعضها بعضا في النطاح فهي حرام بالاية وقوله عز وجل وما اكل السبع معناه ما اكل منه السبع وهو فريسته اذا افترس السبع صيدا فاكل منه لم يوكل الباقي وقوله الا ما ذكيتم معناه الا ما ادركتم ذكاته مما اكل منه السبع وذكيتم فان ذلك يحل لكم واما ما ابين من الصيد قبل الذكاة فهو ميت ويحتمل ان يكون قوله الا ما ذكيتم استثنا راجعا الى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة واكيلة السبع فانها كلها في الحكم بمعنى واحد وعن الحسن رضي الله عنه انه كان يقول في هذه الجملة اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت ذنبها فذكها وكل وشرط اكثر اهل العلم في اباحة اكلها بالذكاة ان تكون حياتها وقت الذكاة اكثر من حيوة المذبوح فان كانت بهذه الصفة اثرت الذكاة في اباحتها والا فلا والذكاة في اللغة تمام الشي يقال ذكيت النار اذا اتممت اشتعالها والذكا في السن تمام السن وهو النهاية في الشباب ومنه قولهم جري المذكيات غلاب والذكا في الفهم هو ان يكون فهما تاما سريع القبول واما قوله عز وجل وما ذبح على النصب معناه وحرم عليكم ما ذبح على النصب وهي جمع النصب وهي الحجارة كانوا ينصبونها فيعبدونها من دون الله ويذبحون لها الذبايح والفرق بين النصب والاصنام ان الصنم اسم لما كان على صورة الانسان والنصب ما لا نقش له ولا صورة ولكنه يعبد والوثن ما كان منقوشا في الحايط لا شخص له وقوله وان تستقسموا بالازلام معناه وحرم عليكم الاستقسام وهو طلب القسم بالازلام وهي القداح التي كانوا يجيلونها عند العزم على الميسر يقتسمون بها لحم الجزور على ما تقدم ذكره في قوله عز وجل يسالونك عن الخمر والميسر وقال الحسن رضي الله عنه كانوا يعمدون الى السهام فاذا اراد الرجل ان يخرج الى سفر اجال السهم بيده وكان مكتوبا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فان خرج الذي عليه امرني ربي قال قد امرت بالخروج ولا بد لي من ذلك فيخرج فان كره الخروج خرج غير بعيد ثم رجع ولا يدخل من باب بيته ولكن ينقب ظهر بيته منه يدخل ومنه يخرج الى ان يتفق له الخروج وان خرج الذي نهاني ربي قال قد نهيت عن الخروج ولا يسعني فنهى الله عز وجل عن ذلك وعلى هذا يجوز ان يكون معنى الاستقسام طلبهم في الخروج والجلوس في قسم الرزق والحوايج ويجوز ان يكون معناه طلب القسم وهو اليمين كانوا يلزمون انفسهم بهذه الازلام ما يلزمونها بالقسم واليمين لا يخالفونها كما لا يخالفون القسم وظاهر هذه الاية يقتضي ان العمل على قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا او اخرج من اجل نجم كذا فسق لان ذلك دخول في علم الغيب الا الله عز وجل ومعنى الفسق الخروج من الطاعة وقوله ذلكم اشارة الى ما تقدم ذكره من المعاصي والحرام واما قوله عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فقد روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومعه المسلمون وهو يوم الفتح يئس الكفار يوميذ من رجوع المسلمين الى دينهم بما ظهر من علو

الاسلام والمسلمين على سائر الاديان وقال بعضهم اراد به يوم حجة الوداع وقال الحسن اراد باليوم
جميع زمان النبي صلى الله عليه وسلم وعصره كما يقال كانت حادثة كذا في يوم فلان ويراد به في عصره
وزمان ملكه وقال الشاعر السابر اليوم لنا ويوم علينا ويراد به الزمان ويقال كان الناس فيما مضى من
الزمان على امر كذا فاما اليوم فعلى خلافه ويقول الرجل قد سبق لي اليوم من حال فلان خلاف ما
علمت ويريد به الحال واما قوله عز وجل فلا تخشوهم واخشون معناه لكن خوفكم لله وحده فقد امنتم
وحولا الله عز وجل الخوف الذي كان يلحقكم اليهم باظهار الاسلام ويقال معناه لا تخشوهم باظهار تحريم
ملكا لو لبيحونه واسرعوا الى ترك اظهار المحرمات واما قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم فقد
روى عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وهو واقف بعرفات يوم عرفه
والناس وقوف رافعوا ايديهم بالدعاء وبركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم من ثقل هذه الاية قال ولم
ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما ثم قبضه
الله عز وجل الى رحمته فقالت اليهود لو نزلت علينا هذه الاية لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال ابن عباس انها
نزلت في يوم عيدين يوم جمعة ويوم عرفه ومعنى الاية والله اعلم اليوم اكملت لكم شرايع دينكم
من بيان الحلال والحرام وبينت لكم جميع ما كنت اريد ان ابينه لكم في الانزال فاما دين الله عز
وجل فلم يزل كاملا لا نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد باكمال الدين اظهاره على سائر الاديان بالنصر
والغلبة وقوله اليوم نصب على الظرف كما يقال الان وفي هذا الزمان وقوله عز وجل واتممت عليكم
نعمتي معناه اتممت عليكم منتي باظهار الدين حتى لم يحج معكم مشرك ويقال معناه نعمة بيان الفرايض ويقال نعمة
ايجاب الجنة وقوله عز وجل ورضيت لكم الاسلام دينا معناه اخترت لكم الاسلام من الاديان كلها
دينا فمن دان بالاسلام فقد استحق ثوابي ورضاي والدين اسم لجميع ما تعبد الله تعالى به خلقه
وامرهم بالاقامة عليه وهو الذي امروا ان يكون ذلك عادتهم والذي به يجزون فان الدين في اللغة
العادة والدين الجزاء وقوله عز وجل فمن اضطر في مخمصة غير متجانف معناه من دعته الضرورة الى اكل
شيء مما حرم الله تعالى عليه في مجاعة غير مايل الى اثم اي زايد على ما يسد رمقه ان الله غفور رحيم اباح
ذلك رحمة منه وتسهيلا على خلقه والمخمصة ماخوذ من الخمص وهو شدة ضمور البطن والمتجانف من
الجنف وهو الميل فان قيل ما معنى قوله عز وجل في هذه الاية غفور رحيم ولا خلاف ان المضطر الى اكل
الميتة لا يلحقه الاثم بذلك الاكل قيل معناه اذا بلغت رافته من عادته ان يغفر لهم معاصيهم وينعم عليهم
كيف لا يرخص لهم في هذا الاكل وقد اضطروا الى احيا نفوسهم بذلك **قوله عز وجل**
يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن
مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع
الحساب ٥ روي عن ابن عباس انه قال لما نزل قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة جاء عدي بن حاتم
الى رسول الله صلى الله صلى الله فقال ان لنا كلابا نصيد بها فتاخذ الظبا والبقر فمنها ما ندرك ذكاته
ومنها ما لا ندرك وقد حرم الله عز وجل الميتة فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها يسألونك يا
محمد صلى الله عليه وسلم اي شيء رخص لهم من الصيد وغيره قل رخص لكم المباحات يقال هذا
المال يطيب لفلان ولا يطيب لفلان اي يحل ولا يحل قال الله عز وجل فانكحوا ما طاب لكم من النساء
معناه ما حل لكم من النساء وكل شيء لم يات تحريمه في كتاب وسنة فهو من الطيبات وقال بعضهم اراد
بالطيبات المستلذات والمشتهيات وهو عام اريد به غير ما تضمنه الاية المتقدمة من تحريمها وقوله وما
علمتم من الجوارح مكلبين معناه واحل لكم صيد ما علمتم فحذف ذكر الصيد لان في الكلام دليلا عليه
والجوارح الكواسب مثل الكلب والفهد والصقر والبازي وسائر ما يصطاد به الصيد قال الله عز وجل

ويعلم

ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم ويقال معنى الجوارح الجارحات بناب او مخلب وقوله عز وجل مكلبين
معناه اصحاب تعليم الكلاب للاصطياد كما يقال مودب اي صاحب التاديب وقال الحسن معناه مضرين
على الصيد والتكليب التضريه يقال كلب كلب اذا ضري بالناس ومن قرا مكلبين نصبا للام فمعناه
من الكواسب المعلمين وقوله عز وجل تعلمونهن مما علمكم الله معناه توقفونهن ان يمسكن الصيد عليكم كما
ادبكم الله تعالى وقوله عز وجل فكلوا مما امسكن عليكم معناه كلوا مما حفظن لكم بعد ما قبلن اياه
وهو ان لا ياكل الكلب من الصيد فاذا اكل منه حرم الصيد على صاحبه قال عبد الله بن عباس تعليم الكلب
ان يضرب حتى يترك الاكل وتعليم البازي ان تدعوه فيجيبك ويقال معنى وما علمتم اباحة الانتفاع
بالكلاب وقوله عز وجل وكلوا مما امسكن عليكم اباحة صيدها وقوله واذكروا اسم الله عليه
معناه على الارسال كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعدي بن حاتم اذا ارسلت كلبك
المعلم وسميت الله عز وجل فكل وان اكل منه فلا تاكل فانه انما امسك على نفسه وفي بعض الروايات
وان شارك كلبك كلب اخر فلا تاكل فانك انما سميت على كلبك ولم تسم على كلب غيرك وذهب بعض اهل العلم
الى ان معنى الامساك في هذه الاية ان يحفظ الكلب الصيد حتى يجي صاحبه فان تركه حتى غاب عن صاحبه ثم
وجده بعد ذلك صاحبه ميتا لم يحل اكله كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل ما
اصميت ودع ما انميت قيل ان الاصما ما رايت والانما ما توارى عنك واختلف اهل العلم في حد التعليم قال ابو حنيفة
رحمه الله ليس فيه حد موقت وانما يرجع في ذلك الى اهل الصنعه فان حكموا بتعليمه حل صيده بعد ذلك والا
فلا لان الاصطياد للكلاب بمنزلة الحرف والصناعات للناس وليس في معرفة كون الانسان بصنعته متقدما
حرفته حد يوقف عليه ولكن يرجع في كل صنعة الى اهلها وقال ابو يوسف ومحمد وكثير من الفقها اذا دعى
الكلب ثلاث مرات على الولا فاجاب وارسل فاسترسل واخذ الصيد ولم ياكل حكمنا بكونه معلما لان التعليم
لا يحصل بالمرة الواحدة ويحصل بالمرات الكثيرة فجعل الحد الفاصل بين القليل والكثير الثلاث التي هي اقل الجمع الصحيح
وما زاد لا غاية له توجب قصر الحكم على الثلاث والله اعلم وذهب بعض المفسرين في معنى قوله واذكروا اسم الله عليه
ان المراد به التسمية عند الاكل وقوله عز وجل واتقوا الله معناه اخشوا الله في تناول المحرمات ان الله سريع
الحساب فحسابه سريع وحقيقة الحساب في اللغة اخذ ما لك واعطا ما عليك **قوله عز وجل** اليوم
احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا
متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين ٥ معناه والله اعلم
الان اتم الله لكم بيان الحلالات وهو كل ما لم يجر ذكره في المحرمات وسمى الحلال طيبا لان الحلال
لا يكون الا بهذه الصفة كما ان الحرام لا يكون الا خبيثا ويقال اراد بالطيبات في الاية المتقدمة ثمار الاشجار
التي لا مالك لها وكل ما يملك بالاخذ بدليل انه عطف عليها الصيد في تلك الاية واراد بالطيبات في هذه
الاية الذبايح وكل ما يستباح بملك اليمين بدليل انه عطف عليه قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
اي ذبايح اليهود والنصارى حلال لكم والدليل على ان المراد بالطعام ها هنا الذبايح ان ما سوى الذبايح
من الاطعمة والاشربة حلال للمسلمين سواء كانت لاهل الكتاب ولغيرهم فان المراد به الذبايح لان ذبايح
غير اهل الكتاب من الكفار لا تحل للمسلمين كما روي عن عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبايحهم وقوله عز وجل
وطعامكم حل لهم معناه وذبايحكم حل لهم اي رخص لكم ان تطعموهم ذلك لان الحلال والحرام والفرايض
تعقد على اهل الشريعة وانما قال هذا للاعلام ليبين ان حكم الطعام في هذا الباب يخالف حكم النكاح وذلك
ان حكم الذبايح خلاف حكم المناكحة وقوله عز وجل والمحصنات من المومنات قال الحسن رضي الله عنه اراد

اخرج

اراد به الحراير والعفايف منهن وتقدير الآية واحل لكم نكاح المحصنات من المومنات والكتابيات
وقد استدل بعض الفقها بظاهر هذه الآية على انه لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية والصحيح انه يجوز له
نكاحهن بظاهر قوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن وبدليل جواز ذبايحهن وما خص الله عز وجل المحصنات
باباحة نكاحهن مع جواز نكاح غيرهن لان الآية خرجت مخرج الامتنان والمنة في نكاح الحراير العفايف
اعظم والنعمة فيهن اتم يدل على ذلك انه لا خلاف في جواز النكاح بين المسلم والامة المومنة وان كان في الآية
تخصيص المحصنات من المومنات والافضل لمن اراد النكاح ان لا يعدل عن نكاح الحراير العفايف من المومنات
مع القدرة عليهن وان عجز عن نكاحهن فالمختار له ان لا يعدل عن نكاح الحراير الكتابيات مع القدرة عليهن
وذلك ان نكاح الامة يودي الى ارقاق الولد لان الولد يتبع الام في الرق والحرية ولا ينبغي لاحد ان يختار
رق ولده كما لا ينبغي له ان يختار رق نفسه وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ايما عبد تزوج حرة فقد
اعتق نصفه يعني ولده وايما حر تزوج امة فقد ارق نصفه يعني ولده ومن الدليل على ان المراد بالآية بيان
الاختيار قوله اذا اتيتموهن اجورهن ولا خلاف بين الامة ان اعطا مهورهن ليس بشرط في جواز نكاحهن
ولكنه امر مستحب مندوب اليه مبعوث عليه وقوله عز وجل محصنين غير مسافحين معناه ناكحين
غير زانين معلنين بالزنا ولا متخذي اخدان صديقات للزنا سرا قال الحسن كان بعض اهل الجاهلية يسافح ويزني
بكل من وجد من النسا وبعضهم يتخذ خليلة يزني بها سرا ويجتنب الزنا علانية فبين الله عز وجل بهذه
الآية حرمة الزنا في السر والعلانية وقوله عز وجل ومن يكفر بالايمان روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الله عز وجل لما رخص للمسلمين في نكاح الكتابيات قال اهل الكتاب لولا ان الله رضي اعمالنا لم
يحل للمسلمين تزوج نسائنا وقال المسلمون كيف يتزوج الرجل منا المراة من اهل الكتاب وهي كافرة
لا على ديننا فانزل الله عز وجل قوله ومن يكفر بالايمان معناه من يجحد شهادة **ان لا اله الا الله**
وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال من يجحد بالايمان بهذه الاحكام المذكورة في هذه
الآيات فقد بطل ثواب عمله فهو في الآخرة من المغبونين غبن منزله ونفسه وصار الى النار اي لا تغني عن
الامة الكتابية اسلام زوجها ولا ينفعها ذلك ولا يضر المسلم كفرها وجنة الكتابية كما قال جل ذكره
في آية اخرى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط الى آخر الآية واصل الحبوط في اللغة
ماخوذ من الحبط وهو الذي يصيب الابل من كلا تستوخمه وتستوبله ولا يوافقه فينتفخ عند ذلك بطنها من غير
شبع ولا زيادة ولا سمن كذلك الكافر يظن ان له عملا يستحق به الثواب ولكن بكفره بطل عليه ثواب
عمله فلا يكون له شي من الثواب **قوله عز وجل** يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان
كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم
وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ٥ روي عن عبد الله بن عباس وزيد بن اسلم وجماعة من اهل
التفسير ان معنى الآية اذا اردتم القيام الى الصلوة وانما اضمر ارادة القيام لان صحة قيام الصلوة بالطهارة
فلا يصح جزء من القيام قبل تقدم الطهارة ونظيره قوله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم معناه اذا اردت قراءة القران ويقال اذا سافرت فاركب واذا دخلت على الامير فتاهب
يراد به اذا اردت ذلك وظاهر الآية يقتضي ان القيام الى الصلوة يكون سببا لوجوب الطهارة ولا خلاف
بين السلف والخلف ان الطهارة لا تجب بسبب القيام الى الصلوة الا انه روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما
انهما كانا يتوضان عند كل صلاة ويقرآن هذه الآية ويحتمل انهما كانا يفعلان ذلك ندبا واستحبابا
فان تجديد الطهارة لكل صلاة مستحب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توضا

فهو على

فهو على وضوئه ما لم يحدث وقال لا وضوء الا من حدث فثبت ان في الآية اضمارا آخر وصار تقدير الآية
اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وهو نظير قوله تعالى فمن كان منكم
مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر وقوله عز وجل فمن كان منكم
مريضا او به اذى من راسه ففدية معناه فحلق فعليه فدية وقال بعضهم معنى قوله اذا قمتم الى الصلوة
قمتم من نومكم الى الصلوة وقال هذا على ان النوم في الاضطجاع حدث يوجب الوضوء ويقال معناه اذا قمتم
من نومكم عند الصباح وقوله عز وجل فاغسلوا وجوهكم يشتمل على احكام منها ان الغسل اجرا الما على المحل
وتسييله سواء وجد معه الدلك ام لم يوجد والوجه ما يواجهك من الانسان وحده من قصاص الشعر
الى اسفل الذقن ومن شحمة الاذن الى شحمة الاذن وان امر الما على ظاهر وجهه جاز وان لم يصل الى اصل
شعره ولا يلزمه ايصال الما الى ما استرسل من شعر اللحية وخرج من حد الوجه لانه يحاذي موضعا لا يجب
غسله في الوضوء فلا يجب غسل الشعر الذي يحاذيه كالذوابة وظاهر الآية يقتضي ان المضمضة والاستنشاق
غير واجبين في الوضوء لان اسم الوجه يتناول الظاهر دون الباطن ولا يتعلق بداخل العين بالاجماع واختلف
اهل العلم في تخليل اللحية في الوضوء فمنهم من لا يامر به ولا يراه شيا ومنهم من يجعله سنة لما روي عن انس
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا توضا خلل اصابعه في لحيته كانها اسنان
المشط وقوله عز وجل وايديكم الى المرافق معناه واغسلوا ايديكم مع المرافق هكذا قاله علماونا رحمهم الله
الا زفر فانه ذهب الى ظاهر الآية وقال ان حرف الى للغاية والغاية لا تدخل في الحكم كما في قوله عز وجل
ثم اتموا الصيام الى الليل وكما يقال بعت منك من هذا الجدار الى هذا الجدار فان الغايتين لا يدخلان في
البيع واما عامة اهل العلم قالوا ان الى تذكر بمعنى مع كما في قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
معناه مع اموالكم ويقال الذود الى الذود ابل اي مع الذود فاذا احتمل اللفظ الغاية واحتمل معنى المقارنة
حل محل المجمل فكان موقوفا على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه عليه السلام كان
اذا توضا ادار الما على مرفقيه فصار فعله بيانا للمجمل محمولا على الوجوب وقوله عز وجل وامسحوا برؤسكم
اختلف اهل العلم في مقدار وجوب المسح ذهب مالك الى ان مسح جميع الراس واجب وقال ان ظاهر الآية
يقتضي الجميع دون البعض لانك اذا قلت مررت بزيد اردت جملته لا بعضه وقال اصحابنا رحمهم الله
ان البا قد تذكر ويراد به التبعيض كما يقال اخذت بزمام الناقة ومسحت براس اليتيم فاذا احتمل
اللفظ التبعيض واحتمل الصاق الفعل بالمفعول به كان مجملا فوجب الرجوع فيه الى فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد روي انه توضا ومسح على ناصيته والناصية هي الربع المقدم من الراس ومعلوم بانه كان
لا يترك بعض الواجب فثبت ان الفرض مقصور على هذا المقدار الا ان الافضل ان يمسح جميع الراس ليخرج
عن الفرض بيقين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توضا ومسح جميع راسه واحسن
الاقوال اقربها الى الاحتياط واوفقها للكتاب والسنة واجماع الامة قال الله عز وجل فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه فكان الاحسن والاحوط ان يحترز المكلف في كل طاعة يفعلها عن
اختلاف العلما فيقيم الطاعة على وجه لا يختلف فيه احد من العلما والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال
دع ما يريبك الى ما لا يريبك وهذا النوع من الاحتياط لا يختص بمسح الراس بل يجري في جميع الفرايض والطاعات
وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الواجب في مسح الراس ان يمسح مقدار ما يتناوله الاسم ومن اصحابه من يقدر
الفرض بثلاث شعرات وهذا بعيد لان فعله متعسر وفاعله لا يسمى ماسحا راسه ولا براسه واختلف اهل
العلم في عدد المسح قال علماونا رحمهم الله الافضل ان يمسح جميع راسه بما واحد وروي عن الحسن عن ابي حنيفة
رحمه الله ان مسح راسه ثلاث مرات بما واحد كان سنة وقال الشافعي رحمه الله الافضل ان يمسح ثلاثا بثلث مياه
واقرب هذه الاقوال الى موافقة الاخبار ما ذكرنا اولا فانه روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم انه مسح راسه مرة واحدة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الوضوء ثلثا ثلثا الا المسح فاما مسح الاذنين فهو سنة لا خلاف في ذلك بين اهل العلم وانما اختلفوا في كيفية مسحهما قال اصحابنا يمسح ظاهرهما وباطنهما مع الراس بماء واحد كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مسح براسه واذنيه بماء واحد وفي بعض الروايات ومسح براسه وامسك سبابتيه لاذنيه ثم قال الاذنان من الراس وقال الشافعي رحمه الله هما عضوان منفردان يمسحان ثلثا ثلثا بمياه وقال بعضهم يغسل ظاهرهما وهو ما يلي الوجه مع الوجه ويمسح باطنهما وهو ما يلي الراس مع الراس واما مسح الرقبة لم يذكر في شيء من الكتب المشهورة ويحتمل انه لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يمسح مقدم راسه ومؤخره وكذلك يفعله الناس وقال بعض القوم ان المقصود من مسح مؤخر الراس الرقبة وقد ورد في الشواذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مسح رقبته في الوضوء امن من الغل يوم القيمة واما قوله عز وجل وارجلكم ففيه قراءتان من قرا بنصب اللام كانت الارجل على هذه القراءة معطوفة على الوجه واليدين فيجب غسلهما ومن قرا بخفض اللام كانت الارجل معطوفة على الراس والظاهر يقتضي مسحهما الا انه يحتمل ان المراد بذلك المسح على الخفين فان الماسح على الخفين يسمى ماسحا على الرجلين كما يقال قبل فلان رجل الامير وضرب فلان على رجل فلان ويراد بذلك الخف ويحتمل ان تكون الارجل معطوفة على الراس في الاعراب مفصولة عنها في الحكم ويكون خفضها على طريق المجاورة والاتباع كما يقال جحر ضب خرب بخفض الخرب وان كان نعتا للجحر وكما في قوله عز وجل وحور عين معناه ولهم حور عين وقد وردت اشعار العرب بذلك في كثير من المواضع فاذا احتملت قراءة الخفض المسح على الخفين واحتملت مسح الرجلين واحتملت غسلهما وجب الرجوع الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه داوم على غسل رجليه واتفقت الامة على فعله ولم ينقل عنه المسح الا شاذا من جهات ضعيفة وروي عنه عليه السلام انه قال خللوا اصابعكم قبل ان تخللها نار قليل بقياها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ويل للاعقاب من النار وروي عن عمر وجماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توضا مرة مرة وغسل رجليه وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به ثم توضا مرتين مرتين وقال هذا وضوء من ضاعف الله له الاجر مرتين ثم توضا ثلثا ثلثا وقال هذا وضوئي ووضوء خليلي ابرهيم ووضوء الانبياء قبلي فمن زاد وازداد فقد تعدى وظلم وذهبت الروافض الى ان الواجب في الرجلين المسح ورووا في المسح خبرا شاذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه وحملوا قراءة النصب في قوله تعالى وارجلكم على ان معناها المسح ايضا كما قال الشاعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا ويقال مررت بزيد وعمرا ويراد به وبعمرو ومنهم من يخير بين المسح والغسل لاختلاف القراءتين ومعلوم بان الطهارة مما تعم البلوى به ويحتاج الناس كلهم الى معرفته فلا يجوز الرجوع في ايجابها ونفيها الى اخبار الاحاد وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال في الاية تقديم وتاخير معناها اغسلوا وجوهكم وايديكم وارجلكم وامسحوا برءوسكم رواه واصل عنه في تفسير الحسن رضي الله وفي الاية دليل على ان المراد بطهارة الرجلين غسلهما لانه تعالى حدد الرجلين الى الكعبين كما حد اليدين الى المرفقين والخلاف بين علمائنا في الكعبين كالخلاف في المرفقين والكعبان هما العظمان الناتئان في جانبي الرجلين ماخوذ من التكعب وهو النتو يقال جارية كاعب اذا خرج ثديها وكذلك كعوب الرمح وروى هشام عن محمد ان الكعب معقد الشراك من القدم والصحيح ان محمدا انما قال ذلك في المحرم انه قال يقطع خفيه اسفل من الكعبين قال والكعب ها هنا معقد الشراك من الرجل فنقل ابن هشام ذلك الى الطهارة ولا خلاف في الكعب في الوضوء بين علمائنا الثلثة انه داخل في غسل الرجلين وقوله عز وجل وان كنتم جنبا فاطهروا معناه وان كنتم جنبا واردتم القيام الى الصلوة فاغتسلوا والجنب يوضع موضع الجمع يقال رجل جنب ورجلان جنب وقوم جنب كما يقال رجل رضى وامراة رضى وقوم رضى وقوله فاطهروا المعنى فتطهروا الا ان التاء تدغم في الطاء لقرب مخرجيهما

من طرف اللسان واصول الثنايا العليا اذا ادغمت التاء في الطاء سكن اول الكلمة من تطهروا فزيدت لها الف الوصل للابتداء ولفظ الاطهار يقتضي تطهير جميع البدن في الاغتسال من الجنابة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحت كل شعرة جنابة فبلوا الشعر وانقوا البشر ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان المضمضة والاستنشاق واجبان في غسل الجنابة وقوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر معناه وان كنتم مرضى من جدري او غيره فلم تطيقوا غسل هذه الاعضاء او كنتم مسافرين وقوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط معناه او جاء احد منكم من قضاء الحاجة لانه لا خلاف ان المريض والمسافر اذا لم يكونا محدثين لا يلزمهما الوضوء ولا التيمم وقد يذكر حرف او بمعنى الواو كما في قوله عز وجل وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقوله عز وجل او لامستم النساء معناه او جامعتم النساء فلم تقدروا على ما تطهرون به من الجنابة والحدث فاقصدوا ترابا نظيفا وامسحوا بوجوهكم وايديكم منه كما روينا في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرافق واختلف اهل العلم في قوله منه قال ابو يوسف معناه التبعيض كانه قال امسحوا بوجوهكم وايديكم من بعض الصعيد وهو التراب وقال ابو حنيفة ومحمد معنى من ها هنا ابتداء الغاية اي فانقلوا اليد بعد ضربها على الصعيد الى الوجوه والايدي من غير ان يتخللهما ما يوجب الفصل وقوله عز وجل ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج معناه ما يريد الله ان يجعل عليكم بتكليف العبادات ضيقا في الدين وانما يريد بذلك تطهيركم من الذنوب والاحداث والجنابة كما روي عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما رجل قام الى وضوءه يريد الصلوة ثم غسل كفيه نزلت خطيئة كفيه مع اول قطرة فاذا تمضمض واستنشق نزلت خطيئة لسانه وشفتيه مع اول قطرة فاذا غسل وجهه ويديه الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو عليه وكان كيوم ولدته امه وان قام الى الصلوة رفعه تعالى بها درجة وان قعد قعد سالما وقوله وليتم نعمته عليكم قال الحسن رضي الله عنه بادخال الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه بجواز التيمم لكم بالتراب في حال عدم الماء لكي تشكروا نعمة الله عليكم في رخصته لكم وتخفيفه في التكليف عليكم فان قال قائل فاذا قرئت الاية بقراءتين والله تعالى قال بهما او باحداهما قيل ان كان لكل قراءة معنى غير معنى القراءة الاخرى صارت القراءتان بمنزلة الايتين وكان المنزل كلاهما وان كانت القراءتان لمعنى واحد فالله عز وجل قال باحدهما ولكن رخص ان تقرا بالقراءتين جميعا والله اعلم

قوله عز وجل وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

معناه واحفظوا نعم الله عليكم وانما ذكر النعم بلفظ النعمة لانه ذهب فيه مذهب الجنس يقال الجملة من الماء ماء والجملة من قطع الارض ارض ومثله في اللغة كثير وقوله عز وجل وميثاقه الذي واثقكم به معناه عهده الذي عاهدكم به قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما اراد به الميثاق الذي اخذه الله عز وجل على ذرية ادم عليه السلام حين اخرجهم من صلبه وقال الست بربكم قالوا بلى وقال السدي رحمه الله اراد بالميثاق ها هنا مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في كل ما امر به او نهى عنه في حالتي العسر واليسر والرضا والكره وهذا التاويل اقرب الى ظاهر الاية لان الله عز وجل ذكرهم المنافقين وهم لا يحفظون الميثاق والذي واثقهم به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام كالذر وقيل اراد بالميثاق العهد الوثيق الذي اخذه الله عز وجل على جميع عباده في اوامره ونواهيه فسمعوه وقبلوه وامنوا به على ما فسره الله عز وجل بقوله اذ قلتم سمعنا واطعنا وقوله عز وجل واتقوا الله معناه واخشوا عقاب الله في نقض الميثاق ان الله عليم بذات الصدور اي بما في القلوب من الوفاء والنقض وذات الصدور ما تضمنته الصدور وهي القلوب ويقال معنى ذات الصدور علم معاني الصدور وانما لم يقل بذوات الصدور ليبين ان علمه محيط بكل واحد من المعاني على جهة التفصيل

قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ

امركم به

عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٥ معناه والله أعلم
كونوا قوامين بأمر الله قائلين له مبيّنين عن دين الله بالحق والعدل والقوّام فعّال من القيام وقوله
ولا يجرمنكم شنآن قوم معناه لا يحملنكم بغض الكفار على ترك العدل فيه مكافاة لما سلف منهم ويقال
معناه لا يحملنكم عداوة المشهود له على كتمان ما له عندكم من الشهادة ولا عداوة المشهود عليه على
إقامة الشهادة عليه بغير حق وقوله اعدلوا معناه اعدلوا في جميع أفعالكم وأقوالكم وتصرفاتكم
وأحوالكم وفيما لكم وفيما عليكم فإن العدل أقرب إلى التقوى أي هو أقرب إلى أن تصيروا به متقين
ويقال إن المراد بالتقوى هاهنا الوقاية من جهة الله عز وجل ويقال معناه هو أقرب إلى تقوى عذاب الله
عز وجل وقوله تعالى واتقوا الله معناه اجتنبوا عذاب الله تعالى إن الله عليم بما تعملون من الخير والشر والعدل
والجور ثم بيّن الله تعالى ثواب من عمل بطاعته وعقاب من كفر به فقال وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ معناه وعد الله الذين صدّقوا محمداً صلى الله عليه وسلم والقرآن وعملوا
الطاعات فيما بينهم وبين ربهم هذا تمام الكلام يقال وعدت الرجل يراد بذلك وعدته خيرا وأوعدت
الرجل يراد بذلك أوعدته شرا فكان قوله وعد الله دليلا على الخير ثم فسّر ذلك الخير فقال لهم
مغفرة أي تكفير وتغطية لذنوبهم في الدنيا وثواب حسن في الآخرة ويجوز أن يكون قوله عز وجل لهم
مغفرة في محل النصب وإن كان مرفوعا في اللفظ فيكون تقدير الآية وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
أن لهم مغفرة وأجرا عظيما ويجوز أن يكون ذلك في موضع الرفع على تقدير لهم مغفرة فيما وعدهم وأجر
عظيم **قوله عز وجل** وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ٥ معناه الذين جحدوا
بتكذيب الله من آياتنا أولئك أصحاب النار الموقدة والجحيم من أسماء جهنم وإنما سماهم أصحاب الجحيم لأنهم
يلزمونها ويصحبونها ولفظ المصاحبة يقتضي اللزوم كما يقال أصحاب العلم وأصحاب السلطان وبالله التوفيق ٥
قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ٥ روي عن عبد الله بن عباس أنه قال
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث تسعة وعشرين رجلا سرية إلى بني عامر بن صعصعة وأمّر
عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري وكان طريقهم على بني سليم وكانوا يومئذ صلحا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فأمر عليه السلام السرية أن ينزلوا على بني سليم فنزلوا عليهم فبعث بنو سليم إلى بني عامر وأخبروهم بأمر
القوم وقلتهم فارتحل المسلمون من عند بني سليم إلى بني عامر فأضل أربعة منهم بعيرا لهم فاستأذنوا أميرهم
أن يطلبوا بعيرهم ثم يلحقون بهم فأذن لهم فتخلفوا وسار المنذر بمن بقي معه حتى أتاهم وقد جمعوا لهم واستعدوا
بالسلاح فالتقوا ببئر معونة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم قتل المنذر ومن معه جميعا فأصبح الأربعة وطلبوا بعيرهم
فأصابوه واتبعوا أصحابهم فلقيتهم أمة من بني عامر فقالت من القوم أمن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنتم قالوا
نعم رجاء أن تسلم قالت فإن إخوانكم قد قتلوا جميعا على الماء فقال أحد الأربعة ما ترون قالوا نرى أن نرجع
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بالأمر قال لكني والله لا تعدين من عدا أصحابي رجعوا فاقرؤوا
النبي صلى الله عليه وسلم مني السلام قالوا فأمهلنا حتى نتغيب عنك فكمن حتى إذا تغيبوا صعد الجبل وأشرف على أصحابه
فإذا هم مقتولون وإذا المشركون قعود يتغدون فاعتد بسيفه فقاتل حتى قتل ومضى الثلاثة المدينة حين
أمسوا فلقوا رجلين من بني سليم خارجين من المدينة فقالوا لهما من أين أنتما قالا من بني عامر فقالوا هذان من
الذين قتلوا إخواننا فأقبلوا عليهما فقتلوهما وأخذوا سلبهما ثم دخلوا المدينة فأخبروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال عليه السلام بئسما صنعتم قتلتم رجلين من أهل الميثاق وجاء أولياء القتيلين يطلبون القود فقال صلى
الله عليه وسلم ليس لكم ذلك لأن صاحبيكم اعتزيا إلى عدونا من بني عامر ولم يعتزيا إلى بني سليم ولكنا
نؤدي إليكم الدية فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين

حتى أتى

حتى أتى بني قريظة فقال لهم إنكم جيراننا وحلفاؤنا وقد تعلمون ما أصابنا به من دم الرجلين من بني سليم
وهما من أهل ميثاق ونحن نريد أن نؤدي ديتهما فأنجدوا وأعينونا بها يدا أجزكم بها بعد اليوم فإن الأيام
دول فقالوا مرحبا وأهلا يا أبا القاسم ولكن إخواننا بني النضير لا نقضي أمرا دونهم نعلمهم ذلك ثم تأتينا
يوم كذا وقد جمعنا لك الذي تريد فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلما كان يوم الميعاد
أتاهم ومعه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأجلسوهم في صفة ثم خرجوا يجمعون السلاح وهمّوا بقتله وقتل
أصحابه وكانوا ينتظرون كعب بن الأشرف أن يقدم عليهم من المدينة فيهجموا على النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه رضي الله عنهم فنزل جبريل عليه السلام وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما يريدون من الكيد فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤذن أحدا من أصحابه وخرج فقام على الباب فلما أبطأ على أصحابه خرج علي
كرم الله وجهه في طلبه فإذا هو قائم بالباب فقال يا رسول الله أبطأت علينا حتى تخوفنا أن يكون قد اغتالك
أحد قال عليه السلام قد أرادوا ذلك اللهم العنهم وقال لعلي قم مكانك فإذا خرج إليك بعض أصحابك فأخبره
بالأمر وأقم مكانك حتى يخرج إليه أصحابه فقام علي على الباب فلما أبطأ على أصحابه خرج أبو بكر رضي الله عنه
فإذا هو بعلي كرم الله وجهه على الباب فقال له أبطأت علينا فأخبره علي كرم الله وجهه بما أخبره به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقامه مقامه حتى خرج إليه عمر رضي الله عنه ثم لحقوا جميعا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فجاءت اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن قدورنا تغلي وقد رجعت
بغير علمنا فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما همّوا به وعزموا عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناها
يا أيها الذين صدقوا بالله وبكتابه وبرسله احفظوا منّة الله عليكم إذ قصد قوم وهم بنو قريظة أن يمدوا
إليكم أيديهم بالقتل فكف أيديهم عنكم بالمنع من قتلكم واخشوا الله وبالله فليثق المؤمنون في جميع
أمورهم وأحوالهم ومعنى التوكل أن يتمسك المرء بعبادة الله ويصبر عليها ولا يطلب شيئا إلا من وجهه
ولا يحرج إذا لم يظفر بما طلبه بل يوطن نفسه على أن ذلك أصلح له في التدبير ولهذا قيل إن التوكل طرح
البدن في العبودية مع تعلق القلب بالربوبية **قوله عز وجل** وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ
وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ
بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ روي عن عبد الله بن عباس أنه قال في معنى الآية أخذ الله
العهد على بني إسرائيل أن يؤمنوا به وبجميع كتبه ورسله ولا يشركوا به شيئا وبعث منهم اثني عشر ملكا
من كل سبط منهم رجلا ليأخذ على قومه ما يأمرهم الله به من طاعته ويروى عنه رضي الله عنه في رواية أخرى
أن معنى النقيب الرسول والأمين وهم الذين أرسلهم موسى عليه السلام إلى قرية الجبارين عيونا فوجدوهم
يدخل في كم أحدهم أربعة منهم ولا يحمل عنقود عنبهم إلا عشرة منهم أو أكثر ويدخل في شق رمانة إذا نزع
حبه خمسة أنفس وأربعة فرجع النقباء كلهم ونهى كل نقيب سبطه عن القتال إلا يوشع بن نون وكالوب بن
يوفنا أمرا قومهما بالقتال وعن الحسن رضي الله عنه أن معنى النقيب الضمين وإنما أراد بهذا أن يضمن مراعاة
أحوالهم وتدبير أمورهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جعل على الأنصار ليلة العقبة اثني عشر نقيبا
وفائدة النقباء أن القوم إذا علموا أن عليهم نقيبا كانوا أقرب إلى الاستقامة وقد كان في القوم من يحتشم مخاطبة
النبي صلى الله عليه وسلم فيما ينوبه ويعرض له من حوائجه فكان النقيب هو الذي يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم في
أمره ولا يجوز أن يكون معنى النقيب أن يضمن على القوم الوفاء بالميثاق لأن مثل هذا الضمان لا يصح ولا يقدر النقيب
على القيام بذلك والنقيب والعريف نظيران ويقال النقيب فوق العريف وسمي نقيبا لأنه يعرف دخلة أمر القوم
ومخرجهم يقال نقبت الحائط إذا بلغت في النقب إلى آخره ورجل نقاب إذا كان ذكيا فطنا يصيب فطنه وقيل
في هم يضع الهناء مواضع النقب وأما قوله عز وجل إني معكم قال ابن عباس رضي الله عنهما هو خطاب النقباء

ومعناه اني حفيظ عليكم في النصر لكم والدفع عنكم ويقال هو خطاب لجميع بني اسرائيل ضمن الله عز وجل لهم
النصر على عدوهم بالشرايط التي شرطها عليهم بقوله عز وجل لئن اقمتم الصلوة اي ديمتم الصلوة التي فرضتها
عليكم واعطيتم زكوة اموالكم وصدقتم برسلي وعظمتموهم ونصرتموهم بالسيف على الاعداء وتصدقتم
عن اموالكم مالم يوجبه الله عليكم صدقة حسنة وهي ان تكون من حلال المال وخياره برغبة
واخلاص ولا يشوبها رياء ولا سمعة ولا يكدرها من ولا اذى لامحصن عنكم ذنوبكم ولادخلنكم
بساتين يجري من تحت شجرها ومساكنها الانهار الاربعة فمن كفر بعد العهد والميثاق منكم فقد اخطأ
قصد الطريق وهو طريق الجنة فمن اضله وقع في طريق النار لا طريق سواهما ولا سبيل لاحد دونهما
واصل التعزير في اللغة المنع يقال عزرت فلانا اذا اديته وفعلت به مايردعه عن القبيح والنصر منع الاعدا
والتعظيم منع الذل والهوان يسمى كل واحد من الامرين تعزيرا واما ذكر الصدقة بلفظ القرض فعلى وجه
التلطف في الحث على الصدقة وذلك ان القرض مضمون بالمثل لابد للمستقرض من رد المثل حال مطالبة
المقرض والله عز وجل جازى المتصدق على صدقته مجازاة المستقرض المقرض على قرضه وشبه بعضهم استقراض
الله عز وجل بالاب يعطي بعض ولده عطيته ثم يستقرض ويستوهب بعضها فاذا اجابه الى ذلك شكره عليه
ومدحه به واحبه بسببه وزاده برا واكراما كذلك الله عز وجل حال الصدقة واعطاء العبد
من غير استحقاق منه ولا مسألة ثم يستقرض منه قليلا من كثير هذا النوع من التلطف لينفعه به في العاجل
والاجل اما في العاجل فبازدياد بركة ماله ويمنه كما قال جل ذكره يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ويدفع عنه
وعن اهله وماله بسبب تلك الصدقة انواعا من البلايا واما في الاجل فيعطيه ثوابا اضعافا مضاعفة من غير
ان يكون له جل ذكره في اعطاء المتصدق صدقة منفعة ولا في منعه اياها مضرة فسبحانه ما الطفه واكرمه
وهو اكرم الاكرمين وارحم الراحمين ٥ **قوله عز وجل** فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا
قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم
الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ٥ معنى الاية والله اعلم فبنقض اليهود ميثاقهم
الذي اخذ عليهم في التورية باعدناهم من الرحمة ويقال عذبناهم بالجزية ويقال مسخناهم قردة وخنازير
ودخول ما في اول الاية صلة زايدة معناها التوكيد وقوله عز وجل وجعلنا قلوبهم قاسية معناه صيرنا
قلوبهم يابسة خالية عن حلاوة الايمان مجازاة لهم على معصيتهم ويقال للرجل الرحيم لين القلب ولغير الرحيم
قاسي القلب والقاسي والقاسح شديد الصلابة ويقال بعضهم معنى جعلنا قلوبهم قاسية حكمنا بانها قاسية لنقضهم
الميثاق كما يقال جعل القاضي هذا المال لفلان اي حكم بذلك له لا انه جعل ما لا غنى له اذ ليس للقاضي ذلك
واما قوله عز وجل يحرفون الكلم عن مواضعه فتاويله على وجهين احدهما يغيرون تاويله وهذا مما يجوز ان
يجتمع الخلق الكثير عليه كما يفعله المشبهة واهل البدع في تاويل الايات المتشابهة من القران والثاني يغيرون
الفاظه ولا يقرون على ما هو عليه في التورية كما اخبر الله عز وجل عنهم من لي السنتهم بالكتاب وهذا مما لا
يجوز اجتماع الخلق الكثير عليه كما لا يجوز تحريف شيء من القران ويجوز من جماعة قليلة ثم يقلدهم الخلق الكثير
اذا لم يبحثوا عن ذلك وقوله عز وجل ونسوا حظا مما ذكروا به معناه وتركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم من
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومن رجم المحصن الزاني وغير ذلك واصل النسيان الترك ويقول الرجل
نسيت الشيء اذا ترك حفظه وذكره ويقال لما تركوا نصيبا من الكتاب نسوه على مر الايام فسمي ذلك نسيانا
كانهم فعلوا فعل الناسي وقوله عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة منهم معناه لا تزال يا محمد صلى الله عليه وسلم
تطلع على خيانة ومعصية منهم والخائنة من اسماء المصادر مثل عاقبة وكاذبة وطاغية وخاطئة ويقال قمت قايما
اي قياما وقد تكون الخائنة من اسماء الجماعة كما يقال رافض ورافضة فيكون المعنى ولا تزال تطلع على فرقة خائنة
منهم مثل كعب واصحابه من بني قريظة حين نقضوا العهد وركبوا الى ابي سفيان بمكة ليحالفوه وعاقدوه على رسول

الله صلى الله عليه وسلم

الله صلى الله عليه وسلم على ما سبق ذكره وقوله عز وجل الا قليلا معناه الا قليلا لم ينقضوا العهد وهم عبد الله
بن سلام واصحابه وقوله عز وجل فاعف عنهم واصفح اي اعرض عنهم ولا تعاقبهم ان الله يحب العافين المتجاوزين
ثم نسخ ذلك بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وساير ايات القتال ٥ **قوله عز
وجل** ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم
العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ٥ وذلك ان الله عز وجل
لما ذكر ميثاق المؤمنين وميثاق اليهود عقبه بذكر ميثاق النصارى في توحيد الله عز وجل والتبري من
الشرك وبين ان النصارى لم يكونوا بعد اخذ الميثاق احسن معاملة من اليهود فقال عز من قايل ومن
الذين قالوا قال الحسن رضي الله عنه وانما لم يقل ومن النصارى ليدل على انهم هم الذين ابتدعوا النصرانية
وتسموا بها واما معنى اخذ الميثاق فهو ما اخذ الله عز وجل عليهم في الانجيل من العهد المؤكد باتباع محمد
صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته كما قال جل ذكره في اية اخرى مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فنسوا حظا مما ذكروا به معناه تركوا بعضا مما ذكروا به فاغرينا اي
هيجنا بين فرق النصارى النسطورية واليعقوبية والملكانية القتال بينهم العداوة في الدين وذلك ان الله عز
وجل رفع الالفة عن ذات بينهم واخطر ببال كل طايفة منهم ما يوجب النفرة والوحشة وهيج الضغينة فهم
يفترقون ويتقاتلون الى يوم القيمة واصل الاغراء الالصاق ماخوذ من الغراء وهو الذي يلصق به يقال غري به يغرى
غرا وغراء بالمد والقصر اذا الصق به والعداوة تباعد القلوب والنيات والبغضاء البغض بهم او عدهم الله بقوله
وسوف ينبئهم الله اي يخبرهم في الاخرة بما كانوا يصنعون من الخيانة والمخالفة وكتمان نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته ثم خاطب جل ذكره الفريقين من اليهود والنصارى فقال **عز وجل** يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين ٥ قيل ان اضافة اليهود والنصارى الى الكتاب بعيرهم كما يقال يا عاقل لم تفعل كذا وكذا
فتذكر العقل على معنى التعيير اي انك لا تفعل فعل العقلاء وقوله عز وجل قد جاءكم من الله نور ضياء محمد صلى الله
عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تكتمون من نعت الاسلام والنبوة واية الرجم وتحريم الربوا وغير ذلك ويعفوا عن
كثير يتجاوز عن كثير مما كتمتم فلا يخبركم به ولا يعاقبكم عليه يعني فيما لم يؤمر ببيانه ويقال معناه ويعفو عن
كثير مما احقيتم اذا تبتم وامنتم وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور قيل ان المراد بالنور الرسول صلى الله عليه
وسلم سماه الله نورا لان النور هو الذي يكشف الظلمات ويبين الاشيا ويري الابصار حقيقة كل شيء والكتاب
بالكتاب المبين القران يبين الحلال والحرام والامر والنهي ٥ **قوله عز وجل** يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ٥ معناه يرشد
الله عز وجل بالقران من قبل الحق ورغب فيه الاسلام وقوله سبل السلام معناه طريق السلامة وهي
دين الاسلام والسلام والسلامة كالرضاع والرضاعة ويقال السلام هو الله عز وجل وسبل السلام طرق
الله عز وجل التي دعا اليها وقوله عز وجل ويخرجهم من الظلمات الى النور معناه يخرجهم من ظلمات الكفر
بالتعريف لهم الى نور الايمان بالله عز وجل ومشيته وسمي الايمان نورا لان الانسان اذا امن ابصر به طريق
نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره وقوله عز وجل ويهديهم الى صراط مستقيم معناه ويرشدهم الى دين
الحق الذي ياخذ صاحبه حتى يؤديه الى الجنة ٥ **قوله عز وجل** لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله
ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ٥ قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما نزلت هذه الاية في نصارى اهل نجران وهم المار يعقوبية قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قال الله عز
وجل قل فمن يملك من الله شيئا اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم من يقدر ان يدفع شيئا من عذاب الله

ان اراد الله تعالى ان يهلك عيسى بن مريم وامه ومن في الارض جميعا وهذا احتجاج من الله عز وجل على
النصارى بما لا يملكون دفعه اذ كان المسيح وامه بشرين يأكلان الطعام ويحتاجان الى ما يحتاج اليه
الناس وقد علم ضرورة انهما كانا بعد ان لم يكونا وشاهد كثير منهم ميلاد عيسى وحاله من الطفولة والشباب
والكهولة وقد اهلك الله بمشاهدة اولئك القوم خلقا كثيرا فلو اراد عز وجل ان يحل بعيسى وامه المنية لما عجز
عن ذلك ولا كان هنالك دافع وكيف يكون الها من لا يقدر على دفع الهلاك عن نفسه ولا من غيره وقوله
تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما معناه ومن كان مالك السموات والارض لا يوصف بالولادة وقيل من كان
له ملك السموات والارض يقدر على خلق ولد بلا والد كما قال يخلق ما يشاء اي كما يشاء باب وبغير اب ولو كان
خلق المسيح من غير اب موجبا كونه الها او ابنه لكان خلق ادم من غير اب ولا ام اولى بذلك لانه اعجب وابدع
وقوله عز وجل والله على كل شيء قدير معناه ان الله على كل شيء من خلق عيسى وغيره قادر ويقال ان هذا على وجه
التهديد اي هو القادر على ان يعاقبكم على هذا القول ولا تصلح الربوبية الا للقادر على كل شيء ولا تحق العبادة لاحد
دونه فان قيل كيف تكون معنى هذه الاية والنصارى ينكرون هذه المقالة قيل قد ذكرنا ان طائفة منهم وهم المار يعقوبية
يختصون بهذه المقالة ويقولون كان الله الها قديما فصار انسانا محدثا بعيسى عليه السلم وصار الاخران الذين يقولون
منهم المسيح بن الله يجعلون الله من جنس المسيح او قالوا ان الله عز وجل اتخذ المسيح ابنا كما اتخذ ابرهيم خليلا فقد
جعلوه الها يزعمون انه يخلق الاجسام والحيوة وغيرهما مما يستحق به العبادة والذين يقولون ان الله ثالث ثلثة يقولون
اصل واحد واقانيم ثلثة اب وابن وروح قدس وليس كل واحد من هذه الاقانيم بغير الجوهر بل هو هو وهذا
يكون قولا بان المسيح هو الله اذا كان المسيح احد الاقانيم وان كان هؤلاء ينكرون اطلاق اللفظ بان المسيح هو الله
يحكي الله عز وجل عنهم معنى مذهبهم لان المخبر عن مذهب غيره انما يخبر عن معنى مذهبه وعلى هذا قال الكعبي ان
النصارى يقولون بالتثليث لا بالتوحيد ۝ **قوله عز وجل** وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك
السموات والارض وما بينهما واليه المصير ۝ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من احبار
اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الايمان واوعدهم وانذرهم فقالوا نحن ابناء الله واحباؤه فلا
يعذبنا الله عز وجل وكذلك قالت نصارى نجران حين حذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب الله عز وجل
وارادوا بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه نحن من الله بمنزلة الابناء من الاباء وقربنا من الله تعالى كقرب الوالد لولده ويحب
الوالد لولده وغضب الله عز وجل علينا كما يغضب الوالد على ولده وقالوا اذا سخط على ولده في وقت يرضى عنه في وقت
اخرى ويقال ارادوا بهذا القول انهم ابناء انبياء الله تعالى واحباؤه ويقال معناه منا ابناء الله لان اليهود تقول عزير
ابن الله والنصارى تقولون المسيح ابن الله وهذا كما يقال هذيل شعراء يراد به ان جنسهم شعراء لان اكثرهم لا يكونون
شعراء ويقال انما ادعوا النبوة لان اليهود تزعم ان الله عز وجل اوحى الى يعقوب عليه السلم ان ولدك بكري ولدي
والنصارى يحكون قول المسيح اني ذاهب الى ابي وابيكم قال الله عز وجل قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي لم عذب الذين
من قبلكم من اليهود والنصارى الذين كانوا امثالكم في الدين فمسخهم الله عز وجل في الدنيا ويقال معناه ان القوم
كانوا يقرون بانهم يعذبون اربعين يوما عدد الايام التي عبدوا فيها العجل اربعين يوما بزعمهم وهل رأيتم
والدا يحرق ولده بالنار ويحرق حبيبه وقوله عز وجل بل انتم بشر ممن خلق معناه لستم بابناء الله ولا باحبائه ولكنكم
خلق كسائر الخلق لا فضل لكم على غيركم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اي يغفر لمن هداه الله عز وجل للاسلام ويعذب
من مات على الكفر والمشية المذكورة في هذه الاية مشية قدرة على معنى ان الله عز وجل قادر على ذلك كله
كما في قوله تعالى ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم وقد ثبت بسائر الايات ان من مات على كفره او نفاقه
فهو خارج عن المشية وكذلك من مات مطيعا لا معصية له او تاب توبة بشرائطها فهم خارجون عن المشية
وانما اهل المشية اهل التوحيد الذين يموتون وعليهم معصية لم يتوبوا عنها فهم موقوفون بين فضل الله عز وجل

وعدله

وعدله كما تقدم ذكره في قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله عز وجل
ولله ملك السموات والارض معناه له القدرة على اهل السموات واهل الارض وله ما بينهما من الخلق والعجائب
وهذا اشارة الى نفي البنوة اذ الابن لا يكون مملوكا لابيه وقوله عز وجل واليه المصير معناه اليه مرجع من امن
ومرجع من لم يؤمن ۝ **قوله عز وجل** يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ۝ معناه يا اهل
التورية والانجيل قد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم الحلال والحرام على انقطاع من الرسل
ودروس من العلم قال الكلبي رضي الله عنه كان بين ميلاد عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة
وتسعون سنة وبعد عيسى عليه السلم اربعة من الرسل في مائة واربعة وثلثين سنة كما قال الله عز وجل
اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال ولا ادري الرسول الرابع من هو قال وكان ما بين
المدة فترة ويقال كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وقوله تعالى ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير معناه كيلا تقولوا يوم القيمة ما جاءنا من بشير يبشرنا بالجنة ولا مخوف يخوفنا
بالنار فقد جاءكم بشير يبشركم بالجنة ان اطعتموه ونذير ينذركم بالنار ان عصيتموه والله على كل شيء من
ارسال الرسل والثواب والعقاب قدير اي قادر ويقال معنى ان تقولوا كراهة ان تقولوا والاختلاف في
هذا مثل الاختلاف في قوله عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا وقد سبق ذكره وبالله التوفيق ۝ **قوله عز
وجل** واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ۝ معناه واذكروا يا اهل الكتاب ما قال موسى لبني اسرائيل احفظوا
منة الله عز وجل عليكم اذ اكرم بعضكم بالنبوة وهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلم وانطلق معه
الى الجبل وانما من الله عز وجل بذلك عليهم لان كثرة الاشراف والافاضل في القوم شرف وفضل لهم ولا شرف
اعظم من النبوة وقوله وجعلكم ملوكا قال الحسن رضي الله عنه احرارا تملكون امر انفسكم لا يغلبكم عليه غالب
بعد ما كان يغلبكم القبط في مملكة فرعون وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اراد بقوله عز وجل ملوكا
ذوي خدم واهل ومنازل لا يدخل عليكم فيها الا باذن وقيل ان الملك من يستغني عن تكلف الاعمال وتحمل
المشاق للمعاش ويقال اكثر الملوك فيهم فكان في كثرتهم زيادة شرف لهم وانعام عليهم وقوله عز وجل واتاكم
ما لم يؤت احدا من العالمين معناه اعطاكم ما لم يعط احدا من عالمي زمانكم ويقال اراد بذلك جميع العالمين فانه
عز وجل انزل عليهم المن والسلوى وظلل عليهم الغمام وانزل عليهم في التيه ثيابا وخفافا لا تدنس ولا تخرق
تشب مع الصغير ولا تصغر على الكبير ولم يؤت جل ذكره من هذه النعم احدا قبلهم ولا يدخل المستقبل في اللفظ
لان اللفظ خبر عما مضى ولا يدل ذلك على انه جل ذكره لم يؤت امة محمد صلى الله عليه وسلم من الفضيلة مثل
ما اتاهم او اكثر والغرض من هذه الاية والله اعلم ان الله سبحانه لما اراد ان يكلفهم دخول الارض المقدسة
وكان يشق عليهم ذلك قدم جل ذكره تفصيل نعمه عليهم ليكون ذلك باعثا لهم على امتثال امر الله عز وجل
قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا
خاسرين ۝ روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان الاثني عشر نقيبا الذين ارسلهم موسى عليه
السلم الى قرية الجبارين جواسيس لما انتهوا الى مدينتهم اخذوا فاتي بهم الملك ويقال اخذهم عوج بن عنق
واحتملهم في ثوبه حتى القاهم بين يدي الملك فقيل للملك ان هؤلاء يزعمون انهم يغزون مدينتك ويظهرون
عليك قال فطوفوا بهم في المدينة فاروهم اياها فطيف بهم وكانوا يلعبون بهم حتى ان كان الرجل منهم ليأتي
القدح والسكرجة والقصعة فيدخل واحدا منهم تحتها ثم ردوهم الى الملك فاراد قتلهم فقالت له امراته
ايش يصنع بقتل هؤلاء وكفيهم ما راوا من القوم ردوهم الى اصحابهم يحدثونهم بما راوا فارسلهم الملك فزودوا
بعض عنقود العنب وبعض الرمانة فلما خرجوا قال بعضهم لبعض قد علمتم خلاف بني اسرائيل لموسى عليه السلم وقد

وعد الله موسى عليه السلام ان يفتح لهم هذه الارض ولن يخلف الله عز وجل وعده فهلموا بلاخذ بعضنا على بعض
المواثيق ان لا يخبر احدا بشى مما راينا غير موسى عليه السلام فان شا اجترى بنى اسرائيل وان شا كف عن ذلك فلما
رجعوا قالت العشرة منهم هذا عيب القوم والرجل الواحد منهم يدخل الجماعة منا فى كمه ولا يدان لنا بهم
وقال يوشع وكالوب نحن الحلم من هولاء يا لقوم ليس للقوم حدث عن جديثكم وقد ملئوا رعبا منكم وفى بعض
الروايات ان الاثنى عشر نقيبا لم يخبروا ذلك اليوم بحديثهم الا موسى عليه السلام لكن لما خلوا بنسايهم جعلت
المراة تسال زوجها عن ما راى فاخذ عليها المواثيق الا تخبر لحدا ثم تخبرها وجعلت المراة ياتيها ابوها واخوها
فاخذ عليهم المواثيق ثم يخبرهم فما ارتفع النهار حتى فشا الخبر فى العسكر ولم تخبر يوشع ولا كالوب احدا بشى
من امرهم فجمع موسى عليه السلام بنى اسرائيل وخطبهم ثم قال يا بنى اسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم ابنيا
الى قوله فتنقلبوا خاسرين وانما قوله عز وجل ادخلوا الارض المقدسة قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما
هى ارض بيت المقدس وبقال هى دمشق وفلسطين وبعض الاردن وسميت المقدسة لانها طهرت من الشرك وجعلت
مسكنا وقرارا للانبيا صلوات الله عليهم والمومنين وقوله عز وجل التى كتب الله لكم اى امركم بدخولها ويقال
وهبها الله عز وجل لابيكم ابرهيم وجعلها ميراثا لكم وذلك ان ابرهيم عليه السلام حين ارتفع على الجبل قيل له انظر
فلك ما ادرك بصرك وهو ميراث لولدك من بعدك هكذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقوله عز وجل
ولا ترتدوا على ادباركم اى لا ترجعوا وراكم وتجبنوا عن عدوكم منهزمين منهم فتنصرفوا مغبونين بفوت الظفر
فى الدنيا والعقوبة فى الاخرة **قوله عز وجل** قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ٥ معناه قالت بنو اسرايل يا موسى ان فيها قوما جبارين
عظاما قتالين والجبار من الادميين العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد ماخوذ من الاجبار على الامر وهو
الاكراه عليه وجبر العظم اكراهه على الصلاح والجبار هذا الارش لان فيه معنى الكره والجبار من النخل
ما فات اليد طولا لانه كالممتنع مثل الجبار من الناس والجبار صفة مدح الله عز وجل وهو ذم فى صفة غيره
لان غيره تعظم ما ليس له والعظمة لله وحده وقوله عز وجل انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها معناه انهم قالوا
انا لن ندخل هذه الارض حتى يخرج الجبارون منها اى لا من الجانب الاخر فان يخرجوا منها فانا داخلون حينيذ
قوله عز وجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه
فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين ٥ معناه والله اعلم قال يوشع وكالوب من الاثنى عشر
الذين ارسلهم موسى عليه السلام الى قرية الجبارين وكانوا يخافون الجبارين انعم الله عليهما اى هداهما
الله تعالى للقبول وامر الله عز وجل ومعرفة صدق وعده ادخلوا عليهم الباب قالا ادخلوا عليهم باب قريتهم
اريحا فاذا دخلتم ذلك الباب فانكم غالبون عليهم انهم اذا راوا كثرتكم انكسرت قلوبهم وانقطعت ظهورهم
فتقتلونهم وعلى الله فتوكلوا اى بالله فثقوا وفوضوا امركم اليه ان كنتم مصدقين بوعد الله فى الاية تنا على
الرجلين اذ لم يمنعهما الخوف من الصدق عن قول الحق وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يمنعن احدكم مخافة الناس ان يقول الحق اذا راه او علمه فانه لا يبعد من رزق ولا يدنى من اجل وذهب بعض
المفسرين رحمهم الله الى ان معنى قوله عز وجل من الذين يخافون اى كانا من الذين يخافون عذاب الله عز وجل
ولذلك قال الله عز وجل انعم الله عليهما ويقال كان الرجلان من جملة الجبارين الذين كانوا يخافون بنى اسرايل فوفقهم
ولكنهما كانا على دين موسى عليه السلام وقرا بعضهم يخافون بضم اليا على فعل ما لم يسم فاعله **قوله عز
وجل** قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون ٥ وذلك ان موسى عليه السلام لما امرهم من بعد قول الرجلين ان يدخلوا قرية الجبارين قالت له بنو
اسرايل اتكذب العشرة وتصدق الاثنين انا لن ندخلها ابدا ما دام الجبارون فيها فاذهب انت وربك فقاتلا
انا هاهنا قاعدون منتظرون وتوهم اذهب انت وربك يحتمل معنيين احدهما انهم قالوا على وجه المجاز يعنى وربك

معين لك

معين لك ويقال على وجه المجاز قاتله الله اى جعل الله عدوا وتبه له كعداوة المقاتل المستعلى عليه
بالاقتدار وعظم السلطان وكان هذا القول فسقا منهم بامتناعهم عن المضى على امر الله عز وجل
والثانى يحتمل انهم عنوا بالذهاب ذهاب النقلة وهذا تشبيه وكفر من قائله وهو اقرب الى معنى كلامهم
لان كلام الله عز وجل خرج مخرج الانكار عليهم والتعجب من جهلهم وبيان انهم قوم لم يزالوا عن
قاتلين من الانبيا عليهم السلام قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويقال ان معنى قولهم وربك اى
وسيدك يعنون هرون لان هرون كان اكبر سنا منه ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما اراد الخروج
الى بعض الغزوات استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فى ذلك فقالا انا لا نقول لك مثل ما قال قوم
موسى لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب فقاتل عدوك فانا معك
مقاتلون وفى بعض الروايات قالا اقعد انت فانا بامرك مقاتلون **قوله عز وجل** قال رب
انى لا املك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال ابن عباس رضى الله عنهما وذلك ان
موسى عليه السلام غضب من مقالة قومه وكان رجلا حديدا فقال رب انى لا املك الا نفسى ولا املك الا
اخى يعنى لانه لا يطيعنى من هولاء غير هرون فافرق اى فافصل واقض بيننا وبين القوم الفاسقين والفرق
والفصل والحكم والقضا نظاير فى اللغة وانما سمى نفسه مالكا لاخيه لطاعة اخيه له لا لان اخاه كان
مملوكا له وهذا كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما احد امن على بنفسه وذات يده من ابى بكر
فبكى ابو بكر رضى الله عنه وقال انا ومالى الا لك يا رسول الله يعنى ان امرك جاير على وفى مالى ويقال ان
قول موسى عليه السلام فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين كان سوالا منه الفرق فى الحقيقة دون القضا
وكان دعا منصرفا الى الاخرة اى ادخلنا الجنة اذا ادخلتهم النار ولم يعن بذلك فى الدنيا اذ لو عنى ذلك
لاجاب الله دعاه واهلكهم جميعا لان دعا الانبيا لا يرد من قبل انهم يدعون بامر الله عز وجل ويقال
كان هذا دعاء راجعا الى الدنيا وقد اجاب الله دعاه لانه عاقب قومه فى التيه ولم يكن موسى وهرون
عليهما السلام محبوسين فى التيه لان الانبيا صلوات الله عليهم لا يعذبون قال الحسن رضى الله عنه لا يجوز فى
موسى عليه السلام ان يكون معهم فيها لا حيا ولا ميتا ولا يجوز اذا عذب الله عز وجل قوم نبى الا ان ينجى ذلك
النبى ومن امن معه ويقال ان هذا الدعا كان من موسى عند الغضب لا انه عنى به الحقيقة الا ترى انه ندم
على دعايه وجزع من تحريم قرية الجبارين عليهم جزعا شديدا حتى قيل له لا تاس على القوم الفاسقين **قوله
عز وجل** قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تاس على القوم الفاسقين
معناه قال الله عز وجل فان الارض المقدسة محرمة عليهم اى هم ممنوعون من دخولها اربعين سنة
واصل التحريم المنع قال الله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل واراد به المنع ومنه قول الشاعر يصف ناقة
جاءت لتصرعنى فقلت لها اقصرى انى امرؤ صرعى عليك حرام اى انى فارس لا يمكنك صرعى وقال بعضهم اراد
بقوله فانها محرمة عليهم تحريم التعبد والتكليف كما فى قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والقول الاول اقرب
الى ظاهر الاية لانه عز وجل وصفهم بقوله يتيهون فى الارض ومعنى يتيهون يتحيرون قال عبد الله بن عباس
تحيروا اربعين سنة فى فراسخ كانوا يسيرون اول النهار فيمسون فى مكانهم ويسيرون من اول الليل فتدور بهم
الارض فيصبحون فى مكانهم وقال الحسن عمى عليهم السبيل واخفى عليهم الاعلام التى يهتدون بها الى الطريق
فلم يستطيعوا الخروج منها وذهب بعضهم الى ان قوله اربعين سنة منصوب بيتيهون قالوا وكانت الارض
المقدسة حراما على اولئك القوم الذين عصوا الله ابدا ولم يبق منهم احدا بعد اربعين سنة انما بقى يوشع بن نون
ونشا الصغار ومات موسى واخوه هرون عليهما السلام حين انقضى التيه على ما روى ان هرون كان يتعدى
الى موسى عليه السلام ويروح اربعين سنة حتى اذا كان اليوم الذى قبض الله فيه هرون غدا موسى الى هرون
عليهما السلام فقالت بنو اسرايل ذهب سلطان موسى والحمد لله على ذلك وانطلق موسى عليه السلام وهرون والحرم

من هرون الى الجبل فكانوا نحو من التيه فلما انطلقوا الى الجبل راوا هناك سريرا موضوعا
فقال هرون ما احسن النوم على هذا السرير فقال موسى عليه السلم نم عليه فنام هرون فقبض وهبط
موسى عليه السلم والعزير الى بني اسرايل وليس معهما هرون عليه السلم فقالت لهما بنو اسرايل قتلتما
هرون وقالوا لموسى عليه السلام حين ذهب سلطانك كان يحملك لينا اربعين سنة بعد فاوبروح
على غدوت اليه يوما واحدا حسدته وقتلته لنقلك والعرب اولتا نيابه فدعا موسى عليه السلم وقال
يا رب ان بني اسرايل اتهموني في بن امي فارهم اياه فنزلت به المليكة على سرير حتى راوه ميتا ثم رفع ومات
موسى عليه السلام بعد ذلك واستخلف يوشع بن نون فسار بالناس حتى انتهوا الى مدينة الجبارين وحاربهم
فلما كان يوم الجمعة وكادت الشمس تغرب توضا يوشع بن نون وصلى ودعا ربه وساله ان يحبس له ما وعد
وذكر ان الشمس تغرب في ليلة السبت لا تقاتل فيها فرد الله عز وجل الشمس حتى كانت من السما مقدار صلاة
الظهر فجمع يوشع عليه السلم بني اسرايل وجعل في كل سبط منهم شبوقا وامرهم اذا فرغ من دعايه وصاح بشبوع
ان يصيحوا بشبابيرهم ويكبروا باجمعهم امين فاراد لو ان يدعون ويومنون حتى ثارت المدينة حجرا حجرا
فثاروا الى اعدايهم فقتلوهم حتى ان اثنا عشر رجلا من اصحاب يوشع كانوا يقعدون على الرجل ويحزون
راسه فما يطيقونه من عظمه وكان موسى عليه السلام قتل عوج بن عنق قبل ذلك وكان طوله ثمانماية ذراع
وكان طول موسى عليه السلم عشرة اذرع وعصاه عشرة اذرع ووثبة عشرة فوثب عليه فاصاب بعصاه
عقبه فخر ميتا وكان طول كل واحد من الجبارين ثمانين ذراعا وما روي عن مقاتل ان طول كل
واحد منهم ستة اذرع ونصف يحتمل انه اراد بذلك ستة اذرع ونصفا بذراعهم واما سوال الملحدة وطعنهم
في القران لقوله كيف يجوز ان يتيه عسكر عظيم في مقدار ستة فراسخ او اكثر وتكون قصدهم الخروج منها
مع وفور عقولهم وصحة حواسهم ثم لا يجدون الى الخروج سبيلا وان صور ذلك مصور فكيف يتصور
ان لا يجتهد اهل البلاد الذين كانوا حوالهم في تخليصهم او تعريفهم وجه الخروج منها والجواب
عنها ظاهر وهو ان الله سبحانه اذا نزل تحول العلامات والقى على بعضها شبه بعض وغير رسوم بعضها
وشغل الذين كانوا حواليها عن امرهم فليس ذلك بعجب في قدرة الله عز وجل لان استقاض العادات في
زمن الانبيا صلوات الله عليهم يكون معجزة لهم مثل ما كان من فلق البحر وتفجير الحجر وانزال المن والسلوى
وغير ذلك ومن انكر مثل هذا كان منكرا اصل قدرة الله عز وجل فيكون الكلام معه في اثبات وحدانية
الله سبحانه وقدرته وبالله التوفيق ٥ **قوله عز وجل** وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ
قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
معنى الاية والله اعلم واتل يا محمد صلى الله عليه وسلم على قومك خبر ابني ادم لصلبه بالصدق اذ
وضعا على الجبل قربانا والقربان ما يطلب به التقرب الى الله تعالى وهو فعلان من القربة كالفرقان
من الفرق والكفران من الكفر وقال معناه واقرا على اولاد هولا الذين تقدم ذكرهم من اهل
الكتاب حتى تقرر برسالتك وقوله عز وجل فتقبل من احدهما اي قبل القربان من احدهما ولم يتقبل من
الاخر ومعنى القبول ايجاب الثواب قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان حوا كانت تلد في كل
بطن اثنين غلاما وجارية فولدت اول بطن قابيل ابن ادم واخته اقليما ثم مكثت سنتين ثم ولدت البطن
الثاني هابيل واخته لبوذا فلما ادركوا امر الله عز وجل ادم عليه السلم ان ينكح قابيل اخت هابيل وهابيل
اخت قابيل فذكر ادم ذلك لامراته فذكرت ذلك لابنيها فرضي هابيل بالذي امر وسخط قابيل لان اخته كانت
احسنهما فقال ما امر الله تعالى ادم عليه السلم بهذا قط ولا ازوج هابيل اختي التي ولدت معي فاخبرت حوا
ادم عليه السلم قال قربا قربانا فمن ايكما تقبل منه تزوجها وكان هابيل صاحب غنم وقابيل صاحب حرث
فقرب هابيل جملا سمينا من خير غنمه ولبنا وزبدا وقرب قابيل سنبلا من شر زرعه فانطلق ادم عليه السلم

الى الجبل

الى الجبل فاضمر قابيل في نفسه ما ابالي اتقبل الله مني ام لا لا اتزوج اختي ابدا واضمر هابيل في نفسه
الرضا لله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السما فاكلت سيا من السنبل بعد ما دنت
منه ثم اكلت الجمل واللبن والزبد فذلك قوله عز وجل فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر فنزلوا من الجبل
وتفرقوا وذهب هابيل الى غنمه وذهب قابيل الى زرعه ثم اتى قابيل هابيل فقال له لاقتلنك قال هابيل ولم
تقتلني قال لان الله عز وجل تقبل منك قربانك ورد على قرباني وتنكح اختي الحسنة وانكح اختك القبيحة فتحدث
الناس انك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي قال هابيل ما ذنبي في ذلك انما يتقبل الله من المتقين اي من الذين
قلوبهم الذين يخافون على حسناتهم ان لا تقبل ولم تكن انت راكي القلب فرد الله عليك قربانك بخبث نيتك ويقال
اراد بالمتقين الذين يتقون الشرك وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان قابيل كان كافرا وفي اكثر
الروايات انه كان رجل سوء قال الحسن رضي الله عنه كان الرجل اذا اراد ان يقرب القربان تعبد وتاب
وتطهر من الذنوب ولبس الثياب البيض ثم قرب وقام يدعو الله عز وجل فان قبل الله تعالى قربانه جات
نار فاكلته وذلك علامة القبول وان لم تجئ نار فذلك علامة الرد ويروى عن الحسن رضي الله عنه ان الاية
نزلت في رجلين من بني اسرايل اذ لم يكن القربان مشروعا قبل بني اسرايل قال وفي اخر هذه الايات دليل على
ذلك وهو قوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل والقول الاول اظهر واشهر عند عامة المفسرين
قوله عز وجل لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ ٥ معناه قال هابيل مجيبا لقابيل لئن مددت يدك الي لتقتل ظلما ما انا بالذي امد يدي اليك
لاقتلك ظلما قال قابيل ولم ذلك قال هابيل لاني اخاف الله رب العالمين بقتلك ظلما وروي عن الحسن
ومجاهد رضي الله عنهما انهما قالا لم يكن القتال يوميذ مشروعا ولا كان دفع القاتل عن النفس مباحا وانما
ورد الشرع بذلك بعد الا ترى ان الله تعالى امر في ابتدا الحال ان يقتل بعضهم بعضا وجعل ذلك سبب
توبتهم واخذ عليهم ان لا يدفعوا القتل عن انفسهم وقال عبد الله بن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم
ان معنى الاية لين بدات بقتلي لم ابدا بقتلك قالوا ولم يقتل قابيل هابيل مجاهرة ولكن قتله غيلة بان القى عليه
صخرة وهو نايم فشدخه بها قال الضحاك رضي الله عنه كان قابيل لا يدري كيف يقتله حتى جا ابليس لعنه الله
وبيده حية فوضعها بين حجرين فرضخ راسها بالحجر وقابيل ينظر فلما نظر ذلك جا الى هابيل فلم يزل يضرب بالحجارة
على راسه حتى قتله وليس في هذه الاية دلالة على جواز ترك الدفع عن النفس بقتل من اراد قتله لان دافع القتل
عن نفسه لا يسمى قاتلا ولا مريدا للقتل لان غرضه التخلص من شر الذي يقصد قتله وان اتت المدافعة على
نفس الذي يريد قتله وهذا بمنزلة رجل قعد على صدره رجل اخر يريد قتله ان ذلك يرميه عن نفسه قاصدا
قتله ولهذا قلنا ان الكفار اذا تترسوا باطفال المسلمين لا يجب على المسلمين الامتناع من قتلهم ورميهم ولكن لا
يقصدون بالرمي قتل الاطفال **قوله عز وجل** إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ٥ معناه قال هابيل لقابيل ان كنت تريد قتلي فلا ترجع عني فاني اريد ان ترجع
الى الله تعالى باثم ذنبي واثم ذنبك الذي من اجله لم يتقبل قربانك والمراد بهذا القول اني اريد ان تبوء بعقاب
اثمي واثمك لان المكلف كما لا يجوز ان يريد معصية نفسه لا يجوز ان يريد معصية غيره فثبت ان المراد
بهذا عقوبة القتل وقوله عز وجل فتكون من اصحاب النار بذنوبك وهكذا عقوبة من لم يرض بحكم الله
سبحانه **قوله عز وجل** فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٥ معناه تابعته
نفسه على قتل اخيه فقتله بارض الهند فسار من المغبونين بالوزر والعقوبة قال الكلبي رحمه الله كان
قابيل اول من عصى الله تعالى في الارض من ولد ادم عليه السلم وهو اول من يساق الى النار وقال مقاتل كان
قبل ذلك بين ابن السباع والوحوش والطيور فلما قتل قابيل هابيل اخاه نفروا فلحقت الطيور بالهوى والوحوش
بالبرية والسباع بالغياض قال وتزوج شيث باقليما وذكر الضحاك في تفسيره انه قال لما قتل قابيل هابيل حمله

على ظهره ولم يدر كيف يصنع به فمكث ثلثة ايام يحمله على ظهره لا يدري ما ذا يصنع به فبعث الله غرابين
يقتتلان فقتل احدهما صاحبه ثم اخذ حفيرا في الارض واخذ رجل الغراب القتيل فالقاه في الحفر وجعل
يبحث عليه التراب فذلك **قوله عز وجل** فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوأة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين
معناه ارسل الله غرابا ويقال سخر الله غرابا يثير التراب على غراب اخر ميت بمنقاره وبرجله روي عن عبد الله
بن عباس انه لما قتل قابيل هابيل رجع الى اهله قبل ان يدفنه فلما ابطا هابيل على ادم عليه السلم قال يا قابيل
هل رايت هابيل قال ما رايته وكانت به ارسل غنمه في زرعي فافسدته فهو يقران نحى من اجل ذلك قال وحث
نفس ادم عليه السلم فبات ليلته تلك محزونا فلما اصبح قابيل ندم على قتله فغدى الى ذلك الموضع فاذا هو
بغراب يبحث التراب على غراب ميت ليواريه ويقال بعث الله عز وجل الغراب كراما لهابيل وكان الغراب يحثي
التراب على هابيل ليرى قابيل كيف يواري سوأة اخيه اي كيف يغطي عورته وروي في الخبر انه لما قتله سلبه
ثيابه وتركه عريانا بالارض فلم يتنازع ويقال اراد بالسوأة جسد المقتول وسماه سوأة لانه لما بقي على وجه
الارض تغير وانتن والسوأة في اللغة عبارة عن كل شي مستنكر وهذه الاية تضعف قول الحسن رحمه الله
في القاتل والمقتول انهما كانا رجلين من بني اسرايل لانه لو كان كما قال لكان القاتل يعرف كيفية دفن
المقتول فلا يحتاج الى ان يتعلم ذلك من الغراب لان دفن القتلى والموتى كان معلوما في بني اسرايل واما قوله عز
وجل قال يا ويلتا معناه ان قابيل لما ابصر الغراب يبحث في الارض دعا بالويل على نفسه كانه قال يا ايها الويل
هذا وقتك وعلى هذا يا ويلتا وقوله يا حسرتا ويا عجبا والويل كلمة يستعمل عند الوقوع في الشدة والهلكة
وقوله عز وجل اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب معناه اضعفت في الحيلة ان افعل مثل ما فعل هذا الغراب
فاغطي عورة اخي بالتراب فحفر حفيرا فالقاه فيه وواراه فاصبح من النادمين يحتمل ان يكون المراد بندامته
ندامة توبة عن جميع ما قال وفعل من معصية ويحتمل انه انما ندم على ترك مواراة عورة اخيه فان كانت
الاولى فالله عز وجل تواب رحيم وان كانت الثانية فاثم القتل في عنقه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
لو كانت ندامته على قتله لكانت توبة منه وقيل انه انما ندم لانه لم ينتفع بقتله ولم يحصل له مراده واستوحش
منه مراده وكان ندمه لاجل ذلك لا لقبح فعله ولو كان ندمه تقربا الى الله تعالى لقبلت توبته وعن عبد الله
بن عباس انه قال قال الله تعالى لقابيل كن خايفا ابدا لا ترى احدا الا وخفت منه ان يقتلك قال وكان كل
من راى قابيل رماه بالحجر فابصره بعض ولده فرماه بالحجارة حتى قتله ويقال كان على جبل فنطحه ثور
فوقع الى سفح الجبل فتفرقت اوصاله وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ضرب الله عز وجل لبني
ادم مثلا فخذوا خيرها ودعوا شرها وفي تفسير الحسن ان رجلا من بني اسرايل تصدق زمانا ثم قرب قربانا
فاجتمع الناس وقام يدعو ربه فلم تاكل النار القربان فلما ذهب وقت مجي النار عرف انه قد رد الله عليه
قربانه فشق قميصه ووضع التراب على راسه فاوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ان قل لعبدي ما اصنع بشق
قميصك فهلا شققت عن قلبك وبالله التوفيق **قوله عز وجل** من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل
انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيى
الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون معنى الاية
والله اعلم من اجل ذلك القتل الذي عرفه بنو اسرايل واشتهر عندهم فرضنا واوجبنا عليهم في التورية
ان من قتل نفسا بغير نفس ويقال معناه من جناية ذلك حصلت هذه الكتابة بالامر جميعا في اللوح
المحفوظ ان من قتل نفسا من غير ان وجب عليه القود وبغير فساد في الارض نحو الشرك وقطع الطريق والزنا
عند الاحصان فكانما قتل الناس جميعا اي يستوجب النار بقتل النفس الواحدة كما يستوجبها من قتل الناس
جميعا قال الحسن رضي الله عنه ومن قتل الناس جميعا كان اعظم ذنبا واشد عذابا والقول الثاني ان عليه ماثم

كل قاتل

كل قاتل من الناس روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا
تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل والقول الثالث ان على
الناس كلهم معونة ولي المقتول حتى يقيدوه ويكون كلهم خصم القاتل حتى يقاد وفيه قول اخر ان المراد استحقاق
القود بقتل النفس الواحدة وقوله عز وجل ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا اي من استنقذ نفسا من
غرق او حرق او [illegible] لا محالة او استنقذها من كفر وضلال فاحياها بالنعيم الدايم في الجنة او عفا عن دمها
بعد ما وجب عليها القود استوجب الجنة كما يستوجبها من احيا الناس جميعا قال الحسن رضي الله عنه ومن احيا
الناس جميعا كان اعظم منزلة في الجنة ويقال يثيبه الله عز وجل على احيا النفس الواحدة مثل ما لو احيا الناس
جميعا لو فاته اجره ويقال ان الله تعالى للقاتل ظلما بما لو عوقب هو به على قتل جميع الناس لكفى ذلك عقوبة له ووجه
اتصال هذه القصة بما قبلها ان اهل الكتاب كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم في كتمان ما عندهم من صفته
في كتابهم فاعلمه الله عز وجل ان الحسد يحمل على جحود الحق الا ترى ان ابن ادم كيف قتل اخاه حسدا فاصبر
على حسد اهل الكتاب وعنادهم وعداوتهم وهذا المعنى اعاد جل ذكره الى هذه القصة ذكر اهل الكتاب فقال
عز وجل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات اي جاءت بني اسرايل رسلنا بالاوامر والنواهي والعلامات الواضحات
ثم ان كثيرا منهم بعد ان جاءتهم الدلايل والمعجزات في الارض لمسرفون مشركون تاركون اوامر الله **قوله عز
وجل** انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم قال
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو امن ومن اتى المسلمين منهم فهو امن فمر اناس من بني كنانة
يريدون الاسلام باناس من اسلم من قوم هلال ولم يكن هلال شاهدا يومئذ فخرج اصحابه اليهم فقتلوهم واخذوا
اموالهم فنزل جبريل عليه السلم فيهم بهذه الاية ومعناها انما عقاب الذين يحاربون اولياء الله عز وجل ورسوله
صلى الله عليه وسلم ويسعون في الارض بالفساد نحو القتل والنهب والتخريب وقطع الطريق ان يقتلوا ان قتلوا
احدا ولم ياخذوا المال او يصلبوا مقتولين ان قتلوا واخذوا المال او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اليد
اليمنى من الرسغ والرجل اليسرى من الكعب ان اخذوا المال ولم يقتلوا احدا او ينفوا من الارض ان اخافوا الطريق
ولم يفعلوا فعلا سوى ذلك واختلف المفسرون في النفي فقال بعضهم اراد به الحبس وقال بعضهم اراد به
الطلب الدايم حتى لا يستقر بهم مكان ووجه التوفيق بين القولين انهم ان اخذوا بعد ما اخافوا الطريق دفعهم
الامام الى الحبس حتى يتوبوا ويثبتوا وان لم يوجدوا [illegible] وامر ان ينادى في الناس من قبلهم لا يستقبل
عليه واما سمي الحبس نفيا لانه يمنع المحبوس من التردد والتصرف في الارض وتكون ذلك منزلة النفي من الارض
[illegible] قال ابو حنيفة يصلب حيا ليرى الناس ويروه فيكون ذلك زيادة عقوبة له
ثم يبعج بطنه برمح [illegible] حتى يموت وقال ابو يوسف والشافعي رحمهما الله يصلب
بعد [illegible] ذلك لهم خزي في الدنيا اي ذلك القصاص لهم فضيحة لهم في الدنيا ولهم في الاخرة
عذاب عظيم اعظم مما كان [illegible] في الدنيا وهذا التاويل [illegible] ذكرناه في هذه الاية قول عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما في ترتيب حد قطاع الطريق وبه اخذ ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفة رحمه الله
ان اخذ قطاع الطريق المال وقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف ثم قتلوا [illegible]
ان يقتلوا او يصلبوا [illegible] ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا
المال ولم يقتلوا وقال مقاتل في هذه الاية انه قدم قوم من بني عرينة المدينة فاجتووها وعظمت بطونهم واصفرت
الوانهم فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من ابوالها والبانها ففعلوا
ذلك وصحوا ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله

وجهه في طلبهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم بالحرة حتى ماتوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية فصارت عامة في قطاع الطريق ناسخة تسميل الأعين وفي تفسير الحسن رضي الله عنه أن الآية نزلت في المشركين إذا ظهر عليهم الإمام قبل أن تضع الحرب أوزارها فأخذهم أو طائفة منهم كان بالخيار فيهم إن شاء ضرب أعناقهم وإن شاء صلبهم وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وتركهم حتى ماتوا وكان الحسن رضي الله عنه يستدل بظاهر الآية أن حرف أو يقتضي التخيير كما في كفارة اليمين وخالفه عامة المفسرين في هذا وقالوا إن هذه عقوبات علقت بجنايات لها أثر في إيجاب مثل تلك العقوبة **قوله عز وجل** إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ٥ استثنى من قوله عز وجل أن يقتلوا أو يصلبوا معناه إلا الذين تابوا من قطع الطريق من قبل أن يقدر السلطان عليهم فاعلموا أن الله تعالى كثير الستر على عباده رحيم بهم بعد التوبة وفي هذه الآية دليل أن المراد بأول الآية الأولى قطاع الطريق دون المشركين لأن الله تعالى أمر بقبول التوبة منهم قبل أن يقدر عليهم ومعلوم أن توبة الكفار قبل القدرة عليهم وبعد القدرة عليهم سواء في زوال العذاب عنهم كما قال جل ذكره قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف يدل على صحة هذا القول أن الله تعالى قال في أول الآية التي قبل هذه ويسعون في الأرض فسادا ومعلوم أن قتل الكافر لا يتعلق بسعيه في الأرض بالفساد وإنما يستحق القتل بنفس الكفر وإنما تؤثر توبة قطاع الطريق قبل القدرة عليهم في الحدود التي هي حق الله عز وجل لا تقام عليهم إذا جيء بهم بعد التوبة وأما حقوق الآدميين نحو رد الأموال والقصاص في النفس والأطراف فأصحاب الحقوق إن شاؤوا أخذوا حقوقهم وإن شاؤوا عفوا ولو عفوا عنهم قبل توبتهم لم يسقط عنهم حد قطاع الطريق وبالله التوفيق ٥ **قوله عز وجل** يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ٥ معنى الآية والله أعلم يا أيها الذين آمنوا اخشوا عذاب الله واحذروا معاصيه واطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة وجاهدوا أعداء الله عز وجل في طاعته لكي تظفروا بعدوكم في الدنيا وتنجوا من النار في العقبى ٥ **قوله عز وجل** إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب عظيم ٥ في الآية إياس الله طمع الكفار عن التخلص من عقاب الآخرة يقول لو ماتوا على الكفر وكان لهم ما في الأرض جميعا من الأموال بأسرها وضعفه معه ليشتروا به أنفسهم من عذاب الله عز وجل ما قبل ذلك الفداء منهم لو فادوا ولهم عذاب وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم **قوله عز وجل** يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ٥ قال عبد الله بن عباس في معنى الآية أراد به الكفار إذا أعيا صبرهم وجهدهم طلب الرجل أن يزول من مكانه إلى مكان آخر أهون عليه مما هو فيه ويقال كلما رفعهم النار بلهبها تمنوا أن يخرجوا منها يقول الله عز وجل وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم أي دائم لا ينقطع **قوله عز وجل** والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ٥ روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في طعمة بن أبيرق سارق الدرع وقد سنذكره ثم صارت عامة في جميع الناس ومعنى الآية والسارق من الرجال والسارقة من النساء فاقطعوا أيديهما يعني أيمانهما هكذا تأوله ابن عباس رضي الله عنهما وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فاقطعوا أيمانهما وقرأ بعضهم والسارقَ والسارقةَ بالنصب على معنى اقطعوا السارق والسارقة أيديهما كما يقول زيدا اضربه بنصب زيدا لوقوع الفعل عليه والقراءة المختارة هي الرفع لأن القطع يقع على الأيدي لا على السارق قال المبرد ليس القصد من الآية إلى واحد بعينه وإنما معنى الآية من سرق فاقطعوا يده بخلاف قولك زيدا اضربه وعلى هذا وجه الرفع في قوله تعالى الزانية والزاني وفي قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وتقدير الآية فيما يتلى عليكم ويشرع لكم والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وإنما ذكر الأيدي بلفظ الجمع الصحيح وأراد بذلك أيمانهما وهما اثنتان وكذلك في قوله فقد صغت قلوبكما لأن ما

كان في الشيء منه واحد ثم ثني لفظه على الجمع والإضافة إلى الاثنين تبين أن المراد التثنية دون الجمع لأنك إذا قلت أشبعت بطونهما علم أن للاثنين بطنين فقط يدل عليه أن أصل التثنية الجمع لأنك إذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدا إلى واحد إلا أن التثنية لا تصح في سائر المواضع لحاجة المعرفة إلى الفصل بين الجماعة والاثنين ولا حاجة إلى الفصل في إضافة الشيئين إلى الاثنين وإن ثني ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز قال الشاعر ظهراهما مثل ظهور الترسين فجمع بالتثنية والجمع في بيت واحد فإن قيل لأي معنى قدم الله جل ذكره السارق على السارقة وقد قدم ذكر الزانية على الزاني قيل لأن السرقة في الرجال أكثر والنساء هم المفتنات للرجال بالتعرض لهم أكثر ولولا تعرض المرأة سيما كما أمرها الله تعالى ورقبت الله تعالى لم تتعرض ولا الرجال في الزنا وأما قوله عز وجل في هذه الآية جزاء بما كسبا فمعناه عقوبة لهما على ما عملا وإنما استحق جزاءً لأنه مفعول له كأنه قال فاقطعوهما لجزاء فعلهما وقوله تعالى نكالا من الله معناه عقوبة وفضيحة من الله تعالى والنكال هو أن ينكل به ليعتبر به غيره فينكل أن يفعل مثل ما فعله وقوله تعالى والله عزيز حكيم أي منيع بالنقمة من السارق ذو حكمة فيما حكم من القطع عليه لما في ذلك من زجر السراق وردعهم صيانة لأموال الناس وظاهر الآية يقتضي وجوب القطع على السارق بسرقة الشيء اليسير والكثير وهو قول الخوارج إلا أن الآثار قد وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا قطع في أقل من عشرة دراهم وبه أخذ أصحابنا رحمهم الله واتفقت الصحابة رضي الله عنهم على اعتبار أصل النصاب في وجوب القطع بالسرقة وإنما اختلفت في المقدار روي عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما مثل قولنا وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لا تقطع الخمس إلا في خمس وهي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه معناه لا تقطع خمس أصابع إلا في خمسة دراهم وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لا قطع إلا في ربع دينار وهو قول الشافعي رحمه الله وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلاثة دراهم وفي قوله تعالى جزاء بما كسبا دليل أن القطع لا يثبت في الشيء اليسير قالت عائشة رضي الله عنها كانت اليد لا تقطع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشيء التافه وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا قطع في الطعام ولا خلاف بين الصحابة ومن بعدهم من العلماء أن الحرز معتبر في وجوب القطع على السارق حتى لو سرق مالا غير محرز لا قطع عليه وكذلك من سرق من حرز هو مأذون بالدخول فيه أو سرق مالا للسارق فيه شبهة لم يجب عليه القطع وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال ادرأوا الحدود بالشبهات وقال صلى الله عليه وسلم لأن يخطئ الإمام في الدرء خير من أن يخطئ في الإصابة ولا خلاف بين العلماء أن السارق إذا سرق أول مرة نصابا كاملا محرزا من غير شبهة قطعت يده اليمنى وأنه إذا سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى وإنما اختلفوا في المرة الثالثة والرابعة قال أصحابنا يحبس حتى يتوب أو يموت وقال الشافعي رحمه الله يقطع في المرة الثالثة يده اليسرى وفي المرة الرابعة رجله اليمنى وفي المسألة خلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم **قوله عز وجل** فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ٥ معنى الآية والله أعلم من تاب عن السرقة من بعد سرقته وأصلح العمل فيما بينه وبين ربه فإن الله يتجاوز عنه أي لا يؤاخذه في الآخرة ولا يقطع يده إذا رد المال قبل المرافعة إلى الحاكم إن الله غفور أي متجاوز عن التائب رحيم لمن مات على التوبة وليس في هذه الآية دليل على أن السارق إذا تاب بعد المرافعة إلى الحاكم أن الحد يسقط عنه بالتوبة لأن التوبة من الله تعالى على عبده إسقاط الإثم عنه إلا أنا حملناها في آية قطاع الطريق على إسقاط الحد بدلالة أن الله تعالى خص التوبة في تلك الآية بما قبل القدرة عليهم والمعنى في ذلك كله أنه إذا تاب وهو تحت يد الإمام وقهره احتمل أنه قصد بإظهار التوبة إسقاط الحد عن نفسه واحتمل أن توبته توبة حقيقة فلا يصدق في أحكام الدنيا بالشك بل يقام عليه ما كان واجبا عليه فإن كان توبته حقيقة كان ذلك زيادة درجة له كما أن الله تعالى ابتلى الأنبياء والصالحين بالبلايا والمحن والأمراض زيادة لهم في درجاتهم وإن لم تكن توبته حقيقة كان الحد عقوبة له على ذنبه وهو مؤاخذ في الآخرة إن لم يتب **قوله عز وجل** ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض

تعذيب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ۝ معناه الم تعلم يا محمد ان الله تعالى له المقدرة
على اهل السموات واهل الارض يعذب من يشا على الذنب الصغير وهو عدل منه ويغفر لمن يشا الذنب العظيم وهو
فضل منه اى يعذب من توجب الحكمة تعذيبه ويغفر لمن توجب الحكمة مغفرته ومشيئته تطابق حكمته وحكمته
تطابق مشيئته ويقال ان المراد بالاية بيان تمام اقتداره على ما يشا ترغيبا فى وعده وتحذيرا من وعيده ليقف العبد
بين الخوف والرجا يرجوا رحمته ويخاف عذابه ولهذا عقب ذكر التعذيب والمغفرة بالقدرة فقال والله على كل
شى قدير قال مجاهد فى معنى الاية يعذب من يشا من المسلمين وان اظهروا التوبة ويغفر لمن يشا من المشركين اذا انتهوا
واسلموا من حيث كان احد الامرين على هذا التدبير اصلح للفريقين لانه لو نفى الحد على الكافر بعد ما اسلم كان ذلك
تبعيدا من اسلامه وتوبته ولو نفاه على المسلم كان ازجر له عن المعاودة **قوله عز وجل** يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم ولم تومن
قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من
بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم توتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك
له من الله شيا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم هم فى الدنيا وهم فى الاخرة عذاب عظيم
معناه يا محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك فعل الذين بعضهم بعضا فى الاقامة على الكفر والحث عليه قرا
نافع لا يُحزنك بضم اليا يقال حزنه يحزنه واحزنه يحزنه ومعناهما واحد وقوله تعالى من الذين قالوا امنا
بافواههم ولم تومن قلوبهم معناه من الذين يقولون بافواههم صدقنا ولم تصدق قلوبهم فى السر وهم
المنافقون ومن الذين هادوا يقول ومن يهود المدينة الذين هم اهل الصلح للنبى صلى الله عليه وسلم وفى هذه
تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفواده بوعد النصر والظفر واعلام ان المنافقين واليهود لا يضرونه
روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية فى ابى لبابة بن عبد المنذر لما استشاره
بنو قريظة وهم فى حصونهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصرهم انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار اليهم
بيده لا انه الذبح واشار الى حلقه فانزل الله تعالى هذه الاية قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى خنت
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس فى قوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب معناه
قوالون للكذب واحب الحديث اليهم الكذب وقوله تعالى سماعون لقوم اخرين اى يقولون لك حديث
اهل خيبر الذين لم ياتوك ولا اصلح بينك وبينهم يسالك يهود المدينة عما حدث فى اهل خيبر يحرفون اى يغيرون كلام
الله تعالى من بعد ان وضعه الله فى التورية مواضعه بان فرض فيها فروضه واحل حلاله وحرم حرامه يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه اى يقول روسا اليهود لسفلتهم ان امركم محمد صلى الله عليه وسلم بجلد الزانى المحصن فاقبلوا
منه واعملوا به وان لم يامركم بالجلد وامركم بالرجم فاحذروا عن الرجم ولا تقبلوا قوله قال وذلك ان رجلا وامراة
من اهل خيبر وهم حرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجرا وكانا لهما شرف وكانا قد احصنا فكرهت اليهود رجمهما
وفى كتابهم الرجم وكتبوا الى اناس من اليهود فاسالوها اليهم فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل الذى بيثرب
واهل بلده وقد فجر فينا فلان وفلانة فاسالوه عن قضائه فيهما فان افتاكم بالجلد فاجلدوهما وان افتاكم بالرجم
فقد تركنا ذلك فى التورية وهى احق ان تطاع فسال يهود المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترضون بقضائى فى ذلك قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحكم الرجم فقال له ان ابوا ان ياخذوا به فاسالهم عن رجل يقال له ابن صوريا وصفه لهم فاجعله بينك
وبينهم فقال لهم عليه السلم نعم اجد فيما انزل الله تعالى على ان الزانية والزانى اذا فجرا وقد احصنا وجب عليهما الرجم
قال فنفروا عن ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا
قالوا نعم قال فاى رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودى بقى على ظهر الارض قال فارسلوا اليه قالوا نعم ففعلوا
فاتاهم ابن صوريا فقال له عليه السلم انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون فقال عليه السلم لليهود اتجعلونه

بينى وبينكم

بينى وبينكم قالوا نعم قد رضينا فقال له عليه السلم فانى انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى انزل التورية
على موسى عليه السلم وفلق لكم البحر ورفع فوقكم الطور وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل
تجدون فى كتابكم الذى اتاكم به موسى عليه السلم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذى ذكرتنى
به لولا خشية التورية ان يحرقنى او تهلكنى ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف انزل عليك يا محمد
قال اذا شهد اربعة انه ادخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب الرجم قال ابن صوريا والذى انزل التورية
هكذا انزل على موسى عليه السلم فقال له قومه ما اسرع ما صدقته ما كنت لما اثنينا عليك باهل وما انت
باعلمنا ووثب عليه سفلتهم فقال خفت ان كذبته ان ينزل بنا عذاب شديد وانشدنى بالتورية فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم برجم اليهوديين الزانيين وقال انا اول من احيا سنة اذ اماتوها وذهب بعض المفسرين فى
قوله سماعون للكذب معناه يسمعون منك ليكذبوا عليك وذلك انهم اذا جالسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تهيا لهم ان يقولوا سمعنا منه كذا وكذا ويقال معناه مستمعون منك لاهل خيبر اى هولاء عيون اولئك الغيب
ويقال معنى سماعون للكذب قابلون للكذب كما يقال لا تسمع من فلان قوله اى لا تقبل منه ومنه
قولهم سمع الله لمن حمده اى قبل الله تعالى منه حمده وفى لفظ السماعين مبالغة ودلالة على ان ذلك عادة وطبعهم
واما قوله تعالى ومن يرد الله فتنته معناه من يرد الله بليته ويقال عقوبته وفضيحته فلن تقدر يا محمد صلى
الله عليه وسلم ان تدفع عنه شيا مما اراد الله تعالى به واصل الفتنة من قولهم فتنت الذهب اذا ادخلته
فى النار واستخلصته واستصفيته واحترق ما كان فيه من الخبث فاذا اضيفت الفتنة الى المومن اريد بذلك
امتحانه وابتلاوه بالمصايب والمكاره ليستخلص من الذنوب ويكون ذلك كفارة له كما ان الصايغ لا يريد
بادخال الذهب فى النار اذلال الذهب واهانته وانما يريد استخلاصه واستصفاه فاذا اضيفت الفتنة الى
الكافر اريد بها الهلاك والاحتراق لان الكفار خبث كلهم والخبث لابد ان يحترق بمنزلة خبث الذهب
والفضة وقوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله اى اهل هذه الصفة هم الذين لم يرد الله ان يفتح قلوبهم ليبصروا
الحق ويقال معناه لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من عقوبات الكفر مثل الختم والطبع والضيق كما شرح صدور
المومنين وطهر قلوبهم بكلمة الايمان فيها وقال الحسن رضى الله عنه لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اى لا يبرى
قلوبهم من الكفر وهم مقيمون على سوء اعتقادهم وقوله تعالى لهم فى الدنيا خزى اى فضيحة بما اظهر الله
تعالى من كذبهم ويقال اراد بالخزى القتل والسبى والجزية ولهم فى الاخرة عذاب عظيم اعظم مما يكون فى الدنيا
قوله عز وجل سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
وان تعرض عنهم فلن يضروك شيا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين ۝ اول
هذه الاية راجع الى الصفة اليهود والمنافقين الذين سبق ذكرهم والفايدة فى اعادة وصفهم [illegible]
ان انهم انما استحقوا الخزى والعذاب لاصرارهم على الكذب واستحلالهم [illegible] اكل السحت واحلهم فى
المراد بالسحت قال ابن مسعود والحسن رضى الله عنهما اراد به الرشوة فى الحكم وقال على وابو هريرة رضى الله عنهما
هو الرشوة على الحكم ومهر البغى وعسب التيس وحلوان الكاهن وثمن الخمر والاستعانة على المعصية كانها حلال
السحت انما الحلال اخذ واصل السحت من الهلاك يقال سحته واسحته اذا استاصله ومنه قوله تعالى فيسحتكم
بعذاب اى يهلككم وسمى الحرام سحتا لانه يودى الى الهلاك والاستيصال وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال كل لحم نبت من السحت فالنار اولى به قيل وما السحت يا رسول الله قال الرشوة فى الحكم وعن مسروق عن ابن
مسعود رضى الله عنهما انه قال الرشوة سحت فقيل له انها فى الحكم قال لا ذاك الكفر ثم قرا ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الكافرون وارادوا بهذا استحلالها [illegible] الرشوة سحت على وجوه منها الرشوة فى الحكم
وذلك حرام على الراشى والمرتشى لانه لا يخلوا اما ان يرشوه ليحكم له الحاكم بحقه فيكون المرتشى اخذا الاجر على اداء
ما هو مفروض عليه ويكون الراشى محابيا كما لا يصلح الحكم ولا ينفذ حكمه واما ان يرشوه ليقضى ما ليس بحق له

فيكون الاثم اعظم و يفسق الحاكم من وجهين وكذلك الراشي وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لعن الله الراشي والمرتشي والرايش واراد بالرايش الذي يمشي بينهما ومنها الرشوة في غير الحكم وهي على
وجهين كما روي عن وهب بن منبه انه قيل له الرشوة حرام في كل شي قال لا انما يكره ان ترشوا لتعطى ما ليس لك
او لتدفع حقا لزمك فاما ان ترشوا لتدفع عن دينك ودمك ومالك فليس بحرام وانما الاثم على القابض واما
الهدايا للامرا والقضاة فانها مكروهة وان لم يكن للمهدي خصم ولا حكومة عند الحاكم روي عن ابي حميد الساعدي
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل ابن اللتبية على الصدقة فلما رجع قال هذا لكم وهذا اهدي لي فقال
صلى الله عليه وسلم ما بال قوم نستعملهم على ما ولانا الله تعالى فيقول هذا لكم وهذا اهدي لي هلا جلس في بيت امه
فينظر ايهدى له ام لا قال محمد بن الحسن رحمه الله في هذا الخبر دليل ان القاضي اذا اهدى اليه رجل ممن كان يهدي اليه
قبل القضا وعلم انه لم يهد اليه لاجل القضا انه يحل له اخذه كما كان ياخذ من قبل فاما قوله فان جاوك فاحكم بينهم
فقد روي ان اليهود لما ارادوا ان ينهضوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد قصة الزنا تعلقت بنو قريظة بني النضير
فقالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد وكتابنا واحد اذا قتلوا
منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا اربعين ومائة وسق وجراحاتنا على النصف
من جراحاتهم فقال عليه السلم دم القرظي وفا بدم النضيري فانزل الله عز وجل هذه الاية اي ان جاك الفريقان كلهم
راضين بحكمك فاحكم بينهم بما انزل الله وان شيت فاعرض عنهم وقال معنى الاية ان جاك اهل خيبر في حكم الزنا فاقض بينهم
بالرجم في هذه الحادثة التي وقعت لهم وفي نظايرها من الحوادث التي تقع من بعد او اعرض عنهم ولا تحكم فيما بينهم خيره الله
تعالى في ان تحكم بينهم وبين ان تعرض عنهم هذا التخيير منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله الاية وقوله
تعالى وان تعرض عنهم معناه وان تعرض عن الحكم والقضا بينهم لا تضرك عضبهم عليك لاعراضك عنهم وقوله تعالى وان
حكمت فاحكم بينهم بالقسط معناه اذا قضيت بين اليهود لا يسوغ لك الا ان تحكم بينهم بالعدل لان الله يحب العادلين في
الحكم **قوله عز وجل** وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝ معناه كيف يرضون بحكمك وعندهم التوريه فيها حكم الرجم والقصاص
وغير ذلك ثم يعرضون عن العمل بها من بعد البيان الذي في كتابهم وليسوا بمصدقين بما عندهم وان يزعمون
انهم يومنون بالتورية وهم كاذبون وفي هذه الاية بيان ان هولاء اليهود كانوا لا يحكمون النبي صلى الله عليه
وسلم بحكم رضي وانقياد ولولا طلبهم الرخص واتباع ما لا يثبته كتابهم والا ما جاوه **قوله عز وجل**
إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ
بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا
قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ معنى الاية انا انزلنا التورية على موسى عليه السلم
فيها بيان من الضلاله وضيا لمن امن به يقضي به النبيون الذين اخلصوا وهذه صفة الانبيا عليهم السلم لا ان
فيهم من لم يخلص كما يقال صلى الله على محمد وعلى اصحابه الطيبين لا يراد بذلك ان من اصحابه من هو خبيث
ومن هو طيب والمراد بالنبيين موسى وعيسى ومحمد عليه السلم وغيرهم من الانبيا الذين كانوا من وقت موسى عليه
السلم الى وقت نبينا صلى الله عليه وسلم ويقال اراد بالنبيين نبينا صلى الله عليه وسلم فانه كان كالنبيين من انبياء
بني اسرايل في ان حكم في الزنا بينهم بحكم التوريه وقيل معنى اسلموا صاروا الى السلامة من قبل اليهود كما
يقال اصبح وامسى اي دخل في الصباح والمسا وقوله تعالى للذين هادوا فيه ثلثه اقوال احدها ان معناه
لليهود والثاني للذين تابوا من الكفر كما في قوله تعالى انا هدنا اليك والثالث ان في الاية تقديما وتاخيرا تقديرها
ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون وهم العلما والعاملون يربون العلم اي يقومون
به والاحبار ساير العلما دون الانبيا والربانيين وانما سمي العالم حبرا لكثرة ما يكتب بالحبر ويقال هو من الحبر
وهو تحسين العلم وتبيين الجهل وقوله تعالى بما استحفظوا من كتاب الله من الرجم وساير الاحكام وكانوا عليه
شهدا

شهدا وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لعلما اليهود اي لا تخشوا السفله والجهال في اظهار نعت النبي
صلى الله عليه وسلم واية الرجم واخشوا عقابي في كتمانها ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا اي لا تختاروا عرضا
يسيرا من الدنيا ويقال هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وجماعة المومنين اي لا تخشوا الناس في اقامة
الحدود وامضايها على اهلها كاينا من كان واخشون في ترك اقامتها ولا تختاروا على الحق شيا من الدنيا
فان الدنيا وما فيها قليل وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله ذهبت الخوارج الى ان معنى الاية ومن لم يحكم
بما انزل الله وحكم بخلافه كان كافرا فعل ذلك اعتقادا كان او غير ذلك وكفروا بذلك كل من عصى الله بكبيرة
او صغيرة فاداهم ذلك الى الضلال والكفر بتكفيرهم الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين بصغاير ذنوبهم واما
عامة اهل الاسلام قالوا ان المراد بهذه الاية ان من جحد شيا مما انزل الله عز وجل مثل ما فعله اليهود
من التحريف والتبديل وانكار بعض ايات كتاب الله فاولئك هم الكافرون اي اهل هذه الصفة بمنزلة الكافر
بالكتب والرسل كلها يدل على هذا انه لا خلاف ان من لم يقض بينهم بما انزل الله لا يكفر بان لم يحكم لان اكثر
الناس بهذه الصفه والحاكم من الناس في كثير حالاته لا يحكم فاذا اصلح للخوارج ان يزيدوا في ظاهر اللفظ فيقولوا
معناه من لم يحكم بما انزل الله وحكم بخلافه صلح لغيرهم ان يقولوا معناه من لم يحكم بصحة ما انزل الله فاولئك
هم الكافرون وهذا عام في اليهود وغيرهم ويقال ان لفظ من في هذا الموضع ليس للجزاء ولكنها بمعنى الذي
كانه قال والذين لم يحكموا وهم الذين ذكرهم بقوله وكيف يحكمونك هم الكافرون **قوله عز وجل**
وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ
وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في الجراحات التي كانت بين بني قريظة والنضير كان
لبني النضير فضل على بني قريظة في العقل والدم ضعف ما كان لبني قريظة فانزل الله تعالى قوله وكتبنا عليهم
اي فرضنا على بني اسرايل في التوريه ان النفس تقاد بالنفس والعين تفقا بالعين وكذلك الانف والاذن
والسن وقوله تعالى والجروح قصاص اي يجري فيها القصاص والقصاص عبارة عن المساواة وقوله تعالى
فمن تصدق به اي من عفى عن مظلمته في الدنيا فهو كفارة للجارح لا يوخذ بها في الاخرة قال ابن عباس فلما
نزل هذا قال صلى الله عليه وسلم ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم فقالت بنو النضير
والله لا نرضى بقضايك ولا نطيعك ولناخذن بالامر الاول فانزل الله تعالى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الظالمون اي من لم يقر ولم يقض ولم يعمل بما انزل الله فاولئك هم الضارون لانفسهم بالوزر
والعقوبة قال الحسن رضي الله عنه من لم يحكم بما انزل الله جاحدا له فهو ظالم ظلم الشرك ومن لم يحكم به
لا على وجه الجحود فهو ظالم ظلم الفسق وفي الاية ما يدل على ان هذه الامة متعبدون باحكام هذه الاية وجميع
احكام التورية الا ما قام الدليل على نسخه لان الله تعالى اخبر بهذا الحكم في التورية ولم يبين لنا حكما خاصا بخلافه
وقال فمن تصدق به فهو كفارة له والظاهر ان قوله فهو كفارة له راجع الى الذي دخل تحت الشرط وهو ولي
القتيل اذا عفى كان عفوه كفارة لذنوبه ويقال عفو المجروح عن الجارح كفارة للمجروح يكفر الله تعالى
عنه بعفوه ما سلف من ذنوبه وهذا لا يكون الا صفة المسلم فاما الكافر اذا عفى عن قصاص وجب له لا
يكون عفوه كفارة له مع اقامته على الكفر وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اصيب بشي
من جسده فتركه لله كان كفارة له وقال بعض المفسرين معنى الكفارة انه يزول بعفو المجروح عقاب ذلك
هذه الذنوب منه ومما يدل على ان هذه الامة متعبدون بهذه الاية ما روي ان الربيع بنت انس لطمت وجه جارية
فكسرت سنها فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فامر بالقصاص فقال اخوها انس بن النضر اتكسر سن الربيع
بسنها لا والذي بعثك بالحق نبيا فقال صلى الله عليه وسلم كتاب الله تعالى القصاص وليس في القران ذكر القصاص
في السن صريحا الا في هذه الاية واتفق القرا ان قوله النفس بالنفس منصوب واختلفوا فيما بعده قرا عاصم وحمزة ونافع

كل ذلك بالنصب على معنى انا وقرا الكسائى كل ذلك بالرفع على معنى الابتداء ويجوز ان يكون رفعه على
معنى انه عطف على موضع النفس اى قلنا لهم النفس بالنفس وفاء او النفس ماخوذة بالنفس وكذلك العين والانف
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر كل ذلك بالنصب غير قوله والجروح فانهم يقرؤونه بالرفع وقد سبق ذكر
احكام القصاص في النفس في قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى فاما القصاص في الاطراف فانما
يجب القصاص في العين اذا ضربها رجل فذهب ضوؤها وهي قايمة فانها تشد العين الاخرى ويحمى الى العين التي
يجب فيها القصاص من الضارب ثوب او قطن مبتل ويحمى مراة وتقرب الى العين التي يجب فيها القصاص حتى يذهب
ضوؤها فاما اذا قلع رجل عين رجل اخر فلا قصاص في ذلك لتعذر استيفايه على وجه المساواة فانا لو قلعنا عين
القالع لم يكن للقلع حد معلوم ينتهى اليه فيقلع على ذلك القدر الذى قلعه القالع وهذا كمن قطع قطعة لحم من
فخذ رجل او ذراعه فانه لا يجب فيه القصاص واما الانف بالانف فمعناه اذا قطع المارن وهو ما لان من الانف
وجب فيه القصاص فاما اذا قطع الانف من اصله فلا قصاص فيه لانه عظم لا يمكن استيفاؤه على وجه المساواة
كمن قطع يد اخر من نصف الساعد ويروى عن ابى يوسف ان الانف اذا استوعب ففيه القصاص وكذلك الذكر
واللسان فاما الاذن بالاذن فمعناه اذا استوعبت بالقطع فاما اذا قطع بعض الاذن فلا قصاص فيه فاما السن
بالسن فمعناه القلع وكسر البعض اما القلع فيمكن استيفاؤه على وجه المساواة كاليد باليد من المفصل واما
الكسر فانه يبرد بمقداره بالمبرد فيستوفى القصاص واما ساير العظام فلا يمكن استيفاؤها على وجه المساواة
ولا يجوز استيفاء اليمنى باليسرى ولا اليسرى باليمنى وان تراضيا على ذلك لانه لا مساواة بينهما ولا يستوفى عينان بعين
واحدة ولا يدان بيد واحدة عند اصحابنا رحمهم الله وفرقوا بين الاطراف والنفس بمعنى التساوى في الاطراف
في البدل شرط في وجوب القصاص الا ترى ان اليد الكاملة السليمة لا تستوفى باليد الشلاء ولا بناقصة
الاصابع لاختلاف البدلين في البدل وهذا المعنى غير معتبر في النفس الكاملة الاعضاء والجوارح بل يستوفى
بناقصها ويقتل الرجل بالمراة فعلم ان التساوى في الانفس غير معتبر ولهذا لا يجرى القصاص عندنا بين الرجل والمراة
في الاطراف ولا بين الحر والعبد لعدم التساوى بين الطرفين في البدل وكذلك بين العبد والعبد ولا يمكن
معرفة التساوى بين اطرافهما في البدل واما قوله تعالى والجروح قصاص فمعناه والجروح التي لها حد معلوم مثل
الموضحة ونحوها واما ما ليس له حد معلوم لا يمكن معرفة التساوى فيه ففيه الارش دون القصاص **قوله
عز وجل** وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل
فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين ٥ معنى الاية والله اعلم
اتبعنا النبيين الذين ذكرناهم عيسى بن مريم وجعلناه ممن يقفوهم يقال قفوت اثر فلان اذا اتبعته
وحقيقة التقفية الاتيان بالشيء في قفا غيره وقوله مصدقا لما بين يديه نصب على الحال من عيسى بن مريم
عليه السلام كان مصدقا بالكتاب الذى انزل قبله وهو التورية وقوله تعالى واتيناه الانجيل معناه واعطيناه
الانجيل فيه هدى من الضلالة وبيان للاحكام وقوله الثانى ومصدقا لما بين يديه من التورية نعت الانجيل
اى اعطيناه ذلك كتابا فيه هدى ونور ومصدقا اى وموافقا لما تقدمه من التورية وهدى اى بيانا لنعت النبى صلى
الله عليه وسلم وصفته وموعظة نهيا للذين يتقون الفواحش والكباير **قوله عز وجل** وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون ٥ معناه وليقض اهل الانجيل
وهذا جزم بالامر اى قلنا لهم احكموا بما انزل الله تعالى في الانجيل قال الكلبى بين الله تعالى حكم الرجم على الزانى
المحصن وحكم القصاص في النفس والاطراف وحكم القطع على السارق في التورية والانجيل وفيما انزل على نبينا
صلى الله عليه وسلم وجميع هذه الكتب يصدق بعضها بعضا كانه ذهب الى ان الله تعالى امر اهل الانجيل في ذلك
الزمان ان يحكموا بما انزل الله فيه لموافقة احكامه احكام القران ويقال ان الغرض من هذه الاية بيان ان اهل
كل كتاب لو رجعوا الى كتابهم وحكموا بما فيه لكن يلزمهم اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم لما في كتابهم من بيان

نعته

نعته وصفته ووجوب الايمان به ومكذبا به والاصل في قوله تعالى كسر اللام الا ان الكسرة حذفت استثقالا
لها وقراءة حمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم اى اتيناه الانجيل لكى يحكم اهل الانجيل بما انزل الله
فيه وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله معناه من لم يقض بما انزل الله في كتبه على رسله فاولئك هم الخارجون
عن امر الله تعالى وقد تقدم في ترك حكم الله ان من تركه جاحدا له فهو فاسق فسق الكفر ومن تركه
لميله الى احد الخصمين مع اقراره بانه حكم الله وتصديقه به فهو فاسق فسق المعصية **قوله عز وجل**
وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما
انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
ولكن ليبلوكم في ما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ٥ معناه وانزلنا
اليك يا محمد صلى الله عليه وسلم القران بالصدق موافقا لما تقدمه من الكتب في التوحيد وتبيان الحق من
الباطل ومهيمنا عليه اي امينا ومؤتمنا على ما قبله من الكتب ويقال شاهدا على الكتب كلها وهذا وصف خاص للقران
دون ما سواه واصل مهيمن مؤتمن على وزن مفيعل من الامانة الا ان الهاء ابدلت من الهمزة كما قالوا ارقت الماء
وهرقت واياك وهياك وهيهات وايهات ونظير المهيمن مسيطر وقوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله معناه فاحكم
في الزاني والزانية بالرجم ويقال احكم بين بني قريظة وبني النضير في الجراحات التي بينهم في التسوية بين الفريقين
ولا تتبع اهواءهم اي لا تعدل بهواهم ومرادهم عما جاءك من الحق وقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا معناه
لكل نبي منكم معشر الانبياء صلوات الله عليهم بينا فرائض وسننا واصل الشرعة من قوله شرع يشرع شروعا اذا
دخل في الامر دخولا ظاهرا والشرعة والشريعة هو المخلص الى الجنة والدرجات كشريعة الانهار والحياض في الدنيا
هو المخلص الى الشرب والاستقاء منها وانما سميت الامور التي يعبد الله بها من جهة امره شرعة وشريعة لايصالها
العاملين بها الى الجنة الدائمة في النعيم الباقي كما ان شريعة الماء في الدنيا هي التي يتوصل بها الى الماء الذي فيه
الحياة والمنهاج ماخوذ من نهج ينهج اذا تبين اى امرنا كل امة بما علمنا ان صلاحهم فيه ويقال ان الشرعة
والمنهاج كلاهما الطريق والطريق هاهنا الدين وقد يعبر عن الشيء الواحد بلفظين مختلفين تاكيدا للكلام
وقال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستمر ويقال معنى المنهاج الدلائل الواضحة التي بها يستدل
على الفرائض من كتاب وسنة ووحي وقوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة معناه لو شاء لجعلكم على امر
واحد في دعوة جميع الانبياء صلوات الله عليهم ولكن ليبلوكم فيما اتاكم معناه ولكن ليختبركم فيما اعطاكم من الكتب وفيما امركم
به من السنن والشرائع المختلفة فيتبين من يطيع الله ممن يعصيه وقال الحسن رضي الله عنه اراد بقوله ولو شاء الله مشيئة القدرة
على اجبارهم على القول بالحق كما في قوله تعالى ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وقوله عز وجل
فاستبقوا الخيرات اى بادروا يا امة محمد صلى الله عليه وسلم الخيرات والطاعات والاعمال الصالحة قبل الفوت
بالموت كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك
وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وهذا الخبر يتضمن موعظة بليغة يستغنى بها العاقل عن كثير
من وعظ الواعظين واما قوله تعالى الى الله مرجعكم معناه اليه مرجع من امن ومن لم يؤمن فيخبركم يوم القيمة
بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والشريعة **قوله عز وجل** وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ٥ معناه انزلنا اليك الكتاب بالحق وبان احكم بين اليهود بما انزل الله
من رجم الزاني المحصن والقصاص للشريف بالوضيع ولا تتبع هواهم في الجلد وترك الرجم واحذرهم ان يستزلوك
عن بعض ما بين الله تعالى في كتابه قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان يهود بني النضير قالوا فيما بينهم اذهبوا بنا
الى محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا نفتنه عن دينه فانما هو بشر فاتوه قالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم انك قد عرفت انا
احبار اليهود واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة

فيحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونومن بك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وكان حريصا على اسلامهم فنزل
قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك وقوله تعالى فان تولوا معناه ان اعرضوا عن حكمك
فاعلم انما يريد الله ان يعاقبهم بالقتل من بني قريظة والجلا الى الشام في بني النضير ببعض ذنوبهم اى لما سلف
من ذنوبهم وهو جحودهم لدينك ونعتك في التورية والانجيل وان كثيرا من الناس لفاسقون اى خارجون
من الطاعة ناقضون للعهد **قوله عز وجل** أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ه معناه ايطلبون من حكم الزنا والقصاص وهم اهل الكتاب سيا لم ينزله الله عليكم كما يفعل
اهل الجاهلية واى احد اعدل في الحكم من الله تعالى وقوله تعالى لقوم يوقنون معناه ان من ايقن تبين له
عدل الله في حكمه **قوله عز وجل** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ه وذلك انه لما كانت وقعة احد خاف
اناس من المسلمين ان تظهر عليهم الكفار فاراد من كان بينه وبين اليهود والنصارى صحبة ان يتولوهم ويعاقدوهم
فنهاهم الله تعالى عن ذلك ويقال نزلت الاية في المنافقين ومعنى الاية يا ايها الذين تكلموا بكلمة الاسلام لا تتخذوا
اليهود والنصارى احبابا في العون والنصر بعضهم على دين بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم اى اذا تولاه لاجل
كفره صار كافرا مثله فاما اذا تولاه لا لكفره فهو من جملة المستحقين لعذاب الله لمخالفته امر الله لموالاته
من اوجب الله تعالى عليه ان يعاديه وعن عبد الله بن عباس والحسن رضي الله عنهما انهما استدلا بهذه الاية على
اباحة ذبائح النصارى نصارى بني تغلب مثل نصارى بني اسرائيل وقالا لو لم يكن من نصارى بني تغلب الا تولي النصارى
لكانوا منهم لقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين اى لا يرشد اليهود
والنصارى الى دينه وحجته ما داموا على كفرهم ويقال معناه لا يهديهم بالمدح لهم والثنا عليهم ولا يلطف لهم
كما يلطف للمومنين ومن الناس من استدل بهذه الاية على من اعتقد من اهل ملتنا اعتقادا يجب اكفاره بذلك
الاعتقاد انه تحل لسائر المومنين ذبيحته ويجوز لهم مناكحة المراة منهم لانهم ينتحلون دين الاسلام بزعمهم ويوالون
المسلمين وينسبون الى القران فحكمهم مع المسلمين كحكم اليهودي الذي يعتقد بعض اليهودية وينتسب الى
ملة اليهود تحل ذبيحته كما تحل ذبيحة سائر اليهود **قوله عز وجل** فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ
فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا
فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ه وذلك ان المنافقين كانوا يوادون يهود بني قريظة ونصارى اهل نجران لانهم
كانوا اهل ريف وكانوا يميرونهم ويقرضونهم فقال المنافقون كيف نقطع مودة قوم ان اصابتنا سنة
واحتجنا اليهم وسعوا علينا في المنازل وعرضوا علينا الثمار الى قابل فنزل قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم
مرض يسارعون فيهم اى ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم الذين في قلوبهم شك ونفاق يبادرون
الى ولاية الكفار ومعاقدتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة اى شدة وجدوبة ويقال اراد بهذا
القول انهم يخشون ان لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم بان يدور الامر على هذه الحالة التي هم عليها فيحتاجون
الى الكفار يقول الله عز وجل فعسى الله ان ياتي بالفتح اى عسى ان يظفر المسلمون وعسى من الله واجب
وسمى النصر فتحا لان فيه فتح الامر المغلق وقوله تعالى او امر من عنده معناه او يقضي بالخصب لمحمد صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ويقال هو ان يومر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار امر المنافقين
وقتلهم فيصبح المنافقون على ما اضمروا في انفسهم من ولاية اليهود والنصارى او درس اليهود والنصارى
عليهم نادمين فلا ينفعهم الندامة حينئذ **قوله عز وجل** وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ
أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ه معناه يقول المومنون
المخلصون عند ما يظهر الله تعالى المنافقين اهولاء الذين اقسموا بالله يعنون المنافقين الذين حلفوا بالله
انهم لمعكم على دينكم حبطت اعمالهم بطل ما اظهروه من الايمان والاعمال الصالحة فصاروا مغبونين في الدنيا

والعقوبة

والعقوبة وقوله تعالى جهد ايمانهم تفسير للقسم بالله تعالى فان من يحلف بالله تعالى فقد بذل الجهد
في يمينه اذ لا يمين اعظم من اليمين بالله تعالى ولا حرمة اعظم من حرمة الله تعالى قال عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما فجا الله بالفتح ونصر الرسول صلى الله عليه وسلم وجا امر الله تعالى من عنده باجلاء بني النضير وقتل
بني قريظة وسبي ذراريهم فندم المنافقون حين ظهر نفاقهم وقال المومنون اهولاء الذين اقسموا بالله جهد
ايمانهم انهم لمعكم وفي قوله تعالى ويقول الذين امنوا ثلاث قراات احدها بالواو وضم اللام وهي قراءة
عاصم وحمزة والكسائي عطفا على قوله فيصبحوا كانه قال نادمين وقائلا لهم الذين امنوا والثانية بالواو
وفتح اللام وهي قراءة ابي عمرو ومعناها عسى الله ان ياتي بالفتح وعسى ان يقول الذين امنوا والثالثة بحذف
الواو وضم اللام وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وهكذا كتب في مصاحف اهل الشام والحجاز بغير
واو فاما في مصاحف اهل العراق فمكتوب بالواو **قوله عز وجل** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ه في هذه
الاية تهديد لمن لا ثبات له على الايمان قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اسد وغطفان وناس من
كندة ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد ابي بكر رضي الله عنه وبقيت بلله مساجد لم يرتدوا
مكة والمدينة والبحرين فاتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اعز الله تعالى بهم الدين وهم الفان من النخع وخمسة
الاف من بجيلة وكندة فذلك قوله سبعة الاف من اهل اليمن وثلثة الاف من افنا الناس فقاتلوا الذين
ارتدوا عن الاسلام وهم الذين اثنى الله عليهم بقوله تعالى اذلة على المومنين اى يلينون لهم جانبهم ليس هذا
من الهوان انما هو من اللين والرفق كما في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقوله تعالى
اعزة على الكافرين اى اشدا اقويا يعادون الكفار ويغالبونهم ونظير هذه الاية قوله تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم وقوله تعالى يجاهدون في سبيل الله معناه يقاتلون العدو في
طاعة الله ولا يخافون لومة اللائمين ذلك التمكين والتوفيق فضل من الله تعالى يكرم به من يشا من كان اهلا
لذلك والله واسع الفضل والرحمة عليم من يصلح للهدى والاصل في قوله تعالى من يرتد يرتدد وهو قراءة نافع
وابن عامر وموضعه جزم بالشرط الا ان اكثر القراء ادغموا الدال الاولى في الثانية فاسكنوا الاولى ثم حركوا
الثانية الى الفتح لالتقاء الساكنين وفي الاية دليل على صحة امامة ابي بكر وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم
لان الذين ارتدوا من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انما قاتلهم ابو بكر وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم
وقد اخبر الله تعالى انه يحبهم ويحبونه وانهم يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لايم ومعلوم ان من كانت
هذه صفته فهو ولي الله تعالى ولم تقاتل المرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الا هولا المذكورون واتباعهم
قوله عز وجل إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ه روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في مسلمي اهل
الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوتنا قاصية لا نجد محدثا دون
هذا المسجد وان قومنا لما راونا صدقنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتركناهم ودينهم اظهروا لنا العداوة
وحرموا ان لا ينا كحونا ولا يواكلونا ولا يخالطونا ولا نستطيع ان نجالس اصحابك لبعد المنزل فبيناهم يشكون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ناسا في المسجد يصلون من قايم في الصلوة وساجد وراكع واذا بمسكين
يطوف يسال الناس فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال هل اعطاك احد شيئا قال نعم قال ما
ذا قال خاتم فضة قال من اعطاكه قال ذاك الرجل فاذا هو علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال على اى حال
اعطاكه قال اعطانيه وهو راكع فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على عبد الله بن سلام واصحابه
وانسهم بما ابدلهم الله به من ولاية الله وولاية رسوله صلى الله عليه وسلم وولاية المومنين ومعنى الاية

انما حافظكم وناصركم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والمومنون الذين يقيمون الصلوات الخمس بحقوقها ويعطون الصدقة في حال ركوعهم وفي الاية دليل اباحة العمل اليسير في الصلوة لان قوله وهم راكعون اخبار عن الحالة التي تقع فيها الصدقة كما يقال تكلم فلان وهو قايم واعطى فلان وهو قاعد ولو كان المراد بقوله تعالى وهم راكعون وهم يصلون النوافل لكان تكرارا لما تقدم ذكره في اول الخطاب بقوله الذين يقيمون الصلوة فثبت ان المراد بالاية مدح الصدقة في حالة الركوع **قوله عز وجل** وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ٥ معناه من يختر طاعة الله وطاعة رسوله ومحبة المومنين فان جند الله هم الغالبون على جند الشيطان اي العاقبة للمومنين **قوله عز وجل** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥ وذلك ان اليهود كانوا اذا قام بلال الى الاذان يضحكون ويستهزون ويقولون قام الغراب لا قام واذا قام المومنون الى الصلوة قالوا قد قاموا لا قاموا واذا راوهم ركعا وسجدا استهزوا بهم وتغامزوا فيما بينهم تنفيرا للناس عن الصلوة وعن الداعي اليها وذلك قوله تعالى يايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا اي لا تتخذوا اليهود والنصارى الذين يتخذون دينكم استهزاء وسخرية يسخرون منكم اذا اذن موذنكم ويضحكون من صلاتكم اذا صليتم يعدون ذلك باطلا وفي قوله تعالى والكفار قراءتان النصب والخفض فمن قرا بالنصب فمعناه ولا تتخذوا الكفار اولياء واراد بالكفار مشركي العرب ومن قرا بالخفض فمعناه من الذين اوتوا الكتاب ومن الكفار وقوله تعالى واتقوا الله معناه واخشوا الله في ولاية الكافرين ان كنتم مقرين مصدقين بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي الهزو ثلث لغات ضم الزاي مع تحقيق الهمزة واسكان الزاي مع تحقيق الهمزة وضم الزاي مع ابدال الواو من الهمزة لانضمام ما قبلها وهذه اللغات كلها مقروة ويجوز في اللغة هزا مثل هدى ولكن لا يقرا الا بما صحت به الرواية **قوله عز وجل** وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ معناه اذا ناديتم الناس الى الصلوة بالاذان والاقامة اتخذوها سخرية واستهزاء وضحكة وباطلا ذلك الاستهزاء واللعب بانهم قوم لا يعقلون ثواب الله تعالى في اقامة الصلوة ولا عقابه في اضاعتها وتقال لا يستعملون عقولهم فيما ينفعهم فكانه لا عقل لهم روي ان رجلا من اليهود كان اذا سمع الموذن قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه البيت بنار فوقعت شرارة منها في البيت فالتهب البيت واحترق هو واهله واستجيب دعاوه على نفسه وفي الاية دليل ان للصلوة اذانا يدعى به الناس اليها ونظير هذه الاية قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله **قوله عز وجل** قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ٥ معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم يا اهل الكتاب هل تطعنون علينا الا لايماننا بالله والقران ولان اكثركم فاسقون اي انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون انا على حق لانكم فسقتم بان اقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم بها الاموال فهل تجدون سبا بعاب علينا الا هذا فلماذا تطعنون ويجوز في اللغة تنقمون بفتح القاف يقال نقمت على الرجل انقم ونقمت انقم اذا بالغت في كراهة الشي والاجود نقمت بالفتح قال الله تعالى وما نقموا منهم واما قوله وان اكثركم فاسقون قال بعضهم اراد بالاكثر كلهم والاكثر قد يقوم مقام الكل ويقال انما ذكر بلفظ الاكثر لان الاية خرجت مخرج التلطف للدعا الى الايمان وكان في سابق علم الله تعالى ان فيهم من يسلم وكان في القوم من لا يطعن بنفسه في دين الاسلام وان كان يسكت عن طعن الطاعنين فان قال قايل كيف يجوز ان يعلم احد ان دينا من الاديان حق ثم يوثر الباطل على الحق فالجواب عنه ان اكثر ما نشاهده كذلك الا ترى ان الانسان يعلم ان القتل يورث النار ثم يقتل

اما لتشفي غيظ او لاخذ مال وكان ابليس يعلم ان الله تعالى يدخله النار بمعصيته فما تزهد فعمل على دخول النار وهو باب بين **قوله عز وجل** قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ٥ وذلك ان اليهود قالوا للمسلمين ما نعلم اهل دين اقل حظا منكم في الدنيا ونرجوا ان تكونوا في الاخرة كذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهولا اليهود هل اخبركم باسوا من الذين قلتم جزاء عند الله وقوله تعالى من لعنه الله في موضع رفع على معنى هو من ابعده الله تعالى من رحمته وسخط عليه وهم اليهود ويجوز ان تكون في موضع خفض بدلا من شر على معنى هل انبئكم بمن لعنه الله وقوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير معناه مسخ بعضهم قردة في زمن داود عليه السلم بدعايه عليهم حين اعتدوا في السبت واستحلوه ومسخ بعضهم خنازير في زمن عيسى عليه السلم بعد اكلهم من المايدة حين كفروا بعد ما راوا من الايات البينات وروي انه لما نزلت هذه الاية قال المسلمون لليهود يا اخوة القردة والخنازير فنكسوا رؤسهم وفضحهم الله واما قوله تعالى وعبد الطاغوت فمعناه ومن عبد الطاغوت اي بالغ في طاعة الشيطان والكهان وروسا المعصية وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وعبدوا الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرا وعُبَّدَ الطاغوت بالتشديد وخفض الطاغوت وهم جمع عابد كما يقال راكع وركع وساجد وسجد ويقرا وعبّاد على وزن فعّال وكفار ويقرا وعَبُدَ الطاغوت بجر الباء على تقدير ومن جعله الله تعالى عبد الطاغوت وقرا بعضهم وعُبُدَ الطاغوت بضم العين والباء وهو جمع العبيد كما يقال رغيف ورغف وسرير وسرر وقرا حمزة وعَبُدَ الطاغوت بنصب العين والدال وضم الباء وكسر التاء قال ابو عبيدة لم يصح في اللغة ان يقال للواحد عبُد ويحتمل ان يكون معناه الوحدان كما يقال عضد وعضد وكبد وكبد وقوله تعالى اولئك شر مكانا معناه اهل هذه الصفة شر مكانا من الذين امنوا واضل عن قصد الطريق فان قيل كيف يكون معنى قوله للمشركين اولئك شر مكانا وليس في الايمان شر وضلال قيل تسمية المشركين شر مكانا لا يوجب ان يكون في الاسلام شر ونظيره قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومعلوم انه لا خير في مستقر الكفار ولا في مقيلهم **قوله عز وجل** وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ٥ واذا جاكم المنافقون من اهل الكتاب قالوا امنا بك ونحن نعرف نعتك وصفتك يقول الله عز وجل وقد دخلوا بالكفر اي دخلوا عليكم وخرجوا من عندكم كافرين في السر كما دخلوا خرجوا وقوله تعالى وهم للصلة والتاكيد ويحتمل ان يكون معناه وقد دخلوا عليكم بالكفر وهم الذين قد خرجوا به من عندكم ويكون الخروج بالكفر مقدما على الدخول عليه في المرة الثانية وقوله تعالى والله اعلم بما كانوا يكتمون اي هو اعلم بما يضمرون في قلوبهم من الكفر والنفاق فاعلمكم به واطلعكم عليه **قوله عز وجل** وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٥ معناه وترى يا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا من اليهود والمنافقين يبادرون في المعصية والاعتدا والظلم واكلهم الرشوة والحرام في تغيير احكام الله تعالى لبيس ما يعملونه من المعصية ومجاوزة الحد **قوله عز وجل** لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ٥ معناه هلا ينهاهم العاملون بالعلم والعلما الذين هم دونهم عن قول الشرك والكذب على الله تعالى واكل الحرام والرشوة في الحكم قال الحسن رضي الله عنه الربانيون علما النصارى والاحبار علما اليهود ويقال هو كله في اليهود وقوله تعالى لبيس ما كانوا يصنعون معناه ساء ما يصنع علماوهم من كتمانهم الحق وتركهم النهي عن المعصية واما قوله لولا فقد يدخل في الكلام الماضي ومعناه التوبيخ كما في قوله تعالى لولا جاوا عليه باربعة شهدا وقد يدخل

للمستقبل بمعنى الامر كما تقول للرجل هلّا تفعل كذا اى لم لا تفعل وكون ذلك بمعنى الامر وهى فى
هذه الاية للاستقبال ومعناها الامر بالنهى وفى الاية بيان ان علما اليهود على سوء ليس فيهم ربانى
ولا حبر الا بالتسمية يخالطون اهل الظلم والمعصية فداهنون ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن
المنكر وروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما والضحاك رحمه الله ان هذه الاية من اشد الايات
فى تخويف من ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر **قوله عز وجل** وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ
مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ
مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا
نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ٥ قال عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما نزلت هذه الاية فى فنحاص بن عازورا اليهودى واصحابه كان الله تعالى بسط عليهم الرزق
فكانوا من اخصب الناس واكثرهم خيرا فلما عصوا الله تعالى فى محمد صلى الله عليه وسلم وبالغوا فى تكذيبه
كف الله عنهم بعض الذى كان بسط عليهم فعند ذلك قالت اليهود يد الله مغلولة قالوا على سبيل الهزوان
الله محمد صلى الله عليه وسلم الذى ارسله ممسكة يده عنا فى الرزق لا يبسط علينا فى الرزق كما كان يبسط
وهذا اللفظ فى كلام العرب عبارة عن البخل كما قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اى لا تمسكها
عن الانفاق وقوله تعالى غلت ايديهم جواب عن كلامهم على طريق المقابلة والازدواج اى امسكت ايديهم
عن الانفاق فى الخير وجعلوا بخلاء ويقال هذا اللفظ تضمن اباحة الدعاء عليهم بالبخل ليكونوا بخلاء
كقوله تعالى قاتلهم الله واليهود ابخل الناس ولا امة من الامم ابخل منهم ويقال معنى غلت ايديهم غلت
الى اعناقهم فى نار جهنم ويقال لا يخرج يهودى من دار الدنيا الا ونصيره معلولة الى عنقه وقوله تعالى
ولعنوا بما قالوا اى عذبوا بالجزية وطردوا من رحمة الله تعالى بقولهم يد الله مغلولة وقوله تعالى بل
يداه مبسوطتان عبارة عن الجود وكثرة العطية لمن يشا كما يقال فلان بسيط اليدين وباسط اليدين
اذا كان جوادا يعطى بهذه ويسره وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان معنى قوله بل يداه مبسوطتان
بل نعمتاه واراد بذلك نعمة الدين والدنيا ويقال اراد به نعمته الظاهرة ونعمته الباطنة ويقال من نعمه
ما يكون بالضرّ حتى اذا اظهرت المضرة حدثت العاقبة ومنها ما يكون باليسر والوسعة ولا ينبغى ان يظن
اليهود انا اذا ضيقنا فذلك خارج عن النعمة اذا وسعنا وقيل ان التثنية فى هذا الباب للمبالغة فى صفة
النعمة كما تقول العرب لبيك وسعديك قال الاعشى يداك يدا جود فكف مفيده وكف اذا ما ضن بالمال تنفق ه
وهذا كله لان اليهود قصد والتجبيل الله تعالى فاجيبوا على قدر كلامهم وفى قوله تعالى ينفق كيف يشاء
دليل ان المراد جواب اليهود بيان بسط النعمة وان الله تعالى يرزق كيف يشا بحسب المصالح فربما كان
الصلاح فى ان يقتر وربما كان الصلاح فى ان يوسع فلا يخلو احكمه عن الحكمة وفى الاية ما يدل على
بطلان قول من يحمل الاية على اليد التى هى الجارحة لان اليهود لو كانوا ارادوا بقولهم يد الله مغلولة
الجارحة لم يكن قوله ينفق كيف يشا جوابا لهم وكيف يجوز ان يعتقد احد فى ربه تعالى انه يغل نفسه او
او يغله غيره فثبت ان المراد بالاية بيان الجود والسعة وكثرة العطية على ما تقتضيه المصلحة وذهب بعض
المفسرين الى ان اليهود عنوا بقولهم يد الله مغلولة الفقر كما اخبر الله تعالى عنهم جل ذكره لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير وقال الحسن رضى الله عنه فى معنى الاية ان اليهود قالوا يد الله مقبوضة عن عذابنا
فلا يعذبنا الا قدر ما عبدنا العجل فقيل لهم غلت ايديهم اى فى النار وقيل بل يداه مبسوطتان اى قدرتاه
بالثواب والعقاب والغفران والعذاب مبسوطة مطلقة يفعل ما يشا من المغفرة والرحمة وغيرهما
واعلم ان اليد فى اللغة تنصرف الى وجوه منها الجارحة وهى معروفة ومنها النعمة كقولك لفلان على
يد اشكره عليها اى نعمة ومنها القوة كما فى قوله تعالى اولى الايدى والابصار وقوله تعالى والسما بنيناها

ملكوت

بايد

بايد ومنها الملك كقوله تعالى الذى بيده عقدة النكاح اى يملكه وقوله تعالى الذى بيده الملك اى نفذ امره
ومنها الاختصاص بالفعل كما فى قوله تعالى لما خلقت بيدى اى توليت خلقه وفايدته التشريف ومنها التصرف
كقولك هذه الدار فى يد فلان اى هو يتصرف فيها بالسكنى والاسكان ويقال فلان اسلم على يدى فلان
اى كان سببا فى اسلامه ويقول الرجل فى شكوى الحال يدى منقبضة فلا تنبسط ويقال فلان شديد اليد
اى فى منعه وحجره فاذا كانت اليد فى اللغة تنصرف على هذه الوجوه فلا بد من حملها على الوجه الذى هو اقرب الى ظاهر
الاية وموافق لاقاويل المفسرين ولو جازت الجارحة على الله تعالى لبطل كونه الها قديما لان الجارحة لا تخلو
من جمع وتفريق وما لم يخل من الحدث لا يكون قديما ولو جاز فى الجوارح المركبة ان تكون قديمة لم نامن فى كثير
من الاجسام ان تكون قديمة ولو جاز ان تستغنى الجوارح المركبة عن مؤلف ومركب لجاز ذلك فيما فلا يمكن
يمكن اثبات الصانع مع هذا القول واما قوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك فمعناه ليزيدن القران
الذى انزل اليك وما فيه من حكم الدنيا ونعت الاسلام وحكم الرجم كثيرا من اليهود طغيانا وكفرا اى كلما
نزل عليك شى من القران كفروا به فيزيد كفرهم ونسب الطغيان الى ما انزله لان ذلك سبب لزيادة كفرهم
وهذا كالرجل يقول لولده اوعبده ما ادرك وعظى الا شرا ونصحى الا فسادا ومعلوم انه ليس يعظه لزيادة الشر
وقوله تعالى والقينا بينهم العداوة والبغضا اى جعلناهم مختلفين فى دينهم متباغضين كما قال جل ذكره تحسبهم
جميعا وقلوبهم شتى وقوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب معناه كلما اجمعوا على قتالكم واعدوا للحرب
فرق الله جمعهم واطفا نار مكرهم وخالف بين كلمتهم والاصل فى عبارة ايقاد النار عن الاستعداد للحرب ان القبيلة
الكبيرة من العرب كانت اذا ارادت حرب اخرى منها اوقدت النيران على روس الجبال والمواضع المرتفعة
لتجتمع القبيلة روسها فيعلمون انهم قد ندبوا الى الاستعداد للحرب واما قوله تعالى ويسعون فى الارض
فسادا فمعناه يجتهدون فى دفع الاسلام وقوله تعالى والله لا يحب المفسدين اى لا يرضى عمل اهل الفساد
وبالله التوفيق ٥ **قوله عز وجل** وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٥ معنى الاية ولو ان اليهود والنصارى صدقوا بالله وبالقران وتابوا من
اليهودية والنصرانية لعفونا عنهم وسترنا عليهم ذنوبهم التى كانت فى اليهودية والنصرانية ولادخلناهم
فى الاخرة بساتين يتنعمون فيها **قوله عز وجل** وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا
يَعْمَلُونَ ٥ معناه ولو انهم عملوا بما فى التورية والانجيل ولم يكتموا ما علموا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
فيهما وعملوا بالقران الذى انزل على كافة الناس لوسعنا عليهم الرزق بانزال المطر من السماء واخراج
النبات والثمار من الارض والشجر وهذا كما يقال فلان فى نعم من قرنه الى قدمه ويراد به لكثرة الخير
وفى الاية بيان ان التقى سبب لتوسعة الرزق واستقامة الامر فى الدنيا والاخرة لان المكلف لا يخلو
اما ان يكون له هم الدنيا والاخرة او هم الدنيا او هم الاخرة فكيف ما كان فمراده ومقصوده ووصوله
الى نعم الله تعالى معلق بالهدى والتوفيق من عند الله تعالى ونظير هذه الاية قوله تعالى ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب واما قوله تعالى منهم امة مقتصدة قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما معناه من اهل
الكتاب جماعة عادلة فى القول وهم الذين اسلموا منهم وهم ثمانية واربعون رجلا النجاشى واصحابه من
النصارى وبحيرا الراهب واصحابه وسلمان الفارسى واصحابه وجبر مولى لقريش وعبد الله بن سلام واصحابه
وقال بعضهم اراد بالمقتصدة الطايفة التى لم تناصب النبى صلى الله عليه وسلم مناصبة اكثرهم والاقرب هو القول
الاول لان الظاهر ان الله تعالى لا يثنى من كان على شى من الكفر مقتصدا وقوله تعالى وكثير منهم ساء ما
يعملون معناه كثير من اهل الكتاب بيس الشى عملهم فى كتمان نعت النبى صلى الله عليه وسلم وتكذيبه وهم

قيل خالفوا احكام التورية فسلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطلوس الرومى ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين ٥ كشاف

كعب بن الاشرف واصحابه نسوهم اعمالهم يوم القيمه **قوله عز وجل** يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم
الكفرين ه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامر له ان يبلغ الناس جميع ما انزل اليه من ربه من القران
وقوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته قال عبد الله بن عباس معناه ان لم تبلغ اية مما انزل اليك
امرت بتبليغه اليهم فكانك لم تبلغ شيا من الرساله اي لا يحصل لك الثواب الموعود على تبليغ الرساله من قبل ان
كتمان اية واحدة يحبط ثواب ما بلغ من الرساله ويقال ان في هذه الاية دليلا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
امر بشي خاص ثاني فتثاقل عن تبليغه حذرا وخوفا ان يبتليه الله تعالى لما ابتلى به قبله ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه
بالنار واسمعيل بالذبح وزكريا ويحيى عليهما السلام بالقتل وكان صلى الله عليه وسلم عازما على فعل ما امر به
مع خوفه فقيل له ان لم تفعل ما امرت به من دعوتهم الى الاسلام وعيب دينهم فقد بطل جميع ما فعلت من قبل من
التبليغ كانك لم تبلغ شيا من الرساله وهكذا قرا بعض القرا رسالاته لانه بلفظ الجمع وقد يذكر الوحدان ويراد به الجماعه
وقوله تعالى والله يعصمك من الناس امان من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم كيلا يخاف ولا يحذر وهو
دلاله على نبوته كما روي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينه قالت له اليهود يا محمد صلى الله
عليه وسلم انا ذو واعداد وباس فاحذرنا ان نقتلك وان لم ترجع قتلناك وان رجعت زودناك واكرمناك
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه ما به من المهاجرين والانصار يبيتون عنده ويخرجون معه
خوفا من اليهود فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس علم ان الله تعالى يحفظه من كيد اليهود وغيرهم
فقال للمهاجرين والانصار انصرفوا الى رحالكم فان الله تعالى قد عصمني من اليهود فكان النبي صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك يخرج وحده في اول الليل وعند السحر الى اودية المدينه وحيث ما يشا فعصمه الله عز وجل
مع كثرة اعدايه وقله اعوانه فعاش حميدا ومات شهيدا صلى الله على روحه في الارواح وجسده في الاجساد
والذي يدل على صحه نبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الايه ان العاقل المدعي لصدقه لا يخبر بشي لا يومن
وقوع المخالفه فيه فلما اخبر صلى الله عليه وسلم على الاطلاق ان الله يعصمه من الناس ويحفظه وكان كما
اخبر ثبت بذلك انه انما علم ذلك بالوحي لان ما يكون من الامور المستقبله من علم الغيب والله تعالى لا
يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسوله وعن عايشه رضي الله عنها انها قالت انزل الله تعالى هذه الايه
لتهمه الكتمان عن النبي صلى الله عليه وسلم كيلا يتوهم متوهم انه كتم شيا من الوحي للتقيه والخوف
واما قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكفرين معناه لا يرشد الى دينه وحجته ولا يوفق من كان مقيما على كفره
ويقال لا يهديهم الى طريق الجنه في الاخره ويقال لا يلطف بهم كما يلطف للمومنين عقوبة لهم على كفرهم ثم علم
الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم كيف يبلغ الرساله فقال عز من قايل قل يا اهل الكتب لستم
على شي حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكفرين ه معناه قل لليهود والنصارى لستم على شي من الدين والثواب
الا ان تقروا بما في التوريه والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه ونبوته وساير الاحكام التي
فيها وتقروا بالقران الذي انزل الى كافه الناس من ربهم وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا قد ذكرنا معناه فيما تقدم وقوله تعالى فلا تاس على القوم الكفرين معناه ليس عليك
الا تبليغ الرساله فلا تحزن عليهم ان كذبوك اي لا تحزن على هلاكهم اذا اهلكناهم **قوله عز وجل**
ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ه روي عن عبد الله بن عباس في معنى هذه الاية انه قال ان الذين امنوا بالسنتهم ولم تومن قلوبهم
والذين مالوا عن الاسلام وتسموا باليهوديه والذين صبت قلوبهم وهم صنف من النصارى يقال لهم الساعحون
يحلقون اوساط روسهم ويقال الصابي هو الخارج من مله الى مله امه عظيمه الى مله فيها شرذمه قليله وقوله

تعالى من امن بالله اي من امن من هولاء الفرق بالله وبجميع ما انزل الله وبالبعث بعد الموت وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه فلا خوف عليهم حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون حين يحزن اهل النار واما الرفع
في قوله تعالى والصابيون قال الكسائي هو نسق على المضمر في هادوا كانه قال هادوا هم والصابيون وهذا
كما يقال ان زيدا منطلق وعمرو تقديره منطلق هو وعمرو وقيل تقديره وعمرو معه ونظير هذا قوله
تعالى ان الله بري من المشركين ورسوله اي ورسوله بري من المشركين مثل براة الله وقال الخليل
وسيبويه والبصريون ان قوله تعالى والذين هادوا والصابيون مرفوع بالابتدا تقدير الايه ان الذين
امنوا ومن امن من الذين هادوا والصابيون والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وقال الفرا ان مثل
هذا يكون في النسق على مثل الذي وعلى المضمر نحو قولك اني وزيد قايما ولا يجوز ان زيدا وعمرو قايما
قال وانما جاز في ان لان نصب ان ضعيف لانها انما تغير الاسم دون الخبر قال الزجاج هذا غلط لان ان عملت
عملين النصب والرفع وليس في العربيه ناصب لا رافع معه لان كل منصوب مشبه بالمفعول والمفعول
لا يكون بغير فاعل الا فيما لم يسم فاعله فكيف يكون نصب ان ضعيفا وهي يتخطى الطرفين فنصب ما
بعدها كما في قوله ان فيها قوما جبارين واما نفي الحزن عن المومنين في اخر هذه الايه فقد ذهب فيه
بعض اهل التفسير الى انه ما يكون عليهم في الاخره خوف ولا حزن ونظير هذه الايه قوله تعالى الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانيه الى اخر الايه وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملايكه الا تخافوا ولا تحزنوا وقال بعضهم ان المومنين يخافون ويحزنون بقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل
مرضعه عما ارضعت وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
تحشر الناس يوم القيمه حفاة عراة فقالت عايشه رضي الله عنها واسوأتاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما
سمعت قول الله عز وجل لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه قالوا وانما نفي الله في هذه الايه الحزن عن المومنين
لان حزنهم لما كان بعرض الزوال ولم يكن شي معهم لم يعتد بذلك كما يقال للمريض لا باس عليك اذا كان عاقبته
الصحه والعافيه ويكون معنى الايه ليس على المومنين من الخوف والحزن ما على الكفار كانه لم يعتد بخوفهم وحزنهم
اذا قوبل ذلك بخوف الكفار وحزنهم **قوله عز وجل** لقد اخذنا ميثاق بني اسراءيل وارسلنا اليهم
رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ه معناه لقد اخذنا
عهد بني اسرايل على ان يعملوا بما في التوريه والانجيل وكل نبي بعثه الله تعالى الى قومه ويومنوا به فذلك اخذ
ميثاقهم وقوله تعالى كلما جاءهم رسول اي كلما جاء بني اسرايل رسول على لا يوافق هواهم الذي هم عليه كذبوا
جماعة من الرسل مثل عيسى ومحمد عليهما السلم وفريقا يقتلون مثل زكريا ويحيى عليهما السلم **قوله عز وجل**
وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما
يعملون ه معناه وظنوا ان لا يكون عذاب وعقوبه ويقال ابتلاء بسبب قتلهم الانبيا وتكذيبهم الرسل
من قرا ان لا تكون بالنصب فبمعنى ان ومن قرا تكون بالرفع فالمعنى انه لا تكون فتنه اي حسبوا ان فعلهم
غير فاتن لهم فعموا عن الهدى وصموا عن الحق اي عملوا معامله الاعمى الذي لا يبصر والاصم الذي لا يسمع فصاروا
كالعمي والصم ثم تاب الله عليهم اي تجاوز عنهم بان ارسل اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمهم ان الله تعالى
قد تاب عليهم ان امنوا وصدقوا فلم يومن اكثرهم ويقال ذنبوا بعد ذلك وتابوا من الكفر فقبل الله تعالى
توبتهم فلما اظهر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وجاءهم ما عرفوا كفروا به فذلك قوله عز وجل ثم عموا وصموا
اي عموا عن الهدى وصموا عن الحق بعد ان ازداد ظهور الامر وضوحا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل
كثير منهم بدل من الواو في قوله عموا كانه قال عمي وصم كثير منهم وهذا كما يقال جاني قومك اكثرهم
وقوله تعالى كثير منهم يقتضي انهم في المرة الثانيه لم يكفروا كلهم وانما كفر اكثرهم كما قال تعالى ليسوا سواء
من اهل الكتاب امه قايمه وقال عز وجل منهم امه مقتصده ويحكى عن بعض اهل اللغه جواز جمع الفعل مقدما

على الاسم كما يقال اكلوني البراغيث ويجوز ان يكون كثير خبر الابتدا محذوف المعنى العمى والصم
كثير منهم وقوله تعالى والله بصير بما يعملون معناه عالم بما تعملون من التكذيب ونقض الميثاق
وتحريف الكلم مجازيهم على عملهم **قوله عز وجل** لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد
حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار ۝ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
نزلت هذه الاية في نصارى اهل نجران السيد والعاقب ومن معهما وهم المار يعقوبيه قالوا ان الله هو المسيح
بن مريم وقوله تعالى وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله اعلام من الله تعالى ان المسيح دعاهم الى
توحيد الله تعالى واعلمهم ان حاله في انه مربوب مدبر كحالهم واعلمهم ان من اشرك مع الله تعالى شيا
غيره فهو كافر من اهل النار فذلك قوله اعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه ربي وربكم اي خالقي وخالقكم
ورازقي ورازقكم انه من يشرك بالله غيره فقد حرم الله عليه الجنة ان يدخلها ومصيره في الاخرة النار
وما للمشركين من مانع يمنعهم من عذاب الله ثم بين الله جل ذكره كفر الفريق الاخر من النصارى وهم المرقوسيه
فقال عز من قايل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وان
لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ۝ معناه لقد كفر الذين قالوا ان الله
احد الهة ثلثة اب وابن وروح قدس وما من اله الا اله واحد وان لم ينته النصارى عن مقالتهم الاولى
والثانية ليصيبن الذين اقاموا على مقالة الكفر منهم عذاب اليم وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم **قوله**
عز وجل افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ۝ اول الاية بلفظ الاستفهام
ومعناه الامر اي توبوا الى الله عز وجل عن النصرانية واستغفروه عن هذه المقالات الشنيعة والله
غفور لمن تاب وامن رحيم بمن مات على التوبة ثم بين الله سبحانه الحجة في ان المسيح عبده ورسوله
فقال عز من قايل ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يوفكون ۝ معناه لم يكن المسيح
الا رسولا من رسل الله فان ابراه الاكمه والابرص واتيانه بالمعجزات كما اتى موسى عليه السلم بالايات
وكما اتى ابرهيم عليه السلم وغيرهما من الانبيا صلوات الله عليهم فلو وجبت عبادة عيسى عليه السلم
لظهور المعجزة عليه لوجبت عبادة ساير الانبيا واتخاذهم الهة بسبب المعجزات وقوله تعالى وامه صديقة
معناه مبالغة في الصدق والتصديق وذلك ان جبريل عليه السلم اتاها فقال لها انما انا رسول ربك
لاهب لك غلاما زكيا فصدقته كما قال الله تعالى وصدقت بكلمات ربها والصديق فعيل من ابنية
المبالغة كما يقال سكيت وشريب وسكير وقوله كانا ياكلان الطعام تنبيه على كونهما محدثين محتاجين
وهذا احتجاج بين على القوم في انه لو يكن الها لان الله تعالى وصفه في الاية بصفات تنافي الالوهية
منها انه رسول كان بعد ان لم يكن ومنها انه كساير الرسل فيما ظهر منه وعليه ومنها انه مولود من ام
ومنها انهما كانا يعيشان بالغذا كما يعيش ساير الادميين وكيف يكون الها من يكون حياته بالحيلة ولا
يقيمه الا اكل الطعام ومنها ما قالوا ان اكل الطعام في الاية كناية عن قضاء الحاجة لان الذي ياكل
الطعام لا بد له من قضاء الحاجة فكل هذه الصفات دلالة على كونه عبدا مخلوقا مربوبا مستحيلا ان يكون
الها قديما فان قال قايل من النصارى ان ناسوته كان ياكل الطعام لا لاهوته فالجواب عنه بين ظاهر لانه
اذا اكل بجهة من الجهات لم يجز ان يكون قديما الها وكيف يشبه القديم الذي لا شبه له بما ياكل ويشرب
ولين جاز ذلك لجاز ان يصير محدثا ياكل ويشرب واما قوله تعالى انظر كيف نبين لهم الايات معناه انظر يا
محمد كيف نبين لهم العلامات الواضحة في امر عيسى عليه السلم انه لم يكن الها ولا ابن اله ولا ثالث ثلثة
ثم انظر يا محمد صلى الله عليه وسلم من اين يصرفون عن الحق الواضح الى الباطل وهذا استفهام بمعنى التعجب واصل

الافك الصرف فكل شي صرفته عن شي وقلبته عنه فهو مافوك افكته عنه افكه افكا ويسمى الكذب
افكا لانه مصروف عن الحق **قوله عز وجل** قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ۝ معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهولا اليهود والنصارى
ومن سلك طريقتهم في اتخاذ غير الله الها اتعبدون وتدعون من دون الله ما لا يقدر على دفع ضر عنكم
ولا جر نفع اليكم والله هو السميع لمقالتكم في عيسى عليه السلم وامه العليم بكم وبعقوبتكم **قوله**
عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من
قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ۝ معنى الاية قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم لا تجاوزوا
الحد في دينكم الى غير الحق فتقولوا هل فعل احد مثل ما فعل عيسى عليه السلم فيجعلوا لله صاحبة وولدا
فانه ليس بحق ويقال هذا خطاب لليهود والنصارى اي لا ترفعوا عيسى عليه السلم عن درجة النبوة الى
درجة الربوبية ولا تحطوه عن درجته فتقولوا انه مولود على غير رشده وقوله تعالى ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل اي لا تتبعوا شهوات اوايلكم ورؤساكم ولا توثروا الهوى على البيان والبرهان
وقوله تعالى قد ضلوا من قبل كناية عن اوايلهم ضلوا عن الهدى من قبلهم واضلوا كثيرا من السفلة الذين
اطاعوهم واصروا على ضلالتهم عن قصد الطريق ويقال ان المراد باعادة لفظ الضلال بيان انهم ضلوا بانفسهم
واضلوا باضلالهم غيرهم واحاط بهم الضلال في الماضي والمستقبل **قوله عز وجل** لعن الذين
كفروا من بني اسرايل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
معنى الاية طرد الذين كفروا من بني اسرايل وبوعدوا من رحمة الله تعالى على لسان داود عليه السلم اي
بدعايه عليهم حين اعتدوا في السبت فمسخهم الله تعالى قردة ولعنوا بدعا عيسى عليه السلم
حين كفروا بعد اكلهم من المايدة فمسخهم الله تعالى خنازير لذلك اللعن والتعذيب بعصيانهم واستحلالهم
المعاصي وقتلهم الانبيا عليهم السلم بغير حق والفايدة في ذكر لعنهم في الاية على لسان الانبيا عليهم
السلم اعلامهم الاياس من المغفرة مع الاقامة على الكفر والمعصية ليلا يوهموا الناس ان لهم منزلة
لكونهم من اولاد الانبيا عليهم السلم ثم بين الله تعالى سبب المعصية والكفر فقال جل ذكره
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون ۝ اي كان لا ينهى بعضهم بعضا عن قبيح
يعملونه وكان لا يعيب بعضهم بعضا فاصطلحوا على الكف عن نهي المنكر وقوله تعالى لبيس ما كانوا يفعلون
اي لبيس الشي فعلهم ذلك ودخول اللام للقسم والتوكيد وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما دخل النقص على بني اسرايل ان كان الرجل يلقى الرجل فيقول
يا هذا اتق الله تعالى ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله
وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ثم لعنهم وفي هذه الاية والخبر
دليل على النهي عن مجالسة المظهرين المنكر وانه لا يكتفى منهم بالنهي دون الهجران **قوله عز**
وجل ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبيس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون ۝ معناه ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا من اليهود يوالون
مشركي العرب على معاداتك ومحاربتك ويقال معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود
لبيس ما قدمت لهم انفسهم اي لبيس ما عملوا لانفسهم حتى سخط الله تعالى عليهم وموضع ان سخط نصب
على تاويل بيس الشي ذلك لان اكسبهم السخطة فانتصب بلام كي ويجوز ان يكون موضعه رفعا
على اضمار هو كانه قال هو ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم مقيمون دايمون **قوله عز وجل**
ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون
معناه ولو كان اليهود يصدقون بوحدانية الله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران الذي انزل اليه ما

لان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن حقايقه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد ... وباطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة الى اتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع ۝ كشاف

فيه دليل على جواز لعن الكافرين وان كانوا من اولاد الانبيا وان شرف النسب لا يمنع اطلاق اللعنة في حقهم ۝ مرقع

على بعض

تجد واكفار قريش وساير عبدة الاوثان احبا في العون والنصرة على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن كثيرا من اليهود خارجون عن الطاعة ناقضون العهد **قوله عز وجل** لتجدن اشد الناس
عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا
نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ه معنى الاية لتجدن يا محمد
صلى الله عليه وسلم اشد الناس عداوة لك وللذين امنوا اليهود وهم يهود بني قريظة والنضير وفدك
وخيبر وكانوا اشد اليهود عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وقوله تعالى والذين اشركوا اراد
به مشركي العرب كانوا في العداوة مثل اليهود وقوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا
انا نصارى قال عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير والسدي رضي الله عنهم نزل هذا في النجاشي ملك
الحبشة واصحابه كانوا نصارى قبل ظهور الاسلام ثم اسلموا وفي الاية ما يدل على ان المراد به النصارى
الذين اسلموا لانه تعالى قال من بعد يقولون ربنا امنا وقال عز من قايل فاثابهم الله بما قالوا وقال قتادة
رحمه الله انزل هذا في النصارى الذين هم مستمسكون بشريعة عيسى عليه السلم يعني ان النصارى كانوا اقل
مظاهرة للمشركين من اليهود وقوله تعالى واذا سمعوا على هذا التاويل معناه او ان منهم اذا سمعوا او منهم
قوم اذا سمعوا وفي الاية ما يشهد لهذا القول ايضا لان الله تعالى وصفهم بقرب مودتهم للمسلمين ولم
يصفهم بانهم يوادون المسلمين ولا يجوز ان يعتقد احد ان في الاية مدحا للنصارى واخبارا بانهم
خير من اليهود لانه معنى شدة العداوة لان من نعم النظر في مقالتي اليهود والنصارى علم ان مقالة
النصارى اظهر فسادا من مقالة اليهود لان اليهود تقر بالتوحيد في الجملة وان كانت فيهم مشبهة تنقض
القول بالتوحيد بالتشبيه والنصارى لا يكونون مقرين بالتوحيد بوجه من الوجوه واما قوله تعالى
ذلك بان منهم قسيسين معناه والله اعلم ان قرب مودة النصارى للمسلمين وقلة مظاهرتهم للمشركين
بان من النصارى قسيسين اي علما وعبادا اصحاب الصوامع وانهم لا يتعظمون عن اتباع الحق اذا تبين لهم
والقسيسين في اللغة ماخوذ من القس وهو التتبع يقال قس فلان الاذى اذا اسعه وقس الحديث يقسه
قسا اذا نشره والقس النميمة ايضا والقسيس فعيل من القس كما يقال شريب على وجه المبالغة واما الرهبان
قال بعضهم هو جمع الراهب مثل راكب وركبان وفارس وفرسان وقال بعضهم الراهب والرهبان
واحد وجمعه الرهابين مثل قربان وقرابين والاظهر ان المراد بالرهبان في الاية جمع الراهب لكونه
معطوفا على القسيسين الذي هو جمع والله الموفق ه **قوله عز وجل** واذا سمعوا ما
انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا
مع الشاهدين ه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابي
طالب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحبشة اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية
من الشام فلما قرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القران وعرفوه فرقوا له ففاضت اعينهم ولم
يستكبروا ان يدخلوا في دينه فذلك قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول معناه اذا سمعوا القران
ترى الدمع يسيل من اعينهم لمعرفة الحق من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتابهم يقولون ربنا امنا
اقررنا وصدقنا بوحدانيتك وكتابك ورسولك فاكتبنا مع الشاهدين مع من يشهد من انبيايك ومومني
عبادك بانك واحد لا اله غيرك اي احكم لنا بهذه المنزلة واجعلنا من جملتهم والفيض في اللغة هو السيلان عن
الامتلا يقال فاضت العين بالدمع اذا سال الدمع منها والنهر ومنه فيض النهر وفيض الانا والحوض ومنه الخبر
المستفيض اذا اشتهر وانتشر بين الناس وفي الاية مدح لهولاء الاربعين وبيان لهم انهم لو يتضرعوا على المعرفة
والبكا حتى اعترفوا بغاية الاعتراف قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انهم لما رجعوا الى قومهم لاموهم
على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقالوا انكم تركتم ملة عيسى عليه السلم ودين ابايكم فردوا عليهم

فقالوا

كما قال عز وجل وما لنا لا نومن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين ه معناه اي شي لنا اذا تركنا الايمان بوحدانية الله تعالى فيما تبين لنا من الكتاب
والرسول ونحن نرجوا ان يدخلنا ربنا في الاخرة الجنة مع صالحي امة محمد صلى الله عليه وسلم **قوله
عز وجل** فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين ه معناه جازاهم الله تعالى بان اوجب لهم الجنة في الاخرة بقولهم ربنا امنا وقولهم
وما لنا لا نومن بالله جنات بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها وغرفها انهار الماء والعسل والخمر
واللبن مقيمين دايمين في الجنة وذلك الثواب جزاء الموحدين المخلصين المطيعين والثواب ماخوذ
من ثاب يثوب اذا عاد وسمي ثوابا لان الله تعالى رد عليه جزاء عمله ومن الناس من قال ان الايمان
هو القول المجرد واستدل بظاهر هذه الاية بان فيها ايجاب الثواب لهم بقولهم ولا دليل لهم في الاية
لان الله تعالى اخبر عن صحة اعتقاد هولاء بقوله مما عرفوا من الحق والقول من المعتقد سبب للثواب
ثم بين الله تعالى امر الجاحدين وعاقبة حالهم فقال عز من قايل والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم ه معناه والذين جحدوا وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فما توا على ذلك
فهم اهل النار الشديدة الوقود **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما
احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ه روي عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما انه قال نزلت هذه الاية في رهط من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم ابو بكر وعمر وعلي
وعبد الله بن مسعود وعثمن بن مظعون الجمحي والمقداد بن الاسود وسالم مولى ابي حذيفة وسلمان
الفارسي وابو ذر وعمار بن ياسر ثوا تفقوا في دار عثمن بن مظعون ان يجبوا انفسهم وان يعتزلوا النسا
ولا ياكلوا اللحم ولا دسما ويلبسوا المسوح ولا ياكلوا من الطعام الا قوتا وان يسيحوا في الارض كهيئة الرهبان
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم هذه الاية ومعناها لا تحرموا على انفسكم طيبات
ما احل الله لكم من الطعام والشراب واللباس والجماع ولا تظلموا انفسكم بقطع المذاكير وبترك الاعمال
حدود الله بتحريم حلاله فان تحريم ما احل الله كتحليل ما حرم الله تعالى وقوله تعالى ان الله لا يحب
المعتدين اي لا يرضى عمل المعتدين على انفسهم المتجاوزين عن حدود الله عز وجل وتحريم الحلال على وجهين
احدهما ان يقول حرمت هذا الشي على نفسي فانه لا يحرم عليه ذلك الشي بالاجماع ولكن عليه كفارة اليمين
اذا اكله لما روي عن مسروق انه قال كنا عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا اتاه رجل بضرع
فقال ادنوا وكلوا فقال واحد من القوم اني كنت حرمت الضرع على نفسي فقال كل وكفر عن يمينك وقرا هذه
الاية لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم والثاني ان يغصب مال انسان فيخلطه بماله فيحرمه على نفسه
الى ان يعطيه مثل ما غصب او كان يمكنه ان يستوهب من انسان شيا فلا يفعل ذلك ويعدل الى الظلم والغصب
قوله عز وجل وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مومنون ه معناه
وكلوا مما رزقكم الله من الطعام والشراب حلالا احله الله تعالى لكم واتقوا الله الذي انتم به
مقرون مصدقون في تحريم ما احل الله لكم روي عن سعيد بن المسيب انه قال جا عثمن بن مظعون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبني حديث النفس فلم احب ان احدث
شيا حتى اذكر ذلك لك فقال عليه السلم وما حدثتك نفسك يا عثمن قال تحدثني نفسي بان اختصي قال
مهلا يا عثمن فان اختصا امتي الصيام قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اترهب في روس الجبال قال
مهلا يا عثمن فان ترهب امتي الجلوس في المساجد لانتظار الصلوة قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اسيح
في الارض قال مهلا يا عثمن فان سياحة امتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة قال فان نفسي تحدثني ان اخرج
من مالي كله قال مهلا يا عثمن فان صدقتك يوما بيوم وتعف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم

معطيهما افضل من ذلك قال فان نفسي تحدثني ان اطلق امراتي خوله قال مهلا يا عثمن فان الهجرة في امتي
من هجر ما حرم الله تعالى عليه او هاجر الي في حياتي او زار قبري بعد وفاتي او مات وله امراة او امراتان
او ثلث او اربع قال يا رسول الله فان نهيتني ان اطلقها فان نفسي تحدثني ان لا اغشاها قال مهلا يا عثمن
فان الرجل المسلم اذا غشي امراته او ما ملكت يمينه فلم يكن له من وقعته تلك ولد كان له وصيف في الجنة
وان كان له من وقعته تلك ولد فمات قبله كان له فرطا وشفيعا يوم القيمة وان مات بعده كان له نورا
يوم القيمة قال يا رسول الله فان نفسي تحدثني ان لا اكل اللحم قال مهلا يا عثمن فاني احب اللحم واكله
اذا وجدته ولو سالت ربي ان يطعمنيه في كل يوم لاطعمنيه قال يا رسول الله فان نفسي تحدثني ان لا امس
الطيب قال مهلا يا عثمن فان جبريل عليه السلم امرني بالطيب غبا وقال يوم الجمعة لا متركه له يا عثمن لا
ترغب عن سنتي فان من رغب عن سنتي ثم مات قبل ان يتوب ضربت الملئكة وجهه على حوضي يوم القيمة
وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم ياكل لحم الدجاج وعنه
رضي الله عنه انه قال رايته صلى الله عليه وسلم ياكل الرطب والبطيخ وعن طاوس عن عبد الله بن
عباس انه قال كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك ثنتان شرف ومخيلة وعن عثمن بن عفان والحسن
بن علي وعمران بن الحصين وانس بن مالك وعبد الله بن ابي اوفى وابي هريرة وشريح رضي الله عنهم
انهم كانوا يلبسون الخز ونظير هذه الاية قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك وقوله
تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق

قوله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام
عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام
ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم
تشكرون ٥ معناه والله اعلم لا يؤاخذكم الله تعالى باثم ولا كفارة في حلف اللغو من ايمانكم
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه هو الرجل يحلف بالله تعالى في الشي يرى انه كذلك وليس كذلك
وقالت عايشة رضي الله عنها هو قول الرجل لا والله وبلى والله يصل به كلامه ولا يعقد قلبه عليه واللغو
في اللغة هو الكلام الساقط الذي لا يعتد به يقول العرب لغيت الشي اذا تركته وطرحته والقول الاول قول
اصحابنا رحمهم الله قالوا لا يكون يمين اللغو الا على امر في الماضي يظن انه صادق فيه وقال الشافعي
رحمه الله كل يمين سبق اليها لسان الانسان من غير قصد فهو يمين اللغو سوا كان على الماضي او
المستقبل واما اليمين الغموس فقد تقدم ذكرها في قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
واما قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فمعناه ان يحلف الرجل على امر في المستقبل ليفعله
ثم لا يفعله او يحلف ان لا يفعله ثم يفعله ومعنى العقد ما تضمن حظرا او ايجابا ومن قرا عقدتم بالتشديد
فمعناه المبالغة والتاكيد وفائدته ان يعقدها في قلبه ولفظه ولو عقد عليها في احدهما دون
الاخر لم يكن معقدا وهو كالتعظيم الذي يكون تارة بتكرير الفعل والتضعيف وتارة بتعظيم المنزلة
وكان الشيخ ابو الحسن الكرخي رحمه الله يقول قراة التشديد لا تحتمل الا العقد بالقول وقراة
التخفيف تحتمل عقد القلب وهو العزيمة والقصد الى القول وتحتمل عقد اليمين قولا يقال عقدت على امر
كذا اذا عزمت عليه وقيل ان المراد الاصح ان المراد بالعقد القول لانه لا خلاف بين الايمة ان قصد
اليمين لا يتعلق به وجوب الكفارة وان وجوبها متعلق باللفظ دون القصد ويجوز ان يكون معنى
التشديد انه متى اعاد اليمين على وجه التكرار وهو يريد التكرار لا يلزمه الا كفارة واحدة ومن قرا
عاقدتم بالالف فهو من المعاقدة ان يحلف الرجل لصاحبه على شي لمسالته او ان يحلف كل واحد منهما
لصاحبه وقوله تعالى فكفارته اي كفارة ما عقدتم من الايمان عند الحنث اطعام عشرة مساكين

وهذا

وهذا كقوله جل ذكره فمن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام
اخر وقوله تعالى ففدية من صيام او صدقة او نسك معناه فحلق فعليه فدية من صيام وقوله تعالى من
اوسط ما تطعمون اهليكم غدا وعشا لا وكس ولا شطط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا اي عدلا ويقال معناه من اوسطه في الشبع لا يفرط في الاكل ولا يكون دون المغني عن الجوع
وقد روي عن عمر وعلي وعايشة رضي الله عنهم انهم قالوا اطعام كفارة اليمين لكل مسكين نصف صاع
من حنطة والى هذا ذهب اصحابنا رحمهم الله اذا اعطاهم الطعام تمليكا واما اذا غداهم وعشاهم فلا عبرة
لمقدار الطعام الا ان يكون فيهم صبي صغير لا يستوفي الا شيا يسيرا فلا يعتد حينيذ لما استوفاه من الطعام حتى
يبلغ جميع ما يستوفيه مقدار استيفا الكبير مرتين واسم الاطعام يتناول الاطعام على جهة الاباحة كما في قوله
تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ويقال فلان يطعم الطعام يراد بذلك دعاوه الناس الى
اكل الطعام وانما قالوا يغديهم ويعشيهم لان ذلك اوسط طعام الاهل لان الاكثر ثلث مرات والاقل
وجبة والاوسط الغالب مرتان وقال سعيد بن جبير يعطي كل مسكين مدين مدا لطعامه ومدا لادامه
وعن عبد الله بن عباس وزيد بن ثابت انه يعطي كل مسكين مدا من بر وهو قول مالك والشافعي كانهم
ذهبوا الى ان الواجب طعام مرة واحدة لا مرتين وسيل شريح عن الكفارة فقال الخبز والزيت فقال السايل ارايت
ان اطعمت الخبز واللحم فقال ذلك ارفع طعام اهلك وطعام الناس وعن ابن مسعود وابن عمر وعبيدة السلماني ان
اعلى ما يطعم الاهل الخبز مع اللحم والادون الخبز البحت بغير ادام والاوسط الخبز مع السمن ونحوه ومن الدليل على
ان المراد بالاوسط في الاية الوسط في مقدار الطعام وان الواجب من البر نصف صاع ومن الشعير والتمر
صاع ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكعب بن عجرة في فدية الاذى احلق واطعم ستة مساكين
كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من تمر او صاعا من شعير وروي انه صلى الله عليه وسلم امر سلمة بن صخر حين
ظاهر من امراته ثم واقعها ان ينطلق الى صاحب صدقات بني زريق وياخذ من صدقتهم ويطعم منها ستين مسكينا
كل مسكين صاعا من تمر والخلاف في كفارة اليمين والظهار وفدية الاذى واحد وظاهر الاية يقتضي انه اذا اعطى
مسكينا واحدا طعام العشرة لا يجزيه الا عن الواحد الا ان اصحابنا رحمهم الله انما اجازوا دفع ذلك الى الواحد
في عشرة ايام على اعتبار المعنى لان الماخوذ على الحانث سد عشر خلات ولا فرق بين خلة الواحد في عشرة ايام وسد
خلة العشرة في يوم واحد وقوله تعالى او كسوتهم معناه او كسوة عشرة مساكين وادنى ما يجزي في الكسوة
ثوب واحد ردا او قميص او ازارا او قبا او كسا وظاهر اللفظ يقتضي ما يسمى الانسان مكتسيا اذا لبسه فاما
القلنسوة والخمار والعمامة والسراويل لا تجزي عن الكسوة في ظاهر الرواية وروي عن محمد في احدى الروايتين
ان السراويل تجزي لجواز الصلوة فيها للرجل وعن الحسن رضي الله عنه ان الوسط في الكسوة ثوبان وهما
الواجبان انما اختار الكسوة وهو رواية عن ابي يوسف الا انه ليس في الاية تقييد الكسوة بالوسط وقوله تعالى
او تحرير رقبة معناه او اعتاق مملوك يستوي فيه الذكر والانثى والصغير والكبير وجميع اجناس المماليك وظاهر
الاية يقتضي رقبة سليمة من العاهات لانه اسم للشخص بكماله الا ان الفقها اتفقوا ان النقص اليسير لا يمنع جوازها
ثم اعتبر اصحابنا رحمهم الله ان تكون سليمة من كل عيب يفوت منفعة الجنس بكمالها كالعمى وقطع اليدين
او الرجلين واشباه ذلك من الخرس ونحوه واعتبر الشافعي رحمه الله ان تكون سليمة من كل عيب يضر بالعمل ولا
يجوز بالاجماع عتق ام الولد والمعتق بعضه عن الكفارة واما المدبر فالخلاف فيه كالخلاف في بيعه واما المكاتب
فيجوز عتقه اذا لم يؤد شيا من الكتابة عندنا ولا يجوز عندهم بحال من الاحوال واختلفوا في شرط الايمان في
الرقبة قال الحسن رحمه الله يجزي في كفارة اليمين والظهار الرقبة الكافرة والمؤمنة لان الرقبة مبهمة في
هاتين الكفارتين وبهذا قال اصحابنا رحمهم الله الا في العبد المرتد فانه لا يجوز اعتاقه عن الكفارة لكونه
غير محقون الدم وقال الشافعي رحمه الله لا تجزي الرقبة الكافرة في كفارة اليمين والظهار قياسا على كفارة القتل

وحرف او في هذه الاية للتخيير بين الاشيا الثلثه وهي الاطعام والكسوة والعتق وقيل ان الاحسن والاولى
الى الله تعالى ان ينظر من عليه الكفارة اي هذه الاشيا الثلثه انفع وافضل في الوقت الذي هو فيه فيكفر
بذلك ويدع الباقي وعند بعض الناس ان او هاهنا للترتيب اي ان لم يكن الاول فالثاني وان لم يكن الثاني فالثالث
وقوله تعالى فمن لم يجد معناه اذا لم يكن فضل عن مسكنه وثياب بدنه وما يتاثث به في منزله مقدار ما يطعم
عشرة مساكين او يكسوهم او يعتق رقبة فعليه صيام ثلثه ايام وظاهره يقتضي انه يجزي في الصيام التفريق
وهو قول مالك والشافعي وروي في قراة عبد الله بن مسعود وابي بن كعب فصيام ثلثه ايام متتابعات وعن
عبد الله بن عباس ومجاهد وابرهيم وقتادة وطاوس انهم قالوا هي متتابعات لا يجوز فيها التفريق والى هذا ذهب
اصحابنا رحمهم الله ولا يمتنع ان لا تثبت التلاوة ويكون التلاوة منسوخة والحكم ثابتا وظاهر الاية يقتضي
ان من عليه الكفارة متى وجد الرقبة لم يجز الصوم مع وجودها وسوا وجدها قبل الدخول في الصوم او بعده
وفي هذا ايضا خلاف بين اهل العلم واما اذا وجد رقبة يحتاج اليها للخدمة فلا يجزيه الا العتق لانه لا يخاف من
التكفير في الرقبة الا فوت النفع الا ان يكون الرجل زمنا او مريضا لا يجد بدا من خادم يخدمه فحينئذ يجوز
له التكفير بالصوم وقوله تعالى ذلك كفارة ايمانكم معناه ذلك الذي ذكرته لكم وامرتكم به كفارة ايمانكم
اذا حلفتم وحنثتم ومعنى التكفير التغطية يقال كفرت الشي اذا غطيته وقوله تعالى واحفظوا ايمانكم معناه
احفظوها عن الحنث وهذا اذا لم تقع اليمين على منع واجب وفعل معصية فاما اذا كانت اليمين على منع واجب او فعل
معصية فعلى الحالف ان يحنث نفسه ويكفر عن يمينه ويقال احفظوا ايمانكم راعوا الفاظ ايمانكم ليعلم الرجل
ما حلف عليه فيكفر اذا حنث ويقال معناه لا تحلفوا كما قال الشاعر ۵
قليل الالا يا حافظ ليمينه ۵ اذا ندرت منه الالية برت ۵ وهذا تاويل من حمل هذه الاية على جميع الايمان
المقصودة وتوجب الكفارة في يمين الغموس والتاويل الاول اقرب الى ظاهر الاية لان الانسان لا يؤمر بحفظ
الشي المعدوم لا يقال لمن لا مال له احفظ مالك والمراد باستراعاة اليمين التي توجد ممن يقال الحالف منه فيؤدي
كفارتها عند الحنث وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته معناه هكذا يبين الله لكم امره ونهيه كما
قد بين كفارة اليمين لكي تشكروا انعامه وبيانه **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا انما الخمر
والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ۵ في الاية تحريم شرب
الخمر وفعل الميسر وهو القمار كله وعبادة الانصاب وهي الحجارة كانوا ينصبونها فيعبدونها وتحريم الازلام وهي
السهام التي كانوا يجيلونها عند العزم على المسير نهى الله عن هذه الاشيا وحرمها بابلغ اسباب النهي لانه جل ذكره جمع
بين هذه الاشيا في اول الاية وسماها كلها رجسا والرجس هو الشي المستقذر النجس الذي يرتفع ذكره في القبح يقال
رجس الرجل يرجس ورجس يرجس والرجس بفتح الراء شدة الصوت ورعد رجاس اذا كان شديد الصوت وسميت هذه
المعاصي رجسا لوجوب اجتنابها كما يجب اجتناب الشي المستقذر وقوله تعالى من عمل الشيطان اي من امره وتزيينه
لانه هو الداعي اليه والمرغب فيه والمزين له في قلوب الفاعلين وقوله تعالى فاجتنبوه امر بالاجتناب وهو تركه
جانبا وظاهر الامر على الوجوب وقوله تعالى لعلكم تفلحون تعليق للفلاح باجتنابها واتفقت الامة ان عصير العنب اذا
غلا واشتد وقذف بالزبد وهو نيّ لم تمسه النار فهو خمر يجب الحد بشرب قطرة منه وتسقط عدالة شاربه وتبطل
شهادته ولو استحله احد مع العلم به لزمه الكفر اذا كان في دار الاسلام متمكنا من التفقه والتعلم وهذا الحد
الذي ذكرناه في الخمر قول ابي حنيفة رحمه الله لم يخالفه في ان ذلك خمر وانما اختلف اهل العلم فيما وراء هذا الحد وفيما
سوى عصير العنب من الاشربة كان ابو يوسف ومحمد يعتبران في عصير العنب الشدة والغليان سوا قذف بالزبد
او لم يقذف به وذهب بعض اهل العلم الى ان كل مسكر خمر وانما وقع الاختلاف بينهم لاختلاف الاخبار الواردة في هذا
الباب روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حرمت الخمر لعينها والسكر من كل شراب وروي انه قال الخمر من
هاتين الشجرتين واشار الى الكرم والنخل وروي انه قال ان من الحنطة خمرا وان من الشعير خمرا ومن الزبيب خمرا

ومن العسل خمرا وفي بعض الروايات والخمر ما خامر العقل فلما اختلفت الاخبار لابد من التوفيق بينها ووجه
اخر والله اعلم انه يحتمل ان المراد بالاخبار الواردة فيما سوى عصير العنب ان ما يسكر من ذلك كان
محرما حال الاسكار فاذا فقد السكر وطلب طيبة النفس فجميعه حرام يدل على صحة هذا التاويل ان الا
الانبذة كلها لو كانت محرمة لورد النقل بها مستفيضا شايعا كما ورد تحريم الخمر لان عامة اشربتهم
كانت نبيذ التمر والبسر وكانت بلواهم بشرب النبيذ اعم منها بشرب الخمر لعلتها عندهم ولا خلاف ان مستحل
الخمر في غير حال الضرورة ولا خلاف ان مستحل هذه الاشربة لا يكفر وفي اباحة الانبذة المسكرة اختلاف
من الصحابة رضي الله عنهم في غير عصير العنب وما ذكرناه اقوى في الحجة واشبه بالحق ولكن الاحوط لدين
الانسان ان لا يتعرض لشربه ولا يفتي احدا بالاباحة وقد روي عن ابي يوسف انه قيل له هل في نفسك من امر النبيذ
شي فقال كيف لا يكون ذلك وقد اختلف فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نفسي منه كالجبل واما
الميسر والانصاب والازلام فقد تقدم تفسير ذلك كله من قبل **قوله عز وجل** انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل
انتم منتهون ۵ وذلك ان من شرب الخمر سكر وزال عقله فارتكب القبائح وربما عربد على جلسايه فيودي
ذلك الى العداوة والبغضا وكذلك القمار يودي الى ذلك قال قتادة كان الرجل يقامر غيره على ماله واهله
فيقمر ويبقى حريبا سليبا فيكسبه العداوة والبغضا لذهاب ماله عنه بغير عوض ولا منة وربما تتصل تلك
العداوة بغيرها وقوله تعالى ويصدكم عن ذكر الله معناه ويريد الشيطان ان يصرفكم عن طاعة الله وعن
الصلوات الخمس على ما هو معلوم في العادة من احوال اهل الشراب والقمار وقوله تعالى فهل انتم منتهون ۵
معناه انتهوا عنها وهذا نهي بالطف الوجوه ليكون ادعا الى الانتهاء كما قال جل ذكره فهل انتم مسلمون معناه
اسلموا فلما نزلت هذه الاية قالوا انتهينا يا رب فانزل الله تعالى **قوله عز وجل** واطيعوا الله واطيعوا
الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ۵ معناه اطيعوا الله والرسول
في ترك جميع المعاصي عموما وفي ترك الخمر والميسر خصوصا واحذروا شرب الخمر وتحليلها وساير المعاصي
فان محمدا صلى الله عليه وسلم لو انكم اعرضتم عن طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فاعلموا انما
على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم تبليغ الرسالة عن الله تعالى بالامر في الحلال والحرام بلغة تعرفونها وفي
كل واحدة من هاتين الايتين دليل على صحة تحريم الخمر لان في كل واحدة من كلمات الايتين ومن
الناس من يستدل بالاية التي قبل هذه الاية على تحريم جميع الانبذة المسكرة لانها كلها تؤثر في ايقاع العداوة
والبغضا كتاثير الخمر فاقتضت الاية تحريم قليلها وكثيرها كما اقتضت تحريم الخمر والجواب عن هذا ان
يقال انه لا خلاف ان السكر من جميع الانبذة حرام فاما قليل الخمر ففي تحريمه علة اخرى غير السكر وهي
حرمة عينه كما روينا في الخبر **قوله عز وجل** ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما
طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزل تحريم الخمر قال رجال من المهاجرين يا رسول الله
قتل اصحابنا يوم بدر وماتوا فيما بين بدر واحد وقتلوا يوم احد وهم يشربونها فما حال من مات منهم وهم
يشربونها فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ان بعض الصحابة كانوا في السفر فشربوا الخمر بعد التحريم
ولم يعرفوا تحريمها فلما رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سالوه عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية
ولا تنافي بين الروايتين فصارت الاية نازلة في الاحياء والاموات جميعا وفيمن شرب قبل التحريم وقبل العلم
بالتحريم ومعنى الاية والله اعلم ليس على الذين اقروا وصدقوا بالله وبرسله وعملوا الصالحات حرج وماثم فيما
طعموا من الحلال وشربوا من الخمر قبل تحريمها وقبل العلم بتحريمها اذا ما اجتنبوا الكفر والشرك وساير المعاصي
فيما مضى وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وعملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ثم اتقوا شرب الخمر

بعد التحريم واتقوا وآمنوا بتحريمها ثم داموا على الاتقاء وضموا إلى ذلك الإحسان في العمل وقال أراد بالاتقاء
الأول اتقاء جميع المعاصي فيما مضى وأراد بالاتقاء الثاني اتقاء المعاصي في المستقبل وأراد بالثالث اتقاء ظلم
العباد في المعاملات كما اتقوا في أنفسهم المعاصي ماضيا ومستقبلا وقال أراد بقوله إذا ما اتقوا وآمنوا
إذا ما اجتنبوا شرب الخمر بعد تحريمها وصدقوا بتحريمها ثم اتقوا سائر المعاصي واتقوا الحرام كل ما عُدّ تحريمه
من بعد مع محافظته ثم جمعوا بين اتقاء المعاصي وإحسان العمل والإحسان إلى الناس ولزموا هذه الطريقة وقوله
تعالى والله يحب المحسنين معناه أنه جل ذكره يرضى عمل الذين يفعلون الأفعال الحسنة ويجانبون قبيحها وفي
الآية دليل أن المتقي المؤمن المحسن أفضل من المتقي المؤمن الذي قد عمل الصالحات لأن الله تعالى نفى الحرج عن المتقي
المؤمن الصالح في أول الآية وفضّل المتقي المؤمن المحسن بالمحبة في آخر الآية وقد روي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه
قال شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقالوا هي لنا حلال وتأولوا قوله تعالى
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا إلى آخر الآية فكتب يزيد في ذلك إلى عمر رضي الله
عنه فكتب عمر إليه أن ابعثهم إلي قبل أن يفسدوا من قبلك فبعثهم إليه فلما قدموا على عمر رضي الله عنه جمع أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ما ترون فقالوا إنهم افتروا على الله تعالى وشرعوا في دينه ما لم يأذن
فاضرب أعناقهم وكان في القوم علي كرم الله وجهه وهو ساكت لا يتكلم فقال له عمر رضي الله عنه فقال أرى
أن تستتيبهم فإن تابوا فاضربهم ثمانين حدا وإن لم يتوبوا فاضرب أعناقهم فاستتابهم فتابوا فضربهم
ثمانين ثمانين وأرسلهم وروي أن قوما شهدوا عند عمر رضي الله عنه على قدامة بن مظعون أنه شرب الخمر
فأراد عمر رضي الله عنه أن يجلده فقال قدامة ليس لك ذلك لأن الله تعالى يقول ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا وقرأ الآية فقال عمر رضي الله عنه إنك أخطأت التأويل يا قدامة ولو اتقيت الله ما شربت
وفي بعض الروايات لو اتقيت اجتنبت ما حرم الله تعالى عليك وأمر بإقامة الحد عليه وإنما لم يحكموا بكفر
قدامة ولم يستتيبوه لأنه كان تأول الآية على أن الحال التي هو عليها وجود الصفة التي ذكرها الله
تعالى في هذه الآية مكفرة لذنوبه وأنه لا يستحق العقوبة على شربها مع اعتقاده تحريمها وأن إحسانه كفارة لما
فرّدت الصحابة رضي الله عنهم عليه هذا التأويل وأقيم الحد عليه وبالله التوفيق **قوله عز وجل** يا أيها
الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب
فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ه معنى الآية ليعاملنكم الله تعالى معاملة المختبر ليجازيكم على ما يظهر
منكم وقوله تعالى بشيء من الصيد اختلفوا فيه قال بعضهم من هاهنا للتبعيض وأراد بذلك صيد البر دون
البحر وصيد الإحرام دون الحلال وقال بعضهم من هاهنا للتجنيس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس
من الأوثان معناه الرجس الذي هو وثن ويقول الرجل للآخر لأمتحننك بشيء من الورق أي بالجنس الذي هو
ورق وقال بعضهم أراد بقوله تعالى بشيء من الصيد ما يكون من أجزاء الصيد وإن لم يكن صيدا كالبيض والفرخ
والريش وسائر أجزاء الصيد والآية شاملة لجميع هذه المعاني وقوله تعالى تناله أيديكم معناه تأخذونه
بأيديكم من فراخ الصيد وصغار الوحش والبيض وقوله تعالى ورماحكم معناه وما تصيبه رماحكم
من كبار الصيد التي لا تصاد باليد وقوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب معناه ليرى ويميز من يخاف الله تعالى
ممن لا يخافه في السر بعينه ويسأل الله تعالى ويقال أراد بالغيب الآخرة لغيبتها عن الناس وقوله تعالى فمن اعتدى
بعد ذلك معناه من تجاوز الحد في أخذ صيد البر مع الإحرام أو أخذ الصيد في الحرم بعد البيان له والنهي عنه
فله عذاب أليم التعزير والكفارة في الدنيا بتفريق الضرب على أعضائه كلها ما خلا الوجه والرأس والفرج
ويضرب ضربا وجيعا ويؤمر بالكفارة كما ذكر الله تعالى بعد هذه الآية ويكون هذا المعتدي مأخوذا
بعذاب الآخرة إن مات قبل التوبة ثم بين الله تعالى الابتلاء المذكور في هذه الآية بالتي بعدها وهي **قوله
عز وجل** يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما

فراخ الطير

قتل

قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل
ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام
روي أن هاتين الآيتين نزلتا بالحديبية وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمين وكان الصيد
من الطير والوحش يغشى رحالهم وفي قوله تعالى وأنتم حرم وجهان أحدهما وأنتم محرمون بحج أو عمرة والثاني
وأنتم داخلون في الحرم يقال أحرم الرجل إذا عقد الإحرام وأحرم إذا دخل الحرم كما يقال أنجد إذا أتى نجدا
وأعرق إذا أتى العراق وأتهم إذا أتى تهامة وأنشد ولقول الشاعر قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ولم
يكن شارعا في الإحرام ولا ملابسا له وإنما كان بالمدينة فسماه الشاعر محرما وأراد بذلك أن المدينة أحد الحرمين
ويقال إنما سماه محرما لأنه قتل في الشهر الحرام وفي قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم دليل أن كل ما يقتله
المحرم من الصيد لا يكون مذكى لأن الله تعالى سمى ذلك قتلا فلا يجوز أكل المقتول وإنما يجوز أكل المذبوح على شرط
الذكاة والصيد في اللغة اسم لكل ممتنع متوحش لا يفترق الحكم في وجوب الجزاء بين المأكول منه وبين غيره إلا
أنه روي عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأبي سعيد وعائشة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والعقرب والغراب والفأرة والكلب العقور وأراد بالكلب العقور
الذئب على ما ورد في بعض الروايات فصارت هذه الخمسة الفواسق وكل سبع عاد في حال عدوه وصياله على
المحرم مخصوصة من الآية بالخبر وهي سائر صيود البر المحرمة على المحرم بظاهر الآية وقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا
روي أنه نزل في كعب بن أبي اليسر كعب بن عمرو عرض له حمار وحش فطعنه برمح فقتله ولم يكن علم بنزول آية التحريم
وقد اختلف الناس في حكم هذا القتل على ثلاثة أوجه فقال الأكثرون من أهل العلم سواء قتل المحرم الصيد عمدا أو
خطأ فعليه الجزاء وجعلوا فائدة تخصيص العمد بالذكر في هذه الآية ما في نسقها من قوله ومن عاد فينتقم الله منه
لأن المخطئ لا يجوز أن يلحقه الوعيد والقول الثاني ما روي عن قتادة وطاوس وعطاء رضي الله عنهم أنهم قالوا لا
شيء على الخاطئ وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما والقول الثالث قول مجاهد رحمه الله أن المراد به إذا
كان يقتله ناسيا لإحرامه وهذا القول يقتضي أن غير العامد لقتله الذاكر لإحرامه لا يؤمر بالكفارة
ولكن الله تعالى يعاقبه في الآخرة على فعله وعلى هذا التأويل قالوا إن معنى قوله تعالى في آخر هذه الآية ومن
عاد فينتقم الله منه من عاد إلى هذا الفعل من بعد العلم بالنهي فعقوبته النقمة ينتقم الله منه كما قال في آية
الربا ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والقول الأول هو الأصح لأن سائر جنايات الإحرام
لا يختلف بين المعذور وغير المعذور ولو أن الله تعالى أحل للمحرم المريض حلق الرأس على الأذى وأوجب عليه
الفدية وقوله فجزاء مثل ما قتل من النعم معناه فعلى القاتل الفداء مثل المقتول من النعم والنعم في اللغة الإبل
والبقر والغنم فإذا انفردت الإبل قيل إنها نعم وإذا انفردت البقر والغنم لم تسم نعما وقد اختلف أهل العلم
في كيفية الجزاء قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله ينظر الحكمان العدلان من أهل المعرفة قيمة الصيد
الصيد المقتول بقيمته حيا في ذلك المكان وذلك الزمان فإذا ظهرت القيمة خير القاتل إن شاء اشترى
بتلك القيمة هديا من النعم فذبحه في الحرم وإن شاء اشترى بها الطعام فأطعمه مساكين الحرم وغيرهم
كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من تمر أو شعير كما في الكفارات وإن شاء صام مكان كل نصف
صاع من بر يوما وإن لم يبلغ قيمة الصيد طعام مسكين صام يوما كاملا إذا اختار الصوم لأن الصوم لا
يتبعض فإذا أوجب البعض كمل وقال محمد والشافعي رحمهما الله إن كان للصيد المقتول مثل من النعم من جهة
الخلقة كان على القاتل النظير في الخلقة فيجب عليه في النعامة بدنة وفي بقرة الوحش بقرة وفي الظبي شاة وفي الغزال
عنز وفي الأرنب عناق وفي اليربوع جفرة وإن لم يكن للمقتول مثل من النعم من جهة الخلقة كان الواجب قيمة المقتول
وفي المسألة خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم وروي عن محمد رحمه الله أن الخيار في هذا إلى الحكمين دون المصيب
وهو قول مالك رحمه الله وفي قوله فجزاء مثل ما قتل قراءتان إحداهما قراءة عاصم وحمزة والكسائي جزاء بالرفع

والتنوين ومثلُ بالرفع معناه فعليه جزاءٌ مثلُ الصيد المقتول من النعم والقراءة الاخرى برفع الجزاء بغير
تنوين وخفض المثل على طريق الاضافه ومعناها عليه ان يتحرى مثل المقتول ان يشتري بقيمته من النعم ويذبح
وقد يكون اضافه الشي الى نفسه كما يقال ثوب خز ورايت حديد ويوم الجمعه ويحتمل ان يكون معناه عليه جزا
مثل النعم المقتول ومثل النعم المقتول قيمته من جهة الحكم وقوله هديا منصوب على الحال اي يحكمان به مقدرا
ان يهدى وقوله تعالى بالغ الكعبه اللفظ لفظ المعرفه ومعناه النكره كانه قال بالغا الكعبه الا ان
التنوين حذف استخفافا وكنى بالكعبه عن الحرم لان حرمته لاجل الكعبه وفي ذكر بلوغ الكعبه بيان اختصاص
هدى الجزا بالحرم وانه لا يكون ذبحه الا فيه وفي قوله تعالى وكفاره طعام مساكين قراتان احداهما بالرفع
والتنوين في الكفاره والرفع في طعام من غير تنوين والاخرى بالرفع في كفارة من غير تنوين والخفض في طعام على
معنى الاضافه واما العدل فهو كنايه عما يعادل غيره سوا كان من جنسه او من غير جنسه ويقال ان العِدل
بالكسر مثل الشي من جنسه وبالفتح مثله من غير جنسه وقوله تعالى ليذوق وبال امره معناه ليذوق عقوبه
صنعه والوبال ثقل الشي في المكروه ماخوذ من الوبيل يقال طعام وبيل وما وبيل اذا كانا ثقيلين قال الله تعالى
فاخذناه اخذا وبيلا اي ثقيلا اي ثقلا شديدا وقوله تعالى عفى الله عما سلف معناه تجاوز الله عما مضى من
قتل الصيد قبل التحريم وقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه معناه من عاد الى قتل الصيد بعد العلم بالتحريم متعمدا
لقتله يعذبه الله تعالى في الاخره ويعاقبه على فعله واصل الانتقام الانتصار والانتصاف واذا اضيف الى الله اريد
به المعاقبه والمجازاه وقوله تعالى والله عزيز ذو انتقام معناه منيع بالنقمه ممن عصاه وروي عن ابن عباس انه
قال في المحرم يصيب الصيد ان كان ذلك اول مره حكم عليه بالجزا وان عاد وهو متعمد لقتله لم يحكم عليه وقيل له اذهب
ينتقم الله منك وروي عنه رضي الله عنه انه قال في المره الاولى يقوم ويحكم وفي الثانيه يقوم ويضرب وفي الثالثه
يقال له اذهب ينتقم الله منك وقال عمر وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف ان العايد والبادي سوا في وجوب
الكفاره والى هذا ذهب اكثر الفقها وليس في الايه ما ينفي وجوب الكفارة عن العايد انما فيها بيان زيادة
حكم مختص بالعايد وهي العقوبه **قوله عز وجل** أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ
وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٥ روي عن عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما انه قال نزلت هذه الايه في قوم من بني مدلج كانوا اهل صيد البحر اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا نتكلف الصيد فنصطاد من صيد البحر ولما مد البحر حتى يعلوا الما كل شي ثم يرجع ويبقى السمك
بالارض ويذهب الما عنه فنصيبه منتفخا فهل لنا اكله ام لا فانزل الله تعالى هذه الايه ومعناها احل لكم
اصطياد ما في البحر والصيد مصدر بمعنى الاصطياد يقال صاد واصطاد صيدا واصطيادا ويجوز ان يكون المراد
بصيد البحر عين ما صيد منه وقوله وطعامه معناه ما لفظه البحر وحسر عنه الما وقوله متاعا لكم اي منفعه لكم
وهو مصدر موكد للكلام اي متعوا متاعا لكم وقوله وللسيارة معناه ومنفعه للسياره وهم المارة في السفر
وهي السمك المالحه ويقال صيد البحر ما يوكل منه وما لا يوكل منه وطعامه ما يوكل واختلف الفقها
فيما يحل اكله من صيد البحر وما لا يحل قال اصحابنا لا يوكل من ذلك الا السمك واستدلوا بما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالسمك والجراد واما الدمان فالكبد
والطحال فخص النبي صلى الله عليه وسلم السمك والجراد بالاباحه لكلهما جميعا ميتة فدل ان غيرهما من الميتات
لا يشركهما في الاباحه وللشافعي في هذه المسله اقوال احدها ان جميع ما يعيش في الما حل اكله واخذه
ذكاته حتى خنزير البحر وغير ذلك والثاني ما حل من صيد البر حل من صيد البحر وما لا يحل من صيد البر لا يحل من صيد
البحر والثالث ان جميع ما في البحر من الصيد حلال غير الضفدع وقوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
معناه حرم عليكم اصطياد ما في البر ويقال غير صيد البر ما دمتم محرمين ولا خلاف في الاصطياد انه حرام
على المحرم في البر فاما عين الصيد فان صاده حلال فهو في حق المحرم عند اصحابنا رحمهم الله على التفصيل ان صاده

بامر المحرم او اعانته او اشارته او دلالته حرم على المحرم تناوله وان صاده الحلال بغير امر المحرم كان
للمحرم تناوله كما روي في حديث ابي قتاده انه قال كنت في رهط من المحرمين وانا حلال فبصرت
بحمار وحش فقتلته واوليت الرحل فابوا فاخذت الرمح واثبت الصيد فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اكله فقال هل اعنتم هل اشرتم هل دللتم فقالوا لا قال اذا فكلوا وقوله عز وجل واتقوا الله الذي
اليه تحشرون معناه واخشوا الله في اخذ الصيد في الاحرام الذي الى موضع جزايه تبعثون **قوله عز
وجل** جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ
ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٥ معنى الايه جعل
الله الكعبه امنا للناس بها يقومون ويامنون وذلك ان الرجل كان اذا اصاب جنايه في الجاهليه والاسلام او
قتل قتيلا لجا الى الحرم فامن بذلك وكانت الكعبه قواما لمعاشهم وعمادا لهم في امر دينهم والقيام مصدر
كما يقال صمت صوما وصياما ويقال هذا قوام الامر وملاكه وهو ما يستقيم به امره وانما سميت الكعبه كعبه
لانها كانت مرتفعه على وجه الما فدحيت الارض من تحتها يقال للجاريه اذا نهد ثدياها كعبت وهي كاعبه قال الله
تعالى وكواعب اترابا ومنه الكعبان وهما العظمان الناتيان في القدم ويقال سميت كعبه لتربيعها واما
البيت الحرام فانما سمي بهذا الاسم لانه في الموضع الحرام وهو الحرم وكذلك المسجد الحرام وقال بعضهم
معنى قياما للناس اي قبله لهم امروا ان يقوموا الى الصلوة متوجهين اليها ويختص بالكعبه الحج الذي هو احد قواعد
الاسلام واركانه وذلك ايضا جهة كونه قياما للناس وصلاحا لهم في امر دينهم ودنياهم فان الحاج يشتغلون في
الخروج الى الحج لتجاراتهم ومعاشهم الى ان يرجعوا الى اهليهم ويقصدوا في طريقهم ان يجعلوا نفقتهم في اكل اموالهم
ويتجردوا لله عز وجل ويلحوا اليه بكثرة ذكره واخلاص النيه له عند ذلك البيت والتعلق باستاره موقنين بانه لا
ملجا لهم الا الله عز وجل كالغريق المتعلق بما يرجو به النجاه وانه لا خلاص الا بالتمسك به وعلى هذه الطريقه يحضرون
المواقف قايمين على الاقدام داعين الله عز وجل متخلعين عن كل شي من امور الدنيا تاركين لاموالهم واولادهم
واهليهم خاشعين خاضعين مستسلمين منقادين يخوفون في عرصات القيمه فهذه كلها منافع دينهم ودنياهم
وقوله عز وجل والشهر الحرام معناه وجعل الشهر الحرام ايضا امنا كانوا اذا دخل الشهر الحرام لم يسلوا فيه احدا
حتى يمضي والهدى اي جعل الهدى الذي يهدى الى البيت امنا للرفقه وجعل القلايد امنا والقلايد البدن من الابل
والبقر كانوا يقلدون نعالا او خفا وربما كانوا يقلدون رواحلهم اذا رجعوا من مكه من لحا شجر الحرم
فيامنون بذلك وكان اهل الجاهليه ياكل الواحد منهم القضب والشجر من الجوع وهو يرى الهدى والقلايد فلا
يتعرض لها تعظيما له وقوله عز وجل ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض معناه ذلك الامر في الجاهليه
دليل انه سبحانه يعلم ما في السموات وما في الارض وما فيه صلاح الخلق اذ جعل تعالى في اعظم الاوقات فسادا
ما يومن به كما قال جل ذكره اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وشرع الحج وفيه مصالح
الخلق على نحو ما تقدم ذكره وقال بعض المفسرين قوله ذلك لتعلموا في هذه الايه مردود على قوله يا ايها الرسول لا
يحزنك الذين يسارعون في الكفر كانه جل ذكره قال ذلك الغيب الذي انبايكم به من المنافقين كما اسر اليهود
من قصه الزانيين وغيرهما يدلكم على انه يعلم سر اهل السموات والارض وانه بكل شي من امور العباد وغيره
عليم **قوله عز وجل** اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥ معناه اعلموا
ذلك عالم ان الله شديد العقوبه لمن استحل ما حرم الله وانه متجاوز عن من تاب منعم عليه بعد التوبه **قوله عز وجل**
مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ٥ معناه ما على محمد صلى الله عليه وسلم الا تبليغ
الرساله عن الله في امر العقاب والثواب والله يعلم ما تظهرون من القول والعمل وما تضمرون اي ليس عليه طلب
سرايركم ولا يعلم السراير الا الله عز وجل وهو ولي المجازاه **قوله عز وجل** قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ
وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٥ معناه قل يا محمد صلى الله

عليه وسلم لا يستوي الحرام والحلال ولو اعجبك كثرة الحرام قال الكلبي نزل في مالك شريح بن ضبيعة وحجاج اليمامة يعني ان مثقال حبة من الحلال ارجح عند الله من جبال الدنيا من حرام وقال الضحاك نزل في الصدقة وقال معنى الاية لا يستوي الكافر والمومن ولو اعجبك كثرة الكفار ولا العدل ولا الفاسق ولا المخلص والمنافق وان كان في الفساق والمنافقين كثرة ولا يبارك في الحرام وانما يبارك في الحلال وقوله عز وجل فاتقوا الله معناه فاخشوا عذاب الله في اخذ الحرام يا ذوي العقول لكي تفوزوا بالنجاة والسعادة في الاخرة وبالله التوفيق ۞

قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۞ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في ذلك لما نزل قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قام رجل من بني اسد فقال يا رسول الله افي كل عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس ويامرهم بالحج فوجد من قول ذلك الرجل وجدا شديدا ثم قال له ما كان يومنك ان اقول نعم هو عليكم في كل عام فيجب عليكم في كل عام فلا تطيقونه فان لم تفعلوا كفرتم ذروني ما تركتكم فان من كان قبلكم من بني اسرائيل كانوا يسالون انبياءهم الامر فاذا اخبروهم به لم يطيقوه واذا لم يعملوا به كفروا فانزل الله تعالى هذه الاية وفي بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يوما في الناس خطيبا فساله الناس عن اشيا فقال لا تسالوني عن شي الا حدثتكم به فاكثر الناس عليه السوال حتى ساله رجل عن الحج افي كل عام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فاعاد الرجل ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت لكم نعم لوجبت ولما استطعتم فقام رجل اخر فقال اني في الجنة انا ام في النار فقال في النار فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم حتى تغير لونه فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبك نبيا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فسري عن النبي صلى الله عليه وسلم الغضب فقام رجل من الناس فقال انسبني يا رسول الله فنسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام عبد الله الذي كان ينسبه الناس الى حذافه فقال يا رسول الله من ابي قال حذافة قال والذي بعثك الى فلان بن فلان قال انك ولد زنية وان الذي ولدت على فراشه كان كثير المال فتعرضت لهذا فضحا معها فاستحلت بك فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها يا ايها الذين اقروا وصدقوا بالله ورسوله لا تسالوا عن اشيا ان اظهر لكم جوابها ساءكم ذلك وان تسالوا عنها عند نزول القران اظهر لكم جوابها عفا الله عنها اي عن مسالتكم لم يواخذكم بالبحث عنها والكشف عن هذا الضرب من المسايل وقال اراد بالعفو الستر عليهم وقوله والله غفور حليم اي متجاوز عن العبد حليم عن الجهال لا يعجل عليهم بالعقوبة

قوله عز وجل قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ۞ معناه قد سال بحوه هذه المسايل قوم من قبلكم قال عبد الله بن عباس كانت بنو اسرائيل يسالون انبياءهم عن اشياء فتكتب عليهم ولم يعملوا بها فاديتوا لهم حكمها لم يعملوا فعذبهم الله تعالى واهلكهم بسبب ذلك كما سال قوم عيسى عليه السلم المايدة ثم كفروا وسال قوم صالح الناقة ثم عقروها وكفروا وذلك قوله ثم اصبحوا بها كافرين وقد احتج قوم بهاتين الايتين في حظر المسالة عن احكام الحوادث وليس فيهما دلالة على ذلك لان الغرض من الايتين النهي عن المسالة عن اشيا اخفاها الله عنهم واستاثر بعلمها مثل الانساب وامور الجاهلية ونحو ذلك فان نسب عبد الله بن حذافة كان ثابتا من الذي كان هو مولودا على فراشه وكان عبد الله مستغنيا عن معرفة حقيقة كونه ممن هو منه فسال عن امر ستره الله عليه وهتك امه وشان نفسه بلا فايدة ولا طايل والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال من اصاب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى فان من ابدى لنا صفحته اقمنا عليه كتاب الله تعالى واما سوال الحج فقد كان سامع اية الحج يمكنه الاكتفا بموجب حكمها من ايجابها حجة واحدة فلم يكن به حاجة الى المسالة واما ما يحتاج اليه الناس في امور دينهم ودنياهم فالسوال عن ذلك غير داخل في حظر هذه الاية كما في قوله تعالى ويسالونك عن المحيض قل هو اذى وقوله يسالونك عن الخمر والميسر ونحو ذلك من الايات والاخبار الكثيرة وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال قلت يا رسول الله اني

اريد ان اسالك عن امور ويمنعني مكان هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا قال ما هو قلت العمل الذي يدخلني الجنة قال قد سالت عظيما وانه ليسير شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام الصلوة وايتا الزكوة وحج البيت وصوم رمضان فلم يمنعه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه وعن عمر رضي الله عنه انه قال تفقهوا قبل ان تسودوا وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يجتمعون في المسجد ويتذاكرون في حوادث المسايل في الاحكام وعلى هذا المنهاج جرى امر التابعين ومن بعدهم من الفقها الى يومنا هذا وانما انكر السوال قوم من الجهال حملوا اشيا من الاخبار لا علم لهم بمعانيها واحكامها واستنباط فقهها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه

قوله عز وجل مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ معنى الاية والله تعالى اعلم لم يجعل الله تعالى ما تقوله كفار قريش من تحريم البحيرة والسايبة والوصيلة والحامي ولكنهم هم الذين جعلوا من ذات انفسهم واختلقوا على الله تعالى بان الله تعالى حرم هذه الاشيا واكثرهم وهم السفلة والعوام منهم لا يعقلون ذلك بل يقلدون روساءهم فيما يقولون واما تفسير البحيرة فقد كانت الناقة اذا نتجت خمسة ابطن نظروا فان كان البطن الخامس ذكرا ذبحوه لالهتهم وكان لحمه للرجال من سدنة الهتهم ومن ابناء السبيل دون النسا فان مات قبل الذبح اكله الرجال والنسا وان كان الخامس انثى بحروا اذنها اي شقوها شقا واسعا وهي البحيرة لا تركب ولا تذبح ولا تطرد عن ماء ولا كلاء والبانها ومنافعها للرجال من السدنة وابنا السبيل دون النسا حتى تموت فاذا ماتت اشترك فيها الرجال والنسا واما السايبة فكان اذا قدم الرجل من سفر او برا من مرض او نجى بنا سيب شيا من اناث الانعام وسلمها الى سدنة الهتهم فكانت سايبة كالبحيرة واما الوصيلة فهي من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن فان كان البطن السابع ذكرا ذبحوه لالهتهم وكانوا يذبحون الذكر من البطن الخامس من الناقة وان كانت انثى صنعوا بها ما يصنعون بالبحيرة وان كان ذكرا وانثى قالوا انها وصلت اخاها فلم يذبح الذكر لمكانها وكان منافعها للرجال دون النسا من السدنة وابنا السبيل الى ان تموت واحد منهما فيشترك فيه الرجال والنسا واما الحامي فهو الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا رعي حتى يموت فياكله الرجال والنسا وقد روي عن زيد بن اسلم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاعرف اول من سيب السوايب واول من غير عهد ابرهيم خليل الله عز وجل صلوات الله عليه قالوا من هو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمرو بن لحي اخو بني كعب ولقد رايته يجر قصبه في النار يوذي ريحه اهل النار واني لاعرف اول من بحر البحاير قالوا من هو يا رسول الله قال رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع اذنيهما وحرم البانهما ثم شرب البانهما بعد ذلك ولقد رايته في النار يعضانه بافواههما ويخبطانه باخفافهما

قوله عز وجل وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۞ معناه واذا قيل لاهل مكة هلموا الى التحليل والتحريم الى ما انزل الله في كتابه وبينه الرسول في سنته قالوا يكفينا ما وجدنا عليه اباءنا من الدين والسنة يقول الله عز وجل اولو كان اباوهم لا يعلمون شيا معناه ايكفيهم ما وجدوا عليه اباءهم وان كان اباوهم لا يعلمون شيا من الدين والسنة ولا يهتدون الطريق المستقيم فيقتدي بهم الابناء وفي الاية دليل بطلان التقليد لانه لو حسن تقليد الابا بمعنى الخلقة والصورة لكان لا فرق بين ان يكون الولد عاقلا او مجنونا وقد نبه الله تعالى على ان اتباع الغير انما يجب اذا كان المتبوع عالما محقا مقتديا ولن يعرف ذلك الا بالنظر في الادلة لان المتطرف ربما يكون احسن مقالا وافعالا في الصورة من المحق فكان امر الدين مبنيا على الدليل دون التقليد

قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وذلك ان الله تعالى لما بين ان

تحريم البحيرة كان من فعل الكفار لا بأمر من الله وكانت العادة في كفار العرب الأنفة الشديدة من تسفيه
آبائهم أنزل الله عز وجل من الآية ما يزيل عن قلب هذا الحبشي ليكون إلى القبول أقرب فقال يا أيها الذين آمنوا
عليكم أنفسكم أي الزموا أنفسكم واحفظوها كما يقال عليك زيدا فتنصب زيدا على الإغراء بمعنى الزم
زيدا وكأنه قال تعالى عليكم أيها المؤمنون بإصلاح أنفسكم ومتابعة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
فإنكم إذا فعلتم ذلك لا يضركم ضلال من ضل من أهل مكة إذا اهتديتم وتبينتم ضلالتهم إلى الله مرجعكم
جميعا في الآخرة مرجع المؤمن والكافر والبر والفاجر فيخبركم بما كنتم تعملون من خير أو شر أي يجازيكم على أعمالكم
وقد روي عن السلف في تأويل هذه الآية أحاديث مختلفة الظاهر وهي متفقة في المعنى منها ما روي عن قيس بن
أبي حازم أنه قال رضي الله عنه سمعت أبا بكر رضي الله عنه يقول على المنبر يا أيها الناس إني أراكم تتأولون هذه
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعمل بين ظهرانيهم
بالمعاصي ولم يغيروها إلا يوشك أن يعمهم الله بعقابه ومنها ما روي عن أبي العالية أنه قال كنت عند عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه فوقع بين رجلين ما يقع بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال رجل
أقوم فآمرهما بالمعروف فقال له آخر عليك نفسك إن الله تعالى يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل فقال ابن مسعود
رضي الله عنه لم يجئ تأويل هذه الآية بعد ما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا فمروا
وانهوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء فعند ذلك جاء تأويلها ه وروي عن أبي أمامة قال سألت أبا ثعلبة
الخشني عن هذه الآية فقال لقد سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال يا أبا ثعلبة
ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه
فعليك نفسك فإن من بعدكم أيام الصبر الصبر فيها كالقبض على الجمر وللمتمسك فيها بمثل ما أنتم عليه كأجر
خمسين عاملا قالوا يا رسول الله كأجر خمسين عاملا منهم قال لا بل كأجر خمسين عاملا منكم ولا
دلالة في هذه الآية كلها على سقوط فرض الأمر بالمعروف إلا عند العجز عن ذلك فهو ساقط عند العجز بالإجماع
كما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأى أحدكم
منكرا واستطاع أن يغيره فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف
الإيمان وحكي أنه لما مات الحجاج قال الحسن اللهم أنت أمته فاقطع عنا سنته فإنه أتانا أخيفش أعيمش يمد
بيد قصيرة البنان والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله يرجل جمته ويختر في مشيته ويصعد المنبر فيهذر
حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحيي فوقه الله عز وجل وتحته مائة ألف أو يزيدون لا
يقول له قائل الصلاة أيها الرجل ثم جعل الحسن يقول هيهات والله حال دون ذلك السيف والسوط وعن
عبد الملك بن عمير أنه قال خرج الحجاج يوم جمعة بالهاجرة فما زال يعبر مرة في أهل الشام يمدحهم ومرة في
أهل العراق يذمهم حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على شرف المسجد ثم أمر المؤذن فصلى بهم الجمعة ثم أذن
فصلى بهم العصر ثم أذن فصلى بهم المغرب فجمع بين الصلوات يومئذ ففي هذين الخبرين دليل على أن هؤلاء
السلف كانوا معذورين في ذلك الوقت في ترك النكير باليد واللسان ولو كان سقوط فرض الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر جائزا مع القدرة لسقط فرض الجهاد ولم يجعل أحد من المسلمين عموم قوله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم عذرا في سقوط فرض الجهاد ولا ساغ لأحد أن يقول
ما يضرني كفر الكفار إذا آمنت ولا ضلالتهم إذا اهتديت وكيف يحصل الاهتداء المشروط في هذه الآية
إلا أن يتبع الإنسان أمر الله عز وجل في نفسه وفي غيره ولا يكون ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والله الموفق ه **قوله عز وجل** يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت
حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة
الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى

ولا

ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين ه روي عن عبد الله بن عباس وغيره أن هذه الآية نزلت في ثلاثة
نفر خرجوا إلى بلد نحو الشام للتجارة أحدهم عدي بن بدا والآخر تميم بن أوس الداري وهما نصرانيان والثالث
بديل بن ورقاء من موالي وأبي السهمي أي عمرو بن العاص فحضر بديل بن ورقاء الوفاة وكان مسلما فأوصى
إلى صاحبيه وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله فمات بديل ففتشا متاعه وأخذا منه إناء من فضة
منقوشا بالذهب كان فيه ثلاثمائة مثقال فلما قدما المدينة وسلما المتاع إلى أهله وجد أهله كتابا في درج
الثياب فيه أسماء الأمتعة فقالا لهما هل باع صاحبنا شيئا من متاعه قالا لا قالوا فهل طال مرضه فأنفق شيئا على نفسه
قالا لا إنما مرض حين قدم البلد فلم يلبث أن مات فقال لهم عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان
فإنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية متاعه وفيها إناء منقوش مموه بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال قالا لا ندري
إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا
ذلك له فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناها يا أيها الذين آمنوا شهادة الحال التي بينكم إذا حضر أحدكم الموت
أراد الوصية شهادة اثنين ذوي عدل منكم أي من أهل دينكم وحذف المضاف من قوله اثنان وأقام المضاف
إليه مقامه وهذه جملة تامة تما ولحكم الشهادة على الوصية في الحضر والسفر وقوله أو آخران من غيركم مقيد
بالسفر خاصة معناه أو آخران من غير أهل دينكم إن أنتم سافرتم في الأرض فأصابتكم في السفر مصيبة
الموت ولم يكن بحضرتكم مسلمون وفائدة ذكر حال حضور الموت في الآية أن حال الموت حال تفوت أمور لا
يمكن استدراكها وربما يكون على المريض دين ولا شهود عليه وربما يكون له مال مكتوم وربما يكون له
وارث يخفي أمره وربما يحب التقرب ببعض ماله وكل ذلك يفوت عند حضور أمارات الموت إذا لم يستدرك
بالوصية فبين تعالى ما يكون احتياطا فيها وهو إحضار شاهدين عدلين إذ كان ذلك أقل ما يثبت به الحقوق وقوله
عز وجل تحبسونهما من بعد الصلاة أي توقفونهما وهما النصرانيان يقال مر بي فلان يحبس على دابته أي يوقفها
علي والمراد بقوله بعد الصلاة بعد صلاة العصر كان النبي صلى الله عليه وسلم يقضي بعد صلاة العصر وهو وقت
اجتماع الناس وأهل الكتاب يعظمونه وقوله فيقسمان بالله أي الشاهدان النصرانيان يحلفان بالله إذا
ادعى عليهما ورثة الميت بسبب شكهم في خيانتهما ويقولان في اليمين لا نشتري بهذا القول الذي نقوله بأنا دفعنا
جميع مال الميت إليكم عرضا يسيرا من الدنيا ولو كان ذا قربى وإن كان الميت ذا قربى ذا قرابة منا في الرحم
أي لم نخن في التركة لقرابته منا وروي أنه كان بين الميت المسلم وبين هذين النصرانيين قرابة في الرحم وقوله
عز وجل ولا نكتم شهادة الله أي ويقولان في اليمين لا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين العاصين لو كتمناها
كما قال الله تعالى في آية أخرى ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وإنما أضاف الشهادة إلى الله في هذه الآية تعظيما
لها وتهويلا لأمرها وقرأ بعضهم ولا نكتم شهادة الله كلاهما بالنصب على معنى لا نكتم الله شهادة قال عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما فلما نزلت هذه الآية حلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند
المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يخونا شيئا مما دفع بديل إليهما فحلفا وخلى عليه السلام سبيلهما ومكثنا بعد
ذلك ما شاء الله أن يمكثا ثم ظهر الإناء فلقي بني سهم فأتوهما وقالوا حلفتما فما بال هذا الإناء معكما فقالا
إنا كنا ابتعناه منه ولم يكن لنا بينة فكرهنا أن نقر به لكم فتأخذونه فاختصموا إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل **قوله عز وجل** فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا
إذا لمن الظالمين ه معناه فإن اطلع على أن الوصيين استوجبا إثما بالخيانة واليمين الفاجرة حيث قالا من
قبل إن الميت لم يبع شيئا من متاعه ثم قالا بعد ذلك وظهور الإناء في أيديهما إنهما ابتاعاه منه فآخران من
أولياء الميت وهم عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة يقومان مقام النصرانيين الخائنين في اليمين وقوله عز وجل
من الذين استحق عليهم راجع إلى قوله فآخران والأوليان بدل من آخران كأنه قال فآخران من الذين استحق عليهم

الوصيه وهم ورثه الميت واولياوه وهما الاوليان بالميت ويقال الاوليان بالميت يقومان مقام النصرانيين في اليمين فيقسمان بالله اي يحلفان بالله لشهادتنا بان الانا لصاحبنا وانهما لا يعلمان ان هذا الميت باع هذا الانا في حياته احق من شهادتهما اعدل واحدر بالقبول من شهادة النصرانيين وما اعتدينا فيما ادعينا وحلفنا انا اذا لمن الظالمين على انفسنا لو اعتدينا ويقال معنى قوله استحق عليهم استحق فيهم الاثم وهم الورثه استحق النصرانيان الاثم بسببهم وقد تقام على مقام في كما في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل وواحد الاوليان الاولى والجمع الاولون والانثى الوليا والجمع الوليات والولى كما تقال عليا وعليات وعلى ومن قرا الاولين فمعناه من الاولين الذين استحق عليهم اي من المسلمين لانه قال في اول الايه اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم ومن قرا استحق بفتح التا والحاء رفع الاوليان بفعلهما وقال ان المراد بالاوليين النصرانيان فانهما كانا اولى باليمين لان الحق كان مدعا عليهما وقرا بعضهم استحق عليهم الاولان يعني النصرانيين كانه قال فاخران من الذين استحق عليهم الاوليان او الاولان يقومان مقامهما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فلما نزلت هذه الايه حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعه فحلفا فدفع المتاع الى اوليا الميت قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فذكرت هذه الايه لتميم بعد ما اسلم فقال صدق الله وبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم انا اصبت لانا ۵ **قوله عز وجل** ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ۵ معناه ذلك الذي ذكرت لكم اقرب الى ان يقيم شهود الوصيه الشهادة على وجهها واقرب الى ان يخافوا ان ترد عليهم ايمانهم بعد ايمان المسلمين ويقال ان ترد الايمان الى المدعين المسلمين بعد ايمان المدعا عليهم الكفار وقوله تعالى واتقوا الله معناه اخشوه ان تحلفوا ايمانا كاذبه او تخونوا امانه واسمعوا اي اقبلوا الموعظه والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يصلح امر الحاسبين الخارجين عن طاعه الله روي عن مجاهد رضي الله عنه انه اخذ بظاهر هذه الايه فقال اذا مات المومن في السفر ولا يحضره الا كافران اشهدهما على ذلك فان رضي ورثته بقولهما والا احلفا الشاهدان انهما صادقان فان ظهر انهما خانا حلف اثنان من الورثه وابطلا ايمان الشاهدين وعن هذا قال شريح لا تجوز شهادة اليهودي والنصراني على المسلم الا في السفر ولا تجوز في السفر الا في الوصيه وذهب اكثر الفقها الى ان شهادة الكافر لا تقبل على المسلم بوجه من الوجوه واما ظاهر هذه الايه فيقتضي جواز شهادة اهل الذمه على وصيه المسلم في السفر سوا كانت الوصيه بيعا او اقرارا بدين او وصيه بشي او هبه او صدقه وهي داله ايضا على جواز شهادة الكفار على وصيه الكافر من طريق الاولى الا انه روي ان ايه الدين من اخر ما نزل من القران وتلك الايه تقتضي نسخ جواز شهادة الكفار على المسلمين لا محاله لان قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم يتناول المومنين لان اول الخطاب في تلك الايه توجه اليهم باسم الايمان وليس فيها تخصيص حال الوصيه من غيرها فهي عامه في الجميع يدل عليه انه قال ممن ترضون من الشهداء وليس الكفار مرضيين في الشهادة على المسلمين فثبت ان ايه الدين ناسخه لهذه الايه في جواز شهادة الكفار على الكفار المسلمين وعن زيد بن اسلم انه قال كانت هذه الايه نزلت في اول الاسلام والارض حرب والناس كفار الا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم بالمدينه والذي يويد النسخ الذي ذكرناه ان في قوله شهادة بينكم ما يدل على ان المراد بهذه الايه بيان حكم الحادثه التي رواها عبد الله بن عباس خاصه وفي قراة ابي عبد الرحمن السلمي شهادةٌ بينكم بتنوين الشهادة ونصب بينكم وذهب الحسن والزهري الى ان معنى قوله ذوا عدل منكم اي من عشيرتكم وقرابتكم وقوله او اخران من غيركم او اخران من غير قبيلتكم قال الحسن رضي الله عنه لم ينسخ من المايده شي قالا وانما قدم الاقربين في الايه على الغربا لان الاقربين اعلم بحال الموصي والموصى والتركه وقوله تعالى ولو كان ذا قربى يدل على هذا التاويل ويدل على ذلك ان في الايه شرط العداله ولا يكون الكافر عدلا فيما يشهد على المسلم والتاويل الاول اقرب الى ظاهر الايه لان الخطاب توجه في اول

الايه

الايه بلفظ الايمان من غير ذكر القبيله وظاهر الخطاب لا يرجع الا الى مظهر مذكور في الخطاب او معلوم بدلالة الحال وليس في هذه الايه دلالة على الكنايه عن القبيله وذهب بعض اهل التاويل الى ان المراد بالشهادة في هذه الايه حضور الوصيين عند الموصي وبينهما عند الخصومه لا عين الشهادة المعهوده التي تقام عند الحاكم وقد تسمى اليمين شهادة كما في قوله تعالى في ايه اللعان فشهادة احدهم اربع شهادات بالله وفي الايه ما يبطل هذا التاويل لان الله تعالى شرط عدالة الشاهدين في ابتداء الايه ولا يختلف في حكم اليمين العدل وغير العدل وقال ولا نكتم شهادة الله واليمين ظاهرة غير مكتومه وكان الاقرب الى ظاهر الايه والله اعلم ان اول الايه راجع الى الشهادة المتعارفه التي تحملها الناس لاقامتها عند الحاكم الا ان الورثه اذا ادعوا على الشاهدين الخيانه واخذ شي من مال الميت وجب تحليف الشاهدين على دعوى الورثه فصار بعض ما ذكر الله تعالى في هذه الايه من الشهادة شهادة على الحقوق وبعضها ايمانا لان قوله تعالى فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما لا يحتمل الا اليمين وقد احتج بعض اهل العلم بهذه الايه في رد اليمين على المدعي ولا دليل لهم فيها لان النصرانيين كانا يدعيان الشرا وفي دعوى الشري تحلف الورثه على العلم وبالله التوفيق ۵ **قوله عز وجل** يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب ۵ في الايه اعلام انه تعالى عالم بما يكون من الخلق من ادا الامانه والخيانه فيها وان المساتره وان امكنت عن الناس فهي غير ممكنه في حق رب العزة لكي يكون زجرا عن خلاف طاعه الله عز وجل واما نصب قوله يوم يجمع يحتمل انه منصوب بقوله واتقوا الله ويحتمل انه انتصب على معنى اضمار اذكروا واحذروا واما السوال بقوله عز وجل للرسل صلوات الله عليهم ماذا اجبتم فهو لتوبيخ الذين ارسلوا اليهم كما في قوله تعالى واذا الموودة سيلت لتوبيخ قاتلها واما قول الرسل صلوات الله عليهم لا علم لنا فقد روي عن عبد الله بن عباس والحسن والسدي ومجاهد رضي الله عنهم ان هذا الجواب انما يكون في بعض مواطن القيمه وذلك عند زفرة جهنم وجثوا الامم على الركب لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا قال نفسي نفسي وعند ذلك تطير القلوب من اماكنها فيقول الرسل من شدة هول المسئله وهول الموطن لا علم لنا انك انت علام الغيوب ثم ترجع اليهم قلوبهم فيشهدون على قومهم انهم بلغوهم الرساله وان قومهم كيف ردوا عليهم فان قال قايل كيف يصح ذهول العقل مع قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر قيل ان الفزع الاكبر دخول جهنم وقوله لا خوف عليهم كما يقال للمريض لا خوف عليك ولا باس وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى ان معنى قوله لا علم لنا اي لا علم لنا الا ما علمتنا بحذف الاستثنا وبقول الثالث ان معناه لا علم لنا بتفصيل الامور لان الرسل عرفوا ان الغرض من السوال تمييز الخبيث من الطيب من جماعه الامم فكانهم قالوا انت ربنا تعلم الغيب ولا علم لنا مع علمك فيسلمون علم جميع الامور لله ويصغرون علم انفسهم في الاضافه الى علمه قال الحسن رضي الله عنه في روايه اخرى ان معناه لا علم لنا بباطن ما اجاب به الامم لان ذلك يقع عليه الجزا وفي هذا تهديد للمنافقين عند اظهار فضيحتهم وهتك استارهم على رووس الاشهاد وقوله تعالى علام للتكثير والمعلوم والمبالغه فيه ۵ **قوله عز وجل** اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمه والتوريه والانجيل واذ تخلق من الطين كهيه الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبري الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرايل عنك اذ جيتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ۵ معناه واذكروا ايها المومنون اذ قال الله يا عيسى ويكون هذا عطفا على قوله يا ايها الذين امنوا ويقال هذا عطف على قوله يوم يجمع الله الرسل وتقديره اذ يقول الله عز وجل يا عيسى ابن مريم الا انه ذكر بلفظ الماضي لتقديم ذكر الوقت وهذا كقول الرجل لغيره كانك بنا قد وردنا بلد كذا وكذا فصنعنا كيت وكيت ونحن في ذلك اذ صاح صايح فاجبته واذ دعوت فتركتني وقوله تعالى اذكر نعمتي معناه اذكر منتي عليك بالنبوة وعلى امك بان طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين لتكون حجة على من كفر

واذ عاك الها ويكون ذلك حسرة وندامة عليهم يومئذ والفايدة في ذكر امه ان الناس تكلموا في امه كما
تكلموا فيه ثم عد الله عز وجل نعمة نعمة نعمة فقال اذ ايدتك بروح القدس معناه اذ اعنتك وقويتك بجبريل
عليه السلم حين جاوك بنو اسرايل قتلك ويقال ايدتك به في الحجة في كل احوالك ومن قرا ايدتك بالمد فمعناه
عاضدتك والقراة الاولى على وزن فعلتك من الايد وهو القوة وقوله تكلم الناس في المهد وكهلا معناه اذ
ايدتك به متكلما للناس في حجر امك في حال صغرك ومخاطبا لهم كهلا على سن يمنه على صفة واحدة وحد واحد
وذلك من اعظم الايات ولولاها ان يومن بها من شاهدها ويقال ان المراد بالمهد المهد الذي يربي فيه الصبي
حين قال لهم وهو في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا قال الكلبي مكث في رسالته بعد ثلثين
سنة ثلثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه ويقال ثلث سنين ثم رفع الى السما ورفع الى السما وهو بن ثلث وثلثين سنة
وقوله عز وجل واذ علمتك الكتاب والحكمة معناه كتب الانبيا قبلك والفقه والفهم ويقال اراد بالكتاب
الخط بالقلم واراد بالحكمة كل صواب يبين من قول او فعل وقوله واذ تخلق من الطين معناه واذ تصور وتقدر
من الطين كشبه الخفاش باذني ومعنى الخلق في اللغة التقدير الذي يريده الرجل من غير زيادة او نقصان في
ذلك وقوله فتنفخ فيها اي في الهيئة فتصير طيرا يطير بين السما والارض بامر الله تعالى ويكون النفخ كنفخ الراقي
فان قيل ما الفايدة في هذا النفخ والخلق من قبل الله عز وجل للطير قيل للدلالة على الفرق بين ما يصح بنبوته
وبين ما يصح من جهة الله تعالى ابتداء وقوله عز وجل وتبرئ الاكمه والابرص معناه تصحح الذي ولد اعمى
والابرص الذي لا تعالجه الاطبا وهو الذي لو غرز لا يخرج منه الدم وقوله واذ تخرج الموتى باذني اي تحيي
وتخرج من القبور احيا بارادتي والمراد بالاذن ان الله تعالى كان ياذن له في المسئلة والدعا فيقع ذلك عن الله
عنده واضيف الابرا والاحيا الى عيسى عليه السلم مجازا من حيث ان الله تعالى فعل ذلك عند مسالته ودعايه
وقوله واذ كففت بني اسرايل عنك معناه واذ دفعت اولاد يعقوب عنك حين هموا بقتلك وقد تقدم كيف كان
ذلك الكف عن عيسى عليه السلم وقوله اذ جيتهم بالبينات بالمعجزات من الله تعالى على رسالتك فقال الذين
كفروا من بني اسرايل ما هذا الذي يريناه عيسى الا سحر ظاهر ومن قرا ساحر مبين اراد به عيسى بن مريم عليه السلم
اي انهم كفروا به ونسبوه الى السحر مع ظهور بيناته **قوله عز وجل** *وإذ أوحيت إلى الحواريين
أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون* ه معناه واذ الهمت الحواريين وهم خواص عيسى
عليه السلم والقيت في قلوبهم ان صدقوا بتوحيدي وبرسولي عيسى عليه السلم قالوا اقررنا وصدقنا
واشهد يا عيسى باننا مخلصون بالعبادة والتوحيد والفايدة في ذكر الحواريين مدحهم وبيان زيادة
النعمة على عيسى عليه السلم والزيادة في حسرة من كفر به يوم القيمة **قوله عز وجل** *اذ قال
الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن
كنتم مؤمنين* ه هذه الاية معطوفة على قوله ما تقدم من قوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك
كانه قال واذكر نعمتي عليك اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك وفي هذا ثلثة اقوال
احدها ان هذا السوال كان في ابتداء امرهم قبل ان يستحكم معرفتهم بالله تعالى ولذا يجوز عليه من
الصفات ولذلك انكر عليهم نبيهم عليه السلم فقال اتقوا الله ان كنتم مومنين لانه لم يستكمل ايمانهم
في ذلك الوقت وربما يقال على هذا القول ان الحواريين انما سالوا هذا على لسان غيرهم والقول الثاني ان معنى
هل يستطيع ربك هل يفعل ربك كما تقول للرجل هل تستطيع ان تقوم معي في امرك هذا الحاجات وانما
والقول الثالث ان معناه هل يستجيب لك ربك هل يطيعك ان سالته كما يقال استطاع بمعنى اجاب وقال
الكساي هل تستطيع ربك بالتا يا عيسى بمعنى سوال بمعنى هل تسال ربك وهل تستطيع
اجابته وقد روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كانت الحواريون اعلم بالله تعالى من ان يقولوا هل يستطيع
فانهم اصفيا مومنون وقد اريد معنى قوله عز وجل اتقوا الله ان كنتم مومنين على القولين الاخرين لعن

في اقتراح

عاونتك

هو

في اقتراح الايات فان لكم كفاية فيما انزل عليكم منها وانتم لا تدرون عواقب سوالكم فربما يكون
هلاككم في العاقبة واما اسم المائدة كناية عن الطعام قال ابو عبيدة المائدة العطية والممتاد المطلوب
منه العطا كما يقال مادني يمدني اذا اعطاه وقال الشاعر الى امير المومنين الممتاد وهو المايدة فاعلة في
اللفظ وهي في المعنى مفعوله كما في قوله تعالى في عيشة راضية اي مرضية ويقال ان المايدة اسم للخوان سمي
بهذا الاسم لانها تميد بما عليها اي تحرك **قوله عز وجل** *قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن
قلوبنا ونكون عليها من الشاهدين* ه معناه قال الحواريون نريد بما سالناك ان ناكل من المايدة وتسكن
قلوبنا لما جيتنا به من المعجزات فان زيادة المعجزات مما تقوي بصيرة المومنين كما في قول ابرهيم عليه
السلم ولكن ليطمين قلبي وقوله تعالى ونعلم ان قد صدقتنا معناه نعلم انك قد صدقتنا في دعايك وفيما
وعدتنا من كفاية الله تعالى ايانا ويقال معناه ونستبصر الثاكمنا في امرك ونكون على المايدة من الشاهدين
اذا رجعنا الى قومنا ونحن جمع عظيم نقوم بها الحجة على غيرنا ويكون ذلك ادعى لهم الى الايمان بك وقيل معنى من
الشاهدين ممن يشهد يوم القيمة لمن امن وقيل على من رد وكذب **قوله عز وجل** *قال عيسى بن
مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك
وارزقنا وأنت خير الرازقين* ه معناه قال عيسى عليه السلم يا ربنا وقوله اللهم معناه يا الله الا انه اقيم
الميم في اخره مقام الندا في اوله وقوله انزل علينا مايدة اي طعاما من السما تكون لنا عيدا اي نتخذ اليوم
الذي نزلت فيه المايدة يوم عيد لاهل زماننا ولمن يكون خلفنا روي ان نزول المايدة كان في يوم الاحد
فاتخذت النصارى ذلك اليوم عيدا ويقال اراد بالعيد عايدة فضل من الله تعالى ونعمة منه عليهم وقوله
تعالى واية منك معناه ويكون المايدة دلالة وحجة لمن امن وعلى من كفر وقوله عز وجل وارزقنا
اي اجعل ذلك رزقا لنا ويقال ارزقنا الشكر عليه وانت افضل المعطين والموفقين وانما كان هذا
السوال من عيسى عليه السلم بعد ما اذن الله تعالى له فيه اذ لا يجوز ان يحل رهم شيا ثم يفعل ذلك بنفسه
من غير اذن **قوله عز وجل** *قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا
أعذبه أحدا من العالمين* ه معناه قال الله يا عيسى بن مريم اني منزل المايدة عليهم فمن
كفر بعد نزول المايدة منكم ويقال بعدما اكل من المايدة فاني اعذبه جنسا من العذاب لا اعذب احدا
من عالمي زمانهم بذلك العذاب وهو ان جعل الله تعالى من كفر منهم بعد نزول المايدة خنازير ويقال اراد
بهذا عذاب الاخرة كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال اشد الناس عذابا يوم القيمة ثلثة المنافقون
ومن كفر من اصحاب المايدة وال فرعون وذهب الحسن ومجاهد رضي الله عنهما الى ان المايدة لم تنزل عليهم
لانهم استعفوا من نزولها واشفقوا من الوعيد واما عامة المفسرين فذهبوا الى انها نزلت كما روي عن
عبد الله بن عباس وجماعة من اهل التفسير في سبب نزول هذه الايات ان عيسى عليه السلم كان اذا خرج
اتبعه خمسة الاف رجل او اقل او اكثر من اصحابه الذين يقتدون به واهل الزمانة والمرضى والنظار فسلك
بهم ذات يوم القفار والجدوبة في الارض ففني طعامهم وجاعوا جوعا شديدا فاعلم التلاميذ الحواريين
فقالوا ان كان صاحبكم حقا فليدع ربه ينزل علينا مايدة من السما فكلمه في ذلك رجل من الحواريين
يقال له شمعون الصفا فقال له قل لهم يتقوا الله ولا يسالوا لانفسهم البلا فانهم ان كفروا بعد نزولها
عاقبهم الله تعالى فاخبر شمعون بذلك القوم فقالوا له نريد ان ناكل منها الى اخر الاية فقام عيسى عليه
السلم فصلى ركعتين فدعا فاوحى الله اليه اني منزلها عليكم الى اخر الاية فدعا عيسى شمعون فقال هل
معك طعام قال نعم قال هلم فاتاه به فانزل الله تعالى البركة في الطعام الذي كان لشمعون وهو سمكتان
صغيرتان وخمسة ارغفة فقطعها عيسى عليه السلم صغارا صغارا اخر وسمكا صحاحا صحاحا فجعل يلقي في
كل رقعة ما حملت اصابعه الثلث ويقول كلوا على اسم الله تعالى ويقولوا اللهم من اكل منه لم يومن

قال ابن عباس رضي الله عنهما ارسل الله عيسى وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه ... سعاكم

ونعلم ان قد صدقتنا
صح

المايدة كانت سفرة لا مايدة ذات قوايم والسفرة مايدة النبي صلى الله عليه وسلم وموايد العرب عن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق قال قلت لانس فعلى ما كانوا ياكلون قال على السفر ... عن الحسن قال الاكل على الخوان فعل الملوك وعلى المنديل فعل العجم وعلى السفرة فعل العرب وهو السنة ... الخوان هو المرتفع عن الارض بقوايمه والمايدة ما مد وبسط والسفرة ما اسفر عما في جوفه وذلك انها مضمومة بمعاليقها ... منه

ما لعنة وامسخه واجعله اية لمن بعده فاكلوا كلهم وفضل خمس زُبُل والناس يومئذ خمسة الاف واكثر فقالوا نشهد انك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة اخرى من السما وقالوا رضينا ان يعذبنا الله ان كفرنا بعد ذلك فلما فدعى عيسى عليه السلم فانزل الله تعالى سمكتين وخمسة ارغفة وفي بعض الروايات انزل الله تعالى مائدة من السماء فوقها منديل والناس ينظرون وعيسى عليه السلم ينظر ويبكي حتى استقرت المائدة بين يدي عيسى عليه السلم وهو يقول اللهم اجعلها رحمة ثم كشف المنديل وقال بسم الله فاذا على المائدة سمكة مشوية لا شوك فيها ما الودك يسيل منها والخل عند راسها والملح عند ذنبها وعليها اربعة ارغفة وعليها الوان البقول الا الكراث قال عطية كان في السمكة طعم كل شي فقال لهم عيسى كلوا مما رزقكم فاكلوا منها ورجعت المائدة كما كانت فلما رجع القوم الى قرارهم ونشروا هذا الحديث لسائر الناس ضحك من لم يشهد وقالوا ويحكم انه قد سحر اعينكم واخذ بقلوبكم فمن اراد الله به الخير ثبته على البصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فلعنهم عيسى عليه السلم فباتوا ليلتهم ثم اصبحوا خنازير ينظر الناس اليهم الذكر ذكر والانثى الانثى ويلعنونهم فمكثوا كذلك ثلثة ايام ثم اهلكوا لم يتوالدوا ولا طعموا ولا شربوا **قوله عز وجل** وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اول هذه الاية معطوف على قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك ويجوز ان يكون كلتاهما عائدتين على ما تقدم من قوله يوم يجمع الله الرسل كانه قال اذ يقول الله يوم القيمة وفي اخر السورة ما يدل على هذا وهو قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذكر اللفظ على صيغة الماضي لتحقق امره كانه قد وقع ونحوه ونظير هذا قوله ونادى اصحاب الجنة وقوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر اي سيقوله واما قوله انت قلت للناس معناه انت قلت لهم في الدنيا اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد بينا ان مثل هذا السوال انما يكون على جهة التوبيخ للذين ادعوا وزعموا ان عيسى عليه السلم امرهم بقولهم عيسى بن الله وثالث ثلثة فيكون السوال والجواب الذي في هذه الاية ابلغ في التوكيد والتوبيخ لان القوم محقون صادق الخبر وفائدة هذه الاية الردع لكل من يكذب على غيره ويحمل تكذيبه عليه كالعذر له فيما لا يحل وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوحى لعيسى عليه السلم ترعد فرايصه يقول الله تعالى له انت قلت للناس اتخذوني وامي فيقول باعلى صوته منزها لربه سبحانك اي تنزيها لك يا رب وقوله ما يكون لي ان اقول لا يجوز وما ينبغي لي ان ادعي شيئا لست بحقيق له ان كنت قلت هذا القول فقد علمته تعلم ما عندي وفي ضميري وما كان مني في الدنيا ولا اعلم ما عندك وفي غيبك انك انت علام الغيوب لا يعلم الغيب احد غيرك واما ذكر النفس في قوله ولا اعلم ما في نفسك فعلى مزاوجة الكلام لان الغيب من الله تعالى في حكم الضمير من الادميين والنفس في كلام العرب على ضروب تذكر ويراد به ذات الشي كما يقال جاني فلان نفسه اي ذاته وقتل فلان نفسه واهلك فلان نفسه ويراد به تلك الذات بكمالها وتذكر ويراد بها الروح كما يقال خرجت نفس فلان وتذكر ويراد به ما في القلب كما يقال في نفس فلان ان يفعل كذا واضمر فلان في نفسه فاذا احتمل اللفظ في اللغة هذه الوجوه كلها لابد من حمل الاية على اصح الوجوه لقيام الدلالة على وجوب تنزيه صفات الله تعالى عما لا يكون ولو كانت النفس لا تستعمل الا في امر هو كائن في غيره لوجب في قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها ان يقال ان للنفس نفسا واذا بطل ذلك صح ان المراد به الجملة والذات كانه قال يوم يأتي كل احد يجادل عن نفسه فكان المراد بقوله ولا اعلم ما في نفسك جملة الامر وحقيقته ما عند الله وذهب السدي الى ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلم حين رفعه الى السماء انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وفائدة هذا التاويل انه

يحتمل

يحتمل ان الله سبحانه وتعالى قال ذلك لعيسى عليه السلم ليعرفه ان قومه غيروا قوله من بعده فان قال قائل ليس في النصارى من اتخذ مريم الها وسماها الها فما معنى هذا القول قيل ان لم يكن في النصارى من يقول هذا القول اليوم فلابد من ان يكون فيهم من قال ذلك لان هذه الاية تدل على انهم قد قالوا ذلك والتصديق لكتاب الله اوجب من التصديق لنقلتنا قل وجواب اخر ان الله تعالى ورد هذا على طريق الالزام لهم وان لم يكن قولا لهم اذ جعلوا عيسى عليه السلم الها لاختصاصه بالولادة من غير اب وكان الكعب في امه ان يكون الها لانها ولدت من غير ذكر ولان الولد لا يكون الا من جنس الام **قوله عز وجل** مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ تاكيد لنفي دعواهم على عيسى عليه السلم انه هو الذي امرهم بقولهم عيسى بن الله ومعناه ما قلت لهم شيئا الا القول الذي امرتني به ان اعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه وكنت عليهم شهيدا بالبلاغ ما دمت مقيما بين ظهرانيهم في الدنيا ويقال معناه كنت عالما بهم لم اعلم منهم شيئا من الاقاويل الباطلة فلما توفيتني اي صيرتني اليك من بينهم ورفعتني الى السما كنت انت الحفيظ عليهم وانت على كل شي من مقالتي ومقالتهم مطلع عالم مشاهد وذهب بعض المفسرين الى ان معنى قوله توفيتني امتني وقالوا ان عيسى عليه السلم ليس بحي في السما كما زعم بعض الناس الا ان القول الاول اشهر ويحتمل ان الله تعالى اماته ثم احياه ورفعه الى السما **قوله عز وجل** إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الاية ان تعذبهم على هذه المقالة التي اجترموها فانت تعذب عبادك وان تتوبوا فتغفر لهم فانك انت المسيح في مغفرتك لهم لا يمنعك احد مما تريد الحكيم في امرك فان قال قائل ظاهر هذه الاية تتضمن سوال المغفرة للكفار والله تعالى لا يغفر ان يشرك به فما معنى هذا السوال قيل انه يحتمل انه لم يكن وكتابه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويحتمل ان معناه ان تغفر لهم كذبهم الذي قالوا علي وقيل ان عيسى عليه السلم علم ان من القوم من امن ومنهم من اقام على كلمة الكفر فكانه قال ان تعذب الذين ماتوا على الكفر فهو فانهم عبادك وانت القادر عليهم وان تغفر لمن اقلع منهم وامن فذلك تفضل منك لانه كان قبل ان لا تعذبهم بعد عظم الذنب وكان هذا القول من عيسى عليه السلم على وجه الخضوع والتسليم والانقياد على معنى انك الملك والقادر على كل شي ولهذا قال فانك انت العزيز الحكيم ولم يقل فانك انت الغفور الرحيم لان ذلك [illegible] هو الدعا بالمغفرة وطلب الرحمة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم وقد روي في الحديث [illegible] هذه الاية احيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بها وكان يقوم بها يركع بها ويسجد بها ثم قال اللهم امتي امتي يارب فنزل عليه جبريل [illegible] فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك انا سنرضيك في امتك **قوله عز وجل** قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ه من قرا يوم ينفع برفع الميم فمعناه قال الله تعالى لعيسى عليه السلم هذا اليوم يوم ينفع النبيين صدقهم في تبليغ الرسالة والمؤمنين ما بهم الذي هو صدق في الدنيا لانه لا ينفع الكفار تصديقهم في الاخرة لان قولهم في الدنيا كان كذبا على الله تعالى ومن قرا يوم بالنصب فعلى الظرف معناه قال الله تعالى لعيسى عليه السلم هذا القول في يوم يكون في يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله لهم جنات اي بساتين تجري من تحت شجرها وغرفها الانهار رضي الله عنهم بما عملوا [illegible] ورضوا عنه بما اكرمهم به من الثواب ذلك الفوز العظيم اي ذلك الثواب والخلود في الجنة النجاة الوافرة وحقيقة الفوز نيل المراد **قوله عز وجل** لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ه معناه

لله خزائن السموات والارض وما فيهن من الخلق يعطي من يشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو على كل شيء مما يريد بعباده من المغفرة والعذاب قادر والغرض من الاية نفي الربوبية عن عيسى عليه السلم وبيان ان الله تعالى هو المستحق للعبادة دون غيره وانه هو القادر على كل شيء من الجزاء ترغيبا في الطاعة وتحذيرا من المعصية وقد روي عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وبالله التوفيق ٥

سورة الانعام

مائة وستون وخمس ايات عند الكوفيين وست عند البصريين وسبع عند الحجازيين روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه السورة كلها مكية نزلت جملة واحدة غير ست ايات منها مدنيات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ليلة نزلت هذه السورة وشيعها سبعون الف ملك قايدهم جبريل عليه السلم وقد ملؤا ما بين الاخشبين ولهم زجل بالتسبيح والتهليل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها في ليلتهم فقال جبريل عليه السلم يا محمد من قراها من امتك ايمانا واحتسابا صلى عليه سبعون الف ملك الذين شيعوها اليك بعدد كل اية يوما وليلة فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدا شكرا لله سبحانه قال عبد الله بن عباس فالايات الست المدنيات قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الايات الثلاث وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الى اخر الاثنين وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الى اخر الاية وقيل ان الحكمة في نزول اكثر هذه السورة جملة واحدة لانها في معنى واحد وهو الاحتجاج على مشركي العرب وعلى كل من كذب بالبعث والنشور

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ٥ روي عن كعب الاحبار انه قال مفتاح التورية الحمد لله الذي خلق السموات والارض وخاتمتها خاتمة سورة هود ولله غيب السموات والارض الاية والله اعلم الشكر لله حمد الرب جل ذكره نفسه ودل على توحيده بصنعه فذكر اعظم الاشيا المخلوقة السما بغير عمد والارض بغير ما يدعمها فلذلك قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض اي خلق السموات بما فيها من الشمس والقمر والنجوم والارض بما فيها من البر والبحر والسهل والجبل والنبات والشجر وجعل الظلمات والنور اي خلق الليل والنهار لمصالح الخلق يستريحون بالليل ويتصرفون بالنهار في معايشهم ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يجعلون لله عدلا ويعبدون الحجارة الموات وهم يقرون بان الله خالق هذه الاشيا وان الاصنام لا تفعل شيا من ذلك وهذا توبيخ بلفظ حسن وتعجيب للمومنين من كفر الكافرين ونظير هذا في الكلام ان ينعم الرجل على انسان نعمة لا يبقى له موضع شكوى منه ثم يشكوه المنعم عليه فيقول المنعم اني قد احسنت اليك كل الاحسان فلم تشكرني ثم انك تشكوني وتلومني ٥ فان قال قايل لم كرر قوله الحمد لله في روس كثير من السور قيل لانه عقب ذكر الحمد في كل موضع بذكر نعمة عظيمة لم يذكرها في الموضع الاخر فخرج ذلك من ان يكون تكرارا لان الغرض من هذه الاية ذكر الحمد على سبيل الاحتجاج على الكفار فان قال قايل لم ذكر السموات قبل الارض والظلمات قبل النور قيل لان الله تعالى خلق الظلمة قبل النور كما خلق الجنة قبل النار وذلك لان الجنة هي الغرض المطلوب والمدعو اليه وخلق النار لتاكيد الدعا الى الجنة بالتخويف بالنار كما جرت العادة ان الانسان اذا دعا غيره الى فعل من الافعال فانه يخوفه من تركه بالعقاب واما خلق الظلمة قبل النور فلان الظلمة بمنزلة الشبهة في الحجة فخلق النور بعد الظلمة ليمحو الظلمة ويزيل الشبهة وعن قتادة رضي الله عنه ان الله تعالى ذكر خلق السما قبل الارض لانها اشرف من الارض **قوله عز وجل** هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون ٥ معناه خلقكم من ادم عليه السلم ابتدا

وخلق

وخلق ادم من طين وقوله تعالى ثم قضى اجلا اي جعل لحياتكم وقتا تحيون فيه وهو مدة كل واحد منا من يوم يولد الى يوم يموت واما دخول حرف ثم في قوله ثم قضى اجلا فليس لنسق الخبر الثاني على الاول من حيث الفعل ولكنه للترادف في الاخبار وهذا مثل الرجل يعدد نعمه منه على اخر فيقول قد اعطيتك اليوم الفا ثم قد اعطيتك امس الفا اخرى واما قوله عز وجل واجل مسمى عنده فمعناه مدة انقضا الدنيا الى ان تقوم الساعة ولا يعلم وقت قيام الساعة الا الله عز وجل وعن عطية العوفي ان المراد بالاجل الاول هو النوم تقبض فيه روح العبد ثم ترد اليه والمراد بالاجل المسمى الموت وقوله عز وجل ثم انتم تمترون معناه ثم انتم بعد هذا البيان تجلبون الشك الى انفسكم في موضع ليس هو موضع الشك والمرية الشك المجتلب بالشبهة واصلها من قولهم مريت الناقة اذا مسحت ضرعها ليدر لبنها وتخليه للحلب **قوله عز وجل** وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون معناه هو الله المعبود المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض العالم بما يصلحهما وبما يعمل فيهما ونظير هذا من الكلام ان يقول الرجل فلان هو الملك في الشرق والغرب وقوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اي يعلم ضمير قلوبكم وسركم عما لكم وعلانية امركم ويعلم ما تعملون من خير او شر والكسب في اللغة هو الفعل الذي يقصد به جلب منفعة او دفع مضرة ولهذا لم يجر في صفات الله تعالى الكاسب لاستحالة المنافع والمضار عليه **قوله عز وجل** وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين قال عبد الله بن عباس في معنى الاية ما تاتي كفار مكة من دلايل التوحيد والنبوة مثل كسوف الشمس وانشقاق القمر والدخان الا كانوا عن هذه الايات والعلامات معرضين مكذبين والاعراض في الاصل صرف الوجه عن الشيء ثم استعمل في الانصراف عن التفكر والتدبر **قوله عز وجل** فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون ٥ معناه قد كذب اهل مكة بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما راوا من انشقاق القمر بمكة كما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان القمر انفلق فلقتين حتى راوا حرا بين فلقتي القمر ثم ذهب فلقة وبقيت فلقة وقوله تعالى فسوف ياتيهم انباء وعيد لهم معناه سيعلمون ما تؤول اليه عاقبة استهزائهم بالرسل والكتب والايات لو كانت تاتيهم فقتلهم الله يوم بدر بالسيف وياتيهم خبر استهزائهم حين يرون العذاب معاينة والنبا عبارة عن الخبر الذي له عظم وشان ولهذا اشتق منه النبي لانه اتى باخبار لها شان **قوله عز وجل** الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السما عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين ٥ معناه الم يعلم اهل مكة كم اهلكنا من قبلهم من قرن بكفرهم مثل قوم نوح وعاد وثمود مكناهم في الارض ما لم نملككم وامهلناهم في العمر وبقا الالات والولد والحشم ورفع الموانع ما لم نفعل لكم وانزلنا المطر عليهم دارا دايما يتبع بعضه بعضا وجعلنا الانهار تجري من تحت اشجارهم وبساتينهم فلم ياخذوا فيما اعطوا بشكر وعصوا ربهم وكذبوا رسلهم فاهلكناهم بذنوبهم بكفرهم وتكذيبهم وخلقنا من بعد هلاكهم قوما اخرين فسكنوا ديارهم ثم بعث اليهم الرسل فمن لم ياخذ بسنة الرسل ومنهاجهم اهلكه الله والقرن في قول اكثر المفسرين اهل عصر واحد سموا قرنا لاقترانهم في وقت واحد وبقا اهل كل عصر فيهم نبي او عالم سموا قرنا لاقترانهم بالنبوة او العلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم واراد بالقرن الاول الصحابة وبالثاني التابعين وبالثالث تابعي التابعين واختلفوا في مدة القرن قال بعضهم ثمانون سنة وقال بعضهم سبعون سنة ومن القرن مائة وعشرون سنة والمدرار مفعال من الدر سمي المبالغة كما يقال امراة مذكار اذا كانت كثيرة الاولاد الذكور ومئناث في الاناث واما المخالفة بين لفظ الخطابين في قوله مكناهم وقوله ما

لم نمكن لكم لان العرب تتسع في هذه الافعال التي تتعدى الى مفعول لانها بحروف الصفات وبغيرها واما العدول في الاية من لفظ المغايبة الى لفظ خطاب الحاضر بقوله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم فعلى معنى ان اول الاية اخبار للنبي صلى الله عليه وسلم كانه قال الم يروا كم اهلكنا من قبل قومك من قرن ثم خاطبه معهم فقال مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومثل هذا سايغ في التوسع في الكلام ونظير هذه الاية قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة والفرق بين التمكين والاقدار ان التمكين اعطا ما يصح به الفعل من الالات والاقدار اعطا القدرة خاصة لان الذي له القدرة على الكتابة يتعذر عليه اذا لم يكن له الة الكتابة ويتمكن اذا احضرته الالة ولا يجوز في صفات الله تعالى متمكن كما يجوز قادر لان صفة التمكن متضمنة بالمكان **قوله عز وجل** ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ۝ قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي امية المخزومي قال يا محمد صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملايكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله ومعنى الاية والله اعلم لو انزلنا كتابا في صحيفة وعلقناه بين السماء والارض ينظرون اليه ويعاينونه ويلمسونه بايديهم لقال كفار مكة بعد معاينة الاية التي لا يعرفون لها سببا ان هذا الا سحر مبين كما قالوا في انشقاق القمر سحر مستمر وفي الاية بيان ان القوم كانوا معاندين مصرين على التكذيب **قوله عز وجل** وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ۝ معناه قالوا لولا انزل عليه ملك نشاهده ونعاينه يخبرنا بانه نبي والا فقد كان ينزل عليه الملك وهذا كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وقوله عز وجل ولو انزلنا ملكا لقضي الامر معناه لو انزلنا ملكا كما سالوه فكذبوه لعذبوا بعذاب الاستيصال ولا يؤجلون بعد انزال الايات المقترحة نحو ما ذكره الله تعالى في قصة قوم صالح وغيرهم ولو لم يعذبهم بعذاب الاستيصال بعد انزال الملك لكان في ذلك تسهيل للكفر لانه اذا تعلقت شبهتهم بحصول امر وحصل الامر الذي سالوه حتى ارتفعت شبهتهم ثم كفروا بعد ذلك فلم يعذبهم الله تعالى لم يكن ذلك الا تسهيلا للكفر وتاويل اخر ان القوم كان لا يمكنهم مشاهدة الملك الا بان يزيد الله تعالى في شعاع ابصارهم حتى يروا الملك لان الملايكة خلقوا من نور وهؤلاء خلقوا من الطين واذا زاد الله في شعاع ابصارهم حتى راوا الملك فقد راوا ما يكون عند رؤيته الياس وما هو من علامات القيمة فيكون عند ذلك ضرورة لهم ملكا عيانا فلا يصح التكليف بعد ذلك **قوله عز وجل** ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ۝ معناه لو انزلنا اليهم رسولا ملكا لارسلناه في صورة الانسان كيلا يؤدي الى استيصالهم وليكون الشكل الى الشكل اميل وبه انس والى الفهم منه اقرب والى القبول عنه اسرع ولو نظر ناظر الى الملك على هيئته لصعق وقد كانت الملايكة تاتي الانبيا صلوات الله عليهم في صورة الانسان من ذلك ان جبريل عليه السلم كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وربما كان ياتيه بحيث لا يرونه كما ورد في الاخبار فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم اعلمهم ۝ وجات الملايكة الى ابرهيم عليه السلم في صورة الضيفان وجا الملكان الى داود عليه السلم في صورة رجلين يختصمان اليه فذلك قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لو انزلنا عليهم ملكا لجعلنا ذلك الملك في صورة الرجل ايضا وللبسنا عليهم اي لخلطنا وشبهنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدرون املك هو ام رجل وهذا لانهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوه بالصدق والامانة ثم لبسوا على انفسهم وعلى ضعفتهم فقالوا انما هو بشر فلو نزل الملك في صورة رجل لبسوا على انفسهم ايضا فلم يسلوا منه وكما لو انه في مثل صورتناه فان قيل لماذا اضاف الله تعالى اللبس الى نفسه قيل لانه لو جعله بصورة رجل لاشتبه عليهم بسبب التصوير والتحويل الذي من قبل الله عز وجل فجاز ان يضاف ذلك اليه من حيث فعل السبب

قوله

قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون معناه لقد استهزءت الامم الماضية بانبيايهم كما استهزئ بك يا محمد صلى الله عليه وسلم قومك فحل ونزل بالمستهزئين من الكفار عقوبة استهزايهم بالكتاب والرسول عليه السلم وقال الضحاك كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد الحرام مع جماعة من المستضعفين بلال وصهيب وعمار وغيرهم فمر بهم ابو جهل في ملا من قريش فقال يزعم محمد ان هؤلاء ملوك اهل الجنة فانزل الله تعالى هذه الاية ليثبت فؤاده ويصبره على اذى المشركين اي ان سخر اهل مكة من اصحابك فقد فعل ذلك الجهلة برسل من قبلك ۝ والحيق في اللغة ما اشتمل على الانسان من مكروه فعله ومنه قوله عز وجل ولا يحيق المكر السيئ الا باهله قال الزجاج اصله حقق ثم ابدلت احدى القافين يا وهي الاولى فصار حيق فلما تحركت اليا وانفتح ما قبلها قلبت الفا فصار حاق وهذا نحو قولهم تقضي البازي كان اصله تقضض البازي ثم قلبت احدى الضادين يا واما الاستهزا فهو ايهام التفخيم بمعنى التحقير **قوله عز وجل** قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۝ معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم سافروا ثم انظروا بابصاركم وتاملوا بقلوبكم كيف صار اخر امر المكذبين بالرسل عليهم السلم والكتب مثل قوم نوح وعاد وثمود واشباههم الذين عذبهم الله بعذاب الاستيصال وكانت اثار ديارهم باقية قريبة من مكة وقال الحسن رضي الله عنه معنى سيروا في الارض اقرءوا القران فان من قرا القران وتفكر فيه فكانه سار في الارض والنظر في اللغة طلب الادراك بالبصر والفكر **قوله عز وجل** قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ۝ معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لكفار مكة لمن ملك ما في السموات والارض فان اجابوك فقالوا لله والا فقل لله اذ هم يعلمون ويقرون ان الاصنام لا تملك شيا وانما الله يملك ذلك وانما ذكر الله سبحانه لمن ما في السموات وفي الارض ثم اجابها بنفسه مع الاستغنا عن السوال والجواب لان السوال يبعث النفس على الطلب لما فيه من البيان فيكون ذلك في النفس اوقع والى العلم بصحته اقرب وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة قال بعضهم اوجب على نفسه النعمة بخلق الاحيا لانه لو لم يخلقهم لم يصح الانعام عليهم لان الانعام على الجماد لا يصح وقال بعضهم معناه اوجب به الانعام عليهم وقال بعضهم وجب على نفسه النعمة بامهال من عصاه ليستدرك ذلك بالتوبة ولا على نفسه الثواب لمن اطاعه وقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة بدل من الرحمة وتفسير لها فكانه قال ليجمعن بين الكافر والمومن في الرزق والنعمة في الدولة وليبعثكم الى يوم القيمة لا شك فيه عند المومنين انه حق كاين ثم يكون العاقبة بعد البعث للمومنين وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم قال بعضهم ابتداء كلام وجوابه قوله فهم لا يؤمنون لان الذين في موضع شرط كما يقال الذي ياتيني فله درهم فيكون تقدير الاية على هذا القول الذين غبنوا انفسهم واهليهم ومنازلهم وخدمهم في الجنة في سابق علم الله لا يصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وذهب بعض المفسرين الى ان قوله ليجمعنكم كلام مبتدا على وجه القسم والذين بدل من الكاف والميم في ليجمعنكم كانه قال ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به ويحتمل ان يكون قوله الذين خسروا انفسهم راجعا الى المكذبين كانه عاقبة المكذبين الذين خسروا انفسهم **قوله عز وجل** وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ۝ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان كفار مكة اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد قد علمنا انه ما يحملك على الذي تدعونا اليه الا الحاجة فنحن نجعل لك من اموالنا حتى تكون اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه فنزلت هذه الاية ومعناها ولله ملك ما استقر في الليل والنهار من الخلايق كلهم وهذا لفظ يشتمل على جميع المخلوقات لان من الحيوانات ما يتصرف في النهار ويسكن بالليل ومنها ما يتصرف بالليل ويسكن بالنهار وقوله تعالى وهو السميع العليم معناه السميع لمقالة الكفار العليم بهم وبعقوبتهم ويقال هو السميع للاصوات والاقوال العليم

بالاسبا والارزاق هذا على وجه الاحتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا ان جميع ما استقر في الليل والنهار
لله تعالى فالذي في قدرته ان يفعل ذلك قادر على كل شي من الامور امور الدنيا والاخرة فان قيل فلم
قال وله ما سكن ولم يقل وله ما تحرك في الليل والنهار قيل ان الساكن في الاشيا اعم لانه ما من متحرك
الا ويسكن وفي الاجسا الساكنة ما لا يتحرك البته وقيل ان سكون الثقيل على غير عمد ومن دون علاقة
ادل على الاقتدار لانه لا بد ان يكون لمثله مسكن قادر على تسكينه ثم زاد الله تعالى في الاحتجاج والبيان
فقال عز من قائل قل اغير الله اتخذ وليا وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا
تكونن من المشركين ٥ معنى الاية قل يا محمد صلى الله عليه وسلم اسوى الله تعالى اعبد ربا واتخذ ناصرا
وقوله تعالى فاطر السموات والارض يجوز فيه من الاعراب ثلثة اوجه فاطر بالخفض على وجه النعت لاسم
الله ويجوز النصب على معنى فادع فاطر السموات والارض واعني فاطر السموات والارض ويجوز فاطر
السموات والارض بالرفع على اضمار هو ومعنى الفاطر الخالق يقال فطر ناب البعير اذا شق وخرج ومعنى اذا
السما انفطرت انشقت والانفطار التشقق والتقطع فيكون معنى قوله فاطر السموات والارض خالقهما خلقا
قاطعا وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال كنت لا ادري ما فاطر السموات والارض حتى اتاني
اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما لصاحبه انا فطرتها اي ابتدات حفرها وقوله تعالى وهو يطعم
ولا يطعم معناه وهو يرزق ولا يرزق ولا يعان على الرزق وليس هو كسائر الموالي الذين تكسبهم
عبيدهم ليحصلوا له رزقه وكفايته ومن قرا ولا يطعم بفتح اليا فمعناه لا ياكل مع كونه حيا على خلاف
سائر الاحيا اذ لا تجوز عليه الحاجة كما تجوز على الاحيا وقوله تعالى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم
اي قل لهم اني امرت ان اكون اول من اخلص لله بالتوحيد والعبادة من هذه الامة او من اهل هذا
الزمان ومثل هذا انما يذكر لاظهار منزلة الاسلام على جهة الرغبة فيه كانه قال لما بان لي امر الاسلام فلم
لكن الا اول مسارع اليه وقوله تعالى ولا تكونن من المشركين لا يجوز ان يكون عطفا على
قوله تعالى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان هذا امر له بان يقول هذا وهو غير مامور بان يقول
ولا تكونن من المشركين واما قوله ولا تكونن فهو معطوف على امر من جهة المعنى دون اللفظ لان معنى
الاية قيل لي كن اول من اسلم ولا تكونن من المشركين **قوله عز وجل** قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم ٥ معناه قل يا محمد اني اعلم اني ان عصيت ربي وعبدت غيره ان ينزل بي عذاب يوم عظيم شانه
وهو يوم القيمة اذ عظم اليوم انما يكون بعظم الشان الذي يكون فيه **قوله عز وجل** من يصرف عنه
يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين ٥ معناه من يصرف الله تعالى عنه العذاب العظيم يوم القيمة فقد رحمه
وذلك هو النجاة الوافرة الظاهرة ومن قرا من يصرف بضم اليا على فعل ما لم يسم فاعله فمعناه من يصرف عنه
العذاب بامر الله تعالى فقد سبقت رحمة الله تعالى له بالحاب الثواب كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي وروى ابو هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سددوا وقاربوا واعلموا انه لن ينجو احد بعمله قالوا ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته **قوله عز وجل** وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شي قدير ٥ معناه وان يصبك الله بفقر او مرض او بلاء فلا يقدر احد
من الاصنام وغيرها على كشف ذلك الضر الا الله عز وجل وانما اطلق هذا اللفظ وان كان الانسان يتصور
ان يكشف الانسان عن صاحبه كربه من الكرب لان كاشف الضر في الحقيقة هو الله عز وجل اما ان
يكشفه بفضله او يسببه له كما ان كل نعمة فهي من الله تعالى على هذا الوجه وانما قال وان يمسسك الله مع كون
المس من صفة الاجسام لان المعنى يمسك الله تعالى الضر لان البا والالف تتعاقبان للتعدية كقولك ذهبت به
واذهبته ومعنى وان يمسسك بخير اي يصبك بغنا وسعة في الرزق وصحة في الجسم فلا مزيل لها الا هو الا

ادرلم

فاطر السموات والارض

انه لم يقل فلا مزيل لها الا هو لانه لما ذكر مثل هذا في الضر دل على ذلك في الخير فاستغنى عن اعادته وقوله تعالى
فهو على كل شي قدير معناه لا يقدر احد ان يمنعه عن فعل ما اراد فعله من كشف ضر وخير **قوله عز
وجل** وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ٥ معناه والله اعلم هو الغالب على امر عباده والقهر
هو الاستعلاء بالاقتدار على الغلبة واراد بقوله تعالى فوق انهم تحت التسخير والتذليل عا علاهم من الاقتدار
اللازم عليهم لا ينفك احد منهم اذ الله تعالى كان قبل الاماكن كلها فهو الان على ما كان وقوله تعالى وهو الحكيم
الخبير معناه المحكم لصنعه العالم الخبير باعمال الخلق والحكمة معرفة وجوه تدبير الصنعة على وجه يمنع من الخلل فيها
ويقال لفلان خبرة بهذا الامر اي معرفة به على ما يصح ان يخبر عنه. **قوله عز وجل** قل اي شي اكبر شهادة
قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ اينكم لتشهدون ان مع الله
الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بري مما تشركون ٥ قال عبد الله بن عباس وذلك ان
روسا مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اما وجد الله تعالى رسولا يرسله غيرك ما نرى احدا
يصدقك لما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة ولا نعت
فارنا من يشهد انك رسول الله كما ترعم فانزل الله هذه الاية ومعناها قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم اي احد
اعدل واعظم برهانا وحجة فان اجابوك وقالوا الله والا فقل لهم الله اكبر شهادة من خلقه وهو شهيد بيني وبينكم
باني رسوله وان هذا القران كلامه والشاهد هو المبين لدعوى المدعي وقد بين الله تعالى دعوى رسوله صلى الله
عليه وسلم بالبراهين والمعجزات والايات الدالة على التوحيد والنبوة وقوله واوحي الي هذا القران معناه انزل علي
هذا القران لاخوفكم به عاقبة من الدلايل واخبار الامم السالفة والانبا بما سيكون والتاليف الذي عجز عنه العرب
فكان مما انبا به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ظهر بعده ان قال في اليهود وضربت عليهم الذلة والمسكنة
فهم اذلا الى يوم القيمة وقال سيغلبون في بضع سنين وكان كما قال وقال عز من قائل والله يعصمك من الناس وكان
معصوما وقال عز وجل ليظهره على الدين كله واظهر دين الاسلام بالغلبة والحجة على اكثر اقطار الارض واما
قوله تعالى ومن بلغ معناه وانذر من بلغه القران سواكم من العجم وغيرهم من الجن وساير الانس الى ان تقوم الساعة
لانه ليس من بعد القران كتاب ولا من بعد محمد صلى الله عليه وسلم رسول وقوله تعالى ائنكم لتشهدون استفهام
بمعنى الانكار اي كنتم تشهدون باثبات شريك لله تعالى فانا لا اشهد بما تشهدون به ونظير هذا ما يقول الرجل لاخر
انت ملحد اعوذ بالله من الالحاد وانما قال اخرى ولم يقل اخر لان الجمع يذكر بلفظ التانيث كما قال الله سبحانه
قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ومثله كثير واما قوله تعالى قل انما هو اله واحد معناه قل انما الله اله واحد لا شريك
له ولا ولد واني بري مما تشركون به من الاصنام والاوثان **قوله عز وجل** الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يومنون معناه الذين اعطيناهم التورية والانجيل
يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم بما يجدونه مكتوبا من صفته ونعته كما يعرفون ابناءهم اذا راوهم بين الغلمان
كما روي في الخبر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام يا ابا حمزة اتعرف محمدا صلى الله عليه وسلم
كما تعرف ابنك فقال ان معرفتي به اشد من معرفتي بابني لان امين السما نعني جبريل عليه السلم قد جاء بنعته الى امين
الارض وهو موسى عليه السلم فعرفته واما ابني فما ادري ما احدث النسا بعدي وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم
ابتدا الكلام معناه الذين غبنوا انفسهم بذهاب الدنيا والاخرة عنهم وهم المعاندون الذين يعرفون ويجحدون
من روسا اليهود والنصارى فهم لا يقرون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران **قوله عز وجل** ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون ٥ معناه اي احد اظلم في فاحشة
اتاها ممن اختلق على الله كذبا باضافته الى الله تعالى ما لم يضفه الى نفسه من صفة او امر او قول وهم الذين
اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشا وقوله تعالى وكذب باياته

معناه او كذب بدلايله ‌ه‌ قوله تعالى انه لا يفلح الظالمون معناه لا يامن من عذاب الله ولا يصل الى مراده وبغيته
القوم الكافرون **قوله عز وجل** ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين
كنتم تزعمون ‌ه‌ معناه واذكر يوم نبعث الكفار والهتهم جميعا للحساب والجزاء وقال بعضهم
ان الواو في اول هذه الاية عطف على قوله تعالى لا يفلح الظالمون كانه قال لا يفلحون في الدنيا ويوم نحشرهم جميعا
والحشر جمع الناس الى موضع معلوم ‌ه‌ وقوله تعالى ثم نقول للذين اشركوا معناه ثم نقول للذين اشركوا بالله تعالى
غيره اين الهتكم الذين كنتم تعبدون من دون الله وتزعمون انهم شركاء الله تعالى وشفعاؤكم وانما اضاف الشركاء
اليهم لانهم هم الذين كانوا يجعلونهم شركاء الله تعالى وهذا كقوله تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فاضاف
المقام الى نفسه واراد به ذلك لمن خاف مقامه بين يدي وكقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه واراد
به على حبهم الطعام ‌ه‌ **قوله عز وجل** ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ‌ه‌
معناه ثم لم تكن معذرتهم يوم القيمة الا مقالتهم والله ربنا ما كنا مشركين في دار الدنيا وانما سميت المعذرة
فتنة لانها عن الفتنة التي تابينها ليس بحقيقي اذ معناها الافتتان فتذكر ومن قرا فتنتهم بالنصب جعل الفتنة
خبر لم تكن واسمه ان قالوا ومن قرا ربنا بالنصب نصبه لانه بمعنى النداء كانه قال يا ربنا وقراه الخفض على البدل
ويكون الرفع على اضمار هو وقال بعضهم ان المراد بالفتنة محبتهم للاوثان التي كانوا يتوهمون انهم
مخلصون بها وكانوا مفتتنين في الدنيا بشركهم فاعلم الله تعالى انه لم يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه
الا ان تبرؤا منه وانتفوا عنه وحلفوا انهم ما كانوا مشركين مثال ذلك ان يكون الانسان غاليا في حب قوم
فتصيبه نكبة منهم فيقول قايل لم يكن محبتك لهم الا التبري منهم اي لم يكن عاقبة حبك الا هذا فان قيل كيف يكون
على اهل الاخرة الكذب مع كونهم ملجئين الى ترك القبايح لان الكذب لا ينفع الا في دار التكليف لان
الفاعل مع تمكنه من فعل القبيح والحسن لا يكون ان لا يزجر عن فعل القبيح ولا يدعا الى فعل الحسن لان هذا يكون
اهمالا او اغراء بالقبيح والاخرة دار معاينة وليست بدار التكليف قيل ذهب بعض المفسرين الى انهم انما يقولون
ما كنا مشركين في حال ما يلحقهم الذهول والدهش ويكون حكم هذا القول منهم حكم الكذب الواقع من الصبي
ثم اذا زال عنهم الدهش والذهول لا يقع منهم الكذب وذهب بعضهم الى انهم لم يعتقدوا الشرك يحلفون انهم
ما كانوا مشركين عند انفسهم وانهم لم يعتقدوا الشرك في دار الدنيا وهذا كالرجل يسال ان زيد في الدار فيقول
عندي انه في الدار ولم يكن زيد في الدار فان هذا يكون مخبرا عن ظنه انه في الدار ولا يكون متعمدا للكذب
قالوا وانما سمى الله تعالى هذا القول كذبا منهم بقوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم لانهم لما كانوا مشركين
في الحقيقة صار هذا القول كذبا منهم وان ظنوا صدق ما قالوا والذي يدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى وضل
عنهم ما كانوا يفترون اي اشتغلت الهتهم بانفسها عنهم وبطل افتراؤهم على الله بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى **قوله عز وجل** انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم
ما كانوا يفترون ‌ه‌ معناه انظر يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف صاروا بال الكذب عليهم وهذا تنبيه على
وجه التعجب ‌ه‌ وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون معناه على القول الاول وغرب عنهم افتراؤهم بما لحقهم من
الهول والدهش قال الضحاك رحمه الله وذلك حين نطقت الجوارح وشهدت عليهم ايديهم وارجلهم بعد حلفهم
والله ربنا ما كنا مشركين يقول الله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ‌ه‌
قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ‌ه‌
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان ابا سفين والوليد بن المغيرة وعتبة بن شيبة والنضر بن الحرث
وجماعة من اهل مكة كانوا يستمعون الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر بن الحرث ما يقول محمد صلى الله
عليه وسلم فقال لا اعرف ما يقول الا اني اراه يحرك شفتيه ويتكلم بشيء ولا يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت

احدثكم

احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الاولين واخبارهم فانزل الله تعالى هذه
الاية ومعناها ومن اهل مكة من يستمع الى حديثك وقراءتك وجعلنا على قلوبهم اغطية كراهية ان يفقهوه
وفي اذانهم ثقلا وصمما فلا يسمعون الهدى والاكنة جمع الكنان مثل عنان واعنة وغطا واغطية وموضع
ان يفقهوه نصب على انه مفعول له المعنى جعلنا على قلوبهم اكنة لكراهة ان يفقهوه حذفت اللام ونصب
الكراهة ولما حذفت الكراهة نقل اعرابها الى ان يفقهوه ويقال معناه ان يفقهوه لكيلا يفقهوه والوقر هو الثقل
في الاذن والوقر بكسر الواو وما يحمل على الظهر فان قيل لا يخلوا هؤلاء القوم اما ان يكونوا مكلفين بالاستماع
اليه ليسمعوا فيفقهوا او لم يكونوا مكلفين فان كانوا مكلفين بذلك فكيف يكون ان يكلف الله تعالى الانسان
بالايمان ثم يمنعه منه ويعاقبه على تركه وان لم يكونوا مكلفين بذلك فكيف يكون ان يذمهم الله تعالى
على ذلك قيل ان القوم كانوا مكلفين بالاستماع اليه ولكنهم لما لم يتدبروا كلام الله تعالى وصرفوا
فكرهم عنه كانوا بمنزلة من لم يسمع ولم يعلم وشبههم الله تعالى بالذي يكون على قلبه غطا وفي اذنه
ثقل يدل على صحة هذا ان الله تعالى قد اخبر عنهم انهم قد اخبروا عن انفسهم بهذا حيث قال عز وجل وقالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ولو كانوا صادقين في هذا القول لكان الله تعالى لا يذمهم
على ذلك وقيل ان المراد بالاكنة والوقر علامة جعلها عز وجل على قلوبهم واذانهم اذا شاهدها
الملائكة علموا انهم معرضون عن تدبر ايات الله تعالى وقال بعض المفسرين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي بالليل ويقرا القران في الصلوة جهرا رجاء ان يستمع الى قراءته انسان فيؤمن فكان من الكفار من يرصد
قراءته حتى اذا سمعها جاء اليه واذاه ليمنعه عن قراءة القران جهرا وكان الله تعالى يلقي عليهم النوم حتى لا
يمكنهم ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم وشبه القاء النوم عليهم بجعل الغطا على قلوبهم وجعل الثقل في اذانهم
وقوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها معناه وان يروا كل دلالة وحجة لا يقروا ولا يصدقوا بها
وفي هذا بيان ان الله تعالى لم يمنع اللطف عنهم وانما فقد ايمانهم من جهتهم ‌ه‌ وقوله تعالى حتى اذا جاءوك
يجادلونك معناه اذا جاءوك بالنهار يخاصمونك بالباطل ‌ه‌ وقوله تعالى يقول الذين كفروا معناه يقول
النضر واصحابه ما هذا الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم الا احاديث الاولين واباطيلهم والاساطير
جمع اسطورة وهي ما سطره الاولون من الكتب كما يقال اضحوكة واضاحيك ويقال هذا لفظ جمع لا واحد
له كقولهم عباديد وابابيل **قوله عز وجل** وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون
الا انفسهم وما يشعرون ‌ه‌ معناه وهم يمنعون الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم ان يسمعوا ويفرون
ويبعدون انفسهم عنه وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يعلمون انهم يهلكون انفسهم ويقال نزلت
هذه الاية في ابي طالب كان ينهى الناس عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم وقتله ولم يتبعه الا ان التاويل
الاول اقرب الى ظاهر الاية لان الكلام متصل بذكر الجماعة جماعة الكفار **قوله عز وجل**
ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين
معناه ولو ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم كفار قريش اذ حبسوا على النار اذ عاينوها وهي تحتهم ويقال
اذا دخلوا في النار فعرفوا مقدار عذابها ولهذا كما يقال في الكلام وقفت على ما عند فلان يراد بذلك
فهمته وتبينته واما قوله فقالوا يا ليتنا نرد معناه انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا واما قوله تعالى ولا نكذب
بايات ربنا ونكون فاكثر القراء فيها بالرفع ويكون ان يكون ذلك رفعا على جهة التمني على معنى يا ليتنا نرد
ويا ليتنا لا نكذب كانهم تمنوا الرد والتوفيق للتصديق ويكون ان يكون ذلك رفعا على المعنى ونحن لا نكذب
بايات ربنا رددنا او لم نرد قال سيبويه مثاله قولهم دعني ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني
ومن قرا لا نكذب ونكون بالنصب جعله جواب التمني بالواو وهو كما تقول ليتك تصير الينا ونكرمك او فنكرمك
كلاهما بالنصب اي ليت مصيرك يقع واكرامنا اياك يكون وجواب ولو ترى اذ وقفوا مضمر في الاية

معناه لو رايت ذلك لعلمت ما ذا ينزل بهم من الخزي والندامة ورايت حسرة يا لها من حسرة وقد تقدم
ان حذف الجواب في مثل هذا الموضع ابلغ من الاثبات **قوله عز وجل** بل بدا لهم ما كانوا
يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ه معناه بل ظهر للذين اتبعوا
الغواة ما يخفون عنهم امر البعث والنشور وما كان رؤساؤهم يخفون من سفلتهم وتقال بل ظهر لهم من
الجوارح ما كانوا يخفون من قبل بالسنتهم لان الجوارح تشهد عليهم بالشرك فيتمنون الرجعة وقال
بعضهم ان المراد بالاية اهل النفاق تظهر لهم يوم القيمة ما كانوا يسرون من قبل في الدنيا من كفرهم
وتكذيبهم وقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه معناه لو ردوا الى الدنيا كما سالوا لعادوا
الى ما نهوا عنه من الكفر والشرك وقوله تعالى وانهم لكاذبون معناه انهم لكاذبون في قولهم
ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين لانهم لا يؤمنون لسابق علم الله تعالى فيهم انهم خلقوا
للنار وذهب بعض المفسرين الى ان معنى الاية لو ردوا ولم يعاينوا العذاب لعادوا لان الذي يشاهد
اهوال القيمة وعذاب النار لا ينسى ولا يعود الى الكفر وهذا غلط بين لان في الاية انهم اذا وقفوا على النار
وعلموا امر القيمة تحقيقا يقولون يا ليتنا نرد يقول الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه واكثر من عاند
من اليهود والمشركين قد علم ان امر الله تعالى حق فركن الى الرفاهية لاعتقاده ان ذلك العذاب متاخر عنه
الى الامد كما فعل ابليس الذي شاهد من براهين الله تعالى ما لا غاية بعده فاعلم الله تعالى ان هؤلاء الكفار
قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم وانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه **قوله عز وجل** وقالوا ان
هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ه معناه قال كفار مكة ما حيوتنا الا الحيوة الدنيا التي نحن فيها
احياء تنقضي وما نحن بمحيين بعد الموت **قوله عز وجل** ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا
بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ه معناه ولو ترى يا محمد صلى الله
عليه وسلم اذ حبسوا عند ربهم للسؤال والحساب وتقال عرفوا ما وعدهم ربهم من البعث والقيمة
والجنة والنار فيقول الله تعالى لهم اليس هذا البعث والعذاب بالحق اي بالصدق فيقولون بلى وربنا انه
لحق وصدق يقول الله تعالى لهم فذوقوا العذاب بكفركم في الدنيا وانما ذكر الذوق بمعنى الخلود ليبين ان
حالهم في كل وقت كحال من يعذب بالعذاب ابتداء كما قال تعالى لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
وانما قال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وان كان الله تعالى لا يجوز عليه المكان ولا القرب ولا البعد
بمعنى المسافة لان العادة جارية فيما بيننا ان يوقف العبد بين يدي السيد اذا اراد ان يساله عن شيء
على جهة التوبيخ والتقريع فاخرج الخطاب على لفظ الامر المعهود فيما بيننا للتقريب الى الفهم **قوله عز
وجل** قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا
على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون ه معنى الاية والله اعلم قد غبن
الذين كذبوا بالبعث بعد الموت وهم الذين قالوا لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وانكروا جزاء الله
تعالى وعذابه وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة معناه منتهى تكذيبهم مجيء الساعة بغتة فجاءة
اي هم يكذبون حتى اذا جاءتهم الساعة ندموا في وقت لا ينفعهم الندامة وسميت القيمة ساعة لتوهم
قيامها في كل ساعة وقوله تعالى يا حسرتنا معناه يا ندامتنا ويا حزننا على ما قصرنا وضيعنا في الدنيا
من عمل الاخرة فان قال قايل ما معنى دعاء الحسرة وهي مما لا تعقل الاجابة فالجواب عن ذلك ان العرب اذا
اجتهدت في الاخبار عن عظم ما يقع جعلته نداء تنبيها لانفسهم وللمخاطبين لا لحقيقة النداء ومثله في الكلام
ان يقول الرجل لاخر لا ارينك ها هنا غدا فانك اذا كنت ها هنا رايتك قال سيبويه اذا قلت يا عجبا فكانك
قلت لاخر احضر تعجب فانه من اياتك التعجب فعلى هذا قوله يا حسرتنا اي انتبهي يا نفس وانتبهوا ايها الحضور
فان الوقت وقت الحسرة لانهم يستغيثون بما لا ينفعهم في وقت لا يلحقهم الغوث وقوله تعالى وهم يحملون

اوبرارهم

او زارهم على ظهورهم معناه ان الكفار يحملون اثقال اثامهم او قرت ظهورهم بذنوبهم والذنب
من اثقل ما يحمل تقال ثقل علي خطاب فلان اي كرهت خطابه كراهية اشتدت علي وروي اسباط
عن السدي انه قال ليس من رجل ظالم يدخل قبره الا اتاه شخص قبيح الوجه اسود اللون منتن الرايحة عليه
اثواب دنسة فاذا رآه الظالم قال له ما اقبح وجهك فيقول كذلك كان عملك قبيحا في الدنيا ويقول ما انتن
ريحك فيقول كذلك كان عملك منتنا فيقول من انت فيقول انا عملك السيئ الذي كنت تعمله في دار الدنيا
فيكون معه في قبره فاذا بعث يوم القيمة قال له طالما كنت احملك على اللذات والشهوات فانت اليوم
تحملني فيركبه وفي يده مقمعة يضرب بها راسه فيفضحه على رؤس الخلايق حتى يدخله النار قال فذلك قوله
تعالى يحملون اوزارهم قال واما العمل الصالح فياتي المؤمن في احسن صورة واطيب رايحة ويهون عليه
ما يستقبله من اهوال امر الاخرة وقيل ان المراد بهذا الخبر عقاب الاثام وثواب الاعمال الصالحة على طريق
التمثيل كان الله تعالى يخلق شخصا مصورا بهذه الصورة للعقاب والثواب كما روي في الخبر ان ثور البقرة
وال عمران يجيئان يوم القيمة غمامتان او غيابتان على نحو ما تقدم ذكره من قبل وقوله تعالى الا ساء ما
يزرون معناه بيس الشيء الذي يحملون من الاثام ويقال بيس الشيء شيئا يزرونه اي يحملونه **قوله عز
وجل** وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ه
معناه ما زينة الحيوة الدنيا وزهرتها الا استمتاع يفنى من قريب ثم تعقبه حسرة وندامة وسمي ذلك
لعبا تشبيها بلعب الصبيان يبنون شيئا ثم يهدمونه يلعبون بشيء ويلهون به كذلك اهل الدنيا يجمعون ما
لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار لانهم
يفعلون ما لا يرجون به الثواب ولا يخشون منه العقاب لا يتفكرون في العاقبة كالصبيان والبهائم واللعب
شغل النفس بما لا حقيقة له ولا مقصد واللهو طلب الفرح مثل ذلك وقوله تعالى وللدار الاخرة اي الجنة افضل
للذين يتقون الشرك والكباير والفواحش افلا تعقلون ان الاخرة الباقية خير من الدنيا الفانية وقرا ابن عامر
ولدار الاخرة بلام واحد على الاضافة فان قيل كيف تكون في الدنيا اعمال صالحة قيل تلك الاعمال تكون
اعمال الاخرة ولا تكون اعمالا للدنيا **قوله عز وجل** قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ه معناه قد نعلم انه ليحزنك ما يقوله كفار
مكة من تكذيبهم اياك في العلانية وجحودهم بالله فانهم لا يكذبونك في السر ولا يقولون
وجحودهم اي هم يعلمون انك صادق وكنت تسمى فيهم الامين قبل الرسالة فاعرفك تكذيبهم اياك كانت
يعلمون انك صادق فيه ولكن المشركين بايات الله يجحدون بالسنتهم ما تشهد قلوبهم بكذبهم فيه
وقال معناه لا يقصدون الى تكذيبك ولكنهم يكذبون بايات الله تعالى لان النبي صلى الله عليه
وسلم كان صادقا عندهم فيما لا يتصل بالدين فكان تكذيبهم له متصلا بالدين تكذيبا بايات الله
تعالى وقال معنى الاية انهم لا يكذبونك بحجة ولا برهان تكذيبهم لك تكذيب الله تعالى بالحجة
ويقال معناه انهم لا يقدرون ان يقولوا لك فيما اتيت به مما في كتب الانبياء فلا يكذبونك ومن قرا لا
يكذبونك بالتخفيف معناه لا يجدونك كاذبا يقال اكذبت الرجل اذا وجدته كاذبا كما يقال اكذبت
فلانا اذا اردت ان الذي اتى به كذب واخلف فلانا اي وجدته مخلفا واحمدته اي وجدته محمودا وفي
نافع ولا يحزنك هذا الامر احرى بحق واجد وقيل معنى احرب فلانا اغضبته **قوله
عز وجل** ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين ه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في الصبر
على اذى الكفار معناه ان الرسل قبلك كذبهم قومهم كما كذبك قومك وكما
اذوك فصبر الرسل على تكذيبهم واذاهم حتى اتاهم نصرنا اي اتاهم نصرنا باهلاك قومهم فاصبر انت ايضا

على تكذيب قومك اياك وايذايهم اياك اى حتى ياتيك نصرنا وقوله ولا مبدل لكلمات الله معناه ولا
مغير لما وعد الله من النصر والظفر بقوله انا لننصر رسلنا وساير الايات فلا خلف فى وعده واخباره ولقد
جاءك من خبر المرسلين قبلك ما يكون لك فيه سلوة واسوة فاعتبر باخبارهم وقد روى فى الخبر ان
نبيا من الانبيا صلوات الله عليهم كان اذا اتى قومه وكذبوه اهلكهم الله تعالى فان لم يكن احد من
قومه امن اتى مكة وتعبد بها حتى يدركه الموت ولذلك كانت عامة قبور الانبيا صلوات الله
عليهم بمكة **قوله عز وجل** وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغى نفقا فى
الارض او سلما فى السماء فتاتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
فى الاية بيان ان استعجال المومنين النصر الذى وعدهم الله تعالى لا ينفعهم حتى يمضى الاجل الذى قدره
الله تعالى ومعنى الاية ان كان عظم وثقل عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم اعراضهم عن القبول منك
وقولهم لولا انزل عليك ملك وسؤالهم كل معجزة شاءوا فارادوا فان قدرت ان تطلب مسلكا
نافذا فى الارض كنفق اليربوع فتدخله هاربا متواريا او تطلب سببا تسلك الى السماء فتاتيهم بالاية التى
سألوكها فافعل وليس فى القران فافعل لانه قد حذف فى القران ما يكون فى الكلام دليل على حذفه
ومثال ذلك قول الرجل لاخر ان رايت ان تمضى معى الى فلان ولا يذكر له فافعل وقد بين الله سبحانه فى
هذه الاية انه انما ياتى من الايات بما احب وان رسوله صلى الله عليه وسلم بشر لا يقدر على الاتيان باية
الا بما شاء الله تعالى وكان الله تعالى علم انه لو انزل عليهم الملك وكل اية سألوها لم يومنوا فلم ينزل الا
ما ثبتت به الحجة عليهم فيوحدوا والنصيرة والثابت على الايمان بالاية ويقال اراد بقوله فتاتيهم باية
الاية التى تلجيهم الى الايمان والى القبول منك ولو كان الله تعالى ينزل نارا على من يكفر او يرى يحرق لها
لامن كل احد ولكن الايمان مع الالجاء لا يستحق به الثواب ولا يحسن التكليف مع الالجاء اذ
الغرض بالتكليف التعرض للثواب وقوله عز وجل ولو شاء لجمعهم على الهدى قال بعضهم لو شاء الله لانزل
عليهم ما يضطرهم الى الايمان كما قال الله تعالى ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
وقال بعضهم معناه لو شاء لاطبقهم على الهدى وقيل لو وفقهم باللطف والتاييد وقوله عز وجل فلا تكونن
من الجاهلين معناه لا تكونن من الجاهلين بترك الصبر واظهار الجزع واستشعار الحسرة لاعراضهم عنك
فان هذا من افعال الجاهلين ويقال معناه لا تكونن من الجاهلين بعقد ورى عليهم لان مقدورى عليهم
الكفر **قوله عز وجل** انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه
يرجعون معناه انما يجيب الذين يقبلون الحق والذى لا يقبل الحق كانه اصم او كانه ميت
قال الشاعر لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى اى المنادى لا يسمع حتى
وقوله عز وجل والموتى يبعثهم الله اراد كفار مكة سماهم الله تعالى موتى لانهم لم يتدبروا ولم يتاملوا
ولم ينتفعوا بحياتهم فكانوا بمنزلة الموتى وان كانوا فى الصورة احيا ونظير هذه الاية قوله تعالى
انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله تعالى لينذر من كان حيا وقال بعض المفسرين قوله
والموتى يبعثهم الله استيناف كلام كانه قال والموتى يحييهم الله فى الاخرة ثم اليه يرجعون فى
المحشر فيجزيهم باعمالهم **قوله عز وجل** وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر
على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون معناه وقال كفار قريش لولا انزل على محمد صلى الله عليه
وسلم علامة من ربه لنبوته يعنى الايات التى كانوا يقترحونها قل يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله قادر
على ان ينزل اية على ما تقترحونها انتم ولكن اكثر اهل مكة لا يعلمون ما عليهم من المضرة فى انزال هذه
الاية اذ الحكمة تقتضى التعذيب بعذاب الاستيصال لمن كفر بعد انزال الاية المقترحة وانما لم ينزل الله
تعالى هذه الاية لان الله تعالى انما ينزل الاية على حسب المصلحة ولو وجب ان ينزل من الايات ما يقترحه الناس

لكان

لكان عنادا كل انسان اية اخرى وكان لا يتناهى الاية التى يجب انزالها فان انه لا يجب عليه انزال
كل اية ولكن الواجب ازاحة العلة باقامة الدلالة وقد فعل الله تعالى ذلك وقال بعضهم اراد بالاية
الاية التى تلجيهم الى الايمان وقد شاء ان انزل مثل تلك الاية يبطل التكليف ويسقط الثواب
قوله عز وجل وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما
فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى
لما بين انه يدبر امرنا فى انزال الايات على ما يرى من الصلاح بين انه ايضا يدبر امر غيرنا من الطيور والبهايم
على ما يرى من الصلاح لها كانه قال وما من دابة تدب وتتحرك على وجه الارض ولا طائر فى الهوى يطير
بجناحيه الا امم امثالكم فى الفقر والفاقة والحاجة الى مدبر يدبرهم فى اغذيتهم واكنتهم ولباسهم
وهدايتهم الى مراشدهم ومصالحهم ويقال معناه الا امم امثالكم فى الخلق والرزق والموت
والبعث لانه تعالى قال والموتى يبعثهم الله ثم قال تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم اى فى ان الله تعالى يعدل عليها ويميتها ويبعثها للجزاء والعرض وقيل معناه الا امم امثالكم
يفقه بعضهم عن بعض كما يفقه بعضكم عن بعض وذهب بعضهم الى ان معناه الا امم امثالكم
فى التكليف واستدل على ذلك بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وهذا التاويل بعيد لانا نعلم يقينا
ان هذه الاشيا اقل عقلا من الصبيان وقد رفع الله تعالى التكليف عن الصبيان قبل بلوغهم فلان
يكون التكليف مرفوعا عن هذه الاشيا اولى والمراد بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
الامم الماضية من الجن والانس لان الله تعالى لم يرسل رسولا الا من الملايكة والناس فاما من الطيور
والبهايم فلم يرسل الله تعالى رسولا وفى تلك الاية ما يدل على هذا القول لانه تعالى عقبه بقوله وان
يكذبوك فقد كذب ولا يكون التكذيب الا من الجن والانس والدبيب فى اللغة مقاربة الخطو
وذكر الجناحين فى الاية على جهة التاكيد لانك تقول طار فلان فى الامر اى اسرع وفلان طير من
الطيور لسرعته فى الامور وذكر الجناحين لبيان ان المراد به الطير وقوله عز وجل ما فرطنا فى
الكتاب من شىء معناه ما تركنا فى اللوح المحفوظ شيا الا كتبناه ويقال ما تركنا بيان شىء من القران
مما يحتاجون اليه من احكام الدين والا بينا بل قد بيناه فى الكتاب كلها اما مفصلا واما مجملا
المفصل كقوله تعالى النفس بالنفس والعين بالعين واما المجمل فقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وهو كما دل القران على اتباع الاجماع والقياس وقوله عز وجل ثم الى
ربهم يحشرون معناه الدواب والطيور يجمعون مع ساير الخلق يوم القيمة للحساب والجزاء كما
روى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يحشر الخلق كلهم يوم القيمة
البهايم والدواب والطيور وكل شىء فيبلغ من عدله ان ياخذ للجماء من القرناء فاذا ميز بين اهل الجنة والنار
قال للبهايم والوحوش والطيور كونى ترابا فتسوى بهم الارض فيكون ترابا فعند ذلك يقول الكافر
يا ليتنى كنت ترابا وقيل ان المراد بقوله ياخذ للجماء من القرناء ان يعطى الجماء عوضا من القرن [illegible]
المراد به القصاص ايضا لان الالم اليه [illegible]
على وجه لا يكون [illegible]
ذلك العوض [illegible]
من الدواب [illegible]
الدابة [illegible] ولا يكون فيه انس لاهل الجنة [illegible]
والله اعلم **قوله عز وجل** والذين كذبوا باياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشا الله
يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم معناه والذين جحدوا محمدا صلى الله عليه وسلم والقران

صم عن الخير لا يسمعون الهدى وبكم لا يتكلمون بخير أي يكون حالهم كحال الأصم الأبكم وحذف حرف التشبيه من قوله صم وبكم على جهة المبالغة في الوصف كما يقال في وصف القوم بالبلادة هؤلاء حمير وقوله تعالى في الظلمات أي في ضلالات الكفر في ظلمة السمع والبصر والقلب من يشاء الله يضلله أي يتركه في ضلالة الكفر فلا يخرجه منه ومن يشاء يرشده ويوفقه للإسلام ويثبته على ذلك حتى يموت عليه ويقال معناه من يشاء الله يضلله في الآخرة عن طريق الجنة إلى طريق النار ومن يشاء يجعله على طريق الجنة **قوله عز وجل** قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين معناه قل يا محمد لأهل مكة أرأيتم والكاف زائدة في بيان الخطاب للتأكيد كما في ذلك وأولئك قال الزجاج في زيادة الكاف تقول للواحد أرأيتك زيدا ما حاله وتقول للاثنين أرأيتكما وللثلاثة أرأيتكم فتوحد التاء في ذلك كله وتقول للمؤنث مثل ذلك فتفتح التاء على أصل خطاب المذكر وإذا عديت الفاعل إلى المفعول في هذا الباب صارت الكاف مفعوله تقول على هذا رأيتك عالما بفلان وتقول للاثنين أرأيتماكما وللثلاثة أرأيتموكم لأن تأويل هذا أرأيتم أنفسكم وتقول للمرأة أرأيتِك بكسر التاء والكاف فيكون تقدير الآية على هذا القول الثاني قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لمن لقيت من الكفار أرأيت جماعتكم إن أتاكم عذاب الله كما أتى الأمم الماضين قبلكم المكذبين برسلهم أو أتتكم القيامة بأهوالها وشدائدها ويقال أراد بالساعة الوقت الذي يصعق فيه العباد فيموتون كلهم وقوله تعالى أغير الله تدعون معناه أغير الله تدعون في كشف ذلك العذاب ودفع تلك الأهوال عنكم أم تدعون الله عز وجل إن كنتم صادقين معناه إن كنتم صادقين في مقالتكم إن الأصنام شركاء الله فهلا تدعون الأصنام عند الشدائد وهذا احتجاج من الله تعالى عليهم بما لا يدفعونه لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله **قوله عز وجل** بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون معناه بل تدعون الله في كشف العذاب والأهوال وبل توضع للاستدراك بعد النفي تقول ما جاء زيد بل عمرو وقوله تعالى فيكشف ما تدعون إليه معناه يكشف عنكم الضر الذي من أجله دعوتموه لكشفه وقوله إن شاء إنما قرن بالمشيئة لأن كشف العذاب فضل من الله تعالى وفضل الله يؤتيه من يشاء وقوله عز وجل وتنسون ما تشركون معناه وتتركون دعوة آلهتكم عند الشدة إذا أشرفتم على الهلاك واضطربت بكم الأمواج في لجج البحار أو في غير ذلك من المحن والأوجاع التي لا صبر عليها وقد يذكر النسيان بمعنى الترك كما في قوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا الله فتركهم الله تعالى في العذاب ويجوز أن يكون معنى تنسون أي أنتم في ترككم دعوتهم في حال الشدة بمنزلة من قد نسيهم تعرضون عنه إعراض الناسي **قوله عز وجل** ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ۝ معناه والله أعلم ولقد أرسلنا رسلا إلى أمم من قبلك كما أرسلناك إلى قومك فلم يؤمنوا فأخذناهم بالبأساء وهي الشدة النازلة مأخوذة من البأس وقيل من البؤس وهو الفقر والضراء وهي الأمراض والأوجاع مأخوذة من الضر وقوله عز وجل لعلهم يتضرعون معناه لكي تخشع قلوبهم وتتضرع النفوس عند الشدة يرجعوا إلى الله تعالى فيؤمنوا به فيكشف عنهم فلم يفعلوا وكلمة لعل ترجي العباد أي ليرجوا الرسل تضرعهم وإيمانهم وأنا عالم بما يفعلونه **قوله عز وجل** فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ۝ معناه فهلا حين جاءهم بأسنا عذابنا دعوا الله وآمنوا به وكلمة لولا في مثل هذا الموضع تستعمل للتوبيخ على الماضي والتحضيض في المستقبل على خلافه كما يقال لولا قضيت الدين في حال يسارك وهلا حججت في حال شبابك وقوله عز وجل ولكن قست قلوبهم معناه ولكن جفت ويبست قلوبهم وأقاموا على كفرهم إذ لم يكن في قلوبهم رقة ولا خوف من الله عز وجل وزين لهم الشيطان أي حسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون في كفرهم بأن أغواهم ودعاهم

إلى اللذة

إلى اللذة والراحة والدعة دون التفكر والتدبر لتبيان الحق من الباطل **قوله عز وجل** فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ۝ معناه فلما تركوا ما وعظوا به وأمروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء مما كان مغلقا عنهم من الخير من الرزق والخصب والمطر فأخصبت بلادهم وكثر خيرهم حتى إذا أعجبهم ما أعطوا من النعيم والسعة وبطروا أخذناهم فجاة بالعذاب بعد أن استدرجناهم في النعمة والشدة فلم يزدادوا إلا كفرا فإذا هم عند نزول العذاب آيسون من كل خير متحسرون عليه غاية الحسرة والمبلس البائس الحزين الشديد الحسرة ويقال هو المنقطع عن الحجة فإن قيل لم إذا أنعم الله تعالى عليهم حين نسوا ما ذكروا به وهذا موضع العقوبة دون الإنعام قيل فيه قولان أحدهما أنه أنعم عليهم بالدعاء لهم إلى الطاعة فإن الأمر بالطاعة تارة يكون بالعنف والتشديد وتارة يكون باللين والإنعام والثاني أنه إنما فعل بهم ذلك لأن من ينقل من النعمة والراحة إلى العذاب يمتنع عليه العذاب والحسرة على ما فاته فيكون ذلك أشد عليه ممن ينقل من الشدة إلى العذاب **قوله عز وجل** فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ۝ معناه استؤصل بالهلاك آخر من بقي من القوم الكافرين والدابر التابع للشيء ودابر القوم آخرهم من نسلهم أو غيرهم بحيث لا يبقى لهم بعد ذلك باقية وقوله عز وجل والحمد لله رب العالمين يجوز أن يكون حمدا من الله تعالى لنفسه على إهلاكه القوم الكافرين المعاندين بعد أن أنظرهم وأنذرهم وأمهلهم ودبر أحوالهم على كل الأحوال الداعية إلى الطاعة لله تعالى ثم لم يزدهم الزمان إلا قسوة واستمرارا على الكفر والمعصية وكان من المعلوم أنهم لو تركوا مدة طويلة لازدادوا كفرا فكان إهلاكهم على هذا الوجه إحسانا إليهم من حيث يكون مقطعة لهم عن زيادة الكفر ومزيد العذاب وكان في ذلك الوقت تنبيها لسائر الناس ودعاءهم إلى الطاعة وزجرا لهم عن المعصية ويجوز أن يكون قوله الحمد لله رب العالمين في هذه الآية تعليما من الله تعالى للحمد وهو على إهلاك الظالمين وقد قطع الله تعالى دابر المعاندين من أهل مكة يوم بدر كما قطع دابر المكذبين قبلهم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأيت الله تعالى يعطي عبدا في الدنيا على معصيته ما يحب فإن ذلك منه استدراج ثم قرأ صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء إلى آخر الآية **قوله عز وجل** قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ۝ معناه قل يا محمد لكفار مكة إن سلب الله سمعكم وأبصاركم التي هي أشرف ما فيكم من الأعضاء وختم على قلوبكم بأن سلب عقولكم حتى لا تفقهوا بها فما فيكم بذلك على تكذيبكم الرسل هل من إله غير الله يرد عليكم ما سلبه الله تعالى وهل يقدر على ذلك غيره انظر يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف نبين لهم الآيات في القرآن ونخوفهم بها ثم هم يعرضون عنها ومع ذلك هم مكذبون به لا يتحرك أفئدتهم والتصريف توجيه المعنى في الجهات التي تظهر بها تمام الإظهار كما بين الله تعالى في أول هذه السورة النشأة الأولى ثم ذكرهم بما أنعم عليهم من النعم ثم بين لهم ما نزل بالأمم الماضية من العذاب حين كذبوا الرسل ثم بين لهم ما ركب في عقولهم من قبح عبادة من لا يرجى من جهته نفع ولا يخشى منه مضرة إلى ما شاكل ذلك من الآيات التي تضمنها أول السورة إلى هذا الموضع **قوله عز وجل** قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون ۝ معناه قل لهم يا محمد أرأيتم إن أتاكم وهذه حالكم في الإصرار على الكفر عذاب الله بغتة أي فجاة أو جهرة وعلانية نهارا جهارا أهل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم لأنكم كفرتم معاندين فقد علمتم أنكم ظالمون وإنما قابل البغتة في الآية بالجهرة وإن كان ضد الجهرة الخفية لأن ما يأتي بغتة إنما يأتي في خفية **قوله عز وجل** وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ معناه ليس على الرسل إلا

أن يأتوا

الفرح بلا شكر فرح قارون بالأموال من الدنيا وفي الحديث إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما هو استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية ... إذا رأيت الفقر مقبلا إليك فقل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلا إليك فقل ذنب عجلت عقوبته

الناس مما يقترحون عليهم من الآيات إنما يرسلهم الله تعالى للتبشير بالجنة للمطيعين والتحذير من النار للكافرين فمن آمن بالرسل والكتب وأصلح العمل فيما بينه وبين ربه فأقام على إيمانه وتوبته فلا خوف عليهم حين يخاف أهل النار ولا هم يحزنون إذا حزنوا **قوله عز وجل** والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ٥ معناه الذين كذبوا بدلائل الله تعالى ولم يتفكروا فيها يصيبهم العذاب بفسقهم وجحودهم لمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن **قوله عز وجل** قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ٥ قيل إن هذه الآية نزلت جوابا عن قول الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لولا أنزل عليك كنز فتستغني به فإنك فقير محتاج وعن قولهم لولا أنزل عليه ملك وقولهم لولا أنزل عليه آية ومعنى هذه الآية والله أعلم قل لهم يا محمد لا أقول لكم عندي خزائن الله أي لا أدعي أن مفاتيح الرزق في يدي فأقبض وأبسط وليس خزائن الله تعالى مثل الخزائن التي تكون إنما معنى خزائن الله تعالى مقدورات الله تعالى التي لا توجد إلا بتكوينه إياها كما قال الله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وهذا معنى قول الناس هذا في خزائن رحمة الله تعالى وقوله عز وجل ولا أعلم الغيب معناه لا أدعي علم كل ما غاب عني مما مضى ومما سيكون فأخبركم بكل غيب ولا أقول لكم إني ملك أي لا أدعي أني ملك من السماء شاهدت من أمر الله تعالى ما لا يشاهده البشر إن أتبع إلا ما يوحى إلي أي لا أعمل ولا أقول إلا ما نزله الله تعالى علي على لسان بعض الملائكة قل هل يستوي الأعمى والبصير أي الكافر والمؤمن ويقال الجاهل والعالم وقوله تعالى أفلا تتفكرون تنبيه على التدبر في آيات الله ومواعظه **قوله عز وجل** وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ٥ ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالآية وخوف بالقرآن الذين يعلمون أنهم يحشرون إلى ربهم أي إلى موضع لا يملك أحد فيه نفعهم ولا ضرهم إلا الله تعالى قالوا والذين يخافون البعث أحد رجلين إما مسلم فينذر ليؤدي حق الله تعالى في إسلامه وإما رجل من أهل الكتاب فهم مجمعون مقرون بأن الله عز وجل خلقهم وأنهم مبعوثون محاسبون وإنما اكتفى بالخوف مكان العلم لأن الخوف شبيه بالعلم على ما تقدم ذكره وقال بعضهم إن المراد بالذين يخافون الكفار المعاندون ويقال أراد به جماعة الكفار لأنهم كانوا يشكون عند إنذاره صلى الله عليه وكانوا يخافون وإن لم يقروا بالبعث وقوله عز وجل ليس لهم من دونه ولي معناه ليس لهم من دون الله تعالى حافظ يحفظهم ولا دافع يدفع عنهم العذاب ولا شافع يلتمسون منه الشفاعة في الآخرة وقوله تعالى لعلهم يتقون راجع إلى الإنذار أي لكي يتقوا ما نهاهم الله تعالى عنه **قوله عز وجل** ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ٥ روي أن قوما من الكفار أرادوا الحيلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطرد أصحابه عن نفسه ويكون ذلك حجة لهم عليه فقالوا له لو طردت هؤلاء السفلة والعبيد عنا يعنون صهيبا وبلالا وسلمان الفارسي وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأشباههم فإنا لو طردتهم أتاك أشراف قومك ورؤساؤهم فسمعوا من مقالتك وصدقوك وذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا فذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرصا على إسلام أشراف قومه فلما ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعض الذي طلبوه فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلمه أنه لا يفضل غنيا وشريفا على فقير ومشروف لأن طريقه فيما أرسل فيه الدين دون أحوال الدنيا فذلك قوله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم أي الذين يعبدون ربهم بالصلوات المفروضة غدوة وعشيا وهم ضعفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ووصفهم الله عز وجل

بالمواظبة

بالمواظبة على عبادته في طرفي النهار ثم شهد لهم أنهم مخلصون في الإيمان بقوله يريدون وجهه أي يريدون الله تعالى بذلك ويطلبون رضاه وذكر الوجه على سبيل التفخيم كقوله عز وجل كل شيء هالك إلا وجهه معناه إلا هو وكما يقال هذا وجه الرأي ووجه الأمر وقال الحسن رضي الله عنه معناه يريدون الوجه الذي وجههم الله تعالى إليه وقوله عز وجل ما عليك من حسابهم من شيء فيه قولان أحدهما من حساب عملهم وباطن أمرهم من شيء كما قال نوح عليه السلام إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وقوله تعالى وما من حسابك عليهم من شيء أي ما عليهم من باطن أمرك شيء لا يسألون عن عملك ولا تسأل عن عملهم والثاني ما عليك من رزقهم من شيء وما من رزقك ومؤنتك عليهم من شيء وقوله عز وجل فتطردهم جواب ما عليك من حسابهم من شيء وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب ولا تطرد معناه فتكون من الضارين لنفسك إن لو طردتهم وتقدير الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فتكون من الظالمين ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم **قوله عز وجل** وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ٥ روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية وكذلك ابتلينا بعضهم ببعض العربي بالموالي والغني بالفقير والشريف بالوضيع ليقول الأغنياء والأشراف مثل عيينة بن حصن الذي دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو طردت هؤلاء السفلة ومثل أصحابه كانوا يقولون أهؤلاء الفقراء سلمان الفارسي وأصحابه من الله تعالى عليهم بالمعرفة والإسلام من بيننا وذلك أن الشريف كان إذا نظر إلى الوضيع قد أسلم استنكف وأنف أن يسلم فيكون مثل الوضيع سواء في الإيمان وربما كان يقول سبقني هذا بالإسلام فلا يسلم ومعنى اللام في قوله ليقولوا لام العاقبة والألف من قوله أهؤلاء ألف الاستفهام ودخل في الكلام للإخبار ويكون معنى الآية ليكون عاقبة أمرهم أن قال الأغنياء والأشراف أهؤلاء المستضعفون فضلهم الله تعالى علينا وإنما أنكروا تفضيلهم عليهم لأنهم رأوا الفضل في الغنى والقوة دون الإيمان والقلة ونظير هذه اللام التي في هذه الآية ما قال الله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لسبب أن يكون لهم عدوا ولكن كان عاقبة التقاطهم إياه أن صار لهم عدوا وحزنا وقال بعضهم إن معنى اللام في قوله عز وجل ليقولوا معنى الاستفهام ليقول بعضهم لبعض استفهاما لا إنكارا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالإيمان والفائدة في ذلك أن الأغنياء كانوا شاكين في أن سبق الفقراء إلى الإيمان وصبرهم على طريقة الدين هل توجب أن تكون نعمة عظيمة من الله تعالى عليهم فأمرهم الله تعالى أن يستفهموا من الرسول صلى الله عليه وسلم ما الأجل تقدم الفقراء بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم واستحقوا الإعظام فيظهر عند استفهامهم جواب النبي صلى الله عليه وسلم ويكون في سماعهم لذلك مصلحة عظيمة توجب رضاهم بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم أهل الدين وقوله عز وجل أليس الله بأعلم بالشاكرين استفهام بمعنى التحقيق على معنى أن الله تعالى أعلم من هو من أهل التوحيد والثواب وقيل إن الغرض من هذه الآية بيان أن الله تعالى فعل بكل فريق من الأغنياء والفقراء ما هو أهل لذلك وألزم كل فريق الرضى بما قدره له وذلك فيه محنة على كل واحد من الفريقين فأما امتحان الفقراء من الله عز وجل فهو الصبر على ما نالهم عند قول الكافرين من طلب تفضيلهم عليهم مع فقرهم واستمرارهم على كفرهم لمكان النسب والغنى وأما امتحان الأغنياء من الله تعالى فهو أنه لم يمنعهم منه الرضا بتقديم الفقراء وبأن يحتملوا أن يقرب حالهم من حال الفقراء في منزلتهم عند الرسول صلى الله عليه وسلم لمكان الإيمان والصبر على الشدة **قوله عز وجل** وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم ٥ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما نزلت الآية التي قبل هذه الآية جاء عمر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم معتذرا

عن مقالته فانزل الله تعالى قوله واذا جاءك الذين يومنون باياتنا معناه اذا جاءك الذين يقرون ويصدقون
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وسايد لايل الله تعالى فقل سلام عليكم اي قبل الله تعالى عذركم
وتوبتكم ومعنى السلم السلامه من جميع الافات وقد يكون السلام مصدر سلمت من السلام الذي هو التحيه
وقد يكون جمع السلامه ومعنى السلام في اسماء الله عز وجل السلامه مما يلحق الخلق من النقص والسلام
الشجر الصلب والحجاره الصلبه سمي بذلك لسلامته من الافات والرخاوه وقال الحسن رضي الله عنه في
معنى هذه الايه انه نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن طرد المستضعفين وامره ان يسلم عليهم من جهته
اذا جاوه وانما امره ان يبداهم بالسلام مع ان العاده ان الجاي يسلم على القاعد حتى ينبسط اليهم بالسلام
عليهم كيلا يحتشموا من الانبساط اليه وقيل ان هذه الايه عامه في كل مومن سوا كانوا من المستضعفين
او المقتدين او من غيرهم وقوله عز وجل كتب ربكم على نفسه الرحمه معناه اوجب ربكم الرحمه للمومنين
ايجابا موكدا امر بكتبته في اللوح المحفوظ وقيل انما ذكر الكتاب لان القوم انما خوطبوا على مقدار
عقولهم وتوكيد الشي المونحر في عقول الناس انما يكون بالكتاب وقوله عز وجل انه من عمل منكم
سوا من قرا انه بالكسر فمعناه قال انه من عمل منكم دنا يحطها له الى اخر الايه ومن قرا بالنصب فهو بدل
من الرحمه كانه قال كتب ربكم على نفسه الرحمه وهي العفو لمذنبين التايبين لان معنى فانه غفور رحيم المغفره
منه وذكر الرحيم لتاكيد الرحمه الاولى وقوله تعالى بجهاله يحتمل وجهين احدهما انه عمل وهو جاهل
بالمكروه فيه لا يعرف ان فيه مكروها يلحقه قطعا ويقينا انما لعزمه على التوبه بعد السو واما لاعتماده
على عفو الرب جل ذكره واقدامه على المعصيه في الجمله جهاله منه من حيث ترك الحزم والاخر انه اقدم
على بصيره وعلم منه ان عاقبته مكروهه فاثر العاجل لغلبه الشهوه فسمي جاهلا بايثار اللذه اليسيره الفانيه
على الكثيره الباقيه الدايمه ولهذا سمي مرتكب المعصيه جاهلا ولا يجوز ان يكون معنى الجهاله ان لا يعلم
المسي ان عمله سيي لانه اذا لم يعلم لم يكن مفرطا ولا يحتاج الى التوبه وقوله عز وجل فانه غفور رحيم
من قرا فانه غفور بكسر ان كان دخول الفا وكسر ان جوابا لما قبله كان قال فهو غفور رحيم الا ان الكلام
بان اوكد من هو ومن قرا فانه غفور بالنصب وقد نصب ان الاولى وفتح الثانيه موكده للاولى
لان المعنى كتب ربكم انه غفور رحيم فلما طال الكلام اعيد ذكر ان ومن كسر الاولى وفتح الثانيه كان معنى
الثانيه المصدر والخبر محذوف كانه قال لمن عمل كذا وكذا مغفرته انه غفور رحيم اي كفارته مغفرة
الله له **قوله عز وجل** وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين ه معناه كما بينا
الامر والنهي في القران من قبل وكذا نبين ونزل الايات مفرقه شيا بعد شي وقوله عز وجل
ولتستبين معطوف على محذوف فان تقدير الكلام لتظهر الحق من الباطل ولتستبين طريق الكافرين
ويقال دخول الواو في قوله ولتستبين على تكرار الفعل كانه قال ولتستبين سبيل المجرمين نفصل الايات
وانما لم يقل والله اعلم ولتستبين سبيل المومنين لان في الكلام ما يدل عليه لان معناه ولتستبين سبيل
المجرمين من سبيل المومنين وقوله ولتستبين يقرا بالتا والياء لان اهل الحجاز يونثون السبيل وبنو تميم يذكرونه
ومن قرا بالتا ونصب السبيل فمعناه لتستبين انت يا محمد صلى الله عليه وسلم سبيل المجرمين وهو خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد به عامه المسلمين اي لتستبينوا وتزدادوا معرفه بطريق المجرمين **قوله عز
وجل** قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا
وما انا من المهتدين ه معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لعيينه واصحابه اني نهيت عن عبادة الذين
تعبدون من الاصنام من دون الله قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم لا اعمل بهواكم فانكم عبدتموها
وسالتموني طرد سلمان واصحابه على طريق الهوى لا على طريق البينه والبرهان وقوله تعالى قد ضللت اذا
على معنى الشرط المعنى قد ضللت ان عبدتها ومن قرا ضللت بكسر اللام فهو من ضل يضل بكسر العين في الماضي

وفتحها في المستقبل وهو لغة الا ان فتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل افصح واكثر وقوله عز وجل
وما انا من المهتدين عطف على قوله ضللت اي ان اتبعت اهواكم فما انا من الذين سلكوا طريق الهدى
قوله عز وجل قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم
الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ه معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم اني على بصيرة وامر بين
من امر ربي لا متبع الهوى وقوله وكذبتم به اي كذبتم بالبيان وانما ذكر الكنايه بلفظ التذكير
لان البينه والبيان في معنى واحد ويجوز ان يكون معناه وكذبتم بما اتيتكم به وهو القران وفي
السنة الدلاله التي تفصل بين الحق والباطل وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به روي ان روسا
قريش كانوا يستعجلون العذاب حتى قام النضر بن الحرث في الحطيم عند الكعبه فقال اللهم ان كان
ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم حقا فاتنا بالعذاب فنزلت هذه الايه ويقال معناه ما عندي ما تستعجلون
به من الايات التي تقترحونها على ان الحكم اي القضا بنزول العذاب والايات الا لله يحكم بالعدل ويقضي
القضا الحق وهو اعدل القاضين ومن قرا يقص الحق فمعناه يبين الحق ويامر بالحق وفي قراه ابن عباس رضي
الله عنهما يقضي بالحق واما سقوط اليا في القراة الاولى من الكتابه فلالتقاء الساكنين كما في قوله سندع
الزبانيه وقوله عز وجل يوم يدع الداعي **قوله عز وجل** قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي
الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين ه معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لو ان عندي ما
تستعجلون به من العذاب لاهلكتكم وانقطع ما بيني وبينكم من مطالبتي اياكم بالاخلاص في طاعة
الله تعالى وعبادته وامتناعكم عن ذلك ومن مطالبتكم اياي بتعجيل العقوبه والله اعلم بعقوبة الظالمين
ووقت عذابهم **قوله عز وجل** وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر
وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين
قال بعض المفسرين مفاتح الغيب خزاين الغيب وهي المقد ورات التي يستفتح بها ما في الغيب وسمي الخزاين
مفتحا لانه يفتح منها الامر وقال بعضهم مفاتح الغيب ما يفتح لنه علم ما في الغيب من وقت نزول العذاب
الذي كانوا يستعجلون به ومن عمره لك اي عنده الوصله الى علم الغيب تشبيها بالمفتاح الذي نتوصل به
الى الحرز وعن هذا تعالى ان المراد بالمفاتح ما اشكل الا بين يبانا ... وصله الى المعرفه وقوله عز وجل لا يعلمها
الا هو يدل على ان المراد بالمفاتح ما لم يبينه الله تعالى لهم لا يعلمه غيره ولا يمتنع ان يكون المراد لا يعلمه
الا الله تعالى والمختص بالمفاتح كلها ولم يعلمها لاحد معرفة بمنها الا ما اراده كمن يريد ان يعلم بعض سيا من ذلك
وقوله عز وجل ويعلم ما في البر والبحر معلما في البر من النبات والخلق وما في البحر من الدواب وما فيها
من العجايب وقال العلم رد وكل من في البر والبحر يسوق الى كل ذي روح رزقه وقوله عز وجل وما تسقط
من ورقة اي ما يسقط من ورقه من ورق الشجر الا يعلمها كم انبتته وسقطته وهذا كما يقال لا يعزب عنه احد
الا وانا اعرفه وليس يريد الا وانا اعرفه في حال حياته فقط وقيل معنى الا يعلمها اي يعلمها وقت سقوطها ومقرها
منقوطها وقوله عز وجل ولا حبة في ظلمات الارض اراد به كل حبة تكون في ظلمات الارض من الحبة التي هي تحت
الصخرة التي هي في اسفل الارضين ويقال اراد به كل حبة تكون في شقوق الارض مما يخرج منها النبات ومن قرا
حبة بالكسر عطف على ورقة ومن قرا ... رطب ويابس بالرفع كان عطفا على الابتدا وخبرها الا في كتاب
وقوله عز وجل ولا رطب ولا يابس قيل اراد بالرطب الماء وباليابس البادية ... والمراد ان كل ذلك مكتوب في
اللوح المحفوظ اثبت الله تعالى فيه كل ما يخلق من قبل ان يخلق كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا
في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها فاعلم انه اثبت ما يخلق من قبل خلقه والرطب واليابس
عبارة عن جميع الاشيا التي تكون في السموات والارض لانها لا تخلو من احدى هاتين الصفتين كما يقال جامع
مجتمع ولا مفترق الا وهو ... وهذا الكتاب فان قيل فا الفايدة في كون ذلك كله مكتوبا في اللوح المحفوظ مع ان

الله لم تكن يخفى عليه شيء قيل له لم يكتبها الله تعالى فيه ليحفظها ويدرسها فانه كان عالما بها قبل ان يكتبها
ولكن لتعارض الملائكة الحوادث على مر الايام بالمكتوب فيه فيجدون الحوادث موافقة للمكتوب فيزدادون
علما ويقينا بعظم صفات الله تعالى ولنا في التعريف الذي ذكره الله تعالى في القران مصلحة من حيث نعلم
ان هذه الامور التي لا يتعلق بها ثواب ولا عقاب اذا كانت مثبتة ومحصاة فلان تكون اعمالنا كذلك
اولى واذا علمنا انما نعمله كله مكتوب بحيث تشاهده الملائكة وتعرفه كان عند ذلك اشد انزجارا من
فعل القبيح الذي نستحيي ان نفعله بحضرة غيرنا وقال بعضهم ان المراد بقوله الا في كتاب مبين القران قد
بين الله تعالى فيه كل شيء يحتاج اليه من امور الدين والدنيا بعضه مفسر وبعضه يعرف بالاستنباط
والاستدلال الا ان اراء الرجال تعجز عنه وتقاصر عنها في كتاب مبين في علم الله متقن وقيل ان الانسان
كالشجر واعضاؤه كالاغصان والحركات منه كالاوراق وكما لا يخفى على الله تعالى عدد الحبات كلها واجناسها
والوانها وعدد الاوراق ومساقطها كذلك لا يخفى عليه شيء من حركات بني ادم قليلها وكثيرها خيرها
وشرها **قوله عز وجل** وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم
فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ۞ معناه هو الذي يقبضكم عن التصرف
بالنوم وما تصيرون بالليل في منامكم في قبضته لا تملكون لانفسكم تصرفا في اموركم والتوفي في اللغة هو
القبض الا ان روح النائم لا تصير مقبوضة في حال نومه على جهة الحقيقة لان النائم يستمد من الهوى على حسب
ما يفعله في حال المنتبه ولكن الله تعالى يحدث في حال النوم في بدن النائم ضربا من الاسترخاء في اعضائه
اما بسلب عقله او بعض من بعض ما في البدن من المعاني واما باحداث معان في البدن يكون ذلك الفعل
سببا لراحة البدن وعلاجه كما قال الله تعالى وجعلنا نومكم سباتا فلما صار النائم كالميت في انه لا يعقل
وفي ان تصرفه لا يقع بتميز شبه بالميت من حيث التوفي على هذا الوجه كما ورد في الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ان النوم اخو الموت واهل الجنة لا ينامون كذلك لا يموتون وعلى هذا الوجه يتاول قول الله
تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الى اخر الاية وذهب بعضهم الى ان الروح تخرج عن البدن
في المنام ولكن لا ينقطع حركة النائم لان نظر الروح لم ينقطع عن البدن اذ هو على العود في كل حين ووقت
وساعة وقال بعضهم لا يخرج منه الروح وانما يخرج منه الذهن الذي يقال له بالفارسية روان واما قوله
عز وجل ويعلم ما جرحتم بالنهار فمعناه يعلم ما كسبتم من الخير والشر بالنهار لان الجرح والاجتراح بمعنى الكسب
والكسب واصل الاجتراح اعمال الجوارح وقوله عز وجل ثم يبعثكم فيه اي ينبهكم من نومكم في النهار على علم
منه بما اجترحتم من قبل وما تجترحون من بعد ليقضى اجل مسمى اي لتبلغوا الوقت المقدر الذي قدره الله
تعالى لحياتكم فينقطع ابتداؤكم واعمالكم التي تعملون في الدنيا من خير او شر وقوله عز وجل ثم اليه مرجعكم
اي ثم الى الله مصيركم ومنقلبكم بعد الموت الى الموضع لا يملك فيه احد ضرا ولا نفعا الا الله تعالى ثم ينبئكم
اي يخبركم في الاخرة بما كنتم تعملون في الدنيا فيجازي كل عامل ما عمل ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها
ان الله تعالى لما بين في الاية التي قبل هذه الاية ما يختص به من علم الغيب بين في هذه الاية ما نص فيها عليه من باب العلم
الذي يعطيناه مرة ويسلبه اخرى وبين انه انما يفعل ذلك لمصالح الدين والدنيا وانه يحصي علينا افعالنا ويعرفنا
يوم القيمة جميع ما نكسبه وهذا التعريف الذي ذكره الله تعالى في هذه الاية جار مجرى اللطف في الدنيا علمنا
تقدم ان من علم ان الذي لا يخفى عليه خافية يحصي علينا ما يدق وما يجل من عمله كان اقرب الى الخير واقرب
وبالله التوفيق ۞ **قوله عز وجل** وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا
جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ۞ معنى الاية والله تعالى اعلم وهو الغالب لعباده المستعلي
عليهم بالقدرة وقوله عز وجل فوق عباده لا يجوز ان يكون معناه انه فوق عباده بالمكان لاستحالة اضافة
الاماكن الى الله تعالى وانما معناه الغلبة والقدرة ونظيره قول القائل فلان فوق فلان في العلم والقوة

يراد به انا اعلم منه واقدر منه وقوله عز وجل ويرسل عليكم حفظة معناه والمرسل عليكم
حفظة فاكتفى بالفعل عن الاسم والحفظة هم الملائكة يحفظون على العباد اعمالهم على ما تقدم ان في
توكيل الملائكة على العباد مصلحة لهم في الدين لكي يعلموا ان معهم من يحصي عليهم ما ياتون من خير او
شر فيكون ذلك ترغيبا في الخير وزجرا عن الشر وقد ورد في الخبر ان على كل واحد منا ملكين بالليل
وملكين بالنهار يكتب احدهما الحسنات والاخر السيئات وصاحب اليمين امير على صاحب الشمال
فاذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب
اليمين امسك فيمسك عنه ست ساعات او سبع ساعات فان هو استغفر الله تعالى لها لم يكتب عليه وان
لم يستغفر كتبت عليه سيئة واحدة وقوله عز وجل حتى اذا جاء احدكم الموت معناه حتى اذا حضر احدكم
الموت قبض روحه ملك الموت واعوانه وهم لا يقصرون ولا يؤخرونه طرفة عين والتفريط هو التاخير
عن الحد الذي توجبه الحكمة والافراط هو التجاوز عن ذلك الحد والقصد هو الصواب المقدار
فان قيل كيف قال هاهنا توفته رسلنا وقال في اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل
بكم قيل له قال الحسن رضي الله عنه ان ملك الموت هو الذي يقبض الارواح كلها وهو الامام
بذلك الا ان له اعوانا فتارة اضاف قبض الروح الى ملك الموت عليه السلام لانه هو المختص لقيام
بذلك وبانه يامر غيره وتارة اضافه اليه والى غيره لانهم يصدرون في ذلك عن امره وقال مجاهد
جعلت الارض لملك الموت كالطست يتناول من حيث يشاء وله اعوان يتوفون الانفس ثم يقبضها منهم
وقال ان اعوان ملك الموت يستخرجون الروح من الاعضاء عضوا عضوا حتى اذا جمعوها في صدره وجعل
يتغرغر قبضه حينئذ ملك الموت وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على مريض يعوده
فراى ملك الموت عند راسه فقال يا ملك الموت ارفق به فانه مومن فقال ملك الموت يا محمد صلى
الله عليه وسلم ابشر وطب نفسا وقر عينا فاني بكل مومن رفيق اني لاقبض روح المومن فيصرخ
اهله فاعتزل في جانب الدار فاقول ما لي من ذنب واني لمامور وان لي لعودة ثم عودة فالحذر الحذر
وما من اهل بيت مدر ولا وبر في بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى اني لاعلم
بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله لو اردت ان اقبض روح بعوضة لما قدرت عليها حتى يامرني
الله بقبضها **قوله عز وجل** ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين
معناه ثم ردوا الملائكة الى الموضع الذي لا يملك احد الحكم فيه الا الله عز وجل وقوله عز وجل مولاهم
الحق اراد به مالكهم من كل جهة فانه يملك خلقهم وانشاءهم وتربيتهم واماتتهم واحياءهم وحشرهم
ونعيمهم وهو الذي دبرهم في الابتداء امرهم حين انشاهم ثم ردوا الى الامر الذي دبرهم الله تعالى فيهم وحده
ومعنى الحق هو الذي عباداته حق ويعطي الثواب بالحق ويتولى العقاب بالحق وقيل ان هذه الاية انه
كتاب الله تعالى لانه لا امر للعبد احسن من رده الى مولاه وقوله تعالى الا له الحكم كلمة تنبيه اي اعلموا
ان بين القضاء يوم القيامة لا يحكم بينهم ما شاء وكيف شاء وقوله تعالى وهو اسرع الحاسبين معناه
اذا حاسب فحسابه سريع لانه تعالى لا يحاسب بعقد ولا يتكلم بالة فتحيرة الكلام مع بعضهم عن الكلام
مع غيره والله تعالى يحاسب الجميع في دفعة واحدة ويعني المحاسبة تعريفه كل واحد ما يستحقه من ثواب وعقاب
حتى روي في الخبر انه يكون حسابه معهم في مقدار حلب شاة **قوله عز وجل** قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ۞ معنى
الاية قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم من ينجيكم من شدائد البر والبحر واهوالها تقول العرب لليوم
الذي يلقى فيه شدة يوم مظلم حتى انهم يقولون يوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل
وقال اراد بالظلمات ظلمة الليل وظلمة الغيم وظلمة امواج البحر وقوله تدعونه تضرعا وخفية

كدعونه علانية وسرا والتضرع اظهار الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة الى الشيء وفي الخفية قراءتان
بكسر الخاء وضمها وفيه اربع لغات خفية وخفية وخفوة وخفوة وهو نظير قولك حيثه وحيثه
وحثوه وحثوه وقوله عز وجل لئن انجيتنا من هذه في موضع الحال معناه قائلين لئن انجيتنا من هذه
الشدائد لنكونن من المؤمنين الموحدين المطيعين ويقرا لئن انجانا على لفظ المغايبة **قوله عز وجل** قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون ٥ معناه قل الله ينجيكم
من شدائد البر والبحر ومن كل غم ثم انتم تشركون به الاصنام في الرخاء بعد النجاة وبعد قيام الحجة
عليكم ومن قرا ينجيكم بفتح النون وتشديد الجيم فهو عبارة عن الكثرة يقال نجا فلان اذا نجا نفسه ونجاه
فلان اذا فعل غيره ذلك به ونجاه بالتشديد اذا فعل خلاصه مرة اخرى والنجاة هي السلامة من الهلاك
قوله عز وجل قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون ٥ ظاهر
هذه الاية راجع الى مشركي اهل مكة ومعناها قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم كما بعث على قوم نوح ولوط من الطوفان والحجارة او من تحت ارجلكم اي هو
القادر على ان يخسف بكم كما فعل بقارون وقومه ويقال اراد بقوله من فوقكم السلطان الجائر
وبقوله او من تحت ارجلكم ان تغلب عليكم سفلتكم واما قوله تعالى او يلبسكم شيعا فمعناه او يخلطكم
فرقا مختلفي الاهواء بان يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة وهو ان يعرف كل فريق ما عليه
الفريق الاخر ويقال معنى او يلبسكم اي يكلكم الى انفسكم ويخليكم من الطافه ويذيق بكم فيصلفوا حتى
يذوق بعضكم شدة بعض بالحرب والقتال وقوله تعالى انظر كيف نصرف الايات معناه انظر يا محمد صلى الله عليه
وسلم كيف نبين لهم اية على اثر اية لكي يفقهوا اوامر الله تعالى ثم لا يفقهون وقال الحسن رضي الله عنه نزلت
هذه الاية في اهل الصلوة وعن عبد الله بن عباس انه قال لما نزل جبريل عليه السلم على النبي صلى الله عليه وسلم
بهذه الاية شق عليه مشقة شديدة فقال يا جبريل ما بقاء امتي على هذه الخصال الاربع فقال له جبريل عليه
السلم انما انا عبد مثلك فادع ربك واساله لامتك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا فاحسن الوضوء
ثم قام وصلى فاحسن الصلوة ثم سال ربه ان لا يبعث على امته عذابا من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولا
يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم باس بعض فنزل جبريل عليه السلم عليه فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم ان
الله تعالى قد سمع مقالتك لامتك وانه قد اجارهم من خصلتين ان لا يبعث عليهم عذابا من فوقهم ولا من
تحت ارجلهم ولم يجرهم من الخصلتين الاخريين فقال يا جبريل ما بقاء امتي اذا كان فيهم اهواء مختلفة ويذيق
بعضهم باس بعض ويكون بينهم السيف فنزل عليه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلم فقال يا محمد صلى الله عليه
وسلم ان الله قد سمع مقالتك ويقول انا ارسلنا قبلك رسلا الى قومهم فصدقهم مصدقون وكذبهم
مكذبون ثم لم يمنعنا ان نبتلي الذين زعموا انا مؤمنون بعد فضل انبيائهم ببلاء يعرف به صدقهم من كذبهم
قال الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم الى اخر الاية
فكانت علامة صدق المؤمنين في ايمانهم اجتنابهم عما نهاهم الله تعالى عنه من الكبائر التي وعد
عليها النار وعلامة الكاذبين اتيانهم ما حرم الله تعالى مما وعد الله عليه النار **قوله عز وجل**
وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف
تعلمون ٥ معناه وكذب بالقران قومك وهو الحق وهو الصدق قل لست عليكم بحفيظ احفظ
اعمالكم واجازيكم عليها ويقال معناه قل لا اقدر على ان احول بينكم وبين الكفر الذي يضركم
كما يدفع الوكيل الضرر عن موكله وعن عبد الله بن عباس في معنى قوله قل لست عليكم بوكيل لست
بموكل بكم اجبركم على الايمان قال ثم نسخ هذا باية القتال واما قوله لكل نبا مستقر فمعناه لكل وعد

ووعيد

ووعيد وقت واجل وغاية منه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في الاخرة وسوف تعلمون ذلك اذا نزل
بكم وانما سمي الوقت مستقرا لان الوقت يكون ظرفا للفعل **قوله عز وجل** واذا رايت
الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان
فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ٥ معناه واذا رايت المشركين الذين يكذبون ويستهزءون
بك وبالقران فاعرض عنهم على وجه الانكار عليهم واظهار الكراهة لما يكون منهم ولا تجالسهم
الى ان يتركوا استهزاءهم وخوضهم في حديث غير القران والخوض في اللغة هو الدخول في الشيء على
وجه التلوث به والخطاب في ظاهر هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به هو وغيره من المؤمنين
الا ان غير الانبياء انما يلزمهم انكار المعصية اذا كان يؤثر اعراضهم في قبول اهل المعصية منهم واما
اذا كانوا لا يطمعون في قبول اهل المعصية منهم ويخافون على انفسهم في الاعراض عنهم فلا يلزمهم
الانكار في مثل هذا الموضع بعد قيام الحجة على الذي يرتكب المعصية واما الانبياء عليهم السلم
فقد كان يلزمهم الانكار على كل الاحوال لانا لو جوزنا عليهم ترك الانكار لخوفهم على انفسهم
لجوزنا من اجل الخوف ان لا يكون نبي من الانبياء مؤديا لبعض الشرايع وذلك يخرج النبي عن كونه حجة
او ينفر عنه ولا يجوز ان يكون قد بقي على النبي شيء من الرسالة وهو يخاف على نفسه واما قوله عز وجل
واما ينسينك الشيطان فمعناه واما يوقعنك الشيطان في النسيان بعد النهي فتجلس معهم فلا تجلس
في تلك الحالة التي تكون فيها ناسيا للنهي ثم قال فلا تقعد بعد الذكرى اي ثم اذا ذكرت ودع مجالسة
المشركين فقم ومن قرا واما ينسينك بالتشديد وبنصب النون فهو لغة يقال نسيته وانسيته بمعنى
واحد وقد روي انه لما نزلت هذه الاية قال المسلمون يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كان
كلما استهزا المشركون بالقران قمنا وتركناهم لا نستطيع ان نجلس في المسجد الحرام ولا ان نطوف
بالبيت فنزل **قوله عز وجل** وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى
لعلهم يتقون ٥ معناه وما على الذين يتقون الشرك والمعاصي من اثامهم ومخالفتهم امر الله من
شيء من العقاب ولكن ذكرهم بالقران ذكرى اذا فعلوا ذلك لتكونوا على رجاء تركهم الشرك والاستهزاء
ويحتمل ان تكون موضع ذكرى رفعا على تقدير ولكن هو ذكرى وهو ذكرهم بالقران او ولكن الذي تامرونهم به ذكرى
قوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به
ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ
منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ٥ معناه
وذر الكفار الذين اتخذوا دينهم اللعب والباطل والاستهزاء ويقال معناه الذين اتخذوا دينهم
بهوى انفسهم ومن اتخذ دينه بهوى نفسه فهو عابث لاعب وقال الفراء في معنى الاية ليس من قوم الا ولهم
عيد يلهون فيه الا امة محمد صلى الله عليه وسلم فان اعيادهم صلوة وتكبير وبر وخير واما قوله تعالى وغرتهم
الحيوة الدنيا معناه وشغلتهم الحيوة الدنيا عما فيها من زينتها ونعيمها وقوله عز وجل وذكر
به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي اي عظهم بالقران كراهة ان تبسل نفس بما عملت ويقال
قبل ان تبسل ويقال لئلا تبسل ومعنى تبسل تسلم بعملها غير قادر على التخلص منه ويقال ترتهن وتحبس والمستبسل
المستسلم الذي يعلم انه لا يقدر على التخلص والباسل الذي لا يقاومه احد وقوله تعالى ليس لها من دون الله
ولي معناه ليس لها احد سوى الله من قريب يمنع العذاب عنها ولا شفيع يشفع لها وقوله تعالى وان تعدل
كل عدل معناه لو جاءت بكل ما كان في الارض جميعا افتداء عن نفسها لا يقبل منها وسمي الفداء
عدلا لانه مثل الشيء وقال الاخفش معنى العدل بالكسر ان كل واحد منهما مثل صاحبه وقوله
عز وجل اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي اسلموا للهلاك بما كسبوا من الذنوب لهم شراب من حار قد

انتهى حرجه وعذاب وجميع ما كانوا يجحدون في الدنيا محمد صلى الله عليه وسلم والقران **قوله عز وجل** قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدينا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ايتنا وامرنا لنسلم لرب العالمين ٥ معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم للكفار الذين يدعونكم الى دين اباءهم اتعبد سوى الله من الاصنام ما لا ينفعنا ان عبدناه في رزق ولا في معاش ولا يضرنا ان تركناه في رزق ولا في معاش وقوله عز وجل ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله عطف على الاستفهام اي كيف نرجع الى الكفر بعد اذ هدانا الله دينه واكرمنا بمعرفته فيصير مثلنا كمثل الذي هوت به الشياطين فادهشته ضالا في الارض ويقال كالذي زينت له الشياطين هواه فهو يعمل في الارض بالمعاصي وقوله عز وجل حيران نصب على الحال اي استهوته حال حيرته ومن قرا استهويه فان فعل الجماعة اذا تقدم على الاسم جاز التذكير والتانيث كما في قوله توفته رسلنا تاتيا والتا وقوله عز وجل له اصحاب يدعونه الى الهدى اي الى الطريق الصراط المستقيم ان ايتنا واتبعنا واطعنا فانا على الطريق فيابى ان ياتيهم ويطيعهم وقيل ان المراد بالذي استهوته الشياطين عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه لكان ابوه وامه يدعوانه الى الاسلام وكان الشيطان والكفار يزينون له الكفر الى ان مَنّ الله تعالى عليه بعد ذلك بقبول الاسلام وقوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى معناه قل لهم ان دين الله هو دين الاسلام وامرنا لنخلص الشهادة لرب العالمين تقول العرب امرتك ان تفعل وبان تفعل وتكون البا لالصاق الفعل والمعنى وقع الامر بهذا الفعل واذا قلت ان تفعل فعلى تقدير حذف البا ومن قال امرتك لتفعل فقد اخبر بالعلة التي وقع لها الامر المعنى امرنا بهذا الامر للاسلام **قوله عز وجل** وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون ٥ اول هذه الاية عطف على قوله لنسلم اي امرنا بالاسلام وقيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة بركوعها وسجودها وما يجب من حق الله تعالى فيها واتقوه اي اطيعوه واتقوا سخطه ومعنى العطف في اول هذه الاية لا على اعتبار اللفظ وانما هو على اعتبار معنى المامور نظيره قوله تعالى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين وقوله عز وجل وهو الذي اليه تحشرون تخويف لهم اي تجمعون يوم القيمة الى موضع لا يكون الحكم فيه الا الله عز وجل فيجزيكم باعمالكم **قوله عز وجل** وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون ٥ معناه انه خلق السموات والارض لاقامة امر حق وهو الثواب والعقاب في الاخرة ولم يخلقها باطلا لغير شيء ويقال معناه خلقهما لداعي الحكمة لا لداعي الهوى وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون اراد بهذا الاعادة واراد بالاول ابتداء الايجاد وذكر خلق بلفظ الماضي في الامرين جميعا لان ما امر الله تعالى بكونه فهو واقع لا محالة ويقال معناه وخلق الخلائق يوم يقول وقيل واتقوا يوم يقول وقيل واذكروا يوم يقول ليوم القيمة كن فيكون مكونا باذن الله تعالى وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معناه يوم يقول للصور كن فيكون السموات صورا مثل القرن ينفخ فيه وتبدل سما اخرى والغرض من الاية بيان سرعة البعث كانه قال يوم نقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون **قوله عز وجل** قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ٥ معناه والله اعلم خبره في امر القيمة حق كاين وله الملك يومئذ وتخصيص ذلك اليوم بالملك لانه اليوم الذي لا يظهر فيه من احد سوى الله تعالى نفع ولا ضر كما قال عز من قايل والامر يومئذ لله والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلم نفختين فيفنى الخلايق كلهم بالنفخة الاولى ويحيون بالنفخة الثانية فتكون النفخة الاولى لفنا الدنيا والنفخة الثانية لابتدا الاخرة وقال الحسن رضي الله عنه الصور جمع صورة كما يقال سور المدينة في جمع السورة وقيل لا تنافي بين القولين فان نفخ الصور تقع في صور العباد فيحيون وذهب بعضهم الى ان

قوله عز وجل يوم ينفخ في الصور بدل من قوله يوم يقول كان الله تعالى بين ان التكوينة للخلايق تكون مقارنا للنفخ في الصور وان النفخة الثانية تكون علامة لبعث الخلايق كما قال تعالى ونفخ في الصور فاذا هم قيام ينظرون فعلى هذا التاويل يكون اول هذه الاية قوله الحق وله الملك معترضا في الكلام واما قوله تعالى عالم الغيب والشهادة معناه وعالم ما غاب عن العباد وما علمه العباد وهو الحكيم في امره العالم باعمال عباده **قوله عز وجل** واذ قال ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين ٥ معناه واذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم اذ قال ابرهيم لابيه ازر من قرا بالنصب فموضعه خفض بدل من ابيه الا انه لا ينصرف لانه اسم اعجمي ومن رفعه فعلى النداء وقد اختلفوا في هذا الاسم قال الحسن والسدي هو اسم ابي ابرهيم وقال الفرا هو صفة عيب ان ازر كان ابرهيم عليه السلم قال لابيه المخطي وقال لابيه يا مخطي وقيل في تاكيد هذا القول ان النسابين قد اتفقوا ان اسم ابي ابرهيم تارح بن تاحور وليس في اتفاق النسابين على هذا ما يوجب تعلق اهل الالحاد بالطعن في هذه الاية لانه قد يكون للرجل اسمان وكنيتان وقد يكون له لقب غالب ولم يطعن احد من العرب في القران من هذا الوجه مع حرصهم على الطعن فيه ويقال ان ازر بلغتهم الشيخ الكبير وعن مجاهد ان ازر اسم كبير اصنامهم كان ابرهيم عليه السلم قال لابيه ازر الها اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ذهاب عن الحق بين الخطا بعبادتهم الاصنام **قوله عز وجل** وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ٥ معناه مثل ما وصفناه من قول ابرهيم لابيه ما قال نري ابرهيم صلوات الله عليه القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد الله تعالى وهو ما راى من السماوات والارض والكواكب والقمر والشمس يقال في الكلام لمن فعل خيرا او شرا كذلك اجزيك ويقال معنى كذلك نري مثل ما اتينا لابرهيم عليه السلم قبح ما كان عليه ابوه وقومه من المذهب كذلك نريه ملكوت السموات والارض والملكوت عبارة عن اعظم الملك زيدت الواو والتا فيه للمبالغة كما يقال في المثل رهبوت خير من رحموت وقوله عز وجل وليكون من الموقنين اي نريه الملكوت لما فعل وليستدل بذلك على توحيد الله تعالى وليثبت على اليقين روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الاية ان ابرهيم عليه السلم خليل الرحمن ولد في زمن نمرود بن كنعان وكان لنمرود كهان يخبرونه بما يكون في الارض فقالوا له انه يولد في هذه السنة غلام يفسد الهة اهل الارض وينازعك في ملكك فقال نمرود ان دواهنا هين بذبح كل غلام يولد ووكل بالنساء في اطهارهن وحال بينهن وبين ازواجهن وكانوا لا يجامعون الحيض فرجع ابو ابرهيم الى اهله فوجد امراته قد طهرت من الحيض فوقع عليها فعلقت فحملت ولم يبن حملها ولم يعرف احد انها حامل حتى اخذ الطلق فخرجت هاربة مخافة ان يطلع على امرها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في الحلفا ثم رجعت الى زوجها واعلمته بذلك فانطلق اليه واخذه من ذلك المكان فحفر له سربا وواراه فيه وسد عليه بصخرة مخافة من السباع ان تاكله وكانت امه تختلف اليه وترضعه حتى فطمته وكان اذا بكى بالتمه جاه جبريل عليه السلم ووضع ابهامه في فيه فكان يمصه فيخرج منه اللبن وكان يمص سبابة نفسه فيخرج منه العسل حتى كبر وكان فيه الى ان شب وعقل وتكلم فقال ذات يوم لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت نمرود قال فمن رب نمرود قالت له اسكت فسكت وقال لابيه مثل ذلك فاجابه بمثل ما اجابته فلما جن عليه الليل دنى من السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا يقال له الزهرة فقال هذا ربي فلما راه يسير على هيئة يبين معها انه محدث منتقل من مكان الى مكان قال لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما راى الشمس طالعة قد ملات كل شيء قال هذا ربي هذا اكبر منهما قبله فلما افلت خرج من باب السرب فجا الى قومه فراهم يعبدون الاصنام

فقال إني بريء مما تشركون وفي بعض الروايات أن ابرهيم عليه السلم خرج من الغار ولا فطر إلى السما
والأرض والجبال وتفكر في نفسه وقال إن لهذه الأشياء خالقا خلقها وخلقني فرأى أضوا الكواكب
الزهرة إلى آخر القصة **قوله عز وجل** فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما
أفل قال لا أحب الآفلين ه معناه فلما غشيه الليل رأى الزهرة ويقال جنه الليل واجنه أي ستره
مأخوذ من الجن والاجتنان جن عليه الليل واجنه الليل وقيل معنى جن عليه أظلم عليه وقوله عز وجل هذا
ربي فيه ثلثة أقوال أحدها هذا ربي في ظني لأنه كان في حال فكرة واستدلال وكان ذلك الوقت
وقت مهلة له للتروي والنظر فلما رأى الكوكب في علوه وضيائه قرر نفسه على ما ينقسم حكمه من كونه ربا
خالقا أو مخلوقا مربوبا فلما رآه طالعا آفلا ومتحركا زائلا قضى بأنه محدث لمقارنته بأمارات
الحدث في تدبير ربه والمحدث غير قادر على إحداث الأجسام وأن ذلك مستحيل منه كما استحال ذلك
من نفسه إذ كان محدثا فحكم بما وأنه له في جهة الحدوث وامتناع كونه خالقا ربا ثم لما طلع القمر
فوجد صفته في العظم والإشراق وانبساط النور قرر أيضا نفسه على ما ينقسم حكمه فقال هذا ربي فلما رعاه
وتأمل حاله وجده في معنى الكوكب في الطلوع والأفول فحكم له بحكمه وإن كان أكبر وأضوا منه ثم لما
رأى الشمس طالعة في عظمها وإشراقها وتكامل ضيائها قال هذا ربي لأنها كانت تخالف الكوكب
والقمر في هذه الأوصاف ثم لما رآها آفلة منتقلة حكم لها بالحدوث وأنها في حكم الكوكب والقمر لوجود
دلالة الحدث في الجميع فالأول والذي يؤيد هذا التأويل الذي ذكرناه أن قول ابرهيم عليه السلم كان على
وجه النظر والتفكر ما ذكره الله عز وجل أنه عليه السلم قال في المرة الثانية لئن لم يهدني ربي
لأكونن من القوم الضالين والقول الثاني وهو الأقرب إلى الصحة أن ابرهيم عليه السلم إنما قال
هذه الأقوال في حالة الطفولية قبل كمال عقله حين حركته الخواطر للفكر والنظر في أدلة توحيد الله تعالى
على ما رويناه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن أباه كان خبأه سربا وواراه فيه خوفا
من السلطان عليه وكان ابرهيم عليه السلم على فطرة الإسلام فقال هذه الأقوال وبعدها إلى أن تم عقله وعرف
الله تعالى حق معرفته فقال عند ذلك إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا فإن
قيل كيف يجوز أن يكون هذا القول من ابرهيم عليه السلم على ابتداء النظر وقد تقدم إنكاره على أبيه
وقومه عبادة الأصنام بقوله أتتخذ أصناما آلهة قيل تقدم الآية في التلاوة لا يوجب أنها متقدمة
في الحال فلا يمتنع أن ابرهيم عليه السلم أنكر على أبيه وقومه عبادة الأصنام بعد هذا النظر الذي
ذكرناه والله أعلم والقول الثالث أن قوله هذا ربي كان على وجه الإنكار الذي يكون
مع ألف الاستفهام وكان قصده عليه السلم من هذا القول استدراج قومه لإقامة الحجة عليهم
وتقريبهم إلى الهدى فإنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فلما بلغ ابرهيم عليه
السلم المبلغ الذي يجب به الحجة على العبد قال يا قوم هذا ربي أي في زعمكم كما قال الله تعالى
أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال فلما أفل الكوكب وتبين أنه مسخر من كل يطلع ويسير على هيئة واحدة
قال لا أحب الآفلين لا أعظمه تعظيم الرب وقوله لئن لم يهدني معناه على هذا القول إن لم يثبتني ربي على
الهدى لأن الله تبارك وتعالى أثنى على ابرهيم عليه السلم في آية أخرى بقوله إذ جاء ربه بقلب سليم والسليم الذي
لا شك فيه وفي سلامته من كل عيب واستشهد الفقيه أبو الليث رحمه الله في تأويل قوله تعالى
هذا ربي أنه على جهة الاحتجاج على المشركين بما روي أن عيسى عليه السلم بعث من الحواريين رجلا إلى
ملك فلما انتهى إليهم فرآهم يسجدون للصنم فجعل هو يسجد ويصلي عند الصنم ويريهم أنه يعبد الصنم
تقية وهو يريد عبادة الله تعالى ثم إن الملك ظهر له عدو فقال لهذا الرجل الحواري أشر علينا بشيء في
هذا الأمر فقال أن نشفع إلى هذا الذي نعبده فجعلوا يسجدون له ويشفعون فلا يسمعون منه جوابا

فقالوا

فقالوا له إنه لا ينفعنا شيئا فقال لهم لم تعبدون ما لا يدفع عنكم ضرا ارجعوا حتى نعبد من ينفعنا
فقالوا لمن نعبد فقال لرب السما فجعل يدعوا ويدعون حتى فرج الله تعالى عنهم فآمن كثير منهم ورجعوا
عما كانوا عليه من الشرك وبالله التوفيق ه **قوله عز وجل** فلما رأى القمر بازغا قال
هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ه معناه لما رأى
القمر طالعا قال هذا ربي على ما تقدم من تفسيره يقال بزغ القمر إذا ابتدأ في الطلوع وقوله تعالى فلما
أفل أي لما غاب القمر قال ابرهيم عليه السلم لئن لم يرشدني ربي إلى دينه ويثبتني على الطريق المستقيم
لأكونن من القوم الضالين عن الهدى **قوله عز وجل** فلما رأى الشمس بازغة قال هذا
ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ه معناه لما رأى الشمس طالعة
قال هذا ربي وإنما قال هذا ربي مع قوله بازغة لأن الشمس تذكر بلفظ التأنيث لتفخيم شأنها لكثرة
ضيائها كما يقال علامة ونسابة إلا أن ابرهيم عليه السلام أراد بقوله هذا ربي أي هذا الطالع ربي
أو هذا النور ربي ويجوز أنه لم يكن عرف الشمس ما هي وأنه يذكر بلفظ التذكير والتأنيث على ما
تقدم أنه إنما قال هذا ربي وهو في الغار وحال خروجه من الغار وقوله عز وجل فلما أفلت أي لما
غابت الشمس قال ابرهيم عليه السلم يا قوم إني بريء مما تشركون بالله من الأصنام والأوثان والشمس والقمر
والكواكب قالوا فمن تعبد أنت إذا يا ابرهيم فقال إني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ه معناه أي أخلصت ديني وعبادتي ويقال جعلت قصدي
بعبادتي للذي ابتدأ خلق السموات والأرض حنيفا مائلا عن الأديان الباطلة إلى دين الحق ميلا
لا رجوع فيه وما أنا من المشركين أي لست على دينكم أيها المشركون وإنما احتج ابرهيم استدلالا له على نفي إلهية
الكوكب والقمر والشمس بقوله إني وجهت وجهي لأنه علم أن في بطلان إلهيتها إثبات إلهية الله
تعالى لأنه إذا اقتضى الصنع صانعا قديما لاستحالة تسلسل المحدثات لا إلى نهاية وبطل أن تكون شمسا
مثلما بطل أن تكون الشمس إلها صح أنه قديم لا يشبه الأشيا ولا تشبهه لأنه يجوز على جميع الأشيا المخلوقة
التغير والأفول ولا يجوز شيء من ذلك على الله تعالى **قوله عز وجل** وحاجه قومه قال
أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع
ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون ه وذلك أن قوم ابرهيم عليه السلم خاصموه في مخالفته إياهم في
دينهم وخوفوه بآلهتهم وقالوا أما تخاف آلهتنا وأنت تشتمها أن تخبلك وتفسدك وكانت سدنة
آلهتهم يقولون إن أهل موضع كذا قد تركوا عبادة الأصنام فامتحنوا وقحطوا وإن أهل موضع
كذا احتبسوا عبادة الأصنام فرزقوا السعة والخصب فأجابهم ابرهيم عليه السلم وقال أتحاجوني في
الله أي أتخاصمونني في توحيد الله ودينه وقد نصرني الله وعرفني دينه أو توحيده لما نصب لي من
الدلالات والمحاجة في اللغة طلب كل واحد من الخصمين الحجة على صاحبه والأصل في أتحاجوني
أتحاجونني أدغم إحدى النونين وأما قوله ولا أخاف ما تشركون به فمعناه لا أخاف من هذه الأصنام
التي تعبدونها وهي مما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر وقوله إلا أن يشاء ربي استثناء منقطع معناه ولكن
أخاف مشيئة ربي أن يعذبني ببعض ذنوبي أو يبتليني بشيء من محن الدنيا وموضع أن نصب على تقدير ولا
أخاف إلا مشيئة الله تعالى وقوله وسع ربي كل شيء علما معناه أحاط علم ربي بكل شيء وملأ كل شيء
علما وهو يعلم أنكم على غير الحق وقوله أفلا تتذكرون تنبيه منه على التفكر فيما كان يقول لهم **قوله
عز وجل** وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم
سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ه معناه وكيف أخاف الأصنام التي أشركتموها مع
الله تعالى وهي لا تملك النفع والضر بل لا تعرف من عبدها والأمن ترك عبادتها ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله

الذي يملك النفع والضر ويعلم من يعبده ومن لم يعبده ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي عذرا وحجة
لكم فاي الفريقين اي اهل دين احق ان يامن من العذاب انا ام انتم الموحد ام المشرك ان كنتم تعلمون
ذلك فلم يجيبوا فانزل الله تعالى **قوله عز وجل** الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون معناه الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله ولم يخلطوا ايمانهم
بشرك اولئك لهم الامن من العذاب وهم مهتدون الى الحجة ويقال الى الجنة وقال بعضهم ان قوله
تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قول ابرهيم عليه السلم على حسب ما جرت به العادة ان العالم
قد يورد السوال [illegible] ممن لا يكون عنده علم به او يكون عنده علم به ولكن لا يجيب مخافة ان يكون
ذلك حجة عليه [illegible] العالم عن السوال ويقال ان هذا قول المشركين الذين خوفوا ابرهيم عليه السلم
فانه لما قال اي الفريقين احق بالامن يعني امن يعبد الها واحدا ام من يعبد الهين اشتجرى على لسانهم
ما كان حجة عليهم فقالوا ان من يعبد الها واحدا ويخلص له في العبادة احق بالامن ممن اشرك مع
الله غيره وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الاية شق ذلك على اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يلبس ايمانه بظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس انه بذلك
الا تسمعون الى قول لقمن ان الشرك لظلم عظيم **قوله عز وجل** وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم
على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم معناه وتلك المقالة التي تحاج بها ابرهيم
عليه السلم حجتنا اعطيناها ولقناها ابرهيم عليه السلم يحتج بها على قومه نرفع درجات من نشاء في الدنيا
بالحجة والبصيرة وفي الاخرة بالثواب والفضيلة ومن قرا درجات بالتنوين لا على الاضافة فمعناه نرفع
من نشاء درجات وقوله ان ربك حكيم عليم معناه ان ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم ذو حكمة في
تفضيل بعض الناس على بعض وتخصيص بعضهم بالنبوة وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالحجة المذكورة
في هذه الاية انهم لما خوفوا ابرهيم عليه السلم وقالوا له اما تخاف من الهتنا ان تخبلك قال لهم اوما
تخافون انتم اذ كم اشركتم بالله وسويتم بين الصغير والكبير ان ياخذكم الكبير من الهتكم ان سويتم بها الصغير
في العبادة فابطل عليه السلم عليهم حجتهم من حيث رجع عليهم ما ارادوا الزامه اياه فالزمهم مثله
على اصلهم وابطل قولهم بقولهم وفي الاية اوضح دلالة على ان ما استدل به ابرهيم عليه السلم على ان الذي
يجري عليه الانتقال والزوال والمجي والذهاب لا يجوز ان يكون خالقا ولا يكون الا محدثا من حجة
الله تعالى اتاها الله ابرهيم عليه السلم على قومه وفي هذا بيان ان من يعبد من كان بهذه الصفة فهو غير
عالم بالله عز وجل وانه بمنزلة من عبد كوكبا او بعض الاشيا المخلوقة وفيه دليل انه لا يجوز الاكتفا
بالتقليد في الدين لانه لو جاز لاحد ان يكتفي بالتقليد لكان اولى به ابرهيم عليه السلم فلما استدل
هو على توحيد الله تعالى احتج به على قومه ثبت بذلك ان علينا مثله **قوله عز وجل** ووهبنا
له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف
وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين ٥ معنى الاية والله اعلم ووهبنا لابرهيم اسحق ابنا
لصلبه ويعقوب نافلة كلا يعني ابرهيم واسحق ويعقوب هديناهم للنبوة والاسلام والهداية على ضربين
هداية اصابة الحق وهي خاصة للرسل والانبيا صلوات الله عليهم وهداية العلم بالحق وهي هداية البيان
عامة للانبيا وغيرهم وقوله عز وجل ونوحا هدينا من قبل معناه ونوحا هديناه للنبوة والاسلام من
قبل ابرهيم وفي هذا بيان انه تعالى كما انعم على ابرهيم عليه السلم بذريته وكذلك انعم عليه بابايه
لان ابرهيم عليه السلم من ولد نوح عليهما السلم فان نوحا عليه السلم كان ابا الانبيا صلوات الله عليهم
بعد الطوفان وبنبوة كلا الفريقين تمام كمال النعمة في رفع الدرجة العظيمة وقوله تعالى ومن ذريته داود
وسليمن اختلف المفسرون في الهاء التي في قوله ومن ذريته قال بعضهم هي راجعة الى نوح عليه السلم لانه اقرب

الى اسمه ولانه تعالى ذكره في جملة المعطوفين على داود وسليمن من ليس من ذرية ابرهيم وهو من
ذرية نوح كيونس عليه السلم الذي لم يكن من ولده وكلوطا الذي كان ابن اخي ابرهيم ولم يكن من ولده
وقال بعضهم بل هذه الها راجعة الى ابرهيم عليه السلم لانه هو المقصود بالذكر فيما تقدم من الاي
وانما ذكر الله تعالى نوحا عليه السلم بتعلقه برفعه ابرهيم عليه السلم فعلى هذا القول يجب ان يكون قوله
بعد هذه الاية واسمعيل واليسع ويونس ولوطا متعلقا من ذرية ابرهيم عليه السلم على معنى وهدينا اسمعيل
واليسع ويونس ولوطا عليهم السلم لان في تلك الاية جمعا بين من كان من ذرية ابرهيم [illegible] ومن لم يكن منهم
ويحتمل ان الله تعالى انما ذكر يونس ولوطا عليهما السلم على معنى انهما [illegible] ابرهيم عليه السلم من
جهة القرابة وانعم الله تبارك وتعالى على ابرهيم بارسال غيره ولده من اقاربه كرسالته [illegible] بارسال ولده صلوات
الله عليهم اجمعين وقوله عز وجل وكذلك نجزي المحسنين معناه كما فضلنا [illegible] الانبيا بالنبوة وما
تتصل بها من العز والكرامة والتمكن بالحجة البالغة كذلك نتفضل على المحسنين فان قيل قوله وكذلك
نجزي المحسنين يقتضي ان تكون الرسالة جزاء على عمل ولا يجوز ان تكون النبوة جزاء على العمل ولكنها تكلف
وابتدا انعام من قبل الله عز وجل قيل ان المراد بقوله وكذلك نجزي المحسنين الجزاء الذي هو الثواب والكرامة
ويدخل في ذلك ما تكون الاحسان سببا له ومعلوم ان الاحسان من ترشح للرسالة هو السبب في ان يختار لها
لانه لا بد للرسول من ان يكون متنزها عما يدنسه وعما ينفر الخلق منه ولا يتم ذلك الا بفعله وتكلفه
فيصير الارسال كانه جزاء لذلك على هذا الوجه **قوله عز وجل** وزكريا ويحيى وعيسى والياس
كل من الصالحين ٥ معناه ومن ذرية ابرهيم زكريا ويحيى وعيسى والياس كل من المرسلين
قال الضحاك كان الياس من ولد اسمعيل بن ابرهيم وقال القتيبي كان من سبط يوشع بن نون ويقال هو الخضر
وقال بعضهم معنى الاية وهدينا زكريا ويحيى وعيسى والياس وانما تاولوا الاية على هذا لما روي عن عبد الله بن
مسعود ان الياس هو ادريس عليه السلم ولا يجوز ان يكون ادريس من ذرية ابرهيم عليه السلم لان ادريس جد ابي
نوح فلا يكون تاويل هذه الاية على هذه الرواية الا ان يحمل قوله وزكريا على انه معطوف على الانبيا في المنصوص
بلفظ الهداية وفي الاية حجة على من انكر في الحسن والحسين انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه تعالى
جعل عيسى عليه السلم ولا اب له من ذرية ابرهيم عليه السلم **قوله عز وجل** واسمعيل واليسع ويونس
ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ٥ معناه وهدينا اسمعيل بن ابرهيم واليسع وهو تلميذ الياس [illegible]
من بعده وقال محمد بن اسحق هو ابن اخي موسى عليه السلم ومن قرا والليسع بالتشديد فالاسم عنده ليسع ادخل
عليه الالف واللام للتعريف ومن قرا بالتخفيف فالاسم عنده يسع سمي بذلك لسعة علمه فان قيل اليسع
بالتشديد [illegible] بالاسماء الاعجمية [illegible] لان العرب لا تدخل الالف واللام في حروف الاستقبال
الا في لغة شاذة واما قوله تعالى وكلا فضلنا على العالمين معناه وكل هولاء الانبيا صلوات الله عليهم
فضلناهم بالنبوة والاسلام على عالمي زمانهم [illegible]
المعرفة قال سيبويه [illegible] **قوله عز وجل**
ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ٥ معناه وهدينا بعض
ابائهم من قبلهم مثل ادم وشيث وادريس ونحوهم ومن ذرياتهم من بعدهم وهم اولاد يعقوب ومن جملة
ذرياتهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى واخوانهم هم اخوة يوسف عليه السلم [illegible]
ان يكون المراد بهم كل من معهم [illegible] ودخولهم في هداية الاسلام وقوله تعالى واجتبيناهم اي
اخلصناهم هولاء الانبيا بالنبوة والاخلاص [illegible] ماخوذ من قولهم جبيت الما واجتبيته في
الحوض اذا جمعته [illegible] **قوله عز وجل**
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون معناه ذلك الطريق

المستقيم دين الله نوفق له من نشا ممن كان اهلا لذلك ولو اشرك هولاء الانبياء طرفة عين مع اصطفاء الله تعالى اياهم
لبطل اعمالهم التي كانوا يعملون من الطاعات فكيف انتم يا اهل مكة **قوله عز وجل** اولئك
الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هولاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
معناه اولئك الانبيا الذين اعطيناهم الكتاب المنزل من السما والحكم بين الناس واكرمناهم بالنبوة والرسالة فان
يكفر بملة الاسلام هولاء يعني قريشا فقد قام بها قوم ليسوا بها بكافرين وهم اهل المدينة واتباع النبي صلى الله عليه وسلم
ويقال هم الملائكة وانما قال فقد وكلنا بها ولم يقل فقد قام بها قوم تشريفا للملة بالاضافة الى نفسه على
معنى اكرمنا وفقنا بالايمان بها معناه فقد الزمناها قوما ليسوا بها بكافرين فقاموا بها **قوله عز
وجل** [اولئك الذين هدى الله فب]هداهم اقتده قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين
معناه اولئك الانبيا الذين ذكرناهم من قبل هم الذين اكرمهم الله تعالى بالطريقة الحسنة فاقتد بسيرهم
واصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوا واما الها التي في اقتده فانما تثبت في الوقف لتبين
بها كسرة الدال فان وصلت قلت اقتد قل لا اسالكم والاختيار عند اهل اللغة ان يوقف على هذه الها
في مثل كتابيه وحسابيه ونظائرها كثيرة وقرا بعضهم باثبات الها في الوصل والوقف كما في كتابيه ومن
قرا بكسر الها فهو غلط لان ها السكت لا يجوز حركتها وقوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا معناه قل
يا محمد صلى الله عليه وسلم لا اسالكم على الايمان والقران جعلا ان هو يعني القران الا عظة بليغة للجن
والانس وفي الاية دليل ان شرايع الانبيا صلوات الله عليهم تلزمنا ما لم نعلم نسخه لان اسم الهدى يقع على التوحيد
والشرايع كما في قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين وقال بعض اهل العلم ان المراد بقوله
فبهداهم اقتده الاتباع في اصل الدين لان شرايع الانبيا صلوات الله عليهم مختلفة وبالله التوفيق **قوله
عز وجل** وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما
لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ۝ روي عن عبد الله بن عباس انه قال في
معنى هذه الاية ان مالك بن الضيف وكان راس اليهود جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم بالمدينة ويقال
بل كان جاء من المدينة الى مكة والسورة كلها مكية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله يا مالك
بالذي انزل التورية على موسى عليه السلام اتجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين قد سمنت
من ماكلتك التي تطعمك اليهود ولست تصوم اي لست تمسك فضحك به بعض القوم فغضب مالك ثم التفت الى
عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنزلت هذه الاية ومعناه ما عظموا الله حق عظمته وما عرفوا
الله حق معرفته اذ جحدوا وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء اي من كتاب ولا وحي قل لهم يا محمد صلى الله عليه
وسلم من انزل الكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام وهو التورية نورا اي ضياء للناس وبيانا له من الضلالة تكتبونه
صحايف تظهرون ما فيها مما ليس فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمانه ومبعثه ونبوته وتخفون
كثيرا اي تسترون ما فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته واية الرجم وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم يحتمل ان يكون خطابا للمسلمين اي علمتم انتم ايها المؤمنون من الاحكام والحدود ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم والاظهر فيه انه خطاب لليهود لانه منسوق على ما سبق معناه علمتم بالقران ما كنتم اخفيتم قبل
نزول القران لانهم كانوا قد ضيعوا كثيرا من الاحكام وكانوا يعاندون ولا يعملون بذلك حتى صاروا كانهم
لم يعلموه وهذا كقوله تعالى زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون معناه زينا لهم اعمالهم التي عليهم ان يعملوها
فهم يعمهون عن الصواب وقوله تعالى قل الله معناه انهم ان اجابوك وقالوا علمنا الله والا فقل الله علمكم
ويقال معناه قل الله انزل الكتاب على موسى عليه السلام ثم ذرهم اي دعهم واتركهم في باطلهم يلهون ويلعبون
ويقال لكل من عمل ما لا ينفعه انما انت لاعب فان قيل لم كان من انكر انزال الكتاب غير معظم لله تعالى

حق تعظيمه قيل لانه قد نسب الى الله تعالى اهمال العباد ووصفه بانه لم يكلف المكلفين بانزال ما يتعلق
من المصالح بالسمع قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فلما رجع مالك بن الضيف من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى قومه قالوا ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك زعمت انه ما انزل الله على بشر من شيء اما انزلت كتابنا
من جانبه الا بشر موسى بن عمران عليه السلام قال انه قد اغضبني فلذلك قلت ما قلت قالوا اذا غضبت قلت غير
الحق والله لا نذر لنا شيئا فرعوه مما كان يلي لهم وولوا مكانه كعب بن الاشرف وعن محمد بن كعب القرظي
انه قال قالت اليهود يا محمد صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام جانا بالالواح يحملها من عند الله
فاتنا بها كما جانا موسى عليه السلام نصدقك فانزل الله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
الاية وما فيها من عبالهم الخبيثة وكفروا بكل كتاب نزل الله فقالوا ما انزل الله على بشر من شيء
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم محتبيا فحل حبوته فقال ولا على احد
وما قدروا الله حق قدره وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بهذه الاية قريش ومعنى قوله وما قدروا
الله ما امنوا بان الله قدير على كل شيء وقوله عز وجل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى احتجاج
عليهم بما دلت الدليل عليه اذ لم تكونوا هم مقرين به ومعناه ان صفة محمد صلى الله عليه فيما انزل الله عليه
كصفة موسى عليه السلام فيما انزل الله عليه وعلى هذا القول تقرا قوله تجعلونه وتبدونها وتخفون كثيرا
كل ذلك بالتا وقوله عز وجل وعلمتم ما لم تعلموا خطاب للعرب ايضا **قوله عز وجل**
وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها
والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ۝ معناه وهذا القران الذي
كذب به اهل الكتاب ومشركوا قريش كتاب مبارك اي فيه بركة ومغفرة من الذنوب لمن امن به
والبركة ثبوت الخير على النما والازدياد وقوله مصدق الذي بين يديه معناه هو موافق للتورية والانجيل
وساير كتب الله في اصل الدين ويقال اراد بالذي بين يديه النشاة الثانية وقوله ولتنذر ام القرى معناه
انزلناه للبركة ولتخوف به اهل ام القرى وسميت مكة ام القرى لانها اصل القرى دحيت الارض من تحتها
ويقال لانها اعظم القرى شانا وقيل لانها قبلة يؤمها الناس بالصلوة اليها وقوله عز وجل والذين يؤمنون
بالاخرة يؤمنون به معناه الذين يقرون ويصدقون بالبعث بعد الموت يؤمنون بالقران وفي هذا بيان ان
الايمان بالحساب والجزاء يقتضي الايمان بالقران ولا ينفع دون الايمان به والايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى وهم على صلاتهم يحافظون اي يداومون على الصلوات الخمس بركوعها وسجودها
ومواقيتها وما يجب من حق الله تعالى فيها **قوله عز وجل** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون
في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون
بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون ۝ قال عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما نزلت هذه الاية في مالك بن الضيف ومسيلمة الكذاب الذي كان يدعي النبوة وفي عبد الله
بن سعد بن ابي سرح كان عبد الله بن سعد تكلم بالاسلام وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
القران الذي نزل عليه في بعض الاحيان وكان اذا املى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزيز
حكيم كتب هو من قبله ان الله غفور رحيم وقال هذا وذاك سوا والله غفور رحيم والله عزيز حكيم او الله سميع
بصير فلما نزلت الاية التي في سورة المؤمنين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فكسونا
العظام لحما املاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فلما املا قوله ثم انشاناه خلقا اخر عجب عبد الله
بن سعد من تفصيل خلق الانسان فجرى على لسانه فتبارك الله احسن الخالقين فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم اكتب فهكذا انزل علي فشك عدو الله حينئذ وقال لئن كان محمد صلى الله عليه وسلم

صنادقا فلقد اوحى الى كما اوحى اليه ولين كان كاذبا فلقد قلت كما قال فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها اى احد اكفر واشد واعتى فى كفره ممن اختلق على الله كذبا بان جعل له شريكا وولدا او قال لم ينزل على ادمى كتابا كما قاله المشركون ومالك بن الضيف والافترا افتعال من الخبر لا حقيقة له من قولهم فريت الاديم اذا قطعته فكان الكاذب على غيره يقطع على خبر لا حقيقة له والمراد بقوله او قال اوحى الى ولم يوح اليه شى مسيلمه الكذاب وقوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله اراد به عبد الله بن سعد قال سانزل مثل ما انزل الله تعالى وانما اضاف الانزال الى نفسه لانه لما ذكر قوله فى مقابله ما انزل الله تعالى اجراه على لفظه واما قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون محذوف الجواب معناه ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت لرايت لهم عذابا عظيما والظالمون هم الكفرون الكاذبون على الله ويقال اراد به المنافقين يوم بدر راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صف المشركين وقد كانوا مسلمين بمكة فاخرجهم اهل مكه مع انفسهم كرها فلما راوا قلة المومنين رجعوا الى الشرك وقالوا غر هولاء دينهم عنوا به المومنين وقاتلوا مع المشركين فقتلوا جميعا او عامتهم وقوله تعالى فى غمرات الموت اى فى سكراته ونزعاته وشدايده يقال لكل من دفع الى امر عظيم قد غمر فلانا ذلك واذا قلت غمر فلان على تاويل انه قد كثر ماله او علمه اردت بذلك انه قد صار فيما ملك ويعلم بمنزلة من لا يبصر قد غمره وغطاه من كثرته وقوله تعالى والملئكة باسطوا ايديهم معناه ان ملك الموت واعوانه من ملئكة العذاب يبسطون ايديهم عليهم بالعذاب ويقبضون ارواحهم بالشدة يقولون لهم اخرجوا انفسكم من الموت ويقال لمن لعذابنا اى خلصوا انفسكم ولستم تقدرون على الخلاص كقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين ويقال معنى اخرجوا انفسكم فارقوا ارواحكم الخبيثة كما تقول للذى تعده به لاخرجن نفسك ولازهقن نفسك وقوله تعالى اليوم تجزون عذاب الهون يقال لهم يوم قبض الروح ويقال اراد به يوم القيمة حين معاينة اليوم تجزون العذاب الذى تهانون فيه بكذبكم على الله تعالى وبما كنتم تستعظمون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران **قوله عز وجل** ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ○ عطف على ما تقدم معناه انه يقال لهم ولقد جئتمونا فرادى بلا مال ولا ولد كما خلقكم الله تعالى فى الابتداء وفى الخبر انهم يحشرون يوم القيمة عراة حفاة غرلا بهما فقالت عايشة واسوأتاه الرجل والمراة كذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرى منهم يومئذ شان يغنيه ويقال معنى كما خلقناكم اول مرة كان بعضكم بخلف بعضكم كما قال الجل ذكره كما بدانا اول خلق نعيده وفرادى جمع الفرد والفرايد وقوله تعالى وتركتم ما خولناكم اى خلفتم ما اعطيناكم خلف ظهوركم فى دار الدنيا ولم تقدموها لانفسكم وما نرى معكم الهتكم الذين زعمتم انهم فيكم شركا يشفعون لكم ويقربونكم الى لقد تقطع بينكم اى وصلكم والبين من الاضداد ومن قرا بينكم بالنصب فمعناه تقطع ما بينكم اى ما كنتم فيه من الشركة وضل عنكم ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم عند الله حين لم تقدروا على دفع شى من العذاب عنكم **قوله عز وجل** ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون ○ قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما معناه ان الله خالق الحب والنوى كقوله الحمد لله فاطر السموات والارض اى خالق السموات والارض وقال الحسن وقتادة معنى فالق الحب شاق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة والحب جمع حبة والنوى جمع نواة ونظير ذلك الشجرة والشجر والبرة والبر وقوله تعالى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى معناه يخرج الانسان من النطفة والنطفة من الانسان وسميت النطفة ميتا لانها من جملة الاموات ويقال معناه يخرج النبات

الغض

الغض الطرى من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات وكل ما يكون ناميا فهو عند اهل اللغه بمنزلة الحى وما لا يكون ناميا فهو بمنزلة الميت ويقال معناه يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن وقوله عز وجل ذلكم الله اى الذى يفعل هذا الفعل هو الله عز وجل فانى تصرفون عن الحق والافك فى اللغة هو القلب عن الحق والصرف عنه والغرض من الاية والله اعلم الاحتجاج على القوم فى امر البعث الذى تقدم ذكره بما يشاهدونه من خلقه ليتفكروا فى ان الذى خلق هذه الاشيا قادر على بعثهم **قوله عز وجل** فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم قال الاكثرون معناه شاق عمود الصبح عن سواد الليل قال عبد الله بن عباس معناه خالق الاصباح قال الزجاج الاصباح والصبح واحد والاصباح جمع الصبح ويقال الاصباح بكسر الالف المصدر ومعناه الدخول فى ضوء النهار يقال اصبح فلان اذا دخل فى ضوء النهار وامسى اذا دخل فى ظلمة الليل ومنه قوله عز وجل فاخذتهم الصيحة مصبحين وقوله وجاعل الليل سكنا قرى هكذا وقرى وجعل الليل سكنا المعنى والله اعلم فلق النهار بالنور لتبتغوا فيه من فضله وجعل الليل سكنا لتسكنوا فيه فى ظلمته فى اوطانكم والسكن ما يسكن اليه يقال فلان سكنى اى اسكن اليه وآلفه وقوله والشمس والقمر حسبانا نصبت الشمس على تاويل وجعل لان فى جاعل معنى جعل اى جعل منازل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يختلف اذا انتهى احدهما الى اقصى منازله رجع فان الشمس تدور على الفلك كله فى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم والقمر يدور على الفلك كله فى ثمانية وعشرين يوما ويكون مستورا فى ليلتين ثم يعود الى ما كان فيعرف الناس بذلك احوالهم واوقات غلاتهم وعباداتهم ومعاملاتهم ويعرفون بذلك اعمارهم والحسبان مصدر تقول العرب فلان حسبانه على الله اى حسابه على الله تعالى ويقال ان الحسبان جمع الحساب كما يقال شهاب وشهبان وقوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم معناه ذلك وصف تدبير المنيع فى سلطانه الغالب الذى لا يغلب العليم بمصالح مملكته **قوله عز وجل** وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون معناه وهو الذى جعل لكم النجوم التى يختلف مواضعها من جهة الشمال والجنوب والصبا والدبور لتعرفوا بها الطرق من بلد الى بلد فى ظلمات البر والبحر فى المفاوز ولجج البحار بالليالى المظلمة فى السير فان من النجوم ما يجعله السائر تلقاء وجهه ومنها ما يجعله خلفه ومنها ما يجعله على يمينه ومنها ما يجعله على يساره ليظهر له الطريق التى يؤديه الى بغيته وقوله تعالى قد فصلنا الايات معناه قد بينا الايات مفصلة لقوم يعلمون وهذا تذكير بالنعمة عليهم لما جعل لهم من المنفعة فى النجوم **قوله عز وجل** وهو الذى انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ○ معناه وهو الذى انشا خلقكم من نفس ادم عليه السلم وحدها فانه تعالى خلقنا جميعا منه وخلق امنا حواء من ضلع من اضلاع ادم عليه السلم وانما من علينا بهذا لان الناس اذا رجعوا الى اصل واحد كانوا اقرب الى ان يالف بعضهم بعضا منهم اذا رجعوا الى اصول شتى وقوله فمستقر ومستودع قال عبد الله بن عباس لكم مستقر فى ارحام الامهات ومستودع فى اصلاب الاباء وقال بعضهم على الضد من هذا الا ان لفظ المستقر يعم من خلق والمستودع فيمن لم يخلق بعد وقال عبد الله بن مسعود مستقر فى الرحم ومستودع فى القبر وقال الحسن مستقر فى الدنيا ومستودع فى القبر ومن قرا مستقر بالكسر فعلى معنى فمنكم مستقر ومنكم مستودع وقوله قد فصلنا الايات معناه قد بينا العلامات الدالة على توحيد الله تعالى مفصلة لقوم يستدلون بمعانى الايات والفقه فى اللغة هو الفهم لمعنى الكلام الا انه جعل فى العرف عبارة عن علم الفتيا على معنى انه استدراك بعض الكلام بالاستنباط عن الاصول ولهذا لا يجوز ان يوصف الله تعالى بانه فقيه لانه لا يوصف بالعلم على وجه الاستنباط ولكنه عالم بجميع الاشيا على وجه واحد **قوله عز وجل** وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شى فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية

وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم
لايات لقوم يومنون معناه وهو الذي انزل من السماء ماء المطر فان الله عز وجل ينزل
المطر من السماء الى السحاب وينزل من السحاب الى الارض كما قال جل ذكره ونزلنا من السماء ماء مباركا
وكما قال في البرد وينزل من السماء من جبال فيها من برد ولولا السماع لكنا نجوز ان يخلق الله المطر
والبرد في السحاب بان يخترعهما فيه الا ان السمع منع عن ذلك وهذا يبطل قول المنجمين ان السحاب
بخار الارض وانه يتصاعد من الارض ويجتمع في الهواء ثم يتحلل منه المطر لان بخار الارض لا يجتمع الا اذا كان
صادف سقفا املس مثل سقف الحمام فيجتمع من الغوص ويتحلل منه الماء واما اذا لم يكن كذلك وصعد
الى الجو فيجب ان يتفرق في الجو ولا يجتمع فلو كان السحاب بخار الارض لكان لا يسيل منه ما يجري في الانهار
والاودية الا ما ارتفع من البحور ولا يجوز ان يكون قد ارتفع من البحر لان ماء البحر ملح اجاج وماء المطر عذب
زلال ولو كان البرد كما قد جمد في الهواء لكان لا يأتي البرد بعد النيروز في وقت الربيع لان في ذلك الوقت
لا يجمد شيء في الهواء ومعلوم ان اكثر ما يأتي البرد انما يأتي في وقت الربيع وبعد تحليه في الشتاء وقوله
عز وجل فاخرجنا به نبات كل شيء معناه فاخرجنا بالمطر نبات كل صنف من صنوف الحبوب معاشا لهم
كما يقال رزق كل حي من الاحياء ويقال معناه اخرجنا بالمطر نبات كل صنف من صنوف النبات فيكون
هذا اضافة الشيء الى نفسه كقوله حق اليقين وان كان الحق هو اليقين فان قيل كيف قال الله تعالى فاخرجنا
به نبات كل شيء فجعل المطر سببا للنبات والفاعل بالسبب يكون مستعينا بفعل السبب على فعل المسبب
والله جل ذكره مستغن عن الاسباب قيل انما قال الله تعالى فاخرجنا به لان المطر سبب يؤدي الى النبات
وليس هو لوجه له والله تعالى قادر على انبات النبات بدون المطر وانما يكون الفاعل بالسبب مستعينا بذلك
السبب اذا لم يمكنه فعل ذلك الشيء الا بذلك السبب كما ان الانسان اذا لم يمكنه ان يصعد السطح الا بالسلم
كان السلم آلة له في الصعود والطائر اذا صعد السطح بالسلم لم يكن السلم آلة له لانه يمكنه ان يصعد
السطح بدون السلم ثم انما اجرى الله تعالى على العادة بان لا ينبت كثيرا من الحبوب الا عن بذر وما يعهد
لان في خلق تلك الحبوب على هذه الجملة مصلحة للمكلفين من حيث يطلبون هذه النعم بوجوه المشاق ويدعوهم
ذلك الى التحرز من مضار المعصية وتحمل الكلفة لطلب ثواب الطاعة وقوله فاخرجنا منه خضرا معناه
اخرجنا من المطر نباتا اخضر وهو ساق السنبلة يقال خضر الشيء واخضر فهو خضر واخضر كما يقال
عور واعور فهو عور واعور وفي المثل ارينها نمرة اركها مطرة يريدون بذا في السماء اثر اركها المطر
وقوله نخرج منه حبا متراكبا معناه نخرج من ساق السنبلة حبا قد ركب بعضه بعضا وقوله تعالى
ومن النخل من طلعها معناه من النخل من الكفرى عذق قريبة المتناول والقنوان جمع القنو مثل صنو
وصنوان والقنو عذق النخل وهو كباسته وتثنية القنو قنوان بكسر النون والعذق بفتح العين النخلة
قال الزجاج وفي الاية محذوف فانه لم يقل دانية وغير دانية وهي التي تكون بعيدة المتناول وانما حذف
لان المقابلة تدل عليه كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم يقل وتقيكم البرد واما قوله تعالى وجنات من
اعناب فهو نسق على قوله خضرا اي اخرجنا جنات اي بساتين واشجار الملتفة وكل نبات متكاثف يستر
بعضه بعضا فهو جنة من جن اذا استتر وقوله والزيتون والرمان معناه واخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان
مشتبها وغير متشابه معناه منها ما يشبه غيره في الصورة واللون ومنها ما لا يشبهه ويقال معناه مشتبها في
المنظر واللون وغير متشابه في الطعم مثل الرمان الحامض والحلو وهذا يبطل قول القائلين بالطبع لانه لو
كانت هذه الثمار بالطبع لكان لا يجوز اختلاف صورها والوانها واطعمتها مع كون الارض والماء
والهواء واحدا فلما اختلفت ذلك دل على انه انما خالف بينها قادر مختار وقيل في الفائدة في الجمع بين شجر
الزيتون وشجر الرمان في هذه الاية لانهما شجرتان يشتمل ورقهما على الغصن من اوله الى اخره تشبه اوراقهما

وتخلف

وتخلف ثمارهما وقرأ الاعمش وجنات والزيتون بالرفع عطف على قوله قنوان دانية واما قوله
تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر معناه انظروا الى خروج الثمر نظر الاعتبار اذا عقد وهو غض وينعه اذا
نضج واخذ اللون من بين اصفر وابيض واحمر ومن قرأ ثمره فهو اسم الجنس ومن قرأ ثمره اراد جمع الجمع
لان الثمر جمع الثمار كما يقال حمار وحمر والينع النضج يقال ينع الثمر واينع اذا ادرك وقيل ان الينع جمع
اليانع وهو المدرك من الثمر كما ان التجر جمع التاجر كانه قال انظروا الى الثمر في ابتداء طلوعه وانظروا
اليه في انتهاء حاله وقت ادراكه وقوله تعالى ان في ذلكم لايات لقوم يومنون يقرءون ويصدقون
بالله عز وجل وهذه الايات دالة للمومنين وغيرهم الا انه تعالى خصهم بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون
بالاستدلال دونها

قوله عز وجل وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات
بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ه قال عبد الله بن عباس ابن هذه الاية في الزنادقة قالوا ان الله
تعالى وابليس لعنه الله اخوان فالله تعالى خالق الناس والدواب والانعام وكل خير وابليس خالق
السباع والحيات وكل شر فذلك قوله عز وجل وجعلوا لله شركاء الجن وقوله وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا وقال مقاتل نزلت الاية في جهينة وخزاعة قالوا ان صنفا من الملائكة يقال لهم الجن بنات الرحمن
وسموا جنا لاستتارهم عن ابصار الناس وقال بعضهم انما قال وجعلوا لله شركاء الجن لان قريشا كانوا
يقولون ان الله تعالى صاهر الى سروات الجن وحدث بينهما الملائكة وقال الزجاج رحمه الله معنى الاية
ان الكفار اطاعوا الجن فيما سولت لهم كطاعتهم الله تعالى فجعلوهم شركاء لله وكان بعضهم ينسب
الى الجن الافعال التي لا تكون الا لله تعالى وقوله الجن منصوب لكونه بدلا من شركاء وقيل انه منصوب لانه
مفعول ثان على تقدير وجعلوا الجن شركاء لله كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
والهاء والميم في وخلقهم يجوز ان تكون عائدة الى اهل الشرك ويجوز ان تكون عائدة على الجن على معنى ان الله
خلق الجن فكيف يكونون شركاء لله تعالى وقوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات معناه وكذبوا بنسبة
البنات والبنين الى الله تعالى فان مشركي العرب قالوا ان الملائكة بنات الله والنصارى قالوا ان المسيح
بن الله واليهود قالوا ان العزير بن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا يقال الخرق والاختراق والاختلاق والافتعال
والافتراء اذا كذب وقال بعضهم معنى وخرقوا انهم لما نسبوا الى الله عز وجل الولد فقد اثبتوا خروج
الولد منه واذا اثبتوا خروج الولد منه فقد اثبتوا فيه الخرق وقوله بغير علم معناه بجهلهم بلا حجة
وقوله سبحانه كلمة تنزيه وتبعيد لله جل ذكره عن كل سوء اي سبحوه ايها المومنون عما يقول
عليه الجاهلون وقوله وتعالى من العلو اي استعلى عما وصفوه به ويكون في باب صفات الله تعالى
علا ولا يجوز ارتفع لان العلو قد يكون بالاقتدار والارتفاع يقتضي الجهة والمكان ووجه اتصال
هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى لما ذكر في الايات المتقدمة دلائل توحيده وبين انه هو المستحق للالهية
دون غيره ذكر من بعد ان من الكفار من يثبت لله سبحانه شركاء لا ترى ولا يرى شيء من اثارها
وذلك اعجب في الجهل من عبادة الصنم لان عابد الصنم وان كان عابدا لما لا ينفع ولا يبصر فقد عبد
شخصا ما يراه ولم يجعل للصنم نسبا مع الله تعالى وليس كذلك من جعل الجن شركاء الله تعالى
لانه يعبد ما لا يرى ولا يرى اثره ثم يجعل له نسبا بينه وبين الله تعالى بالمعصية فلما كان هذا ادخل
في الجهل من هذا الوجه خصهم جل ذكره بالذكر

قوله عز وجل بديع السموات والارض
انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ه معنى
الاية مبدع السموات والارض ومنشيها ابتداء لا على مثال سبق ومنه البدعة لانه لا يكون لها مثال
ماض والفعيل اذا كان بمعنى مفعل لم يكن الا متعديا واذا لم يكن بمعنى مفعل فقد لا يكون متعديا كطويل
وقصير وقوله تعالى انى يكون له ولد معناه من اين يكون له ولد وكيف يكون له ولد ولم تكن له زوجة

ولا يكون الولد إلا من زوجة وقوله عز وجل وخلق كل شيء نفي للزوجة والولد أي كيف يكون له
ولد وصاحبة وقد خلق الأشياء كلها وكيف يصح أن يكون شيء من خلقه صاحبة له أو ولدا وقوله تعالى وهو
بكل شيء عليم معناه هو بكل شيء من خلق العباد ومصالحهم وجهل الكفار وعنادهم عالم **قوله عز
وجل** ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل
معناه أن الذي خلق الأشياء كلها وعلمها فاتركوا به هو الله ربكم لا إله غيره خالق كل شيء من الخلق
فاطيعوه ووحدوه ولا تشركوا به ومن غيره في العبادة وهو على كل شيء حافظ فإن قيل إذا كان
الله تعالى مالكا للشيء فلا يكون المالك للشيء وكيلا فيه فكيف قال وهو على كل شيء وكيل
قيل إن تعالى بخلق جميع ما خلق لمنفعة غيره لا لمنفعة نفسه والوكيل من يعمل لمنفعة غيره دون
نفسه **قوله عز وجل** لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير
قال الزجاج معنى الإدراك في اللغة هو الإحاطة بحقيقة الشيء فيكون معنى الآية لا تدرك الأبصار
كنهه وماهيته وهو يدرك الأبصار أي كنهها وماهيتها فإنه لا يعلم أحد أن الإنسان لم صار يبصر
من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه وما الشيء الذي يبصر الإنسان به مستحيلا وكيف حقيقة البصر وكان
الله تعالى أعلم أن خلقا من خلقه لا تدرك المخلوقون كنهه تعالى الله ولا يحيطون بعلمه فكيف يحيطون
بالله عز وجل ومن حمل الآية على هذا التأويل لم يكن فيه ما ينفي الرؤية في الآخرة لأن معنى الرؤية غير معنى
الإحاطة بحقيقة الشيء وقال بعض المفسرين إن الإدراك إذا قرن بالبصر كان المراد منه الرؤية فإنه
يقال أدركته ببصري ورأيته ببصري بمعنى واحد كما يقال أدركت بأذني وسمعت بأذني بمعنى واحد قالوا
وأصل الإدراك اللحوق نحو قولك أدركت زمان فلان وأدرك فلان أبا حنيفة وأدرك الزرع والثمر
وأدرك الغلام إذا لحق حال الرجال وإدراك البصر للشيء لحوقه له برؤيته إياه إلا أنه لا يمتنع أن تكون هذه
الآية عامة من جهة اللفظ والمراد منها الخصوص بما في هذه الآية ومن قوله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها
ناظرة وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير معناه وهو اللطيف بعباده في التدبير الخبير بمصالحهم **قوله
عز وجل** قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم
بحفيظ ٥ معناه قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر جمع بصيرة وهي الحجة البينة التي توجب
الإبصار للنفس وقوله عز وجل فمن أبصر فلنفسه معناه فلنفسه نفعه ومن عمي عن الحق والقرآن فعلى نفسه
ضرر ذلك وما أنا عليكم بحفيظ برقيب أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها فإن الله عز وجل يجازيكم على
أعمالكم ويقال معناه لست عليكم بحفيظ فأحول بينكم وبين إضراركم بأنفسكم **قوله عز وجل**
وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ٥ معناه مثل ما صرفنا
الآيات وبيناها فيما تلي عليك نصرف الآيات ونبينها في المستقبل كيلا يقولوا تخلقه من تلقاء
نفسك وليقولوا درست أي ولئلا يقولوا درست كما في قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا وكقوله
تعالى أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير معناه لئلا تقولوا ويكون معنى قوله وليقولوا درست ولئلا
يقولوا قرأت كتب أهل الكتاب أي تعلمت من جبر ويسار وكانا غلامين بمكة عبرانيين فقال
أهل مكة إنما تعلم منهما ومن قرأ دارست فمعناه ذاكرت أهل الكتاب ويقرأ درست أي هذه
الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست أي مضت وامحت وذكر الأخفش درست بضم الراء
ومعناها درست إلا أن ضم الراء أشد مبالغة ويقرأ درست بضم الدال وكسر الراء أي قرئت وذهب
بعض المفسرين إلى أن معنى اللام في قوله وليقولوا درست بمعنى العاقبة وأهل اللغة يسمون هذه
اللام لام الصيرورة والمعنى نصرف الآيات ليصير أمرهم إلى أن يقولوا وهذا كقوله تعالى فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه وهم يطلبون أن يعاديهم ولكن كانت عاقبة الأمر إلى

معناه أن
لا تضلوا

أن صار

أن صار لهم عدوا وحزنا ويقول الرجل لغيره ما كتبت هذا الكتاب إلا لتحقك وهو لم يكن كتبه
لتحقه ولكن لما أدى إلى حقه قال ما كتبت هذا الكتاب إلا لتحقك وقوله ولنبينه لقوم يعلمون
ظاهر المراد **قوله عز وجل** اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن
المشركين معناه اعمل بما أنزل إليك في القرآن من حلاله وحرامه وهذا حين دعي إلى ملة
آبائه وقوله لا إله إلا هو يجوز أن يكون معناه لا إله إلا هو أنزله وقوله تعالى وأعرض عن المشركين
قيل معناه اتركهم في ضلالتهم وهذا منسوخ بآية السيف وقيل معناه أعرض عنهم استخفافا لهم
قوله عز وجل ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم
بوكيل ٥ معناه لو شاء الله لوفقهم للإيمان ويقال لو شاء الله لأنزل عليهم آية تضطرهم إلى الإيمان
وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مما يضرهم وقوله تعالى وما أنت عليهم بوكيل معناه وما
أمرناك أن تلزمهم الإيمان شاؤوا أو أبوا فإنك لا يمكنك أن تفعل ذلك بهم وإنما الله تعالى هو الذي
يقدر على فعل هذا ولكنه لم يفعل ذلك لأنه يبطل التكليف وإنما جمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معناهما
فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل بالشيء هو الذي يجلب الخير إليه وبالله التوفيق ٥
قوله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك
زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ٥ قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما وذلك حين قال الله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون
لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم لئن لم تنته عن
سب آلهتنا وعيبها لنهجون إلهك الذي تعبده فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناها ولا تسبوا معبودي
الذين يعبدونهم من دون الله فيسبوا الله اعتداء وظلما وقوله عدوا نصب على المصدر أي يعدون عدوا
ويقال نصب على إرادة اللام أي يسبون للعدو وقوله تعالى بغير علم أي بجهلهم يحملهم الغيظ على أن يسبوا
معبودكم وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا أراد أن يأمر غيره بالمعروف وهو يعلم أن المأمور يقع
بذلك في شر مما هو فيه من شتم أو ضرب وقتل كان الأولى أن لا يأمره ويتركه على ما هو فيه
وقد قرأ بعضهم عدوا بغير علم ومعناه أعداء نصب على الحال وأما قوله تعالى كذلك زينا لكل أمة
عملهم قال الحسن رضي الله عنه معناه كما أمرناكم بحسن الدعاء إلى الله تعالى وتزيين الحق في قلوب الناس
بالحجة كذلك زينا للأمم المتقدمين أعمالهم التي أمرناهم بها وندبناهم إليها ويقال معناه كما زينا
لك دينك وعملك كذلك زينا لكل أمة عملهم الذي يعملونه بتبيل الطباع إليه مجازاة لهم على فعلهم
كما قال الله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وكما قال أفمن زين له سوء عمله وقال بعضهم معنى الآية زينا
لكل أهل دين ما ينبغي أن يعملوا إلا أن منهم من لم يتبعه لجهله واعتدائه وهذا كما يقال للمخلف اعمل
عملك وليس هذا عملك وهو كقوله تعالى إن الدين فارقوا دينهم فجعل الإسلام دينهم وإن كانوا تاركين
وقوله تعالى ثم إلى ربهم مرجعهم معناه إليه مصيرهم ومنقلبهم فيخبرهم بما كانوا يعملون في دار الدنيا
قوله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات
عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ٥ معناه حلفوا بالله وقوله جهد أيمانهم أي اجتهدوا
في المبالغة في اليمين ويقال كانوا يحلفون بالله ويغيرون بالأصنام والأوثان وكانوا إذا حلفوا بالله سموه
جهد اليمين وقوله لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها معناه لئن جاءتهم علامة لنبوتك ليقرن وليصدقن بها وعنوا بالآيات
الآيات التي يقترحونها عليه قل لهم يا محمد صلى الله عليه إن مجيء الآيات من عند الله إن شاء أنزلها وإن شاء لم ينزلها
وإنما ينزل على حسب المصلحة وبقدر ما تقوم به الحجة وقوله تعالى وما يشعركم خطاب للمؤمنين أي ما يدريكم
أيها المؤمنون أنها إذا جاءت لا يؤمنون لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة ومن قرأ أنها بالنصب فمعناه في

مذهب الخليل وسيبويه لعلها اذا جاءت وهذا كما تقول لغيرك ائت معي الى السوق انك تشتري كذا معناه لعلك تشتري كذا ومن قرأ انها بالكسر فهو على الاستئناف وخبره لا يؤمنون وقرأ بعضهم لا تؤمنون بالمخاطبة معناه وما يشعركم يا اهل مكة انها اذا جاءت لا تؤمنون **قوله عز وجل** ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون قال بعضهم معناه نترك افئدتهم وابصارهم منقلبة كما هي في الحيرة التي بهم والغفلة التي فيهم فلا يوفقهم مجازاة لهم فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة اي من الآيات وقال بعضهم معنى نقلب افئدتهم وابصارهم على جمر جهنم وناره والكاف في قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة للمجازاة اي جزاء على ترك الايمان وعقوبة عليه وهذا كما تقول للذي تترك الشكر لنعمتك احرمك الاحسان كما لم تشكر اول مرة وقوله تعالى ونذرهم معناه نتركهم في ضلالتهم وعماهم يتحيرون ويترددون يقال عمه الرجل يعمه اذا تردد وتزداد الاعمى المتحير في طريقه فان قيل على هذا التأويل الآخر فكيف يجوز ان يكون بعض الآية في بيان حكم الآخرة وبعضها في بيان حكم الدنيا قيل مثل هذا جائز كقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة واراد به في الآخرة ثم قال عاملة ناصبة واراد به في الدنيا ثم قال تصلى نارا حامية واراد به في الآخرة **قوله عز وجل** ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في رهط من اهل مكة من المستهزئين وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث وغيرهم قالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملائكة يشهدون انك رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله تعالى بعثك وائتنا بالله والملائكة قبيلا اي كفيلا على ما تقول انه الحق فانزل الله تعالى هذه الآية قال وجواب المؤمنين حين قالوا لعلهم يؤمنون اذا جاءتهم الآيات ومعنى الآية والله اعلم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة معا للشهادة على نبوتك كما سألوك وكلمهم الموتى انك رسول الله صلى الله عليه وسلم وان القرآن كلامه وجمعنا عندهم كل شيء من الطيور والوحوش والسباع وسائر الدواب كفلاء يكفلون بصحة ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ليؤمنوا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله معناه الا ان يوفقهم الله للايمان ويقال معناه الا ان يضطرهم الى الايمان ولكن اكثرهم يجهلون ان الله تعالى قادر على ذلك ويجوز ان يكون معنى قبلا مقابلة لهم وفي مواجهتهم من المقابلة ويقال معناه جماعة جماعة على معنى ان القبل جمع القبيل والقبيل جمع قبيلة كسفينة وسفن وسفين ومن قرأ قبلا بتسكين الباء فهو كما يقال صحف وصحف وكتب وكتب ومن قرأ قبلا بكسر القاف فمعناه عيانا اي لو نطقتهم الارض والسماء والطير والوحوش والسباع ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله وان ما اتاكم به حق وقالوا لهم ذلك معاينة ومشافهة ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله **قوله عز وجل** وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون معناه كما جعلنا لك ولامتك اعداء مثل ابي جهل واصحابه كذلك جعلنا لمن تقدمك من الانبيا صلوات الله عليهم ولاممهم اعداء واختلفوا في معنى هذا الجعل قال بعضهم امرنا هؤلاء الانبيا صلوات الله عليهم بمعاداتهم وبيناهم عداوة اوليائهم وهو مثل ان يقول القائل قد جعلت لكل طائفة من جندي اعداء يعادونهم وجعلت لكل واحد من جندي قرنا يقاتله وقال بعضهم اراد بهذا الجعل التخلية بينهم وبين عداوتهم وقوله شياطين نصب على البدل من العدو ومفسر له ويجوز ان يكون عدوا منصوبا على انه مفعول

ان قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية وذلك ان ابليس لعنه الله قسم جنده فريقين وبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا الى الجن فشياطين الانس وشياطين الجن يلتقي بعضهم بعضا ويقول بعضهم لبعض اضللت صاحبي بكذا وكذا اتيته من قبل الشهوات واللذات من المراكب واللباس والطعام والشراب فان اعياني من وجه اتيته من وجه آخر فاضل صاحبك بمثله فذلك قوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض اي يلقي بعضهم الى بعض بالسرعة ويملي بعضهم على بعض زخرف القول وهو القول المموه الذي يكون فيه تزيين الاعمال القبيحة وقوله عز وجل غرورا نصب على المصدر كأنه قال يغرون به غرورا وذهب بعض المفسرين الى ان الشياطين اسم لكل عات متمرد من الجن ومن الانس شياطين كما ورد في الخبر عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه انه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فامرني ان اصلي ركعتين فصليت فجلست اليه فقال لي يا ابا ذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم او من الانس شياطين فقال صلى الله عليه وسلم اوما تقرأ قوله شياطين الانس والجن واما قوله تعالى ولو شاء ربك ما فعلوه فمعناه لو شاء ربك ان يمنع الشياطين من الوسوسة ما فعلوه ولكن يمتحن عباده بما يعلم انه ابلغ في الحكمة واجزل في الثواب وقوله تعالى فذرهم وما يفترون معناه اتركهم وافتراءهم وكلهم على استحقاقهم فاني انا القادر عليهم **قوله عز وجل** ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون اول هذه الآية عطف على قوله غرورا اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول للغرور ولتميل اليه افئدة الذين لا يقرون ولا يصدقون بالبعث بعد الموت ولكي يرضوا القول المزخرف وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام وهو ما قضي عليهم في اللوح المحفوظ يقال اقترف فلان دينا اذا عمل دينا وقيل معنى وليقترفوا اي ليختلقوا وليكذبوا ومن قرأ وليرضوه وليقترفوا بجزم اللام على لفظ الامر فمعناه التهديد كما في قوله تعالى اعملوا ما شئتم ونحو ذلك من الآي **قوله عز وجل** افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان نفرا من اهل مكة قالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من اليهود والنصارى فانهم قرأوا الكتب قبلك فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم افغير الله اطلب ربا ومعبودا يساوي حكمه حكم الله تعالى فاجعله حكما وهو الذي انزل اليكم القرآن مبينا امره ونهيه بلغة تعرفونها انزل متفرقا سورة سورة وآية آية وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب معناه الذين اكرمناهم بعلم التوراة وهم عبد الله بن سلام واصحابه يعلمون ان القرآن منزل من ربك لما تقدم لهم من البشارة في كتبهم ان الله تعالى يبعث في آخر الزمان نبيا من ولد اسمعيل عليه السلام وينزل عليه القرآن وقوله تعالى بالحق اي لما اقام لهم من البراهين على ذلك وقوله تعالى فلا تكونن من الممترين معناه لا تكونن يا محمد صلى الله عليه وسلم من الشاكين في انهم يعلمون ذلك ويقال هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وكانه قال لا تكونن ايها الجاهل بامر محمد صلى الله عليه وسلم من الشاكين في امره **قوله عز وجل** وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم معناه تمت الزام الحجة على وجه الحكمة لا نقصان في ذلك تقول العرب للقصيدة من الشعر هذه كلمة فلان وقوله تعالى صدقا معناه ان يخبر على ما اخبر به فيما وعد واوعد وعدلا اي احكامه كلها عدل لا مبدل لكلماته اي لا مغير لحكمه ودينه فان اليهود والنصارى

وان غيروا التورية والانجيل لم يمكنهم ان ياتوا بحكم حتى يقوم مقام حكمه ويقال معنى لا مبدل لكلماته نقضه بعض القران بعضا وجاء في الخبر ان كلمة العدل والصدق قول لا اله الا الله ويقال معنى الاية وجب قول ربك بانه ناصر محمدا صلى الله عليه وسلم وان عاقبة الامر له صدقا وعدلا لا مغير لقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقوله تعالى وهو السميع العليم ظاهر المراد **قوله عز وجل** وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان اهل مكة كانوا يستحلون اكل الميتة ويدعون المسلمين الى اكلها وكانوا يقولون ان ما ذبح الله تعالى فهو احل مما ذبحتم انتم بسكاكينكم فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها ان تطع يا محمد صلى الله عليه وسلم اكثر من في الارض يصرفوك عن دين الله وحكمه وانما قال اكثر من في الارض لان اكثر اهل الارض كفار ضلال وقوله تعالى ان يتبعون الا الظن معناه ان اكثرهم يتبعون اكابرهم بالشك يتبعونهم فيما لا يعلمون انه على الحق وانما يعذبون على هذا الظن لانهم اقتصروا على الظن والجهل واتبعوا اهواهم ولم يتفكروا في طلب الحق وقوله تعالى وان هم الا يخرصون معناه ما هم الا كاذبون في قولهم ما قتل الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم بسكاكينكم **قوله عز وجل** ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين معناه ان ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم هو اعلم من يضل عن سبيله عن دين الاسلام وشرايعه وهو اعلم بالمهتدين لمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام ويقال ان قوله من يضل رفع بالابتدا ولفظه لفظ الاستفهام المعنى ان ربك هو اعلم اي الناس اضل وانما قال اعلم لان الله تعالى يعلم الشي من كل جهاته وغيره يعلم الشي من بعض جهاته **قوله عز وجل** فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مومنين ه عطف على ما دل عليه الكلام الذي قبله كانه قال كونوا على الهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وقوله تعالى ان كنتم باياته مومنين للترغيب في اعتقاد صحة اباحته في اكله للاستعانة بذلك على طاعة الله تعالى فاما اكله للتلذذ به فمباح ويقال ان المراد بالاية قصر النفس على ذبايح دون الميتة وغيرها **قوله عز وجل** وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوايهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين معناه اي شي لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وموضع ان نصب لان في سقطت فوصل المعنى الى ان فنصبها ويجوز ان يكون موضعه خفضا على اضمار في وقوله وقد فصل لكم معناه قد بين لكم ما حرم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير على ما تقدم ذكره في سورة المايدة وقوله تعالى الا ما اضطررتم اليه معناه الا ما دعتكم الضرورة الى اكله فقد رخص لكم حينيذ وقوله تعالى وان كثيرا يعني الكفار لياكلون الميتة والذبايح التي لم يذكر اسم الله عليها عمدا والتي يذبحونها لالهتهم بلا علم عندهم ولا بصيرة يتبعون الهوى والشهوة في ذلك ومن قرا ليضلون بضم اليا معناه انهم يصرفون الناس عن الهدى بالدعا الى اكل الميتة على وجه الحلال والخداع وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بالمعتدين معناه انه اعلم بعقوبة المتجاوزين عن الحلال الى الحرام وليس من الغرض التوبيخ على ترك الحلال لان المباح الذي يرخص له المكلف لا يقال له ما لك لا تفعل وانما الغرض من الاية التوبيخ على العدول من الحلال الى الحرام وترك التمييز بين الحلال والحرام وهذا كقوله تعالى اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم ليس هو ذم على ترك النكاح ولكنه ذم على ترك التمييز بين ما احله الله وبين ما حرمه

قوله عز وجل

قوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ه معناه لا تقربوا ما حرم الله عليكم جهرا ولا سرا ويقال اراد بظاهر الاثم الزنا الظاهر وباطنه الزنا السر فان العرب كانوا يرون الزنا ظاهرا معصية ولا يرون الزنا في الخفية معصية وقوله تعالى ان الذين يكسبون الاثم معناه ان الذين يعملون المعصية ظاهرا وباطنا سيجزون اي سيعاقبون في الاخرة بما كانوا يكسبون في الدنيا من المعاصي والفواحش **قوله عز وجل** ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون ه ظاهر اول الاية يقتضي تحريم كل شي لم يذكر اسم الله تعالى عليه ميتة كان او مذبوحا واي طعام من الاطعمة الا ان الناس تاولوا الاية على الذبايح لما روي عن المفسرين في ذلك وقيل ان قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه اخص بالذبايح التي لا يسمى الله عز وجل عليها لان الميتة لا ياتي عليها التسمية ولا تؤثر التسمية في اباحتها وكذلك ما ذبح لغير الله تعالى لا تاثير فيه لتسمية الله تعالى وقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه يقتضي تحريمها متعلقا بترك التسمية وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه اتى على قصاب يذبح شاة فنسي ان يذكر اسم الله تعالى عليها فامر ابن عمر رضي الله عنه غلامه ان يقوم عنده فاذا جا انسان يشتري منه قال ان ابن عمر رضي الله عنه يقول انه لم يذكها فلا تشتروا قال ابن سيرين اذا ترك التسمية ناسيا لم توكل الا ان اكثر اهل العلم على ان نسيان التسمية لا يوجب التحريم هكذا روي عن علي وعبد الله بن عباس ومجاهد وعطا بن ابي رباح وسعيد بن المسيب رضي الله عنهم اجمعين انهم قالوا اذا ترك التسمية ناسيا فلا باس باكلها وهذه الاخبار تستحسن اصحابنا رحمهم الله في نسيان التسمية انه لا يوجب التحريم على معنى ان خطاب الاية يتناول العامد اذ الناسي في حال نسيانه لا يكون مكلفا بتسمية واما قوله تعالى وانه لفسق فمعناه ان اكله لفسق ويقال اراد به ترك التسمية ولا يمتنع ان يكون راجعا الى الامرين وقيل ان الفسق اسم لما يذبح على غير اسم الله تعالى لانه فسق بتحين ذبح على غير وجه الحق وهو كقوله او فسقا اهل لغير الله به اي ذبح على اسم غير الله جل ذكره فان قال قايل لو كان المراد بالاية ترك المسلم التسمية لوجب ان يكون كل من استباح اكله فاسقا فلما اتفق الجميع ان المسلم التارك للتسمية عامدا غير مستحق لتسمية الفسق دل ان المراد بالاية الميتة او ذبايح المشركين قيل ظاهر قوله تعالى وانه لفسق عايد على الجميع من المسلمين وغيرهم وهكذا نقول فيمن عقد استحباب التسمية ثم تركها والى هذا اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم حيث قال له اذا ارسلت كلبك المعلم وسميت الله تعالى فكل وان شاركه كلب اخر فلا تاكل فانك انما سميت على كلبك ولم تسم على كلب غيرك الا ان الدلالة قد قامت على ان من تاول هذه الاية واعتقد انها في الميتة وذبايح اهل الشرك لم يكن فاسقا بخروجه عن حكم الاية بالتاويل واما قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه ان الشياطين يوسوسون الى اوليايهم من الانس وهم ابو الاحوص الجشمي وبديل بن ورقا الخزاعي وغيرهما من اهل مكة كانوا يخاصمون النبي صلى الله عليه وسلم في اكل الميتة واستحلالها على ما تقدم ذكره والوحي القا المعنى الى النفس في الخفية ه فان قيل قوله وان الشياطين يدل على ان المراد بالاية الميتة وان المراد بالذكر في اول الاية الذكر بالقلب لانه لا يحل الا ذبيحة من يذكر الله عز وجل بقلبه ولا يتقرب بالذبيحة الى غير الله وهم المومنون واهل الكتاب قيل خصوص اخر الاية لا يمنع عموم اولها وقد بينا ان اشتراط التسمية يمنع ان يدخل تحت الاية ما لا تاثير للتسمية فيه اصلا وهو الميتة وما اهل به لغير الله فاحتمل ان يكون قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ابتدا كلام واما قوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون معناه ان اطعتموهم في اكل الميتة واستحلالها من غير اضطرار انكم لمشركون مثلهم وفي هذا بيان ان من احل شيا مما حرم الله تعالى او حرم شيا مما احل الله تعالى فهو مشرك وانما سمي

مشركا لانه اتبع غير الله فاشرك بالله غيره **قوله عز وجل** أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان الاية نزلت فى عمار بن ياسر وابى جهل بن هشام ويقال ان المراد بالاية النبى صلى الله عليه وسلم وابو جهل ومعنى الاية اومن كان كافرا فهديناه بالمعرفة والاسلام وجعلنا له نورا وهو نور الايمان والقران والحكمة يمشى بذلك النور فيما بين الناس كمن مثل من هو فى الضلالة وظلمات الكفر ليس بخارج منها ابدا بين الله تعالى بهذه الاية ان ابا جهل ليس بخارج من الضلالة ابدا والواو فى اول هذه الاية واو عطف دخل عليها الف الاستفهام على معنى هل يستوى هذان بل لا يستويان وقوله تعالى كمن مثله زيادة فى الكلام ويراد به كاف التشبيه كما قال الله تعالى ليس كمثله شىء اى ليس كهو شىء ويقال معنى قوله كمن مثله مثل من فى الظلمات وقيل انما قال جل ذكره كمن مثله ليدل قوله تعالى مثله على انه ممن يضرب به المثل فى كونه فى الظلمات وانما يضرب المثل من بلغ الغاية فى الشىء واما قوله كذلك زين للكافرين فمعناه كما زين لابى جهل عمله الذى كان يعمل كذلك زين للكافرين اعمالهم التى يعملونها مجازاة لهم على كفرهم وقال الحسن رضى الله عنه ما زينها لهم الا الشيطان وذهب بعض المفسرين الى ان معنى هذه الاية ان من كان فى الحقيقة نطفة مواتا ثم احياه الله تعالى ثم جعل له نورا بالعقل والحجج حتى صار يشعل نوره فى منافع دينه ودنياه ليس كمن هو فى الظلمات لا يخرج منها ابدا **قوله عز وجل** وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ معناه والله اعلم كما جعلنا فى كل قرية ذا نور يمشى فى الناس بنوره كذلك جعلنا فى كل قرية رؤساها واغنياها وعظماء اهلها مجرميها ويقال معناه جعلنا فى اهل مكة عظماءهم مجرميها كذلك جعلنا فى كل قرية وقوله تعالى ليمكروا فيها معناه ليصير امرهم الى ان يمكروا بالتكبر وتكذيب الرسل وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون معناه ان ذلك المكر يحيق بهم لانهم بمكرهم يكذبون وقوله وما يشعرون اى وما يعلمون ان وبال مكرهم يرجع اليهم **قوله عز وجل** وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ۝ معناه واذا جاءت الاكابر الذين سبق ذكرهم ويقال اذا جاءت كفار مكة اية اى دلالة واضحة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لن نصدق حتى نعطى من الايات مثل ما اعطى رسل الله من المعجزات والدلايل بقول الله جل ذكره الله اعلم حيث يجعل رسالته اى هو اعلم الى من يرسل ومن يختص بالرسالة ومن هو اهل لها وهذا جواب تمنيهم ان يكونوا رسلا حيث انفوا ان يكونوا اتباعا للرسل بعد قيام حجة النبى صلى الله عليه وسلم عليهم بين الله تعالى انه انما يجعل الرسالة عند من يقوم باداها ولا يجعلها عند من يضيع ولا يصبر على المكاره ونظير هذه الاية قوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقيل انما لم يجعل الله تعالى الرسل من الرؤساء والاغنياء لان الناس يتبعونهم وان لم ياتوا بالحجج فيقول من بعدهم انما اتبعوا لانهم كانوا اكابر ورؤساء وقوله تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله معناه سيصيب الذين اكتسبوا الجرم مذلة وهوان ثابت لهم عند الله ويقال معنى قوله عند الله اى من عند الله قال الزجاج لا يجوز ان يكون من محذوفة من عند انما تحذف منها فى لانك اذا قلت زيد عند عمرو واردت به فى حضرة عمرو جاز واما قوله تعالى وعذاب شديد فمعناه سيصيبهم عذاب شديد بكفرهم وتكذيبهم الرسل قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه ثم يرجع الى ذكر عمار رضى الله عنه وابى جهل فقال جل ذكره فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ معنى الاية على ما روى عن عبد الله

من عباس

بن عباس رضى الله عنهما فمن يرد الله ان يوفقه للاسلام يوسع قلبه ويلينه لقبول الاسلام ومن يرد ان يخذله ويتركه فى ضلالة الكفر يجعل صدره ضيقا حرجا قال والحرج موضع الشجر الملتف يعنى ان قلب الكافر لا تصل اليه الحكمة كما لا تصل الراعية الى الموضع الذى يلتف فيه الشجر وقال اهل اللغة الحرج اضيق الضيق وعن مجاهد رضى الله عنه انه قال الحرج الشك وفى قوله حرجا قراءتان من قرا حرجا بكسر الراء فهو بمنزلة فوله فى ذلك دنف بكسر النون ومن قرا حرجا بفتح الراء فهو بمنزلة قولهم رجل دنف اى ذو دنف لان حرجا ودنفا ليسا من اسماء الفاعلين انما ذلك بمنزلة قولك رجل عدل اى ذو عدل وفى قوله كانما يصعد فى السماء ثلث قراءات احداهما كانما يصعد بتسكين الصاد المعنى لا يجد مخرجا يمينا ولا شمالا فكانه من ضيق يصعد الى السماء ولا يستطيعه والقراءة الثانية يصعد بتشديد الصاد اى تصعد ادغمت التاء فى الصاد والقراءة الثالثة يصاعد على معنى يتصاعد اى كانه من ضيق صدره يكلف الصعود الى السماء بغير آلة واما قوله تعالى كذلك يجعل الله الرجس فمعناه مثل ما قصصنا عليك يجعل الله اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الاخرة على الذين لا يصدقونك ولا يرغبون فى التوحيد روى انه لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يشرح الله صدره للاسلام قال اذا دخل النور فى القلب انشرح واستوسع قالوا وما علامة ذلك قال التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت ۝ وقد اختلف اهل التاويل فيما ذكره عبد الله بن عباس فى هذه الاية ذهب بعضهم الى ان معناه من يرد الله ان يهديه الى الايمان يشرح صدره له ومن يرد ان يضله عن الايمان يجعل صدره ضيقا بالايمان الا ان طالب الحق يجد هذا التاويل يرجع الى قول اهل الجبر وذهب بعضهم الى ان المراد بالاول ان الذى يكون طالبا للحق يريد الله ان يسهل عليه طريق الحق والوصول الى الايمان فيشرح صدره للاسلام لاقامة الدلالات كما قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والمراد بالثانى ان الذى يكون طالبا للباطل يصعب عليه طريق الوصول الى الايمان فيجعل الله صدره ضيقا حرجا باقامة الدلالات على خلاف ما يطلبه وذهب بعض المفسرين فى معنى قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه معناه من يرد ان يهديه الى الثواب ونيل الكرامة يشرح صدره للاسلام فى الدنيا بالدلالات ويجعل شرح صدره فى الدنيا جزاء من ثوابه فيعجله له فى الدنيا ومن يرد ان يضله عن ثوابه ونيل كرامته فى الاخرة يجعل صدره ضيقا حرجا فى الدنيا عقوبة له على كفره من دون ان يكون ذلك حائلا بينه وبين الايمان بل ربما يكون ذلك داعيا الى الاقلاع عن الكفر فان من ضاق صدره بالشىء كان ذلك داعيا له الى الاقلاع عنه قال والدليل على ان الهدى يذكر بمعنى الهداية الى الثواب قوله تعالى والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومعلوم ان الهداية بعد القتل لا تكون الا الى الثواب فانه لا تكليف على احد بعد الموت والدليل على ان شرح الصدر فى الدنيا يكون ثوابا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ومعلوم ان وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثوابا على تحمل اعباء الرسالة وكذلك شرح الصدر الذى هو مقرون بوضع الوزر قال والدليل على صحة هذا التاويل قوله عز وجل فى سياق هذه الاية كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون والرجس العقوبة فبين تعالى بهذا ان الاضلال المذكور فى اول هذه الاية كان عقوبة على الكفر قال وليس لاحد ان يقول انا نرى اكثر الكفار طيبة القلوب على الكفر وكيف يصح هذا التاويل وذلك ان فى الاية اخبارا انه جل ذكره يجعل صدر الكافر ضيقا وليس فى الاية انه متى يفعل فنحن نقول انه لا بد من ان يفعل فاما فى وقت يفعل فانه يفعله فى الوقت الذى يعلم ان فعله فيه اصلح **قوله عز وجل** وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ قيل ان قوله تعالى هذا اشارة الى الاسلام وقد قيل هو اشارة الى بيان القران وسمى ذلك مستقيما لانه يستقيم من يسلكه فلا يعوج به حتى يورده الى الجنة

وقوله عز وجل قد فصّلنا الايات معناه اتينا باية على اثر اية مفصّلة مبينة لعلهم يتّعظون بايات الله ويتفكرون في دلالات القران فلم يبق لاحد عذر في التخلف عن الايمان بعد هذا البيان **قوله عز وجل** لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الله السلام وداره الجنة كانه قيل لهم جنة الله وقال الفراء والزجاج معناه لهم دار السلامة الدائمة من كل افة وبلية ويقال دار السلام هي التي يسلم اهلها بعضهم على بعض وقوله تعالى عند ربهم معناه في الاخرة وقيل معناه مضمون عند ربهم يعطيهم كقولك لفلان عندي حق اي مضمون عندي اعطيه وقوله تعالى وهو وليهم اي هو ربهم الذي يتولى امرهم بنصرهم في الدنيا واكرامهم في الاخرة بما كانوا يعملون من الطاعة **قوله عز وجل** ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم معناه ويوم نحشر الخلائق كلهم للحساب والجزاء نقول يا معشر الجن قد استكثرتم ممن اضللتموه اي اضللتم كثيرا من الانس وكثر متبوعكم منهم وقال قرناء الجن من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اما استمتاع الانس بالجن ما روي عن الحسن وابن جريج ان العرب كانوا اذا سافروا ونزلوا واديا خافوا على انفسهم وقالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيتون في جوار منهم وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن واما استمتاع الجن بالانس فكان عظماء الجن يقولون قد سدنا الانس مع الجن حتى ان الانس يعوذون بنا ويزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وقوله تعالى وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا معناه ادركنا ميقاتنا الذي وقت لنا قيل ان المراد به وقت البعث وقيل المراد به الاجل الذي هو وقت الموت وفي هذا دليل انه لا يكون للمقتول اجلان بخلاف ما يقول بعض القوم ان المقتول لو لم يقتل لكان يعيش لا محالة لانه قد في هولاء مقتولون وقد اخبر واكلهم انهم بلغوا اجلهم الذي اجله الله لهم وقوله تعالى قال النار مثواكم معناه قال الله تعالى النار مقركم ومنزلكم فانكم قد اقررتم على انفسكم باستحقاق العذاب ولزمتكم الحجة عليكم وقوله تعالى خالدين فيها الا ما شاء الله قال عبد الله بن عباس فكان ما شاء الله تعالى ابدا بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال بعضهم اراد بقوله تعالى الا ما شاء الله ما بين البعث من القبر الى وقت الفراغ من الحساب فانه لا يكون عليهم عذاب في ذلك الوقت وقيل اراد به الا ما شاء الله ان يعذبهم من صنوف العذاب كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك وقوله تعالى ان ربك حكيم عليم معناه انه حكيم في عقابهم عليم بقدر ما استحقوا من العقوبة **قوله عز وجل** وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ه قال بعضهم معنى الاية مثل ما قصصنا من تسليط الجن على الانس نسلط بعض المجرمين على بعض باعمالهم التي يعملونها في الدنيا من الشر ثم ننتقم منهما جميعا في الاخرة بالنار وقال بعضهم معنى الاية كما انزلنا بالجن والانس الذين تقدم ذكرهم العذاب الدائم الذي لا يخفف عنهم كذلك نكل بعض الظالمين الى بعض على هذا الخزي فلا يجدون غياثا ولا ملجأ من حيث عصوا ربهم ويقال معنى نولي نجعل بعضهم اولياء بعض ويقال معناه كذلك نتابع بين الظالمين بادخالهم النار من التوالي قال عبد الله بن عباس اذا رضي الله تعالى عن قوم ولّى امرهم خيارهم واذا سخط على قوم ولى امرهم شرارهم وقال الفضيل بن عياض اذا رايت الظالم ينتقم من ظالم فقف وانظر متعجبا **قوله عز وجل** يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ه في الاية بيان ان الله تعالى بين لهم في الاخرة انه ازاح عللهم في

الاجل

الاجل ليعلموا انهم انما اتوا من قبل انفسهم وانهم لا عذر لهم فيما جنوا على انفسهم ومعنى الاية يقول لهم يوم القيمة يا معشر الجن والانس لماذا فعلتم ما فعلتم الم ياتكم رسل منكم يقرؤن عليكم القران ويخوفونكم لقاء يومكم هذا وهو يوم القيمة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كانت الرسل تبعث الى الانس وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس قال وهو كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح منهما دون العذب وكذلك الرسل من الانس وقيل لا يشعر انه تقدم ذكر الفريقين ان يكون منكم يرجع الى اخرهما لان ظاهر قوله تعالى منكم يقتضي من بعضكم وقال بعضهم رسل الجن هم التسعة الذين سمعوا القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى الى اخر الاية واما قوله تعالى قالوا شهدنا على انفسنا معناه انهم لا يجدون حجة الا الاعتراف بذنوبهم يقولون اقررنا على انفسنا انهم بلغوا الرسالة وكفرنا بهم يقول الله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا اي غرتهم بزهرتها ونعيمها وشهدوا على انفسهم اي اقروا في الاخرة انهم كانوا كافرين في الدنيا **قوله عز وجل** ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ه معناه ذلك الامر ويقال اراد به ذلك الاشارة الى ارسال الرسل وقوله تعالى ان لم يكن ربك معناه فعلنا ذلك لاجل انه لم يكن ربك معذب اهل القرى بشركهم وذنوبهم واهلها غافلون عن الامر والنهي وتبليغ الرسل اي لم نهلكهم بذنوبهم قبل ان ياتيهم رسول يبين لهم وينهاهم عما هم عليه من المعصية فان رجعوا والا عذبهم الله تعالى ويقال معنى قوله تعالى بظلم اي لا يهلكهم بظلم منه عليهم ولا يعذبهم وهم غافلون عما كلفوا من غير اقامة الحجة لما فيه من القبح ومن غير بينة لهم من الرسل ومن غير خطر يوردها عليهم في قلوبهم **قوله عز وجل** ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ه معناه ولكل عامل من الفريقين مراتب في عمله لاهل الخير درجات في الجنة بعضها فوق بعض ولاهل الشر دركات في النار بعضها اشد عذابا من بعض وقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون اي لا يجري عليه السهو عن طاعة المطيعين ومعصية العاصين فيجزي كل عامل ما عمل **قوله عز وجل** وربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم اخرين ه وذلك ان الله تعالى لما بين بقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون انه يجازي كل عامل بقدر عمله من ثواب او عقاب وانه لا يجور وانه لا ظلم في ما يقضي به على عباده اتبع ذلك بما يجري مجرى العلة التي عندها لا بد ان يكون كذلك فقال وربك الغني ذو الرحمة اي هو الغني عن ايمان العباد وعن طاعتهم والغني هو الذي لا يحتاج الى شيء فيكون وجود كل شيء وعدمه عنده سواء وقوله تعالى ذو الرحمة بيان انه تعالى مع كونه غنيا عن شكر العباد وطاعتهم ذو انعام عليهم واذا اجتمع في صفته انه غني عنهم فلا بد ان يكون فاعلا لما يستحقه العبد على قدر رحمته واستحقاقه وقوله تعالى ان يشا يذهبكم معناه ان يشا يهلككم يا اهل مكة ويخلق من بعد اهلاككم خلقا اخر خيرا واطوع لله منكم كما انشاكم اي مثل ما ابتدا خلقكم قرنا بعد قرن من اولاد قوم هالكين **قوله عز وجل** ان ما توعدون لات وما انتم بمعجزين ه معناه ان الذي تخافون من البعث والعذاب لكائن لا خلف فيه وما انتم بفائتين ان ندرككم اي لستم تقدرون ان تعجزوا الله عن ادراككم **قوله عز وجل** قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون ه معناه قل لهم يا محمد اثبتوا على حالكم وعلى عملكم القبيح الذي انتم عليه وعلى منازلكم اني عامل في امري على منزلتي وهذا على سبيل الوعيد والتهديد وقوله تعالى فسوف تعلمون دليل على ذلك ومعناه سوف يبين لكم اينا تكون له العاقبة المحمودة في الدنيا والاخرة وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون

معناه انه لا يظفر الظالمون بمرادهم ومن قرأ مكاناتكم فعلى لفظ الجماعة ومن قرأ يكون بالياء فلان تأنيث
العاقبة ليس بحقيقي **قوله عز وجل** وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله
فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون ۝ روي عن عبد الله بن عباس انه قال وذلك ان اهل
الجاهلية كانوا اذا حرثوا حرثا جعلوا لله تعالى حظا فقالوا ما دون هذا الحظ لآلهتنا سقوا عليها وعلى
سدنة البيت خدام الاصنام وما وراء الحظ لله نتصدق به على اهل الحاجة والمسكنة والسائلين
فكانوا اذا ارسلوا الماء فيما سموه لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فانحدر منه الى الذي جعلوه لآلهتهم
تركوه وقالوا هذه احوج والله تعالى غني عنه واذا انفجر الماء من الذي جعلوه لآلهتهم ردوه وقالوا ليس
لآلهتنا بد من النفقة وكانوا اذا هلك الذي لآلهتهم وكثر الذي لله اخذوا الذي لله تعالى فانفقوه
على الاصنام واذا هلك الذي لله وكثر الذي للاصنام قالوا لو شاء الله تعالى لازكى الذي له وكذلك
كانوا يفعلون في الانعام في الثمانية الازواج ونحوها فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها وجعل المشركون
من اهل مكة لله تعالى مما خلق من الزرع والانعام نصيبا اي جعلوا من ذلك نصيبا لله تعالى ونصيبا
لشركائهم فاقتصر على ذكر احد النصيبين في ابتداء الآية لان في الكلام دليلا على الآخر ومعنى الذرء
اظهار الخلق بالاختراع وقد يسمى ما ينمى الزرع حرثا كما قال الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا
حرثكم انى شئتم فعلى هذا يجوز ان يكون معنى الحرث الارض التي تزرع وقوله تعالى هذا لله اي قالوا
هذا النصيب لله تعالى بقولهم لم يأمرهم الله تعالى بذلك اي هذا النصيب الآخر لآلهتنا ومن قرأ بزعمهم
بضم الزاي ففيه لغة اخرى بكسر الزاي كما يقال وَدّ ووُدّ ووِدّ وسَقط وسُقط وسِقط وقوله
تعالى فما كان لشركائهم معناه ما كان من نصيب آلهتهم فلا يرجع الى الذي جعلوه لله تعالى وما
كان لله فهو يرجع الى الذي جعلوه لشركائهم ساء ما يحكمون اي بئس ما يقضون يوفرون نصيب الاصنام
وينقصون نصيب الرحمن فبئس الحكم حكمهم في الاشتراك والقسمة ان قالوا ان الله تعالى غني فلم جعلوا
الاصنام شركاءه وان جعلوا الاصنام شركاءه فلم عدلوا عن التسوية في القسمة ولكنهم يضمون الى
الكفر والتكذيب للرسل ما هم عليه من الجهل الذي لا غاية بعده مع اقرارهم بالله تعالى وبانه هو
الخالق لهذه الامور وبالله التوفيق ۝ **قوله عز وجل** وكذلك زين لكثير من
المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما
فعلوه فذرهم وما يفترون ۝ في الآية بيان ان بعض احوال هؤلاء الكفار في الجهل وقبح الطريقة
مشاكل للبعض قال عبد الله بن عباس ان اهل الجاهلية كانوا يدفنون بناتهم احياء كراهية
للبنات وكان الرجل منهم يقوم فيحلف بالله تعالى لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن احدهم كما
حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله قال وكان لآلهتهم خدام يقومون عليهم هم الذين كانوا يزينون
للمشركين قتل اولادهم ومعنى الآية مثل ذلك الفعل القبيح الذي تقدم ذكره زين لكثير من المشركين
دفن بناتهم تحت التراب احياء كراهية لهن ومخافة الفقر وقوله تعالى شركاؤهم اي قرناؤهم
وشياطينهم وشركاؤهم السدنة خدام الاصنام ومن قرأ زين بضم الزاي وضم القتل على فعل ما لم يسم
فاعله كان الشركاء محمولين على المعنى على الفاعل كأنه قال زينه لهم الشركاء وهو على اضمار زينه بيانا
للمزين كما قال الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح ۝ اي ليبكه
عليه الضارع والمختبط ومن قرأ زين بضم الزاي ونصب القتل فهو ظاهر وقرأ ابن عامر زين بضم الزاي وقتل
اولادهم بضم اللام ونصب الدال وشركائهم بالكسر ومعنى ذلك على التقديم والتأخير كأنه قال زين لكثير
من المشركين قتل شركائهم اولادهم فيكون معنى الشركاء الكفار القاتلين المتقدمين منهم والباقين وقرأ بعضهم

اولادهم

اولادِهم شركائِهم كلاهما بالكسر فيكون الشركاء من نعت الاولاد لان اولادهم شركاؤهم في اموالهم
معناه زين لكثير من المشركين قتل اولادهم الذين هم شركاؤهم في اموالهم وقوله تعالى ليردوهم معناه
ليهلكوهم ويجوز ان تكون هذه اللام لام العاقبة فانه لم يكن غرضهم بذلك الامر اهلاكهم ويجوز ان
تكون لام الغرض لانه قد كان فيهم معاندون وغير معاندين فغلب صفة المعاندين على صفة غيرهم وقوله
تعالى وليلبسوا عليهم دينهم معناه وليخلطوا وليشبهوا عليهم دين ابيهم اسمعيل عليه السلم وقوله تعالى
ولو شاء الله ما فعلوه معناه ولو شاء الله لمنعهم عن دفن البنات احياء ما فعلوه وقوله تعالى فذرهم
وما يفترون معناه اتركهم وافتراءهم على الله تعالى انه جل ذكره امرهم بدفن البنات احياء فان الله تعالى
مع قدرته عليهم تركهم فاتركهم انت ان لهم موعدا يحاسبون فيه **قوله عز وجل** وقالوا
هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ۝ معناه وقالوا هذه
الانعام والحرث التي جعلوا بعضها لله تعالى عن ذلك وبعضها للاوثان حجر اي حرام من قوله تعالى
حجرا محجورا اي حراما محرما واصل الحجر المنع وكأنه منع بتحريمه وقوله تعالى لا يطعمها الا
من نشاء بزعمهم معناه لا يأكلها ولا يذوقها الا من نأذن له في اكلها وهم الرجال دون النساء
بزعمهم اي بقولهم وقوله تعالى وانعام حرمت ظهورها هي البحيرة والسائبة والحام حرموا الركوب
عليها فاما الوصيلة فانها كانت من الغنم خاصة واما قوله تعالى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
معناه وانعام اخر وكانوا يذبحونها لاصنامهم تقربا اليها زعموا ان الله تعالى امرهم بذلك ويقال
هي التي كانوا يذبحونها من دون ذكر اسم الله تعالى عليها وقال ابو وائل هي الانعام التي كانوا لا يحجون
عليها وقوله تعالى افتراء عليه نصب على معنى لا يذكرون اسم الله عليها كذبا على الله انه امرهم بذلك
وسماه سيبويه مفعولا به وقال انما انتصب على معنى يقولون هذه الافعال افتراء على الله تعالى انه امرهم
بذلك وقيل هو نصب على المصدر على تقدير افتروا على الله افتراء وقال تعالى سيجزيهم اي سيكافيهم
بكذبهم وافترائهم على الله تعالى وقد بين الله تعالى بهذه الآية ان هؤلاء الكفار عمدوا الى نعم لا
فصل بينه وبين غيره فحرموا قدرا منه لاجل خدم آلهتهم والحقوا بذلك انعاما لا يذكرون اسم
الله تعالى عليها فكذبهم على الله تعالى وتمسكهم بالهوى فيما حلل وحرم وعدولهم عن طريقة العلم والدليل
قوله عز وجل وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم ۝ معناه وقال اهل
الجاهلية ان الاجنة التي في بطون هذه الانعام التي زعموا انها للاوثان انهم اذا انفصلت عن الامهات فهي
خالصة اي حلال لرجالنا ومحرم على ازواجنا اي على نسائنا ما دامت تلك حية واما تأنيث خالصة فعلى
المعنى كأنهم قالوا جماعة ما في بطون هذه الانعام او الانعام التي في بطون هذه الانعام واما تذكير
قوله ومحرم فلانه مردود على لفظ ما ومن نصب الخالصة على القطع فتقديره ما في بطون هذه الانعام لذكورنا
خالصا وقرأ بعضهم خالصه على الاضافة الى الهاء واما قوله وان يكن ميتة فمعناه قالوا وان تكن
اجنة هذه الانعام ميتة فهم فيه شركاء الرجال والنساء ومن قرأ تكن ميتة بالتاء ورفع الميتة فعلى معنى حدث
ووقع كما في قوله تعالى وان كان ذو عسرة ومن قرأ يكن بالياء فعلى لفظ ما اي ان يكن ما في البطون وتأنيث
الميتة على المعنى واما قوله سيجزيهم وصفهم فمعناه سيجزيهم في الآخرة بوصفهم الذي وصفوا في هذه
الانعام الا انه لما حذف الباء انتصب ويجوز ان يكون قوله وصفهم منصوبا على معنى سيجزيهم جزاء وصفهم
الا انه حذف الجزاء واجرى اعرابه على وصفهم وقوله تعالى انه حكيم عليم معناه انه حكيم في مجازاتهم عليم
بمقدار جزائهم **قوله عز وجل** قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا

ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ٥ معناه قد غبن الذين دفنوا بناتهم احيا جهلا منهم من غير علم ولا بيان حجة وحرموا ما رزقهم الله اي حرموا على انفسهم ما اعطاهم الله تعالى من الرزق من الانعام والحرث يعني ان هولاء الكفار بجهلهم يقتلون البنات احياء مخافة الفقر والانفاق ثم يجعلون طائفة من اموالهم لهذه الاوثان ويحرمونها على اناث اولادهم وقوله تعالى افتراء معناه يفترون ذلك افتراء على الله ان الله تعالى حرم هذه الاشيا قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية في ربيعة ومضر واحيا العرب الذين كانوا يدفنون بناتهم في الجاهلية احيا الاما كان من بني كنانة فانهم كانوا لا يفعلون ذلك وقوله تعالى قد ضلوا معناه قد ضلوا في فعلهم هذا عن الهدى وما كانوا مهتدين من الضلالة

قوله عز وجل وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ٥ اول هذه الاية راجع الى ما قبلها كانه قال افتروا على الله الكذب وهو المحدث لهذه الاشيا الفاعل لما لا يقدر احد على الاتيان بمثله ومعنى الاية وهو الذي ابتدا خلق بساتين معروشات وهي الكروم رفع بعض اغصانها على بعض وغير معروشات وهي الشجر والزرع وكل ما لا يرتفع بعضه على بعض هكذا روى عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهما ويقال معنى معروشات ما يرفع له حيطان وغير معروشات ما لا يجعل عليه حايط واصل العرش الرفع ومنه العرش الذي هو السرير سمي بذلك لارتفاعه ومنه قوله تعالى خاوية على عروشها اي ساقطة حيطانها على سقوفها وقوله تعالى والنخل والزرع معناه وانشا النخل والزرع وهذا تخصيص بعض ما دخل في عموم الاول لكونهما اعم نفعا من جملة ما يكون في البساتين وقوله مختلفا اكله اي مختلفا حمله من الالوان كلها ومختلفا في الطعم من الحلو والحامض والمر والجيد والردى وقوله مختلفا نصب على الحال اي انشاه في حال اختلاف اكله المعنى انشاه مقدار اختلاف اكله سمي ذلك حال التقدير كما قال لتدخلن منزل زيد اكلين شاربين ويقال مررت برجل معه صقر صايدا به غدا واما قوله تعالى والزيتون والرمان معناه وانشا شجر الزيتون والرمان متشابها وغير متشابه اي منها ما هو متشابه ومنها ما هو غير متشابه ويقال متشابها في النظر وغير متشابه في الطعم نحو الرمانين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر اذن في الاكل واباحة لا امر ايجاب والفايدة في قوله تعالى اذا اثمر اباحة الاكل منه قبل اخراج الحق الذي وجب في ذلك المال شانها للمساكين وقوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده معناه اعطوا حق الله تعالى يوم تحصد قال عبد الله بن عباس والحسن اراد العشر فيما سقته السما ونصف العشر فيما سقي بغرب او دالية وظاهر هذه الاية حجة لابي حنيفة رحمه الله في وجوب العشر في القليل والكثير والحبوب وساير الخضر وقال عبد الله بن عمر معنى قوله واتوا حقه ما يتطوع به الانسان عند رفع الغلة والتصدق به وقال ابرهيم النخعي هذه الاية منسوخة بالعشر ونصف العشر فكانه يجعل المذكور في الاية حقا اخر في المال واجبا سوى العشر ونصف العشر وفي قوله تعالى حصاده قراتان بكسر الحا وفتحها وهذا كما يقال جداد وجداد وقوله تعالى ولا تسرفوا قيل انه خطاب للايمة اي لا تاخذوا فوق حقكم وقيل هو خطاب لارباب الاموال اي لا تصدقوا بالجميع فلا تبقوا للعيال شيا قال عبد الله بن عباس كان الرجل يعطي عند الحصاد ما شا للمساكين والمحتاج واليتيم والقبض وكان رجال عند صرمهم يتسارعون بالمعروف فعمد ثابت بن قيس بن شماس من بينهم خاصة فصرم خمسماية نخلة ثم قسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيا فكره الله تعالى ذلك له فنزل فيه قوله تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا تعطوا ذوي الجد فتحتاجوا الى ما عند الناس وقال بعضهم معنى الاسراف الانفاق في معصية الله تعالى وقوله تعالى انه لا يحب المسرفين يدل على ذلك ومما روى

عن عمر

عن عثمن بن الاسود انه قال سمعت مجاهدا ونحن نطوف بالبيت فرفع راسه الى ابي قبيس فقال لو كان ابو قبيس هذا ذهبا لرجل فانفقه في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما او مدا في معصية الله تعالى كان مسرفا وقيل معنى قوله ولا تسرفوا لا تنقصوا عن العشر ونصف العشر وتمنعوا الصدقة وتاكلوا حق المساكين

قوله عز وجل ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ٥ معنى الاية وانشا لكم من الانعام حمولة وفرشا قال عبد الله بن عباس الحمولة كبار الابل التي يمكن الحمل عليها والفرش صغارها التي لا يمكن الحمل عليها وسميت فرشا لاستوايها في الصغر والانحطاط كاستوا ما يفرش من الفرش وقيل سميت فرشا لقربها من الارض وتسمى الغنم فرشا وعن عبد الله بن عباس في رواية اخرى ان الحمولة كل ما يحمل من الابل والخيل والبقر والحمار والبغل الا ان الرواية الاولى اصح لان اسم النعم لا يقع على الخيل والبغال ويقال اراد بالفرش ما يفرش من الثياب والبسط التي تعمل من الوبر الا ان القول الاول هو الاقرب لان الله تعالى ذكر في الاية التي بعد هذه الاية ثمانية ازواج ومعناها انشا الله تعالى من الحمولة والفرش ثمانية ازواج وقوله كلوا مما رزقكم الله اذن في الاكل من الانعام والحرث وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان معناه لا تسلكوا طرق الشيطان فانه لا يدعوكم الا الى المعصية وقيل معناه لا تتبعوا ما يخطي بكم الشيطان من تحليل او تحريم وقوله تعالى انه لكم عدو مبين معناه انه لكم عدو ظاهر العداوة قد ابان عداوته لابيكم ادم عليه السلم ويقال ابان عداوته لكم في حزبه واوليايه من الشياطين

قوله عز وجل ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ٥ وانشا لكم ثمانية ازواج اي اصناف من الضان اثنين ذكرا وانثى يعني بالذكر زوجا وبالانثى زوجا يقال لكل من له قرين زوج كما قلنا في قوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وقوله تعالى ومن المعز اثنين اي زوجين اثنين ذكرا وانثى والضان ذوات الالية وهو جمع ضاين كما يقال تاجر وتجر وواحد ضاينة والمعز ذوات الاذناب القصار وفيه قراتان بتسكين العين وفتح العين وقوله تعالى قل الذكرين حرم ام الانثيين معناه قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم من اين جا هذا التحريم الذي تذكرونه ايها الكفار في الولد السابع في الغنم انه حرام على النسا احرم الله الذكر من الضان والذكر من المعز فحرم ولدهما لتحريمه الذكور ام حرم الانثى من الضان والمعز فحرم ولدهما لتحريم الاناث فان جا هذا من قبل ذكورهما فيجب ان يكون كل ذكر حراما عليكم وان جا من قبل الانثيين فيجب ان يكون كل انثى حراما عليكم وان جا من قبل اشتمال ارحام الانثيين عليه فيجب ان يكون كل اولادهما من الذكر والانثى حراما عليكم لان الارحام تشتمل عليهما جميعا والالف في قوله الذكرين الف استفهام دخلت على الف منصوبة وذهبت حركتها في الادراج فادخلت المدة ليلا على الاستفهام ولو حذف الف الاستفهام مكان ام التي بعدها دليلا على الاستفهام ايضا واما قوله تعالى نبئوني بعلم معناه قل للكفرين خبروني بعلم وفسروا لي ما حرم الله عليكم بيان وحجة ان كنتم صادقين في مقالتكم ان الله حرم الوصيلة ونحوها وانما قال ان كنتم صادقين لان الصدق لا يمكن الا بعلم

قوله عز وجل ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ٥ معناه وانشا من الابل اثنين ذكرا وانثى من جملة الثمانية الازواج ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل الذكرين حرم اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم انكم تحرمون الولد الخامس من الابل والبقر على النسا من اين جا هذا التحريم من قبل الذكور ام من قبل

الاناث ام من قبل الماء الذي اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا اي ام شاهدتم
الله تعالى حرم هذه الاشياء التي تحرمونها وامركم بتحريمها يعني اذا كنتم لا تقرون بنبي من الانبياء فمن
اين علمتم تحريم الله تعالى لذلك شهدتم تحريمه وفي هذا كله دليل اثبات القول بالقياس لان الله تعالى
امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يناظرهم ويبين بالحجة فساد قولهم وبطلان اعتقادهم فيطالبون فيما
كانوا يدعون من التحريم بالحجة التي تكون طريقا الى العلم اما من جهة المشاهدة واما من جهة
الدليل الذي يشترك العقلاء في ادراك الحق به وقد روي انه لما نزلت هذه الاية قرأها رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ابي الاحوص الجشمي مالك بن عوف وكان هو الذي يحرم لهم الحرام وكانوا يرجعون
فيه اليه فسكت مالك وتحير في الجواب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما لك يا مالك لا تتكلم فقال
له مالك بل تكلم انت واسمع منك قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا الى اخر الاية وهذا
استفهام بمعنى التوبيخ والتعجب معناه اي احد اعتى واجرى على الله تعالى ممن اختلق على الله كذبا
ليصرف الناس عن دينه ويحكمه بالجهل ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهديهم الى الحجة فيما
افتروا على الله تعالى ويقال لا يهديهم الى الجنة وثوابه فلما نزلت هذه الاية قال مالك بن عوف
فما هذا التحريم الذي حرمه اباؤنا من السائبة والوصيلة والبحيرة والحام فانزل الله تعالى هذه
الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى اخر الاية وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم
الاية ثم قال يا مالك اسلم فقال مالك ان الله لي امرا من قومي فاخبرهم عنك فاتى قومه فقالوا له كيف
رأيت فقال رأيت رجلا اسمعنا وذكرهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون

قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن
اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم ٥ معناه قل لهم يا محمد لا اجد فيما اوحي
الي من القران شيئا محرما على اكل ياكله الا ان يكون ميتة لم تذك وهي التي تموت حتف انفها
من قرأ بالياء الا ان يكون المأكول ومن قرأ بالتاء فعلى معنى الا ان تكون تلك الاشياء ميتة
وقوله تعالى او دما مسفوحا معناه دما سائلا مصبوبا وكانوا اذا ذبحوا اكلوا الدم كما
ياكلون اللحم وفي الاية دليل ان الدم اذا لم يكن سائلا مثل الدم الذي يكون في عروق اللحم
المذكى فانه لا يكون محرما هكذا قال عكرمة وقتادة وقوله تعالى او لحم خنزير فانه رجس وفيه بيان
ان لحم الخنزير لا يحرم لكونه ميتة ولكن يحرم لعينه وقوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به عطف على
قوله او لحم خنزير فالمراد بالفسق المذبوح للصنم وهو الذي يرفع على ذبحه اسم غير الله ماخوذ من
الاهلال الذي هو رفع الصوت ومنه اهلال المحرم بالحج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا استهل
الصبي ورث وصلي عليه واما الرجس فمعناه الحرام وكل ما استقذرته فهو رجس نجس والرجس
العذاب ايضا في غير هذا الموضع وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فمعناه من دعته الضرورة الى
اكل شيء من هذه المحرمات غير طالب اللذة بتناوله ولا مجاوز قدر المباح منه فان ربك غفور رحيم
اذ رخص لكم في تناول هذه الاشياء عند الضرورة ويقال معناه انه غفور رحيم لا يؤاخذ بالذنب بعد التوبة
منه فكيف يؤاخذ بما رخص لكم فيه فان قيل لم قصر التحريم في هذه الاية على الاشياء المذكورة فيه مع انه تعالى
قد حرم اشياء غيرها في اول سورة المائدة قيل ان هذه الاية مكية نزلت في جواب الذين جادلوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في تحريم البحيرة ونحوها فكانت هذه الاربع المحرمات المذكورات في هذه
الاية محرمة يوم المجادلة ثم نزل بعد هذه الاية تحريم غيرها بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم
في اول سورة المائدة ويقال في تلك الاية ذكر الاسباب التي بها يصير الحيوان ميتة وفي هذه الاية ذكر تحريم

الميتة على الاطلاق فتناولت هذه الاية كل ما يصير ميتة بسبب من الاسباب وهذه الاية لا تمنع ثبوت
تحريم شيء اخر بخبر الاحاد او القياس على المحرمات المنصوصة باتفاق الفقهاء على تحريم اشياء غير مذكورة
في هذه الاية كالخمر ولحم القرد والنجاسات واما الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه نهى عن اكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير فهو بمنزلة اية من كتاب الله تعالى
لقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا **قوله عز وجل** وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت
ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون ٥ في
هذه الاية بيان ما حرم الله سبحانه على اليهود وهي كالجواب لقول كفار قريش ان في التورية
اشياء محرمة لا نحرمها يا محمد ومعنى الاية والله اعلم وعلى الذين هادوا اي مالوا عن الهدى وسموا
باليهودية حرمنا كل ذي ظفر قال عبد الله بن عباس اراد به ما لا يكون منفرج الاصابع مثل
الابل والنعام والبط والاوز وما شاكل ذلك وقيل اراد به ما يصيد بالظفر مثل النسور والبزاة
وما شاكل ذلك من السباع والكلاب وقوله تعالى ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
اي وحرمنا عليهم من البقر والغنم شحومهما الا ما حملت ظهورهما من الشحم وهو السمن وقوله
تعالى او الحوايا معناه او ما حملته الحوايا وهي المباعر والامعاء الملتفة عليها الشحم من داخلها
واحدتها حاوية وحاوياء وحوية سميت بذلك لانها تحوي ما في البطن وقوله تعالى او ما اختلط بعظم
اراد به ما يكون من الشحم المخالط للحم على عظم الجنب فاما الالية فقد كانت داخلة في التحريم
لان الاستثناء دخولا في هذه الكلمات بلغة في معنى الاحاد كانه اخرج كل واحد منهما
على الانفراد عن التحريم وهذا كما قال الله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اراد به ان كل هؤلاء
اهل ان يعصى فاعص هذا واعص هذا واذا قلت لا تطع زيدا او عمرا او خالدا فقد نهيت عن طاعة جماعتهم
واحادهم واذا ذكرت حرف الواو فان اطاع الذي خاطبته زيدا على حدة لم يكن عصاك وقوله تعالى ذلك
جزيناهم ببغيهم معناه ذلك التحريم عاقبناهم به بظلمهم وانا لصادقون فيما نقول ان هذه الاشياء
كانت حلالا في الاصل فحرمناها على اليهود لمعصيتهم في مخالفتهم لانبيائهم وقيل ان التحريم كان
عقوبة لاوائلهم ثم نعمهم الله تعالى بالتحريم مصلحة لهم ثم نسخ تحريم ذلك في شريعة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم كما نسخ كثير من شرائعهم والنصارى على ان ذلك انما نسخ في ايام المسيح عليه السلم
وكانت اليهود مع هذا التحريم يطبخون الشحوم فيبيعونها ويستحلون اثمانها كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها فاكلوا اثمانها ان الله تعالى اذا حرم شيئا
حرم بيعه واكل ثمنه وقد روي انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما
اوحى الله تعالى الي انه محرم منه على المسلمين ومنه على اليهود فقال المشركون انك لم تصب فيما قلت
قال الله عز وجل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن
القوم المجرمين ٥ معناه ان انكروا ولم يقبلوا قولك فقل ربكم ذو رحمة واسعة بالامهال
وبان لم يعاجلكم بالعقوبة وقيل ان هذا استدعاء الى التوبة ويقال معنى الاية فان كذبوك اليهود
في ان هذه الاشياء كانت حلالا في الاصل وقالوا ان كذبوك فقالوا انما حرم ذلك علينا بظلمنا ولكنا
حرمنا على انفسنا ما حرمه اسرائيل فقل ربكم ذو رحمة واسعة وقوله تعالى ولا يرد باسه عن القوم
المجرمين معناه ولا يرد عذابه عن المشركين واليهود اذا جاء وقت العذاب **قوله عز وجل**
سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب
الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن

وإن أنتم إلا تخرصون ه روي عن عبد الله بن عباس في معنى الآية سيقول الذين أشركوا لو شاء الله أن لا نشرك ما أشركنا ولا آباؤنا قبلنا الذين استننا بهم ولا حرمنا على أنفسنا من شيء من الحرث والأنعام ولكنه شاء لنا الشرك فالتحريم قال الله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم أي هكذا كذب الذين من قبلهم رسلهم كما كذبك قومك ومن قرأ كذلك كذَب بالتخفيف فمعناه كما كذبت قومك على الله تعالى كذب من قبلهم من الأمم على الله تعالى حتى ذاقوا بأسنا أي عذابنا قل هل عندكم من علم أي قل لهم يا محمد هل عندكم من بيان وحجة غير ما في القرآن فتبينوه لنا إن تتبعون إلا الظن يعني ظنهم في تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وما أنتم إلا تكذبون على الله تعالى وقد اختلف أهل التأويل في هذه الآية على قولين أما أحد القولين فهو أن الكفر والمعاصي تكون بمشيئة الله تعالى كما تكون بفعله إلا أن تأويل هذه الآية على هذا القول ينقسم على وجهين أحدهما أن الكفار قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا على وجه الاستهزاء وكذبهم الله تعالى في ذلك وإن كانت المشيئة حقا كما قال في سورة المنافقين إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون وكذبهم الله تعالى في قولهم إنك لرسول الله وإن كان ذلك حقا لأنهم قالوه على وجه الاستهزاء قال الزجاج جعلوا هذا القول حجة لهم في إقامتهم على شركهم فأعلم الله تعالى أن كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قالوا ومن الحجة عليهم في هذا أن الله عز وجل يفعل ما يشاء وهو قادر على أن يهدي الخلق أجمعين ولكن ليس للعباد على الله تعالى أن يفعل بهم كل ما يقدر عليه وهذا معنى قوله قل فلله الحجة البالغة وحجته أبلغ من أن تدركها الألباب لحقيقتها وقال ويقال للكفار أليس الذين هم على دين يخالف دينكم هو على ما شاء الله تعالى فلم تسمونهم ضالين والوجه الثاني أن المشيئة قد توضع موضع الأمر كما يعلم أن الإنسان إذا عاتب غيره في أمر من الأمور وقال له أنت الذي سبب هذا وقال لو لم تشأ لم أفعله يريد بذلك أنك أمرتني بهذا فيحتمل أن هؤلاء الكفار أرادوا بقولهم لو شاء الله ما أشركنا لو أمرنا الله تعالى بأن لا نشرك لكنا لا نشرك فإنهم كانوا يدّعون أن الذي يفعلونه إنما يفعلونه بأمر الله تعالى كما قال الله تعالى وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء قالوا والدليل أن المراد بالآية هذا قوله تعالى وقالوا هذه أنعام وحرث حجر أي حرام وإنما يكون التحريم بالقول الذي هو الأمر دون المشيئة التي هي الإرادة ويدل عليه قوله تعالى أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا والوصية إنما تكون في القول وأما القول الثاني فهو أن الكفر والمعاصي لا تكون بمشيئة الله تعالى كما لا تكون بأمره ومعنى الآية على هذا القول سيقول المشركون على جهة الاحتجاج لكفرهم لو شاء الله أن لا نشرك ما أشركنا وقوله تعالى ولا آباؤنا عطف على الضمير المتصل فكأن معناه ما أشركنا نحن ولا آباؤنا وقوله تعالى ولا حرمنا من شيء أراد به تحريم الحرث والأنعام وقوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم أي كما كذب قومك كذلك كذب من كان من قبلهم من الرسل قالوا وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم والرسل الذين كانوا قبله دعوا إلى خلاف قول هؤلاء المشركين وقراءة التخفيف كذَب وكذى بطلان قول الكفار وقوله تعالى حتى ذاقوا بأسنا معناه حتى أصابوا العذاب المعجل مع ما ادخر من العذاب في الآخرة إذا الذوق أقل إدراك الشيء ولا يذاق العذاب إلا على الباطل وقوله تعالى هل عندكم من علم معناه أنه ليس لكم بهذا الذي تقولونه علم وهذا يدل على أن قول الكفار لو شاء الله ما أشركنا لم يكن على وجه الاستهزاء لأن من استهزأ بغيره فقال أنت أمير أو رئيس لا يكون جوابه أن يقول هل لك بهذا علم وهلا نتبع في هذا إلا للظن قالوا ولو كانوا صادقين في قولهم لم يجز أن يكذبهم الله تعالى لأن تكذيب الصادق يكون كذبا فأما قوله تعالى والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فليس بتكذيب لهم في قولهم إنك لرسول الله إذ هذا حق وصدق ولا يجوز أن يكذبهم الله

تعالى فيه

تعالى فيه وكذبهم كان تكذيبا في قولهم نشهد إنك لرسول الله معناه نعلم أنك لرسول الله كقوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم أي علم الله تعالى ذلك وهم لم يكونوا عالمين بذلك قالوا والمشيئة لا تختص بالقول إلا أن مشيئة أحدنا الغير تارة تظهر بالأمر وتارة بغير الأمر فكان القوم كاذبين في دعواهم المشيئة والأمر جميعا وهذا كله كلام هذه الطائفة الثانية إلا أن من الطائفة الأولى من أجاب عن أكثر هذه الأسولة بقوله إن قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم إلى آخر الآية يرجع إلى الكفار ولا حرمنا من شيء راجع إلى ما قبله وهذا كقوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها فإن قوله ابتدعوها راجع إلى الرهبانية لا إلى الرأفة والرحمة وقيل إن مشيئة المعاصي إذا أضيفت إلى الله تعالى كان معناها الخذلان مجازاة للعبد على سوء فعله وإصراره على المعصية وقد تقدم في هذه السورة ما يدل على ذلك وبالله التوفيق وكان أبو حنيفة رحمه الله يقول بالمن والخذلان ويكره الجبر والتفويض وسئل زيد بن علي رضي الله عنه هل أراد الله تعالى أن يعصى فقال أيعصى عنوة وهذا أشار إلى إثبات المشيئة لا على معنى الجبر والله أعلم **قوله عز وجل** قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ه قال عبد الله بن عباس معناه أن الله تعالى الحكم حجته وهو ما أحله الله تعالى من الثمانية الأزواج فلو شاء لوفقكم لدينه وأكرمكم بمعرفته وقال الحسن معناه قد قامت عليكم الحجة وجاءكم الرسول فلو شاء لأجبركم على الإيمان والحجة في اللغة هي البينة التي منتهى شهادة بها تصحيح الحكم والأصل فيها القصد من حج إذا قصد والحجة مثله للقاصد ليثبت الحكم ووصف الحجة بأنها بالغة أنها تبلغ بالبيان والعبارة غاية المراد **قوله عز وجل** قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ه معناه قل لهم يا محمد هاتوا وقربوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذه الأشياء فإن شهدوا بأن الله حرمها فلا تشهد أنت يا محمد صلى الله عليه وسلم معهم لأنهم لا يشهدون إلا بالباطل وقوله تعالى ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا أي لا تعمل بهوى الذين جحدوا بك وبالقرآن ولا بهوى الذين لا يقرون ولا يصدقون بالبعث بعد الموت وإنما فصل بين الفريقين لأن من الكفار من يؤمن بالبعث كأهل الكتاب ومنهم من لا يؤمن بذلك كعبدة الأوثان وقوله تعالى وهم بربهم يعدلون أي يسوون بالله تعالى في الطاعة قال سيبويه والأصل في هلم ها ضمت إليها لم وجعلتا كالكلمة الواحدة ومعناها تعالوا شهداءكم وقد تذكر هلم بمعنى تعالوا ونظير ذلك عليك زيدا وعليك زيد ومثله من الفعل رجع ورجعته فإن قيل كيف يكون معنى قوله هلم شهداءكم طلب منهم الشهود ثم يقول فإن شهدوا فلا تشهد معهم قيل قال الحسن رضي الله عنه أراد تعالى بذلك قل هاتوا شهداءكم من غيركم يشهدون بقولكم ولم يكن أحد غير العرب يشهد على ذلك لأنه كان للعرب شرائع شرعوها لأنفسهم مخالفة لشرائع غيرهم وأما اعتقاد المذاهب بالهوى فقد يكون من وجوه أحدها هوى يسبق إليه وقد يكون الهوى لشبهة دخلت في نفسه مع زواجر عقله عنها ومنها هوى ترك الاستقصاء للمشقة ومنها هوى الشيء على ما جرت به عادته لا لفقه له وكل ذلك متميز مما استحسنه الإنسان بعقله **قوله عز وجل** قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ه معناه قل لهم يا محمد لمالك بن عوف وأصحابه هلموا واجتمعوا أقرأ عليكم الذي حرم ربكم وقوله تعالى أن لا تشركوا به شيئا معناه أوصيكم وآمركم أن لا تشركوا بالله ويقال أتل عليكم أن لا تشركوا لأنهم إذا حرموا ما أحل الله لهم فقد جعلوا غير الله

في القول منه منزلته عز وجل وصاروا بذلك مشركين ويقال معناه حرم عليكم ان تشركوا كما في قوله تعالى
ما منعك الا تسجد وقوله تعالى وبالوالدين احسانا اي واوصاكم بالوالدين اي بالاحسان الى الوالدين
برا بهما وعطفا عليهما وقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم من املاق اي لا تدفنوا بناتكم احياء تحت التراب
مخافة الفقر والاملاق في اللغة نفاد الزاد والنفقة يقال املق الرجل اذا نفد زاده ونفقته ومنه الملق وهو
بذل المجهود في تحصيل المراد وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم اي علينا رزقكم ورزقهم جميعا وقوله تعالى ولا
تقربوا الفواحش ما ظهر منها اي لا تقربوا الزنا معلنين ولا مستترين متخذي اخدان وقوله تعالى ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله اي لا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا باحدى خلال ثلث زنا بعد احصان او كفر
بعد ايمان او قتل نفس بغير حق وقوله تعالى ذلكم وصاكم به اي هذا الذي ذكر لكم امركم الله في كتابه
لكي تعقلوا ما امرتم به **قوله عز وجل** ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا
الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى
وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ه معناه لا تقربوا مال اليتيم الذي لا اب
له الا لحفظه وتثميره واصلاحه وقوله تعالى حتى يبلغ اشده قال ربيعة وزيد بن اسلم والشعبي هو بلوغ الحلم
وقال السدي هو ان يبلغ ثلثين سنة ويقال ان يكمل له ثماني عشرة سنة وجعل ابو حنيفة رحمه
الله غاية الاشد خمسا وعشرين سنة فاذا بلغها دفع اليه ماله ما لم يكن معتوها ومثل هذه الحدود لا تعرف
الا بالاجتهاد وغلبة الظن والاشد جمع الشد مثل فلس وافلس ومعنى الشد قوة الشباب عند ارتفاعه
كما ان شد النهار قوة الضياء عند ارتفاعه ويقال الاشد واحد مثل الآنك واما تخصيص اليتيم بالذكر
فلعجزه عن الانتصار بنفسه وعن منع غيره عن ماله مع كثرة الاطماع في اكل ماله وقوله عز وجل واوفوا
الكيل والميزان معناه اتموا الكيل والوزن بالعدل لا نكلف نفسا الا وسعها جهدها وطاقتها وهذه
الاية اصل في جواز الاجتهاد في الاحكام فان كل مجتهد مصيب لانا نعلم ان المقدار المطلوب من الكيل
حقيقة عند الله تعالى ولم يكلفنا الله تعالى اصابتها وانما امرنا بالاجتهاد فيها نعبد فاذا اجتهد الانسان
في الكيل والوزن ووقعت فيه زيادة يسيرة او نقصان يسير لم يؤاخذه الله تعالى به اذا اجتهد
جهده واذا اعيد الكيل على ذلك فزاد او نقص لم يثبت التراجع اذا كان ذلك القدر من التفاوت مما
يقع بين الكيلين وقوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا معناه فاعدلوا في المقال لان العدل في المقال يبعث
على العدل في الفعال ويقال معنى قوله فاعدلوا فقولوا الحق اذا شهدتم او حكمتم ولو كان المشهود
له او عليه ذا قرابة من الشاهد وقوله تعالى وبعهد الله اوفوا معناه اتموا فرائض الله تعالى التي امركم
بها كما قال الله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ويقال اراد بالعهد في هذه الاية النذور واليمين كما
قال الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقوله تعالى ذلكم وصاكم به معناه هذا الذي ذكر لكم
امركم الله تعالى به في الكتاب لكي تتعظوا فتمتنعوا عن المحرمات **قوله عز وجل** وان
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم
تتقون ه من قرا وان هذا بالنصب فعلى معنى الشان ومن قرا بالكسر فعلى الابتداء وقرا بعضهم بتخفيف الالف
وسكون النون على معنى انه هذا صراطي مستقيما والمراد بالصراط الاية الشريعة وهي
الشرع طريقا لانه يؤدي الى الثواب والجنة وقوله تعالى فاتبعوه اي اعتقدوا حلال هذا الدين وحرامه
ومأموره ومنهيه ولا تتبعوا اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر فانها سبيل الشيطان وطرق الناس
وقوله تعالى فتفرق بكم عن سبيله فيضلكم ذلك السبيل الذي تتبعونه بهواكم عن دين الله تعالى وهو
الاسلام ذلكم وصاكم به اي هذا الذي امركم الله به في القرآن لتتقوا السبل المختلفة وتستمسكوا على الايمان
قال عبد الله بن عباس هذه الايات الثلاث من المحكمات وهن ام الكتاب في التوراة والانجيل والفرقان والزبور

قوله عز وجل ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي لم ينتقص شي في جميع الكتب
احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ه معناه ثم قد
آتينا ويقال معنى ثم معنى العطف في الكلام كانه قال تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم آتينا
الله تعالى موسى من التوراة وقوله تعالى تماما على الذي احسن معناه تماما للاحسان على المحسن من
النبي موسى عليه السلام احدهم وفي مصحف عبد الله بن مسعود تماما على الذين احسنوا ويقال معنى الذي
احسن على ما احسن موسى عليه السلام اي كان موسى محسنا في معرفة العلم وكتب المتقدمين فاعطيناه
التوراة زيادة على ذلك وقرا ابن يعمر على الذي احسن برفع النون على معنى الذي هو احسن وقوله تعالى
وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة اي تبيينا للاحسان اليهم وبيانا لكل شيء من الحلال والحرام
وهدى من الضلالة ونجاة من العذاب لمن امن به وعمل بما فيه لعلهم بالبعث الذي فيه جزاء الاعمال
يؤمنون ويصدقون **قوله عز وجل** وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا
لعلكم ترحمون ه معناه وهذا كتاب لنا فيه بركة وخير كثير لمن آمن به ومعنى البركة
ثبوت الخير ونماؤه وتبارك الله صفة ثبات لا اول له ولا آخر وهذه لفظة لا تستحقها الا الله تعالى
وقوله تعالى فاتبعوه اي اقتدوا به في اوامره ونواهيه واتقوا مخالفته وسخطه لتكونوا على رجاء
الرحمة **قوله عز وجل** ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا
عن دراستهم لغافلين ه قال الفراء معناه لئلا تقولوا اي انزلناه لنقطع عذركم وحجتكم
وقال البصريون معناه كراهية ان تقولوا كما يقال جئت ان اكرمك وجئتك ان
اكرمك اي محبة ان اكرمك او كراهة ان اكرمك وتكون الحال تنبئ عن الضمير قال ولا يقال
جئت ان اكرمك بمعنى لا اكرمك وقوله تعالى انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اراد
به اليهود والنصارى والتوراة والانجيل لغافلين عما فيه ويقال معناه وما كنا عن قراءة كتبهم
التوراة والانجيل الا غافلين عما فيه ويقال ان معناه وما كنا الا غافلين عن دراستهم **قوله عز
وجل** او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من
ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ه معناه او كراهية ان تقولوا لو انا انزل علينا
الكتاب كما انزل على اليهود والنصارى لكنا اسرع اجابة منهم وذلك ان اهل مكة كانوا يقولون
قاتل الله اليهود كيف كذبوا انبياءهم والله لو جاءنا نذير او كتاب لكنا اهدى منهم وكانوا معروفين بالاذهان
وحسن الفهم وكانوا يحفظون الاشعار والاخبار والآثار وهم اميون لا يكتبون يقول الله تعالى فقد
جاءكم بينة من ربكم اي القرآن بيان ودلالة من ربكم وهدى من الضلالة ورحمة لمن امن به واتبعه رحم
الله تعالى بانه له عبادة وقوله تعالى فمن اظلم اي لا احد اعتى واجرى على الله ممن كذب بآيات الله واعرض
عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا اقبح العذاب واشد باعراضهم وتكذيبهم **قوله عز
وجل** هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك يوم
يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا
قل انتظروا انا منتظرون ه معناه ما ينتظر اهل مكة بعد نزول الكتاب وقيام الحجج عليهم الا اتيان
ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم اي لم يبق لا هذا وقوله تعالى او يأتي ربك معناه او يأتي امر ربك
باهلاكهم والانتقام منهم اما بعقاب عاجل او بالقيامة وهذا كما يقال قد نزل فلان بلد كذا وقد اتاهم
فلان اي اوقع بهم المكروه وقد يحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى واسأل القرية
فكانه قال او يأتي عذاب ربك الا انه حذف ذكر العذاب واضاف الاتيان الى نفسه تفخيما للقيام الا

من جهة العقل على ان الله تعالى لا يجوز عليه الانتقال من مكان الى مكان وهو كقوله تعالى ان الذين
يؤذون الله معناه يؤذون اوليا الله تعالى الا انه حذف ذكر الاوليا لقيام الدلالة من جهة العقل على
ان الله تعالى لا يجوز عليه الاذا وقال بعضهم معناه او ياتي ربك بدلايل اياته فيكون ياتي في هذا
الموضع متعديا وقوله تعالى او ياتي بعض ايات ربك قال الحسن اراد به او ياتي بعض ايات ربك الحاجبة
عن التوبة وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس
من مغربها ودابة الارض وخروج الدجال والدخان وخويصة احدكم يعني موته وامر العامة يعني به القيمة
وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال باب التوبة مفتوح من قبل المغرب مسيرة
اربعين سنة وملك قايم على ذلك الباب يدعوا الناس الى التوبة فاذا اراد الله تعالى ان يطلع الشمس من مغربها
طلعت من ذلك الباب سودا لا نور لها فتوسطت السما ثم رجعت فغلق الباب وترد التوبة ثم ترجع الى مشرقها
فتطلع بعد ذلك مايه وعشرين سنة الا انها سنون تمر مرا وقوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل اي لا ينفعها الايمان عند الاية التي يضطر معها الى الايمان لان مثل هذه الاية لا توجب
الثواب لمن امن عندها اذ لو بعث الله تعالى على كل من لم يومن عذابا لاضطر الناس الى الايمان به فيسقط الحكم
انما الايمان بالغيب وقوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا قال السدي معناه انه لا ينفع احدا فعل الايمان
ولا فعل خير فيه في تلك الحالة لانها حالة زوال التكليف وانما ينفع فعل هذا قبل تلك الحالة وقيل انما
قال ذلك على جهة التغليب لان الغالب من حال من يومن انه يفعل في ايمانه خيرا وقيل معناه خيرا اخلاصا اي
اذا لم تكن مخلصة قبل مجي الايات لا ينفعها الاخلاص بعد مجي الايات وقوله تعالى قل انتظروا انا منتظرون
اي قل لهم يا محمد انتظروا مجي الايات فانا منتظرون لكم مجيها فان قيل لم جاز ان يقول هل ينظرون الا
ان تاتيهم الملايكة وهم لم يكونوا مقرين بهذه الاشيا ولا كانوا ينتظرونها قيل انما جاز ذلك لان الرسل
كانوا قد توعدوهم بها فان كانوا هم مكذبين بها فحسن ان يقال لهم هل ينظرون الا هذه الاشيا
تحقيقا للوعيد **قوله عز وجل** ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شي
انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ه قال مجاهد اراد به اليهود فانهم كانوا عاونوا
المشركين على المسلمين لشدة عداوتهم مع المسلمين وقال قتادة هم اليهود والنصارى كان بعضهم يكفر بعضا
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال هم اهل الضلالة من هذه الامة فان بعضهم يكفر بعضا بالجهالة ومعنى الاية
والله اعلم ان الذين زايلوا دينهم الذي عليهم ان يعملوا به وهو دين الاسلام وهذا نظير قول الانسان
لغيره اعمل عملك يريد به العمل الذي عليه من مصلحته ومن قرا فرقوا دينهم بالتشديد فمعناه صاروا
فرقا بتكفير بعضهم بعضا بالجهالة وقوله تعالى وكانوا شيعا اي كانوا فرقا مختلفة والشيع جمع
الشيعة وهي الفرقة التي يتبع بعضها بعضا يقال شيعت اي اتبعت وقال الشاعر الا يا نخلة من ذات عرق
برود الظل شيعك السلام اي تبعك السلام ويقال شايعه على الامر اذا اتبعه وقيل اصل الشيع من الظهور
يقال شاع الامر يشيع اذا ظهر وقوله تعالى لست منهم في شي معناه لست من مذاهبهم في شي اي انت بري
من جميع ذلك وهذه مباعدة تامة من ان يجتمع النبي صلى الله عليه وسلم معهم في شي من مذاهبهم الفاسدة
ثم اوعدهم الله تعالى بقوله انما امرهم الى الله اي مصيرهم ومنقلبهم اليه ثم يخبرهم في الاخرة بما كانوا
يعملون في الدنيا فيندم المبطل ويفرح المحق وفي الاية حث على ان تكون كلمة المومنين واحدة وان
لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع وبالله التوفيق ه **قوله عز وجل** من جا بالحسنة فله
عشر امثالها ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ه معنى الاية والله اعلم من جا
بخصلة من الطاعة فله عشر حسنات ومن جا بخصلة من المعصية فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون
بالزيادة على مقدار ما استحقوا من العقاب وانما قال ذلك لان الفضل بالابتدا جايز والابتدا بالعقاب لا يجوز

وقد

الباطل ح

وقد تكلم اهل العلم في الحسنات العشر التي وعدها الله تعالى في هذه الاية قال بعضهم المراد بها
التضعيف دون التحديد بالعشرة هذا كقول القايل لمن اسدى اليه معروفا لاكافينك بعشرة امثاله
وقال بعضهم هو على التحديد بالعشرة ثم اختلفوا فقال بعضهم هو جميعه تفضل والثواب غير ذلك
فكانه قال تعالى من جا بالحسنة فله عشر حسنات من النعيم والسرور في كل وقت زيادة على ثواب
حسنته وهي امثالها اي انها حسنات وذلك مضمر في الكلام وهو معنى قوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله قالوا ولا يجوز ان تساوي منزلة التفضل منزلة الثواب لان الثواب لا بد من ان يقارنه التعظيم
والاجلال ولو جاز ان تكون منزلة التفضل اعظم من منزلة الثواب لجاز ان يعطى الطفل مثل ثواب الانبيا
صلوات الله عليهم واكثر وذلك لا يجوز في الحكمة وقال بعضهم جميع هذه الحسنات العشر تفضل
من الله تعالى قالوا ويجوز ان يتفضل الله تعالى على من لم يعمل بمثل ثواب العامل ابتدا لانه متفضل في
فعله لا يستحق عليه شي وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قوله تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها
نزل في الاعراب فقال له رجل من المهاجرين فما لاهل القرى يا ابا عبد الرحمن قال هو افضل من ذلك اراد
ان الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما واذا قال الله لشي عظيم
فهو عظيم روي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احسن اسلام احدكم فكل
حسنة يعملها تكتب له بعشر امثالها الى سبع مايه ضعف الى ما شا الله وكل سيية يعملها تكتب له مثلها حتى
يلقى الله عز وجل وعن خريم بن فاتك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعمال
ستة موجبتان ومثل بمثل وحسنة بحسنة وحسنة بعشر وحسنة بسبع مايه فاما الموجبتان فهما
من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات وهو يشرك بالله تعالى دخل النار واما مثل بمثل فمن عمل
سيية جزي سيية مثلها واما حسنة بحسنة فمن هم بحسنة حتى تشعر بها نفسه ويعلمها الله تعالى من
قلبه كتبت له حسنة واما حسنة بعشر فمن عمل حسنة فله عشر امثالها واما حسنة بسبع مايه فالنفقة
في سبيل الله تعالى وقال ابو سهل الانماري اذا عمل المومن حسنة من الحسنات التي تنبغي كتب في
صحيفته عشرا واذا كان يوم القيمة يضاعف الله تعالى تلك العشر كل واحد عشرا فتصير الحسنة الواحدة
مايه في ميزانه عند الوزن فيضاعف الله تعالى له الى سبع مايه ومن جا بالسيية التي لا تغفر فلا يجزى الا
مثلها سيية تسوي عاقبتها كما ثبت الحفظة معصيته وقال الزجاج المراد بقوله تعالى عشر امثالها
كل واحد من العشر هو المثل للثواب في المقدر في النفوس ثم يضاعف الله تعالى المثل الواحد الى عشرة
اضعاف الى سبع مايه ضعف الى اضعاف كثيرة واما الحسنة فهي اسم للاعلى في الحسن لان الها
دخلت للمبالغة فيدخل فيها الفروض والنوافل ولا يدخل فيها المباح الذي لا يستحق عليه حمد ولا ثواب
قوله عز وجل قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما
كان من المشركين ه معناه قل لهم يا محمد انني وفقني وارشدني ربي الى الدين الحق الذي ادعو
الخلق اليه وقوله تعالى دينا قيما معناه دينا هو غاية في الاستقامة ومن قرا قيما بفتح القاف وكسر اليا
فهو اسم ومن قرا قيما بكسر القاف ونصب اليا فهو مصدر كالصغر والكبر ولم يعل قوما كما قالوا قياما
عنها حولا لان قولك قام يقوم قياما وقيما فهو قيم وقوله تعالى ملة ابرهيم حنيفا معناه دين ابرهيم
وانما اضاف هذا الدين الى ابرهيم لان ابرهيم عليه السلام كان معظما في قلوب العرب وفي قلوب
سائر اهل الاديان اذ كل اهل دين يزعمون انهم ينتحلون دين ابرهيم عليه السلام وقوله تعالى حنيفا اي
مايلا عن الشرك وجميع الاديان الباطلة ميلا لا رجوع معه وهذا نصب على الحال كانه قال يعرفني دين ابرهيم
في حال حنيفيته وقوله تعالى وما كان من المشركين معناه ما كان ابرهيم عليه السلام من المشركين **قوله**
عز وجل قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك

امرت وانا اول المسلمين ٥ معناه قل لهم يا محمد ان صلاتي اي الصلوة الخمس المفروضة ونسكي يعني طاعتي واصل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى ومنه قولهم للعابد ناسك وقال سعيد بن جبير معناه قل ان صلاتي ونسكي في الحج والعمرة لله رب العالمين ويقال المراد بالصلوة صلوة العيد وبالنسك الاضحية وقوله ومحياي ومماتي لله معناه وحياتي وموتي لله رب العالمين رب الخلايق كلهم وانما اضاف المحيا والممات الى الله وان لم يكن ذلك مما يتقرب به اليه لان الغرض من الاية التبري الى الله تعالى من كل حول وقوة والاقرار له بالعبودية وقيل ان المراد بذلك ان الله تعالى هو المختص بان يحييه ويميته لا شريك له في ذلك وكما يجب الاخلاص له في العبادة يجب الاخلاص له في الاعتراف بنعمته في المحيا والممات وقوله تعالى لا شريك له اي لست اتقرب الى الله تعالى كما يفعله المشركون وقوله تعالى وبذلك امرت معناه ان الله امرني بذلك وقوله تعالى وانا اول المسلمين معناه انا اول من استقام على الايمان من اهل هذا الزمان وعن انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرب كبشا املح اقرن فقال لا اله الا الله والله اكبر ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين الى اخر الاية ثم ذبح ثم قال شعره وصوفه فداء لشعري من النار وجلده فداء لجلدي من النار ودمه فداء لدمي من النار ولحمه فداء للحمي من النار وعظمه فداء لعظمي من النار وعروقه فداء لعروقي من النار فقالوا يا رسول الله هنيئا مريئا هذا لك خاصة قال لا بل لامتي عامة الى ان تقوم الساعة اخبرني بذلك جبريل عليه السلام عن ربي تبارك وتعالى ٥ قوله عز وجل قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ٥ معناه قل لهم يا محمد اغير الله اطلب الها لي ولكم وقوله تعالى وهو رب كل شيء اي هو مالكي ومالككم ومالك كل شيء فكيف اطلب النفع من مربوب مثلي ومثلكم وادع سواه رب يملكني ويملككم فهل يجوز هذا وهل يحسن هذا لا بد من ان يكون جوابه لا واما قوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها فمعناه لا تعمل كل نفس طاعة ولا معصية الا عليها قال اهل الاشارة ولا تكسب كل نفس من خير وشر الا عليها اما الشر فهو ماخوذ به واما الخير فمطلوب منه صحة قصده وخلوه من الريا والعجب والافتخار ورويته من نفسه والاعتماد عليه فاذا اختلت هذه الوجوه وجدت عمل الخير عليه لا له الا ان يعفو العفو وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى قيل انه جواب عن قول الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم نحن كفلا لك بما يصيبك من عبادة الاصنام معناه اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى اي لا يحمل احد ذنب غيره والوزر في اللغة هو الثقل وقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم معناه ثم الى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه احد غير الله تعالى مصيركم ومنقلبكم فيخبركم باختلافكم في الدين في دار الدنيا ٥ قوله عز وجل وهو الذي جعلكم خلايف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ٥ معناه وهو الذي جعلكم يا امة محمد خلفا في الارض والخلايف جمع الخليفة وكل قرن خليفة للقرن الذين كانوا قبلهم في الارض وقوله تعالى ورفع بعضكم فوق بعض درجات اي فضايل في المال والمعاش والجاه تقديره الى درجات ثم حذف الى وانتصب درجات ويقال ان الدرجات مفعول على تقديره ورفع درجات كما يقال كسوت فلانا ثوبا واكسي ثوبا فيكون الثوب مفعولا وقوله تعالى ليبلوكم فيما اتاكم اي ليختبركم فيما اعطاكم يختبر الغني بالفقر والفقير بالغنى فيظهر للناس شكر الشاكرين وصبر الصابرين وانما سمى التعبد البلوى لانه يظهر به حال المتعبد في الطاعة والمعصية كما يظهر بالاختبار حال الشي والاختبار من الله تعالى اظهار معلومه في الازل للخلايق ليستوجبوا الثواب والعقاب وقوله تعالى ان ربك سريع العقاب اي اذا عاقب فعقابه

سريع وانما قال سريع العقاب مع ان الله تعالى موصوف بالحلم والامهال لان كل ما هو ات قريب كما قال الله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب واذا انتهى الانسان الى الشدة كان ما سلف كلمح البصر وقال بعضهم اراد بقوله سريع العقاب انه يعاقب كل من يستحق العقاب في دار الدنيا متى شاء واراد من غير ان يحتاج الى تفكر في عقابه وقوله تعالى وانه لغفور رحيم معناه انه لغفور لمن تاب من الذنوب رحيم بمن مات على التوبة وقد تقدم ذكر فضل هذه السورة وما ورد فيه من الخبر في اولها والله ولي التوفيق ٥

سورة الاعراف

مكية عند الحسن وعن ابن عباس وقتادة انهما قالا الا خمس ايات منها هي قوله تعالى واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى اخر الايات الخمس فانهن نزلن بالمدينة وعدد ايات هذه السورة مايتان وخمس ايات عند اهل البصرة والشام وست عند اهل الكوفة والحجاز بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ٥ روى عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى المص ان معناه انا الله اعلم وافصل وقال الحسن هو اسم هذه السورة كانه ذهب الى قوله تعالى المص اشارة الى لقب هذه السورة كما يسمى الرجل ولده الذي يولد له محمدا يقصد به الفرق بينه وبين غيره وقوله تعالى كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه اي هذا القران كتاب انزل اليك فلا تقع في قلبك شك منه خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم وعنى به الخلق كلهم اي لا ترتابوا ولا تشكوا ويقال الحرج الضيق الذي لا يجد الانسان له منفذا والمراد بالضيق هنا لا يضيق صدرك من تادية ما ارسلت به ولا تخاف من ابلاغ الرسالة فانك في امان والله يعصمك من الناس وقوله تعالى لتنذر به معناه انزل اليك لتنذر اي لتخوف بالقران اهل مكة ولتكون عظة لمن اتبعك ويجوز ان يكون قوله وذكرى في موضع رفع على معنى وموعظة ٥ قوله عز وجل اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون ٥ معناه اعملوا بما انزل اليكم من ربكم وحقيقة اتباع القران تصرف الناس بتصريف القران لهم وتدبرهم بتدبيره وقوله تعالى ولا تتبعوا من دونه اولياء اي لا تتخذوا من دونه اوثانا ولا تتوكلوا احدا الا الله جهه وقوله تعالى قليلا ما تذكرون يجوز ان يكون معناه قليلا ما تتعظون ويكون ما زايدة في الكلام ويجوز ان يكون المعنى قليلا الشي الذي تتعظون ٥ قوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون ٥ معناه كم من قرية اهلكنا اهلها بالوان العذاب فجاءها عذابنا ليلا وسمي الليل بياتا لانه يبات فيه كما سمي البيت بيتا لهذه العلة وقوله تعالى وهم قايلون معناه او وقت الظهيرة وانما خص هذين الوقتين بمجي العذاب لانهما من اوقات الغفلة ويقال لانهما من اوقات الراحة ومجي العذاب في حال الراحة اغلظ واشد وقد اهلك الله تعالى قوم شعيب في نصف النهار وفي حر شديد وهم قايلون وفايدة هذه الاية التهديد والوعيد على معنى ان لم تتعظوا اتاكم العذاب ليلا او نهارا كما اتى الاولين الذين لم يتعظوا ثم اخبر جل ذكره عن حال من اتاهم العذاب فقال عز من قايل فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين ٥ معناه لم يكن قولهم ودعاؤهم حين جاءهم عذابنا الا الاعتراف بالظلم والشرك اي اعترفوا بهم ولم ينفعهم تضرعهم عند رؤية الباس كذلك لا ينفعكم اذا جاءكم العذاب قال سيبويه ان الدعوى تصلح ان تكون في معنى الدعا وانشد ولت ودعواها كثير صخبه ويجوز ان يقال اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين ودعا المسلمين وقيل ان المراد بقوله فما كان دعواهم الدعوى المعروفة كانه قال فما حصلوا مما انتحلوا من الدين الا على الاعتراف بكونهم ظالمين فان قيل الهلاك يكون بعد الباس فكيف قال اهلكناها فجاءها باسنا قيل لانهما يقعان معا كما يقال اعطيتني فاحسنت

وردني فاكرمت ويجوز ان تكون المعنى فاهلكناها في حكمنا فجاءها باسنا بياتا او في وقت القيلولة

قوله عز وجل فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين اخبار عن حالهم يوم القيمة ودخول الفاء اول هذه الاية لترتب ما بين الهلاك وسوال المرسلين يوم القيمة كما قال اقتربت الساعة وقال اقترب للناس حسابهم ومعنى الاية لنسألن الذين ارسل اليهم هل بلغكم الرسل ما ارسلوا به اليكم وماذا اجبتموهم ولنسألن المرسلين هل بلغتم قومكم ما ارسلتم به اليهم وماذا اجابوكم فان قيل فلماذا يسأل الله المرسلين مع العلم بانهم لم ينقصوا قيل ليتبين عند مسالته اوليا الله تعالى ما يناهم من كرامته فيكون ذلك حسرة على اعدائه يوميذ

قوله عز وجل فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ه معناه لنخبرنهم بما عملوا بعلمنا اي لا نسألهم ليعلم وانما نسألهم لاقامة الحجة عليهم وقوله تعالى وما كنا غائبين معناه انا كنا عالمين بكل شي من تبليغ الرسالة وجواب الامم لان من المعلوم ان البعد والقرب لا يعود على الله تعالى

قوله عز وجل والوزن يوميذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون ه معنى الاية وزن الاعمال يوم القيمة الحق ولا ينقص عن احسان محسن ولا يزاد على اساءة مسي فمن ثقلت موازينه اي رجحت حسناته على سياته فاولئك هم الظافرون بالمراد والبغية ومن خفت موازينه اي رجحت سياته على حسناته فاولئك الذين خسروا حظ انفسهم بما كانوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران يجحدون ومعنى الخسران ذهاب راس المال وراس مال الانسان نفسه فاذا هلك بسوء عمله فقد خسر نفسه وقد تكلم الناس في ذكر الموازين في يوم القيمة وقال عبد الله بن عباس يوزن الحسنات والسيات في ميزان له لسان وكفتان توضع فيه اعمالهم فاما المومن فيوتى بعمله في احسن صورة فيوضع في كفة الميزان فيثقل حسناته على سياته فيوضع عمله في الجنة عند منازله ثم يقال له الحق بعملك فياتي منازله فيعرفها بعمله قال وهم اعرف بمنازلهم في الجنة باعمالهم من اهل الجمعة اذا انصرفوا منها الى منازلهم واما الكافر فيوتى بعمله في اقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف والباطل خفيف ثم يرفع ويلقى في النار ثم يقال له الحق بعملك فياتي منازله في النار وقيل ان المراد بالعمل في هذا الخبر ان الله تعالى يجعل للحسنات صورة حسنة وللسيات صورة قبيحة لا ان عين الاعمال توضع في الميزان لان اعمال العباد اعراض منقضية لا تعاد وقال عبد الله بن عمر يوتى بصحف الطاعات وصحف المعاصي فتوزن الصحف وكان يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوتى بالعبد المومن الى الميزان يوم القيمة ثم يوتى بتسعة وتسعين سجلا كل واحد منهم مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج بطاقة من تحت العرش مقدار الانملة فيها شهادة ان لا اله الا الله فتوضع في كفة اخرى فيقول العبد يا رب ما تزن هذه البطاقة مع هذه الصحف فيامر الله تعالى ان توضع البطاقة في كفة اخرى فاذا وضعت طاشت الصحف ورجحت البطاقة وقال بعضهم يوزن الانسان كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوتى بالرجل العظيم الاكول الشروب فيوزن فلا يزن جناح بعوضة اقرؤوا ان شيتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقال مجاهد معنى الميزان العدل وهذا كما يقال هذا الكلام وزن ذلك الكلام اي في مقداره ويقال وزن الشعر ووزن الرجز ويراد به المساواة وحقيقة الميزان في الجملة لا يمكن معرفتها الا بالاخبار الا ان الاية دالة على ان جملة اعمال العباد موزونة على غاية العدل والحق ولا يمتنع ان يكون الوزن على هذه الوجوه كلها والله اعلم واما ذكر الموازين بلفظ الجماعة لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين والخيوط ويقال انه يكون هناك موازين لكل نوع من الطاعات ميزان على حدة

قوله عز وجل ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش

قليلا ما تشكرون ه معناه والله اعلم مكناكم بالتمليك والاقدار ورفع الموانع وجعلنا لكم في الارض ما تعيشون به من الرزق وهو ما تخرج من الارض من الحبوب ومن الاشجار من الثمار ويقال معنى المعايش الوصلة الى ما يعاش به بالحراثة والتجارة وانواع الحرف والصناعات قرا نافع في رواية خارجة معائش بالهمزة كالكبائر والصغائر والصحائف على وزن فعائل فالبافون على ترك الهمزة على وزن فعاعل قالوا وهذا اصح لان اليا ها هنا اصلية لان المعايش من العيش والياء في الصحائف زيادة وانما همزت الياء الزائدة لانه لا حظ لها في الحركة وقد قربت من اخر الكلمة فلن متها فاوجبوا فيها الهمز واما مصائب جمع المصيبة فقد اجمع النحويون فيها على الهمزة لان اصلها مصاوب فابدلت الهمزة من الواو كما قالوا في وسادة اسادة واما قوله تعالى قليلا ما تشكرون فتوسطا للشكر وامر بالشكر على نعمه كانه قال شكركم فيما اصنع اليكم قليل

قوله عز وجل ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ه قال بعضهم خلقنا ادم الذي هو اصل خلقكم ثم صورناه انسانا تاما ثم قلنا من بعد خلقه من التراب وتصويره للملائكة الذين كانوا في الارض مع ابليس اسجدوا لادم سجدة تحية فسجد المامورون الا ابليس لم يكن من الساجدين من الملائكة لادم عليه السلام قالوا وانما اضاف الخلق والتصوير الينا في اول الاية واراد بذلك اباهم لان من عادة العرب انهم يخاطبون الابناء ويريدون به اسلافهم وهذا كما قال الله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وانما رفع الطور واخذ الميثاق على ابايهم وكذلك قال عز من قايل فلم تقتلون انبياء الله من قبل واراد بذلك قتل ابايهم الانبيا عليهم السلام وقال بعضهم معنى الاية ولقد خلقناكم في بطون امهاتكم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم لحما ثم صورناكم الحسن والذميم والطويل والقصير وصورنا لكم عظاما من العين والانف والاذن واليد والرجل واشباه ذلك ه قوله تعالى ثم قلنا للملائكة قال الاخفش معنى ثم ها هنا معنى الواو اي وقلنا للملائكة اسجدوا لادم سبق خلقنا وتصويرنا وهذا كما قال الله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة الى قوله ثم كان من الذين امنوا معناه وكان من الذين امنوا وانكر سيبويه والخليل ان تكون حرف ثم بمعنى الواو ولكن يكون للتراخي ويجوز ان يكون معنى ثم ها هنا للتراخي من حيث الاخبار دون تراخي الحالة ه

قوله عز وجل قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين ه قيل معنى الاية ما منعك ان تسجد ولا زايدة في الكلام كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب معناه ليعلم وقيل ان لا ها هنا صلة موكدة للجحد كانه قال ما منعك من السجود ان لا تسجد ويقال معناه ما دعاك الى ان لا تسجد وما احوجك وما الجاك وقد علم الله تعالى ما منعه من السجود لكن مسالته اياه توبيخا له واظهارا انه معاند ركب المعصية خلافا لله عز وجل ومن خالف الله تعالى في امره ولم ير ذلك واجبا عليه فهو كافر وقوله تعالى قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ليس بجواب عما ساله الله تعالى من جهة اللفظ لان هذا الجواب جواب ايكما خير الا ان هذا جواب من جهة المعنى فان معناه ان ما منعني من السجود الا اني كنت افضل منه وكان هذا القول من اللعين تجهيلا منه لخالقه كانه قال انك فضلت الظلمة على النور وليس ذلك من الحكمة فاعلم الله تعالى انه صاغر بهذا القول ولبس الامر على ما قاله الملعون لانه راى ان جوهر النار افضل من جوهر الطين في المنفعة وليس كذلك لان عامة الثمار والحبوب والفواكه من الطين وكذلك الملابس كلها لا تحصل الا من الطين وعمارة الارض من الطين وهو موضع القرار عليه لا يستغنى عنه في حال من الاحوال واما النار ففي الخراب وان كان فيها بعض المنافع وان راى ان جوهر النار اشرف من جوهر الطين لفضيلة جوهر النار في نفسه فليس لاحدهما شرف على الاخر من هذا الوجه وانما كان الشرف لاكتساب الفضيلة ولا يوجد ذلك في واحد من الجوهرين وقوله تعالى قال فاهبط

منها فقيل معناه اهبط من الجنة ويقال اهبط من السماء فما يكون لك ان تتكبر في الجنة ولا في السماء فان
ذلك ليس بموضع المتكبرين ويقال معناه فاهبط منها اخرج من الارض والحق بجزائر البحور وهذا كقول
الرجل هبطت الى الارض من كذا ولم يرد من مكان الى مكان وقوله تعالى فما يكون لك ان تتكبر
فيها معناه على هذا القول ليس لك ان تتعظم في الارض على بني ادم فاخرج انك من الذليلين فقال انه لا يتعظم
الا في جزائر البحور ولا يدخل الارض الا كهيئة السارق وعليه اطمار يروغ فيها حتى يخرج منها ٥ **قوله
عز وجل** قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين ٥ معناه قال ابليس حين خشي ان
يعاجله الله بالعقوبة اجلني وامهلني واخر جزاي الى يوم يبعثون من قبورهم قال الله تعالى انك من المنظرين
اي من المؤجلين وهذا ليس باجابة له الى ما سال لان الله تعالى اخبر في هذه الاية انه من المنظرين وابهم
الوقت وبينه في اية اخرى وهو قوله تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال عبد الله بن عباس
اراد الخبيث بقوله انظرني الى يوم يبعثون انه لا يذوق الموت في النفخة الاولى مع من يموت فابى الله تعالى
ان يعطيه ذلك فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني الى النفخة الاولى يموت حينئذ اهل السموات
والارض ويموت ابليس معهم وبين النفخة الاولى والثانية اربعين سنة وقد اختلفوا في ان الله تعالى هل
يجيب دعوة الكافر ام لا قال بعضهم لا يجيب لان اجابة الدعا تكون تعظيما للداعي ولهذا يمدح الانسان
بانه مجاب الدعوة ولا يحسن من الله تعالى ان يعلم احدا مدة حيوته لما في ذلك من الاغرا بالمعاصي وكيف
يجوز ان يجيب الله تعالى ابليس الى ما سال ولم يكن سواله على جهة التضرع والتخشع والرغبة الى الله
تعالى وانما سال ليغوي الناس ويضلهم وقال بعضهم يجوز اجابة الكافر استدراجا واستصلاحا
له او لغيره ولا يكون اجابة الكافر تعظيما له بوجه من الوجوه **قوله عز وجل** قال فبما
اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ٥ قال عبد الله بن عباس معناه فبما اضللتني عن الهدى
لاقعدن لهم على طريقك المستقيم اي لارصدن على طريق بني ادم واصدنهم عن دينك المستقيم الذي لا عوج
فيه وهذا كما يقال ضرب فلان الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وانما حمل كلمة على مضمرا لان قاطع
الطريق انما يقعد على الطريق وقال الحسن معنى اغويتني لعنتني ويقال معنى اغويتني خيبتني وقد يكون الغي بمعنى
الخيبة قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ٥ اي من يخب
على طلبته لا يعدم على الخيبة لائما لانه ذكر الغي في مقابلة قوله فمن يلق خيرا وقيل معنى فبما اغويتني بما
دعوتني الى شي غويت به وهذا كرجل يكون في قلبه ان لا يحضر باب الملك فيدعوه انسان الى حضور
بابه فيظهر العصيان في ذلك ثم يقول لذلك الرجل انك اعصيتني وعن زهير بن سليم انه قال معنى الصراط
المستقيم طريق مكة ما من رفقة تخرج اليها الا ويجهز ابليس مع كل رفقة رفيقين من الشياطين ٥
قوله عز وجل ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
ولا تجد اكثرهم شاكرين ٥ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه ان ابليس لعنه
الله قال لاتينهم من قبل اخرتهم ولاخبرنهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ومن خلفهم
اي من قبل دنياهم وامرنهم بجمع الاموال مخافة الفقر والخوف على ذراريهم من بعدهم وعن ايمانهم
اي من قبل دينهم فازين لهم ضلالتهم وان كانوا على هدى شبهته عليهم حتى اخرجهم وعن شمائلهم
اي من قبل اللذات والشهوات فازينها لهم ولا تجد اكثرهم شاكرين لنعمتك وروى اسباط عن
السدي انه قال قوله تعالى من بين ايديهم اراد به الدنيا ادعوهم اليها ومن خلفهم اراد به الاخرة اشككهم
فيها وعن ايمانهم قال الحق اشككهم فيه وعن شمائلهم قال الباطل احققه عليهم وارغبهم فيه ويقال
اراد بقوله وعن ايمانهم جهة الحسنات وعن شمائلهم جهة السيئات فان الحسنات تضاف الى اليمين
والسيئات الى الشمال كما قال الله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين وقال واصحاب الشمال ما اصحاب

الشمال

الشمال ويقال معنى الاية ثم لاحتالن في اغوائهم من كل وجه قال قتاده اتاك يا ابن ادم من كل
وجه غير انه لا يستطيع ان يحول بينك وبين رحمة ربك انما تاتيك الرحمة من فوقك وانما ذكر من في قوله
تعالى من بين ايديهم ومن خلفهم وذكر عن في قوله وعن ايمانهم وعن شمائلهم لان القدام والخلف تكون
لابتدا الغاية والغاية تذكر بحرف من واما جهة اليمين والشمال انما تكون للانحراف والانحراف يذكر
بعن فان قيل من اين علم ابليس انه لا يكون اكثر الناس شاكرين قيل فيه قولان احدهما انه ظن بهم ظنا
فوافق ظنه مظنونه كما قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وانما ظن ذلك لانه لما تمكن من استزلال ادم وحوا
عليهما السلام علم ان ولدهما اضعف منهما فيكون تمكنه من ذلك منهم اكثر والثاني انه لما راى الجنة
والنار مخلوقين علم ان لهما اهلا ويقال كان يخالط الملئكة فعلم ذلك باخبار الملئكة **قوله عز
وجل** قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين ٥ معناه
قال الله تعالى له اخرج عن الجنة ويقال من السما مذءوما اي مذموما يقال ذامت الرجل اذا ذممته ذاما
اذا عبته وذممته والذام والذيم شدة العيب وقوله تعالى مدحورا اي مبعدا مقصيا من الخير والرحمة والدحر
الدفع على وجه الهوان والصغار واللام في قوله لمن تبعك لام القسم دخلت على لفظ الشرط والجزا بمعنى التاكيد
والمبالغة كانه قال عز من قايل من اتبعك لانا من في تعذيبه على باشد بلا فذلك قوله تعالى لاملان جهنم
منكم اجمعين ٥ **قوله عز وجل** ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ٥ معناه وقلنا يا ادم اسكن وهذا امر بالسكنى
دون السكون وفي قوله تعالى وزوجك بغير حرف الثا ما يدل على ان المراد به زوجتك لان الاضافة
اليه دليل على ذلك وحذف التا احسن مما فيه من الايجاز من غير اخلال بالمعنى واما الجنة التي اسكنهما الله
تعالى فيها فهي جنة الخلد في قول اكثر اهل العلم بخلاف ما يقوله بعضهم انها انما كانت بستانا في السما غير جنة
الخلد وذلك لان الله تعالى عرف الجنة بالالف واللام على جهة التشريف وكان المراد بها الجنة المعروفة كما
ان المراد بقوله يا ايها الرسول الرسول المعروف لما في ذلك من التعريف بالالف واللام على جهة التشريف وكما
اذا ذكر السما في القران كان السما المعروف دون بعض السقوف وقوله فكلا من حيث شئتما معناه من
اي موضع شئتما موسعا عليكما وقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة اي لا تقرباها للاكل الا انه حذف ذكر الاكل
لان في الكلام ما يدل عليه من حيث هذا معطوف على قوله تعالى فكلا ومن حيث وقع العتاب على الاكل
بعد ذلك وقد تقدم في سورة البقرة ان هذه الشجرة اي شجرة كانت وقوله تعالى فتكونا من الظالمين
يجوز ان يكون منصوبا لانه جواب النهي ويجوز ان يكون مجزوما بالعطف على النهي ومعناه فتصيرا
من الضارين بانفسكما **قوله عز وجل** فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما
من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين ٥ معناه زين لهما ابليس الاكل من الشجرة ليظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما والوسوسة
القا المعنى الى النفس بصوت خفي والفرق بين وسوس له ووسوس اليه ان معنى وسوس له اوهمه ومعنى
وسوس اليه القى اليه وكان يجوز في القراة ما اوري عنهما بالالف الا ان في المصحف ما ووري فالقراه
سنة متبعة وانما سميت العورة سوءة لانها يسوء الانسان انكشافها ولهذا اذا بولغ في صفة القبيح قيل
سوءة سوا وقوله تعالى ما نهاكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين يعلمان الخير والشر وان لم تكونا
ملكين تكونا من الخالدين لا تموتان وقرا بعضهم ملكين بكسر اللام استدلالا بقوله تعالى هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى فان قيل كيف اوهمهما انهما اذا اكلا من تلك الشجرة تغيرت صورتهما الى صورة
الملك ويزاد في حياتهما قيل فيه قولان احدهما انه اوهمهما ان من حكم الله تعالى ان من اكل
من تلك الشجرة صار ملكا او ازداد حياته والثاني انه لم يطمعهما في ان تغير صورتهما كصورة الملك

وانما اطمعهما في ان تصيرا من لهما منزلة الملك في العلو والرفعة **قوله عز وجل** وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ه في ما اقول وانما قال قاسمهما على لفظ المفاعلة لانه قابلهما بالحلف وهذا كما يقال عاقبت اللص وناولت الرجل والنصح ارشاد الغير الى الشيء مع ارادة الخير له **قوله عز وجل** فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ه قال بعضهم معناه حطهما من الاعلى الى الاسفل كما يقال فلان متدل الى الشر وذلك ان الخير عال والشر سافل وقال بعضهم معناه قربهما مما اراد من الدلية وهي الدلو ماخوذ من ادلاء الدلو واما قوله تعالى بغرور والغرور ما تقدم ذكره من قوله لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وفي بعض الروايات ان ادم عليه السلم كان يقول وقت توبته في بعض مقالته ما ظننت يا رب ان احدا يجترى فيحلف باسمك كاذبا وقوله تعالى فلما ذاقا الشجرة دليل انهما لم يبالغا في الاكل ولكن كما وصل الى جوفهما تهافت عنهما لباسهما فظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه فاستحييا وطفقا يخصفان عليهما اي عمدا واخذا يلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين ومعنى الخصف الزاق بعضه على بعض كما يعمل الخصاف الذي يرقع النعل ويجوز في القراة يخصفان بكسر الخا وفتحها مع تشديد الصاد بمعنى يختصفان ومعنى طفقا اخذا في العمل يقال بات يفعل كذا اذا فعل بالليل وظل يفعل كذا اذا فعل بالنهار وطفق يفعل كذا اذا فعل في اي وقت كان وفي الاية بيان ان التكشف قبيح من لدن ادم عليه السلم وعن هذه الاية قال بعض الحكما ان للمعصية شوم يفضح صاحبها ويجعله عريانا كما فعل بادم عليه السلم واما قوله تعالى وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة ظاهر المراد وقوله تعالى واقل لكما الى ان قال لكما ان ابليس لكما عدو مبين وقد ابان عداوته لكما وقد ذكرنا في سورة البقرة ان هذا الاكل كان منهما معصية صغيرة في جنب ما كان منهما من الطاعات ه **قوله عز وجل** قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ه معناه انهما اعترفا بالخطية على انفسهما وقالا ان لم تتجاوز عن ذنوبنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين بالعقوبة فتاب الله تعالى عليهما كما قال جل ذكره في سورة البقرة فتلقى ادم من ربه كلمات الى اخر الاية فانما قالا ظلمنا انفسنا وان كانت معصيتهما وقعت مغفورة لان من شان الصالحين اذا ندرت منهم معصية ان يبادروا الى التوبة لانهم ان لم يتوبوا منها كانوا مصرين عليها والاصرار على المعصية معصية اخرى **قوله عز وجل** قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين ه معناه قال الله تعالى اهبطوا من الجنة الى الارض في حال عداوة بعضكم لبعض ولكم في الارض موضع قرار ومنفعة الى منتهى الاجال ه **قوله عز وجل** قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ه معناه قال في الارض تعيشون وفي الارض تقبرون ومن الارض تخرجون من قبوركم **قوله عز وجل** يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انزل الله تعالى المطر من السما فكانت الكسوة منه يعني ان لباسهم من نبات الارض من القطن والكتان وهو من ماء السما وما يكون من الكسوة من اصواف الانعام فقوام الانعام ايضا من ماء السما فذلك قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم اي يستر عوراتكم وانما قال انزلنا لان البركات كلها تضاف الى السما كما قال وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وان كان الحديد يستخرج من المعادن وقوله تعالى وريشا فيه قراتان احداهما هذه والثانية ورياشا ومعنى الريش كل ما يستتر به الرجل في جسمه ومعيشته يقال تريش فلان اذا صار له ما يعيش به ومن ذلك ريش الطاير وانشد سيبويه

فريشي منكم وهواي معكم وان كانت زيارتكم لماما ه ويقال معنى الريش ما يتاثث به من متاع البيت ويقال هو الزينة واما قوله تعالى ولباس التقوى من قرا ولباس بنصب السين فهو معطوف على قوله تعالى لباسا يواري سوآتكم وريشا ومن قرا بالرفع على الابتدا واختلفوا في لباس التقوى قال ابن جريج وقتادة والسدي لباس التقوى العمل الصالح لانه يقي من العذاب والعقاب كانه قال لباس التقوى خير من الثياب لان الفاجر وان كان حسن الثياب فانه بادي العورة قال الشاعر

اني كاني ارى من لا حيا له ولا امانة وسط القوم عريانا ه

فيقال لباس التقوى ما يلبس من الثياب للتواضع والخشوع مثل الصوف والثياب الخشنة هو خير من لباس التكبر وقال بعضهم معنى قوله تعالى ولباس التقوى ان يستر العورة لباس المتقي وهو خير من العري وقوله تعالى ذلك من آيات الله معناه ان الله انزل اللباس من دلايل الله تعالى على اثبات وحدانيته ونعمه لعلهم يذكرون اي لكي يتعظوا فيعرفوا ان ذلك كله من الله عز وجل وذهب بعض اهل الاشارة الى ان قوله تعالى يا بني ادم تنبيه كانه يا اولاد المذنبين والمقصرين لا تنظروا الى نفوسكم ولا تغتروا بلباسكم وثيابكم وبالله التوفيق ه **قوله عز وجل** يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ه معنى الاية لا يضلنكم الشيطان بالدعا الى الغي والمعصية كما استنزل ابويكم ادم وحوا من الجنة بتسبب في نزع لباسهما بحملهما على المعصية وقوله تعالى ليريهما سوآتهما اي ليظهر لهما عوراتهما ان ذلك يغطيهما والفتنة المحنة بالدعا الى المعصية على وجه الشهوة وانما اضاف الاخراج من الجنة الى الشيطان لان ذلك كان بوسوسته واغوايه واختلفوا في لباسهما في الجنة فقال بعضهم كان ثوبا من ثياب الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان لباسهما من الظفر واراد به انه كان يشبه الظفر في انه كان مخلوقا عليهما خلقة الظفر كما روي ان لباس موسى عليه السلم في التيه كان من الظفر وقال وهب بن منبه كان لباسهما من النور فان قيل ما معنى لا يفتننكم الشيطان وكيف يصح نهي الانسان عن فتنة الشيطان قيل ليتحرز عن فتنته اي كونوا على حذر من ذلك فانه عدو لكم وهذا اللفظ ابلغ من ان يقول لا تسلو افتنة الشيطان واما قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله فمعناه ان الشيطان ونسله يرونكم وانتم لا ترونهم وانما قال هذا لانا اذا لم نرهم لم نعرف قصدهم بالكيد والاغوا حتى نكون على حذر فيما نخاف من نفوسنا ومن وساوسه وفي هذا بيان ان احدا من البشر لا يرى الجن خلاف ما يقول بعضهم ان منا من يراهم وانما لا يراهم البشر لانهم اجسام رقيقة يحتاج في رويتها الى فضل شعاع والله تعالى لم يعطنا من الشعاع قدر ما يمكننا ان نراهم واما هم فانهم يروننا لانهم يرى بعضهم بعضا مع انهم اجسام رقيقة فلان يرونا مع انا اجسام كثيفة اولى وذهب بعض الناس الى انه يجوز ان يراهم البشر بان يكثفوا اجسام انفسهم قالوا وهم ممكنون من ذلك وقيل ان هذا لا يصح لانهم لو امكنهم ان يكثفوا الاجسام انفسهم لامكنهم ان يكثفوا اجسام غيرهم وقوله تعالى انا جعلنا الشياطين اوليا للذين لا يومنون معناه جعلناهم قرنا للذين لا يقرون ولا يصدقون وسوينا بينهم وبين الكفار في الذهاب عن الله عز وجل كما قال سبحانه المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وقال عز من قايل والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض والمراد بالجعل الاختبار والحكم كما في قوله تعالى وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي حكموا بهم بالاختيار والحكم ويقال معناه جعلنا الشياطين اوليا بالتخلية بين الشياطين وبين الذين لا يومنون كقوله انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي ارسلناهم عليهم بالتخلية بينهم وبينهم **قوله عز وجل** وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ه معناه والله اعلم ان كفار مكة كانوا اذا فعلوا معصية عظيمة فيها تحو طوافهم بالبيت عراة وتحريمهم ما احل الله

تعالى من البحيرة والسايبة والوصيلة والحامي قالوا وجدنا على هذا اباءنا واسلافنا وهذا دينهم والله تعالى
امرنا بهذه الاشيا قل لهم يا محمد ان الله تعالى لا يامر بالمعاصي وقوله اتقولون على الله استفهام بمعنى الانكار
على جهة الزام الحجة لانهم ان قالوا نقول على الله تعالى ما لا نعلم فضحوا انفسهم وان قالوا لا نقول على الله تعالى ما
لا نعلم لزمتهم الحجة لانهم لم يكن عندهم حجة على ما قالوا قال الحسن رضي الله عنه كان اهل الشرك في
الجاهلية اهل اجبار وكانوا يقولون لو كره الله تعالى منا ما نحن عليه لنقلنا الى غيره **قوله عز وجل** قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما
بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من
دون الله ويحسبون انهم مهتدون ۵ معناه قل امر ربي بالعدل والصواب واصل القسط العدول
الا انه اذا كان عدولا الى الحق كان عدلا كما قال الله تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين واذا كان
عدولا الى الباطل كان جورا كما قال واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى واقيموا وجوهكم
عند كل مسجد قال مجاهد والسدي توجهوا الى القبلة في الصلوة عند كل مسجد وهذا يدل على وجوب
فعل المكتوبات في الجماعة وقد روي في الخبر ما يدل على ذلك نحو قوله صلى الله عليه وسلم من سمع الندا فلم
يجب فلا صلاة له وقوله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان امر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى اقوام يتخلفون
عن الجماعات فاحرق عليهم بيوتهم وقوله صلى الله عليه وسلم بشر المشايين في ظلم الليالي الى المساجد بالنور
التام يوم القيمة وفي رواية بشر المشايين وقال الربيع بن انس معنى اقيموا وجوهكم عند كل مسجد اخلصوا
وجوهكم لله تعالى في الطاعة ولا تشركوا به وثنا ولا غيره وقال الكلبي معناه اذا حضرت الصلوة
وانتم في مسجد فصلوا لله فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي وقيل اراد بالمسجد وقت كل صلوة وقوله تعالى
وادعوه مخلصين له الدين فمعناه اعبدوه مخلصين له الطاعة والعبادة والاخلاص هو اخراج الشايب
من كل غش ومنه قولهم ذهب خالص وفضة خالصة وقوله تعالى كما بداكم تعودون قال عبد الله
بن عباس معناه خلقكم حين خلقكم مومنا وكافرا وشقيا وسعيدا فكما خلقكم فكذلك تعودون اليه
يوم القيمة فريقا هدى وهم المومنون علم الله تعالى منهم ان يومنوا وفريقا حق عليهم الضلالة وهم اهل الكفر
وقيل معناه كما بداكم في الخلق الاول تعودون اليه في الخلق الثاني كما روي في الحديث يحشر الناس حفاة
عراة وقيل معناه تعودون في الاخرة على ما متم عليه في الدنيا ان متم على الكفر وان متم على الايمان فعلى
الايمان وقوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين اولياء بطاعتهم لهم فيما دعوهم اليه ويظنون انهم على الهدى
وفي هذا دليل ان الكافر اذا لم يعلم انه كافر لم يخرج من ان يكون كافرا لان عليه ان يتبع الحجة قال الله جل
ذكره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا **قوله عز وجل** يا بني ادم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وذلك ان اهل الجاهلية كانوا
يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في الثياب التي اذنبنا فيها ودنسناها بالذنوب وقيل كانوا
يتعرون عن الثياب تفاولا للتعري عن الذنوب فكانت المراة منهم تطوف عريانة بالليل الا انها
كانت تتخذ سيورا مقطعة تشدها في حقويها تسمى العرب ذلك الرهط وكانت السيور لا تسترها سترا
تاما كما حكي ان امراة كانت تطوف بالبيت وعليها رهط وكانت تقول اليوم يبدو بعضه او كله
وما بدا منه فلا احله وكان الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة يصلون ويطوفون في ثيابهم وكانوا لا
ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في ايام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول الله
نحن احق ان نفعل ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها البسوا ثيابكم عند كل مسجد وفي هذا دليل ان ستر
العورة فرض في الصلوة ولولا ذلك لم يكن لذكر المسجد في الاية فايدة ويدل على ذلك من جهة السنة قوله صلى الله
عليه وسلم لا يقبل الله صلوة حايض الا بخمار واراد بالحايض التي بلغت مبلغ ان تحيض وبهذه الاية امر الانسان

ان يلبس

ان يلبس احسن ثيابه في الاعياد والجمع قال مجاهد رحمه الله هذا امر بلبس الثياب في الصلوة ولو بعباءة
وقوله تعالى وكلوا واشربوا معناه كلوا اللحم والدسم واشربوا من البان السوايب والبحاير ولا
تسرفوا اي لا تجاوزوا الى تحريم ما احل الله تعالى لكم والاسراف مجاوزة حد الاستوا فتارة تكون بمجاوزة
الحلال الى الحرام وتارة تكون بمجاوزة الحد في الانفاق وتارة ان ياكل الانسان فوق الشبع فيودي
ذلك الى الضرر قال بعض الاطبا وجدت الله تعالى جمع الطب كله في هذه الاية واما قوله انه لا يحب المسرفين
معناه ان الله تعالى لا يرضى عملهم ولا يثني عليهم وقد روي انه لما انزل الله عز وجل هذه الاية فطاف المسلمون
في ثيابهم واكلوا اللحم والدسم عيرهم المشركون بذلك فانزل الله عز وجل **قوله** قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم
القيمة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون ۵ معناه قل يا محمد من حرم الثياب التي تتزين بها الناس ومن
حرم المستلذات من الرزق وقيل اراد بالطيبات الحلال من الرزق وقوله تعالى قل هي للذين امنوا في
الحيوة الدنيا معناه هي للمومنين في الحيوة الدنيا مشتركة يشترك فيها البر والفاجر والمومن والكافر وهي
للمومنين خالصة يوم القيمة لا يشركهم غيرهم فيها وقال بعضهم هي للمومنين في الحيوة الدنيا غير خالصة من
الهموم والاحزان والمشقة قرا نافع خالصة بضم التا على الخبر بعد الخبر واما قراءة الباقين بالنصب على الحال لان
قوله تعالى في الحيوة الدنيا في تاويل الحال كانه قال ثابتة للمومنين مستقرة في الدنيا خالصة يوم القيمة وقال
مقاتل في الاية تقديم وتاخير معناه قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق في الحيوة الدنيا
قل هي للذين امنوا خالصة يوم القيمة وقوله تعالى كذلك نفصل الايات معناه كما فصلنا لكم الدلايل والاوامر
والنواهي هكذا نفصلها لقوم يفقهون امر الله تعالى ثم بين جل ذكره ما حرم عليهم فقال عز من قايل
قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون ۵ معناه ان كنتم تتحرجون عن الثياب التي قارفتم فيها الذنوب فتحرجوا عن
الذنوب فان الله تعالى حرم عليكم الذنوب ولم يحرم عليكم الثياب ولا الطيبات واما الفواحش فهي الكباير
ما ظهر منها اي علانية وما بطن يعني سرا والاثم يتناول كل ذنب وان لم يكن فيه حد وفايدة ذكر الاثم بيان
ان التحريم غير مقصور على الكباير والبغي يتناول الاقدام على الغير بغير حق لان تحريم القتل والقهر قد يزول
بسبب من الاسباب كما قال الله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله تعالى وان تشركوا
بالله معناه وحرم عليكم ان تشركوا بالله ما لم ينزل به عذرا ولا حجة ثم ختم جل ذكره ما يصير جامعا للمحرمات
كلها وهو تحريم القول الذي لا علم لقايله به وقيل اراد بقوله ما ظهر منها التعري عن الثياب في الطواف وقوله
تعالى وما بطن الزنا وبالاثم كل المعاصي وبقوله تعالى والبغي طلب الترؤس على الناس بالقهر والاستطالة عليهم
بغير حق **قوله عز وجل** ولكل امة اجل فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
تخويف ووعيد لهم معناه لكل اهل دين مهلة ولكل وقت موقت فاذا انقضت مهلتهم لا يستاخرون
من بعد الاجل ساعة ولا يستقدمون الاجل وليس ذكر الساعة في الاية على وجه التحديد فانهم لا يستاخرون
ولا يستقدمون ساعة ولا اقل من ساعة ولكن ذكرت لانها اقل اسما الاوقات بين الناس وقيل اراد
بالامة اهل كل عصر لانهم يتقاربون في الاعمار وفي الاية دلالة على بطلان القول بان الانسان يقتل قبل
اجله ويقطع عليه اجله اذا قتل ظلما فان قيل لم جاز فاذا جا اجلهم لا يستقدمون وكيف يطلب الانسان
التقدم على وقت عند مجيه قيل معناه اذا قرب اجلهم لا يستقدمون كما يقال اذا جا الصيف وجا الشتا اذا
قرب مجيه فان قيل لم قال ولا يستاخرون ولم يقل يتاخرون قيل معناه لا يطلبون التاخر من ذلك الاجل الياس عنه
قوله عز وجل يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ۵ معناه يا بني ادم ان ياتكم رسل من جنسكم يقرون ويعرضون عليكم كتابي وكلامي

فمن اتقى الله تعالى واتبع الرسل واصلح العمل فلا خوف عليهم حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا ثم بين جل ذكره عقوبة من لا يتقي فقال عز من قايل والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ٥ وهذا ظاهر المراد والاستكبار رفع النفس فوق منزلتها

قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ٥ معناه لا احد اشد ظلما ممن اختلق على الله باطلا او كذب بالاعلام التي تدل على توحيده ونبوة انبيائه ولفظ فمن اظلم لفظ استفهام والمراد به الاخبار وانما الاخبار على وجه الاستفهام ليرد المخاطب الى نفسه فلا يجد جوابا الا هذا وقوله تعالى اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي نصيبهم حظهم مما قضى الله تعالى عليهم في الكتاب وهو سواد الوجوه وزرقة الاعين كما قال الله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال عز من قايل ولكن حقت كلمة العذاب على الكفرين وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم معناه اذا جاءتهم ملئكة العذاب بعد انا في الاخرة كما قال الله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فتقول لهم الملئكة وهم خزنة جهنم اين ما كنتم تدعون من دون الله ويقال المراد بقوله نصيبهم من الكتاب رزقهم واجلهم في الدنيا الى وقت مجي ملك الموت واعوانه بقبض ارواحهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله اي تقول لهم الرسل اين ما كنتم تعبدون من دون الله يقولون ذلك لهم توبيخا وتبكيتا لهم وحسرة عليهم وسرورا للمؤمنين فيقول الكفار عند ذلك ضلوا عنا اي ذهبت الاصنام عنا فلم يقدروا لنا على نفع ولا على دفع ضر وشهدوا على انفسهم اي اقروا على انفسهم انهم كانوا كافرين في الدنيا قال مقاتل يشهدون على انفسهم بعد ما شهدت عليهم الجوارح بما كتمت الالسن

قوله عز وجل قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ٥ معناه قال لهم الله تعالى ادخلوا النار مع امم قد مضت من قبلكم من الجن والانس في النار وهذا كقوله تعالى فادخلي في عبادي اي مع عبادي وقوله تعالى حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي بدا بالاول فالاول فاول من بدا به قابيل بن ادم وولده حتى اذا تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا يعني القادة والاتباع قالت اخراهم لاولاهم اي قالت اخر الامم المكذبة لاول الامم ربنا هؤلاء يعنون الروس والمقدمين اضلونا عن الهدى بالقاء الشبهة علينا فاتهم عذابا ضعفا في النار اي زد في عذابهم واجعل عذابهم مضاعفا من ما علينا قال الله تعالى لكل من الاولين والاخرين ضعف من العذاب ولكن لا تعلمون ايتهم شدة ما عليهم ومن قرا لا يعلمون بالياء معناه لا يعلم كل فريق منكم مقدار عذاب الفريق الاخر

قوله عز وجل وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون معناه وقالت اول الامم لاخر الامم والمتبوعون للتابعين لم يكن لكم علينا فضل في شي حتى تطلبوا من الله تعالى ان يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم اذ كان عليكم ان تنظروا وتتعرفوا الحق كما كان ذلك علينا فنحن وانتم سواء وقوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يجوز ان يكون من قول الاولين للاخرين ويجوز ان يقول الله لهم ذلك

قوله عز وجل ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ٥ معناه ان الذين كذبوا بحججنا واعلامنا التي تدل على توحيد الله عز وجل وعلى نبوة انبيائه وتعظموا عن الايمان بها لا تفتح لارواحهم ابواب السماء اذا ماتوا هوانا لهم وتفتح للمؤمنين كرامة لهم ويقال معنى قوله لا تفتح لهم ابواب السماء لا تفتح لاعمالهم ابواب السماء لانهم ليس لهم عمل صالح فيقبل ولكن تهوي بعملهم الى

الارض السابعة فيرقم في الصخرة التي تحت الارضين كما قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم وفي قوله تعالى لا تفتح قراءتان قرا الاكثرون لا تفتح بالتاء المشددة لانه راجع الى الجماعة الابواب وقرا بعضهم لا يفتح بالتخفيف والياء لان تانيث الابواب ليس بحقيقي وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل معناه لا يدخلون الجنة ابدا كما لا يدخل البعير في خرت الابرة وهذا مثل في الدلالة على ياس الكفار من دخولهم الجنة لان العرب اذا ارادت تاكيد النفي علقته بما يستحيل كونه كما قال الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب ٥ والخياط والمخيط معنى واحد كما يقال ازار ومئزر وقرام ومقرم وعن ابن مسعود رضي الله عنه سيل عن الجمل فقال زوج الناقة كانه استجهل من ساله وتعجب منه وفي قراءة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حتى يلج الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وهو القلس حبل السفينة واما قوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين معناه كما جزينا هؤلاء كذلك نجزي المشركين ٥

قوله عز وجل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين معناه لهم من جهنم فراش من النار يضطجعون ويقعدون فيه ومن فوقهم غواش اي غاشية فوق غاشية كما قال جل ذكره في موضع اخر لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والاصل في قوله تعالى غواش غواشي باثبات الياء مع الضمة جمع غاشية وهو في موضع رفع عطفا على مهاد الا ان الضمة حذفت لثقلها فادخلت النون عوضا منها من ذهاب حركتها قال الخليل وسيبويه الحركة التي في غواش ليست بتنوين وان كانت تشبه التنوين ولكنها بدل من الياء المحذوفة لان غواشي فواعل والفواعل لا ينصرف ويقال لنحو هذا تنوين عند حذف الياء منها وقوله تعالى وكذلك نجزي الظالمين تاكيد للوعيد وزيادة في الانذار والتخويف والظالمون هم الكفرون

قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ٥ معناه والذين اقروا بالله ورسله وعملوا الطاعات المفروضة في ايمانهم بوسعهم لا نكلف نفسا الا ما يسع له قدرتها اولئك اصحاب الجنة هم فيها مقيمون دايمون

قوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ٥ معناه ونزعنا ما في صدورهم من الاحقاد بان لطفنا بهم حتى تآخوا منها وعزلناهم ويقال معناه القينا التواد في قلوبهم في الاخرة حتى لا يحسد بعض اهل الجنة بعضا بان يراه ارفع درجة منه وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار استيناف على القول الاول وهو في موضع الحال على القول الثاني كانه قال تجري من تحت تحرهم وغرفهم الانهار في حال نزعنا الغل عن قلوبهم قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية في ابي بكر وعمر وعثمن وعلي وطلحة والزبير وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وابي ذر الغفاري نزع الله سبحانه في الاخرة ما كان في قلوبهم في الدنيا من العداوة والغل الذي كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر الذي اختلفوا فيه فيدخلون اخوانا على سرر متقابلين قال واول ما يدخلون الجنة يعرض لهم عينان يشربون من احدى العينين فيذهب الله تعالى ما في قلوبهم من غل ثم يدخلون العين الاخرى فيغتسلون فيها فتشرق الوانهم وتصفو وجوههم ويلبسون الحلل والنور ويطيب الله نعيمهم به فعند ذلك يقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا اي ارشدنا الى ما صرنا اليه حتى شربنا واغتسلنا من العينين وفي قوله تعالى وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله قرا ابن عامر ما كنا بغير الواو وقرا الباقون بالواو ومعناه ما كنا لنهتدي الى هذا الذي اكرمنا الله تعالى به لولا ان هدانا الله تعالى وقوله تعالى لقد جاءت رسل ربنا بالحق شهادة منهم بتبليغ الرسل الحق لهم اي جاءوا بالصدق فصدقناهم وقوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها نادتهم الملئكة ان هذه الجنة تلك التي وعدتم بها في الدنيا ويجوز ان يكون ان ها هنا في معنى تفسير للنداء اي قيل لهم هذه تلكم

خففت المعنى ونودوا انه تلكم الجنة وذهب بعضهم الى انه يقال لهم ذلك حين يعاينون الجنة قبل ان يدخلوها فيكون قوله تلكم اشارة الى ما يرونه كما يقول لمن تراه ذلك اخوك ولو قلت هذا الرجل اخوك لانه يراك جاز لان هذا وهو لما قرب منك وذاك وتلك لما بعد بانته او لم تره وقوله تعالى اورثتموها معناه انزلتموها كما يرث مال الميت بعده وقال الحسن رضي الله عنه معناه اورثتم مساكن بابكم الذين ماتوا على الكفر من الجنة وقوله تعالى بما كنتم تعملون اى باعمالكم في الدنيا وروى في الخبر انه يقال لهم يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم **قوله عز وجل** ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ٥ وذلك حين يستقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويقال حين تفتح ابواب الجنان وابواب النيران ينادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب والكرامة حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا قالوا نعم فاعترفوا على انفسهم في وقت لا ينفعهم الاعتراف وفي قوله عز وجل نعم قراءتان قرا الكسائى وحده نعم بكسر العين في جميع القران وقرا الباقون بالنصب وهما لغتان وانما سال اهل الجنة اهل النار بهذا السؤال لان الكفار كانوا يكذبون المومنين في ما يدعون لانفسهم من الثواب ولهم من العقاب فيسالهم المومنون في الاخرة هذا السؤال تبكيتا لهم ليكون ذلك حسرة للكافرين وسرورا للمومنين وقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم روى في الخبر انه ينادى مناد بين الجنة والنار يسمعه الخلائق كلهم ان رحمة الله تعالى على المحسنين وان لعنة الله تعالى على الظالمين والظالمون هم الكافرون وقرا بعضهم ان لعنة الله بتخفيف ان وضم التاء على معنى بنفسين لندا **قوله عز وجل** الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون ٥ معناه هم الذين يصدون عن الدين الذي هو طريق جعله الله تعالى الى جنته وقوله تعالى ويبغونها عوجا معناه يطلبون لها غيرا ويبغونها بالقاء الشبهة التي يلبسون بها على الناس فيكون قوله عوجا مفعولا اى يفعلون هذا الغرض وهم بالاخرة اى بالبعث بعد الموت جاحدون **قوله عز وجل** وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ٥ معناه وبين الجنة والنار سور يحجب بين الفريقين كما قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقوله تعالى وعلى الاعراف رجال معناه وعلى اعالى السور يقال لكل عال عرف وجمعه اعراف ومنه عرف الديك وعرف الفرس ويقال رجال على معرفة اهل الجنة واهل النار يعرفون كلا بسيماهم اى يعرفون اهل الجنة ببياض الوجوه واهل النار بسواد الوجوه قال عبد الله بن عباس هولاء اصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فلم يكن لهم حسنات فاضلة يدخلون بها الجنة ولا سيئات فاضلة يدخلون بها النار فوقفوا على السور بين الجنة والنار يعرفون الكل بسيماهم فمن دخل الجنة عرفوه ببياض وجهه اغر محجلا من اثر الوضوء ضاحكا مستبشرا ومن دخل النار عرفوه بسواد وجهه وزرقة عينه وقال الحسن هولاء الرجال فضلاء المومنين الذين هم شهداء الله على الخلق باعمالهم وعن ابي مجلز انه قال هم الملائكة فبلغ ذلك مجاهد فقال كذب ابو مجلز يقول الله عز وجل وعلى الاعراف رجال فقال ابو مجلز هم الملائكة ليسوا باناث وصورتهم صورة الرجال واما قوله عز وجل ونادوا اصحاب الجنة معناه ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اصحاب الجنة قالوا لهم سلام عليكم فرد عليهم اهل الجنة السلام وقوله تعالى لم يدخلوها اى لم يدخل اصحاب الاعراف الجنة وهم يطمعون في دخولها بان يغفر الله لهم سيئاتهم ويدخلهم الجنة بحسناتهم ويقال ما جعل الله الطمع في قلوب اصحاب الاعراف الا لكرامة يريدهم بها قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم يدخلون الجنة برحمة الله تعالى واما من قال ان اصحاب الاعراف هم الانبياء وفضلاء المومنين فمعنى قوله وهم يطمعون يتيقنون انهم يدخلونها كما قال تعالى حاكيا عن ابرهيم عليه السلم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وكان على يقين بانه يغفر له قوله

عز

عز وجل واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ٥ واذا نظر اصحاب الاعراف الى اصحاب النار دعوا الله تعالى واستعاذوا من النار فقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الكافرين في النار اى يدعون بذلك خوفا من الله تعالى لا لاجل ما اصابهم وقد روى عن مجاهد عن عبد الله بن الحرث رحمه الله انه قال في اصحاب الاعراف فيومر بهم الى نهر يقال له الحيوان ترابه الورس والزعفران وحافتاه قصب من ذهب مكلل باللولو فيغتسلون به فيزدادون كرامة وحسنا فيقال لهم تمنوا ما شئتم فيتمنون ما شاؤوا فيقال لهم لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا فهم مساكين اهل الجنة واما من يجعل اصحاب الاعراف فضلاء المومنين فانه يقول لهم انما يدعون الله تعالى بقولهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين شكرا لله تعالى ورغبة اليه في ثوابه كما قال الله تعالى قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وكما يجوز ان يدعو الانسان من الله تعالى ما لا يعلم انه يفعله لا محالة جاز ان يسال منه ما يعلم انه يفعله لا محالة كقولنا اللهم وفقنا **قوله عز وجل** ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ٥ روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان اصحاب السور ينادون قبل دخول الجنة الكبار من الكفار كالوليد بن المغيرة وابي جهل بن هشام وسائر رؤسائهم ما اغنى عنكم جمعكم في الدنيا من المال والولد وما كنتم تتعظمون عن الايمان بالله تعالى قال ثم ينظرون الى اهل الجنة فيرون فيها الضعفاء والمساكين ممن كان يستهزئ بهم كفار مكة كصهيب وسلمان وخباب وعمار وبلال واشباههم فينادون اهؤلاء الضعفاء من المسلمين هم الذين حلفتم ايها المشركون وانتم في الدنيا انهم لا ينالهم الله تعالى الجنة قال عبد الله بن عباس ثم يقول الله لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فيدخلون الجنة فان قيل كيف يصح هذا التاويل في الحجاب الذي بين الجنة والنار ومعلوم بان الجنة في السماء والنار في الارض قيل ليس من الله تعالى حال الحجاب المذكور في الاية ولا قدر المسافة ولا يمتنع ان يكون بين الجنة والنار حجاب وان بعدت المسافة وقال بعضهم وما كنتم تستكبرون اى تجمعوا للمال لتكثروا ويقال اراد بقوله ما اغنى عنكم جمعكم الجماعة الذين كانوا مجتمعين على الباطل قال مقاتل رحمه الله في تفسير هذه الاية اذا قال اصحاب الاعراف لاصحاب النار ما اغنى عنكم جمعكم قال لهم اصحاب النار واسم ما اغنى عنكم جمعكم واقسموا بالله لتدخلن معنا في النار فيقول الله عز وجل او تقول الملائكة لاهل النار اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم الى اخر الاية واما من ذهب من المفسرين الى ان اصحاب الاعراف افاضل المومنين وشهداء الله تعالى على الخلق قال ان ظاهر قوله تعالى في هذه الاية ادخلوا الجنة يقتضي ان هذا من اصحاب الاعراف يقولون لضعفاء المومنين ادخلوا الجنة وذلك ان الله تعالى يشرف اصحاب الاعراف بان يجعل اليهم التمييز بين الفريقين فيلحقهم السرور بذلك وهم على يقين من عظم منازلهم ويقال لا يمتنع ان يكون منازل اصحاب الاعراف في الجنة عالية كعلو الاعراف كما روى في الخبر ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرون الكوكب من افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما **قوله عز وجل** ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ٥ قال عبد الله بن عباس وذلك انه لما سكن اهل الجنة في الجنة وسكن اهل النار النار وحرم اهل النار الماء والثمار مع ما هم فيه من الوان العذاب نادوا اصحاب الجنة ان اسقونا شيئا من الماء او صبوا او فرغوا علينا او اطعمونا شيئا مما رزقكم الله تعالى من ثمار الجنة فيجيبهم اهل الجنة بقولهم ان الله حرمهما اى شراب الجنة وثمارها على الكافرين وانما جعل شراب الكافرين الحميم الذي يصهر به ما في بطونهم وطعامهم الضريع والزقوم والمراد بالتحريم المذكور في الاية تحريم المنع دون تحريم التعبد كما في قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اى منعناه المراضع الا ثدي امه وجاء في الخبر ان اهل

النار يستغيثون بمالك فيقول انكم ماكثون فيستغيثون بالشراب فيغاثون بماء كالمهل يشوي الوجوه
فيستغيثون بالطعام فيغاثون بالزقوم والضريع فيقبلون على الصبر فلا يغني عنهم ثم يقبلون على الجزع فلا يغني
عنهم ثم ينادون اهل الجنة يا اهل السعادة منكم الاباء والامهات والابناء والاخوات والجيران والمعارف
والاصدقاء افيضوا علينا من الماء حتى نطفئ عنا حر ما نجد من العطش او مما رزقكم الله من الطعام فناكله
لعله نطفئ عنا الجوع فلا يؤذن لاهل الجنة في الجواب مقدار اربعين سنة ثم يؤذن لهم فيقولون ان الله حرمهما
على الكافرين وفي الاية بيان ان ابن ادم لا يستغني عن الطعام والشراب وان كان في العذاب **قوله
عز وجل** الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا
لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون ه اول هذه الاية نعت للكافرين ومعناه انهم اتخذوا
دينهم بهوى انفسهم لاهين لاعبين ويقال الذين اختاروا لانفسهم دينهم الباطل واللعب والفرح والهزو وغرتهم
الحيوة الدنيا اي غرهم ما اصابوه من زينة الدنيا مع ما كانوا فيه من طول الامل ولذلك كانوا يستهزءون
بالمسلمين كما ورد في الخبر ان ابا جهل بن هشام بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يستهزئ به ان اطعمني من عنب
جنتك او شيا من الفواكه فقال ابو بكر رضي الله عنه قل له ان الله حرمهما على الكافرين وقوله تعالى فاليوم ننساهم
كما نسوا لقاء يومهم هذا معناه اليوم يعني يوم القيمة نتركهم في النار كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا
ويقال معنى قوله تعالى ننساهم نتركهم في النار كالمنسي كما اعرضوا عن العمل للقاء يومهم هذا اعراض الناسي
للشيء وقوله تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون في موضع الجر نسق على ما نسوا المعنى وبجحدهم باياتنا الدالة
على التوحيد والنبوة **قوله عز وجل** ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم
يؤمنون ه معناه جئناهم بالقران الذي اتيناه اية بعد اية وسورة بعد سورة على علم منا بان ذلك اقرب
الى التدبر وقوله تعالى هدى نصب على تقدير هاديا وذا رحمة لقوم يصدقون به انه من عند الله تعالى ه
قوله عز وجل هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت
رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا
انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ه معناه ما ينتظر اهل مكة الا عاقبة ما وعدهم الله تعالى به في
القران انه كائن منه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في الاخرة ويقال معناه هل ينظرون الا ما يؤول
اليه امرهم من البعث وقوله تعالى يوم ياتي تاويله اي يوم ياتي عاقبة ما وعدوا فيه وهو يوم القيمة يقول
الذين كفروا وتركوا العمل له في دار الدنيا قد جاءت رسل ربنا بالصدق في امر البعث بعد الموت
وكذبناهم فهل لنا من شفعاء اي يقولون هذا القول حين يرون الشفعاء يشفعون للمؤمنين فيقال لهم
ليس لكم شفيع فيقولون فهل نرد الى الدنيا فنصدق الرسل ونعمل الاعمال الصالحة فذلك قوله تعالى
فنعمل غير الذي كنا نعمل وجواب الاستفهام بالفاء يكون نصبا واما قوله تعالى قد خسروا انفسهم
معناه غبنوا حظ انفسهم من الجنة فورثهم المؤمنون وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ذهبت
عنهم الهتهم التي كانوا يفترون بها على الله تعالى انها شفعاؤهم ويقال معناه وضل عنهم حينئذ افتراؤهم
على الله تعالى **قوله عز وجل** ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم
استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا
له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ه وذلك ان الله تعالى لما عير المشركين بعبادة الاصنام بقوله
تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد من ربك الذي تدعونا
اليه فارادوا ان يجحدوا ويعنتوا في اسمه او في شيء من افعاله فانزل الله تعالى هذه الاية فتحيروا وعجزوا عن
الجواب ومعنى الاية والله اعلم ان خالقكم ورازقكم هو الله الذي ابتدا خلق السموات والارض لا على مثال
سبق فوحدوه يا اهل مكة واعبدوه واطيعوه ودعوا هذه الاصنام فانها لم تخلق سماء ولا ارضا وقوله تعالى في ستة ايام قال

عبد الله

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هي ستة ايام من ايام الاخرة اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة طول كل
يوم كالف سنة مما يعد اهل الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه هي ستة ايام من ايام الدنيا ويقال في ست
ساعات من ستة ايام من اول ايام الدنيا ولو شاء الله لخلقها في لحظة ولكنه علم عباده التاني والتدبر في
الامور فكان حدوث حادث بعد حادث ادل على عالم مدبر وامكن للمعتبر في الاعتبار ان يعتبر
حادثا بعد حادث على التدبير واما قوله تعالى ثم استوى على العرش فقد تعلقت المشبهة بظاهره وقالوا لو كان
على الله المكان فيه لا له هذه الاية وهذا باطل عند اهل السنة والجماعة لان الله تعالى كان ولا مكان
ولا يجوز عليه الحاجة والتغير عما كان ثم اختلف المفسرون في هذه الاية قال بعضهم نطوق الاستواء كما ورد
به القران ولا نكيف كما يثبت الله تعالى ولا نكيفه وهذا القول يحكى عن مالك بن انس فانه رحمه الله سئل
عن معنى هذه الاية قال الاستواء غير مجهول والكيفية غير معقول والسؤال عنه بدعة وسئل يزيد بن هرون
عن تاويله فقال تاويله الايمان به وقال بعضهم معنى استوى استولى كما يقال استوى الامير على البلد كذا
اي استولى عليه ويقال فلان قد استوى على المال والضياع اي احتوى عليها واحرزها وقد استوت الامور
لفلان لا يراد بذلك الجلوس والانتصاب قال الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
اراد بذلك بشر بن مروان واستيلاؤه على العراق بالملك الا انه قد اعتدل سدته بان قام او قعد
وقال اخر فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر وقال بعضهم ان لفظ الاستواء
في الاية كناية عن نفاذ الامر وعظم القدرة لان العادة فيما بين الناس ان الملك اذا تم تدبيره ونفذ
امره استوى على سريره فجعل الاستواء على العرش كناية عن ذلك وهذا معنى قول الحسن في هذه
الاية استوى امره على الملك وفي الاية ما يدل على صحة هذا القول لانه تعالى عقبه بقوله يغشي الليل النهار
فان قيل ما معنى دخول ثم في قوله تعالى ثم استوى على العرش وثم تكون للحادث واستيلاء الله تعالى
واقتداره وملكه للاشياء ثابت فيما لم يزل ولم يزال قيل معناه ثم رفع العرش فوق السموات واستوى
عليه وانما دخل ثم على رفع العرش وان كان متصلا في اللفظ بالاستواء لان الدلالة قد دلت من جهة العقل
على ان اقتداره على الامور ثابت فيما لم يزل وهذا كقوله عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم اي
حتى يجاهد المجاهدون منكم ونحن عالمون بهم لان الدلالة قد دلت على ان الله تعالى عالم فيما لم يزل ولا يزال
ويقال معنى ثم في هذا الموضع بمعنى الواو على طريق الجمع والعطف دون التراخي فان خلق العرش والاستيلاء عليه
كان قبل خلق السموات والارض كما قال الله تعالى في اية اخرى وكان عرشه على الماء وقد يذكر ثم بمعنى
الواو كما قال الله تعالى ثم كان من الذين امنوا ويقال معنى ثم استوى اخبر انه استوى على العرش فكان
دخول كلمة ثم للتراخي في الاخبار لا لتراخي الحال وقد روي في الخبر اول ما خلق الله تعالى القلم
فامر الله تعالى القلم ان يكتب في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة ثم خلق العرش ثم خلق حملة العرش ثم
خلق السموات والارض واما قوله تعالى يغشي الليل النهار معناه يغشي ظلمة الليل ضوء النهار ويغشي
ضوء النهار الليل لان في الكلام دليلا عليه وقد بين في اية اخرى فقال يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل [illegible] يطلبه حثيثا اي يطلب سواد الليل بياض النهار [illegible]
النهار [illegible] وكل واحد منهما في طلب صاحبه وتسييرهما ما بقيت الدنيا وانما ذكر
الطالب [illegible] الليل والنهار [illegible] والحثيث السريع في السوق
من غير فتور وقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم [illegible]
والنهار مسخرات [illegible]
مسخرات كلها [illegible] وقوله تعالى الا له الخلق والامر [illegible]
[illegible] تبارك الله [illegible]

الصادقيه الطاعة فأما الأول فهو كائن كما أمر كقوله تعالى فعال لما يريد وكما قال كن فيكون وأما الثاني فهو أمره بالإيمان به والتوحيد له والاستسلام لقضائه والجري على أوامره ونواهيه فإن فعلوا استحقوا الثواب وإن خالفوا استوجبوا العقاب وقوله تبارك وتعالى تبارك الله رب العالمين أي تعالى الله وهو ثابت لم يزل ولا يزال لأن من أصل البركة الثبوت ويقال تبارك تفاعل من البركة أي البركة كلها من الله عز وجل واسمه بركة لمن ذكره وقوله تعالى رب العالمين أي خالق الخلق أجمعين فلما وصف الله تعالى نفسه في هذه الآية ودل عباده بخلق السموات والأرض وغيرهما على وحدانيته وقدرته علمهم كيف يدعونه ويعبدونه

فقال عز من قائل **ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين** ه قال بعضهم معناه فادعوه علانية وسرا فأما التضرع من الضراعة وهي إظهار الشدة والحاجة ويقال معنى التضرع التملق والتخشع والميل في الجهات يقال ضرع يضرع ضرعا إذا مال بإصبعه يمينا وشمالا خوفا وذلا ومنه ضرع الشاة لأن اللبن يميل إليه والمضارعة المشابهة لما فيها من الميل إلى التشبيه وقوله تعالى وخفية أي ادعوه بالخضوع في السر دون العلانية فكان الله تعالى أمرنا في الدعاء أن نجمع بين أن نخفيه وبين أن نفعله على نهاية الخضوع والانقطاع إليه لأن ذلك أبعد من الرياء وهذا القول أصح من الأول على ما روي من الأخبار قال صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وعن الحسن رضي الله عنه أنه قال كانوا يجتهدون في الدعاء ولا يسمع إلا همسا وعن سالم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع يديه في الدعاء لا يردهما حتى يمسح بهما وجهه وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمعهم يرفعون أصواتهم فقال يا أيها الناس إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا وقد قال الله تعالى لعبد صالح رضي دعاءه إذ نادى ربه نداء خفيا وفي هذا كله دلالة على أن إخفاء التأمين بعد قراءة الفاتحة أفضل من إظهاره وقوله تعالى إنه لا يحب المعتدين معناه أنه لا يحب المتجاوزين روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إياكم والاعتداء في الدعاء فإن الله لا يحب المعتدين واختلفوا في الاعتداء في الدعاء فقال بعضهم هو أن تدعو باللعنة والخزي فيقول لعن الله فلانا وأخزى الله فلانا أو يدعو بما لا يحل فيها ويرجع العبودية وقال بعضهم هو أن يسأل لنفسه منزلة الأنبياء صلوات الله عليهم أو يسأل الله تعالى شيئا من حكمته أن لا يفعله في الدنيا ويقال هو أن يقول أسألك بحق جبريل وبحق الأنبياء أن تعطيني كذا وكذا ويقال هو أن يدعو بالصياح وقيل هو كفعل بعض القصاص يا رب شدد بداله وقيل أن يعمل عمل الفجار ويسأل منازل الأبرار

قوله عز وجل **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين** ه معناه لا تعملوا في الأرض بالمعاصي بعد ما عمل فيها بالحلال قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كانت الأرض قبل أن يبعث النبي فاسدة وفسادها في عملهم بالمعاصي وسفك الدماء والدعاء إلى غير عبادة الله تعالى حتى بعث إليها الرسول فأمر بالحلال ونهى عن الحرام فصلحت الأرض بالطاعة ويقال معنى الآية لا تجوروا في الأرض فتخربوها لأن الأرض قامت بالعدل وقد أصلحها الله تعالى بالنعمة وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا معناه واعبدوه خائفين من عذابه طامعين في رحمته وقوله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين معناه إن إنعام الله تعالى قريب من المحسنين فهم ويقال إن المحسن من أخلص حسناته من الإساءة وإنما قال رحمت الله قريب من المحسنين ولم يقل قريبة لأن الرحمة والعفو والغفران في معنى واحد وما لا يكون فيه تأنيث حقيقي كنت بالخيار إن شئت ذكرته وإن شئت أنثته وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته

قوله عز وجل **وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** ه وذلك أن الله تعالى لما ذكر صلاح الأرض وفسادها في الآية التي قبل هذه الآية أتبعه بذكر سبب الإصلاح في ذلك وكيف نظهر النعم في الأرض وما سببه فقال عز من قائل وهو الذي

يرسل

يرسل الرياح والإرسال الإطلاق بتحميل معنى كإطلاق الإنسان بتحميل الرسالة فلما أطلقت الرياح بتحميل البشارة بالغيث وصفت بأنها قد أرسلت وقرأ بعضهم يرسل الريح بلفظ الوحدان واختار أبو عبيد لفظ الجماعة وكان يقول كلما كان في القرآن من لفظ الرياح فهو للرحمة وكل ما كان من ذكر الريح فهو للعذاب واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا والنشر جمع النشور وهي الريح التي تهب من كل جانب فتنشر السحاب كصبور وصبر وشكور وشكر ومن قرأ نشرا بجزمه واحد حذف إحدى الضمتين للتخفيف كما يقال رسل ورسل ومن قرأ نشرا بنصب النون فعلى معنى ونشر السحاب نشرا والنشر خلاف الطي كنشر الثوب بعد طيه فلما كانت الرياح بمنزلة المطوي في امتناع الأداء كم صارت تدرك الآفاق كانت كنشر الثوب بعد تجعيده وقال الفراء النشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشر السحاب ومن قرأ بشرا بالباء والضم فهو جمع بشير كما قال الله تعالى وهو الذي يرسل الرياح مبشرات وقوله تعالى بين يدي رحمته قدام المطر وقوله تعالى حتى إذا أقلت سحابا أي رفعت وحملت سحابا ثقالا بالماء والإقلال حمل الشيء بأسره حتى يقل طاقة الحامل له لقوة جسمه وتسمى الكيزان قلالا لأنها تقل بالأيدي أي تحمل فيشرب ما فيها والسحاب جمع السحابة وهي الغيم الجاري في السماء من سحبه سحبا وقوله تعالى سقناه لبلد ميت يعني السحاب لم يرسل الله تعالى إلى أرض ليس فيها نبات قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يرسل الله تعالى الريح فتحمل السحاب فتمريه كما يمري الرجل الناقة أو الشاة حتى يدر ثم يمطر فيخرج بالمطر من كل الثمرات وقوله تعالى فأنزلنا به الماء أي أنزلنا بالسحاب ويقال بالبلد الميت وهو الذي لا ماء ولا كلأ فيه قد عفت مرابعه ويبست مشاربه فينزل الله تعالى به المطر فيخرج به من ألوان الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون أي مثل ذلك الإخراج الذي ذكرناه في إحياء الأرض الميتة كذلك نخرج الموتى من قبورهم يوم القيامة لعلكم بما بينا لكم تستدلون على توحيد الله تعالى وأنه يبعث من في القبور قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى مطرت السماء أربعين يوما قبل النفخة الأخرى مثل مني الرجال فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبتون في بطون أمهاتهم ثم يخرجون في النفخة الأخرى إلى البعث

قوله عز وجل **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون** ه معناه أن المكان الذي من الأرض يخرج ريعه بتيسير ربه ولا نكد ولا عناء فينتفع به والذي خبث ترابه وهو الأرض السبخة لا تخرج ريعها إلا نكدا وعناء ومشقة قال عبد الله بن عباس هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالمؤمن يسمع الموعظة فينتفع وينفعه القرآن كما ينفع المطر البلد الطيب والكافر لا يسمع الموعظة ولا يعمل من أعمال الطاعة إلا شيئا يسيرا والنكد في اللغة هو القليل الذي لا ينتفع به ويقال رجل نكد إذا كان عسرا ممتنعا من إعطاء الخير على وجه البخل ومن قرأ نكدا بنصب الكاف ونكدا بإسكانها فلغة ولو أراد الله تعالى أن يخرج من الأرض النكد أكثر مما يخرج من الأرض الطيب لفعل إلا أن الله تعالى أجرى العادة على هذا الوجه لضرب من مصالح المكلفين لكي يعتبروا وأن ذلك في أمر الدين فيعلم أن الإنسان إذا احتاج إلى أن يتعب نفسه في طلب الربح اليسير الذي لا بد ومرور بما حصلوا ربما لم يحصل كان أن يتعب نفسه في طلب النعيم المقيم الذي لا يبيد أولى وأعني الطاعة أقرب وأحوج وقوله تعالى كذلك نصرف الآيات معناه كما صرفنا الكلام في الرابة فكذلك نبين الآيات لقوم يشكرون نعم الله ويعتبرون بآياته وأمثاله

قوله عز وجل **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** ه وذلك أن الله سبحانه لما بين فيما مضى من دلائل التوحيد ورغب في الثواب وحذر من العقاب ابتدأ بالقصص أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم زيادة في الإنذار والتبيين فقال عز من قائل لقد أرسلنا نوحا إلى قومه أي حملناه الرسالة إليهم فقال لهم وحدوا الله وأطيعوه لا معبود لكم غيره وقوله تعالى ... وتحميل الرسالة منزلة جليلة يستحق بها من حملها الرسالة من التعظيم والإجلال ما لا يستحقه غيره

من النبيين وقوله تعالى فقال يا قوم اعبدوا الله معناه انه تحمل الرسالة اليهم فقال لهم وحدوا الله واطيعوني ولا تعبدوا
معه غيره وقوله تعالى من اله غيره فيه قراءتان من قرا غيرِه بالخفض فعلى اللفظ ومن قرا غيرُه بالرفع فلان دخول من
للتاكيد كانه قال ما لكم اله غيره وقوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم معناه اني اخاف عليكم
بالشرك والمعاصي عذاب يوم القيمة وقد تقدم ان الخوف يذكر ويراد به اليقين قوله عز وجل قال الملأ
من قومه انا لنراك في ضلال مبين ۝ معناه قال الاشراف والروسا من قومه وانما سموا الملأ لانهم يملاون الصدر
هيبة ويقال انهم مليون بما يحتاج اليه منهم وقوله تعالى انا لنراك في ضلال مبين معناه قالوا انا لنعلمك يا نوح
ويقال لنراك بالبصر في ذهاب عن الحق بين [illegible] لنا قوله عز وجل قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني
رسول من رب العالمين ۝ معناه قال يا قوم ليس بي ذهاب عن الحق فيما ادعوكم اليه ولكن ارسلني اليكم رب
العالمين الذي ملك كل شيء قوله عز وجل ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون
معناه اودي لكم ما حملني الله تعالى من الرسالة اليكم وانما قال رسالات لان الرسالة تتضمن اشياء كثيرة من الامر
والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد فتذكر تارة بلفظ مطلق يدل على التفصيل وتارة بلفظ الوحدان وقوله
تعالى وانصح لكم اي انصح فيما ادعوكم اليه واحذركم عنه والنصح اخراج الغش من القول والفعل وقوله تعالى واعلم
من الله ما لا تعلمون معناه اعلم انكم ان لم تتوبوا من الشرك اتاكم العذاب قوله عز وجل او عجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ۝ الالف الذي في اول
هذه الاية الف استفهام دخلت على واو العطف على جهة الانكار فبقيت الواو مفتوحة كما كانت وقوله تعالى
ان جاءكم ذكر من ربكم معناه ان جاءكم رسالة من ربكم على ادمي مثلكم تعرفون نسبه فيكم لينذركم اي ليعلمكم
بموضع المخافة ولتتقوا الشرك والمعاصي ولكي تطمعوا فترحموا فان قيل لم انكر عليهم تعجبهم لارسال الرسول اليهم
قيل لان جواز ارسال الرسل امر قد دل العقل عليه وهو واجب في الحكمة اذ كان للخلق فيه مصلحة فان قيل
اليس التعجب انما يكون من كل امر قد خفي سببه مما هو خارج عن العادة وقد كان مجي الرسول اليهم امرا خارجا
عن العادة اذ لم يكن قد جاءهم رسول من قبل قيل وان كان كذلك الا ان الرسول اذا كان معه ايات
واضحة دالة على نبوته فقد خرج امره من حد الخفا واستحال التعجب عن ما كان يدعوهم الى تقوى الله تعالى
وطاعته قوله عز وجل فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا انهم كانوا قوما عمين ۝ معناه فكذبوا نوحا فخلصناه والمومنين الذين كانوا معه في السفينة
كانوا نحوا من ثمانين انسانا واهلكنا الذين كذبوا بدلائلنا واياتنا بالماء انهم كانوا قوما قد عموا عن الحق
والايمان وواحد العمين عم وهو الذي قد عمي عن الحق قوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ۝ معناه وارسلنا الى عاد وهم قوم من اهل اليمن كان
اسم ملكهم عاد فنسبوا اليه وحذف لفظ الارسال لانه قد سبق ذكره وقوله اخاهم اي اخاهم في
النسب لا في الدين وانما ارسل الله تعالى اليهم منهم لانهم لاحلامه افهم واليه اسكن ويجوز ان يكون معناه
ارسلنا اليهم بشرا مثلهم من ولد ابيهم ادم عليه السلم وقوله تعالى يا قوم اعبدوا الله الى اخر الاية ظاهر
المراد قوله عز وجل قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك
من الكاذبين ۝ معناه قال الاشراف والروسا الذين كفروا من قوم هود انا لنراك في جهالة وحرف
في على وجه المبالغة اي قالوا نراك منغمسا في السفاهة والسفاهة في اللغة خفة الحلم والراي يقال ثوب
سفيه اي خفيف وقوله تعالى وانا لنظنك من الكاذبين يحتمل ان يكون معناه انهم كذبوه في دعوى
الرسالة ظانين غير متيقنين ويحتمل ان يكون الظن بمعنى العلم كما سبق ذكره قوله عز وجل قال يا قوم
ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ۝ معناه قال لهم يا قوم ليس بي جهالة ولكني رسول من رب
العالمين اليكم في ما يامركم به من عبادته وتوحيده وفي الاية موضع ادب للخلق وتعليم من الله تعالى حسن جواب

السفها لان هودا عليه السلم اقتصر على دفع ما نسبوه اليه بنفي ما قالوه فقط ولم يقابلهم بشي من الكلام
القبيح وكذلك فعله نوح عليه السلم حيث قال ليس بي ضلالة قوله عز وجل ابلغكم رسالات
ربي وانا لكم ناصح امين ۝ معناه ابلغكم ما حملت من الرسالة اليكم وقوله تعالى وانا لكم ناصح امين اي
لبثت فيكم امينا قبل اليوم فكيف تتهموني اليوم ويقال اراد بذلك الامانة على الرسالة قوله عز وجل
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون
قد تقدم تفسير اول الاية واما قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفا معناه اذكروا هذه النعمة العظيمة بان اورثكم
الارض من بعد اهلاك قوم نوح عليه السلم والخلفا جمع الخليفة جا على غير لفظ الوحدان لان لفظه يقتضي ان يجمع على
خلائف كما يقال صحيفة وصحائف الا انه مثل ظريف وظرفا وقوله تعالى وزادكم في الخلق بسطة اي فضله في الطول
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا ويقال كانوا اطول من غيرهم بمقدار ان يمد
الانسان يده فوق راسه باسطا وقوله تعالى فاذكروا الاء الله اي احفظوا انعم الله تعالى عليكم واعملوا بما تقتضيه نعمه
لتظفروا بالبقاء والنجاة واما الالاء فواحدها الى كمعا وامعاء ويقال الى كمنى واقناء ويقال الا كرحا وارحا
قوله عز وجل قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين ۝ معناه قالوا يا هود تامرنا ان نعبد ربا واحدا ونترك ما كان يعبد اباونا من الالهة
فقال لهم هود عليه السلم ان لم تفعلوا ما امركم به اتاكم العذاب فقالوا فاتنا بما تخوفنا به من العذاب ان كنت من
الصادقين انك رسول من عند الله تعالى قوله عز وجل قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب
اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من
المنتظرين ۝ معناه قال قد وجب عليكم من ربكم عذاب وسخط والرجس والرجز بمعنى واحد وقوله تعالى اتجادلونني
في اسماء معناه اتخاصمونني في الهتكم وانتم صنعتموها بايديكم وسميتموها الهة انتم واباؤكم ما نزل الله تعالى بها
من سلطان اي لم ينزل الله تعالى بها حجة وبرهانا في عبادتها فانتظروا اي تربصوا حلول العذاب بكم اني معكم من
المنتظرين ان يهلككم الله تعالى بعذاب من عنده قوله عز وجل فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا
دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مومنين ۝ معناه خلصناه من العذاب والذين معه بنعمة منا
عليهم وامرناهم بالخروج من بين الكفار قبل انزال العذاب عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي
استاصلناهم بالريح الصرصر فلم يبق منهم احد وفي قوله تعالى وما كانوا مومنين بيان انه لا يكون احد اسم
المومن على الكفر ويقال معناه ما اهلكهم الله تعالى الا وكان المعلوم من حالهم انه لو بقاهم لم يكونوا
مومنين قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم
عذاب اليم ۝ معناه وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وثمود اسم القبيلة سموا باسم ابيهم وكانوا
عربا [illegible] وموضعهم بالحجر بين الشام والمدينة [illegible]
[illegible] قال الله تعالى الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود فصرف الاول [illegible]
اسما للحي [illegible] وقوله تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم
اي دلالة واضحة من الحق [illegible] وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية [illegible]
ابن عباس [illegible] ان صالحا عليه السلم [illegible] ناقة من الصخرة [illegible]
عشرا فلم يومنوا [illegible]
الله علامة لنبوته [illegible] فذروها تاكل في ارض الحجر من العشب
ولا تمسوها بسوء [illegible] قوله عز وجل
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا

وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ٥ معناه واذكروا اذ استخلفكم
في الارض من بعد هلاك عاد وانزلكم في الحجر تبنون في سهولها قصورا في القيظ وتنحتون الجبال بيوتا
لايام الشتا وقيل انهم لطول اعمارهم كانوا يحتاجون ان ينحتوا من الجبال لان السقوف والابنية كانت
تبلى قبل فنا اعمارهم وقوله تعالى فاذكروا آلا الله اي احفظوا نعم الله تعالى عليكم ولا تعملوا في الارض بالمعاصي
والدعا الى غير عبادة الله تعالى **قوله عز وجل** قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين
استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
معناه قال الاشراف والروسا منهم الذين تعظموا عن الايمان للذين استضعفوهم من المومنين اتعلمون ان
صالحا مرسل اليكم من ربه وفي هذا ذم للكفار من وجهين احدهما الاستكبار وهو رفع النفس فوق
مقدارها وجحود الحق والاخر انهم استضعفوا من كان يجب ان يعظموه ويجلوه في قول قوم صالح انا بما
ارسل به مومنون مدح لهم حيث ثبتوا على الحق واظهروه مع ضعفهم عن مقاومة الكفار **قوله عز
وجل** قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون ٥ معناه قال الضعفا وهم الذين تعظموا
عن الايمان بصالح عليه السلم انا بالذي صدقتم به من رسالته جاحدون وفي هذه الاية بيان ان الله تعالى
حرس المومنين عن المستكبرين حتى لم يزيدوا على قولهم انا بالذي امنتم به كافرون لم يشفوا غيظهم بما هو
اعظم عندهم من الايقاع بهولاء المستضعفين كما قال جل ذكره فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا
صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ٥ معناه عقروا الناقة التي جعلها الله تعالى لهم اية ودلالة على نبوة
نبيهم عليه السلم والعقر الجرح المستاصل للشي روى ان تلك الناقة كانت كبيرة المنظر هايلة وكانت اذا
رعت في مرعا لا يدنوا منها النعم وتنحى فامتنها فزعموا انها اضرت في مراعيهم فقتلوها وقوله تعالى وعتوا عن
امر ربهم معناه تجاوزوا الحد في الكفر والفساد وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب على قتل الناقة
ان كنت من المرسلين **قوله عز وجل** فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ٥ معناه
والله اعلم اخذتهم الزلزلة بصيحة جبريل عليه السلم كما قال عز من قايل في سورة هود ثم الصاعقة كما
قال في سورة حم السجدة والصاعقة هي الاحتراق احترقوا فاصبحوا في منازلهم ميتين قد همدوا وان ماتوا
جثوما والجثوم البروك على الركب ويقال معنى الصيحة والصاعقة واحد فان الصاعقة اسم لما يصعقون منه
موتون او يفزعون من شدته **قوله عز وجل** فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ٥ معناه اعرض صالح عليه السلم عنهم حين عقروا الناقة وعرف
ان العذاب ياتيهم لانه كان اقباله عليهم لدعايهم الى الخير فلما ييس منهم اعرض عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم في ادا الرسالة اليكم ولكن لا تحبون من ينصح لكم وانما قال لا تحبون
لان من يحب انسانا قبل منه ومن لم يحب انسانا لم يقبل منه قال عبد الله بن عباس فخرج صالح عليه السلم ومن
معه من المومنين وهم مايه وعشرة حتى اذا فصل من عندهم وهو يبكي التفت خلفه فراى الدخان ساطعا
فعرف ان القوم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة اهل دار وكانوا بالحجر فلما هلكوا رجع صالح عليه السلم
ومن امن معه فسكنوا الدار حتى توالدوا وماتوا فيها فان قال قايل قوله تعالى فتولى عنهم وقال يا قوم معطوف
في ظاهر اللفظ على قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين فكيف تكون النصيحة بعد هلاك القوم قيل ان الظاهر
ان الفا في قوله تعالى فتولى عنهم للتعقيب في الاخبار لا لترادف الحال وهذا راجع الى حال عقرهم الناقة فانه تعالى
ساق القصة في امرهم الى اخرها ثم عطف على ذلك ما فعله صالح عليه السلم للكشف عن عذره في مسئلة انزال
العذاب بهم بعد كثرة نصحه لهم واصرارهم على فعلهم وجواب اخر الاية لا يمتنع ان صالحا عليه السلم قال هذا القول
بعد هلاك القوم ليعتبر هو ومن كان معه من المومنين وان الانسان قد يقول مثل هذا على وجه الاعتبار عند
مروره بالمقبرة **قوله عز وجل** ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد

من العالمين

من العالمين ٥ معناه وارسلنا لوطا عليه السلم اذ قال لقومه أتأتون السية وهي اتيان الذكور في الادبار
والفاحشة السية العظيمة القبح وقوله تعالى ما سبقكم بها من احد اي لم يفعلها احد من العالمين قبلكم قال عبد
الله بن عباس اول ما عملت به قوم لوط عليه السلم عملهم الخبيث لان بلادهم كانت خصبت فانتجعها اهل البلدان
فتمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعى الى دبره فنكح ثم عبثوا بذلك العمل زمانا فلما كثر ذلك فيهم عجت الارض الى
ربها فسمعت السما فعجت الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فسمع الله تعالى فامر الله تعالى السما ان تحصبهم والارض
ان تخسف بهم **قوله عز وجل** انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون
معناه انكم لتجامعون الرجال في ادبارهم شهوة وتتركون اتيان النسا التي اباح الله تعالى لكم بل انتم قوم متجاوزون
من الحلال الى الحرام والشهوة طلب النفس لما فيه اللذة **قوله عز وجل** وما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون ٥ معناه وما كان جواب قومه اذ قال لهم ذلك الا ان
قال بعضهم لبعض اخرجوا لوطا عليه السلم ومن امن به من بلدتكم انهم اناس يتنزهون عن فعلنا ويستقذرونا فعابوهم
بما مدح به استهزاء والعرب تسمي المدينة قرية قال عمرو بن العلا ما رايت من قرويين افصح من الحسن والحجاج
يعني رجلين من اهل المدن الا انه قد كثر استعمال اسم القرية على مجتمع الناس في منازل متجاورة تاوي اليها
الاكره **قوله عز وجل** فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين ٥ معناه خلصناه
وابنتيه زعوراء وريثا واهل الرجل هم المختصون به اختصاص القرابة وقوله تعالى الا امراته معناه الا
اهله التي كانت زوجة له وكانت على دينهم ولم تومن به فغبرت في من غبر اي بقيت في موضع العذاب فلم
تذهب معه فهلكت مع القوم فيما هلكوا وانشد ابو عبيدة قول الشاعر ه
فما ونى محمد مذ ان غفر له الاله ما مضى وما غبر ه اي وما بقي **قوله عز وجل** وامطرنا عليهم
مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ٥ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما امطرت الحجارة
على مسافريهم وعلى الذين لم يكونوا منهم شهودا بالمدينة حتى هلكوا فاما المدينة فقد جعل الله تعالى عاليها
سافلها ويقال امطروا اولا بالحجارة ثم خسف بهم الارض واما الالف في قوله تعالى وامطرنا عليهم فقال
بعضهم يقال لكل شي من العذاب امطرت بالالف وللرحمة مطرت وقال بعضهم امطرت ومطرت بمعنى واحد
وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المجرمين معناه انظر بالتفكر دون التحديق بالعين اي تفكر في اخر امر
الكفر من المكذبين كيف فعلنا بهم والعاقبة في اللغة ما ادت اليه البادرة **قوله عز وجل** والى مدين
اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل
والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين ٥ معناه وارسلنا الى مدين اخاهم في النسب شعيبا قال الضحاك رحمه الله كان شعيب عليه السلم
افضلهم نسبا واصدقهم حديثا واحسنهم وجها ويقال انه بكى من خشية الله تعالى حتى ذهب بصره وصار
اعمى فدعى قومه الى الله تعالى واما مدين فهو مدين بن ابرهيم خليل الرحمن عليه السلم تزوج ريثا بنت لوط عليه
السلام فولدت له وكثر نسله فصار مدين مدينتهم او قبيلتهم وقوله تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم
معناه حجة برهان ودلالة من ربكم على نبوتي فاوفوا اي ادوا حقوق الناس بالمكيال والميزان على التمام ولا
تنقصوا شيا من حقوقهم ولا تفسدوا في الارض اي لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد اصلاح الله اياها بالمحاسن ويقال معناه
لا تظلموا الناس في الارض بعد امر الله تعالى بالعدل فيها وقوله تعالى ذلكم خير لكم اي ايفا الحقوق وترك
الفساد خير لكم ان كنتم مصدقين بالله تعالى ورسوله عليه السلم وذهب الفراء الى انه لم يكن لشعيب عليه
السلم اية الا مجيه اليهم واخباره ان الله تعالى واحد لا شريك له لان الله تعالى لم يذكر له معجزة في القران وهذا
لا يصح لانه تعالى لا يجوز ان يخلي نبيا من الانبيا عليهم السلم عن اظهار المعجزة عليهم وان كان لا يدعوا الا الى ما في
العقل ولو ادعى مدعي النبوة بغير اية ومعجزة لم يقبل منه ولا يظهر صدق مدعي النبوة الا بالمعجزة والصحيح انه

كان لشعيب عليه السلام اية تدل على نبوته كما قال الله تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم الا ان الله تعالى لم يذكر
اية في القران كما ان اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم غير مذكورة في القران قوله عز وجل ولا
تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ
كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ه معناه ولا تقعدوا على كل طريق تخوفون
وتصرفون عن دين الله وطاعته وقوله تعالى وتبغونها عوجا اي تطلبون لها غيرا وزيغا وعدولا عن الحق وقوله
تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا اي احفظوا نعم الله تعالى اذ كنتم قليلا في العدد فكثر عددكم ويقال معنى كثركم جعلكم
اغنياء ذوي مقدرة بعد ان كنتم ضعفاء فقراء وقوله تعالى وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين اي تفكروا كيف
صار اخر من كان قبلكم من الكفار في اهلاك الله تعالى لهم وانزال العذاب بهم فيحدث رواعن سلوك مسالكهم
قوله عز وجل وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم
الله بيننا وهو خير الحاكمين ه معناه وان كان جماعة منكم صدقوا بالذي ارسلت به وجماعة لم يصدقوا
فاصبروا حتى يقضي الله بين الكافرين والمومنين وهو اعدل القاضين سيجزي كل واحد من الفريقين ما يستحقه على عمله
في الدنيا فقضى الله تعالى هلاك قوم شعيب ولم يكن شعيب امر بالقتال قوله عز وجل قال الملأ الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
قال اولو كنا كارهين ه معناه قال الملأ الذين تعظموا عن الايمان به انفة من الاقرار بنبوته واتباعه لنخرجنك
يا شعيب والذين معك من المومنين بك من بلدتنا او لترجعن الى ديننا اي لا نكون الا احد الامرين ولا ندعكم في ارضنا
على مخالفتنا قال لهم شعيب عليه السلام اولو كنا كارهين يعني اتعيدوننا في ملتكم وتجبروننا على ذلك وان كرهنا
فان قال قائل كيف قالوا لشعيب عليه السلام او لتعودن في ملتنا وشعيب عليه السلام لم يكن في ملتهم قط لان انبيا
الله تعالى لا يجوز عليهم الكفر في حال من الاحوال قيل يجوز ان يكون المراد بهذا الخطاب قومه الذين كانوا على ملتهم
فلما ادخلوه معهم في الخطاب قالوا لتعودن في ملتنا على تغليب خطاب قومه عليه ويحتمل انهم توهموا ان شعيبا
عليه السلام كان على ملتهم لانهم لم يروا منه المخالفة لهم الا في الوقت الذي دعاهم الى نبوته وجواب اخر ان لفظ
العود قد يطلق وان لم يكن هناك رجوع الى شيء سابق كما يقال عاد علي من فلان مكروه وان لم يكن سبق منه
مكروه قبل ذلك وانشدوا ولله انه لحقني منه مكروه قال الشاعر لئن كانت الايام احسن مرة الي لقد عادت لهن ذنوب ه
قوله عز وجل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما
يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ه معناه قد اختلقنا على الله كذبا بان العود في ملتكم
ويقال معناه قد اختلقنا على الله الكذب فيما دعوناكم اليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ خلصنا الله تعالى منها
بالدلالة على بطلانها وتبيين الحق لنا وهدانا له وقوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا اختلفوا في
معناه قال بعضهم معناه ما نعود فيها الا ان يكون في علم الله تعالى ومشيئته ان نعود فيها قالوا وتصديق ذلك
قوله تعالى من بعد وسع ربنا كل شيء علما وعن الحسن رضي الله عنه انه قال معناه الا ان يريد الله تعالى ان يلزمنا
سمة الكفر لذنب يكون منا كما قال تعالى والله اركسهم بما كسبوا وكما قال تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
ويقال معناه الا ان يشاء الله ان نتعبد بشيء منها وجوز ان يتعبد به في العقل كما تعبدنا بتعظيم الحجر الاسود ويقال
هذا على طريق التبعيد دون الشرط كما يقال حتى يشيب الغراب ويبيض القار ويقال معناه الا ان يشاء الله فيقدر
ان نكره عليه بالقتل فنظهر كلمة الكفر مع طمانينة بالايمان واما قوله تعالى وسع ربنا كل شيء علما معناه احاط
ربنا بكل شيء علما فهو يعلم ما هو اصلح لنا فيتعبدنا به وهو اعلم بانا ندخل في ملتكم او لا ندخل وقوله على الله توكلنا اي به
وثقنا في الانتصار عليكم وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اي اقض بيننا وبينهم بما يدل على انا على الحق وهم على
الباطل وانت خير الفاتحين والفاتح هو الحاكم بلغة اهل عمان قال القتيبي الفتح هو ان تفتح شيئا مغلقا ويسمى القضا

فتحا لانه فصل الامور وفتح المشكلات وقيل يجوز ان يكون معنى الفتح اظهر امرنا باهلاك العدو وعدونا
حتى يتضح ما بيننا وبينهم اي يظهر وينكشف ه قوله عز وجل وقال الملأ الذين كفروا
من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون ه معناه قال الاشراف الذين كفروا من شعيب عليه
السلام من قومه لئن اتبعتم شعيبا فيما دعاكم اليه انكم اذا بمنزلة من ذهب راس ماله لانه فاتكم النعم في ترك الشهوات
مع انه لا يعدي عليكم نفعا فتكونون مغبونين جاهلين قوله عز وجل فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
في دارهم جاثمين ه روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية انه اخذتهم الزلزلة
الشديدة رجفت بهم الارض رجفة واصابهم حر شديد فرفعت لهم سحابة فخرجوا اليها يطلبون الروح فيها
فلما كانوا تحتها سالت عليهم بالعذاب ومعه صيحة جبريل عليه السلام كما قال الله تعالى في هذه القصة
في سورة هود وقوله تعالى فاصبحوا في دارهم اي بقرب دارهم تحت الظلة كما قال الله تعالى فاخذهم
عذاب يوم الظلة وقوله تعالى جاثمين اي ميتين على وجوههم وركبهم وروي انهم احترقوا تحت السحابة
فصاروا مثل الرماد الجاثم اجساما ملقاة على الارض محترقة واما دخول الفا في اول هذه الاية فهو
على وجه الجواب لما تقدم من كلامهم كانه قال فكان جوابهم اخذ الرجفة لهم قوله عز وجل
الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ه معناه يقول
الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم ينزلوا في ديارهم قال الاصمعي المغنى المنزل والمغاني المنازل التي كانوا
بها يقال غنينا بمكان كذا وكذا اي نزلنا به ويقال معنى كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها مقام المستغني
ويقال معناه كان لم يعيشوا ولم يكونوا قال الشاعر غنينا زمانا بالتصعلك والغنى وكلا سقاناه بكاسيهما الدهر
فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر ه ومعنى غنينا بالتصعلك عشنا بالفقر يقول العرب
للفقير الصعلوك وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فيه بيان ان الخسران حل بهم دون
المومنين وشعيب عليه السلام وانما اعاد ذكر الذين كذبوا شعيبا عليه السلام للتغليظ عليهم قوله عز وجل
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين ه
معناه فلما راى قتادة العذاب عليهم اعرض عنهم بعد الاياس منهم وخرج من بين اظهرهم ولم يعذب قوم قط
حتى خرج نبيهم من بين اظهرهم ثم اتاهم العذاب وقوله تعالى فكيف اسى على قوم كافرين معناه فكيف
يشتد حزني على قوم كفروا حل العذاب بهم بما استحقوه له بعد ان نصحتهم فلم يقبلوا قوله عز وجل
وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يضرعون ه معناه ما ارسلنا في مدينة
من رسول وكذبوه الا عاقبنا اهلها بالباسا والضرا قيل ان الباسا ما نزل بهم من الشدة في نفوسهم والضرا ما نزل
بهم من الضرر في اموالهم وقيل على عكس من هذا وقوله تعالى لعلهم يضرعون معناه لكي يتضرعوا ادغمت التا في الضاد
واقيم التشديد مقامه ويقال معناه عاملناهم معاملة الشاك في حالهم فابتليناهم بالشدايد لكي يرغبوا الينا في كشفها
وبلوناهم بالنعم ليرغبوا الينا في استدامتها فما نفعهم هذا ولا ذاك قوله عز وجل ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ه
معناه ثم حولنا مكان الشدة والكروبة العافية والخصب والسعة حتى كثروا وكثرت اموالهم ومعايشهم
وانما سمي الشدة سيئة لانها تسوء الانسان كما يسمى الاحسان حسنة لانه يحسن على الانسان اثره والا فالسيئة
هي الفعلة القبيحة والله تعالى لا يفعل القبيح وقال الحسن رضي الله عنه معنى عفوا سمنوا وازداد به السمن في المال
لا بعظم الجسم واما قوله تعالى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء معناه قالوا هكذا الزمان ان يسيء تارة ويحسن
اخرى وهكذا كانت عادته مع ابائنا فثبتوا على دينهم ولم ينتقلوا عنه فاثبتوا انتم ايضا على دينكم ولا تنتقلوا عنه بقول
الله عز وجل فاخذناهم بغتة اي اخذناهم بالعذاب فجاة من حيث لم يشعروا بالعذاب وهذا كله مما اخبر الله
عز وجل من الامم السالفة ليعتبر والذلك امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ولو ان اهل

القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا
يكسبون ۝ معناه ولو أن أهل القرى التي أهلكنا أهلها بتكذيبهم الرسل قالوا آمنا بالله تعالى وبالرسل
عليهم السلام واتقوا الشرك والمعاصي لفتحنا عليهم بركات نامية وهي القطر والمطر من السماء والنبات والثمار من
الأرض ولكن كذبوا الرسل عليهم السلام فأخذناهم بالعذاب بما كانوا يكسبون من المعاصي وفي الآية دلالة أن
الكفاية والسعة في الرزق من سعادة المرء إذا كان شاكرا والمراد بقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة الكفر الذي يكون وبالا على من لا يشكر الله تعالى **قوله عز وجل** أفأمن أهل القرى أن
يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ۝ معناه أفأمن أهل القرى المكذبة بك يا محمد أن ينزل عليهم عذابنا ليلا
وهم نائمون في فرشهم ومنازلهم لا يشعرون بالعقاب لغفلتهم **قوله عز وجل** أوأمن أهل القرى
أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ۝ معناه أوأمن أهل القرى المكذبة لك أن يأتيهم عذابنا نهارا
وهم مشتغلون بلهوهم ولعبهم يقال لمن هو في باطل لا ينفعه إنما أنت لاعب والضحى صدر النهار عند ارتفاع الشمس
قوله عز وجل أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ۝ معناه أبعد
هذا كله أمنوا عذاب الله لهم من حيث لا يعلمون وإنما سمي العذاب مكرا على جهة الاتساع والمجاز لأن المكر
نزل بالممكور من جهة الماكر من حيث لا يشعر به وأما المكر الذي هو الاحتيال للاطلاع بخلاف الإضمار فذلك
لا يجوز على الله تعالى وأما قوله تعالى فلا يأمن مكر الله ففيه ما يدل على الإنكار والاختصاص بمن كان قال لا قال
قد أمنوا مكر الله فأجابهم الله تعالى بقوله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ودخلت الفاء للجواب فإن قيل
أليس الأنبياء صلوات الله عليهم قد أمنوا عذاب الله تعالى وليسوا من القوم الخاسرين قيل معنى الآية لا يأمن عذاب الله
تعالى من العصاة ولا يأمن عذاب الله تعالى من المذنبين إلا القوم الخاسرون والأنبياء لا يأمنون عذاب الله تعالى على
المعصية وهم لا يعصونه بأنفسهم **قوله عز وجل** أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها
أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ۝ من قرأ أولم يهد بالياء فمعناه
أولم يبين الله تعالى للذين يخلفون في الأرض من بعد أهلها الذين أهلكهم الله تعالى بتكذيب الرسل صلوات
الله عليهم ومن قرأ أولم نهد بالنون فمعناه أولم نبين نحن وهو إخبار عن الله تعالى وقوله تعالى أن لو نشاء أصبناهم
بذنوبهم ذكر المبين لهم كأنه قال أولم نبين لهم مشيئتنا لأصبناهم بعقاب ذنوبهم كما أخذنا من كان قبلهم بذنوبهم
وقوله ونطبع على قلوبهم قال الزجاج هذا ليس محمول على أصبناهم لأنه لو حمل عليه لكان ولطبعنا لأن قوله أصبناهم
على لفظ الماضي فكان معنى قوله ونطبع ونحن نطبع على قلوبهم أي نختم عليها عقوبة لهم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى
ونطبع بمعنى الماضي لأن معنى قوله تعالى لو نشاء لو شئنا ألا ترى أنه قال أصبناهم وهذا كما قال جل ذكره فلم تقتلون
أنبياء الله من قبل أي فلم قتلتم أنبياء الله تعالى وأما معنى الطبع فقد تقدم ذكره أن ذلك على وجه المجازاة ومعنى
الختم على قلوبهم بأنهم لا يؤمنون على جهة الذم لهم تشبيها بمن هو مطبوع على قلبه أي يكون ذلك علامة يجعل الله تعالى
على قلب الكافر لمن يطلع على ذلك من الملائكة فيعلم بتلك العلامة أنه لا يؤمن وأما قوله تعالى فهم لا يسمعون
معناه لا يقبلون الوعظ كما يقول القائل لغيره وعظتك فلم تسمع **قوله عز وجل** تلك القرى نقص
عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين ۝ معناه تلك القرى التي أهلكنا أهلها بجحودهم لآيات الله نقص عليك يا محمد في
القرآن من أخبارها كيف أهلكناها في ذلك من العبر لمن تدبر حالهم ولقد جاءتهم رسلهم بالحجج والبراهين
القاطعة التي لو اعتبروا بها لاهتدوا وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا قال مجاهد فما أهلكناهم إلا وقد
كان في معلومنا أنهم لا يؤمنون أبدا وقال الحسن رضي الله عنه معناه فما كانوا ليؤمنوا لعتوهم وتمردهم في الباطل
وقوله تعالى كذلك يطبع الله معناه مثل ذلك يطبع الله على قلوب الذين يكفرون بك **قوله عز وجل** وما
وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ۝ معناه وما وجدنا لأكثر المهلكين من

وفاء فيما أمروا به تقول العرب فلان لا عهد له أي لا وفاء له بالعهد وهذا العهد الذي ذكره الله تعالى في هذه
الآية يجوز أن يكون هو ما أودع الله تعالى في العقول من وجوب شكر النعمة والقيام بحق المنعم ووجوب
طاعة المحسن وترك القبائح إلى المحاسن ويجوز أن يكون ما أخذ عليهم على ألسنة الرسل صلوات الله عليهم من
هذه الأمور وقوله تعالى وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين معناه إنا وجدنا أكثرهم ناقضين للعهد تاركين
لما أمروا به من الحلال والحرام ولما دخول إن واللام في مثل هذا فعلى وجه التأكيد كما يقال إن ظننت زيدا
لقائما وتريد بذلك تأكيد الظن **قوله عز وجل** ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون
وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ۝ معناه ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل صلوات
الله عليهم الذين سبق ذكرهم موسى بن عمران عليه السلام بدلائلنا وحججنا من العصا واليد والطمس وغير
ذلك إلى فرعون وأشراف قومه واسم فرعون أعجمي لا ينصرف اجتمع فيه العجمة والتعريف كانوا يسمون
كل من ملك مصر بهذا الاسم وكان فرعون الذي في زمن موسى عليه السلام هو الوليد بن مصعب وقوله تعالى
فظلموا بها معناه جحدوا بالآيات وسماه ظلما لأنهم جعلوا بدل الإيمان بها الكفر وذلك من أبين الظلم وقوله
تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين معناه فانظر بعين قلبك كيف صار آخر أمر المفسدين في العذاب قال
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان طول عصا موسى عليه السلام عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام وكانت
من آس الجنة فكان يضرب بها الأرض فيخرج بها النبات ويلقيها فإذا هي حية تسعى ويضرب بها الحجر
فينفجر وضرب بها باب فرعون ففزع منها فشاب رأسه فاستحيا فخضب بالسواد فأول من خضب بالسواد
فرعون **قوله عز وجل** وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين ۝ وذلك أنه
عليه السلام دخل على فرعون ومعه أخوه هارون بعثهما الله تعالى إليه بالرسالة فقال موسى عليه السلام يا فرعون
إني رسول إليك من رب العالمين فقال له فرعون كذبت فقال موسى عليه السلام حقيق على أن لا أقول
على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فأت
بها إن كنت من الصادقين ۝ معناه جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق قال الفراء هذا كما تقول العرب رميت
على القوس وبالقوس وجاء فلان على حال حسنة وبحال حسنة وفي قراءة نافع حقيق علي بتشديد الياء أي واجب
علي أن لا أقول على الله إلا الحق وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم أي ببرهان وحجة من ربكم فأطلق معي بني إسرائيل من [illegible]
التسخير ولا تستعبدهم لأذهب بهم إلى الأرض المقدسة وكان فرعون وقومه [illegible] يستعملون بني إسرائيل في الأعمال
الشاقة مثل عمل الطين وبناء المنازل وحمل الماء [illegible] وقوله تعالى قال إن كنت
جئت بآية معناه قال فرعون إن كنت جئت بعلامة لنبوتك [illegible] إن كنت من الصادقين في أنك رسول رب العالمين
قوله عز وجل فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ۝ معناه كان
جواب موسى عليه السلام لفرعون أن ألقى عصاه من يده [illegible] وفي قوله تعالى فإذا هي ثعبان مبين معناه
فصار ثعبانا بينا ليس فيه شك ولا تشتبه على أحد أنه ثعبان والثعبان الحية الصفراء الذكر وهو أعظم
الحيات لها عرف كعرف الفرس [illegible] فاها وأخذت قبة فرعون بين
فكيها [illegible] إلى موسى عليه السلام [illegible] فأخذها موسى عليه السلام فإذا
هي عصا كما كانت [illegible]
أخرجها من جيبه [illegible] فصارت [illegible] وكان موسى عليه
السلام [illegible]
[illegible] في هذا الخبر
أن ذلك [illegible] **قوله عز وجل** قال الملأ من

من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ۝ معناه قال الاشراف من قوم فرعون ان هذا لساحر حاذق بالسحر
وقيل انهم انما قالوا هذه المقالة تصديقا لفرعون فانه هو الذي قال اولا ان هذا لساحر عليم كما ذكره الله تعالى في
سورة الشعراء **قوله عز وجل** يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون ۝ معناه قال الملا
يريد موسى عليه السلم ان يستميل قلوب بني اسرائيل الى نفسه ويتقوى بهم فيقاتلكم ويخرجكم من بلدكم فماذا
تأمرون اي تشيرون في امره كانهم خاطبوا فرعون ومن بحضرته ويجوز ان يكون قوله فماذا تأمرون خطابا
لفرعون وحده كما يقال للرئيس المطاع ما ترون في هذا اي ما ترى انت وحدك ويقال ان قوله تعالى يريد ان يخرجكم
مقالة فرعون لقومه **قوله عز وجل** قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل
ساحر عليم ۝ معناه قالوا لفرعون احبسه واخاه اي اخرهما ولا تعجل بقتلهما فتكون عجلتك حجة عليك
وقرا بعضهم ارجئه بالهمز ويقال ارجا وارجا اذا اخر الامر ويقرا ارجئه بالهمز والضم مشبعا ويقرا ارجه باسكان
الهاء بغير همز واكثر اهل النحو على ان هاء الاضمار لا يجوز اسكانها وجوزه بعضهم ويحتمل ان يكون معنى ارجه
وارجه احمله على رجاء ان تصدق به وقوله تعالى وارسل في المدائن حاشرين معناه ابعث الشرط في المدائن يحشرون
السحرة اليك فانك اذا ارسلت اليهم اتاك كل ساحر حاذق بالسحر ومن قرا سحار فعلى وجه المبالغة في
السحر والسحر في اللغة لطف الحيلة في اظهار الاعجوبة واصل ذلك من خفاء الامر ومن ذلك سمي اخر الليل سحرا لخفاء
الشخص ببقية ظلمته والسحر الرئة تسمى بذلك لخفاء امرها بانتفاخها تارة وضمورها تارة **قوله عز وجل**
وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين
معناه فارسل فرعون من يحشر السحرة فجاءوا الى فرعون ويقال قد سامع السحرة فجاءوا من دون ان يحشرهم الشرط
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كانوا سبعين ساحرا شبابا غير رئيسهم قال وكان اللذان يعلمانهم
رجلين مجوسيين من اهل نينوى وكانوا كلهم اثنين وسبعين ساحرا وقال محمد بن اسحق خمسة عشر الفا مع كل
واحد منهم حبل وعصا وقد قيل غير هذا القول والله اعلم بعددهم غير ان قوله تعالى وجاءوا بسحر عظيم يقتضي كثرتهم
ومبالغتهم في امرهم واما قوله تعالى قالوا ان لنا لاجرا معناه ان لنا لاجرا على ما عملنا ان كنا نحن الغالبين لموسى
عليه السلم قال لهم فرعون نعم لكم الجعل على ذلك وانكم لمن المقربين عندي في المنزلة لاقربكم الى نفسي والاصل في
قوله تعالى اين اان بهمزتين وهي القراءة المشهورة ومن قرا اين جعل الهمزة الثانية بالتخفيف ويقرا ان بهمزة
واحدة بغير يا **قوله عز وجل** قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ۝ معناه قالت
السحرة يا موسى اما ان تلقي ما معك من العصا واما ان نلقي ما معنا من العصي والحبال قبلك ۝
قوله عز وجل قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم
معناه قال لهم موسى عليه السلم القوا ما معكم من الحبال والعصي فلما القوا حبالهم وعصيهم اخذوا ابهار
اعين الناس واستدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس وجاءوا بسحر عظيم في اعين الناس والا فقد كان ما فعلوه في نفسه
مخرقة لا حقيقة له وفي قوله تعالى سحروا اعين الناس ما يدل على ذلك فانهم كانوا قد جعلوا فيها الزيبق بعد ان صوروها
بصورة الحيات فلما اوقعوها في الشمس اضطربت باضطراب ما كان فيها من الزيبق لانه لا يستقر ومتى زاد مكثه
في الشمس زادت حركته فخيل الى موسى عليه السلم ان حبالهم وعصيهم حيات على الحقيقة كما كانت عصى موسى عليه
السلم ولو صارت تلك الحبال والعصي حيات على الحقيقة لم يقل الله تعالى فلما القوا سحروا اعين الناس بل كان
يقول فلما القوا صارت حيات فان قال قائل من اين يجوز من موسى عليه السلم ان يامرهم بالالقا وكان القاؤهم
وارادتهم مغالبة موسى عليه السلم كفرا ولا يجوز على الانبيا صلوات الله عليهم ان يامروا بالكفر قيل معناه القوا
ان كنتم محقين على زعمكم ويجوز انه امرهم بالالقا لتاكيد معجزته **قوله عز وجل** واوحينا الى
موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون ۝ معناه واوحينا الى موسى ان الق عصاك التي
معك من يدك فالقاها فاذا هي حية تلقم وتبتلع ما كانوا يكذبون انها حيات والافك الكذب ويقرا

تلقف بجزم اللام والتخفيف قال الشاعر انت عصى موسى التي لم تزل تلقف ما يافكه الساحر ۝ وعن
عبد الله بن عباس انه قال لما كانت حية موسى عليه السلم اعظم من حياتهم زفت السحرة فازدادت حياتهم وحبالهم
عظما في اعين الناس فازداد عصى موسى عليه السلم تزداد عظما وهم يزفون حتى انفدوا سحرهم فلم يبق من سحرهم شي فقطعت
عصى موسى عليه السلم حتى سدت الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فابتلعت ما القوا من حبالهم وعصيهم ثم اهوت
فتعلقت ذنبها بالقبة التي فيها فرعون ثم فتحت فاها لتبتلعه فصاح الى موسى فاخذها فاذا هي عصا كما كانت
ونظرت السحرة فاذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت فذلك قوله تعالى فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ۝
معناه ظهر لهم الحق وبطل ما كانوا يعملون من السحر **قوله عز وجل** فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
معناه غلب موسى عليه السلم السحرة والقبط ورجعوا اذلين فقالت السحرة بعضهم لبعض ما هذا الا من الله
عز وجل ولو كان سحرا لبقيت حبالنا وعصينا **قوله عز وجل** والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهرون ۝ قال عبد الله بن عباس وذلك انه لما سجد موسى وهرون عليهما السلم شكرا
لله تعالى حين غلب الحق الباطل ما تمالكت السحرة ان خروا بعد السجود هما قال وقد كانوا في اللوح المحفوظ سعداء شهدا
والله تعالى القاهم للسجود وقال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانهم القوا وقوله تعالى قالوا امنا اي قالوا امنا
برب العالمين قال عبد الله بن عباس فقال لهم فرعون اياي تعنون اراد ان يلبس على قومه قالوا رب موسى وهرون فبهت
فرعون وندم على ما ساءهم وظهر لجميع الناس انهم لم يريدوا بسجودهم ومقالتهم فرعون وانما ارادوا الايمان بموسى عليه
السلم **قوله عز وجل** قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ۝ معناه قال فرعون للسحرة اصدقتم برب موسى وهرون قبل ان اذن لكم
في الايمان به ان هذا لشي واطيتموه عليه هذا ان يدعي هو النبوة ثم تحشرون انتم وتظهرون مخالفته في ابتدا الامر حتى
اذا غلبكم تظهرون موافقته بعد ذلك واراد فرعون بهذا القول ان يموه على الناس ليصرف وجوههم الى نفسه ثم
اوعد السحرة فقال فسوف تعلمون ماذا ينزل بكم مني من النكال **قوله عز وجل** لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين ۝ معناه قال لهم لاقطعن ايديكم اليمنى وارجلكم اليسرى من خلاف
ثم لاصلبنكم على جذوع النخل على شاطئ نهر مصر حتى تموتوا من الجوع والعطش والالم **قوله عز وجل** قالوا انا
الى ربنا منقلبون ۝ معناه قالت السحرة لا نبالي بقتلك وعقوبتك فان مرجعنا الى الله [illegible]
وان طالت [illegible] **قوله عز وجل** وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا
افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ۝ معناه [illegible] ما تعيب علينا ولا تنكر منا الا تصديقنا بعلامات [illegible]
ربنا لما ظهرت لنا [illegible] ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين [illegible] اصبب علينا
صبرا [illegible] الثبات على الايمان الى وقت الوفاة قال عبد الله بن عباس فاخذ فرعون السحرة فقطعهم
ثم صلبهم على شاطئ النهر [illegible] موسى وهرون عليهما السلم [illegible]
[illegible] **قوله عز وجل** وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون ۝ معناه وقال الاشراف من قوم
فرعون اتترك موسى وقومه من بني اسرائيل [illegible] في ارض مصر [illegible]
[illegible] موسى عليه السلم ولا يعبدك ولا يعبد اصنامك التي امرت
بعبادتها قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام [illegible]
[illegible] فرعون صنع اصناما صغارا وامرهم ان يعبدوها [illegible]
[illegible]
[illegible]

التمويه [illegible]

[illegible]

عقوبة لهم كما كان نفعل وقت ولادة موسى وقيل انما قال سنقتل ابناهم لانه لما انقطع طمعه في تعذيب موسى عليه السلم لما راى من علو امره وعظم شانه عدل الى قتل الابنا قصدا منه الى قطع قوة بني اسرايل لان العزة والقوة انما تكون في الابنا دون النسا وقوله تعالى وانا فوقهم قاهرون اي مستعلون عليهم بالقوة فشكت بنو اسرايل الى موسى عليه السلم فقال لهم موسى عليه السلم كما قال الله تعالى قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ۞ معناه قال لهم موسى استعينوا بالله في دفع بلا فرعون عنكم واصبروا على دينكم ان الارض التي ارضها الله يسكنها من يشا من عباده فيورثكم هذه الارض بعد اهلاك فرعون وقومه كما اورثها فرعون ومن قرا يورثها بالتشديد فهو من باب التفعيل وقوله تعالى والعاقبة للمتقين معناه اخر الامر للذين يتقون الله تعالى ويقال اراد بالعاقبة الجنة في الاخرة قوله عز وجل قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ۞ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك لان فرعون عاد الى قتل ابنايهم وزاد في اتعابهم في العمل كان يستعملهم قبل مجي موسى عليه السلم بالرسالة في ضرب اللبن وبنا المداين وكان يعطيهم التبن فلما اتاهم موسى عليه السلم غضب وكلفهم اللبن والتبن من عندهم ليكون اشد عليهم فقالت بنو اسرايل يا موسى اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة ومن بعد ما جيتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم معناه لعل ربكم يهلك عدوكم فرعون وقومه ويجعلكم سكانا في ارض مصر من بعدهم قال المفسرون عسى كلمة اطماع وما يطمع الله فيه فهو واجب لان الكريم اذا اطمع ووعد وفى فيصير كانه اوجبه على نفسه واما قوله تعالى فينظر كيف تعملون معناه فيرى عملكم كيف تشكرون صنعه وانعامه عليكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه من خطاياهم التي علم انهم عاملوها لا محالة انما يجازيهم على ما وقع منهم ويحتمل ان يكون معنى النظر البعث على المنظور فيه كانه قال ويستخلفكم في الارض لكي تعملوا بطاعة الله تعالى فيكون حالكم مفارقة لحال القوم الذين صرفوا نعم الله تعالى في معاصيه وكما قال الله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي ولنبلونكم حتى يجاهد المجاهدون منكم وهو عالم بذلك وانما حمل النظر على احد هذين التاويلين لانه لا شبهة في ان الله تعالى لا يجوز عليه النظر الذي هو الفكر الذي يستفاد به العلم ولا النظر الذي هو تقليب البصر ولا النظر الذي هو الانتظار قوله عز وجل ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ۞ معناه ولقد اخذنا ال فرعون واهل دينه بالجوع عاما بعام الى سبعة اعوام وال الرجل خاصته الذي يؤول امره اليهم وامرهم اليه وهذا لا يقال ال البلد وانما يقال اهل البلد والسنون في كلام العرب الجدوب يقال مستهم السنة اي جدب السنة وشدة السنة وقوله تعالى ونقص من الثمرات يفيد بيان زيادة في القحط لان الثمار قوت وغذا الناس وقوله تعالى لعلهم يذكرون معناه لكي يتعظوا فيؤمنوا فان احوال الشدة ترق القلب وترغب فيما عند الله كما قال الله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقال عز من قائل واذا مسه الشر فذو دعا عريض قوله عز وجل فاذا جاتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيية يطيروا بموسى ومن معه الا انما طايرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ۞ معناه فاذا جاهم الخصب والخير والرخا في المعيشة قالوا نحن اهل هذه الحسنة واحق بها ومن عادة بلادنا انها تاتي بالسعة والخصب وقوله تعالى وان تصبهم سيية يعني الجدوبة والقحط والبلا والشدة يطيروا اي يتشاموا بموسى واصحابه فقالوا اصابنا هذا البلا من شوم هولا والطيرة في اللغة التشاوم كما روي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال ويكره الطيرة والاصل في هذا ان العرب كانوا يزجرون الطير فيتفاولون به فاذا جاهم طاير من جهة اليمين وهو السانح تبركوا به وان جاهم طاير من جهة الشمال وهو البارح تشاموا به ثم كثر قولهم في الطيرة حتى استعملوه في كل ما تشاموا به وقوله تعالى الا انما طايرهم جواب من الله تعالى اليهم معناه ان الذي اصابهم من الخصب والشدة كل ذلك من عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الذي اصابهم من عند الله تعالى ويقال معناه الا انما الشوم الذي

يلحقهم

يلحقهم هو الذي وعدوا به في الاخرة لا ما ينالهم في الدنيا فان القحط الذي هم فيه قليل في جنب عقوبة الاخرة قوله عز وجل وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين ۞ قال الخليل وغيره من اهل اللغة الاصل في مهما ماما ابدلت الالف الاولى هاء لتخفيف اللفظ واما الاولى للجزاء والثانية زيادة لتاكيد الجزا كما زيدت في قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب واما تعرضن وكما يقال متى ما وقال بعضهم معنى مهما مه اي اكفف ثم قال ما تاتنا به بمعنى الشرط اي ما تاتنا به يا موسى من علامة لتسحرنا بها اي لتموهنا انها حق فما نحن لك بمصدقين في ما جيتنا به وكان موسى عليه السلم رجلا حديدا فدعا عند ذلك فارسل الله تعالى عليهم الطوفان كما قال تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ۞ قال الاخفش الطوفان جمع طوفانة وقد اختلفوا في تفسير الطوفان قال مجاهد هو موت غالب شاع فيهم والاظهر ما روي عن عبد الله بن عباس انه قال هو المطر الدايم ارسل الله عليهم المطر ليلا ونهارا من السبت الى السبت حتى خربت ابنيتهم وانقطعت السبل وكاد يصير المطر بحرا فخافوا الغرق فاستغاثوا بموسى عليه السلم وقالوا لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك ولنرسلن معك بني اسرايل فكشف الله عنهم وارسل الريح فجففت الارض وخرج من النبات ما لم يروا مثله فقالوا هذا الذي كنا جزعنا منه كان خيرا لنا ولم نشعر فلا والله لا نومن لك يا موسى ولا نرسل معك بني اسرايل فنكثوا العهد وعصوا ربهم واقاموا على كفرهم فارسل الله عليهم الجراد وغشي مصر منه امر عظيم حال بينهم وبين السما وغطى الشمس ووقع على الارض بعضه على بعض ذراعا ياكل كل شي انبتت الارض فصرخ اهل مصر وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك يعنون بالساحر العالم لانهم يعظمونه فدعا موسى عليه السلم ربه جل جلاله بعد سبعة ايام من الجراد فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته في البحر فلم يبق في ارض مصر جرادة واحدة فنظر اهل مصر فاذا قد بقي لهم بقية من كلايهم وزرعهم ما يكفيهم عامهم ذلك فقالوا قد بقي لنا ما فيه بلغتنا هذه السنة فلا والله يا موسى لن نومن لك ولا نرسل معك بني اسرايل ثم ارسل الله عز وجل عليهم القمل وهو الدبا وهو صغار الجراد التي لا اجنحة لها ويقال هو سوس الحنطة ويقال هي الحميات وهو ضرب من صغار القردان فمكث سبتا الى سبت فلم يبق في ارضهم عود اخضر الا اكلته فصاحوا الى موسى عليه السلم فقالوا [illegible] لنومنن لك [illegible] فدعا موسى عليه السلم ربه جل وعز فارسل الله تعالى ريحا حارة فلم يبق منه شي [illegible] فالقته في البحر [illegible] موسى عليه السلم [illegible] بني اسرايل [illegible] ان يضربنا فدعا موسى عليه السلم عليهم فارسل الله تعالى عليهم الضفادع فخرجت من البحر مثل الليل الدامس فغشيت اهل مصر ووقع على فرشهم وثيابهم حتى كان الرجل منهم يستيقظ وعلى فراشه من الضفادع ذراع بعضها على بعض وكان لا يسمع بعضهم كلام بعض من كثرة صوت الضفادع فكانوا اذا قتلوا واحدا [illegible] ما حوله حتى كان لا يمكنه الصبر على ذلك فضاقت الارض عليهم وقالوا [illegible] لين رفعت عنا هذه الضفادع لنومنن لك فدعا موسى عليه السلم فامات الله تعالى الضفادع [illegible] حتى احتمل الضفادع فقذفها في البحر [illegible] ارسلوا معي بني اسرايل [illegible] بني اسرايل واموالهم فقال موسى عليه السلم ان الله امرني ان اخرج بهم وباموالهم فقالوا لا نرسلهم معك فارسل الله تعالى عليهم الدم فجرت انهارهم [illegible] دما وبقي ماء بني اسرايل في الماء العذب الطيب وكان الاسرايلي [illegible] فاذا اخذ القبطي تحول دما وكانت القبطية [illegible] فكان يصير دما في فم القبطية بعد ان كان ماء في فم الاسرايلية فمكثوا على ذلك سبعة ايام لا يشربون الا الدم [illegible] فقال فرعون اقسم بالهك يا موسى لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك ولنرسلن معك بني اسرايل فدعا موسى عليه السلم [illegible] الله تعالى عنهم الدم فعذب ماؤهم فعادوا الى كفرهم [illegible] قوله تعالى ايات مفصلات فعناه

دلالات واضحات بعضها منفصل من بعض كل آية منها من السبت الى السبت وبين كل اثنتين شهر هكذا روي عن
ابن جريج وقوله تعالى فاستكبروا معناه تكبروا وتعظموا عن الايمان بموسى عليه السلم وكانوا قوما مجرمين اي مشركين
مقيمين على كفرهم **قوله عز وجل** ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل
هم بالغوه اذا هم ينكثون ٥ معناه ولما وقع عليهم العذاب الذي تقدم ذكره قالوا يا موسى سل لنا ربك بما
تقدم به اليك انه يجيب دعاك اذا دعوته كما اجاب دعاك في انزال هذه الايات وقوله تعالى لئن كشفت عنا
الرجز معناه لئن رفعت عنا هذا العذاب لنصدقك ولنطلقن بني اسرائيل من التسخير في الاعمال الشاقة ويقال
معناه لنتركهم حتى تذهب بهم الى الارض المقدسة وكانوا يقولون هذا القول كلما اضطروا الى رفع العذاب فاذا رفع
عنهم عادوا الى كفرهم فذلك قوله تعالى فلما كشفنا عنهم الرجز اي العذاب الى اجلهم بالغوه وهو الوقت
الذي علم الله تعالى من حالهم ان صلاحهم وصلاح غيرهم يتعلق بهم الى ذلك الوقت وقوله تعالى اذا هم ينكثون معناه انهم
جاوا بنكث العهود في موضع الوفا بالعهد واذا في هذا الموضع للمفاجاة واصل الرجز في اللغة تتابع الحركات يقال
ناقة رجزا اذا كانت ترتعد فرايصها ومن هذا رجز الشعر لانه اقصر ابيات الشعر والانتقال من بيت الى بيت وزعم
الخليل ان الرجز انما هو انصاف بيت والدليل ان بيت الارجز الى ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب فلو كان شعرا لم يقله كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك من لم تزود بالاخبار وانما هو ويأتيك بالاخبار من لم تزود **قوله عز وجل** فانتقمنا منهم
فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ٥ روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
انه قال وذلك ان الله تعالى امر موسى عليه السلم ان يخرج ببني اسرائيل ليلا فاستعار نسوة من بني اسرائيل من نساء آل
فرعون حليهن وثيابهن وقلن ان لنا خروجا الى عيد فاخرج موسى عليه السلم بني اسرائيل من اول الليل وهم ستمائة
الف من رجل وامراة وصبي فبلغ الخبر فرعون فركب ومعه الفا الف ومائتا الف وفي عدد الفريقين اقاويل غير هذا
القول فادركهم فرعون حين طلعت الشمس وانتهى موسى عليه السلم الى البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق اثني عشر
طريقا وكانت بنو اسرائيل اثني عشر سبطا فعبر كل سبط في طريق فاقبل فرعون ومن معه حتى انتهوا حيث عبر موسى عليه
السلم فدخلوا في تلك الطرق على اثرهم فلما دخل آخرهم وهم اولهم ان يخرج امر الله تعالى البحر فغرقهم وسمع اصحاب
موسى عليه السلم خفقة البحر بهم فقالوا ما هذا يا موسى قال غرق فرعون وقومه فسالوا موسى ان يريهم الله
تعالى اياهم فدعا موسى عليه السلم ربه فلفظهم البحر ولفظ فرعون فنظروا اليه والى من معه فلا يقبل الماء بعد ذلك
غريقا ابدا ورجع موسى عليه السلم ببني اسرائيل فسكنوا ارض مصر ومعنى هذه الاية فانتقمنا منهم بالعذاب واغرقناهم
في اليم وهو البحر بلسان العبرانية وقوله بانهم كذبوا باياتنا معناه عاقبناهم بتكذيبهم باياتنا وهي الايات
التسع التي اتاهم بها موسى عليه السلم اليد والعصا والسنون والنقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم وقيل ان السنين ونقص الثمرات آية واحدة والاية التاسعة هي الطمس وهي آخر الايات التسع
التي اتاهم بها موسى وقوله تعالى وكانوا عنها غافلين معناه انا عاقبناهم لتعرضهم لاسباب الغفلة لان الغفلة مما
لا يجوز ان يعاقب الانسان عليه **قوله عز وجل** واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما
كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ٥ معناه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفونهم
القبط وهم بنو اسرائيل مشارق الارض التي كانوا فيها ومغاربها ويقال اراد بهذه الارض المقدسة الاردن
وفلسطين بارك الله تعالى بكثرة المياه والاشجار والثمار قال عبد الله بن عباس وذلك ان المياه كلها تخرج من
تحت الصخرة التي ببيت المقدس ويقال في معنى هذه اورثناهم مشارق الارض ومغاربها كلها وذلك ان سليمن عليه
السلم ملك الارض كلها وكذلك ذو القرنين وكانا منهم واما قوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى معناه تمت

عن ربك

عن ربك يعني قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض وقوله تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض قال عبد الله بن عباس لما اهلك الله تعالى فرعون وقومه واورثهم مصر واهلك جالوت ملك
الشام وقومه واورثهم الشام وقوله تعالى بما صبروا اي بصبرهم على دينهم ان يرجعوا عنه الى دين جالوت وقومه
ويقال اراد بقوله وتمت كلمة ربك الحسنى نعمة ربك اي وجبت لهم الحسنى يعني الجنة واما قوله تعالى ودمرنا ما
كان يصنع فرعون وقومه فمعناه اهلكنا ما كان يعمل فرعون وقومه من المكايد والمنازل وما كانوا
يبنون من البيوت والقصور والكروم والشجر ويسخرون بني اسرائيل في بنائها ودفعها وقيل اراد بقوله تعالى
وما كانوا يعرشون الابنية التي بناها فرعون على شاطي نهر مصر على طريق الناس وكان يدعو الناس الى دينه ويقول
اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي **قوله عز وجل** وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم
يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ٥ معناه امرنا
بني اسرائيل بمجاوزة البحر وقدرنا ذلك لهم ويسرناه عليهم حتى خلفوا البحر وراهم على سلامة منهم وذلك من
اعظم نعم الله تعالى عليهم وقوله تعالى فاتوا على قوم يعكفون فيه بيان انهم كانوا في غاية من الجهل والعناد
فان الله تعالى خلصهم من عدوهم ونجاهم من الغرق واتوا الى قوم يواظبون على اصنامهم ويعبدونها وهم اهل الرقم
واهل الرقم اناس كفروا بعد ابرهيم عليه السلم مرت بهم بنو اسرائيل وهم قعود حول اصنامهم فقالوا يا موسى اجعل
لنا الها نعبده كما لهم آلهة يعبدونها قال انكم قوم تجهلون صفات الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه اي لا
تعرفون ان الذي يتخذ الها هو خالق الاجسام ثم بين ان هولاء سيهلكون ويهلك ما يعبدونه فقال كما قال الله تعالى
ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ٥ معناه ان هولاء مهلك ما هم فيه وضلال ما كانوا
يعملون معناه يضمحل عملهم ويصير وبالا عليهم والتبار في اللغة الهلاك يقال لكل اناء مكسور متبر وكساره التبر
فان قال قايل هل كان هولاء القوم الذين قالوا لموسى عليه السلم اجعل لنا الها مشبهة ام لا قيل يحتمل انهم كانوا
مشبهة بان اعتقدوا في صفات الله تعالى انها مثل صفات خلقه ولذلك قالوا لموسى عليه السلم مثل هذا القول ويحتمل
انهم لم يكونوا مشبهة ولكن طلبوا من موسى ان يجعل لهم اصناما يعبدونها تقربا الى الله تعالى كما حكى الله تعالى عن المشركين
انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى **قوله عز وجل** قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم
على العالمين ٥ معناه قال لهم موسى اسوى الله اطلب لكم ربا تعبدونه وهو فضلكم على عالمي زمانكم من القبط
وغيرهم [illegible] **قوله عز وجل** واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ٥ معناه واذكروا اذ
انجيناكم من آل فرعون [illegible]
[illegible]
[illegible] **قوله عز وجل** وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون
اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ٥ قال مجاهد وابن جريج كان الله تعالى وعد موسى عليه السلم [illegible]
التوراة [illegible] ذو القعدة وعشر من ذي الحجة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الطور [illegible]
[illegible]

به ومن لا يوثق به ويكون في ذلك ضرب من المصلحة لهم او للسبعين الذين كان اختارهم موسى عليه السلم للميقات
ليسمعوا كلام الله تعالى واما قوله في هذه الاية فتم ميقات ربه اربعين ليلة معناه تم الوقت الذي امره الله تعالى
بالعبادة فيه اربعين ليلة فان قيل فما فايدة هذا الكلام وقد كان لا يخفى ان الثلثين والعشرة يكون اربعين قيل
فايدته البيان الذي لا يكون معه توهم لمعنا الثلثين عشر منها كانه كان عشرين من شهر ثم اتم العشر من شهر
اخر فصار جميع ذلك ثلثين ليلة وقوله تعالى وقال موسى لاخيه معناه قال لاخيه هرون قبل انطلاقه الى الجبل الذي
امر بالعبادة فيه قم في مقامي في قومي واصلح فيما بينهم ولا تتبع سبيل المفسدين منهم ولا ترض بعملهم وذلك ان موسى
عليه السلم كان يشاهد كثيرا من خلافهم حالا بعد حال فاوصى اخاه هرون في امرهم ومن قرا هرون بالرفع فمعناه قال
يا هرون فان قيل كيف جاز ان يخاطب موسى هرون عليهما السلم بهذا الخطاب وكان هرون نبيا والانبيا صلوات
الله عليهم لا يخاطبون بهذا الخطاب قيل ان الرياسة كانت لموسى عليه السلم على هرون عليه السلم وقومه فلهذا احسن
منه ان يخاطب هرون بهذا الخطاب وان كان لا يحسن من هرون ان يخاطب موسى بهذا الخطاب **قوله عز وجل**
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك
تبت اليك وانا اول المؤمنين ه معناه لما انتهى موسى الى المكان الذي وقتناه له وامرناه بالمصير اليه
مدين والميقات قد يكون من جهة الزمان وقد يكون من جهة المكان كمواقيت الاحرام وقوله تعالى وكلمه
ربه معناه كلمه من غير ترجمان ولا سفير كان بينهما لا كما كلم ساير الانبيا صلوات الله عليهم على السنة الملايكة
ولم يذكر في هذه الاية في اي موضع كلمه وقد ذكر في اية اخرى انه كلمه من الشجرة وجانب [illegible] كلمه في وقت
اعطا التورية من الغمام قال ابن عباس رضي الله عنهما انطلق موسى عليه السلم الى الجبل ومعه السبعون الذين اختارهم
فامرهم ان ينتظروا في اسفل الجبل وصعد موسى عليه السلم وكلمه ربه وكتب له في الالواح وقربه نجيا فلما سمع موسى
عليه السلم صرير القلم قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى اعظم جبل بمدين وهو جبل زبير فان
استقر الجبل مكانه فسوف تراني فلما تجلى ظهر ربه للجبل يعني اظهر له من امره ما شا ويقال القى عليه نورا من الانوار
جعله دكا اي كسرا جبالا صغارا انقطع الجبل من هيبة الله تعالى فصار ثماني فرق اربع قطع وقعن بمكة
ثور وثبير وحرا وغار واربع قطع منها وقعن بالمدينة احد وورقان ورضوى ومهراس وقوله تعالى وخر موسى
صعقا اي مغشيا عليه فلما افاق من غشيته قال سبحانك اي تنزيها لك من قولي ومن كل سوء تبت اليك
من مسالتي الروية وانا اول المومنين من اهل هذا الزمان انك لن ترى في الدنيا وقال الحسن والربيع بن انس وابن
زيد ان موسى عليه السلم سال الله تعالى ان يريه نفسه ليراه ببصره من غير تشبيه فاجابه تعالى بما اجاب قال
الحسن قال الله تعالى لموسى عليه السلم اعرض رويتي على الجبال فان لم يحتملها مع عظمها وثقلها على مر الدهر فانت
ايضا لا تحتملها قال ومعنى قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل اي اوحى ربه قال وما راى شي ربه قط ولكن وحي الله تعالى الى
الجبل هل تطيق رويتي فساخ في الارض وموسى عليه السلم ينظر قال ولم يكن فيما عهد الله تعالى اليه انه لا يرى ولم يكن
ليسال ما يعلم انه لا يعطيه وما لا يكون في دينه ومن هذا قيل ان في سوال موسى عليه السلم دليلا جواز الروية على الله تعالى
لان الانبيا صلوات الله عليهم عارفون بالله تعالى وبصفاته ولا يجوز عليهم طلب المحال في صفات الله تعالى ولو كانت
الروية مما يستحيل كونه لم تقرن باستقرار الجبل فان استقرار الجبل لا يستحيل في العقل وقوله تعالى لن تراني لا يقتضي
النفي بعد الموت الا ترى الى قوله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم ثم قال حاكيا ذكرهم ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك وقيل في معنى التجلي للجبل انه ظهور الرب بما احدثه من الايات لحاضري الجبل كما في قوله تعالى واسال
القرية اي اهلها وقوله تعالى فما بكت عليهم السما والارض اي اهل السما والارض وتجلى وجلى بمعنى واحد كما يقال حدث
وحدث وصدق وتصدق وكان الله تعالى جعل اظهار تلك الايات لاهل الجبل تجليا منه لهم من حيث اظهر ما عرف به
ان الله تعالى لا يرى في هذه الدنيا بهذه الابصار الفانية وهذا كما يقال تجلى لنا الراي اذا عرفوه ويقال تجلى فلان لكذا

وان لم

وان لم يكن ذاته عنده كما قال الشاعر تجلى لنا بالمشرفية والقنا وان كان عن وقع الاسنة نائيا
وقال بعضهم معنى تجلى للجبل ابرز سبحانه من ملكوته ما تدكدك به الجبل وقد روي في الخبر ان الله تعالى ابرز من العرش
مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل لان اجسام الدنيا لا تحتمل ايات القيمة والاجسام العلوية اذ من حكم الدنيا
ان تفنى بايات القيمة فلا تحتملها الدنيا وقرا بعضهم جعله دكاء بالمد والهمز اي طاء على الجبل وبقي اسفله ارضا
دكا والدكا واحد الدكوات وهي روابي الارض التي تكون ناشزة عنها لا تبلغ ان تكون جبلا وناقة دكا اذا
لم يكن لها سنام ويحتمل ان يكون معنى الدك دق الجبل في الارض يقال دككت الشي اذا دققته وذهب قتادة في قوله
تعالى وخر موسى صعقا اي خر ميتا مع السبعين ثم احياهم الله تعالى وقيل ان هذا بعيد من القول لان الله تعالى قال
في موسى عليه السلم فلما افاق ولا يكاد يقال لمن فاق من موته وقال حين ذكره في حديث السبعين ثم بعثناكم من
بعد موتكم لعلكم تشكرون ويحتمل ان يكون توبة موسى عليه السلم في قوله سبحانك تبت اليك توبة عن المسالة قبل
الاذن له في السوال ويجوز انه قال ذلك استعظاما لمسالة الروية ومن عادة الفضلا اذا حدث بهم امر ان يجددوا
التوبة عن الذنوب الماضية وذهب بعض المفسرين الى ان موسى عليه السلم لما اراد الخروج الى الميقات واختار من
قومه سبعين رجلا حملهم مع نفسه الى الميقات ليسمعوا كلام الله تعالى ويشهدوا له بذلك عند قومه كي لا
يكذبوه قال له السبعون حين انتهوا الى الميقات ان قومك كانوا قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاسال
الله تعالى ذلك حتى ياتيك الجواب من عند الله تعالى فنشهد بذلك عند قومنا فسال الله تعالى موسى عليه السلم
عن ذلك على جهة استخراج الجواب لقومه فاجابه الله تعالى بما اجاب وقد كان الله تعالى امر موسى عليه
السلم ان يسال عن كل ما يساله عنه قومه حتى روي في الخبر ان قوم موسى عليه السلم قالوا لموسى عليه السلم
اينام ربك فلما جاء موسى الى الميقات لم يحسن ان يتفوه بهذه الكلمة هيبة منه تعالى قال الله تعالى لموسى عليه
السلم ماذا سالك قومك فقال انت اعلم فامره الله تعالى ان ياخذ قارورتين ويجعل في احداهما ماء وفي الاخرى
دهنا ويمسكهما بيديه ففعل موسى عليه السلم ذلك فالقى الله تعالى عليه النوم فاصطكت احدى يديه بالاخرى
فسقطت القارورتان فانكسرتا فقال الله تعالى له قل لقومك اني امسك السما والارض بقدرتي فلو نمت
لسقطتا كما سقطت القارورتان والاعتراض على هذا ان الله تعالى قال يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم فاخبر جل
ذكره بان الصاعقة قد اخذتهم عقيب سوالهم روية الله [illegible] منع موسى عليه السلم ان يسال عن
قومه الروية بعد ذلك ولو كانت [illegible] قصد موسى عليه السلم من سوال الروية استخراج الجواب [illegible]
ولم يسال الروية لنفسه ولو كانت الروية محالا على الله تعالى لكان يجيب قومه ويحتج عليهم
الا ترى انهم لما قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون وذهب بعضهم الى ان موسى
عليه السلم انما سال الله تعالى ان يريه اية من ايات القيمة التي يعلم بها عند رويتها المعرفة بلا ضرورة لم يزل
معها خطرات الشيطان من الوسوسة والشبهة والشكوك كانه قال رب ارني اية انظر اليك [illegible]
بها قال لن تراني اي لن تعرفني في الدنيا ضرورة ولكن انظر الى الجبل فان احتمل الجبل [illegible] من انواع ايات
القيمة فاعلم بانك تحتمل وان الجبل مع عظمه لا يحتمل فاعلم انك مع ضعفك [illegible] والاعتراض على هذا انه
ليس في قوله تعالى رب ارني انظر اليك بيان المرى فلو قال انظر اليك على انما سال ان يريه نفسه [illegible] يحتمل
هذه الاية على سوال اية من ايات القيمة على ان اليد البيضا وقلب العصا حية وفلق البحر قد كانت [illegible]
عن طلب اية من ايات القيمة وفي الجملة ان في كل واحد من هذه التاويلات المذكورة كلاما [illegible]
الا ان التاويل الاول الاصح واليه ذهب اكثر اهل العلم رحمهم الله **قوله عز وجل** قال يا موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين ه معناه قال الله تعالى يا
موسى اني اصطفيتك اي اخترتك بما فضلتك برسالاتي الى الناس الذين ارسلتك اليهم وبكلامي معك من غير وحي [illegible]

على سائر الأنبياء صلوات الله عليهم بالجمع لك بين الرسالة والكلام فخذ ما آتيتك أي اعمل بما علمتك من التوراة
وكن من الشاكرين لما أعطيتك وأكرمتك وفي الآية بيان تشريف موسى عليه السلام من حيث أن الله تعالى هو
الذي علمه العلم وأخذ الإنسان العلم من العالم الكبير أشرف من أخذ الإنسان العلم ممن أخذ العلم من ذلك العالم
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان موسى عليه السلام سأل الرؤية يوم الخميس يوم عرفة فخر صعقا يومئذ
وأعطي التوراة يوم النحر يوم الجمعة لعشر من ذي الحجة **قوله عز وجل** وكتبنا له في الألواح من كل
شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين
معناه وكتبنا له التوراة في الألواح قال عبد الله بن عباس وهي سبعة ألواح من الزبرجد الأخضر ويقال
من الياقوت الأحمر على طول موسى عليه السلام عشرة أذرع أعطاها الله تعالى موسى عليه السلام وفيها التوراة كنقش الخاتم
وقوله تعالى من كل شيء معناه من أمور الدنيا وقوله تعالى موعظة معناه ما يدعو إلى الطاعة ويزجر عن المعصية
بالوعد والوعيد وأخبار الأمم الماضية وقوله تعالى وتفصيلا لكل شيء معناه لكل أمر من أمور الدين في الحلال
والحرام والأمر والنهي وقوله تعالى فخذها بقوة أي اعمل بها بجد في طاعة الله تعالى ومواظبة عليها ويقال بصحة عزيمة
ولو أخذها بضعف نية لأداه إلى فتور العمل بها وقوله تعالى وأمر قومك معناه مرهم يعملوا بأحسن ما بين لهم
فيها أي أمروا بالخير ونهوا عن الشر وعرفوا ما لهم في ذلك فهم يأخذوا بالأحسن ويقال مرهم يأخذوا بالفرائض
والنوافل دون المباح الذي لا حمد فيه ولا ثواب ويجوز أن يكون معناه أن الله تعالى ذكر فيها الانتصار من
الظلم وثواب الصبر والصبر أحسن من الانتصار وذكر فيها التخيير بين أشياء وبعضها مزية على بعض ويقال
معناه يأخذوا بالناسخ دون المنسوخ واعترضوا على هذا فقالوا إن فعل المنسوخ المنهي عنه قبيح ولا يقال الحسن
أحسن من القبيح قال عبد الله بن عباس كان موسى عليه السلام أشد عبادة من قومه وأمر بما لم يؤمروا به كما
هو مذكور في الآية وقوله تعالى سأريكم دار الفاسقين معناه سوف أريكم جهنم هي دار الخارجين عن طريقة الدين ويقال
أراد به ما مروا عليه في سفرهم من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا بالتكذيب **قوله عز وجل**
سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين ه معناه سأجعل جزاء المتكبرين الذين لا يؤمنون بالمعجزة ويستحقون بحقها الإضلال عن هذه
سائر المعجزات وعن فهم ما أودع الله تعالى في الكتاب يقرءونه ولا يفهمون ما أراد الله تعالى به ويقال
معنى الآية سأصرفهم عن الاعتراض على آياتي بالإبطال وبالمنع من الإظهار للناس وهذا كما يقال سأمنعك من
فلان أي من أذاه ويقال معناه سأصرف عن نيل ما في آياتي من العز والكرامة للأنبياء صلوات الله عليهم والمؤمنين
هؤلاء المتكبرين بغير الحق وهم الذين يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم ما ليس لغيرهم وقوله تعالى وإن يروا كل آية
لا يؤمنوا بها معناه كل علامة تدل على توحيد الله تعالى ونبوة الأنبياء صلوات الله عليهم لا يصدقوا بها وقوله تعالى
وإن يروا سبيل الرشد أي يروا سبيل الإسلام والخير لا يتخذوه دينا لأنفسهم وإن يروا سبيل الغي يعني طريق الكفر
والضلال يتخذوه دينا لأنفسهم ومن قرأ سبيل الرشد بنصب الراء والشين فالرشد في قول أبي عمرو الاستقامة على
الدين والرشد بضم الراء الإصلاح وقال الفراء هما بمعنى واحد كالسقم والسقم والحزن والحزن وقوله تعالى ذلك
بأنهم يحتمل أن يكون ذلك في موضع الرفع على معنى أمرهم ذلك ويحتمل أن يكون نصبا على معنى فعل الله تعالى ذلك
بهم بتكذيبهم بآياتنا قال مقاتل أراد بقوله بآياتنا الآيات التسع كأنه ذهب إلى أن هذا كله خطاب
لموسى عليه السلام ذكره الله تعالى في القرآن وقال الكلبي معنى كذبوا بآياتنا أي محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
وذهب إلى أن قوله تعالى سأصرف خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وكانوا عنها غافلين يجوز
أن يكون معناه وكانوا عن جوابها غافلين كما يقال ما أغفل فلانا عما يراد به ويجوز أن يكون معناه وكانوا
في تركهم الإيمان بها والنظر والتدبر فيها بمنزلة الغافلين التاركين الناسين **قوله عز وجل** والذين كذبوا

بآياتنا

بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ه يجوز أن يكون معناه الذين
كذبوا بدلائلنا بالبعث بعد الموت بطلت أعمالهم التي عملوها على جهة البر هل يكافئون في الآخرة إلا بكفرهم
وأعمالهم السيئة في الدنيا **قوله عز وجل** واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار
ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ه قال عبد الله بن عباس وذلك
أن موسى عليه السلام كان وعد قومه الانطلاق إلى الجبل ثلثين يوما فلما تأخر رجوعه إليهم قال لهم السامري وكان
رجلا مطاعا فيهم قد رأيتم اتخذتم الحلي من آل فرعون فعاقبكم الله تعالى بتلك الخيانة ومنع موسى عليه السلام منكم
فاجمعوا الحلي حتى نحرقها لعل الله تعالى يرد علينا موسى عليه السلام فجمعوا وكان السامري صائغا فجعل الحلي في
النار واتخذ منه عجلا ونفخ فيه التراب الذي كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام وكان ذلك الفرس فرس الحياة
ما وضع حافره على موضع إلا اخضر فلما نفخ فيه شيئا من ذلك التراب صار عجلا جسدا له خوار فعبدوه وزفنوا
حوله قال الحسن رضي الله عنه كان الله تعالى أجرى العادة بأن من أخذ كفا من تراب تحت حافر دابة ملك
وألقاه في شيء صار ذلك الشيء حيوانا فلما ولو أن نبيا من الأنبياء صلوات الله عليهم قال لبعض أصحابه هذا التراب
الذي أعطيتك إذا طرحته على كذا صار طعاما وفي التراب في يده وظهر هذا الحكم لم يكن ذلك معجزة للذي كان
التراب في يده بل كان يكون معجزة لذلك الرسول ويقال كان السامري حين صاغ العجل جعل فيه خروقا تجري فيها
الريح فكان يسمع من تلك الخروق شبه الخوار ويقال كان يدخل إنسان تحته فيصوت مثل الخوار ويحتمل أنه كان
يجري إليه من تحته ماء على سبيل الفوارة فيتوهم الناس أنه حي يخور قال الزجاج معنى قوله جسدا أي جثة لا تعقل
ليس له روح ولا عقل ولا كلام إنما له خوار فقط وأما إضافة الخوار إلى العجل في الآية فهو كما يقال لصوت
الحجر وصوت الطست فأما الحلي فهو جمع الحلية وهو ما تزين به من الذهب والفضة ومن قرأ حليهم بكسر الحاء
اتبع الحاء كسرة اللام وقوله تعالى ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم معناه ألم يبصروا أن العجل لا يكلمهم
بما يجري عليهم نفعا أو يدفع ضرا ولا يرشدهم طريقا إلى خير ليأتوه ولا إلى شر لينتهوا عنه ولو كان إلها هذا ما لا إله
لا يهمل عبيده وفي الخبر أن ذلك العجل خار مرة واحدة ولم يعد ويقال كان يسمع صوته غير مرة والله أعلم فأما قوله
تعالى اتخذوه فيحتمل أن يكون معناه ولا يرشدهم الطريق الذي يتخذونه أي الأمر الذي يشرعون فيه ويجوز أن يكون قوله
اتخذوه ابتداء على معنى عبدوه إلها وكانوا بعبادتهم كافرين **قوله عز وجل** ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم
قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه
لما ندموا على عبادة العجل ورأوا أنهم قد ضلوا عن الحق قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ما عملنا لنكونن من الخاسرين
بالعقوبة قال الزجاج يقال للنادم على ما فعل المتحسر على ما فرط منه قد سقط فلان في يده وأسقط والمعنى لما سقط الندم
في أيديهم كما يقال قد حصل في يد فلان مكروه وإن كان ذلك مما لا يكون في اليد وإنما يكون في القلب وقيل إن أصله
أن الإنسان إذا ندم جعل رأسه في يديه ويقال هذا مثل يضرب في اللغة لكل من لقي أمرا عظيما على جهالة وهو عند
نفسه كالمصيب ثم تبين له البطلان وقال محمد بن جرير أصل هذا من الاستيسار أن يصرع الرجل الرجل فيرمي به إلى الأرض
بأسره فيكون المرمي به مسقوطا في يد الساقط فقيل لكل عاجز عن شيء نادم على ما فاته سقط في يديه ومن قرأ لئن
لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب فهو على الخطاب والنداء كأنهم قالوا لئن لم ترحمنا يا ربنا وتغفر لنا لنكونن من الخاسرين
قوله عز وجل ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم
وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا
تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ه معناه ولما رجع موسى من الجبل إلى قومه شديد الغضب
حزينا قال بئس ما فعلتم خلفي في غيبتي بعبادة العجل أعجلتم بقول السفه وعد ربكم الذي وعدني من الأربعين ليلة
وذلك أنهم قدروا أن موسى عليه السلام قد منع منهم أو قدروا أنه مات لما لم يأت على رأس ثلثين ليلة ويقال معنى أعجلتم

استقم وعد ربكم بالثواب على عبادته حتى عدلتم الى عبادة غيره يقال عجلت الشيء اذا سبقته واعجلته اذا استحثثته والعجلة التقدم الى الشيء قبل وقته والسرعة التقدم الى الشيء في اول وقته ولذلك كانت العجلة مذمومة وقوله تعالى والقى الالواح التي كانت فيها التوريه القاها من يده واخذ براس اخيه هرون يجره اليه قال ابن عباس اخذ راسه بيده اليمنى ولحيته باليسرى فقال هرون يا ابن ام ان القوم استضعفوني اي قهروني واستذلوني وهموا بقتلي قال وكان هرون اخاه لابيه وامه ولكنه انما قال يا ابن ام لرقته عليه وعلى هذا طريقة العرب وقوله تعالى فلا تشمت بي الاعداء اي لا تفرحهم علي ولا تظن اني رضيت بفعل الظالمين ولا تجعلني مع عبدة العجل في الغضب علي من قرا ابن ام بنصب الميم فلان النداء كلام يحتمل الحذف فجعل ابن وام شيئا واحدا لكثرة الاستعمال نحو خمسة عشر واما من قرا بكسر الميم فعلى معنى الاضافة الى نفسه الا انه حذف ياء الاضافة من ابن ام لكثرة الاسم الاستعمال كما يقال يا ابن اخ واما الشماتة فهي سرور العدو بسوء العاقبة والاشمات التعريض لتلك الحالة فان قيل لم جاز ان ياخذ عليه السلم براس هرون يجره الى نفسه ولا يجوز لنبي ولا ينبغي الاستخفاف بمن يكون نبيا قيل في هذا اقوال احدها انه كان ذلك على جهة العتاب لا على وجه الهوان كانه اراد ضمه الى نفسه معاتبا مستعملا السبب لاقدام القوم على المعصية العظيمة ومثل هذه الافعال يختلف احكامها بالعادة ولم يكن العادة حينئذ فعلها على وجه الاهانة ومن فعل هذا بعد اذ لم يعد ذلك استخفافا والثاني اجراه مجرى نفسه من حيث انهما كانا في النبوة والاخوة والالفة كالنفس الواحدة وقد يقبض الانسان عند الغيظ على لحية نفسه ويعض ابهامه وشفتيه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه كان اذا احزنه امر فتل شاربه الا ان هرون عليه السلم خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل ان موسى عليه السلم واجد عليه غضبان كهو على من عبد العجل فقال يا ابن ام ان القوم استضعفوني الى اخر الآية والقول الثالث ان موسى عليه السلم انما فعل هذا بهرون في حالة الغضب الذي لا يملك الانسان نفسه وكان ذلك صغيرة منه كما انه القى الالواح لشدة الغضب وكان من الواجب عليه ان يعظمها **قوله عز وجل** قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ه معناه والله اعلم قال موسى رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ما كان منه من التقصير في ردع القوم عن عبادة العجل ويقال انما استغفر لنفسه ولاخيه لانه لم يفعل ما فعل باخيه الا لاظهار المؤاخذة والغضب عليه وقوله تعالى وادخلنا في رحمتك اي في جنتك وقوله تعالى وانت ارحم الراحمين اي ارحم بنا منا بانفسنا ويقال ارحم بنا من ابائنا وامهاتنا وانما يذكر هذا في اخر الدعوات لبيان شدة ارحام الله عز وجل فان الابتداء بالنعمة يوجب الاتمام وسعة الرحمة يوجب استدعاء الزيادة كما يقال يا اجود الاجودين ويا اكرم الاكرمين ه **قوله عز وجل** ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ه قيل ان هذا خطاب لموسى عليه السلم ومعناه ان الذين اتخذوا العجل الها سيصيبهم عذاب من ربهم في الاخرة والغضب من الله تعالى ارادة الانتقام على ما سلف وقوله تعالى وذلة في الحيوة الدنيا اراد به ما امروا به من استسلامهم للقتل بقعودهم لاخذين بحبوتهم وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين معناه كما جزينا هؤلاء فكذلك نجزي الكاذبين على الله وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذا خطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى هم احبار يثرب الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتولون اباهم الذين عبدوا العجل والمراد بالذلة في الحيوة الدنيا الجزية **قوله عز وجل** والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ه قال بعضهم معناه والذين عملوا المعاصي وهم الذين لم يعبدوا العجل ولم يقاتلوا الذين عبدوا العجل ثم تابوا من بعدها بسائل الذين عبدوه من ابائهم وامهاتهم وبني ابيهم وقوله تعالى وامنوا اي استانفوا عمل الايمان ويقال وامنوا معناه امنوا بان الله تعالى قابل للتوبة ويقال امنوا بعد التوبة على معنى ان التوبة والايمان في معنى شيء واحد وقوله تعالى ان ربك من بعدها لغفور رحيم اي من بعد توبتهم لغفور لذنوبهم رحيم بهم بعد التوبة

وقال بعضهم

وقال بعضهم اراد بالسيئات في هذه الآية الشرك وسائر المعاصي اذا تاب صاحبها عنها **قوله عز وجل** ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ه معناه ولما سكن عن موسى عليه السلم الغضب وزالت فورة غضبه يقال سكت سكتا اذا سكن وسكت يسكت سكوتا وسكتا اذا قطع الكلام ورجل سكيت اي كثير السكوت واصابه فلان سكتة اي دامنعه عن الكلام والسكيت الذي يجيء اخر الخيل في الحلبة وقال بعضهم انما قال سكت الغضب على معنى انه جعل الغضب كالناطق لانه يلقي عن بانى نفس الغاضب على المغضوب عليه ويقتضي تشدده عليه في اللوم والتعنيف فجعل سكوته وزوال الغضب كالسكوت وقال معناه ولما سكت موسى عليه السلم عن الغضب وهذا من المقلوب كما يقال ادخلت القلنسوة في راسي يراد به ادخلت راسي في القلنسوة وقوله تعالى اخذ الالواح قال ابن عباس رفعها بعد ما القاها وبعد ما انكسرت وقوله تعالى وفي نسختها تقول فيما نسخه موسى عليه السلم مما تكسر قال نسخت له اي اعيدت في لوحين مكان اللذين انكسرت وقوله تعالى هدى ورحمة اي فيها بيان من الضلالة ونجاة للذين يخشون الله تعالى ويعملون له بالغيب وانما ادخل اللام في قوله تعالى لربهم لتقديم المفعول على الفعل **قوله عز وجل** واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ه معناه واختار موسى عليه السلم من قومه فحذف من ووصل الفعل الى قومه فنصب يقال اخترت من الرجال زيدا واخترت الرجال زيدا وانشد

ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع ه

وقوله تعالى سبعين اي اختار منهم سبعين للوقت الذي وقته ليستصحبهم مع نفسه عند الخروج الى الميقات ليشهدوا ويعترفوا على سماع كلام الله تعالى فان القوم كانوا لا يصدقون موسى عليه السلم في ان الله تعالى كلمه من الشجرة وكانوا اثني عشر سبطا فاختار موسى من كل سبط ستة نفر فخلف منهم رجلين فقال لهم امرت بسبعين فليرجع اثنان منكم وهما احرمن حضر فرجع يوشع بن نون وكالوب بن يوفنا وذهب موسى عليه السلم مع السبعين الى الجبل وقوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة معناه لما اخذتهم الزلزلة الشديدة عند الجبل قال موسى عليه السلم رب لو شئت اهلكت هؤلاء السبعين من قبل ان حملتهم الى الميقات بما اوجب عليهم من الرجفة وقوله تعالى واياي اي اهلكتني معهم بقتل القبطي وقوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا هذا الف الاستفهام ومعناه في اللغة الانكار وهو لم يرد به الاستفهام ولا الانكار انما اراد به اي انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا قيل ان موسى عليه السلم ظن ان الرجفة انما اخذت هؤلاء السبعين لاتخاذ بني اسرائيل العجل ولذلك قال ان هي الا فتنتك اي ما عبادة العجل الا بليتك اذ صار الروح في العجل تضل بالفتنة من تشاء وتهدي في الفتنة من تشاء وقال بعضهم انما اراد بقوله بما فعل السفهاء منا ما كان منهم من سؤال الرؤية وقوله تعالى ان هي الا فتنتك معناه ان الرجفة الا محنتك تضل بالمحنة فيها من تشاء وترك الصبر عليها وتهدي بالعصمة من تشاء بالصبر عليها ويقال اراد بالفتنة التشديد في التعبد كما في قوله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين اي يكلفون الصبر على ما يصيبهم وكما في قوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون اي لا يكلفون الصبر على الشدائد واما قوله تعالى انت ولينا فمعناه انت ناصرنا وحافظنا ومتولي امرنا واولى بنا من انفسنا فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا ولا تعذبنا وانت خير من يعفو عن الخطايا والسيئات وانما قال خير الغافرين لانه يقال لمن عفى عن القصاص والجنايات انه قد عفى كما قال الله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفي بعض الروايات ان الله تعالى لما اهلك هؤلاء السبعين بقي موسى عليه السلم وحده يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم وقد اهلكت خيارهم فاحياهم الله تعالى كما قال الله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الى اخر الآيتين وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة **قوله عز وجل** واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا

هُدْنَا اِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي اُصِيبُ بِهِ مَنْ اَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكٰوةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ٥ معناه واجعل لنا فى هذه الدنيا حسنة يعنى العلم والعبادة وكل ما يحرى
به المغفرة وانما ذكر لفظ الكتابة لان المكتوب يكون ادوم واثبت كما يقال كتبت رزق فلان فى الديوان والمراد
به الاثبات وقوله عز وجل وفى الاخرة اى واكتب لنا فى الاخرة حسنة وهى الجنة انا هدنا اليك اى تبنا اليك ورجعنا
بالتوبة يقال هاد يهود اذا رجع ولم يوخذ اسم اليهود من هذا وانما اخذ من يهوذا فلما عرب قلبت الذال دالا
وقوله تعالى قال عذابى اصيب به من اشاء معناه قال الله تعالى عذابى اخص به من اشاء من العباد من كان اهلا لذلك
ورحمتى وسعت كل شى يعنى البر والفاجر قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الاية تطاول لها ابليس فقال
انا شى من الاشيا فاكذبه الله تعالى واخرجه من الرحمة بقوله فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكوة معناه ساوجبها
فى الاخرة للذين يتقون الشرك والمعاصى ويعطون الزكوة الواجبة ويقال ويزكون انفسهم بعمل الصالحات وقوله
تعالى والذين هم باياتنا يومنون معناه والذين هم بدلايل التوحيد والرسالة يصدقون قال لما نزلت هذه الاية قالت اليهود
والنصارى نحن اهل الكتاب القديم فسمع الله تعالى مقالتهم واخرجهم من الرحمة وبين لمن هى فقال عز من قائل
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْاُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرٰيةِ وَالْاِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهٰهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ اِصْرَهُمْ وَالْاَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي اُنْزِلَ مَعَهُ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥
معناه الذين يتبعون الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم وسماه اميا على معنى انه لم يحسن الكتابة والامى هو
الذى على ما ولدته امه عليه لا يكتب ولا يقرا ويقال الذى هو منسوب الى ما عليه اصل الامة فان اصل الامة
على ان لم يحسنوا شيا حتى يتعلموا وقوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يعنى نعته وصفته
وخاتمه الذى بين كتفيه ونعت امته وشريعته ونعت الجمعة انها لهم وقوله تعالى يامرهم بالمعروف اى بالتوحيد
وشرايع الاسلام وينهاهم عن كل ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة ويحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم
ما اكتسبوه من وجه خبيث ويقال معناه ويحل لهم ما حرم عليهم لاحبارهم ورهبانهم ويحرم عليهم الخبائث التى هم
اقدموا عليها وقوله تعالى ويضع عنهم اصرهم يعنى ثقلهم والاصر كل ما عقد من عقد ثقيل ولذلك سمى العهد اصرا
من حيث ثقل حفظه وقوله تعالى والاغلال التى كانت عليهم كناية عن الامور الشديدة التى كانت عليهم
واخذ عليهم عهدها كان اذا اصاب ثوب احدهم شى من النجاسة وجب قطعه وكان عليهم ان لا يعملوا
فى السبت وكان فى اليهود فى القتل القتل لا غير وفى النصارى الدية لا غير فجعل الشدايد التى كانت عليهم بمنزلة
الاغلال التى تكون فى الاعناق وهذا كما تقول جعلت هذا الامر طوقا فى عنق فلان وليس هنا كطوق وانما تاويله
جعلته لزوما لك كالطوق فى عنقك وقوله تعالى فالذين امنوا به معناه فالذين صدقوا بمحمد النبى وعظموه واعانوه
بالسيف على الاعدا واتبعوا النور يعنى القران الذى ضياوه فى القلوب كضيا النور فى العيون اولئك هم المفلحون اى هم
الظافرون بالمراد والبقا فكان من رحمة الله تعالى التى اوجبها لهذه الامة ان بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وامر
بالمعروف ونهى عن المنكر ووضع الاصار والاغلال ٥ قوله عز وجل قُلْ يَا اَيُّهَا النَّاسُ اِنِّي رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ
جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْاُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ
بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٥ قال عبد الله بن عباس كان كل رسول بعث الى قومه وبعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى قومه وغير قومه فذلك قوله عز وجل قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم اى قل
يا محمد انى رسول الله اليكم جميعا يعنى كافة ادعوكم الى توحيده وطاعته واتباعى فيما اوديه اليكم روى انه
صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس قبل نزول هذه الاية الى الاسلام واحدا بعد واحد فلما نزلت هذه الاية اظهر ونادى
فى مكة وقوله تعالى الذى له ملك السموات والارض يعرف الله تعالى الذى ارسله اليهم بانه مالك السموات والارض
وقوله تعالى لا اله الا هو اى لا شريك له فى الالهية لا خالق ولا رازق غيره يحيى ويميت اى يخلق الخلق من النطفة ويميتهم عند

ايضا اجالهم لا يقدر على ذلك احد سواه ويقال معناه يحيى الاموات بالبعث ويميت الاحيا فى الدنيا وقوله تعالى
فامنوا بالله اى صدقوا بالله ورسوله النبى الامى الذى لا يكتب وهو من حجته ان يقرا الكتب وينقل لهم اخبار الماضين
ولكن يسمع ما اوحى اليه وقوله تعالى الذى يومن بالله وكلماته معناه الذى يومن بالله وكتبه ومن قرا وكلمته
يعنى عيسى بن مريم وقوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون اى اتبعوه فيما يودى اليكم لكى تهتدوا من الضلالة
قوله عز وجل وَمِنْ قَوْمِ مُوسٰى اُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ٥ معناه ومن قوم موسى عليه السلام
جماعة يدعون الى الحق ويعملون به وبه يحكمون وهم مومنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وروى
عن عبد الله بن عباس انه قال هم سبعة اسباط ونصف من بنى اسرائيل قبل المشرق وخلف الصين عند المطلع اخروا
من بيت المقدس مستمسكين بالتورية مشتاقين الى الاسلام يعملون بفرايض الله تعالى بيوتهم مستوية والامانة بينهم
فاشية قبورهم عند ابوابهم لا تباغض بينهم ولا تحاسد ولا حلف ولا خيانة ولا كذب ولا غش يعملون بالحق
فيما بينهم ولا امير ولا قاضى من بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به الى السما فعرض عليهم الاسلام
فقبلوه وذكر مقاتل بن سليمن فى تفسيره ان بين الصين وبينهم واديا جاريا من رمل يمنع ذلك الناس من اتيانهم الا
انا سمعنا خبر هولاء لان الله تعالى اخبر نبينا صلى الله عليه وسلم عنهم وسمع ابن عباس رضى الله عنهما من النبى صلى الله
عليه وسلم قوله عز وجل وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ اَسْبَاطًا اُمَمًا وَاَوْحَيْنَا اِلٰى مُوسٰى اِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ
اَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ
وَاَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥ معناه
وفرقناهم اثنتى عشرة فرقة والسبط فى ولد اسحق بمنزلة القبيلة فى ولد اسمعيل عليهما السلام وانما ذكر اثنتى عشرة على لفظ
التانيث وان كان لفظ السبط مذكرا لان معنى الاسباط الفرق والجماعات فان قيل كيف قال اثنتى عشرة اسباطا
ولا يجمع ما بعد العشرة على لفظ الجماعة يقال اثنا عشر درهما ولا يقال اثنا عشر دراهم قيل ذكر الزجاج ان قوله اسباطا
بدل لا تمييز كانه قال قطعناهم اسباطا اثنتى عشرة وقيل انما قال ذلك لان السبط الواحد يكون ان يقال له اسباط
على معنى انه يرجع نسبهم الى الاباء ويرجع نسب ولد الاباء الى اصل ذلك السبط واما قوله تعالى واوحينا الى موسى اذ
استسقاه قومه معناه اوحينا اليه فى التيه حين طلب قومه منه الماء ان اضرب بعصاك الحجر قال عبد الله بن عباس رضى الله
عنهما واكثر المفسرين كان ذلك حجرا يحملونه مع انفسهم على الحمار ولهذا عرف الحجر بالالف واللام وقال الحسن رضى الله
عنه اى حجر كان [illegible]
[illegible] وقوله تعالى فانبجست منه [illegible]
[illegible]
[illegible]
منه اثنتا عشرة عينا لانهم كانوا اثنى عشر سبطا [illegible]
وقوله تعالى وظللنا عليهم الغمام [illegible]
[illegible] وقوله تعالى وانزلنا عليهم المن والسلوى [illegible]
طيبات ما رزقناكم [illegible]
[illegible] قوله عز وجل وَاِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ
وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ
معناه واذ قيل لهم [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله عز وجل
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ٥

معناه غيّر الذين ظلموا انفسهم القول الذي امروا به فقالوا لواطة سمقاثا يعنون به حنطة حمرا ويقال قالوا حنطة في
شعيرة فارسلنا عليهم رجزا اي عذابا من السما نزلت عليهم نار فاحرقتهم بتبديلهم ما امروا به **قوله عز وجل**
واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا
ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ٥ معناه سل يا محمد يهود المدينة عن القرية التي
كانت بقرب البحر وهي مدينة ايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهذا سوال توبيخ لهم لا سوال تعرف من قبلهم
وفي السوال فايدة اخرى ان يهود المدينة جروا على عادة اسلافهم في التمرد في المعصية فكان الله تعالى امر نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يسالهم ما فعل الله تعالى باهل تلك القرية اليس قد جعلهم الله قردة لما خالفوا امر الله تعالى فما
يومنكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم من عذاب الله تعالى وقوله تعالى اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم اي حين
ما كانوا يتجاوزون الحد باخذهم السمك في يوم السبت وقد امروا ان لا يصطادوا يوم عيدهم وان يتفرغوا للعبادة
والطاعة وقوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا قال ابن عباس رضي الله عنهما ظاهرة على وجه الما وقال
مقاتل رحمه الله كانت تشرع اليهم يوم السبت من غمر الما الى الحد ومن الاسفل الى الاعلى مثل الكباش البيض امنت
يومئذ من ان تصاد وقوله تعالى ويوم لا يسبتون معناه يوم لا يكون يوم السبت كانت الحيتان تغوص في الما ولا
تاتيهم شرعا فحفرت طايفة من اهل هذه القرية يلقون الشبكة في الما في يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم
كانوا لا يخرجون الشبكة من الما الا يوم الاحد وقالوا انما نصطاد في يوم الاحد واما قوله تعالى كذلك نبلوهم
بما كانوا يفسقون معناه كذلك نشدد عليهم في التكليف والتعبد بعصيانهم وفسقهم فان الامساك في
حال الوجود والقدرة اشد منها في حال القلة وعن هذا قيل ان من العصمة ان لا تجد ووقف بعض القرا على قوله
تعالى كذلك على معنى لا تاتيهم في غير يوم السبت ثم ابتدا فقال نبلوهم بما كانوا يفسقون فان قيل كيف عرف
الله تعالى الحيتان الفصل بين يوم السبت وغير يوم السبت قيل لا يمتنع ان الله تعالى عرفها ذلك وقوى دواعيها
الى الشروع في يوم السبت معجزة لنبي ذلك الوقت وابتلا لاولئك القوم وقد بينا ان الابتلا من الله تعالى اظهار
ما علمه في الازل ٥ **قوله عز وجل** واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم
عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ٥ في الاية دلالة انه كان في اهل القرية فرقة
تعظون المذنبين الا انه حذف ذكر الواعظين لان في الكلام دلالة عليه ومعنى الاية واذ قالت عصبة من اهل تلك
القرية للواعظين لم تعظون قوما الله مهلكهم في الدنيا او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة ولم يقولوا هذا كراهة لوعظ
الواعظين ولا رضى بمعصية الاخرين ولكن قالوا ذلك لاياسهم من قبولهم الوعظ فان الامر بالمعروف انما يجب عند عدم
الاياس من القبول وان كان يحسن ذلك مع عدم من القبول وقوله تعالى قالوا معذرة الى ربكم معناه قالت الفرقة
الواعظة موعظتنا اياهم معذرة الى الله تعالى اي نبلي بذلك عذرنا عند الله تعالى ومن قرا معذرة بالنصب فعلى معنى
نعتذر معذرة وقوله تعالى ولعلهم يتقون معناه ورجا ان يتقوا وكان الواعظين لم يكونوا ايسوا من قبولهم
الموعظة **قوله عز وجل** فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ٥ معناه فلما تركوا ما وعظوا به ترك الناسي ويقال فلما تعرضوا
لنسيان ما وعظوا به بفعل ما نهوا عنه ويجوز انهم نسوا الموعظة دون التحريم وقوله تعالى انجينا الذين ينهون اي
خلصنا الذين ينهون عن السوء وهو حبس السمك في الحظيرة يوم السبت لياخذوه يوم الاحد وقوله تعالى واخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس اي شديد يقال بئس يبأس باسا اذا اشتد وبوس يبوس بوسا اذا افتقر وقوله تعالى بما كانوا
يفسقون معناه بفسقهم وليس في هذه ذكر حال الفرقة الثالثة وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
كان القوم ثلاث فرق وكانت الفرقة الوسطى تعمل بالسوء والنهي تنهى تقول لما الله مخزيكم باس الله وكانت اليسرى
تكف السنتها وتمسك ايديها فلما اعملت الوسطى بذلك زمانا وكثرت اموالهم ولم ينزل بهم عقوبة استبشروا
وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا وذهبت حرمته وكانوا نحوا من سبعين الفا وكانت الفرقة الناهية وهم

نحو

نحو من اثنا عشر الفا تقول لهم لا تعتدوا ولا تامنوا من عذاب الله تعالى فلم يتعظوا وابوا ان يرجعوا واستحلوا
فاصبحوا وقد مسخهم الله قردة خاسئين فمكثوا كذلك ثلثة ايام عبرة للناظرين ثم ماتوا قال ابن عباس
رضي الله عنهما انجى الله تعالى الذين ينهون واخذ الظالمين فليت شعري ما صنع بالذين لم ينهوا قال عكرمة
بل اهلكهم الله تعالى لانه انجى الذين ينهون واهلك الباقين بظلمهم بالاعتدا وترك الامر بالمعروف فقال
ابن عباس نزل والله بالمداهن ما نزل بالمستحل وعن الحسن رضي الله عنه انه لما ذكر له ما روي عن ابن عباس في هذه
القصة انكره وقال انجى فرقتان وهلكت فرقة قال لانه ليس شي ابلغ في الامر بالمعروف والوعظ من ذكر
الوعيد وقد ذكرت الفرقة الثالثة الوعيد فقالت لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وقول
الحسن اقرب الى ظاهر الاية والله اعلم وبه التوفيق ٥ **قوله عز وجل** فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم
كونوا قردة خاسئين ٥ ظاهر الاية مع ما قبلها يقتضي ان العذاب البئيس غير المسخ المتاخر ذكره فلما عتوا بعد
ذلك العذاب المعجل اي تمردوا ولجوا في الفساد واصروا على المعصية مع العلم بقبحها صيرناهم قردة والعاتي هو
الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل الموعظة وافعال الله تعالى تضاف اليه بلفظ الامر على معنى
ان ذلك ادل على سرعة الكون من غير ابطا كما قال في قوله تعالى انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون اي يريد فيحدث ويحتمل ان القوم امروا ان يصيروا قردة بقوله كونوا وكان ذلك ابلغ في الاية النازلة
بهم والغرض الى التغيير في نفس المخاطبين وقوله تعالى خاسئين اي مطرودين مبعدين عن كل خير من قولهم خسأت
الكلب اذا قلت له اخسأ على الطرد له وقال عبد الله بن عباس يا لها من اكلة ما اوخمها ان مسخوا قردة في الدنيا
وفي الاخرة النار وعن الضحاك رحمه الله انه قال القى الله تعالى في فكر الناهين حتى باعوا الدور والمساكن وخرجوا
من القرية فضربوا الخيام خارجا منها فاقبل العذاب وهم ينظرون فبدا المسخ من الراس حتى صار لهم اذناب
كاذناب القردة وكان الناهون لا يرون احدا يخرج من القرية فقالوا لعل القوم قد خسفوا ورموا بالحجارة من
السما وكانوا ينادون من فيها فلا يجيبهم احد فعلوا رجلا على سلم فاشرف عليهم فاذا هم قردة لها اذناب
فصاح ان القوم قد صاروا قردة فكسروا الباب ودخلوا منازلهم فاذا هم يبكون ويضربون الاذناب تعرف
الرجل منهم المراة وقالوا الم ننهكم عن معصية الله تعالى فاشاروا برؤوسهم بلى ودموعهم تسيل على خدودهم
وعن انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في امتي [illegible] يا رسول الله
ومتى ذلك قال اذا لبسوا الحرير واستحلوا الزنا وشربوا الخمور وطففوا المكيال والميزان واتخذوا القيان
والمعازف وضربوا بالدفوف واستحلوا الصيد في الحرم **قوله عز وجل** واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم
الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم ٥ معناه واذ اعلم
ربك وقد ياتي تفعل بمعنى افعل [illegible] تاذن ربك [illegible]
القسم الذي [illegible]
من [illegible]
[illegible] وهذا
[illegible]
[illegible]
[illegible] **قوله عز وجل**
وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم
يرجعون ٥ معناه وفرقناهم [illegible]
[illegible]
[illegible]

فان قيل هلا قلتم ان المراد بالاية منهم المطيعون ومنهم من هو دونهم وهم الذين يكون صلاحهم دون صلاح المطيعين قيل انه ذكر في الاية ما يدل على ان المراد بقوله تعالى ومنهم دون ذلك من ثبت على اليهودية وخرج من كونه صالحا وهو قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيات اي اختبرناهم بالخصب والجدوبة لكي يرجعوا من الكفر الى الايمان وهذا على ما تقدم من ان النعم تقتضي الرغبة الى الله تعالى في ارتباطها والشدة تقتضي الرغبة اليه في كشفها **قوله عز وجل** فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ه معناه فخلف من بعد هؤلاء الذين قطعناهم في الارض خلف ردية سوء وهم اليهود الذين ادركوا الرسول صلى الله عليه وسلم تعالى في الذم خلف بجزم اللام وفي المدح خلف وخلف الذين ما يبقى في السقا منقطع وقد تستعمل كلاهما فيمن خلف غيره في الشر او في الخير الا ان الاكثر الاستعمال في الخير خلف وقوله تعالى ورثوا الكتاب اي التوريه والميراث ما صار للباقي من جهة البادي كانه قال فخلف من بعد الاولين منهم خلف ورثوا كتابهم وقوله تعالى ياخذون عرض هذا الادنى قال بعضهم اراد به اخذ الرشوة في الحكم لتغيير الحق الى الباطل وقال بعضهم كانوا يحكمون بالحق ولكن كانوا لا يحكمون الا بالرشوة وانما سمي متاع الدنيا عرضا لقلة بقائه كانه يعرض ثم يزول كما قال الله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا واراد بذلك السحاب وقوله تعالى ويقولون سيغفر لنا معناه وكانوا يقولون مع اخذ الرشوة انه سيغفر لنا ذلك وقوله تعالى وان ياتهم عرض مثله ياخذوه فيه بيان انهم كانوا يصرون على الذنب واكل الحرام ويستغفرون مع ذلك فكيف يغفر لهم وقوله تعالى الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب معناه الم يوخذ عليهم ميثاقهم في التوريه ان لا يقولوا على الله الا الصدق وكان في التورية ان من ارتكب ذنبا عظيما لم يغفر له الا بالتوبة فكانوا اذا درسوا ما في التورية ويذكرون ما اخذ عليهم من المواثيق ويقولون مع اصرارهم على الذنوب سيغفر لنا وقال الحسن رضي الله عنه في معنى هذه الاية ياخذون الدنيا من كل وجه حرم عليهم ويمنعون كل حق ويسرفون في كل سرف ويتمنون مع هذه الاشيا على الله تعالى الاماني وان ياتهم عرض مثله ياخذوه كما اخذوه او لم يرو في الكتاب خلاف ما هم عليه وقيل اراد بقوله الم يوخذ عليهم اظهار ما كانوا يقدمون عليه من كتابه محرف يوهمون انه التوريه ويحكمون بخلاف التوريه ثم بين الله تعالى ان العرض اليسير الذي كانوا ياخذونه يحتقر بالاضافة الى ما اعد الله تعالى للمتقين في الاخرة فقال عز من قايل والدار الاخرة خير اي هي خير للذين يتقون المعاصي مما ياخذ اليهود من عرض الدنيا افلا تعقلون ما يدرسون من كتابهم ويقال افلا تعقلون ان الاصرار على الذنب ليس من علامات المغفرة من **قوله عز وجل** والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين ه معناه والذين يمسكون بالكتاب بان يعملوا بما فيه فيحلوا حلاله ويحرموا حرامه ولا يعدونه اكله وقوله تعالى واقاموا الصلوة معناه وعملوا الصالحات الا انه خص الصلوة بالذكر لتعظيم شانها وقوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين معناه نعطيهم اجرهم لانا لا نضيع اجر المصلحين في القول والعمل وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى منهم الصالحون انهم هم الذين وراء نهر رمل عالج من قوم موسى عليه السلم لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس فغمه جبريل عليه السلم اليهم فكلمهم وكلموه فقال لهم جبريل عليه السلم تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال فان هذا محمد النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا جبريل وقد بعثه الله تعالى قال نعم فامنوا به وصدقوه وشهدوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ان موسى بن عمران عليه السلم اوصانا ان من ادرك ذلك النبي صلى الله عليه وسلم منكم من احد فليقرا منا عليه السلم ومنكم فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى وعليهم السلم واقراهم عشر سور من القران نزلت بمكة حرسها الله تعالى ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة فعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم ورجع من ليلته تلك وبالله التوفيق ه **قوله عز وجل** واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ه معناه واذكر يا محمد اذ قلعنا

الجبل

الجبل من اصله وجعلناه كالظلة فوق رؤوس بني اسرائيل اذ كان يقال اقتلعه وقد نتقه ومنه نتقت المراة اذا اقلعت ما في جوفها من ولدها اقتلاعا والمراة منتاق كثيرة الولد والسبب في رفع الجبل ما روي انه لما شق على بني اسرائيل ما كان في التورية من المواثيق وخافوا ان لا يمكنهم الوفا به امتنعوا عن التزامه فرفع الله سبحانه الجبل فوقهم فظنوا انه واقع بهم وقوله عز وجل خذوا ما اتيناكم بقوة اي بجد واجتهاد ومواظبة في طاعة الله عز وجل واذكروا ما فيه ما في الكتاب الذي اعطيناكم من عظة وحركي تتقوا المعاصي فان قيل اليس لما رفع الله عز وجل الجبل فوق رؤوسهم صاروا مجبورين في قبول التوريه فكيف كانوا يثابون على ذلك قيل ان القوم كانوا قد اعتادوا وقوف الغمام في التيه فوقهم لدفع مضرة الحر عنهم ولا يمتنع ان ارتفاع الجبل لم يبلغ بهم حد الالجا لان الناس كما يجوزون ثبات السموات والارض على ما هما عليه فكذلك كانوا يجوزون مثله في الجبل فاستمسكا الا انه عز وجل له قلع جواهر كونهم مكلفين مع وقوف الجبل فوقهم **قوله عز وجل** واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ه في الاية قولان احدهما ان الله عز وجل اخرج من صلب ادم عليه السلم كل من هو خارج الى يوم القيمة في صورة الذر وجعل لهم العقول حتى سمعوا خطاب الله عز وجل وفهموا قوله الست بربكم قالوا بلى فاخذ عليهم الميثاق ثم ردهم الى صلب ادم عليه السلم والناس محبوسون في اصلاب ابائهم حتى يخرج كل من اخرجه في ذلك الوقت وكل من ثبت على الاسلام فهو على الفطرة الاولى ومن كفر وجحد فانما تغير عن الفطرة الاولى وفي هذا حديث مشهور روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والقول الثاني انه عز وجل اخرج الذرية قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر واشهدهم على انفسهم بما جعل في عقولهم من المنازعة التي تقتضي الاقرار بربوبيته حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى وحتى اتتهم الانبياء صلى الله عليهم عن الله عز وجل الست بربكم قالوا بلى وتقدير الاية واذ اخذ ربك من ظهور بني ادم عليه السلم ذريتهم وهذا كما يقال اخذت من فلان من راسه العمامة اي اخذت العمامة من راس فلان وقوله عز وجل شهدنا يجوز ان يكون هذا من قول الذين اخذ عليهم الميثاق ثم ابتدا جل ذكره فقال ان تقولوا يوم القيمة اي كيلا يقولوا يومئذ انا كنا عن هذا غافلين ويقال معناه كراهية ان يقولوا ويجوز ان يكون تمام الكلام الاول عند قوله تعالى بلى ثم يقول الله تعالى شهدنا عليكم واخذنا الميثاق كيلا تقولوا **قوله عز وجل** او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون ه معناه او لئلا تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاتبعناهم لانا قد جعلنا في عقولكم ما يمكنكم ان تعرفوا به صحة ما كان عليه اباؤكم وقوله عز وجل افتهلكنا بما فعل اباؤنا المشركون نقال لهم لا نهلككم بما فعل اباؤكم وانما نهلككم بما عملتم انتم **قوله عز وجل** وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون ه معناه هكذا نبين الايات كما بينا في امر الميثاق ونفصل الايات ذكرا له بعد اية ببيان الطاعة والمعصية والوعد والوعيد واما قوله عز وجل ولعلهم يرجعون معناه ولكي يرجعوا من الكفر الى الايمان والواو في هذا عطف على مضمر محذوف كانه قال لتعلموها مفصلة ولعلهم يرجعون فان قيل على التاويل كيف يكون الميثاق الذي اخذ على بني ادم عليه السلم حين اخرجهم الله من صلبه حجة على الكفار وهم لا يذكرون ذلك ولا يحفظونه قيل لما ارسل الله عز وجل الرسل واخبروهم بذلك الميثاق صار قول الرسل عليهم حجة وان لم يذكروا الا ترى ان من ترك من صلاته ركعة او طلق امراته ثلاثا ونسي ذلك فاخبره الثقات كان قولهم حجة عليه والذي يدل على صحة ذلك والله اعلم قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس فاخبر جل ذكره ان هذه الامة تشهد للانبياء صلوات الله عليهم بتبليغهم الرسالة الى قومهم ومن المعلوم انا لم نكن شهودا يوم التبليغ **قوله عز وجل** واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ه في الاية قولان احدهما ما روي عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ان الاية نزلت في بلعم بن باعورا كان عابدا من عباد بني اسرائيل وكان في المدينة التي قصدها موسى عليه السلم

وكان اهل تلك المدينة كفارا وكان عنده اسم الله الاعظم وكان اذا دعا الله عز وجل به اجابه فسأله ملكهم
ان يدعو الله عز وجل بالاسم الاعظم على موسى عليه السلام ليعصمهم من تلك المدينة فقال دينى ودينه واحد وهذا
نبى لا يكون فاجبره الملك وهدده بالقتل فدعا الله عز وجل بذلك الاسم فسلبه الله عز وجل منه عقوبة له واضلهم
فى التيه الا انه فى هذا الحديث ما يمنع صحته لانه لا يجوز ان يستجاب دعا انسان على نبى من الانبيا صلوات الله عليهم
لا سيما اذا قصد الى الدعا على موسى عليه السلام صار بذلك كافرا والكافر لا يجوز ان يستجاب دعاؤه وخصوصا
على الانبيا عليهم السلام والقول الثانى ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الاية نزلت فى امية بن ابى الصلت
وهو رجل كان فى وقت النبى صلى الله عليه وسلم وكان يعتقد انه اتاه الله عز وجل العلم والحكمة وله اشعار فى
الموت والبعث وكان قد علم بان الله تعالى يبعث نبيا فى وقته وكان يرجوا ان يكون هو ذلك النبى فلما بعث الله عز وجل
محمدا صلى الله عليه وسلم ورأى من امره ما رأى عزم ان لا يؤمن به حسدا له ومعنى الاية واقرأ يا محمد خبر الذى اتيناه علم اياتنا
وفهم معانيها فصار عالما بها والنبأ الخبر عن امر عظيم ومنه قولهم هذا النبأ شأن وقوله عز وجل فانسلخ منها اى خرج
من العلم بها الى الجهل ومن الهدى بالضلال كما يقال انسلخت الحية من جلدها وقوله عز وجل فاتبعه الشيطان
معناه اتبعه بالتزيين له ذلك الضلال ويقال معنى اتبعه ادركه يقال اتبعت القوم اذا لحقتهم وتبعتهم اذا سرت فى اثرهم
ويقال اتبعه الشيطان اتبعه كفار الانس بغيهم وغوايتهم فكانوا معه على الكفر وقوله عز وجل فكان
من الغاوين معناه فكان فى علم الله عز وجل ان يكون فى ذلك الوقت من الغاوين ويقال معناه فصار من الضالين
والغى يذكر بمعنى الهلاك يقال غوى الفصيل اذا ترك اللبن حتى هلك ويذكر بمعنى الخيبة كما قال الشاعر ٥
ومن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما ٥ اى ومن يخب واما من ذهب الى ان المراد بالايات
المذكورة فى هذه الاية النبوة فهو قول ظاهر الفساد لانه عز وجل لا يجوز ان يبعث من يعلم انه يكفر ويرتد عن دينه
لانه قد اخبر انه قد عصم انبيائه ورسله صلوات الله عليهم اجمعين ٥ **قوله عز وجل** ولو شئنا لرفعناه بها
ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ٥ معناه ولو شئنا لرفعناه بالايات
قبل ان يكفر بها بان نثبته على الهدى او نعصمه عن الكفر ونحول بينه وبين المعصية حتى يكون له الثواب على الايمان
وان الثواب جلالة وتعظيم فى لذة ويقال معناه لرفعناه بها الى السما ولكنه اخلد الى الارض اى سكن الى الدنيا ومال
الى سفساف الامور وترك معاليها واصل الاخلاد اللقا والاقامة واللزوم على الدوام فكانه لزم الميل الى الارض لتحصيل
الراحة واللذة يقال فلان مخلد اى بطئ الشيب وقوله تعالى واتبع هواه اى انقاد لهواه فلم ينتفع بالايات وقوله عز
وجل فمثله كمثل الكلب وهى الحالة التى يلهث فيها ويكون ملازما لذلك واللهث هو تتابع النفس عند الاعيا وهو
فى الكلب طبع فان كل شئ يلهث من اعيا او عطش ما خلا الكلب فانه يلهث فى الاحوال كلها فانك ان طردته
وزجرته يلهث وان تركته يلهث فكذلك الكافر ان وعظته او زجرته لم يتعظ وان تركته لم يعقل ويقال
اراد بهذا ان الكلب فى حال لهثه لا يقدر على نفعه ومضرة لنفسه فكذلك من كانت هذه صفته يذل ويخضع
ويتبع كل احد اذا طمع ان ينال منه ادنى شئ وهو لا يبالى بما لم يصيبه من الذل والهوان فكان الكافر فى الدين الذى
هو الغرض شبيه بالكلب فى دار الدنيا وقال بعضهم معنى اللهث هو اخراج اللسان من الفم فكما ان الكلب
يؤذى الناس فى الاحوال كلها حملوا عليه او تركوه كذلك هذا الذى صار كافرا فى قصد ايذا المسلمين اذاهم سواء
زجروه او تركوه واخراج اللسان من الفم عبارة عن الايذا كما يقال فلان اخرج لسانه من الفم مثل الكلب وقوله عز
وجل ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا معناه ذلك صفة القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص عليهم اخبار الماضين
ليعتبروا بهم فلا يسلكوا مسالكهم وقوله عز وجل لعلهم يتفكرون معناه رجا ان يتفكروا **قوله عز وجل**
ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون ٥ معناه ساء مثلا مثل القوم اى بئس الوصف
وصف قوم كذبوا بحجتنا وهذا السوء انما يرجع الى فعلهم لا الى نفس المثل كانه قال ساء فعلهم الذى جلب اليهم

[illegible]

قال القتيبي كل شي يلهث فانما يلهث من اعيا او عطش الا الكلب فانه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال الري وحال العطش

هذا الوصف

هذا الوصف القبيح واما المثل فهو من الله عز وجل حكمة وصواب وقوله عز وجل وانفسهم كانوا يظلمون اى انهم
انما نقصوا بافعالهم انفسهم والله عز وجل لا تضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة المطيعين **قوله عز وجل**
من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ٥ معناه من يوفقه الله عز وجل لدينه فهو
المهتدى من الضلالة ومن يخذله فاولئك هم الخاسرون المغبونون بعقوبة الاخرة وقيل معناه من يحكم الله تعالى
بهداه فهو المهتدى ومن يحكم بضلالته فاولئك هم الخاسرون **قوله عز وجل** ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من
الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام
بل هم اضل اولئك هم الغافلون ٥ قال عبد الله بن عباس معنى الاية ولقد خلقنا لجهنم اهلا لهم قلوب لا يعقلون
بها الخير ولهم اعين لا يبصرون بها الهدى ولهم اذان لا يسمعون بها الحق ثم شبههم بالانعام التى لا يكون لها الات
التمييز ولا ادراك الحواس قال اولئك كالانعام يعنى فى الماكل والمشرب والذهن لا فى الصور ثم اعلم للانعام
فقال بل هم اضل لان الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل وقوله عز وجل اولئك هم الغافلون
اى يغفلون عما ينفعهم وعما يضرهم فى الاخرة وقيل ان اللام فى قوله عز وجل لجهنم لام العاقبة يعنى ان عاقبتهم
المصير الى جهنم وهذا كما قال جل ذكره فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اى كان عاقبتهم ان
صار لهم عدوا وحزنا ولا فهم التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قال جل ذكره وقالت امرات فرعون قرت عين لى ولك
لا تقتلوه ويقال لدوا للموت وابنوا للخراب وقال الشاعر ٥ وامر المنايا ولا تجزعن فللموت ما تلد الوالده ٥
وقال اخر اموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها ٥ قالوا والدليل على ان هذه اللام لام
العاقبة ان الله عز وجل خلق الخلق للعبادة كما قال جل ذكره وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاما
التشبيه بالانعام فيجوز ان يكون على معنى انهم لم ينتفعوا بما علموا وابصروا وسمعوا كما يقال لمن يشبه بالحمار فى البلادة
حمار ولمن يشبه الاسد فى الجراة اسد ويجوز ان يكون معنى التشبيه فى جهلهم بما ينفعهم كالانعام التى تجهل
ما ينفعها بل هم اضل من الانعام فان الانعام لا تجلب الى نفسها مضرة الاخرة وهم يجلبون والانعام لم تعط التمييز
وهؤلاء اعطوا فمنعوا **قوله عز وجل** ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى
اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ٥ روى فى سبب نزول هذه الاية ان رجلا دعا الله تعالى فى صلاته
ودعا الرحمن فقال ابو جهل اليس يزعم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا
يعبد ربين اثنين فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها ولله الصفات العلى وهى الرحمن الرحيم والعزيز الجبار
والمؤمن والمهيمن واشباه ذلك من الصفات التى تخشون معانيها وقوله عز وجل فادعوه بها اى بالاسماء
التى يصف بها نفسه ولا ينبغى ان تقولوا الرجل فى الدعا [illegible] ولكن تقولوا يا جواد يا رحيم يا قوى
وقوله عز وجل وذروا الذين يلحدون فى اسمائه [illegible]
اليا والها واللحد والالحاد بمعنى واحد وهو الميل عن القصد فان الكفار كانوا يقولون [illegible] وكانوا
يحادون المؤمنين فى ذلك [illegible] فى اسماء الله عز وجل مثل قولهم اللات من [illegible]
والعزى من العزيز [illegible] وعبدهم على الكفر والتكذيب
قوله عز وجل وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ٥ قال عبد الله بن عباس وذلك انه
لما ذكر الله عز وجل من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال اناس من اصحاب النبى صلى الله عليه
وسلم ذكر الله عز وجل هؤلاء بالخير [illegible] اجرا ولنا اجرا [illegible]
صدقنا بالرسل والكتب فانزل الله عز وجل وممن خلقنا امة يهدون بالحق يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم
لا تخلو الزمان من فرقة منهم [illegible] يدعون الناس الى الحق وفى الاية ما يدل على ان هذا [illegible] عز وجل
[illegible] انه لا يخلو الزمان من
جماعة يكونون متمسكين بالحق ويعلمون الناس علم الدين وليس فى الاية التى نزلت فى قوم موسى عليه السلام

[illegible]

[illegible]

ما يقتضي احالة سائر الناس عليهم ولا يجوز ان يكون المراد بهذه الاية زمان النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لان ذلك كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم لظهور المعجزات عليه ولا يجوز ان يكون المراد به وقتا بعده لان ذلك الوقت مجهول وكان لا يفيد الاية شيئا فعلم ان المراد بالاية جميع الاوقات فان اجماع هذه الامة حجة على من بعدهم **قوله عز وجل** والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ٥ معناه والذين كذبوا بدلائلنا وحججنا سنحطهم الى العذاب درجة درجة الى ان يلقوا الى العذاب قال القتيبي تقول العرب استدرج فلانا حتى تعرف ما صنع اي لا تجاهره ولا تفاتشه ولكن كلمه درجة درجة حتى تعرف حقيقة ما فعل ويقال الاستدراج من الدرج وهو الطي كانه قال سنطويهم عن باسنا قليلا قليلا من حيث لا يعلمون وذكر بعض المفسرين في معنى الاية انهم كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وانسيناهم شكر النعمة والاستغفار من الخطيئة فاذا سكنوا الى النعمة وحجبوا عن شكر النعم اخذوا **قوله عز وجل** واملي لهم ان كيدي متين ٥ معناه امهلهم واطيل لهم المدة فانهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم ولا يعجزوني عن تعذيبهم وقوله عز وجل ان كيدي متين اي صنعي شديد محكم والكيد هو الاضرار بالانسان من حيث لا يشعر به والاملاء ماخوذ من الملاوة وهو الحين يقال عشت مع فلان حينا اي عشت معه زمانا **قوله عز وجل** اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين قال الحسن وقتادة رضي الله عنهما وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد الى الصفا ذات ليلة يدعو قريشا الى عبادة الله عز وجل باسمائهم قبيلة قبيلة وفخذا فخذا يا بني فلان يحذرهم باس الله عز وجل وعقابه فقال المشركون ان صاحبهم قد جن بات ليله يصوت الى الصباح فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعنى الاية اولم يتفكروا بقلوبهم ليعلموا ويستيقنوا ما بمحمد صلى الله عليه وسلم من جنون وما هو الا معلم لموضع المخافة ليتقى وموضع الامن ليبتغى وقوله عز وجل مبين اي بين امره فهلا جالسه الكفار فطلبوا حقيقة امره وتفكروا في دلايله ومعجزاته ثم وعظهم الله عز وجل ليستدلوا على توحيده فقال عز من قايل اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون ٥ معناه اولم ينظروا في السموات والارض طالبين لما يدلهم على وحدانية الله عز وجل وعلى صدق الرسول فيما دعاهم اليه والملكوت الملك العظيم والمراد بقوله وما خلق الله من شيء ما خلقه الله عز وجل بعد السموات والارض فان ذلك يدل على توحيد الله عز وجل مثل ما تدل السموات والارض وقوله عز وجل وان عسى ان يكون معناه اولم ينظروا في ان عسى ان يكون قد دنى هلاكهم بعد قيام الحجة عليهم وقوله عز وجل فباي حديث بعده يؤمنون معناه ان لم يؤمنوا بهذا القران مع وضوح دلايله فباي حديث بعده يؤمنون وليس بعده كتاب منزل ولا نبي مرسل **قوله عز وجل** من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ٥ معناه من يخذله الله عن دينه فلا هادي له اليه ويقال من يحكم الله بضلاله على جهة الذم لا احد يقدر على ان يحكم له بالهدى وقوله عز وجل ويذرهم في طغيانهم يعمهون معناه ويدعهم في تجاوزهم الحد في كفرهم يتحيرون ولا يرجعون الى الحق ومن قرا يذرهم بالجزم فعلى جواب الشرط عطف على موضع الفا المعنى من يضلل الله يذره في طغيانه عامها ومن قرا ونذرهم بالنون وضم الرا فهو على سبيل الاستيناف ايضا كالاول والعمه في القلب معنى يمنع من ادراك الحق كما ان العمى في العين معنى يمنع من الادراك بالعين **قوله عز وجل** يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة يسالونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ٥ قال عبد الله بن عباس وذلك ان قوما من اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه عن الساعة وعن مسايل اخر ليمتحنوه بها فانزل الله عز وجل هذه الاية اي يسالونك عن قيام الساعة وقال الحسن وقتادة سالت عنها قريش متى القيمة التي تخوفنا بها وقوله عز وجل ايان مرساها كلام مختصر معناه اي اوان قيامها ومتى مثبتها يقال رسى الشيء يرسو اذا ثبت وارسيته اذا اثبته ومنه الجبال الراسيات اي الثابتات وقيل ان المرسى مستقر الشي الثقيل وقوله عز وجل قل انما علمها عند ربي معناه علم قيامها عند الله سبحانه ما لي بها من علم لا يجليها لا يظهرها لحينها ولا يكشف عن وقتها الا الله عز وجل ووجه الامتناع على

الاجابة

الاجابة عن بيان وقتها ان العباد اذا لم يعرفوا وقت قيامها كانوا على حذر من ذلك فيكون ذلك ادعى للطاعة وازجر عن المعصية وقوله عز وجل ثقلت في السموات والارض قال الحسن ثقل وضعها على اهل السموات والارض من انتثار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال قال قتادة ثقلت على السموات والارض ولا تطيقها لعظمها وقال السدي ثقل علمها على اهل السموات والارض فلم يطيقوا ادراكه وكل شيء خفي فقد ثقل وقوله عز وجل لا تاتيكم الا بغتة اي الا فجاة لا تعلمون وقتها فان مجيئها على هذه الصفة يكون اهول واشق عليهم وقوله عز وجل يسالونك كانك حفي عنها قال الضحاك ومجاهد معناه كانك عالم بها وقال ابن عباس والحسن هذا على التقديم والتاخير معناه يسالونك عنها كانك حفي بهم اي بار لطيف بهم من قوله عز وجل انه كان بي حفيا وقيل ان لفظ اللطف يستعمل في غوامض الامور كانه قال يسالونك عن ذلك كانك لطيف بعلمها وكانك بعض منزلتك عند الله عز وجل فقد خصك الله بهذا العلم ولم يكتمه عنك وقد وصف عز وجل ذكره اللطيف الخبير على هذا المعنى واصل الاحفا في اللغة من الالحاح في الامر يقال احفى في السؤال اذا الح فيه ومنه احفا الشارب وهو الاستقصا في اخذه ومنه الحفا ممدود وهو ان يمشي الرجل بغير نعل ويقال احفى الدابة اذا اكثر المشي حتى يوجعه ومن هذا قيل معنى قوله كانك حفي عنها كانك اكثرت المسالة عنها اي هم لا يعلمون انك لا تسال عنها لانك تعلم ان علمها عند الله عز وجل ويقال معنى حفي فرح بمسالتهم اياك من قولهم تحفيت بالمسالة اذا سيل سوالا اظهرت فيه البر والمحبة وقيل معناه كانك حاكم بها يقال تحافينا الى فلان اي تحاكمنا اليه والحافي هو الحاكم واما قوله تعالى قل انما علمها عند الله يجوز ان يكون الغاية في اعادة قوله قل انما علمها رد المعلومات كلها في هذا الباب الى الله عز وجل ويكون التكرار على وجه التاكيد ويقال اراد بالاول علم وقتها وبالثاني علم كنهها وقيل انما اعيد علمها عند الله لانها موصولة بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون انها كاينة وان علمها عند الله تعالى وفي الاية دلالة على بطلان قول من يدعي العلم ببقاء مدة الدنيا ويستدل بما روي ان الدنيا سبعة الاف سنة وان الباقي منها من وقت مبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمسماية لانه لو كان كذلك لكان وقت قيام الساعة معلوما وقد اخبر الله عز وجل ان علمها عند الله تعالى وانها لا تاتي الا بغتة لم يتقدم لهم علم فيها قبل كونها لان ذلك معنى البغتة واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت انا والساعة كهاتين واشار الى السبابة والوسطى فمعناه تقريب الوقت لا تحديد الوقت كما قال عز وجل فقد جا اشراطها اي من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراطها **قوله عز وجل** قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شا الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ٥ قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتري فنربح فيه وبالارض التي يريد ان تجدب فنرتحل منها الى ما قد اخصب فانزل الله [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] لا املك [illegible] [illegible] والملك هو [illegible] [illegible] الغيب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجواب [illegible] **قوله عز وجل** هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون ٥ [illegible] ذكر في بعض التفاسير [illegible]

في معناهما ان الله عز وجل خلقكم من نفس ادم عليه السلم وحده وخلق حوا من ضلع من اضلاعه القصير ليطمئن اليها فلما تغشاها اى اصابها كما يصيب الزوج زوجته حملت ماه وماوه كان حملا خفيفا فاستمرت بذلك الما اى قامت وقعدت كما كانت تفعل من قبل وهي لا تدرى انها حبلى ام لا فلما ثقل الولد في بطنها وشق عليها القيام اتاها ابليس في صوره رجل فقال يا حوا ما هذا في بطنك قالت ما ادرى قال اني اخاف ان يكون بهيمة وذلك اول ما حملت فقالت ذلك لادم عليه السلم فلم يزالا في هم من ذلك ثم عاد ابليس اليها فقال يا حوا انى منزلة من الله فان دعوت الله عز وجل لي فولدت انسانا تسميه لي فقالت نعم قال فاني ادعو الله عز وجل لك وكانت هي وادم عليهما السلم يدعوان الله عز وجل لئن اتيتنا ولدا حسن الخلق صحيح الجوارح مثلنا لنكونن من الشاكرين لك في هذه النعمة فلما اتاهما صالحا اى سويا صحيحا اتاها ابليس فقال عدتى فقالت ما اسمك قال الحرث ولو سمى لها نفسه فقال عزازيل عرفته ولكن سمى بغير اسمه فسمته عبد الحرث ورضى به ادم عليه السلم ثم مات وهذا لا يصح لان حوا وان لم تكن نبيا فقد كانت زوجة ادم عليه السلم وفي الاية ان الله عز وجل قال جعلا له شركا ومثل هذه القبائح لا يجوز اضافتها الى الانبيا عليهم السلم الاشتراك في التسمية دون العبادة كما تضاف العبد الى مالكه لانه قال عز من قائل في اخر الاية فتعالى الله عما يشركون ولان الواحد منا من اهل الدين لو اتاه من يبعثه على ان يسمى ولده بعبد شمس او عبد العزى او نحو هذه الاسامى لم يقبل منه وان تمكن من التكبير عليه بالتوبيخ والتاديب فعل فكيف يجوز مثل ذلك على ادم عليه السلم وقد رفع الله قدره بالنبوة وذكر عن الحسن رضى الله عنه في تفسيره ان الله عز وجل خلق حوا من ضلع ادم عليه السلم وجعلها سكنا له وكذلك حال الخلق مع ازواجهم كانه قال وجعل من كل نفس زوجها كما قال جل ذكره في اية اخرى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها قال الحسن انقضت قصة ادم عليه السلم عند قوله ليسكن اليها ثم اخبر الله عز وجل عن بعض خلقه انه تغشى زوجه فحملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلها ما في بطنها دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنشكرنك فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا بتعليمهما الذي علماه بان هوداه او نصراه او مجساه او علماه شيا من الاديان الخبيثة التي يدعو اليها ابليس قال وهذا عظم الله سبحانه نفسه في اخر الاية بقوله عز وجل فتعالى الله عما يشركون ولو كان المراد بالاية ادم عليه السلم وحوا لقال الله تعالى عما يشركان وذهب بعض المفسرين الى ان قوله عز وجل فلما اتاهما نسلا صالحا معافا في بدنه وهم الاولاد الذين كانوا يولدون لهما لان حوا كانت تلد في كل بطن ولدا ذكرا وانثى وقيل ولدت في خمسمائة بطن الف ولد وقوله عز وجل جعلا له شركا اى هذا النسل الصالح الذين هم ذكر وانثى جعلا له شركا فيما اتاهما من نعمه فاضافا بعض النعم الى الاصنام وما اشبهها وانما ذكر النسل على سبيل التثنية لكونهم صنفين ذكرا وانثى ومن قرا جعلا له شركا بكسر الشين والشرك مصدر شركت الرجل اشركه شركا وكان من حق الكلام ان يكون على هذه القراة جعلا لغيره شركا لانهما لا ينكران ان الاصل لله عز وجل فالشرك انما يجعل لغيره ويجوز ان يكون المعنى جعلا له ذا شرك فحذف ذا كما في قوله عز وجل واسال القرية معناه اهل القرية

قوله عز وجل ايشركون ما لا يخلق شيا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون

معناه ايشركون مع الله عز وجل في العبادة ما لا يقدر على خلق شي يستحق به العبادة لان الخلق هو الذي يدل على الله عز وجل والله سبحانه انما استحق العبادة على الخلق لخلقه اصول النعم التي لا يقدر عليها احد سواه مثل الحيوة والسمع والبصر والعقل فان لم تقدر الاصنام على خلق شي لم يحسن عبادتها وقوله عز وجل وهم يخلقون معناه ان الاصنام مخلوقة ويقال اراد به الاصنام والعابدين جميعا وقوله عز وجل ولا يستطيعون لهم نصرا اى لا يستطيع الاصنام دفع ضر عنهم ولا جلب نفع اليهم ولا ان تنصر انفسها بان تدفع عن انفسها من ارادها بسوء فان قيل كيف قال ولا انفسهم ينصرون على لفظ ما يعقل والاصنام موات قيل ان الكفار كانوا يصورونها على صورة من يعقل وتجرى بها مجرى من يعقل فاجرى عليهم لفظ ما قدروا انهم عليه **قوله عز وجل** وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ه معناه وان تدعوا الاصنام الى الهدى لم تقبل الهدى فانها لا تهدى غيرها ولا تهتدى بانفسها ولا تجيبوا ان دعت الى الهدى وقوله عز وجل سواء عليكم معناه سواء دعوتموهم ام صمتم عنهم لا يتبعوكم لانه انما قال ام

انتم

انتم صامتون ليبين امرهم في الماضي والحال جميعا وقال الحسن رضى الله عنه اراد بهذه الاية قوما من المشركين انك تدعوهم يا محمد الى الهدى لا يتبعوكم **قوله عز وجل** ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ه معناه ان الذين تدعون من دون الله الهة واراد به الاصنام عباد امثالكم اى مملوكة مخلوقة امثالكم اشباهكم وسمى الاصنام عبادا لانهم صوروها على صورة الانسان ولان العبد في اللغة المسخر المذلل كما يقال طريق معبد اى مذلل وقوله عز وجل فادعوهم هذا الدعا ليس هو الدعا الاول ولكن اراد به فادعوهم في مهماتكم عند الحاجة الى كشف الاسوا عنكم وقوله عز وجل فليستجيبوا لكم صيغته صيغة الامر ومعناه التعجيز اى ان كنتم صادقين في انها الهة فلا يجيبوكم عند جلب منفعة او دفع مضرة **قوله عز وجل** الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ه معناه والله اعلم ان معبودى ينصرنى ويدفع كيد الكائدين عنى ومعبودكم لا يقدر على نصركم فان قدرتم على ضرى فاجتمعوا انتم مع الاصنام على كيدى ولا تؤجلونى وهذا لانهم كانوا يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم بالهتهم وقد غلوا من ذهب الى تشبيه الله عز وجل بخلقه في هذه الاية وقال ان الله عز وجل ذم الاصنام بان ليس لها ارجل يمشي بها ولا ايد يبطشون بها ولا اعين يبصر بها ولا اذان يسمع بها فدل على ان لله عز وجل هذه الاعضا والاركان مشاركا لها في وجه الذم وليس الامر على ما ذهب اليه ولكن المراد بالاية تقريع الكفار على عبادة اجسام هذه صفتها لا يقدر على المشي والبطش والابصار والسماع مع ان لها الان هذه الاشيا وكل من يعبدها لا بد من ان يكون الوم ممن يعبد من له جارحة وقد يمكن ان ينفع بها او يضر وقيل عرف الله عز وجل الكفار بهذه الاية انهم مفضلون على الاصنام لان لهم جوارح يتصرفون بها وليس للاصنام ذلك فكيف يعبدون من هم افضل منهم فالعجب من نفتهم عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم مع ما قد ايده الله عز وجل من الايات المعجزات والدلائل الظاهرة لانه بشر مثلهم ولم يانفوا من عبادة حجر لا قدرة له ولا تصرف وهم افضل منه في القدرة على النفع والضر والحيوة والعلم **قوله عز وجل** ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ه معناه ان الذي يحفظني ويكلؤني ويتولى امري الذي انعم علي بانزال القرآن علي وهو يتولى الصالحين اى المطيعين اوليا وهو وليهم ينفعهم ويتولى حفظهم لا يكلهم الى غيره ولا يضرهم بعداوة من عاداهم وقد اجتمعت اصحابنا ان الطبائع بمعنى الاوثان وخطاب هذه الايات لان الطبائع ليست بقادرة ولا عالمة ولا حية فيلزم من جعلها ذلك اشياء لا يعلم ما يستحق به العبادة **قوله عز وجل** والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون ه قد تقدم تفسيره وفيه بيان عجز الاصنام ووصف حالها فلم يصح ان تكون الهة **قوله عز وجل** وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون معناه كما انها لا تهتدى بانفسها فلا تسمع الهدى وقوله عز وجل وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون معناه فاخذه اعينهم مخرجة وذلك انهم كانوا يصنعون ويجعلون لها اعينا فاذا نظر الناظر اليها خيل اليه انها تنظر اليه وهي لا تبصر وكانوا يلطخون افواه الاصنام بالخلوق والعسل وكانت الذباب يجتمعون عليها لا تقدر على دفع الذباب عن انفسها وقال مقاتل رضى الله عنه معنى قوله عز وجل وان تدعوهم الى الهدى اى تدع المهتدين والمعنيين الكفار لا يسمعوا الى الهدى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون الهدى **قوله عز وجل** خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ه قال عبد الله بن عباس والسدى معناه خذ الفضل من اموالهم كما قال عز ذكره ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو وهذا انما كان قبل فرض الزكوة ثم صار منسوخا بالزكوة قال الحسن ومجاهد معناه خذ العفو من اخلاق الناس في القضا والاقتضا وقبول عذرهم وحسن المعاملة معهم ومما يسهل عليهم واصل العفو الترك من قوله سبحانه فمن عفي له من اخيه شي اى ترك له والعفو عن الذنب ترك العقوبة عليه وتسمى الفضل عفوا على معنى انه يترك طيبة نفس وقيل معنى العفو المساهلة في الامور فقال خذ ما اتاك عفوا ان النبي صلى الله عليه وسلم سال جبريل عليه السلم عن هذه الاية فقال

جبريل حتى اساله فذهب ثم رجع فقال يا محمد ان الله عز وجل يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك وهذا من جوامع الكلم وقوله عز وجل وامر بالعرف اى بالمعروف الذى يعرف العقلا صحته وقوله عز وجل واعرض عن الجاهلين اى اعرض عنهم بعد اقامة الحجة عليهم ووقوع الياس عن قبولهم فلا تقابلهم بالسفه ولا تجاوبهم استخفافا بهم وصيانة لقدرك فان مجاوبة السفيه تكون ضعة عن القدر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم وعنه صلى الله عليه وسلم سيل ما اثقل شي في ميزان المومن يوم القيمة قال الخلق الحسن وفي حديث ابى جرى الهجيمى انه قال ركبت قعودى ثم انطلقت الى مكة وطلبت النبى صلى الله عليه وسلم فقيل في المسجد فاجيت باب المسجد ودخلت فاذا هو جالس وعليه برد من صوف فيه طرايق حمر وقلت السلام عليك يا رسول الله قال وعليك السلام قلت انا معشر اهل البادية فينا الجفا فعلمنى كلمات ينفعنى الله بهن قال ادن ثلثا فدنوت قال اعد علي فاعدت قال اتق الله عز وجل ولا تحقرن من المعروف شيا ولو ان تلقى اخاك ووجهك منبسط اليه ولو ان تفرغ من فضل دلوك في اناء المستقى وان امرء سبك بما يعلم فيك فلا تسبه بما تعلم فيه فان الله عز وجل جاعل لك اجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيا مما خولك الله قال ابو جرى فوالذى نفسى بيده ما سببت شيا بعدها شاة ولا بعيرا **قوله عز وجل** وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥ معناه اما يغرينك الشيطان بالوسوسة عند الغضب فالتجى الى الله عز وجل فاستعذ به انه سميع لدعائك عليم بك وقيل ان اصل النزغ هو الازعاج بالحركة الى الشر يقال هذه نزغة من الشيطان للخصلة الداعية الى ذلك فيكون معنى الاية ان يا تينك من الشيطان اذى ووسوسة بسبب يوجب الانزعاج فاستعذ بالله ثم بين جل ذكره ان من لجى وطلب اليه النجاة من نزغ الشيطان حرسه منه وقوى بصيرته كما قال الله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ٥ معناه ان الذين اتقوا الشرك والمعاصي اذا مسهم وسوسة من الشيطان بالقا خواطر الشر اليهم فزعوا الى تذكر ما اوضح الله عز وجل من الحجة فاذا هم يبصرون عواقب امورهم يرجعون من الهوى الى الهدى وهذه الاية مع ما قبلها تقتضى انه لا يجوز على الانبيا عليهم السلم من الشيطان الا النزغ الذى هو كالابتدا في الوسوسة ويجوز على المومنين المتقين ما يزيد على النزغ لان المس المذكور في هذه الاية لا بد من ان يكون ابلغ من النزغ الذى هو ابتدا الوسوسة ثم ذكر تعالى حال المتقين فقال **عز وجل** وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ٥ وهذا متصل بقوله عز وجل قل ادعوا شركاكم وقوله عز وجل وان تدعوهم الى الهدى المعنى واخوان المشركين وهم الشياطين يدعونهم الى المعاصي والجهل ويقال للكفار فراخ من الشياطين يمدهم في الغي وقوله عز وجل ثم لا يقصرون معناه ثم لا تقصر اخوان المشركين عن الوسوسة لانهم اذا علموا قبولهم لقولهم حرصوا على زيادة اغوايهم وحرص الكفار على اطاعتهم ولا تقصرون كما تقصر المتقون ويقال ان قوله واخوانهم معناه واخوان الشياطين وهم الضلال يمدون المشركين في الغي وهذا لان الشيطان قد تقدم ذكره في الاية التى قبلها واريد به الجنس والجمع فانصرفت هذه الكناية اليهم اذ لا يجوز انصرافها الى المتقين **قوله عز وجل** وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٥ قال الحسن كانوا اذا جاتهم اية كذبوا بها واذا ابطات عنهم لمسوها ومعنى الاية واذا لم تاتهم بالاية التى سالوها تعنتا قالوا هلا طلبتها من الله عز وجل فاتيتنا بها ويقال معناه هلا اتيت بها من تلقا نفسك قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى اى قل لهم لست الايات الى ولكن الله عز وجل يوحى بها على ما يعلم من المصلحة وليس لى ان اساله انزالها الا اذا اذن لى في سوالها وقوله عز وجل هذا بصاير من ربكم معناه هذا القران دلالات وحجج من ربكم وهدى من الضلالة ونجاة من العذاب لقوم يصدقون انه من الله سبحانه **قوله عز وجل** وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥ قال عبد الله بن عباس وابن مسعود وابو هريرة وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والزهرى وجماعة

من التابعين

من التابعين رضى الله عنهم ان هذه الاية نزلت في الصلوة وعن ابى العالية الرياحى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى قرا اصحابه خلفه حتى نزلت واذا قرئ القران فسكت القوم وقرا النبى صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن عباس في رواية اخرى انه قال كان المسلمون قبل نزول هذه الاية يتكلمون في الصلوة ويامرون بحوايجهم ويجى الرجل الرجل فيقول كم صليتم فيقول كذا فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال الحسن وعطا ومجاهد نزلت هذه الاية في الصلوة والخطبة جميعا وقيل ان الخطبة لا معنى لها في هذا الموضع لان غير القران من الخطبة يجب استماعه والانصات له وقال بعضهم المراد بالاية وقت نزول القران امرهم الله عز وجل بالاستماع والانصات قال الزجاج يحتمل ان يكون معنى الاستماع العمل بما فيه لان معنى قول القايل سمع الله لمن حمده وسمع الله لمن دعاه تاويله الاجابة والقول الاول والله اعلم هو الاصح والاقرب الى ظاهر الاية لانه ليس في الاية تخصيص زمان دون زمان ولا يجب على القوم الانصات لقراة كل من يقرا في غير الصلوة وكان الاولى ان يحمل على ان الماموم اذا سمع قراة الامام جهرا ان ينصت والى هذا ذهب اكثر العلما وقال الشافعى رضى الله عنه اذا جهر الامام بالقراة لم يقرا من خلف الامام الا بام القران وقال مالك رحمه الله يقرا الماموم الفاتحة مع السورة اذا اسر الامام ولا يقرا اذا جهر وفي الاية ما يدل على نهى الماموم عن القراة في ما لا يجهر الامام لان الله عز وجل اوجب الاستماع والانصات عند قراة القران ولم يذكر حالة الجهر ولا حالة الاخفا واذا جهر الامام فعلينا الاستماع والانصات واذا اخفى فعلينا الانصات بظاهر الاية لعلمنا ان الامام قارئ القران وفي المسيلة اخبار كثيرة اتفق الفقها ان اخبارنا مستعملة في النهى عن القراة في حال جهر الامام وخبر من خالفنا مختلف فيه **قوله عز وجل** وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ٥ يجوز ان يكون الخطاب في اول هذه الاية للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الخلق كقوله عز وجل يا ايها النبى اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن ويجوز ان يكون المعنى واذكر ايها المستمع للقران اذا تلى عليك ربك في نفسك وفي هذا الذكر قولان احدهما ان المراد بها التفكر في النفس والتعرض لذكر نعم الله عز وجل مع العلم بانه لا يقدر عليها احد سواه وانه متى شا سلبها منه والمراد بقوله ودون الجهر من الكلم ان يذكر الله عز وجل على وجه الخفية بالتضرع اليه والمخافة منه ولان افضل الدعا ما كان خفيا على اخلاص او خضوع لا يشوبه ريا ولا سمعة وقوله في نفسك اشارة الى الاخلاص والقول الثانى ان المراد بقوله اذكر ربك في نفسك الذكر بالكلام الخفى وبقوله ودون الجهر اظهار الكلام لا بالصوت العالى بقول اظهره ولا ترفع صوتك واما قوله عز وجل بالغدو والاصال فمعناه صلوة الغداة والمغرب والعشا والاصل في اللغة ما بين العصر الى الليل وجمعه اصل ثم اصال جمع الجمع ثم اصايل وسمى اصيلا من الاصل الذى ينتهى اليه النهار وينشا عنه الليل وقيل في تخصيص الغدو والاصال انه غايتهما حال السعى بالمعاش لا ان تخصيصهما من حيث انه لا يجوز ان يذكر الانسان ربه في نفسه او بالقول في ساير الحالات وفي قوله عز وجل ولا تكن من الغافلين زيادة تحضيض على ذكر الله عز وجل كيلا يغفل الانسان عن ذلك في اوقات العبادات **قوله عز وجل** إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ٥ معناه ان الملايكة المقربين الذين اكرمهم الله عز وجل لا يتعظمون عن طاعة الله عز وجل اى ان استكبرتم انتم عن عبادته فمن هو افضل منكم وهم الملايكة لا يستكبرون عن عبادته وينزهونه عما لا يليق به وله يصلون ويخرون له سجدا في صلاتهم واما قوله عند ربك فهو على احد معان ثلثة اما لانهم في المكان الذى شرفه الله عز وجل او لانهم في الموضع الذى لا يجرى عليهم الحكم فيه من احد الا من الله عز وجل بخلاف البشر او لانهم الرسل الى البشر فانهم رسل الانبيا عليهم السلم يحملون الوحى اليهم وينزلون لقبض ارواحهم وينزلون ببركات الارض فقيل عند ربك على احد هذه المعانى كما يقال عند فلان الملايكة وكذا من الجند يراد انهم مقيدون في اوامره لا انهم حضور عنده وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان جبريل عليه السلم اذا اقبل بشى من القران

سجود فقرا ثم خر ساجدا ويامرني بذلك ثم يقول يا محمد واجب عليك وعلى امتك وعن ابي بن كعب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا
يوم القيمة وكان ادم عليه السلم له شفيعا وبالله التوفيق ٥

تم الجزء الاول من تفسير القرآن العظيم لمولانا عبد الصمد الحنفي
وهو الثلث الاول يتلوه الثلث الثاني سورة الانفال

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Mihrişah Sultan
7
Kayıt No 24